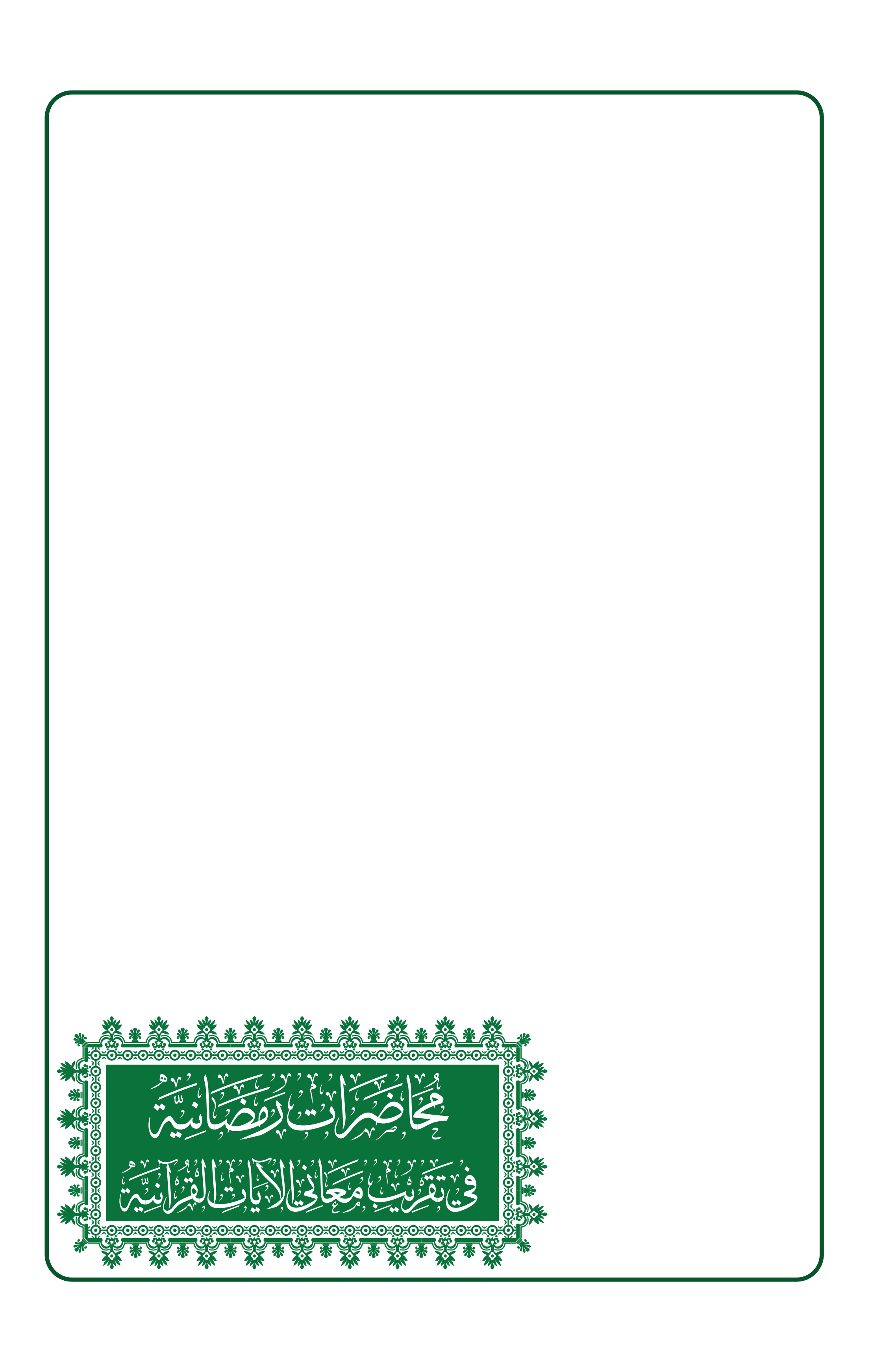

محاضرات رمضانية
في تقريب معاني الآيات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم



مُحاضراتٌ رمضانيّة في تقريبِ معاني الآياتِ القرآنيّة

وبهامشه

بُغيةُ العالِمِ المُستزيد وضالّةُ المُرشدِ المُستفيد

المتضمّن للجوابات الصّائبة السّديدة على الأسئلة المتنوّعة المُفيدة

الجزءُ الثّاني
الأنفال - الأنبياء

تأليف

السّيّد العلّامة المُجتهد

مُحمّد بن عبدالله عوض

حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الثانية

١٤٤٠هـ

سورة الأنفال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ الأنفال هي الغنائم. سأل المسلمون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عنها، وذلك يوم بدر اختلف المسلمون فيما بينهم؛ وكانوا قد انقسموا قسمين: فقسم مكثوا بجنب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليحموا ظهره، وقسم في مواجهة العدو يقاتلون، فقال هؤلاء الذين في وجه العدو: نحن الذين قتلنا وأسرنا وغنمنا، فما غنمناه فهو لنا، وقال الآخرون: قد حمينا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحرسناه من العدو، فلنا نصيب فيها، فاختلفوا وتنازعوا فيما بينهم، فذهبوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ محتكمين إليه في شأن الغنيمة التي غنموها، فنزلت هذه الآية.

﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ما حصل من الغنائم فهو لله سبحانه وتعالى وللرسول يضعها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيثما شاء، ولا شأن لكم بها[1].

﴿فَاتَّقُواْ اللّهَ﴾ اتركوا طلب شيء ليس لكم، واعلموا أنها للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يضعها حيث يشاء.

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف لا شأن لهم بها، وقد جعل الله لهم أربعة أخماسها؟ أم أن هناك ترتباً في النزول بين هذه الآية وآية الخمس؟ وكيف يجمع بينهما؟

الجواب: هناك ترتب في النزول، فأول ما نزل في المغانم هذه الآية، والدليل على ذلك: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ﴾ ولو كان حكمها قد نزل لما سألوا، وفي هذه الآية جعل الله أمر الأنفال وقسمتها إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقسمها على حسب ما يرى. ويمكن أن يقال: إن الله تعالى جعل لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يتصرف في قسمة المغانم كيفما شاء، وإن حقه هذا مقدم على حق الغانمين في أربعة أخماسها، ودليل ذلك: ما اشتهر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قسم غنائم حنين في كبار قريش فوجدت الأنصار مما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأثنى عليهم ودعا لهم فرضوا وزال ما في نفوسهم، والقصة مشهورة.

﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ﴾ واتركوا التنازع والاختلاف، وتسامحوا فيما بينكم وتصافوا.

﴿وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ۝١﴾ ائتمروا بأوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله وامتثلوها، وإن كنتم مؤمنين بحق وصدق كما تزعمون فاتركوا النزاع والاختلاف، وتآخوا فيما بينكم، وفي قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعث على الحماسة في قلوبهم، كقولك لشخص: إن كنت رجلاً فافعل كذا، تريد بذلك أن تزيده حماسة، فأراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يزيدوا من تمسكهم بإيمانهم ودينهم، وأن يرضوا بما حكم به الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في جميع أمورهم.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢﴾[(١)] ليس كل من نطق الشهادتين مؤمناً، ولا يسمى مؤمناً ويستحق اسم الإيمان إلا الذي إذا ذكر الله سبحانه وتعالى عنده تذكر وخاف، وامتثل لأوامره، وانتهى عن مناهيه، وإذا زجره أحد وقال: له اتق الله انزجر وخاف، فهذه هي صفة المؤمن.

وقد يقال: إن علامة المؤمن هو من إذا سمع القرآن يتلى بكت عيناه، بدليل هذه الآية[(٢)].

---

(١)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ۝٢﴾؟

الجواب: معطوف على صلة الموصول، لا محل لها من الإعراب.

(٢)-**سؤال:** في هذه الآية حصر وقصر أنه لا يستحق اسم الإيمان إلا أصحاب هذه الصفات المذكورة فيها، فكيف بالآيات الأخرى التي فيها حصر وقصر وذكر فيها صفات أخرى، ففي آية النور ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا..﴾ [النور:٦٢]، وفي آية الحجرات: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ...﴾ إلخ [الحجرات:١٥]، فما الحل؟

الجواب: لا مخالفة بين هذه الآيات الثلاث ولا منافاة فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ..﴾ يدخل فيه ما ذكر في الآيتين الأخريين، فوجل قلب المؤمن عند ذكر الله يدفعه إلى فعل ما أوجب الله وترك ما نهى عنه، وما ذكر من الصفات في =

والجواب عليه: ليس المراد بالآية هذا، وإنما المراد بها أن المؤمن إذا ذكَّره أحد بالله سبحانه وتعالى تذكر.

وهؤلاء الذين سألوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الأنفال إذا كانوا قد امتثلوا لما أمرهم به نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في شأنها- فقد استحقوا هذا الاسم، وانطبق عليهم.

ومن علامة المؤمن هو التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وإذا أمرهم بأمر مضوا فيه من دون تردد، متوكلين عليه غير خائفين من أحد كائناً من كان، ولا متراجعين عنه مهما كان الثمن، فهذا ممن يستحق اسم الإيمان.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ۝٣﴾ يقيمون الصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى، ويخرجون نصيباً من أموالهم إلى مستحقيها، والمراد بها الزكاة.

﴿أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً﴾(١) فمن كان على هذه الصفات المذكورة فهم الذين يستحقون اسم الإيمان بحق.

﴿لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ۝٤﴾ يرفع الله سبحانه وتعالى منازلهم في الآخرة؛ لأن الجنة درجات ومراتب كحال الدنيا في مراتب أهلها، فهذا في رتبة وزير، وهذا عقيد، وهذا ضابط(٢) وهكذا، فكذلك درجات الجنة تكون

الآيتين الأخريين هو من جملة ذلك. والدليل على أن المراد ما ذكرنا: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ۝١٣٥﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ۝٢٠١﴾ [الأعراف]، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى۝١٥﴾ [الأعلى].

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿حَقّاً﴾؟

الجواب: يعرب مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمضمون الجملة.

(٢)-**سؤال:** هل استعمال نحو هذه الألفاظ: (عقيد، ضابط) في معانيها المعروفة يوافق اللغة العربية؟ أم كيف؟

الجواب: هي كلمات عربية لها معانٍ في أصل اللغة العربية إلا أنها صارت لمعانٍ جديدة تعارف الناس عليها، وبذلك تكون حقائق عرفية اصطلاحية، ولا تخرج بذلك عن كونها عربية.

على حسب الرتبة والمنزلة التي يستحقها كل شخص بما قد عمله في الدنيا، وأما الأكل والشرب فهم فيه على سواء. والمراد بالدرجات هو ذلك المعنى الذي هو التشريف والتعظيم بسبب الاستحقاق، والرزق الكريم المراد في الآية: هو النافع الذي لا وباء فيه ولا ضرر.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ۝﴾[(١)]

جعل الله تعالى الغنائم التى غنمها المسلمون يوم بدر للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دون المسلمين، وذلك لأن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خرج لملاقاة المشركين وحربهم وقتالهم راضياً بخروجه دون المؤمنين الذين خرجوا معه فقد كانوا كارهين لملاقاة المشركين وحربهم وقتالهم فخصه الله تعالى لذلك بالغنائم.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ۝﴾

قد كان المسلمون الذين خرجوا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر كارهين لمواجهة قريش وقتالهم وراغبين للقاء طائفة العير الذين هم أصحاب القافلة المحملة بالتجارة، وتغنم أموالهم، فلما عرفوا أنهم سيواجهون قريشاً وأن قد فاتتهم أقبلوا يجادلون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويتذمرون وقد ظهرت على وجوههم الكراهة لمواجهة قريش، ونطقت بها ألسنتهم، وظهرت مساءتهم، وأيقنوا بالقتل؛ لقلتهم وضعفهم

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ﴾ وكذلك ﴿بِالْحَقِّ﴾؟ وما محل جملة: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً...﴾؟

الجواب: قد أكثروا في إعراب ذلك، والذي أستحسنه: أن تكون «كما» للتعليل لقوله: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ؛ لأجل إخراج الله له إلى مواجهة المشركين فخرج طائعاً راضياً، وهم كارهون للخروج، يجادلون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ۝﴾.

و«بالحق» جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من مفعول «أخرجك» أي: أخرجك يا محمد متلبساً بالحق ومصاحباً له في خروجك. ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ۝﴾ حال ثانية من الكاف أيضاً فهي في محل نصب، أي: حال كونهم كارهين لخروجك.

وكثرة قريش وقوة شوكتهم.

﴿وَإِذْ[١] يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾[٢] وعد من الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ ومن معه عند خروجهم إلى بدر، وعدهم الله سبحانه وتعالى أنهم لن يعودوا من خروجهم هذا إلا بأحد شيئين: إما أن يأخذوا تجارات قريش وأموالهم العائدة من الشام في قافلة بقيادة أبي سفيان، وكانت جميع تجارات قريش وأموالها محملة في هذه القافلة، وإما أن يظفروا بقتل المشركين فيقتلوهم ويأسروهم.

﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[٣] كان المسلمون طامعين في أموال قريش وتجاراتهم يأخذونها من دون قتال، وكانوا يتهربون عن مواجهة المشركين وقتالهم مع أن الله سبحانه وتعالى قد وعدهم بالنصر والظفر.

﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى يريد أن يحق الحق، وأن يضرب المشركين ضربة موجعة؛ لأن جميع كبار قريش كانوا قد اجتمعوا[٤] للخروج على النبي ﷺ ومن معه، وقد أعدوا

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «إذ»؟

الجواب: «إذ» مفعول به لفعل مقدر، أي: واذكر إذ... .

(٢)- **سؤال:** ما محل: ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾؟

الجواب: محل ذلك الجر بـ«باء» مقدرة، أو النصب بنزع الخافض.

(٣)-**سؤال:** ما هي ﴿ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ المذكورة في الآية؟

الجواب: «ذات الشوكة» هي: رجال قريش التي خرجت بالعدد والعدة لحماية قافلة تجارتها العائدة من الشام.

(٤)-**سؤال:** هل تقصدون أنهم اجتمعوا لما استغاث بهم أبو سفيان أم رافقوا القافلة؟

الجواب: اجتمعوا للخروج لحماية القافلة التي جاء بها أبو سفيان من الشام، فلما علموا أنها قد أمنت نزلوا في بدر، فأراد الله تعالى أن يقطع دابرهم فخرج إليهم النبي ﷺ بأمر الله، وتواجه الفريقان في بدر.

العدة لذلك، وكبار قريش هؤلاء هم الذين وقفوا في وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بداية الدعوة، وكذبوا به وحرضوا عليه واستهزئوا به وبمن معه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يضربهم في هذه الغزوة ضربة قاصمة، ويقطع دابرهم، وينكس كبرهم؛ انتقاماً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين: ((لقد رمتكم قريش بأفلاذ أكبادها))، يريد به زعماءها ووجهاءها، والله سبحانه وتعالى قد أراد أن يقطع دابرهم، وأن يذلهم، ويعز الإسلام وأهله، ويجعل له هيبة وصيتاً بين قبائل العرب، ويزرع الرعب والخوف في قلوبهم، فإذا انتصر المسلمون في هذه المعركة حصل للإسلام والمسلمين العز والهيبة الذي أراده الله سبحانه وتعالى للإسلام.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ۝٨﴾(١) يريد الله سبحانه وتعالى أن يحق الحق ويعز أهله، ويذل الباطل ويقمع أهله، وما أراده الله سبحانه وتعالى فهو كائن لا محالة.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى إحقاق الحق، وإبطال الباطل من جهة الله؟ وما المراد بالكلمات المذكورة في الآية التي قبلها؟

الجواب: المعنى: إثبات الحق وإظهاره حتى يكون له كيان قوي وهيبة كبيرة، ويريد إذلال الباطل بكسر شوكته وإزالة هيبته. ومعنى «بكلماته»: أي: بوعده للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إحدى الطائفتين، ووعد الله حق نافذ وصدق ماضٍ.

سؤال: قد يقال: يصير النظم في الآيتين: «يريد الله أن يحق الحق ليحق الحق» وهذا غير مستقيم مع بلاغة القرآن، فكيف تقدير النظم فيهما؟

الجواب: قوله: «ويريد الله أن يحق الحق...» جاء ليميز بين إرادته وبين إرادة المؤمنين الذين خرجوا يوم بدر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يودون غير ذات الشوكة أي: يودون تغنم تجارة قريش، والله يريد ذات الشوكة من أجل أن يحق الحق، وقوله: «ليحق الحق...» كالتعليل لمزية إرادته على إرادتهم ورجحان إرادته على إرادتهم.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم[1] بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ۝٩﴾ خرج المسلمون من المدينة متوجهين إلىٰ وادي بدر وتوقفوا هنالك علىٰ غير علم منهم بأن المشركين قد عسكروا في الجانب الثاني للوادي، فإذا بهم في وجوههم علىٰ غير ميعاد ولا استعداد، وتفاجأ المسلمون بذلك، ومع أن المسلمين كانوا يتهربون من هذه المواجهة، ويتثاقلون علىٰ النبي ﷺ عند ذكر القتال، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ كان قد دبر ذلك، وأراد أن يلتقوا بهم لمصلحة كان يعلمها للإسلام والمسلمين، وأما المسلمون فلما رأوا ذلك وعلموا أنه لا مناص لهم عن قتال المشركين لجأوا عندها إلىٰ الدعاء والتضرع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ والانقطاع إليه بأن يمدهم بالعون من عنده، وأن ينجز لهم ما كان قد وعدهم، وأن يظفرهم بعدوهم، فاستجاب لهم دعاءهم، وأمدهم عندها بألف من الملائكة مردفين، أي: يردف بعضهم بعضاً يعني: يتبع بعضهم بعضاً.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ جعل الله سبحانه وتعالىٰ نزول الملائكة مع المؤمنين بشارة بشرهم بها؛ ليعلموا أنه معهم، ولتطمئن قلوبهم، ويذهب عنهم الخوف؛ لأنهم إذا اطمأنوا زاد ذلك من عزائمهم وشد من قواهم.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝١٠﴾[2] لستم الذين تصنعونه ولا الملائكة، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي ينصركم.

---

(١)-**سؤال:** ما موقع: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم﴾ الإعرابي؟

الجواب: موقعه الجر بـ«باء» مقدرة، أو النصب بنزع الخافض.

(٢)-**سؤال:** كيف يكون النصر حاصلاً من عند الله؟

الجواب: يكون النصر من عند الله بفعل أسبابه وتهيئتها، كتغشيتهم النعاس أمنة منه، وإنزال المطر لتثبيت أقدامهم عند القتال علىٰ الأرض، وتقليل المؤمنين في أعين المشركين، وتقليل المشركين في أعين المؤمنين، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين.

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾(١) أنزل الله سبحانه وتعالى عليهم النوم ليطمئنوا؛ لأن المرعوب لا ينام في العادة، فإذا ناموا هدأت نفوسهم واطمأنت، وزال عنها التوتر والقلق.

﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴿١١﴾﴾ كان جانب الوادي الذي عسكر فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون لا ماء فيه، وقد أراد المسلمون أن يغتسلوا ويصلوا، فلم يجدوا الماء؛ فدخل الشيطان عندها على قلوبهم ووسوس لهم كيف تكونون على الحق، ولا ماء عندكم لتغتسلوا فيه من الجنابة وتتوضأوا للصلاة، فكيف تقاتلون وأنتم على هذه الحالة؛ فأنزل الله عند ذلك المطر، ولم يصبحوا إلا وقد نزل الفرج على المسلمين، وأذهب رجز الشيطان ووسواسه، وكذلك ليثبت أقدامهم؛ لأن الأرض التي كانوا عليها رملية دهسة لا يستطيعون الثبات عليها عند القتال، فتصلبت الأرض بنزول المطر عليها.، وهذا معنى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ ورجز الشيطان هو الجنابة(٢)؛ لأن بعضهم كان قد اجتنب، وكذلك لتقوى به قلوبهم؛ لأن المسلمين إذا رأوا نزول رحمته عليهم عرفوا عنايته بهم، فيشد ذلك من عزائمهم، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى للمسلمين جميع أسباب النصر، رحمة منه بالمسلمين عندما علم منهم صدق النية والإخلاص له.

---

(١)-**سؤال:** لماذا أطلق الله على إنزال النوم تغشية؟

الجواب: سمي إنزاله تغشية لأنه يغشي -أي: يغطي- العقل والحواس عن الإدراك.

سؤال: ما إعراب: ﴿أَمَنَةً﴾؟ وما أصل اشتقاقها؟

الجواب: «أمنة» مفعول من أجله، وهي مشتق من «أَمِنَ» من باب فَهِم وسَلِمَ، يأمن أَمْناً وأَمَنَةً.

(٢)-**سؤال:** يقال: قد مر لكم أن رجز الشيطان وسوسته لهم، فكيف؟

الجواب: الجنابة هي الباب الذي دخل منه الشيطان بوسوسته إلى صدور المؤمنين فلما أنزل الله عليهم ماء السماء تطهروا فذهبت الوساوس بذهاب الجنابة، والرجز: هو أثر النجاسة (المني) حقيقة، ويطلق على الوسوسة مجازاً، ولا مانع من إطلاق الرجز على معنييه الحقيقي والمجازي.

﴿إِذْ يُوحِى[(١)] رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى الملائكة الذين نزلوا لتثبيت المسلمين أن يشجعوهم على القتال، ويعلموهم أن الله سبحانه وتعالى معهم، وأنه سيؤيدهم بنصره وتأييده وعونه.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ﴾ سيثبت المؤمنين، ويبث الرعب في قلوب المشركين، ويزرع الخوف في قلوبهم.

﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾[(٢)] انتقل الله سبحانه وتعالى بعد خطاب الملائكة إلى خطاب المؤمنين، فأمرهم بشد العزم، وأن يفعلوا جهدهم في ضرب المشركين، فهو معهم وناصرهم.

---

(١)-**سؤال:** لماذا جاء المضارع «يوحي» بدلاً عن الماضي؟

الجواب: جيء به لاستحضار الصورة، وذلك لما في استحضارها من استعظام النعمة وإحياء ذكرها في القلب، وذلك لأن النعم القديمة يخف استعظامها في النفس، ويقل الشكر عليها، فجاء المضارع.

سؤال: كيف حصل التثبيت من الملائكة للمؤمنين؟

الجواب: قد يكون التثبيت بإلقاء الملائكة تزيين القتال والإقدام والثبات في قلوب المؤمنين، عكس ما يلقيه الشيطان في قلوبهم بتزيين ترك القتال، وتزيين الفرار ونحو ذلك.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بـ﴿فَوْقَ الأَعْنَاقِ﴾ الأعناق نفسها؟ فكيف هذه الزيادة أم ماذا؟

الجواب: المراد: ضرب أعالي الأعناق أو الرؤوس التي هي فوق الأعناق، فعلى هذا التفسير ليس هناك زيادة.

سؤال: هل يحتمل أنه خطاب للملائكة فيفهم منه أنها قاتلت كما روي في بعض السير أنهم كانوا يرون هامات تطيح من دون ضرب أم لا؟

الجواب: الخطاب للمؤمنين وليس للملائكة، ولم يكن من الملائكة قتال إطلاقاً؛ فعدد قتلى المشركين معروف، وأسماؤهم معروفة، وقاتِلُ كل واحد منهم معروف في السير والتواريخ باسمه ونسبه، وليس في السير ذكر قتلى لم يعرف قاتلهم.

﴿وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ يشجعهم الله سبحانه وتعالى ويزيد من عزائمهم ويحثهم على القتال، مخبراً لهم بأنه قد أيدهم بالملائكة وبنصره، وقد ربط على قلوبهم، وأزال الشكوك التي كان قد وسوس لهم الشيطان بها، وأنه قد ألقى في قلوب المشركين الرعب مع أن الذين كانوا يقاتلونهم من أشجع شجعان العرب وأشدهم بأساً وقتالاً.

وكان من الذين خرجوا مع قريش لقتال المسلمين عمرو بن عبد ود العامري، وكان يقال: إنه لألف، ولكن عندما رأى المشركون ما رأوه من صلابة المسلمين وأنهم يقاتلون قتالاً شديداً لم يشهدوا بمثله من قبل خافوا عند ذلك، وولوا هاربين منهزمين، ونصر الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ استحق المشركون القتل والذلة والخزي يوم بدر بسبب أنهم وقفوا في شق وجانب غير شق وجانب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبسبب معاداتهم لله ورسوله، ووقوفهم في صف الباطل، وفي وجه دعوة الله سبحانه وتعالى ودعوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر المسلمين وبشرهم بهذه البشائر من الوعد بإحدى الطائفتين، وتقوية قلوبهم، ونصرهم على أعدائهم.

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾من يقف في صف الباطل- فإن الله سبحانه وتعالى سيعاقبه، وينزل به أشد العقاب.

وفي هزيمة قريش هذه الهزيمة النكراء في بدر، وقتلهم وإذلالهم عقابٌ شديدٌ لهم؛ لأن هذه المعركة كانت ضربة قاصمة لظهور المشركين، فقد قتل من كل بيت من بيوت قريش كبيرٌ من كبارها، وقتل جميع صناديدهم، ولم يبق من كبار قريش إلا أبو سفيان، فإنه لم يكن حاضراً في معركة بدر(١)، وكان في العير التي خرجت

---

(١)-**سؤال:** يقال: ولم تقم المعركة إلا بسبب القافلة التي كان يقودها أبو سفيان فكيف؟

=

للتجارة إلى الشام، وكان فيمن قتل ولده حنظلة بن أبي سفيان، فهذا هو العذاب الذي قد توعدهم الله سبحانه وتعالى به إن لم يؤمنوا، عذبهم الله سبحانه وتعالى على أيدي المؤمنين.

وقتلى الحرة الذين قتلهم يزيد بن معاوية كانت ثأراً لقتلى بدر، فقد قتل يزيد أهل المدينة يوم الحرة قتلاً ذريعاً ثأراً لما كان حصل لآبائه في بدر من الأنصار.

﴿ذَٰلِكُمْ(١) فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾(٢) هذا العذاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على المشركين يوم بدر هو العذاب الذي كنا نتوعدكم به ونحذركم منه؛ فتجرعوا مرارته أيها الكافرون، ولكم بعد ذلك عذاب النار خالدين فيها- جزاءً على كفركم بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا(٣) فَلَا تُوَلُّوهُمُ

الجواب: لم يكن أبو سفيان موجوداً في معركة بدر، بل كان في طريقه مع القافلة عائداً من الشام إلى مكة فهو من العير لا من النفير.

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؟ وأين خبرها؟

الجواب: يعرب «ذلكم» مبتدأ، والخبر محذوف أي: هو العقاب، أو يعرب خبراً والمبتدأ محذوف أي: العقاب ذلكم.

(٢)- **سؤال:** لماذا استخدم إشارة البعيد ﴿ذَٰلِكُمْ﴾؟ وعلام عطف: ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾؟

الجواب: إشارة البعيد هنا لتعظيم ما حصل من الحق الذي هو وعيد الله للمشركين بإنزال العذاب عليهم، وفعلاً فقد تحقق ذلك الوعد فقتل الله في بدر صناديد قريش وشياطينهم.

﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾﴾ في تأويل مصدر معطوف على «ذلكم».

(٣)- **سؤال:** ما إعراب ﴿زَحْفًا﴾؟ وهل لهذا القيد أثر في المعنى؟

الجواب: «زحفاً» مصدر منصوب بفعل محذوف: تزحفون زحفاً، وجملة «تزحفون زحفاً» حال من الذين كفروا أو من فاعل «لقيتم» أو منهما جميعاً. ويفيد القيد «زحفاً» أن النهي مختص =

﴿الْأَدْبَارَ﴿١٥﴾﴾[(١)] نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عن الهروب عند مواجهة المشركين، يريد الله للمسلمين أن يكونوا أهل عز وقوة، وأن يكونوا هم الأعلين دائماً.

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿١٦﴾﴾ من فعل ذلك وولاهم دبره، وهرب بعد أن واجههم فقد استحق سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه، إلا إذا كان هروبه حيلة دبرها لكي يستدرج عدوه، ثم يعطف عليه، أو كان هروبه إلى فئة متمركزة لكي يستقوي بها ويجدد من نشاطه وقوته، فلا بأس بذلك، نحو ما كان من المسلمين في غزوة مؤتة بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة، ثم أخذ بعد ذلك الراية خالد بن الوليد وانسحب بالمسلمين وانهزم بهم عائداً إلى المدينة، وكانوا خجلين من فعلهم هذا وانهزامهم حتى أنهم عند دخولهم المدينة في أثناء عودتهم دخلوا متسللين فرداً فرداً إلى بيوتهم، وكانوا يذهبون إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون له: نحن الفرارون يا رسول الله؛ فيجيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((بل أنتم الكرارون، وأنا فئتكم فقد هربتم إلى فئة[(٢)]، ولا ضير عليكم في ذلك))، وكان

بحالة زحف جيش الكفر لحربكم أو زحفكم بجيوشكم أيها المؤمنون لحرب الكافرين.

(١)-**سؤال:** هل هذه الآية على إطلاقها أم أنها مقيدة بقوله: ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ..﴾ [الأنفال:٦٦]؟

الجواب: هي مقيدة بعد نزول التخفيف بآية التخفيف، وقبل نزولها مقيدة بـ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ...﴾.

(٢)-**سؤال:** يقال: فلا يتأتى فرار من زحف إذا كان الإمام أو نحوه لم يخرج في المعركة وفر الخارجون إلى أوطانهم؟ وبناء على ذلك فلا يحصل الفرار من الزحف إلا إذا خرج الكبير معهم وفروا عنه، وهذا يشكل علينا؟

الجواب: الفرار عن الزحف مرخص فيه بشروط: أن يكون الفرار إلى فئة، أو عند خشية الهلكة بأن يكون العدو أكثر من المثلين، أو بأن يكون له من القوة والآلات ما يخشى معها الهلكة. والرأي في ذلك إلى الأمير، ويجب على الأمير حسن النظر لمن تحت يده ومشاورة ذوي

=

هروبهم هذا عندما عرفوا أنهم سيقتلون عن آخرهم، وأن الدائرة عليهم، وما داموا هكذا فلا بأس أن يهربوا إلى فئتهم ومركزهم؛ ليستعيدوا قواهم ويبنوا صفوفهم من جديد، ويتهيئوا للكرة بعد الفرة؛ ولهذا ذم الله سبحانه وتعالى الذين فروا يوم أحد عندما فروا وهربوا وتركوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم لم ينحازوا في هروبهم هذا إلى فئة، بل هربوا متشتتين في البلاد.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ۝١٧﴾ لستم الذين قتلتم قريشاً أيها المسلمون، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي قتلهم بتدبيره لأسباب النصر والظفر لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأسباب الهزيمة والقتل للمشركين.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حفنة من التراب خلال المعركة ورمى بها في وجه العدو، وقال: ((شاهت الوجوه))، فلم يبق أحد منهم إلا أصابه في عينه من هذا التراب، والله تعالى هو الذي هيأ ذلك ودبره، وألقى الرعب في قلوب المشركين، وما فعله من تقليل المشركين في أعين المسلمين، والعكس على أعين المشركين عندما تصافوا للقتال، فهو من تدبيره سبحانه وتعالى، فما إن ابتدأت المعركة إلا والمشركون يرون المسلمين على خلاف ما كانوا يرونهم من قبل، وكثروا في أعينهم حتى ملأوا ساحة المعركة، فولوا عند ذلك هاربين مفزوعين، فهذا معنى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وليس معناه أن الله فعل الرمي حقيقة كما تستدل على ذلك المجبرة.

الرأي من أصحابه، فإن رأى بعد ذلك وتوقع أن في الوقوف في وجه العدو هلاك الواقفين فتح باب الرخصة للمقاتلين بالانسحاب ولا يجوز له أن يلزمهم بالوقوف مع ظن الهلاك، وإن رأى الأمير الوقوف في وجه العدو بعد حسن النظر والمشاورة فلا يجوز الفرار ولا رخصة، وطاعة الأمير واجبة، ولا عبرة بظن الأفراد أو بعضهم. **هذا**، وقد يكون مع الأمير فئة قليلة ولكن لأفرادها نفوس قوية وعزائم نافذة ومعنويات مرتفعة ولهم خبرة وتجارب قتالية و..إلخ، وقد يكون معه فئة كبيرة ولكن أفرادها على خلاف أفراد الفئة القليلة، فللأمير نظره وحسن رأيه في ذلك.

﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ قتل الله سبحانه وتعالى المشركين، وأيد المؤمنين بنصره وتأييده لأغراض ومصالح يعلمها، ولأجل أن ينعم على المؤمنين بالنصر والظفر(١) عندما أطاعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأخلصوا معه في المعركة، وفي دعائهم لله سبحانه وتعالى، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يشاورهم عند خروجهم من المدينة، وإنما أمرهم بأن يخرجوا لما وعدهم الله سبحانه وتعالى من السيطرة والاستيلاء على إحدى الطائفتين فلما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه لا بد من مواجهة المشركين ذوي الشوكة، وأنه لا بد من القتال فحينئذ جمعهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمشاورة، وطلب منهم المشورة في القتال لينظر حالهم هل سينصرونه على المشركين؛ لأنهم كانوا قد عاهدوه عند بيعة العقبة عندما طلبوا منه الهجرة إلى المدينة على أن يجيروه ويحموه مما يحمون منه أنفسهم وأموالهم وأولادهم، ولا يسلموه إلى عدو أبداً وسيقاتلون معه، فبعد المشاورة قام رؤساء الأوس والخزرج سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وقالوا له: لقد علمنا أنك رسول الله، فامض بنا إلى حيث أمرك الله سبحانه وتعالى، وأنك لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ولقتلنا دونك، ولن نقول مقولة اليهود لنبيهم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: بأن الإبلاء يستخدم كثيراً في الامتحان بالشدة والتعب في الجهاد ونحوه كما نقول في غزوة مؤتة أُبْلِي المؤمنون فيها بلاءً حسناً، ومنه قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا۝١١﴾ [الأحزاب]، في غزوة الأحزاب، فكيف؟

الجواب: الإبلاء والابتلاء يستعمل في الإنعام والخير، وفي الامتحان بالشدائد، ومن ذلك قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ۝١٦﴾ [الفجر]، وقد فسر بالإنعام قوله تعالى لبني إسرائيل بعد تعديده لما أنعم الله عليهم: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ۝٦﴾ [إبراهيم]، وقال سبحانه: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝١٦٨﴾ [الأعراف]. والبلاء والإبلاء واحد بدليل: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ فوضع بلاءً موضع إبلاءً أي: أن بلاءً اسم للإبلاء.

قَاعِدُونَ﴾ [المائدة٢٤]، فحين علم الله سبحانه وتعالى صدق إيمانهم وعزيمتهم وإخلاصهم أيدهم بنصره وتأييده.

﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ۝﴾(١) ذلكم الذي حصل من قتل المشركين؛ ليوهن كيدهم، ويضعفهم، ويكسر شوكتهم.

ثم خاطب الله سبحانه وتعالى المشركين فقال: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ۝﴾(٢) عندما تصاف الفريقان للقتال وهموا ببدء المعركة، صاح من بين المشركين صائح يدعو الله سبحانه وتعالى قائلا: اللهم أَقْطَعَنا للرحم فأحنه الساعة، أي: اجعل هذه الساعة نهايته، فأَمَّنَ المسلمون والمشركون جميعاً، وكان المشركون يدَّعون على النبي ﷺ أنه قد قطع رحمهم وسفه آلهتهم، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى لهذه الدعوة، وأخبرهم بأنه قد جاءهم الفتح(٣)، وأهلك أقطعهم للرحم، فقتل الله المشركين وهزمهم شر هزيمة.

ثم أخبرهم بأنهم إن ينتهوا عن كفرهم فهو خير لهم، وقد علمتم أيها المشركون من هو الذي قطع رحمه، وقد رأيتم وقوع القتل فيما بينكم فأقلعوا عن عداوة النبي

---

(١)-**سؤال:** علام عطف: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ...﴾؟ وما إعراب: ﴿ذَلِكُمْ﴾؟

الجواب: «وأن الله موهن» معطوف على «ذلكم»، ويعرب «ذلك» على أنه مبتدأ حذف خبره.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ۝﴾؟

الجواب: «وأن الله مع المؤمنين» المصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي: والأمر أن الله مع المؤمنين، وعلى هذا التقدير فتكون الجملة معترضة[١] لتأكيد ما قبلها، والواو اعتراضية، وقد أجازوا عطف «أن الله..» على قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ۝﴾.

[١]- ما هو هذا الاعتراض؟ **الجواب**: يسمي الزمخشري التذييل اعتراضاً، والجملة معترضة.

(٣)-**سؤال:** هل هذا مأخوذ من قولهم: «افتح بيننا وبين فلان» أي: أهلك المبطل؟ أم لا؟

الجواب: هو مأخوذ من ذلك.

والإسلام، واعلموا أيها المشركون أنكم إن لم تنتهوا وعدتم إلى عداوة الإسلام ومكايدته- فسنعود عليكم بالانتقام، ولو رجعتم إلى من رجعتم، ولو استنصرتم من استنصرتم على حرب الإسلام وأهله فلن ينفعكم ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى مع المؤمنين بنصره وتأييده، والله غالب على أمره.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين فأمرهم بطاعته وطاعة رسوله إذا دعاهم إلى أمر من الأمور.

﴿وَلَا تَوَلَّوْا[(١)] عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴿٢٠﴾﴾ لا تتهربوا منه عند سماعكم لدعائه لكم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴿٢١﴾﴾[(٢)] لا تكونوا مثل اليهود عندما قالوا لأنبيائهم: سمعنا وعصينا، بل اسمعوا وامتثلوا ما سمعتموه.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴿٢٢﴾﴾ كان المخلصون في إيمانهم قلة قليلة، وأما الباقون فكانوا ضعيفي الإيمان، ولم يكن قتال بعضهم إلا حمية وليس لأجل الإسلام.

وكانوا في خروجهم مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر متثاقلين أشد التثاقل، ولم يدفعهم إلى الحرب إلا الحمية، فنزلت هذه الآيات تحثهم على صدق الإيمان، وطاعة الله ورسوله، وألا يعملوا أعمال اليهود والمشركين في عصيانهم وتمردهم، ولكنهم بعد ذلك عزموا على القتال مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأخلصوا نياتهم لله سبحانه وتعالى، ولجأوا إليه بالدعاء والتضرع، فأيدهم الله سبحانه وتعالى بنصره.

---

(١)-**سؤال:** هل أصل ﴿تَوَلَّوْا﴾: تتولوا، فحذفت إحدى تائيه؟

الجواب: نعم هو مضارع حذفت إحدى تائيه للتخفيف.

(٢)-**سؤال:** لماذا عبر عن عدم الامتثال بعدم السمع؟

الجواب: عبر بعدم السمع عن عدم الامتثال لأن المجاز أبلغ وأوقع في ذهن السامع من الحقيقة، وهذا هو مجاز مرسل علاقته السببية حيث أن السماع سبب للامتثال وطريق إليه.

وقد شبه الله سبحانه وتعالى الذين لا ينتفعون بما قرأه عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يعملوا به وكذبوا بما جاءهم به بالذي هو أصم لا يسمع وأبكم لا يتكلم، وأخبر أن من حاله هكذا فهو شر خلقه.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴿٢٣﴾﴾(١) حتى ولو سمعوه وعقلوه في قلوبهم لأعرضوا عنه وعن العمل به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يستجيبوا لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا دعاهم لما فيه عزهم في الدنيا والآخرة، وهو الإيمان والجهاد؛ لأن الإيمان يعز المرء، ويرفع قدره في الدنيا والآخرة(٢).

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴿٢٤﴾﴾ أراد الله

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم لو فسرتم هذه الآية بتفصيل وذكرتم الإسماع في حق الله وما هو، فهو مطلوب، فقد يستدل بها أهل الجبر؟

الجواب: المراد: لو علم الله فيهم خيراً لَلَطَف بهم وأمدهم بالمعونة والتنوير، ولو أنه لطف بهم وأمدهم بأنوار الهداية والمعونة لما انتفعوا بألطافه وأنوار هدايته. وقد أسمعهم الله تعالى آيات القرآن الكريم وبيناته وحججه على لسان رسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فسمعوها بآذانهم، ووعوها بقلوبهم؛ فأعرضوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴿٥٤﴾﴾ [النور]، فقد بلغهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ البلاغ المبين، وأدى إليهم ما أوجب الله عليه من التبليغ؛ لذلك عرفنا أن المراد هنا بقوله: ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ هو أمر آخر غير سماع الأذن، فمن هنا فسرنا ذلك بما فسرناه. **وبعد،** فليس في ظاهر الآية ما يصح التمسك به كدليل على الجبر، فإسماع الله لهم وعدم إسماعه لا يدل على إجباره أو عدم إجباره لهم لا من قريب ولا من بعيد، بل إن الآية تدل على اختيارهم للكفر والإعراض والتولي: ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴿٢٣﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** هل يدخل طلب العلم النافع فيما يحيينا إذا دعينا إليه أخذاً من قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الأنعام:١٢٢]؟

الجواب: نعم، يدخل طلب العلم النافع الديني في مدلول الآية كما في قوله: ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ وذلك لأن الدعاة والمرشدين يدعون اليوم إلى الدين الذي كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدعو الناس إليه ويعلمونه للناس.

سبحانه وتعالىٰ أن يطلع الناس علىٰ عظيم قدرته وإحاطته بهم- ليخافوا منه وليحذروه؛ لأن قدرته محيطة بهم ولن يستطيعوا أن يفروا من تحت يده ومن عقابه وسخطه، فهو قادر علىٰ أن يحول بينك وبين ما تريد فيمنعك من شيء قد نويت أن تفعله، وقد سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام: بم عرفت ربك يا أمير المؤمنين؟ فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: (عرفته بفسخ العزائم)، فالرجل ينوي في الليل مثلا أن يعمل كذا وكذا عندما يصبح ويرتب أموره علىٰ ذلك ويجهز لذلك فإذا أصبح غير رأيه مما كان قد نواه وحول عن ذلك، فمن الذي أزال هذا عنه وصرف نيته هذه؟ وفسخ العزائم: هو قطع النية[1] التي قد عقدها المرء في نفسه، ويمكن أن يقال في تفسير الآية إن الله تعالىٰ حث المسلمين علىٰ المبادرة والمسارعة إلىٰ طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يأتيهم الموت الذي يقطع الآمال ويحول بين المرء وبين ما ينويه من الأعمال، وهذا القول قوي وجدير بالصحة.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً[2] وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ اتقوا أسباب الفتن؛ لأنه يتعذر أن يتقي المرء الفتنة، وقد وقعت، فعلمنا من هذا أنه أراد الأسباب التي توقع في الفتنة، وإذا وقعت فلن تصيب

(١)-**سؤال:** هل مرادكم بقطع النية وصرفها أن الله سبحانه يهيئ الأسباب التي يقطع بها الإنسان نيته ويصرفها، أم ماذا؟

الجواب: المراد أن المرء ينوي أمراً ثم يلوح بباله خاطر يدعوه إلىٰ الإضراب عن تلك النية التي كان قد نواها، أو يكون في عمل ثم يخطر بباله أمر يرجح له ترك العمل، ونحو ذلك، وهذه الخواطر التي تحدث إنما ترجح للمرء الإضراب عن أمر إلىٰ غيره، وليست موجبة ومحتمة للمرء في الخروج والإضراب عن نيته أو عمله.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿خَاصَّةً﴾؟

الجواب: «خاصة» حال من فاعل «تصيبن» العائد إلىٰ الفتنة أي: حال كون الفتنة خاصة بالذين ظلموا، أو من فاعل «ظلموا» أي: حال كونهم مختصين بها، أو مفعول مطلق أي: إصابة خاصة.

الظالمين فقط، بل ستعم الناس جميعاً.

وأسباب الفتنة هي معصية الرسول[١]، فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يتقوا معصيته، ويمتثلوا لأوامره؛ فإذا فعلوا ذلك وعصوه وقعوا في الفتنة، وعمتهم المصيبة في أموالهم وأنفسهم وأولادهم ونسائهم[٢].

أراد الله سبحانه وتعالى أن يقوي عزائمهم على طاعته وطاعة رسوله؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بالإسلام.

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يذكِّر الله سبحانه وتعالى المؤمنين نعمته عليهم وقت أن كانوا قلة قليلة مستضعفين لا حول لهم ولا قوة، تحت سيطرة المشركين في مكة وذلك قبل أن يهاجروا إلى المدينة، والمشركون قاهرون لهم بتكبرهم وسلطانهم وقوتهم حيث لم يكن للمسلمين أي سلطان على وجه الأرض، بل كانوا أذلاء أهل مسكنة تحت رحمة أعدائهم.

---

(١)-**سؤال:** هل هي محصورة في هذا؟ أم أنها تعم فمثلاً المشاححة عند الشجار سبب، وكذا الحمية والعصبية وهكذا؟

الجواب: هي معصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وخليفة الرسول قائم مقامه صلى الله عليه وآله وسلم في هذا، وفعل الحمية والعصبية ونحوهما هو معصية للرسول، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو المبلغ عن الله، وكل ما جاء من الدين عن الله فإنما على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما قلنا: هي معصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأن الآية نزلت ورسوله الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهر المسلمين.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: ما الوجه في استحقاق الذين لم يظلموا بالإصابة بالفتنة؟

الجواب: تعم الفتنة الذين ظلموا والذين آمنوا، كالابتلاء بالجهاد وقتال المشركين، فيثبت الله المؤمنين في هذا الابتلاء، ويرفع درجاتهم، ويزيد في حسناتهم، ويظهر الله بالفتنة نفاق الظالمين وخبثهم، وكالابتلاء بالجدب والفقر والأمراض ونقص الأنفس والأموال والثمرات؛ فتكون سبباً لازدياد المؤمنين إيماناً ورفعة وثواباً، ويمحق الظالمين ويظهر بها أمراض قلوبهم وخبثهم.

﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ لضعفكم وقلتكم، ﴿فَآوَاكُمْ﴾ هيأ لكم مكاناً تأوون إليه وتسكنونه بعيداً عن قبضة المشركين وسيطرتهم، وأسكنكم المدينة وجعلها مأمناً لكم ومستقراً.

﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٢٦﴾﴾ أمدكم بنصره وتأييده، وأغناكم بعد الفقر والذلة، فحين أن وصل المهاجرون إلى المدينة أشركهم أهلها في أموالهم إلى أن فتحت خيبر، فغنموا منها أموالاً طائلة أغنتهم، فقد قسمها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بينهم وجعل حصة المهاجرين هي الأكثر، ولم يعترض أهل المدينة على ذلك، ورضوا بقسمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع أنهم قد أبلوا معه وقاتلوا أكثر مما قاتل المهاجرون، وكان لهم النصيب الأكبر في أسباب الفتح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٧﴾﴾[1] نزلت في رجل من أهل المدينة، وذلك أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندما حاصر بني قريظة وطلبوا منه الصلح خايرهم بأن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فسألوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يبعث إليهم بأبي لبابة يستنصحونه ويطلبون منه المشورة وكانوا على حلف معه، فأرسله إليهم؛ فطلبوا مشورته في تحكيم سعد بن معاذ فأشار إلى رقبته بالذبح، بمعنى: أنكم إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ فإنه سيحكم بذبح

(١)-**سؤال:** فضلاً لو تكلمتم عن المعنى الإجمالي للآية وعن المقصود بالأمانات فيها؟

الجواب: أي: لا تخونوا الله فيما ائتمنكم عليه، ولا تخونوا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما ائتمنكم عليه أي: بترك ما أمركم به أو فعل ما نهاكم عنه، ولا تخونوا أمانتكم أي: ما كان من ائتمان بعضكم لبعض من أمور دنياكم ودينكم وأسراركم و...إلخ.

سؤال: هل يعمل بالمفهوم في الآية فنقول: إن خيانة من لا يعلم (الجاهل) مغفورة؟

الجواب: «وأنتم تعلمون» جاءت لبيان حال الذي نزلت فيه الآية، فإنه فرط في حفظ الأمانة وهو يعلم حكم الله في ذلك، وما فيها من الإثم والمعصية، ومثل هذا لا يعمل بمفهومه كما هو مقرر في الأصول.

رجالكم و...إلخ، فقال أبو لبابة: والله ما برحت من مكاني حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت هذه الآية فيه؛ لأن نصيحته لليهود خيانة لله ولرسوله(١).

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ(٢) وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴿٢٨﴾﴾(٣) بعض المسلمين ينصح مع أعدائه لأجل أن يلجأ إليهم إذا حصل للإسلام والمسلمين نكبة أو نحوها، ويظن بعمله هذا أنه قد ضمن ماله وأولاده إذا فعل ذلك؛ فحذر الله سبحانه وتعالى المسلمين عن الوقوع في مثل هذه الفعلة، وحثهم على أن يتمسكوا بالله ورسوله، وألا يركنوا إلى أحد سوى الله سبحانه وتعالى، فهو وحده الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وهو وحده الذي يعطي ويمنع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٢٩﴾﴾ إذا أطاعوا الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** يا حبذا لو ذكرتم تخريج هذه الرواية؟ وهل تاب بعدها أبو لبابة أم لا؟

الجواب: الرواية مذكورة في تفسير الزمخشري، ونسبها في تخريجه إلى ابن إسحاق في المغازي، والبيهقي في الدلائل، وعبدالرزاق الصنعاني، والقصة في المصابيح عن البرهان، وقد تاب أبو لبابة حسب ما ذكرت الروايات، وربط نفسه في سارية من سواري المسجد إلى أن تاب الله عليه.

(٢)-**سؤال:** ما المراد بالفتنة في الآية؟

الجواب: معنى الفتنة في هذه الآية هو أن الأموال والأولاد سبب للفتنة فقد يكون المال سبباً للفتنة في الدين وفي معصية رب العالمين، وذلك بأن يحمله حب المال على منع الزكاة وتقتير النفقة على من تلزم نفقته كالزوجة والأولاد والوالدين العاجزين، ويحمله حب المال على ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله، وقد يحمل الوالدَ حبُّ ولده على جمع المال الحرام، وعلى ترك الجهاد و...إلخ.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بالأجر العظيم في الدنيا كما أشرتم أم أنه في الآخرة؟

الجواب: المراد في الدنيا والآخرة.

وتعالى ورسوله ﷺ، وامتثلوا لأوامره ونواهيه فسيجعل الله سبحانه وتعالى في قلوبهم نوراً يفرقون به بين الحق والباطل، وبصيرة يميزون بها بين الحق من الباطل، ويتجاوز عن سيئاتهم، ويغفر ذنوبهم، وفضل الله عظيم ليس له حد فاتقوا الله لتنالوا ما عند الله.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يَذْكُر وقت أن مكر به المشركون ودبروا لقتله، وذلك ليلة أمره بالهجرة من مكة إلى المدينة، وحين نزول جبريل عليه يخبره بأن المشركين قد تآمروا على قتلك يا محمد، ويريدون قتلك الليلة، فاخرج الساعة، فخرج محمد ﷺ من مكة من حينه.

﴿لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ تآمر المشركون على النبي ﷺ: إما أن يأسروه ويربطوه، وإما أن يقتلوه، وإما أن ينفوه إلى بلاد بعيدة.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ۝٣٠﴾(١) دبروا الحيل لقتل النبي ﷺ، ولكن الله سبحانه وتعالى كان فوقهم بتدبيره وقوته، ونجى

---

(١)-**سؤال:** ما وجه إسناد المكر إلى الله سبحانه؟ وكيف كان خير الماكرين؟

الجواب: الذي سوغ إسناد المكر إلى الله هو أمرٌ لغوي؛ فاللغة العربية وأهلها يسمون الشيء بغير اسمه، ويصفونه بغير صفته بشروط وقوانين وضوابط، وقد وضعوا لذلك أبواباً في علوم اللغة العربية، وهذه المسألة التي نحن فيها وهي إسناد المكر إلى الله «ويمكر الله» هي باب من تلك الأبواب تسمى في كتب اللغة (المشاكلة) وهي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته. وأصل معنى الآية: ويمكرون ويبطل الله مكرهم، فوضع «ويمكر الله» موضع: ويبطل الله مكرهم؛ لمجاورته لقوله «ويمكرون»، وأمثلة هذا الباب كثيرة. والمراد بـ«خير الماكرين» أنه تعالى قابل مكر المشركين وتدبيرهم وحيلهم بما هو أعظم من مكرهم وأفضل وأقوى، وذلك أنه أبطل تدبيرهم ومكرهم بنبيه ﷺ فكان تدبيره أعظم من مكرهم، وكان أفضل لأن تدبيره تعالى كان في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وكان مكرهم في إبطال الحق وفي سبيل الباطل.

رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بين أيديهم وخرجوا خائبين، فقد أمر جبريل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يضع عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مكانه في فراشه ويخرج؛ لأنهم إذا نظروا فلم يروا أحدا على الفراش فسيلحقون به ويقتلونه، فوضع عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مكانه موهماً لهم أنه هو، فرقد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على فراشه ممتثلاً لأمر الله ورسوله، وفادياً لنبيه بنفسه، وكان المشركون يرجمونه بالحجارة وهو يتضور بين الفراش من شدة الألم من غير أن يكشف نفسه لهم؛ لئلا يفتضح أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيلحقوا به، وفي آخر الليل بدأت الشكوك والتساؤلات عند المشركين كيف يُظْهرُ التألمَ وقد عرفوا عنه أنه لا يظهر تألمه أمام أحد، ولم يعرفوا أن شكهم هذا كان في محله إلا عند الصباح عندما كشفوا عن وجهه، فإذا هو علي، فعندها أخذوا في استنفار الناس إلى الخروج والبحث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ۝٣١﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا تلا القرآن على المشركين قالوا: قد سمعناه ولو أردنا أن نفعل كلاماً مثله لفعلنا، وليس إلا خرافات من قصص الأولين.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣٢﴾(١) قال مشركو قريش: إن كان هذا الذي جاء به

---

(١)-**سؤال:** يورد كثير من المفسرين هذه الآية في النضر بن الحارث وأنها في معنى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ۝١﴾ [المعارج]، والروايات بإهلاكه فيها مشهورة مستفيضة، لكن ظاهر الآية التي بعدها أن الله لم يستجب لهم ولم يعذبهم لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما زال بينهم فكيف؟ مع أن بعض أصحابنا أيضاً يوردها في تعذيب الرجل المكذب بولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وأسندها إلى تفسير الثعلبي؟

الجواب: روي أن الآية نزلت في النضر بن الحارث، وقيل في أبي جهل، وفي المصابيح عن البرهان: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قتل النضر بن الحارث في جملة من قتل من أسرى يوم بدر، والرواية التي رويت في تفسير ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ۝١﴾ مرجوحة. وهناك الكثير من الحديث المتواتر في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ والمشهور والصحيح، وفيه الكفاية الكافية لمن طلب الحق وأراده.

محمد حقاً فنسأل الله أن يقتلنا، فلو أنهم قالوا: اللهم إن كان هو الحق فاهدنا إليه لكان ذلك هو الأحسن والأفضل لهم في الدنيا والآخرة، ولكن الكبر قد أعمى بصائرهم وغطى على قلوبهم، ولن يرضوا بأن يقبلوا الحق أبداً أبداً.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ۝٣٣﴾ فما دام النبي ﷺ بينهم فلن يعذبهم؛ لأن المشركين قد دعوا الله سبحانه وتعالى أن يعذبهم إن كان ما جاء به محمد ﷺ حقاً وصدقاً، فرد الله عليهم بهذا الرد، أي: أنه لا يعذبهم ما دام نبيه محمد ﷺ بينهم إكراماً لنبيه ﷺ، ومن سنة الله سبحانه وتعالى أن لا يعذب قوماً وبينهم من يتضرع إلى الله بطلب المغفرة، وقد كانت قريش على دين الشرك لا يستغفرون الله، إلا أن الله تعالى أعلم بأن الاستغفار أمان من نزول العذاب.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ[1] اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٤﴾ قد استحقوا العذاب، غير أن الله سبحانه وتعالى ترك تعذيبهم الآن لكون محمد ﷺ بينهم وسيعذبهم من بعد، فما داموا يصدون الناس عن الحج وعن الإسلام فقد استحقوا العذاب، فلماذا يصدون عن البيت الحرام وليسوا الولاة عليه لأنهم مشركون، ولا يصح أن يتولاه ويقوم عليه إلا المتقون.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالاستفهام في الآية: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ﴾؟ وما إعرابها أو معناها على مقتضى الإعراب؟

الجواب: الاستفهام استنكاري، أي: استنكار عدم عذابهم، أيُّ شيءٍ مانع من عذابهم فهم أحقاء بالعذاب لصدهم عن المسجد الحرام وكفرهم وتكذيبهم و...إلخ، إلا أن الله تعالى أخر عذابهم إلى حين لحكمة ومصلحة. «وما لهم أن لا يعذبهم الله..» ما: مبتدأ، ولهم: خبره، وأن لا يعذبهم: مؤول بمصدر مجرور بـ«في» مقدرة، والمعنى على هذا: أي شيء ثبت لهم في عدم تعذيب الله لهم، أي: ليس لهم ما يمنعهم من عذاب الله.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ **المكاء**: الصفير، **والتصدية**: الصياح والتصفيق.

أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين بأن صلاتهم عند البيت ليست إلا صياحاً وتصفيقاً؛ فكيف تسمى هذه صلاة، وكانوا أيضا يطوفون بالبيت وهم عراة، ويمنعون الناس عن الطواف لابسين فكيف يكونون أولياء لبيته الحرام وهم على هذه الصفة والحالة.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ۝٣٥﴾(1) وحقاً قد أذاقهم الله سبحانه وتعالى العذاب يوم بدر ولم يعذبهم الله تعالى إلا بعد أن خرج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بين أظهرهم وخرج إلى المدينة إكراماً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كانوا ينفقون أموالهم للصد عن دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولقتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن آمن به.

﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم سوف ينفقون أموالهم في الصد عن دين الله وسيكون فراقهم لأموالهم حسرة تبقى في قلوبهم في الدنيا والآخرة مع أن ذلك لا يجدي شيئا في صد الدعوة، ولن يستطيعوا أن يقفوا في وجهها ووجه الإسلام ثم يصيرون بعد ذلك إلى الهزيمة والخيبة.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ۝٣٦﴾ سيخسرون أموالهم في الدنيا، وفي الآخرة سيكون مصيرهم إلى النار وبئس المصير خسروا الدنيا والآخرة.

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في الانتقال في الآية من الغيبة إلى الخطاب «كنتم»؟

الجواب: السر والحكمة هو التفنن في العبارة، ويسمى هذا وأمثاله بالالتفات، وهذا الفن من العبارة يكون لتنشيط ذهن السامع ولاستفتاح أذنيه؛ ليصغي إلى ما يخاطب به، بالإضافة إلى أن الالتفات إلى الخطاب أبلغ في إخزائهم، وإدخال الحسرة والضيق عليهم، والتشفي منهم.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ۝٣٧﴾ سيحشرهم(١) الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ويدخلهم جهنم، وحكمة الله سبحانه وتعالى من البعث والجزاء لأجل أن يميز فيه الكافر من المؤمن، ويعطي كلاً ما يستحقه، فيجمع الله سبحانه وتعالى الخبيث جميعاً فيجعله في جهنم، والمؤمنون إلى رحمته ونعيمه في الجنة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ قل للمشركين يا محمد أن كل ذنب أذنبوه سيغفره الله سبحانه وتعالى لهم إن تابوا وندموا ورجعوا إليه.

﴿وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ۝٣٨﴾ إذا رجعوا وعادوا إلى الصد عن سبيل الله سبحانه وتعالى فهم يعلمون بما فعله الله سبحانه وتعالى فيمن مضى قبلهم من الأمم السابقة من العذاب والاستئصال عندما كفروا به وصدوا عن دعوة أنبيائهم، وعلموا بما لحقهم من عذاب الله يوم بدر، فإن عادوا فسيعود الله عليهم بعذابه وخزيه.

ثم خاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٢) أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بقتال أهل الشرك والكفر حتى ينتهوا وينتهي الشرك من على وجه الأرض.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه﴾ حتى لا يبقى معبود سوى الله سبحانه وتعالى في جزيرة العرب.

---

(١)-**سؤال:** هل تقصدون أن قوله: ﴿لِيَمِيزَ﴾ علة لقوله في الآية السابقة: ﴿يُحْشَرُونَ۝٣٦﴾؟

الجواب: نعم ذلك هو المقصود.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بالفتنة الشرك؟ وهل هو من باب الحقيقة أو المجاز؟

الجواب: الفتنة هي سبب في حصول الشرك، فقد كان المشركون في مكة يعذبون المؤمنين حتى يرجعوا إلى دين الشرك، فالفتنة هنا مجاز مرسل من إطلاق السبب على المسبب، وليست الفتنة حقيقة في الشرك.

﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّه بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٣٩﴾﴾ إن أقلعوا عن شركهم وضلالهم- فالله سبحانه وتعالى مطلع على الضمائر، وسيجازي كل امرئ بعمله.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّه مَوْلاَكُمْ﴾ إن رفضوا التوبة فاعلموا أيها المؤمنون أن الله سبحانه وتعالى ناصركم ومؤيدكم على عدوكم.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴿٤٠﴾﴾ فاعتمدوا أيها المؤمنون على الله وتوكلوا عليه ولا تخافوا عدوكم ولا تستعظموه فإن الله تعالى أكبر وأعظم وهو على كل شيء قدير.

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٤١﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى المسلمين عن كيفية قسمة ما غنموه، فأول ما ينبغي أن يفعلوه هو أن يخرجوا الخمس فليس لهم، فيعطوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يضعه أينما شاء[1]، فكان صلى الله عليه وآله وسلم يقسمه

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنه يجعله في مصارف الخمس فكيف؟ وأين يصرف سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولوية التصرف في المغانم: الخمس، والأربعة الأخماس؛ بدليل قسمته للمغانم أو بعضها يوم حنين بين رؤساء قريش، ولم يقسمها بين الغانمين حتى وجد الأنصار في نفوسهم، فقال لهم رسول صلى الله عليه وآله وسلم: ((يرجع الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله لولا الهجرة لكنت من الأنصار، اللهم ارحم...))، وبدليل قوله تعالى: ﴿قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ﴾؛ فمن هنا كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يضع الخمس والأربعة الأخماس حيثما شاء، وله أن يقسمها على الغانمين ومصارف الخمس. وأما سهمه صلى الله عليه وآله وسلم من الخمس فلا شبهة في أن له أن يصرفه حيث شاء؛ لأنه له ويكون بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم للقائم مقامه، وسهم الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرفه في سبيل الله، وفيما يقوي هيبة الإسلام ويرفع شأنه ويعلي كلمته، وسهم ذوي القربى يقسمه صلى الله عليه وآله وسلم بين أهل بيته، واليتامى والمساكين هم يتامى أهل بيته ومساكين أهل بيته، فليتاماهم سهم، ولمساكينهم سهم.

على قرابته من بني هاشم الذين هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، وكذلك يعطي بني المطلب حصة منه[١]، وبنو المطلب ليسوا من أبناء هاشم؛ لأن المطلب وهاشم كانا أخوين، وقال عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام))، وهذا الخمس واجب على المسلمين إخراجه، والأربعة الأخماس التي هي باقي الغنيمة تقسم بين باقي المسلمين.

والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل كما ورد عن علي بن الحسين: يتامى بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقسمها بين قرابته أغنيائهم وفقرائهم، وكان يزيد في حصة هؤلاء المذكورين في الآية، وقد شدد الله على المسلمين في إخراج خمس الغنائم فربطه بالإيمان بالله وبالإيمان بالقرآن والنصر الذي أنزله على نبيه يوم الفرقان[٢] يوم التقى المسلمون والمشركون في بدر.

والمراد بـ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾: هو القرآن والنصر الذي أنزله يوم بدر على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه.

﴿إِذْ[٣] أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن يوم الفرقان هذا هو

---

(١)-**سؤال:** هل ما كان يأخذه بنو المطلب حصة من سهم ذوي القربى أم مكافأة كان يتولاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: استحقوها بالنصرة؛ لذلك لم يقسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للطلقاء من بني هاشم.

(٢)-**سؤال:** لماذا سمي يوم بدر يوم الفرقان؟

الجواب: سمي يوم الفرقان لأن الله تعالى فرق (حكم) فيه بين المحقين والمبطلين، فنصر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، وأهلك صناديد المشركين وجبابرتهم ورؤساءهم، وانتشر صدى معركة بدر فعظمت هيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشاع ذكره وذكر دينه وما يدعو إليه في جزيرة العرب.

(٣)-**سؤال:** «إذ» ظرف لماذا؟ أو معمول لماذا؟

الجواب: «إذ» بدل من «يوم» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾.

اليوم الذي كان المسلمون فيه على حافة الوادي التي تلي المدينة[١]، والمشركون على الحافة الأخرى من الوادي والتي تلي مكة، والمراد بالركب: هو قافلة التجارة التي كانت لقريش، أسفل منكم على ناحية ساحل البحر؛ لأن أبا سفيان كان قد جاءه النذير ينذره بأن محمداً قد قطع الطريق عليه يريد أن يستولي على هذه القافلة، فحول طريقه على طريق أخرى التي هي طريق الساحل.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن ما حصل يوم بدر كان بتدبيره ومشيئته، وأنكم لو تواعدتم معهم على هذا اللقاء لما حصل مثل هذا الذي حصل، ولاختلفتم في الميعاد، ولما تهيأ لكم كل هذا.

﴿وَلَـكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ كل هذا ليتم ذلك الأمر[٢] الذي قد أراده الله وقضاه، ولا بد أن يقع ما أراده.

---

(١)-**سؤال:** هل سماها الله دنيا لأنها أقرب إلى المدينة؟

الجواب: نعم المراد بالعدوة الدنيا أي: الأقرب إلى المدينة من العدوة الأخرى، أي: حافة الوادي الشمالية (الدنيا)، وحافته الجنوبية (القصوى).

(٢)-**سؤال:** هل الأمر هو اللقيا، أم النصر للمسلمين؟ وهل يلزم منه أنه لا اختيار للمسلمين في وقوعه؟

الجواب: الأمر هو إحقاق الحق وإبطال الباطل بنصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وكسر شوكة المشركين وإذلالهم بالقتل والأسر. وحصول النصر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين قد كان بإرادة الله وقضائه، فأنزل الملائكة لتأييد المسلمين، والنعاس، والمطر، والربط على قلوب المسلمين، وتقليل عدد المشركين في أعين المسلمين ليجسروا على مواجهتهم، وإلقاء الرعب في قلوب المشركين، وإلى آخر ما أنزله الله تعالى من أسباب النصر لنبيه وللمسلمين، وأسباب الفشل والقتل والهزيمة للمشركين. وقد كان من حسن تدبير الله تعالى للمسلمين أن الله أعلمهم على لسان نبيه بأنه قد وعدهم إحدى الطائفتين: إما العير أو النفير، ولم يعين لهم ما كتب لهم، فلو أنه تعالى عين لهم الطائفة التي كتب لهم (النفير) لاضطربوا ولما تحقق -والله أعلم- خروجهم إلى بدر للقاء المشركين؛ لعلمهم بكثرة قريش، وقوة بأسها، وكثرة =

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّه لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ليظهر الله سبحانه وتعالى الحق ويبطل الباطل[1]، ولن يتم ذلك إلا إذا حصل مثل هذه الوقعة العظيمة التي من شأنها أن تخلف وراءها صدى يسمعه جميع الناس في البلاد العربية، فتكون شاغلة لمجالسهم؛ لأنهم إذا عرفوا بهذه الواقعة وتحدثوا عنها سيجعلهم يتساءلون عن محمد وعما جاء به، وينظرون في حقيقة أمره، فيؤدي بهم ذلك إلى معرفة الإسلام وحقيقته، ويتيقنون أنه الدين الحق، فإذا آمنوا كان إيمانهم على بصيرة؛ لأنه لا بد أن يتساءلوا عن القرآن وينظروا فيه ويتفكروا، فإذا فعلوا ذلك حصلت لهم القناعة بأنه الدين الحق.

ولكون قريش من أعظم قبائل العرب خطراً وهيبة، وكونهم المنظور إليهم فإذا حصل لهم مثل هذه الهزيمة، وما قتل فيها من كبارهم وزعمائهم فسيكون ذلك أدعى إلى أن يتساءل بقية العرب عن الإسلام، ويستخبروا عنه وعما جاء به هذا

أسباب قوتها بالنسبة لما هم عليه من القلة في العدد والعدة؛ لذلك كانت أسباب النصر بقضاء الله وإرادته ومشيئته، لا اختيار للمسلمين فيها، أما خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين إلى بدر وقتالهم للمشركين فبأمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج ثم بالقتال، وحتمية وقوع ذلك لا ينافي الاختيار، فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعصي أمر الله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى..﴾ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ...﴾ [التوبة:١٤]، فالنصر من الله، والقتال من المؤمنين.

(١)-**سؤال:** هل مرادكم بهلاك من يهلك وقوعه في الباطل وعدم استجابته للحق الذي يسبب في هلاكه، وأن حياة من يحيى عن بينة دخوله في الحق وإيمانه بالله ورسوله، أم ماذا؟ وهل هو من المجاز أو لا؟ فيا حبذا لو أوضحتم ذلك.

الجواب: المراد: هو ذلك، فالهلاك والحياة استعارة للكفر والإيمان، والعلاقة المشابهة، أو يكون ذلك مجازاً مرسلاً والعلاقة المسببية، فالهلاك مسبب عن الكفر، والحياة مسببة عن الإيمان.

النبي ﷺ، وسيكون أدعى إلى الالتفات والتمعن فيما جاءهم به.

وأما هيبتهم ومكانتهم عند قبائل العرب فقد حصلت لهم من بعد وقعة الفيل، فعندها ذاع صيتهم بين القبائل، وارتفع شأنهم وعلا قدرهم؛ وذلك أن أبرهة الأشرم خرج على رأس جيش جرار متوجهاً إلى مكة يريد هدم الكعبة؛ فلم يستطع أحد أن يقف في وجهه أو يمنعه من وجهته، وهو مع ذلك متحدٍّ لكل من قابله في طريقه بأنه ذاهب لهدم كعبتهم، ومكان تعبدهم ومحجهم، فعندما وصل إلى طرف منى في وادي محسر الواقع ما بين منى ومزدلفة- توقف الفيل هنالك ولم يستطع أن يتقدم، وقد سمي وادي محسر؛ لأن الفيل كان قد تحسر في ذلك المكان، ولم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة بمشيئة من الله سبحانه وتعالى وتدبيره، فعندها أرسل الله سبحانه وتعالى عليهم طيراً من السماء قتلتهم جميعاً، ولم تبق على أحد منهم، فبعد هذه الواقعة ذاع صيتهم بين جميع قبائل العرب، وصار لهم هيبة وعزاً وشرفاً يسيرون آمنين في جميع بلاد العرب، مع أن جميع العرب كانوا خائفين لا يستطيع أحد أن يسير لكثرة الثارات التي بينهم والتناحر فيما بينهم.

حتى أن من خرج من بلاده فسيقتل وينهب، أو سيؤسر، وأما أولئك فكانوا آمنين يسيرون دون أن يعترضهم أحد، وكانوا يقولون عنهم بأنهم أهل الله وسكان بيته، فهم تحت حماه.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾[1] أرى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ في المنام أن قريشاً ليسوا إلا قلة- ليطمئن الذين خرجوا معه، ويشجعهم على قتال المشركين، وكان ذلك قبل وصوله إلى أرض المعركة.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «إذ»؟ أو ما هو العامل فيه؟ ولو أعربتم الجملة كاملة لكان أولى؟

الجواب: «إذ» منصوب بـ«اذكر» محذوفاً، أو بدل ثان من «يوم الفرقان»، أو متعلق بـ«سميع عليم».

يريكهم الله: مضارع والكاف مفعول به أول، وضمير الغائب مفعول به ثان، ولفظ الجلالة فاعل. قليلاً: مفعول به ثالث لأن «رأى» الحكمية تنصب مفعولين فإذا دخلت عليه الهمزة نصبت ثلاثة مفاعيل. في منامك: جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من المفعول الأول.

﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾ فأخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الرؤيا وكان عندهم مصدقاً لما عهدوا عنه من الصدق، وتحقق كل ما أخبرهم به، ولأن كل ما يأتيهم به فهو من عند الله سبحانه وتعالى، ولا يأتيهم بشيء من تلقاء نفسه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

﴿وَلَـكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٤٣﴾ فلم يره إياهم في كثرة بل قللهم، فحين أخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقلة المشركين أمنوا حينئذ واطمأنوا.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۝٤٤﴾ ثم أرى الله سبحانه وتعالى المسلمين مرة ثانية قلة المشركين في أعينهم تصديقاً للرؤيا التي أخبرهم بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما هو الذي سيشجعهم على القتال، وما هو الذي سيجبنهم عنه، وأرى الله تعالى المشركين قلة[1] المسلمين ليتشجعوا على الإقدام عليهم- ليكون ما أراده الله من قتل المشركين وقهرهم وإذلالهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ۝٤٥﴾ حث الله سبحانه وتعالى المؤمنين على الثبات عند مواجهة العدو والصبر والذكر لله سبحانه وتعالى، وأن يكونوا لاجئين إليه، وداعين له بالنصر والظفر، وسينصرهم عند ذلك.

---

(١)-**سؤال:** قد يقال في تقليله سبحانه للمشركين في أعين المسلمين قلب للحقائق، فلا يتحقق بعد ذلك علم يقيني ١٠٠% برؤية المرئيات وسماع المسموعات، وسائر ما يحصل عن الحواس، وقد يكون ذلك قبيحاً في حق الله، فما الحل في هذا الإشكال؟

الجواب: يقال هذا من خوارق الآيات، ولا يقدح ذلك ولا يشكك في صحة المرئيات والمسموعات، فقد خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بين المشركين ليلة بات علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على فراش الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقلبت عصا موسى حية، وشق موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ البحر بعصاه؛ فلم يكن ذلك سبباً للشك في ماهية أعواد الشجر، ولا في طبيعة الماء وماهيته.

﴿وَأَطِيعُواْ اللَّه وَرَسُولَهُ﴾ وكونوا عند ملاقاة عدوكم مطيعين لله سبحانه وتعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلا بد مع الذكر والدعاء من الطاعة والامتثال لأوامره، فلن يستجيب دعاءكم مع العصيان.

﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ لا تختلفوا فيما بينكم لأن ذلك يؤدي إلى الفشل.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّه مَعَ الصَّابِرِينَ﴿٤٦﴾﴾[1] إذا تنازعتم واختلفتم فلن تنتصروا، يحث الله المسلمين هنا على الأخذ بهذه الأسباب لكي يتحقق لهم النصر التي هي: الثبات وذكر الله سبحانه وتعالى وطاعة الله ورسوله وعدم التنازع والاختلاف والصبر.

﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴿٤٧﴾﴾[2] لا تكونوا مثل قريش الذين خرجوا من مكة لغرض إظهار قوتهم وما هم فيه من العدد والعدة، كافرين لنعمة الله عليهم، وليحاربوا الحق وأهله، ولكن اخرجوا متواضعين لله تعالى، قاصدين بخروجكم إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى.

كانت قريش في أول الأمر إنما خرجت لتؤمّن القافلة المقبلة من الشام التي فيها تجاراتهم وأموالهم، فوصلهم الخبر بأن يرجعوا؛ لأن أبا سفيان قد غير طريقه، وقد صارت القافلة في أمان، فقالوا: والله لن نرجع، وسنخرج لقتال محمد حتى تسمع

---

(١)-**سؤال:** ما هي الريح؟ وما ذهابها؟

الجواب: المراد بالريح النصر، وذهاب الريح معناه: ذهاب النصر.

(٢)-**سؤال:** لماذا عطف الفعل: ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ على الاسم ﴿بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ﴾؟ وما محل جملة: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ﴾؟

الجواب: «ويصدون» الواو واو الحال، والجملة في محل نصب حال من فاعل خرجوا أي: خرجوا وهم يصدون، وكان هذا أولى من العطف على «بطراً ورئاء الناس» لأن عطفها على ذلك لا يصح إلا بتأويل.

عنا جميع قبائل العرب، وسنأخذ معنا القيان تغني لنا وتعزف في طريقنا، وسنشرب الخمر، وننحر الجزور حتى تسمع عنا وعن ما فعلنا جميع القبائل فيعرفوا قدرنا وقوتنا ومن نحن، عرضاً لقوتهم أمام العرب، وكان بعض وجهائهم -وهو عتبة بن ربيعة- قد نصحهم بأن يرجعوا؛ فما الفائدة من الخروج وقافلتهم في أمان، وقال لهم: إن كنا نحارب رب محمد فما لنا به من طاقة، وإن كنا نحارب محمداً فليس إلا واحداً منا، فإن انتصر وتم أمره فهو من قريش وعزه لنا، وإن قتله غيرنا فقد كفينا شره، وكان عتبة هذا من أهل الرأي المشهود له برجاحة العقل.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ زين الشيطان لقريش خروجهم هذا وحربهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والصد عن دينه.

﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ ووسوس لهم على لسان أحد زعماء العرب ومشائخها وكبارها، كان قد لقيهم في طريقهم، فكان يحث قريشا على الخروج، ويؤمنهم بأنهم ذو كثرة وقوة وعدة وعدد، ولن يستطيع أحد أن يقف في وجوههم، زاعماً أنه ناصح لهم، وأنه سيدعمهم ويمدهم بالرجال والسلاح، فأجابه عتبة بن ربيعة: إنا إن كنا نحارب محمداً فنحن كثير، وليس بنا من قلة فنحتاج إليك، فاذهب فما لنا إليك من حاجة، وإن كنا نحارب رب محمد فلا طاقة لنا به لا نحن ولا أنت.

﴿فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ عندما تواجه الفريقان واصطفوا للقتال وإبليس كان حاضراً ساحة المعركة ولكنه لما رأى الملائكة مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، ورأى أن النصر قد نزل على المسلمين خاف عند ذلك وهرب، ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ اللّهَ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝٤٨﴾ فعندما رأى ما رأى خاف أن يلحقه من ذلك العذاب الذي قد أنزله الله سبحانه وتعالى ذلك اليوم على المشركين.

فإن قيل: لماذا يخاف والله سبحانه وتعالى قد وعده بأن يمهله إلى يوم القيامة؟ ومِمَّ يخاف مادام قد أمن على نفسه الموت؟

قيل له: هناك شيء غير الموت يخاف منه وهو أن ينزل عليه شيء يؤلمه ويوجعه.

فإن قيل: لماذا قال: إني أخاف الله مع أن من المعروف عنه خلاف ذلك؟

فيجاب عليه: المراد به خوف عقابه؛ لأنه لما رأى عقاب الله سبحانه وتعالى عندما نزل على المشركين خاف أن يلحقه من ذلك العقاب الذي أنزله عليهم، لأنه عرف أن هذا الموطن قد نزل به سخط الله سبحانه وتعالى وعذابه، وخاف إن قعد فيه أن يلحقه شيء من العذاب؛ فهرب مع محبته لأن يشاهد المعركة، ويشارك فيها بمكائده، فهزيمة المسلمين أمر يهمه، ولكن الخوف جعله يهرب من هول ما رأى.

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ﴾[1] كان منافقو المدينة يوم بدر يتحدثون فيما بينهم عن المسلمين بأنهم قد أصابهم الغرور، فكيف يذهبون لقتال قريش وهم يعلمون أنها ليست بالهينة ومع معرفتهم بقوتهم وشجاعتهم وبأسهم وكثرتهم، فانظروا إلى هؤلاء البلهاء كيف يصدقون محمداً ويذهبون معه، وهكذا يكون المنافقون في كل زمان يثبطون الناس عن الجهاد، ويخوفونهم ملاقاة العدو.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٤٩﴾﴾ فأهل بدر عندما توكلوا على الله سبحانه وتعالى وطلبوا منه النصر متيقنين أن النصر لا يكون إلا بيده نصرهم الله وأيدهم؛ لأنه العزيز الغالب.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى غرهم دينهم؟

الجواب: معنى «غرهم دينهم»: هو أوقعهم دينهم في المهالك وزين لهم الدخول فيها، وذلك بما جاء في دينهم وعلى لسان رسولهم ﷺ من النصر والظفر، والتمكين في الأرض، وقيام دولة الإسلام في جزيرة العرب، ثم فيما وراءها من بلاد فارس والروم والشام والعراق و..إلخ.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ۝﴾[١] لو ترى يا محمد، أو لو ترى أيها المخاطب وقت نزول الملائكة لأخذ أرواح الكافرين، كيف يكون حالهم عندما يضربون وجوههم وأدبارهم وقت انتزاع الروح؟ وكيف يتوعدونهم بعذاب النار؟ لرأيت أمراً فضيعاً ومرعباً.

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ۝﴾ قائلين[٢] لهم وقت نزع الروح: ذلك بسبب كفركم، وما قدمتم من الأعمال، فأنتم الذين جنيتم على أنفسكم وظلمتموها.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ۝﴾ عادة[٣] قريش في كفرهم وتمردهم كعادة آل فرعون ومن سبقهم ممن كفروا وتمردوا، فكما أن الله سبحانه وتعالى قد أخذهم بذنوبهم وتكذيبهم بآيات الله وعذبهم، كذلك قريش أخذهم الله يوم بدر بذنوبهم وعذبهم.

---

(١)-**سؤال:** هل في هذه الآية دليل على عذاب القبر؟ وأيضاً إذا كان ضرب الوجوه والأدبار لهؤلاء لا نشاهده ولا نعلم كيفيته فهل يمكننا أن نقول: إن تعذيب الجسد في القبر مثله؟

الجواب: عذاب القبر مجمع على وقوعه بين أهل المذاهب الإسلامية تقريباً، وقد فصلنا القول فيه في جواب على سؤال أو سؤالين في هذه الأسئلة. ويجوز تعذيب الجسد في القبر ورجوع الروح في القبر، إلا أنه قد قام الدليل القاطع على أن أهل القبور أموات، وقام الدليل على عذاب القبر؛ فتبين لنا من خلال ذلك أن عذاب القبر بمعنى عذاب الروح لا عذاب الجسد.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل هذا على أن الله قائله؟

الجواب: يصح أن يكون من كلام الله تعالى، إلا أن الأقرب للظاهر أنه من كلام الملائكة.

(٣)-**سؤال:** ظاهر كلامكم أن قوله: ﴿كَدَأْبِ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: عادة قريش، فهل هذا صحيح؟

الجواب: ذلك صحيح فالتقدير: عادة قريش وشأنهم كعادة آل فرعون وشأنهم في الكفر والتكذيب بالله ورسله، وما أنزل الله تعالى على رسله، ثم الأخذ لهم بذنوبهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ غيَّر الله سبحانه وتعالى على آل فرعون، وعلى كفار قريش بسبب تغيرهم في أنفسهم بأن بدلوا شكر الله سبحانه وتعالى بالكفر والشرك، فلا يغير تعالى نعمته على قوم إلا إذا تسببوا في تغيير النعم بارتكاب ما يسخط الله تعالى من الكفر والفسوق والعصيان.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾(١) فحال قريش كحال هؤلاء الذين كذبوا بأنبيائهم، كقوم نوح وقوم صالح وقوم هود وغيرهم عندما كذبوا أهلكهم الله سبحانه وتعالى بذنوبهم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكافرين شر الدواب التي تدب على الأرض، فما من دابة تسير على الأرض إلا وهؤلاء الكافرون شر عند الله منهم.

والدابة في اللغة: اسم لكل ما يدب على الأرض، ثم أطلقه أهل العرف على ذوات الأربع، وقد استعمله في الآية على أصل اللغة.

﴿الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ﴾ إذا حصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم عهد وهدنة وصلح- نقضوا ذلك لأنهم ليسوا من أهل الوفاء، ولا يتقون نقض العهود.

---

(١)-**سؤال:** هل هذه الآية تأكيد للآية التي قبلها (٥٢)؟ وما السر في التأكيد بها؟

الجواب: نعم، التكرير هو للتأكيد، وذلك لتقرير الخبر في ذهن السامع وترسيخه فيه؛ ليحذر أن يقع في مثل ما وقعوا فيه.

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ۝﴾ إذا تمكنت منهم في حرب فافتك بهم واقتلهم حتى يعتبر بهم الذين من خلفهم(١)، فيكفوا عن التعرض للإسلام وأهله.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ۝﴾ إذا خفت يا محمد خيانة من المشركين؛ فإن كان بينكم أي عهد فأعلن بين الناس أنك بريئ مما بينك وبينهم من عهد وصلح، وانقض العهد الذي بينك وبينهم على مسمع من جميع الناس؛ لئلا يلحقك مذمة من أحد إن قتلت منهم أو نحو ذلك فيقولوا: نقض محمد العهد والميثاق، فاحرص أن يعلم جميع الناس(٢).

وقد أرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم عليًّا بهذه البراءة يعلن بها في الناس يوم الحج الأكبر: أن الله بريئ من المشركين ورسوله، فسمعت بهذه البراءة جميع قبائل العرب إلا أنه استثنى عهود من أوفى بعهده إلى المدة المضروبة لذلك؛ فإذا كان كذلك فلن يجد أحد طريقا إلى اتهام محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنقض العهود والمواثيق، لأن نقض العهد خيانة، والله سبحانه وتعالى لا يحب الخائنين.

﴿وَلاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ۝﴾ لا تظنن يا محمد بأن الذين كفروا قد فاتوا على الله سبحانه وتعالى فهو ليس بعاجز عن أخذهم،

---

(١)-**سؤال:** يقال: الظاهر أن التشريد هو التفريق والتبديد، فما رأيكم؟

الجواب: التشريد وإن كان الأصل فيه التفريق والتبديد فالمراد به هو أن يعتبر بهم غيرهم ويحذروا من التعرض للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومحاربته؛ فالتشريد الحقيقي الذي هو نحو تفريق الصيد وتبديده بالمطاردة غير مراد، وإنما المراد: فخوِّف بهم.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿عَلَى سَوَاء﴾ حتى يستوي جميع الناس في العلم بنبذك للعهد؟

الجواب: المراد أن يعلن في المجامع العظيمة التي إن أعلن فيها انتشر في الآفاق، نحو الأسواق التي يجتمع فيها من أطراف القبائل، أو كموسم الحج الذي أعلن فيه رسول الله بنبذ العهد إلى قريش.

وَسَيُلْحِقُ بهم سخطه وعذابه متى ما أراد، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد ظفر بالكثير منهم، وبعضهم قد هرب، فأخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم لن يفوتوه، بل سيلحقهم وليس بعاجز عن ذلك، وعلى قراءة الياء في ﴿يَحْسَبَنَّ﴾ المعنى: لا يظنن الذين كفروا أنهم فاتوا وسلموا من عذاب الله فسيلحقهم الله بعذابه و.. إلخ.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستعداد للمشركين بكل ما استطاعوا من قوة(١).

﴿وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ وبأن يجهزوا الخيول ويربوها(٢).

﴿تُرْهِبُونَ(٣) بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ فإن المشركين إذا

---

(١)-**سؤال:** هل لزوم الإعداد متعلق بالمسلمين إلى نهاية التكليف؟ وهل الدراسة والتدريس والتحصين عن الأفكار الزائغة من جملة القوة؟

الجواب: الإعداد هو من واجبات الولاة على المسلمين، أما الفرد فلا يتعلق به التكليف منفرداً، وماذا يغني الإعداد الفردي؟! ولكن الولاة هم الذين يجب عليهم الإعداد، وعلى الفرد المسلم أن يعين الوالي بما يجب عليه، والوالي العادل هو الذي سيرسم عليه ما يجب. ودراسة العلم وتدريسه ونشره هو أعظم الإعداد وأكبره، وليس الإعداد المادي إلا في الدرجة الثانية، ولم يفرض الله تعالى الإعداد إلا لحفظ الدين والعلم الذي جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٢)-**سؤال:** هل المراد برباط الخيل اسم الرباط أم المراد المصدر في معنى الخيل المربوطة؟

الجواب: يصح أن يكون المراد بـ«رباط» نفس المصدر أي: ربط الخيل للحفظ لها، ويصح أن يكون المعني برباط الخيل: الخيل المربوطة.

(٣)-**سؤال:** لماذا لم يجزم الفعل ﴿تُرْهِبُونَ﴾ وظاهره في جواب الطلب؟

الجواب: «ترهبون به..» جملة مستأنفة لبيان العلة أي: أنها جاءت جواباً لسؤال مقدر ناشئ عن جملة «وأعدوا..» أي: لماذا نعد لهم؟ فجاءت «ترهبون..» جواباً لهذا السؤال. ويجوز أيضاً الرفع على أن يكون «ترهبون» حالاً من فاعل «وأعدوا». ويصح الجزم على أساس أنه جواب الأمر، ولكن لم ترد به قراءة، ولا تجوز قراءة القرآن إلا على حسب ما قرأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

رأوا ما قد أعددتم لهم خافوا منكم، وكذلك أناس غير هؤلاء الذين هم ظاهرون أمامكم على الساحة من اليهود والمشركين إذا رأوا ذلك- خافوا منكم وحسبوا لكم ألف حساب، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن صفة هؤلاء الآخرين فقال: ﴿لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ والمراد بهؤلاء الآخرين: المنافقون؛ لأنهم كانوا موجودين في المدينة بين أظهر المسلمين يتحينون الفرصة للنبي ﷺ ومن معه، فإذا رأوا قوة المسلمين خافوا وانزجروا.

﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ۝٦٠﴾ فأي نفقة تنفقونها في هذا السبيل الذي هو إعداد العدة ورباط الخيل؛ فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى سيوفيكم أجر ذلك، ولن ينقص من أجوركم شيئا.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٦١﴾ إذا مال عدوكم إلى السلم، وطلبوا الهدنة- فاقبلوا ذلك؛ فإن حصل منهم أي خيانة فأعلن بين الناس بنقض ذلك العهد كما أخبر الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ۝٦٢﴾ إذا طلب المشركون منك السلم والصلح وهم في الواقع مضمرون لك الخديعة فاعلم بأن الله سبحانه وتعالى سيكفيك شرهم وسينصرك عليهم، فقد أيدك الله سبحانه وتعالى بالمؤمنين الذين آمنوا بك.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ وهو الذي ألف بينهم.

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٦٣﴾ وهم الأوس والخزرج جمع الله سبحانه وتعالى بينهم، وزرع الألفة بين قلوبهم؛ فتآخوا بعد أن كانوا أعداءً قبل ذلك، وكانت العداوة قد استحكمت بينهم زماناً طويلاً، وصار بينهم قتل وقتال وثارات على مدى مائة وعشرين عاماً، وعندما جاء الإسلام جمع بين هاتين القبيلتين وذهب ذلك الذي كان بينهم، وأصبحوا إخوة متآلفين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ۝٦٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن في هؤلاء الذين قد آمنوا معه الكفاية للقيام بأمر الجهاد معه -مع تأييد الله سبحانه وتعالى ونصره- والوقوف في أوجه أعداء الإسلام من المشركين واليهود والمنافقين وغيرهم، وسيحمون الإسلام، وفيهم الكفاية لنشره في الأرض، ولن تحتاج إلى أحد غيرهم؛ فتوكل على الله سبحانه وتعالى، وامض بهم لما أمرك الله به.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ يحث الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على تحريض المؤمنين على القيام بأمر الجهاد(١).

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ۝٦٥﴾(٢) نزلت هذه الآية في

---

(١)-**سؤال:** هل لتسمية الجهاد في هذا الموضع قتالاً نكتة فما هي؟

الجواب: كلمة الجهاد هي أوسع معنى من كلمة القتال، فكلمة القتال بعض من مدلول كلمة الجهاد، كما يظهر من مواردها في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت:٨]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا۝٥٢﴾ [الفرقان]، أي: بالقرآن، وقوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩]، ولم يسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السيف على المنافقين، كما ذلك معلوم من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم، فكان استعمال كلمة القتال بدلاً عن كلمة الجهاد أدلّ على المطلوب، وأدخل في النصوصية عليه؛ إذ لا تحتمل معنى آخر كما هو الحال في الجهاد.

(٢)-**سؤال:** جعل الله سبحانه السبب في قيام الواحد للعشرة هو أن الكفار لا يفقهون، فما هو الذي لا يفقهونه؟

الجواب: الذي لا يفقهه المشركون هو ما أعده الله تعالى للمؤمنين المجاهدين من الثواب العظيم والدرجات الرفيعة في جنات الخلد، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]؛ لذلك يحرص الكافرون على السلامة من القتل ويهربون منه لأنهم يرون أن الموت أو القتل ضياع وخسارة ونهاية لحياتهم، أما المؤمن فيرى القتل فوزاً وربحاً وبداية لحياة أخرى يعظم نعيمها ويبقى ولا يفنى، و..إلخ، فهذا هو الذي لا يفقهه الكافرون.

أول الإسلام وهو أن الفرد الواحد من المسلمين يقابل عشرة من المشركين، وذلك لأن المسلمين في أول الإسلام كانوا قلة قليلة، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بأن يثبتوا على القتال إذا كان الأمر كذلك، وألا يفروا، ثم بعد ذلك كثر المسلمون وصاروا أهل كثرة، فحينها خفف الله سبحانه وتعالى عنهم هذا التكليف بقوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ۝٦٦﴾[1] خفف الله سبحانه وتعالى على المسلمين عندما أصبحوا أهل كثرة من العشرة إلى الاثنين لكل واحد من المسلمين.

ومعنى ذلك: أنه لا يجوز لهم أن يفروا أو يتراجعوا عن مواجهة المشركين في

---

(١)-**سؤال:** في ذهني أن بعض أئمتنا أخذ من هذه الآية أنه لا يجب على أهل العدل قتال أهل البغي إلا إذا كانوا على النصف منهم في العدد والعدة، فهل توافقونه في هذا المأخذ؟ وهل يتعارض مع قول أهل المذهب بوجوبه متى ظنوا الغلبة؟ وما الراجح منهما؟

الجواب: الذي يظهر لي أنه لا تعارض بين الآية وبين قول أهل المذهب، فقد ذكر في الآية العلة الغائية في وجوب قتال المائة للمائتين وهي الغلبة للمشركين؛ لذلك فإن المؤمنين إذا كانوا أقل من النصف إلا أنهم من أهل البأس والشدة وأهل التجارب في الحرب، وأهل معرفة بالحيل والمراوغة والتمويه و..إلخ، وحصل عند ذلك الظن بالتغلب على العدو وهزيمته وقتله، فإنه يجب حينئذ القتال، وذلك لأنهم وإن قل عددهم عن النصف إلا أنهم حينئذ بمنزلة النصف أو أكثر، وقد روي عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال لجيشه: «نحن مائتان، فقالوا: لسنا إلا مائة، فقال: أنتم مائة، وأنا بمنزلة مائة»، وهكذا العكس فلو كان المسلمون مثل الكافرين أو مثل نصفهم في العدد والعدة إلا أنهم كانوا أو أكثرهم من أهل الإيمان الضعيف، لا يتوقع منهم الصبر الطويل، أو كانوا من أهل الترف الذين لا يصبرون على الحر والبرد والشمس والجوع، وطلوع الجبال، وحمل الأثقال، وقطع المسافات، والتنقل كما ينبغي، أو لا معرفة لهم بالحرب والقتال والمراوغة والتمويه والتحيل و..إلخ، فإذا لم يحصل ظن الغلبة، أو حصل ظن الهلاك إن دخل هؤلاء المعركة مع العدو؛ فلا يجوز إدخالهم فيها ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

حال كهذه، وهو ما داموا مثل نصف المشركين، وأن القتال قد وجب عليهم، والله سبحانه وتعالىٰ سيؤيدهم بنصره.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ۝٦٧﴾[١] في يوم بدر أسر المسلمون من جيش المشركين سبعين أسيراً، وقتلوا منهم سبعين من صناديد قريش وكبارهم، والله سبحانه وتعالىٰ كان يحب قتل هؤلاء الأسرىٰ وكذلك نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكان من المتعارف أن من أسر أسيراً فهو له: إن شاء أخذ الفدية، وإن شاء قتله، فنصحهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا يقبلوا فيهم فدية وأن يقتلوهم، فشكوا إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الضعف والحاجة إلىٰ المال لأجل أن يستقووا به علىٰ الأعداء وينفقوا منه في سبيل الله، وينفقوا منه علىٰ أهاليهم وأولادهم ما دام قريش أصحاب أموال طائلة فسيدفعون في أسراهم أموالاً كثيرة؛ فإن رأيت أن نطلب الفدية؟

فأخبرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بماذا سيحصل لهم إن أخذوا الفدية، وأنه سيقتل مقابل كل أسير يأخذون فديته رجل من المسلمين، ولكنهم ألحوا عليه في ذلك حتىٰ أشفق عليهم، ووافق علىٰ مطلبهم هذا بعد أن حذرهم عواقبه، وأخبرهم أيضاً أن الله سبحانه وتعالىٰ يريد لهم القتل[٢]، وأنه ما ينبغي لنبي أن يأسر ويأخذ الفدية إلا بعد

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا...﴾ الإعرابي؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها جملة مستأنفة.

(٢)-**سؤال:** في ذهني أن الإمام الهادي عليه السلام قرر في مجموع رسائله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ممن وقف مع رأي أخذ الفدية وأن آخرين عارضوا ذلك، وكذلك ظاهر الآية أن العتاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهلا ذكرتم مصادر قولكم بأنه أخبرهم بماذا سيحصل وأنه سيقتل مسلم مقابل كل أسير وخرجتموه، والعفو من سماحتكم مطلوب؟

الجواب: ذكر قريباً منه في شرح نهج البلاغة عن الواقدي يرويه عن علي عليه السلام، وفي الجوهر الشفاف: وروي أنه قال لهم: ((إن شئتم قتلتموهم، وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم =

أن تمتلئ الأرض من قتلى المشركين ودمائهم، وأنه ينبغي أولاً أن يبني المسلمون هيبة الإسلام، ولن يكون له هيبة حتى يفعلوا ذلك ويقتلوهم، فإذا استقوى الإسلام، وصار له كيان ودولة- كان لهم حينئذ أن يأخذوا الفدية.

ومعركة بدر هذه كانت أول معركة في الإسلام مع المشركين، ففي أخذهم الفدية إظهار للضعف أمام المشركين؛ ولذلك عاتبهم الله سبحانه وتعالى بهذه الآية ووبخهم، وأخبرهم بأنهم قد أخطئوا في فعلهم هذا، وأنهم لو قتلوهم لكان ذلك أشد وقعاً على المشركين، وأوجع لهم وأعز للإسلام وللمسلمين، ولكنكم أيها المسلمون آثرتم عرض الدنيا، وهو أخذ الفداء، والله سبحانه وتعالى يريد أن يقوّي جانبَ الحق، ويزيد من هيبته، وذلك لن يحصل إلا بقتلهم.

﴿لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ[1] لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿٦٨﴾﴾ لولا أن الله سبحانه وتعالى قد كتب في كتابه أنه لن يعذب أحداً حتى يبين لهم ما يتقون-

---

بعدّتهم)) فقالوا: بل نأخذ الفداء، وذكره في المصابيح. وفي تفسير ابن كثير ما لفظه: وقال سفيان الثوري، عن هشام -هو ابن حسان- عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن علي رضي الله عنه قال: (جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر فقال: خَيِّر أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء، وإن شاءوا القتل على أن يقتل منهم مُقْبِلاً مثلهم، قالوا: الفداء ويقتل منا). رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به، وهذا حديث غريب. [ثم ذكر المصادر في الحاشية بقوله]: سنن الترمذي برقم (١٥٦٧)، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦٦٢)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من حديث الثوري لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي زائدة». [وهو موجود في أغلب التفاسير يذكرونه بعد الرواية الأولى التي فيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استشار أبا بكر وعمر...، ثم يقولون: وروي أنه...إلخ].

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿سَبَقَ﴾ خبر لقوله: ﴿كِتَابٌ﴾؟ أم أنه صفة له والخبر محذوف تقديره: موجود؟

الجواب: خبر «لولا» محذوف، و«سبق» صفة لكتاب، والخبر مقدر كما ذكرتم.

لعذب المسلمين على أخذهم الفدية، فالله سبحانه وتعالى لا يريد لهم أن يأخذوا الأسرى، وإنما أراد أن يقتلوهم في الحال، فما إن استفدت الأسرى أنفسها حتى بدأت تعد العدة للانتقام من المسلمين، وأخذ الثأر منهم على ما حصل عليهم.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٦٩﴾﴾ أباح الله سبحانه وتعالى الأكل من الغنائم، وأما الأسرى فما كان ينبغي أن يستفدوهم وإنما كان جزاؤهم القتل.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿٧٠﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يسأل الأسرى إذا كانوا يريدون الإيمان، ويقول لهم: إن الأولى بهم أن يؤمنوا وإنه إن كان الإيمان قد دخل في قلوبهم فسيعوضهم سبحانه وتعالى بدل الفدية التي دفعوها بخير منها؛ لأن المسلمين كانوا يستبقون الأسير بينهم إلى أن يأتي أهله ليستفدوه، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يعظ هؤلاء الأسرى لعلهم يؤمنون.

﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴿٧١﴾﴾ كان المسلمون بعد أن يأخذوا الفدية عن الأسير لا يفكونه إلا بعد أن يأخذوا منه العهود على عدم قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو التعرض للإسلام والمسلمين، فإذا أرادوا بعد عهدهم هذا الخيانة- فالله سبحانه وتعالى فوقهم، ولن يفلتوا منه؛ وقد جربوا عندما خانوا قبل ذلك، عندما رفضوا أن يؤمنوا به ويوفوا بعهده كيف مكن المسلمين منهم ومن أسرهم، فإن هم هموا بالخيانة ثانية فسيحصل لهم ما قد حصل لهم من قبل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ المؤمنون الذين هاجروا إلى المدينة، وجاهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الذين آمنوا من أهل المدينة من الأوس

والخزرج وآووا إخوانهم المهاجرين إليهم، ونصروا الإسلام والنبي ﷺ- أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأن بعضهم أولياء بعض؛ فينبغي أن يجتمعوا جميعاً، ويتناصحوا فيما بينهم، وألا يناصحوا الكفار واليهود، ولا يوالوهم، وأن يقطعوا كل ما بينهم من صلات.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ﴾ الذين آمنوا في مكة ورفضوا الهجرة مع النبي ﷺ إلى المدينة، ومكثوا بين المشركين؛ فهؤلاء لا يجوز لكم موالاتهم ولا مناصرتهم، ولا إطلاعهم على شيء من أسرار الإسلام والمسلمين، واتركوهم فإن حكمهم حكم المشركين في المعاملة الدنيوية، وأما فيما بينهم وبين الله فذلك إليه تعالى.

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أما إذا طلبوا منكم أن تنصروهم في الدين فانصروهم على أعدائهم.

﴿إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٧٢﴾(١) إذا استنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد وصلح- فلا تنصروهم عليهم.

﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ فلا تناصروهم ولا توالوهم، واتركوهم يتناصرون فيما بينهم.

﴿إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣﴾ إذا لم تفعلوا صرم الولاء وتتركوا مناصرة الكفار وموالاتهم تحصل فتنة عظيمة(٢) في الأرض وفساد كبير.

---

(١)-**سؤال:** هل في الآية دليل على أن المصلحة إذا عارضتها مفسدة أرجح منها (وهي نقض العهد) فيجب ترك المصلحة؟ أفيدونا في الموضوع؟

الجواب: يجب ترك المصلحة إذا عارضتها مفسدة أرجح منها بدليل العقل، فالعقل يستقبح أن يقدم العاقل على العمل بإيجار مائة مثلاً، ولكنه يعلم أنه إذا فعل خسر مائتين.

(٢)-**سؤال:** ما هي الفتنة التي توعد الله بحصولها؟

الجواب: الفتنة هي: القتل والحرب، أو قوة الكافرين وضعف المؤمنين واستذلالهم وظلمهم حتى يعودوا إلى دين الكفر.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴿٧٤﴾﴾ فالمؤمنون الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاهدوا معه، وكذلك الذين آووهم ونصروهم من أهل المدينة، ولم يوالوا الكفار ولم يناصحوهم؛ فهؤلاء هم الذين يستحقون اسم الإيمان والمغفرة، والرزق الكريم في جنات النعيم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ[1] وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ﴾ فقد أصبحوا منكم، وقد صاروا لكم أولياء.

﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴿٧٥﴾﴾ فالرحم أولى برحمه في الميراث والنصرة والنفقة ونحو ذلك، وهذا حكم حكم به الله وأنزله في كتابه.



---

(١)-**سؤال:** هل المراد من بعد الهجرة، ففيه دليل على أن بعض مسلمة الفتح حسن إسلامهم فما رأيكم؟

الجواب: ليس المراد أنهم هاجروا من بعد الهجرة، وإنما المراد الذين آمنوا ولم يهاجروا ثم من بعد قعودهم عن الهجرة هاجروا وجاهدوا. وقد حسن إسلام بعضهم وهم قلة مثل العباس بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وغيرهما من بني هاشم وربما بعض خزاعة والله أعلم، وما ورد في القرآن من أنهم لا يؤمنون (أهل مكة) فالمراد أكثرهم، والسواد الأعظم منهم.

سورة التوبة

﴿بَرَاءةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١﴾[1] أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن يعلن في الناس نقض العهد الذي بينه وبين المشركين وأن الله تعالىٰ بريء ورسوله ﷺ من كل عهد وذمة بين المشركين وبين رسول الله ﷺ.

﴿فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾[2] وأمهلهم أربعة أشهر، يسيرون في الأرض، ويتنقلون فيها آمنين، فإذا انقضت الأربعة الأشهر فالله بريء منكم ورسوله، وقد كانت هذه البراءة بعد فتح مكة.

﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِى الْكَافِرِينَ ۝٢﴾ أخبرهم يا محمد أنهم لن يستطيعوا الفرار من الله سبحانه وتعالىٰ، فهو متمكن منهم أينما ذهبوا.

﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِىءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ والمراد به أن يعلن النبي ﷺ بهذه البراءة بين الناس يوم الحج الأكبر (يوم العيد) في منى؛ لأن الناس يكونون فيه مجتمعين، فأمره الله سبحانه وتعالىٰ أن يعلن في هذا اليوم بانقطاع العهد الذي بينه وبين المشركين.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿بَرَاءةٌ﴾؟ وما وجه حذف البسملة من أول هذه السورة؟

الجواب: «براءة» خبر لمبتدأ محذوف أي: هذه براءة. وسورة براءة (التوبة) سورة غضب وآياتها لابسة لامة الحرب، ومتقلدة سيف الغضب على المشركين الناقضي للعهود والمواثيق الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة، وليس من المناسب أن تصدر هذه الآيات الغاضبة بالبسملة لما فيها من ذكر عظيم رحمة الله بعباده، وكثرة نعمه عليهم.

(٢)-**سؤال:** ما هي الأربعة الأشهر بالتعيين؟ وهل هي الأشهر الحرم فأكثر الناس يفهم هذا؟

الجواب: كان إعلان البراءة يوم العاشر من ذي الحجة (يوم الحج الأكبر) وبناءً على ذلك فهي بقية شهر ذي الحجة، ومحرم، وصفر، وربيع الأول، وعشر من ربيع الثاني، فبعضها كما ترى من الأشهر الحرم وبعضها ليس من الأشهر الحرم.

﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ﴾ أعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحج بهذا الكلام وهو: إن تبتم أيها المشركون كان هذا أسلم لكم، وإن توليتم فاعلموا أنكم قد عرضتم أنفسكم للهلاك، ولن تعجزوا الله سبحانه وتعالى بالفرار منه.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣﴾ وهذا من جملة ما أعلن به النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نص البراءة[١].

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً﴾[٢] استثنى الله

---

(١)-**سؤال:** يقال: الذي نصت عليه الأخبار الصحيحة أن نص البراءة التي بلغها علي عليه السلام: «ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» وفي بعضها زيادة: «وأن كل عهد منقوض» ولم يحفظ أنه بلغ نص الآيات، فكيف؟

الجواب: قد فعل علي عليه السلام المقصود الذي هو الإعلام بانتقاض العهد، وإعلان الحرب وإمهال المشركين أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما أرادوا من الأرض آمنين ، وقد روي في المصابيح نقلاً عن البرهان للإمام أبي الفتح الديلمي وعن الإمام الناصر بن الهادي تبليغ علي عليه السلام لسورة براءة وأنه قرأ صدر السورة إلى الآية التاسعة، وأيضاً روي في تفسير ابن كثير نقلاً عن البخاري من كلام أبي هريرة: فأذّن معنا علي في أهل منى ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، والمعلوم من الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل علياً عليه السلام بسورة براءة ليقرأها في الحجاج، فلعل الرواة لم يذكروا قراءته لها للعلم بذلك، فمن المستبعد غاية البعد أن يرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً بسورة براءة ثم لا يقرأها عليه السلام على الناس كما أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو أن بعض الرواة اكتفى الرواة برواية ما بلغه علي عليه السلام يوم الحج الأكبر مما سوى صدر سورة براءة ؛ تأكيداً لما قرأه عليهم وتقريراً له، وبياناً وشرحاً لما قد يغمض عليهم أو على بعضهم.

(٢)-**سؤال:** ما وجه التعبير عن النقض بالنقص بالصاد المهملة؟

الجواب: المراد: لم ينقصوكم شيئاً من بنود العهد وشروطه أي: أنهم أوفوا بما التزموا به من العهد =

سبحانه وتعالى منهم الذين يوفون معكم بعهودهم، ولم ينقضوا لكم عهداً.

﴿وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً﴾ لم ينصروا أحدا عليكم ﴿فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ۝٤﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ألا يتبرأ من هؤلاء الذين عاهدوا ووفوا بعهودهم، وأن يفي بعهودهم إلى أن تنقضي المدة المحددة لذلك المذكورة في بنود العهد التي قد كتبتموها، وأما البراءة فليست إلا من أولئك الذين هم أهل غدر وخيانة.

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث أمير المؤمنين عليه السلام بهذه البراءة لمصلحة في ذلك؛ لأنه إذا كان كبير القوم أو مبعوثه المقرب إليه هو الذي أعلن نقض العهد أخذه السامعون مأخذ الجد.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي الأربعة الأشهر التي قد أمهلهم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسميت بالحرم لحرمة العهد؛ فإذا انتهت هذه المدة ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ فقد أباح الله سبحانه وتعالى للمسلمين قتلهم وأسرهم، وضرب الحصار عليهم، والترصد لهم في كل طريق(١).

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ۝٥﴾ فقد أصبحوا إخواناً لكم؛ لأن الإسلام يجب ما قبله.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ۝٦﴾ إذا استجار بك أحد من المشركين يا محمد،

وبنوده وشروطه من غير أن ينقصوا شيئاً من ذلك فكان –لذلك– التعبير بالنقص بالصاد أنسب وأليق.

(١)–**سؤال:** هل المراد بهم المشركون جميعاً أم الذين أذن بنقض عهودهم؟

الجواب: المراد بهم المشركون الذين ذكروا في أول السورة ﴿ بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ۝١﴾، فاللام هنا للعهد، وليست للعموم بدلالة السياق.

وطلب الأمان منك أو من أحد المسلمين فأمِّنْه ثم أسمعه كلام الله سبحانه وتعالى، فإن هو قبل وآمن وإلا فاردده إلى حيث يأمن، وكذلك لو أجاره واحد من المسلمين كائناً من كان ولو امرأة أو عبداً ولو بإشارة تدل على ذلك- فقد حرم قتله وحقن دمه، ووجب على المسلمين جميعا أن يؤمنوه، ثم يسمعوه كلام الله؛ فإن هو آمن وإلا فالواجب أن يردوه إلى المكان الذي يصير آمنا فيه.

﴿كَيْفَ[١] يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ فهم أهل غدر وخيانة ولن يوفوكم بعهد أيها المسلمون أو ذمة.

﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ إلا قبيلة[٢] من المشركين كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند المسجد الحرام؛ فليسوا من أهل الخيانة، وهم أهل وفاء، فأتموا لهم العهد الذي بينكم وبينهم، وأما بقية المشركين فلن يوفوا لكم بعهد أبداً، فألغوا ما بينكم من العهود، وليكن ذلك على مسمع أكثر الناس، وذلك عند اجتماعهم في منى يوم الحج الأكبر، وقد بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليا عليه السلام ينادي بهذه البراءة التي هي فسخ العهود التي بينه وبين المشركين.

﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ﴾[٣] فما داموا لم ينقضوا لكم عهداً واستمروا

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بالاستفهام في الآية؟

الجواب: المراد بالاستفهام الاستنكار والاستبعاد والتعجب.

(٢)-**سؤال:** هل عينت هذه القبيلة باسمها فمن هي؟

الجواب: ذكر أنهم بنو كنانة، وقيل: بنو ضمرة، وقيل: خزاعة.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ﴾؟

الجواب: في إعراب «ما» وجوه:

١- أن تكون مصدرية ظرفية (مدية دوامية) أي: استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم.

٢- أن تكون اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية الزمانية، والتقدير: أي وقت استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه، أو في محل رفع مبتدأ أي: أن في إعرابها وجهين في حال كونها اسم شرط جازم.

على الوفاء- فاثبتوا على العهد والصلح الذي بينكم وبينهم ما داموا كذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ۝٧﴾ إن الله يحب الذين يتقون الخيانة والغدر، ونقض العهود.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[(١)] كيف يكون للمشركين عهد، وهم أهل غدر وخيانة فلو أنهم تمكنوا منكم، وصارت لهم قوة يستعينون بها عليكم- فلن يراعوا فيكم أي قرابة ولا رحم ولا أي عهد، ولقتلوكم واستأصلوكم وأبادوكم.

﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ[(٢)] وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ يرضونكم في ظاهر الأمر، وأما قلوبهم فهي تغلي عليكم أيها المسلمون، وهي مليئة بالحقد والغل، ولو وجدوا أي مدخل يدخلون به عليكم لأبادوكم واستأصلوكم.

﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ۝٨﴾ لا يراعون الحدود التي تراعى عند المشركين كالوفاء والصدق وعدم نقض العهود.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٩﴾ ترك المشركون الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتصديق بنبيه ﷺ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿كَيْفَ﴾ في الآية؟ وما إعراب الجملة: ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا...﴾؟ ولِـمَ لم تدخل الفاء في الجواب؟

الجواب: «كيف» في هذه الآية تكرار لقوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾، وحذف الفعل لكونه معلوماً مما سبق. ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ الواو واو الحال، «إن» أداة شرط جازم، «يظهروا» مضارع مجزوم، والواو فاعل، «عليكم» متعلق بيظهروا، «لا» نافية، «يرقبوا» مضارع مجزوم جواب «إن» الشرطية، والواو فاعل. ولم تدخل الفاء هنا لصلوح «لا يرقبوا» لأن يقع بعد «إن» الشرطية.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟

الجواب: جملة «يرضونكم» مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

وآيات كتابه، وآثروا الثمن القليل الذي هو متاع الحياة الدنيا؛ لأنهم كانوا يظنون أنهم لو آمنوا وصدقوا لفاتت عليهم مصالحهم في الدنيا من الزعامة والوجاهة والثراء، فهذا هو المراد بالاشتراء.

﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ منعوا الناس عن الإيمان فمن أراد أن يذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسمع منه- حذروه وهددوه.

﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٩﴾[1] فهم بعملهم هذا قد سلكوا طريق الباطل وطريق إبليس.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ۝١٠﴾ إذا تمكنوا من المؤمن ورأوا مدخلاً عليه- فلا يراعون فيه لا قرابة ولا عهداً؛ لأن طبيعتهم العدوان.

يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن السبب والعلة والمبررات التي تدعوا إلى نقض العهود والمواثيق بينهم وبين المسلمين، وهي عدم مراعاة القرابة والعهد في أي مؤمن، وكذلك طبيعتهم التي انطبعوا عليها وهي العدوان على المؤمنين وعلى غيرهم.

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝١١﴾ فإن تابوا ورجعوا إلى الله سبحانه وتعالى وعملوا الأعمال الصالحة فهم من جملتكم أيها المؤمنون لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم.

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ۝١٢﴾[2] إذا نقض العهود أولئك الذين

---

(١)-**سؤال:** كيف أخبر عن اسم «إن» بقوله: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٩﴾؟

الجواب: لا مانع من وقوع الإنشاء خبراً للمبتدأ ونحوه، نحو: زيد أبو من؟ وصاحب من؟ وهذا مع أن الإنشاء في هذه الآية مؤول أي: أنهم مذمومة أعمالهم أو مذمومون.

(٢)-**سؤال:** ما هو الطعن في الدين؟ وما وجه إظهار: ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ بدلاً عن الإضمار: فقاتلوهم؟

الجواب: الطعن في الدين هو عيبه والقدح فيه، وإشاعة الشبه وترويجها ونحو ذلك؛ فالطعن هنا =

قد عاهدوا العهود وأبرموها وحلفوا عليها- فقد أبيح لكم أيها المسلمون قتلهم وقتالهم، فما داموا قد نكثوا فلا وفاء لهم، فقاتلوهم حتى لا يعودوا إلى نقض أي عهد مرة ثانية.

﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ يحث الله سبحانه وتعالى المسلمين على قتال الذين ينكثون عهودهم.

ومعنى الاستفهام(١): الاستنكار عليهم في عدم مقاتلتهم للمشركين، كأن المسلمين كانوا متقاعسين عن مقاتلتهم.

﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ وقد سبق منهم سوابق ومنها أنهم هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة أو قتله، لولا أنه هرب وهاجر من بين أيديهم.

﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(٢) فقاتلوهم لأنهم قد بدأوا قتالكم من قبل، وذلك أن قريشاً قد خرجت في بدر إلى قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن معه- تريد إبادتهم واستئصالهم.

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا يقعدون عن قتالهم؟ هل ذلك عن خوف منهم؟

هو بالقول. وعبر بقوله: «أئمة الكفر» بدلاً عن الضمير لذمهم، وليستدعي المؤمنين إلى الجد في قتالهم والاندفاع إلى قتلهم.

(١)-**سؤال:** وهل يصح أن يحمل على أنها «ألا» الاستفتاحية؟

الجواب: هي محتملة للوجهين، فيجوز أن تكون الهمزة للاستفهام الإنكاري و«لا» نافية. ويصح أن تكون «ألا» للاستفتاح والتنبيه.

(٢)-**سؤال:** هل هذا الحث على قتالهم تهيئة لغزوة أحد أم لا؟

الجواب: نزلت السورة قبيل فتح مكة بعد بدر وأحد وبعد صلح الحديبية وذلك لحثهم على قتال قريش الذين نكثوا العهد بقتال خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ[1] إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝١٣﴾ فأطيعوا الله سبحانه وتعالى فهو أحق لأنه الأقوى والأعظم من قريش، إن كنتم مؤمنين حقاً.

﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بقتال المشركين؛ لأنه يريد أن ينزل عليهم العذاب بأيديكم أيها المؤمنون.

﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ ويريد الله سبحانه وتعالى أن يلحق بهم الخزي والذلة في الدنيا.

﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ۝١٤﴾ ويريد أن ينصركم عليهم؛ فإذا قاتلتموهم فسيعذبهم الله سبحانه وتعالى بأيديكم ويخزيهم في الدنيا وينصركم أيها المؤمنون، ويذهب غيظ أولئك الذين قد لحقهم أذى وقهر من المشركين فإذا رأوا عدوهم مقهورين أذلاء فستنشرح قلوبهم.

﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾[2] إذا قتلتم المشركين سيذهب الغيظ الذي في قلوبهم مع موتهم؛ لأنهم ما داموا أحياءً فسيمكثون على أذيتكم وخيانتكم وقتالكم؛ لأن قلوبهم مليئة بالغيظ على الإسلام وأهله.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝١٥﴾ من تاب من المشركين ورجع إلى الله فسيتوب الله عليه ويقبلهم فهو تعالى عالم بعواقب الأمور ومصائرها.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ۝١٦﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ الإعرابي؟

الجواب: «أن تخشوه» في محل جر بـ«باء» محذوفة، أو نصب بنزع الخافض.

(٢)-**سؤال:** وهل يصح أن يحمل الضمير على المسلمين في قوله: ﴿قُلُوبِهِمْ﴾؟ ويكون المراد إذهاب غيظ المؤمنين بقتل واستئصال المشركين أم لا يصح؟

الجواب: نعم يصح أن يكون الضمير للمسلمين أي: يذهب غيظ قلوب المؤمنين بقتل عدوهم، إلا أن قبل الجملة ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ۝١٤﴾ وقد قالوا: إن التأسيس خير من التأكيد؛ لذلك حمل على ذهاب غيظ قلوب المشركين إما بقتلهم أو دخولهم في الإسلام.

سبحانه وتعالى المؤمنين أنه لا يصح أن يترككم على هذه الحالة حتى يختبركم ويمتحنكم ويبتليكم بالجهاد؛ لأجل أن يظهر كل واحد، ويتميز الخبيث من الطيب، ولتتبين مراتبهم ومنازلهم في الإيمان من خلال ذلك؛ فالمؤمن الصادق سيثبت وسيصبر.

لأن حكمة الله سبحانه وتعالى قد اقتضت أن يتميز صادق الإيمان من غيره، وسوف يظهر أولئك الذين كانوا لا يزالون على صلاتهم مع المشركين، وعلاقاتهم لا زالت وثيقة بهم.

والمراد بـ﴿وَلِيجَةً﴾ هي الطريق التي يدخلون منها إليهم، فبالحرب سيظهر أولئك الذين لا زالت لهم طريق إلى المشركين، ومصالح تربطهم بهم، فهم قد أسلموا، ولكنهم قد استبقوا لهم خط رجعة يرجعون منها إليهم إذا احتاجوهم، وهؤلاء هم المنافقون، وأما المؤمنون المخلصون فقد قطعوا كل العلائق مع المشركين.

وأما الله سبحانه وتعالى فهو عالم بهم وبأعمالهم، ومطلع على ضمائرهم، ولكن حكمته اقتضت ألا يعاقب أحداً إلا بعد أن يظهر ذلك المرض الذي في باطنه، فلأجل ذلك يبتليه ويختبره؛ فمن خلال ذلك سيظهر المرض الذي بداخله.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ۝١٧﴾ يستحث الله سبحانه وتعالى المؤمنين هنا على قتال المشركين، فقال: إنه لا ينبغي أن يسيطر المشركون على المسجد الحرام، ولا أن يعمروه بمعاصيهم، والمفروض أن المؤمنين هم الذين يسيطرون عليه ويعمرونه بالصلوات وبذكر الله سبحانه وتعالى وبعبادته.

فما ينبغي لهم ذلك وهم شاهدون، ومصرحون على أنفسهم بالكفر، وذلك بعبادتهم الأصنام؛ لأن عبادتها تعتبر إعلاناً وتصريحاً بالكفر.

وأعمال البر التي يعملها المشركون لن تقبل منهم، ولن يثيبهم الله سبحانه وتعالى عليها كسقاية الحاج، وإطعامهم وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف، وإيواء الجار،

ونصرة من استنصر بهم، وقد كانوا يتنافسون في مكارم الأخلاق، ويتبارون فيها، فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية الكريمة أن أعمالهم الخيرية هذه ستذهب هباءً منثوراً، ولن يتقبلها منهم، وإنما جزاؤهم نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَـٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ١٨﴾ الله سبحانه وتعالىٰ لم يحكم بعمارة المسجد الحرام[1] إلا لهؤلاء المذكورين في هذه الآية، فهم

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية التعميم والجمع فمن أين يظهر لنا التخصيص بالمسجد الحرام؟

الجواب: ظهر ذلك من حيث أن الخطاب مع المشركين ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ...﴾ وليس حينئذ للمشركين إلا المسجد الحرام، ثم بين في الآية التالية: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ فهذه الآية تبين المقصود المراد في آية: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ...﴾ فالآيات الثلاث هي للرد على المشركين الذين يفخرون بأنهم أهل الله وعمار بيته الحرام.

سؤال: قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ما المراد بهذه الخشية فقد يفهم أكثر العوام أن خوف المؤمن أحياناً من عدو متمكن أو أخذ الحيطة والحذر منه تنافي هذه الخصلة؟

الجواب: الخشية والخوف طبيعة في الإنسان على العموم، ومعنى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ لم يطع إلا الله، ولما كانت الخشية والخوف سبباً باعثاً على الطاعة سمى الطاعة خشية تسمية مجازية، من إطلاق اسم السبب على المسبب، فالمؤمن يخاف الله ويخشاه، وتعرض له مخاوف من الظالمين ومن الأعداء ومن غيرهم، إلا أنه مهما تبالغ فيه الخوف وتمكنت فيه الخشية لا يعصي الله من أجل ذلك، ولا يترك دينه للخوف، بل يثبت على طاعة الله ودينه، أما الذي يدخل في معاصي الله ليرضي الظالم ويترك دينه خوفاً وخشية من ظلمه فقد ظلم نفسه واختل إيمانه؛ لأن المؤمن لا يخشى إلا الله. **هذا**، وكل المؤمنين يخافون من المخاوف ويخشونها وهكذا الناس جميعاً بمقتضى بشريتهم وطبيعتهم التي طبعهم الله عليها، ولا يخل ذلك بإيمان المؤمن، ولا ينقص من إيمانه.

الذين يستحقون أن يعمروها باستحقاق منه، ولم يجعل ولاية بيته الحرام إلا لأهل هذه الصفات.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿١٩﴾﴾ كان المشركون يزعمون أنهم أفضل من المؤمنين، ويذكرون مفاخرهم التي يستحقون الفضل لأجلها، كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام التي هي سدانته والولاية عليه، والسدانة هي: تولي فتح الكعبة وكنسها وتنظيفها؛ فأنكر الله تعالى زعمهم ذلك، وأخبرنا بأنهم ليسوا من الفضل في شيء، وأن الفضل عند الله هو لمن آمن بالله واليوم الآخر، وجاهد في سبيل الله(١).

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴿٢٠﴾﴾ فهؤلاء هم الذين ظفروا بثواب الله سبحانه وتعالى، وفازوا به، واستحقوا الدرجات الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، وأما أولئك الذين يتفاخرون بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام- فلا حظ لهم ولا نصيب في ثواب الله ورحمته، وأولئك هم الخاسرون(٢).

---

(١)-**سؤال:** ما صحة القول بأن هذه الآية نزلت في المفاضلة بين العباس بعد إسلامه وعلي بن أبي طالب عليه السلام؟ وإذا صح فهل سينقض كونها في المشركين؟

الجواب: العباس عليه السلام وإن كان مسلماً في سره وهواه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يظهر إسلامه إلا يوم الفتح، ولا خلاف أنه من الطلقاء في الجملة، وإذا ذكر أهل الإيمان في القرآن وأهل الجهاد فعلي عليه السلام هو أول المرادين؛ فمن هنا كان عليه السلام طرفاً في هذه المفاضلة، وذكر السقاية يدل على أن العباس رضي الله عنه طرف آخر في هذه المفاضلة، إلا أن من المحتمل أن العباس لم يدخل في المفاخرة والمفاضلة بنفسه، ويكون غيره من قريش هو الذي تصدر للمفاخرة والمفاضلة بناء على أن مفخرة السدانة والسقاية والمسجد الحرام مفخرة لقريش عموماً.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن لهم حظاً ونصيباً في ثواب الله إلا أن المؤمنين المجاهدين أعظم =

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ يبشر الله أولئك الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، ويعدهم برحمة عظيمة، ورضوان كبير منه.

﴿وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝٢١﴾ نعيم دائم لا ينقطع ولا ينتهي.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٢٢﴾ لأولئك المؤمنين بالله سبحانه وتعالى المجاهدين في سبيله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝٢٣﴾(١) فاقطعوا

ثواباً منهم، فكيف؟

الجواب: سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وسدانته شرف وفضل عند الله إلا أن شرف الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله أعظم وأفضل من شرف السقاية والعمارة والسدانة؛ لنقصان ذلك بالشرك والكفر، فهو شرف وفضل زائل منقطع، ونحو هذا الفضل ما روي أن ابنة حاتم الطائي ذكرت أباها عند رسول الله ﷺ فقال: ((لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه)) أو كما قال، وفي حديث: ((خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام))، وفي حديث أن بعض الصحابة ذكر لرسول الله ﷺ أنه كان يعمل أعمال بر وخير في الجاهلية فقال ﷺ: ((أسلمت على ما أسلفت)) أو كما قال؛ فيدل ذلك على فضل وشرف عمل الخير والبر في الجاهلية، فإن أسلم كتب له في الإسلام، وإن لم يسلم انقطع، فأفعل التفضيل «أعظم درجة» ليس على بابه، فلا مشاركة بين الفريقين في الفضل.

(١)-**سؤال:** من فضلكم قد يلتبس معنى الولاية المأمور بتركها من المؤمنين لقراباتهم الكافرين وكذا المنافقين، فلو وضحتموها؟ وأيضاً توضحوا ما الذي يجوز في معاملة هؤلاء مما ظاهره الموالاة وليس بموالاة؟

الجواب: المحبة القلبية والرحمة والشفقة للمشرك ليست من الولاية المنهي عنها؛ لأن المحبة القلبية للولد ونحوه طبيعة فطرية لا يمكن المرء أن يتخلص منها، والأمر والنهي الشرعي إنما يتعلق بالأفعال والأقوال الاختيارية، فأي قول أو فعل يكون فيه إدخال مضرة على =

أيها المؤمنون ما بينكم وبين آبائكم وإخوانكم من صلات وعادوهم في الله سبحانه وتعالى، ولا تواصلوهم وتخبروهم بأسرار النبي ﷺ، وأسرار الإسلام والمسلمين، واتركوا مناصحتهم ومخالطتهم، ما داموا على الكفر والشرك، ومن تولاهم أو نصح لهم فهو من الخاسرين.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ كان في المسلمين منافقون ضعيفو الإيمان، وكانوا يميلون بمحبتهم ومناصحتهم إلى أقربائهم المشركين وعشائرهم الكافرة من أجل سلامة أموالهم وتجاراتهم، وسلامة مساكنهم وأولادهم، أي من أجل ألا يتعرض لها المشركون، ويتركون طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، ويتركون الجهاد في سبيل الله؛ فأخبر الله تعالى هؤلاء المنافقين بسوء اختيارهم، وأنه قد أرصد لهم عذابه على عملهم ذلك، وهو واقع بهم، فلينتظروه.

والمراد بالكساد في الآية: بوار التجارة وعدم نفاقها وعدم رغبة الناس فيها، أو قلة المشترين والراغبين فيها.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المسلمين عدم مواصلتهم للجهاد مع علمهم بأنه قد نصرهم في أكثر المواطن التي تقدمت، وهذه عادة الله وسنته فيكم فقد نصركم فيما مضى، وسينصركم فيما يستقبل فلماذا

المؤمنين فهو منهي عنه، وهو الولاية المنهي عنها، فإن لم تكن مضرة فلا مانع؛ بدليل ثناء الله على إطعام أسير المشركين، وقوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة]، فيجوز الإحسان والبر إلى المشرك المسالم؛ لأنه لا يحصل ضرر على المسلمين من ذلك بخلاف المحارب.

تتباطؤون عن الجهاد، وتتكاسلون عنه.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وكذلك نصركم في غزوة حنين، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حالتهم في ذلك اليوم، وأنهم أعجبوا بكثرتهم(١)، وأنهم أظهروا ذلك الإعجاب وتحدثوا به، وكانوا نحواً من اثني عشر ألف مقاتل، فعندما رأوا كثرتهم هذه اغتروا بها، وظنوا أنه لن يستطيع أحد أن يغلبهم، وقد انضم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للقتال ألفان من الذين أسلموا من مكة بعد فتحها، وكانوا قبل ذلك عشرة آلاف مقاتل؛ فلما رأوا ما بهم من الكثرة أعجبوا بأنفسهم، وداخلهم الغرور والخيلاء(٢).

---

(١)-**سؤال:** يقال: قد يحصل للمؤمن سرور عندما يرى كثرة المؤمنين في مواطن الحرب وهم محقون، فهل هذا السرور هو الإعجاب الذي عوقبوا بسببه؟

الجواب: السرور بكثرة المؤمنين في مواطن الحرب ليس بإعجاب؛ فالإعجاب الذي عوقبوا بسببه هو ثقتهم بالكثرة واعتمادهم عليها، ونسوا أن يعتمدوا على الله وعلى نصره والثقة به، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الأنفال:١٠]، وليس بالكثرة، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ۝٢٤٩﴾ [البقرة].

سؤال: وما هو معنى الإعجاب بالطاعات؟ وهل نفهم أن للعجب معنيين أم كيف؟

الجواب: الإعجاب له معنى واحد، وإنما يتغير معناه بتغير متعلَّقه؛ فإعجاب المسلمين بكثرتهم في يوم حنين هو كإعجاب المرء بكثرة أعماله الصالحة.

(٢)-**سؤال:** وأيضاً قد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي دجانة وقد مشى متبختراً: ((إن هذه لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن)) يعني المعركة، فكيف مع ظاهر هذه الآية؟

الجواب: المفروض أن يظهر المؤمنون أمام عدوهم القوة وعدم المبالاة بهم، وأن لا يظهر منهم ما يدل على التهيب من ملاقاة العدو ومواجهته، وما ظهر من أبي دجانة هو من هذا الباب، والإعجاب أمر آخر غير هذا، وقد رتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة المسلمين وفوَّجهم أفواجاً، وأمر العباس أن يوقف أبا سفيان على طريقهم، والقصة مشهورة، وليس ذلك من =

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ(١) ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴿٢٥﴾﴾ فلم تنفعكم كثرتكم هذه التي أعجبتم بها، ففررتم هاربين حتى أن الأرض لم تسعكم من شدة الخوف والجبن حال هروبكم.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بقي قلة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثابتين معه، لا يتجاوزون العشرة منهم علي والعباس والحارث بن المطلب وأيمن ابن أم أيمن، وهو من الموالي، ومن كان مع النبي من عبيده يحرسونه، ويضربون بسيوفهم يذودون عنه؛ فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حفنة من تراب فألقاه في أوجه المشركين وعند ذلك أنزل الله سبحانه وتعالى نصره على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والثابتين معه فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم العباس بأن ينادي في الأنصار: يا أهل بيعة الشجرة ويا أهل بيعة كذا، وكان العباس جهوري الصوت حتى قيل عنه إن الحبلى كانت إذا سمعت صوته أخدجت وسقط ما في بطنها من شدة صوته، وعندما ناداهم رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ، ولكن لم يرجعوا إلا بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى نصره.

والسكينة هي الطمأنينة في القلب أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي والذين ثبتوا معه.

الإعجاب، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه في عمرة القضاء: ((رحم الله امرأً أراهم اليوم من نفسه قوة))، والإعجاب هو كما ذكرنا أولاً.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ ومعناها؟

الجواب: الباء حرف جر، و«ما» مصدرية، و«رحبت» فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل ضمير مستتر عائد على الأرض، و«ما رحبت» في تأويل مصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من «الأرض» أي: حال كونها متلبسة برحبها أي: مع رحبها (سعتها). ومعناها: أن الأرض ضاقت على المسلمين يوم حنين من شدة الخوف الذي لحقهم من المشركين حتى رأوا أن الأرض الوسيعة وإن أوغلوا في الهروب فيها لا تنجيهم من المشركين.

﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهي الملائكة، ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ۝٢٦﴾ عذب الله سبحانه وتعالى الكافرين بالقتل، وجعله جزاءً لهم على كفرهم.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٢٧﴾(١) وهم أهل الطائف الذين خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لغزوهم وقتالهم في حنين، وقد هزم الله سبحانه وتعالى الكافرين، وعذبهم بالقتل على أيدي المسلمين وبالأسر لنسائهم وتغنم أموالهم، وأما بعضهم فقد أتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك وأسلموا عنده فتاب الله عليهم، وأما من بقي على تكبره وإصراره فلن يغفر الله سبحانه وتعالى له.

---

(١)-**سؤال:** هل في هذه الآية دليل على أنه قد حسن إسلام المتأخرين من المسلمين سواء في حنين أم في فتح مكة أم كيف؟

الجواب: فيها دليل على أن الله تعالى سيتوب على التائبين من أهل حنين؛ لأن الآية فيهم وغيرهم مثلهم، وليس فيها دليل على أنه قد حسن إسلام كل المسلمين من أهل الطائف أو من غيرهم كمسلمة الفتح، ومن أسلم بعدهم فقريش عن بكرة أبيها تنكرت لعلي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحاربته في يوم الجمل وصفين مع معاوية إلا قلة قليلة تعد بالأصابع، وقد كان علي عليه السلام يكثر التشكي منهم كقوله عليه السلام كما في نهج البلاغة: (ما لي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين، وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم)، وقوله عليه السلام كما في نهج البلاغة: (اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي... إلخ)، وقوله: (فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي)، وقال عليه السلام في ذكر حالته بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم). اهـ من نهج البلاغة.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ[(١)] فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ وكان هذا الحكم عليهم بعد أن نادى أمير المؤمنين بالبراءة من المشركين ونقض ما بينهم من العهود، وكانت في السنة العاشرة، قال بعد أن قرأ عليهم براءة: ألا لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومنعهم عن ذلك.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٢٨﴾ إن خفتم على تجاراتكم من النقص والضعف عند منع المشركين من الحج أو انقطاع تجارات المشركين عنكم- فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى هو الرزاق، وسيفتح لكم باب رزق من غيرهم؛ وكأن المسلمين اغتموا لذلك وخافوا على تجاراتهم وأرزاقهم، فأزال الله ذلك الخوف بوعده لهم بالغنى من فضله الواسع. والعيلة في اللغة: الفقر وهي مصدر عالَ يعِيلُ.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ۝٢٩﴾ ثم بعد الانتهاء من أمر المشركين أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بقتال اليهود والنصارى إلى أن يخضعوا لهم ويعطوا الجزية ويكونوا تحت رحمتهم، صاغرين ذليلين مقهورين، أو يؤمنوا.

فبعد أن فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيبر ودخلها صالحه أهلها على أن يبقوا في أرضهم على أن يصلحوا أموالها وأن يعطوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصف ما تغله، فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك: على أنا متى شئنا أن نرحلكم منها رحلناكم، فمكثوا على

---

(١)-**سؤال:** هل نجاستهم معنوية أم حسية؟

الجواب: قد قيل: إنها نجاسة حسية، وقيل: إنها نجاسة معنوية، والآية محتملة للأمرين، والأقرب أنها نجاسة معنوية؛ إذ لا يوجد أثر عليهم للنجاسة الحسية فهم كغيرهم.

ذلك الصلح، ولم يخرجوا منها إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرجهم عمر إلى الشام، كما فعل مثل هذا بغيرهم من أهل الكتاب.

والمراد بـ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ۝٢٩﴾: هو أن يدفعوا الجزية عداً ونقداً لا أجل فيها ولا مهلة، ومع ذلك يؤدونها وهم صاغرون، وذلك بأن يمسك المسلمون الذمي بتلابيبه إلى صندوق دفع الجزية حتى يضع ما في يده، ويكون ذلك في رأس كل سنة: الفقير يعطي اثني عشر درهماً، ومتوسط الحال أربعة وعشرين، والغني ثمانية وأربعين درهماً، وليست إلا على الرجال الذين يستطيعون حمل السلاح، أما النساء والصبيان وكبار السن الذين لا يستطيعون القتال فلا شيء عليهم[1].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ[2] وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ

---

(١)-**سؤال:** فضلاً من أين فُهِم أن النساء وكبار السن لا جزية عليهم؟

الجواب: يؤخذ ذلك من حيث أن صيغة «قاتلوا» صيغة مشاركة، أي: أن كل طرف يقاتل الطرف الآخر، والنساء وكبار السن لا يقاتلون.

(٢)-**سؤال:** من هو عزيرٌ هذا؟ وما معنى بنوته لله في زعمهم؟

الجواب: عزير : هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، ذكر ذلك في المصابيح عن الإمام الناصر بن الهادي عليهما السلام، فلما بعثه الله تعالى من موته أتى بني إسرائيل وقال لهم: إنه عزير؛ فأنكروه، ثم إنه أملى على بني إسرائيل التوراة كما أنزلها الله، فاستعظموه وغلوا في تعظيمه حتى قالوا: إنه ابن الله. ويحتمل قول اليهود: «عزير ابن الله» وجهين اثنين:

١- البنوة الحقيقية أي: كبنوة عيسى عند النصارى، ويؤيد هذا جمعهما هنا في سلك واحد وحكم واحد.

٢- بنوة مجازية كالبنوة التي ادعتها اليهود والنصارى في قوله تعالى: **﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ..﴾** [المائدة:١٨]، فلم يريدوا بقولهم هذا إلا أن لهم عند الله تعالى منزلة رفيعة، وكرامة عالية، وشرفاً كبيراً، من دون الناس

=

﴿قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ قول اختلقوه من عند أنفسهم، ولا أصل له في الصحة، وليس إلا كذباً وافتراءً.

﴿يُضَاهِئُونَ(١) قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾(٢) ادعت اليهود والنصارى بنوة عزير وعيسى عليه السلام لله سبحانه وتعالى ودعواهم هذه الباطلة مشابهة لقول الذين كفروا من قبلهم.

﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴿٣٠﴾﴾ قاتلهم الله: أي لعنهم الله، فكيف يصرف هؤلاء عن الحق والتوراة والإنجيل بين أيديهم فيهما حكم الله، وفيهما الهدى والنور، ويذهبون إلى تلك الأقوال التي تؤدي إلى الكفر والبهتان العظيم، وما هو الذي صرفهم عن الهدى والنور الذي بين أيديهم؟

يُعَجِّبُ الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هنا من شدة كفرهم بالله سبحانه وتعالى وتمردهم، بالرغم من وجود التوراة والإنجيل بين أيديهم.

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن اليهود والنصارى بأنهم جعلوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً لهم من دون الله، والمراد بهذا أنهم كانوا يمتثلون لما أمروهم به، وينتهون عما نهوهم عنه،

جميعاً، وهذا القول لا يوجب الكفر، وهو بمنزلة قول المشركين من أهل مكة: نحن آل الله؛ لذلك يكون القول الأول هو الأقرب إلى الصحة والله أعلم.

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُضَاهِئُونَ﴾؟

الجواب: محلها النصب حال من الضمير في «قولهم» أو من القول، والعائد محذوف أي: «يضاهئون به».

(٢)- **سؤال:** من هم هؤلاء الذين كفروا من قبل؟ وما وجه المشابهة بين قول اليهود والنصارى وقولهم؟

الجواب: هم عبدة الأصنام الذين قالوا: إن الملائكة بنات الله، أو يكون المراد أن قول النصارى في عيسى يضاهي قول اليهود في عزير، ووجه المشابهة ادعاء البنوة لله.

حتى ولو أدى ذلك إلى معصية الله سبحانه وتعالى، وجعلوا أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه وراء ظهورهم.

والأحبار هم علماء اليهود، والرهبان هم علماء النصارى، وأخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم قد اتخذوا المسيح ابن مريم إلهاً.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لم يأمرهم الله سبحانه وتعالى في التوراة والإنجيل وعلى ألسنة أنبيائهم إلا بعبادته وحده، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا يستحق الربوبية إلا هو ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ۝٣١﴾ تقدس وتنزه عن الآلهة التي يدعون أنها شركاء لله سبحانه وتعالى.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ[1] وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۝٣٢﴾ يريد أهل الكتاب أن يمحوا ما أنزل الله سبحانه وتعالى، ويبدلوه بأكاذيبهم وحيلهم ومكرهم؛ وقد كانوا أهل دهاء ومكر شديدين، وكانوا أصحاب سياسة، ومن مكرهم ودهائهم أنهم لم يحملوا سلاحاً في أغلب أحوالهم ضد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، ولم يفكروا بحرب الإسلام بسيوفهم مع كثرتهم وقوتهم وعدتهم وعتادهم وغنائهم وتجارتهم، ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر:١٤]، وإنما كانوا يدبرون للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الحيل، ويكيدونه من حيث لا يشعر ويحيكون المؤامرات لإطفاء الإسلام، وإبطال نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويدخلون الشبه على المسلمين، ولكن الله سبحانه وتعالى قد وعد بأن يبطل حيلهم وشبههم هذه ومؤامراتهم، وأن يظهر دينه على كل الأديان على رغم أنوف اليهود والنصارى والمشركين.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾؟ وكيف صح الاستثناء: ﴿إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾؟

الجواب: المعنى: لم يرض الله إلا أن يتم نوره، أو لم يرد الله إلا أن يتم نوره. وصح الاستثناء لأن «يأبى» بمعنى: لم يرد، فالاستثناء على المعنى.

﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ۝٣٣﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدين الحق ليظهره على جميع الأديان التي كانت سائدةً في الأرض، ويكون دينه هو الدين السائد عليها، والمهيمن عليها، والناسخ لها؛ فهذا هو الغرض من إرساله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أن كثيراً من أحبار اليهود ورهبان النصارى يأكلون أموال الناس رشوة على تحريف التوراة والإنجيل، وأنهم يضلون الناس عن الدين الذي أنزله الله سبحانه وتعالى في كتبهم؛ يحذر الله سبحانه وتعالى المسلمين في هذه الآية ألا يعملوا عمل اليهود والنصارى.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإذا أراد أحد أن يؤمن منعوه عن الإيمان وقالوا له إن محمدا هذا ليس إلا ساحراً وكذاباً وأنه ليس ذلك النبي الذي بشرت به التوراة والإنجيل وأوصافه لا تنطبق على الأوصاف التي ذكرت فيها.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣٤﴾ أي: الذين لا يخرجون زكاتها فهم من أهل وعيد الله بعذاب جهنم(٢).

---

(١)-**سؤال:** هل يفهم من الآية أن قليلاً منهم لا يأكلون أموال الناس بالباطل؟

الجواب: قد كان كثير منهم يأكلون أموال الناس بالباطل، وكثير غيرهم لم يتهيأ لهم أكل أموال الناس بالباطل، ولم يرد هنا تزكية من لم يأكل منهم أموال الناس بالباطل.

(٢)-**سؤال:** لماذا عبَّر الله عن إخراج الزكاة بالإنفاق في سبيله؟

الجواب: المراد بسبيل الله المواضع التي أمر الله بوضعها فيها، وهي المصارف المعروفة، وقد قيل: إن سبيل الله قد نقل في الشرع إلى القتال لإعلاء كلمة الله وما يتصل بذلك، ولكن ذلك لا يمنع من استعماله في معناه قبل النقل، وإنما حملناه على المعنى العام للدليل الدال على مصارف الزكاة.

فإن قيل: هل يدخل في هذا الوعيد كل من خزن أمواله؟

فإنه يجاب عليه: بأن الوعيد هذا ليس إلا لمن لا يخرج زكاة ماله، وأما ما دام قد أخرج زكاته فلا بأس عليه ولا ضير، ولو كنز القناطير المقنطرة وخزنها(١).

﴿يَوْمَ يُحْمَى(٢) عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ سوف يحمي الله سبحانه وتعالى الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها، ولا يؤدون حق الله فيها، ثم يعذبهم بها؛ فإذا عرف أنه يعذب بذلك المال الذي كان يخزنه ويدخره- فإن ذلك سيزيده حسرة وندماً في نفسه.

﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ۝٣٥﴾ فذوقوا عذاب ما كنزتموه(٣).

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ(٤) خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يريد الله سبحانه وتعالى بهذه الشهور- الشهور القمرية، فهي اثنا عشر شهراً منذ أن خلق السموات والأرض.

---

(١)-**سؤال:** وهل يشترط أيضاً أن لا يكتنزها تكاثراً أو تفاخراً أو نحو ذلك؟

الجواب: نعم بشرط عدم نية التكاثر والتفاخر.

(٢)-**سؤال:** علام نصب «يوم» في قوله: ﴿يَوْمَ يُحْمَى﴾؟

الجواب: نصب بـ«اذكر» محذوفاً، أو بمحذوف صفة لعذاب في قوله: ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝٣٤﴾ أي: كائن في يوم يحمى.

(٣)-**سؤال:** هل تريدون أنه على حذف مضاف تقديره: عذاب ما كنتم؟

الجواب: نعم ذلك هو المراد بدليل: ﴿فَذُوقُوا...﴾، وقوله: «هذا ما كنزتم» مثله.

(٤)-**سؤال:** «يوم» ظرف لماذا؟ أو ما هو العامل فيه النصب؟

الجواب: العامل في «يوم» النصب هو متعلق الجار والمجرور ﴿فِي كِتَابِ﴾ فإن: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ صفة لـ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ أي: كائنة في كتاب الله يوم...

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ بين هذه الاثني عشر شهراً أربعة أشهر حرم يحرم عليكم القتال فيهن، وهي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم.

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الالتزام بحرمة هذه الأشهر الحرم هو الدين الحق، فلا تنتهكوا حرمة هذه الأشهر، ومن انتهكها فقد ظلم نفسه؛ لأنه جرَّ عليها سخط الله ونقمته.

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴿٣٦﴾﴾ وأما المشركون فقاتلوهم ولو في هذه الأشهر إن قاتلوكم فيها(١)؛ لأنهم سيقاتلونكم فيها لو تمكنوا، ولن يرقبوا فيكم إلًّا ولا ذمة، ولأن قتالكم لهم ليس إلا دفعاً لشرهم

(١)-**سؤال:** قد يقال: من أين استفيد أنهم يقاتلونهم ولو في الأشهر الحرم؟ فظاهر قوله: ﴿كَافَّةً﴾ حال من واو الجماعة (الفاعل) أي: مجتمعين؟

الجواب: قد تقدم في أوائل هذه السورة وصف المشركين بقوله: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴿١٠﴾﴾، وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ...﴾ فيدل ذلك أن المشركين في حالة قتال وحرب على النبي ﷺ والمسلمين، لا يصرفهم عن حربهم وجدهم حرمة عهد، ولا حرمة الشهر الحرام، وأن صفة عدوانهم على النبي ﷺ والمؤمنين وحرمة الشهر الحرام والبلد الحرام صفة ثابتة دائمة لهم، ولا يخفى أن رد العدوان جائز على الإطلاق، في الشهر الحرام والبلد الحرام وفي غيرهما، فمن هنا قلنا بقتال المشركين في الأشهر الحرم وفي غيرها، وقد قال علماؤنا بجواز قتل الصائل في الحرم ولو آدمياً، وقالوا بجواز قتل الفواسق على الإطلاق، وذلك لما طبعت عليه من صفة العدوان والإفساد، وقد وصف الله تعالى المشركين بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴿١٠﴾﴾، فيدل ذلك أنهم قد بلغوا في العدوان مدىً بعيداً، وأنهم صاروا في صفة العدوانية عَلَماً يعرفون به، ويتميزون به من دون الناس، فهذا ما دعانا إلى القول بقتال المشركين ولو في الشهر الحرام. وهذا بالنسبة للمشركين الذين نزلت فيهم تلك الآيات ثم من كان على شاكلتهم من الكافرين، أما من لم يكن على صفتهم من الكافرين فلا يكون حكمه حكمهم، والله أعلم.

ودفاعاً عن أنفسكم، وأما هم فمصرون على قتلكم وقتالكم واستئصالكم في أي وقت تمكنوا من ذلك، غير مراعين لحرمة وقت ولا مكان، ولا حرمة عهد ولا ميثاق، فقاتلوهم فالله معكم ما دمتم متقين لمعاصيه وسينصركم ويؤيدكم.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الأشهر الحرم هي أربعة: رجب وذو القعدة وذو الحجة ومحرم، **والنسيء**: هو تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر؛ فإذا دخل رجب مثلاً وهم في حرب استحلوا حرمته وحرموا مكانه شهر شعبان، وهكذا في ذي القعدة وذي الحجة ومحرم؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن فعلهم هذا إنما هو زيادة في كفرهم وتمردهم وعصيانهم.

﴿يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضل المشركون وتوغلوا في الضلال بسبب صنيعهم هذا، فأضلوا أتباعهم(١).

﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ هكذا من تلقاء أنفسهم يستحلون حرمته في هذه السنة، وإذا جاءت السنة الأخرى يجعلونه حراماً بسبب تلاعبهم بالأشهر الحرم.

﴿لِيُوَاطِئُوا(٢) عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ يفعلون ذلك لأجل قضاء أربعة أشهر في السنة بدل التي ضيعوها ظناً منهم أنهم إذا فعلوا كذلك فقد راعوا حرمتها.

﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾(٣) يرون صنيعهم

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: هذا التفسير موافق لقراءة نافع، وأما على قراءة حفص فظاهره أن الذين كفروا وقع عليهم الضلال من غيرهم لأن الفعل مغير صيغة، فكيف؟

الجواب: وقع عليهم الحكم بالضلال من الله بسبب النسيء، فالإضلال بمعنى الحكم والتسمية.

(٢)-**سؤال:** ما هي المواطأة المذكورة في الآية؟

الجواب: هي الموافقة يقال: واطأت فلاناً على كذا إذا وافقته عليه.

(٣)-**سؤال:** ما هو الهدى الذي نفاه الله سبحانه عن الكافرين؟

الجواب: هو التوفيق والتسديد والتنوير. وأما الهدى الذي بمعنى الدلالة فهو هدى عام يعطيه الله تعالى للكافرين وغيرهم، والذي بمعنى التنوير والتوفيق خاص بالمؤمنين المستجيبين لربهم يعطيهم الله تعالى ثواباً على استجابتهم وإيمانهم وتواضعهم لربهم وتذللهم له.

هذا الذي زينه لهم الشيطان حسناً، وهم يظنون أنهم بهذا في خير العمل، وأنه عمل بر يرضاه الله سبحانه وتعالى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾(١) يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين: ما لكم إذا دعاكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخروج للجهاد معه في سبيل الله تباطأتم عن الخروج معه، وتقاعدتم عنه، مؤثرين لمتاع الدنيا الفانية بين نسائكم وأولادكم وأموالكم وتجاراتكم، وكان هذا في آخر غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي غزوة تبوك(٢).

﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾(٣) استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم تثاقلهم عن الخروج، وإيثارهم لمتاع الدنيا الفانية على الدار الآخرة الباقية.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٣٨﴾ فكيف تؤثرونها وليست شيئاً بالنسبة للحياة الآخرة.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ إذا لم تنفروا عند دعاء النبي لكم للخروج معه في سبيل الله، وتهبُّوا للقيام معه- فسوف يلحق بكم العذاب الأليم في الدنيا بأن يسلط عليكم عدواً أو ينزل بكم نقمة من عنده، يكون فيها هلاككم؛ وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد

---

(١)-**سؤال:** ما وجه تعبير الباري سبحانه عن التباطؤ بالتثاقل إلى الأرض؟

الجواب: «اثاقلتم» أي: تثاقلتم بمعنى: تباطأتم، إلا أنه ضمنه معنى الميل، فعدي بـ«إلى» أي: ملتم إلى متاع الأرض وزينتها.

(٢)-**سؤال:** من أين يمكن لنا أن نأخذ الخصوصية في هذه الغزوة؟

الجواب: يؤخذ ذلك من السياق فهو في غزوة تبوك، وقد شدد الله تعالى فيها بوجوب الخروج في سبيل الله للجهاد على كل مكلف إلا أهل الأعذار.

(٣)-**سؤال:** ما معنى «من» في قوله: «من الآخرة»؟

الجواب: «من» هي بمعنى «بدل» أي: بدل الآخرة.

دعاهم في هذه الغزوة غزوة تبوك، وتوعدهم على القعود، وكانوا كثرة فهددهم الله هنا بأنهم إن لم يقوموا للجهاد في سبيله ونصرة دينه فسوف يعذبهم ويهلكهم بعذاب ينزله بهم من جنس ذلك العذاب[(١)] الذي عذب به أولئك الكافرين الذين كذبوا بأنبيائهم، وكفروا بهم، كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح، وأخبرهم الله سبحانه وتعالى أنهم بتقاعدهم لن يضروه شيئاً، وسيبدلهم برجال غيرهم ينصرون دينه.

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ إن لم تنصروا نبيكم أيها المسلمون وتقاعدتم عن نصرته، ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾[(٢)] فسوف ينصره الله سبحانه وتعالى كما نصره من قبل حين كان وحيداً ليس معه أحد إلا أبو بكر، وذلك عند خروجه من مكة مهاجراً من بين أيدي المشركين.

﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نجاه الله سبحانه وتعالى من المشركين مع أنهم قد وقفوا على باب الغار ليس بينهم وبينه إلا بضعة أقدام، حتى قال أبو بكر: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا، مع أن هذا الغار ليس بالواسع حتى يختبئوا فيه بحيث لا يراهم أحد، بل إنه من الصغر بحيث لو نظر الناظر من بابه لأبصر جميع ما فيه، ومع هذا فقد حفظه الله سبحانه وتعالى من المشركين مع أنهم قد وصلوا عنده، وقد خاف أبو بكر خوفاً شديداً فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما.

فإذا لم تنصروه أيها المؤمنون فسينصره الله سبحانه وتعالى كما قد نصره من قبل، ولن يخذل نبيه.

---

(١)-**سؤال:** من أين نستفيد هذا؟

الجواب: نستفيد من ذكره للعذاب الأليم، واستبدالهم بغيرهم، فمجموع هذين الأمرين يشير إلى أنه عذاب من جنس العذاب الذي عذب به الأمم الكافرة من قبل.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾؟

الجواب: «ثاني اثنين» حال من مفعول «أخرجه».

﴿إِذْ[1] يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ حزن أبو بكر وتملكه الخوف وأيقن بالهلاك، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واثقاً بالله سبحانه وتعالى: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟ فلا تخف ولا تحزن فهو معنا ولن يخذلنا.

﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾[2] جعل الله سبحانه وتعالى في قلب نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطمأنينة فلم يخف، ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ يحرسونه في طريق الهجرة، ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ[3] اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٤٠﴾﴾ رجع

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «إذ» وما العامل فيها في المواضع الثلاثة؟

الجواب: «إذ» الأولى ظرف زمان لـ«نصره الله»، و«إذ» الثانية بدل من الأولى، والثالثة بدل أيضاً.

(٢)-**سؤال:** وهل يصح أن يحمل الضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ على أبي بكر لأنه هو الذي بحاجة السكينة والطمأنينة من أجل الخوف الذي اعتراه؟

الجواب: لا يصح أن يعود الضمير على «صاحبه»؛ لأن السياق في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والضمائر راجعة إليه: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ﴾، فضمير «أيده» يعود للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يدع أحد أن الضمير لأبي بكر فيلزم أن يكون الضمير الذي قبله مثله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإلا حصل خلل وتنافر، وقد جاء في آية: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح:٢٦]، وفي آية: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦]، فمن أبعد البعيد أن ينزل الله سكينته في هذه الآية على أبي بكر دون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولى بالسكينة لأنه المقصود بالقتل والإخراج والحبس من قريش دون أبي بكر، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المكلف بتبليغ الرسالة ومواجهة قريش والعرب وهو الغرض المطلوب لإسكاته وإسكات دعوته، فإذا قتلوه قتلوا الإسلام، أما أبو بكر فلا غرض لهم في قتله ولا فائدة لهم من إزهاق روحه، وإنما عرض له الخوف بسبب مصاحبته للغرض المقصود بالقتل.

(٣)-**سؤال:** ما المراد بالكلمة في قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ هل الرأي أو الحال والشأن؟ ولماذا لم يعطف قوله: ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ على ﴿كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

الجواب: المراد بكلمة الله دينه وحجته، ولم يعطف «وكلمة الله هي العليا» ليفيد أن علو كلمة الله ثابت مستمر من قبل ومن بعد، ولو عطف لفهم أن علو كلمة الله حصل بعد أن لم يكن.

المشركون خائبين مهزومين، ونجى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وهذا نصر من الله سبحانه وتعالى عندما ينجي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من بينهم وقد وصلوا عنده، ثم أكمل طريقه إلى أن وصل المدينة.

وعزيز معناه: غالب، وحكيم معناه: أن أفعاله كلها حكمة ومصلحة.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يخرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك، فكانوا متباطئين عن الخروج معه، وصادف هذا أن كان الوقت شديد الحر، والثمرة قد أقبلت؛ فكان أهل الإيمان الضعيف يعتذرون عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالخروج جميعا غنيهم وفقيرهم، مشغولين أو غير مشغولين، وهو المراد بقوله ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكل خارج يتحمل نفقة نفسه، ويحمل دابته معه، وإذا كان له مركوب زائد؛ فإنه يعيره غيره إذا أراد ذلك، وهذا في هذه الغزوة، وأما بقية الغزوات فلم يشدد عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما كان يجعل ذلك لمن كان في سعة وكان له رغبة في الخروج، وفي هذه الغزوة استدعى الحال خروجهم جميعاً؛ لأنه كان إلى الروم، وكانوا أهل كثرة وقوة، وكان لهم دولة قوية(١).

---

(١)-**سؤال:** هل يؤخذ من هذا أن الجهاد فرض كفاية، وأنه إنما كان فرض عين في غزوة تبوك؛ جمعاً بين الأدلة؟ وإذا قيل بأن ظاهر استدلال أئمتنا بهذه الآية والآية المتقدمة: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ وجوبه على جميع المكلفين حتى استدل عبدالله بن الحسين أخو الهادي بهذه الآيات على نسخ قوله: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴿٧١﴾﴾ [النساء]، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: الذي يظهر لي -والله أعلم- أن المقصود من الجهاد إعلاء كلمة الله أي: إظهار دينه وإظهار أحكام دينه، وما يلحق بذلك من حراسة الدين وأهله، وما كان كذلك فمن شأنه أن يكون من فروض الكفايات؛ فإذ اجنَّد المسلمون ما يكفي من الجنود في هذا السبيل سقط الوجوب عن الباقين، وهذا مع أن الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

=

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن خروجهم لو كان لغنيمة يتغنمونها- لخرجوا جميعا أو كان سفرا متوسطاً، ولكنهم تثاقلوا في خروجهم هذا لبعد المسافة إلى مقصدهم، وكانت غزوتهم هذه تبعد مسيرة شهر، سبعمائة كيلومتر من المدينة تقريباً، مع شدة الحر في طريقهم.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾(٢) سوف يأتي هؤلاء

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ [آل عمران:١٠٤]، هذا في الجملة، وهناك تفاصيل:

- منها أن يأمر إمام المسلمين أهل ولايته بالجهاد، فيكون حينئذ فرض عين، وتماماً كما حصل في غزوة تبوك فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر المسلمين بالخروج جميعاً، وكان المسلمون يومئذ قلة قليلة.
- إذا هجم العدو بلاد المسلمين وجب على أهل البلد جميعاً أن يردوهم ويقاتلوهم، وهذا إن لم يمكن ردهم إلا بتعاونهم جميعاً، كما حصل يوم الخندق.
- تختلف الحالات فبعض الغزوات تستدعي تجييش مائة مقاتل، وبعضها خمسين، وبعضها ألفاً و..إلخ، ومن العبث أن نجيش ألف مقاتل للغزوة التي يكفي فيها خمسين أو مائة، كأن يكون العدو الذي يراد غزوه عشرة أو عشرين، فمن هنا لا يصح أن يقال: إن الجهاد فرض عين على الإطلاق، ولا فرض كفاية على الإطلاق، إلا أنه في الأصل فرض كفاية لما ذكرنا سابقاً.

ولا داعي ولا موجب للقول بالنسخ في آيات الجهاد فأمره إلى الوالي، ولا شك أنه سيأمر بطلب الجهاد على حسب الحاجة.

(١)-**سؤال:** ما وجه التعبير عن بُعْدِ المسافة ببعد الشقة؟

الجواب: الشقة: هي المسافة الشاطة الشاقة، فكلمة الشقة تفيد هذا المعنى، فلو جاء بلفظ المسافة للزم أن يقول: المسافة البعيدة الشاقة، فظهر بهذا أن كلمة الشقة أحسن لما فيها من الإيجاز.

(٢)-**سؤال:** من أي ناحية استدل أصحابنا بهذه الآية على أن للعبد اختياراً وقدرة في أفعاله؟

الجواب: استدلوا بها من تكذيب الله تعالى للمتخلفين حين قالوا: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا﴾ بقوله: ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿٤٢﴾﴾، ولو كان الحال كما تقوله المجبرة لكانوا صادقين في اعتذارهم بعدم الاستطاعة.

المتخلفون عن الغزو إلى رسول الله ﷺ معتذرين إليه، وسيحلفون بأنهم لو تمكنوا من الخروج لخرجوا، يطلع الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ على أن أعذارهم هذه كاذبة، وأيمانهم التي يحلفونها أيمان فاجرة.

﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾(١) بأيمانهم هذه وعصيانهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ۝٤٢﴾ في اعتذارهم هذا، وكان الله سبحانه وتعالى قد أطلع نبيه ﷺ على ذلك قبل أن يقع.

وفي خروجهم هذا أسر المسلمون بعض ملوكهم، ووقع الصلح مع بعضهم؛ لأن بلاد الروم كانت دويلات يحكمها مجموعة من الملوك تحت قيادة القيصر.

وقد اكتسب النبي ﷺ والإسلام في هذا الخروج هيبة وعزاً عند أولئك القوم، مع أنه لم تحصل مواجهة معهم.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ۝٤٣﴾ بعد رجوع النبي ﷺ من غزوة تبوك، وبعد أن وصل إلى المدينة، عندها أقبل إليه هؤلاء المتخلفون يعتذرون له- فقبل أعذارهم، وعفا عنهم؛ فعاتبه الله سبحانه وتعالى على قبوله أعذارهم.

وقد يكون اعتذارهم هذا قبل أن يخرج إلى تبوك حين عزم على الخروج وبدأ يعد له ويجمع الناس، فجعلوا يعتذرون له حينئذ فيقبل أعذارهم، فعاتبه الله سبحانه وتعالى على ذلك، وأخبره أنه كان من المفترض ألا يقبل لهم عذراً، حتى يتبين أهل الأعذار الكاذبة من الأعذار الصادقة.

﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ۝٤٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾؟

الجواب: جملة «يهلكون» لا محل لها استئنافية، وقد تكون في محل نصب حالاً من فاعل يحلفون.

المؤمنين بالله واليوم الآخر لن يأتوه مستأذنين في القعود كما يفعل أولئك، وسيخرجون للجهاد معك، ولن يتخلفوا تحت أي ظرف(١).

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴿٤٥﴾﴾(٢) وهم المنافقون الذين في قلوبهم مرض، وهم مرتابون في صحة نبوتك يا محمد، ولا زالوا على شك في الإسلام، فهؤلاء هم الذين سيختلقون الأعذار الكاذبة عندما يستأذنونك في القعود؛ لئلا يخرجوا معك.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ ولكنهم لم يريدوا أن يخرجوا من أول الأمر، وليس لهم نية في الخروج.

---

(١)-**سؤال:** هل تقصدون أن قوله: ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ على تقدير محذوفين أي: في أن لا يجاهدوا؟

الجواب: المعنى مبني على ذلك التقدير، أي: لا يستأذنونك في التخلف عن الجهاد إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون، هذا هو المعنى المقصود.

(٢)-**سؤال:** قد يفهم بعض الناس التعارض بين هذه الآية وآية النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ [النور:٦٢]، فكيف الجمع بينهما؟

الجواب: موضوع آية التوبة غير موضوع آية النور، فآية التوبة هي في الاستئذان في التخلف عن الجهاد بعد الأمر العام بالجهاد، وآية النور هي في الاستئذان من بعض من يكون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اجتماع هام للذهاب لغرض أو حاجة ثم يعود، وإنما قلنا ذلك لأن من شأن المؤمن أن لا يترك الجهاد، ولا يستأذن في ترك الجهاد، بل إنه يشق عليه أن يؤمر بترك الجهاد ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [التوبة:٩٢]، وقد اشتهر أنه كبر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حين أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ووجد في نفسه، فراجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأخيراً قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحديث المشهور الذي رواه البخاري في صحيحه: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، والقصة مشهورة.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾(١) فالله سبحانه وتعالى كاره لأن يخرجوا مع نبيه ﷺ، وأن ينضموا مع جيشه، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ لم يوفقهم للخروج، ولم يجعل لهم ألطافاً ودواعي للخروج مع النبي ﷺ.

﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴿٤٦﴾﴾ فقعدوا مع العجزة والنساء والصبيان في البيوت بسبب ما هم فيه من الشك في نبوة محمد ﷺ وفي دين الإسلام.

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنهم لو خرجوا معكم لما كان في خروجهم أي فائدة لكم، بل إن خروجهم معكم يكون سبباً للفساد.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ ولأسرعوا في إفساد ذات بينكم، والمراد بالخلال: هو المكان الذي يتسع بين الشيئين، أراد الله سبحانه وتعالى أنهم يستغلون أي فرصة

---

(١)-**سؤال:** قد يقول أهل الجبر هذا من أعظم الأدلة على أن ليس لهم اختيار في عدم الخروج خصوصاً مع الاستدراك بالكراهة من الباري تعالى، فكيف يجاب عليهم؟

الجواب: في أول الآية: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ دليل واضح على أن للمكلف إرادة يختار بها، والتثبيط ليس جبراً بل ولا شبهة جبر، فإنه يقال: فلان ثبط فلاناً عن كذا وكذا، بمعنى: زين له ترك ذلك العمل لا غير، وهذا واضح.

سؤال: يفسر أصحابنا كراهة الباري لأفعالنا بنهينا عن الأفعال التي كرهها، فهل يتمشى هذا مع: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ وكيف؟ أم أن الكراهة هنا بمعنى آخر فما هو هذا المعنى؟ وهل يؤخذ من الآية أن الإرادة متقدمة على المراد إذا قلنا إن معنى الآية: كره الله أن يوفقهم سبحانه للخروج؟

الجواب: كراهة الباري هي كراهة فسادهم لا كراهة انبعاثهم، هذا هو المراد في الأصل بدليل: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، وعلى هذا فيكون «كره الله انبعاثهم» متمشياً مع تفسير أصحابنا، ويؤخذ من هنا أن الإرادة متقدمة على الفعل.

للإفساد، فإذا رأوا مجموعة يتحدثون دخلوا بينهم يشككون عليهم، ويلقون الشبه والكلام الباطل، محاولين لإفسادهم بأي طريقة استطاعوا.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾(١) يريدونكم أن تفتتنوا عن دينكم، وترجعوا إلى الكفر مثلهم.

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾(٢) فإذا خرجوا معكم سعوا في الإفساد فيما بينكم، وفيكم أيها المؤمنون من سيصغي إلى حديثهم ويفتتن به لضعف إيمانه.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ۝٤٧﴾ فهو عالم بمن هو منافق، ومن هو مؤمن، وعالم بما يصلحكم وما يفسدكم.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ۝٤٨﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن حال هؤلاء الذين قعدوا عن الخروج، وأنهم ليسوا إلا أهل فتنة وفساد، وأنهم قد فعلوا ذلك فيما مضى من محاولة إبطال دعوتك، وطمس دينك، وزرع الفرقة بين المؤمنين، وقد اتخذوا شتى(٣) الوسائل

(١)-**سؤال:** ما موضع جملة: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ من الإعراب؟

الجواب: موضع الجملة النصب على الحالية، وقد يصح أن تعرب مستأنفة لبيان العلة لما قبلها فلا يكون لها محل من الإعراب.

سؤال: الظاهر أن «يبغي» يتعدى لمفعول واحد بنفسه وبحرف الجر للمفعول الثاني، فكيف تعدى هنا بنفسه إلى المفعولين؟

الجواب: ضمن «يبغونكم الفتنة» معنى: يلبسونكم الفتنة، فتعدى إلى مفعولين، وقيل -كما في مفاتيح الغيب-: إن ابغني وابغ لي سواء؛ لذلك فيبغونكم ويبغون لكم سواء.

(٢)-**سؤال:** هل الجملة: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ﴾ حالية؟

الجواب: الجملة حالية من مفعول «يبغونكم» أو من فاعله.

(٣)-**سؤال:** ما معنى تقليب الأمور؟ وكيف نفهم قربه من «اتخاذ شتى الوسائل»؟

الجواب: تقليب الأمور: هو البحث عن وسيلة يتوصلون بها لقتلك أو إبطال أمرك، وهو مأخوذ من تقليب الشيء للبحث عن شيء ضاع، فمرة تقلبه لظهره، وأخرى لبطنه ولجنبه، فلعل وعسى...؛ فما فسرنا به هو شرح وتوضيح لذلك.

في إفساد أمرك، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ قد أظهر دينه علىٰ رغم أنوفهم وهم كارهون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴿٤٩﴾﴾ كثر المنافقون في المدينة، وذلك بعد أن انضم إليهم منافقو قريش بعد فتح مكة، وقد أصبح لهم كيان في المدينة، وصاروا أهل صولة وجولة، لولا تأييد الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ بنصره لقضوا علىٰ الإسلام والمسلمين.

وفي هذه الآية أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن من المنافقين وهو الجد بن قيس من يعتذر إليه بأنه سيفتتن ببنات الروم إن هو خرج، فأخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن هذا المعتذر بالفتنة قد سقط في الفتنة وقت اعتذاره هذا بمعصيته لله ورسوله في عدم الخروج.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴿٤٩﴾﴾ وعيد من الله سبحانه وتعالىٰ لهؤلاء المتخلفين بأنهم من أهل جهنم في جملة الكافرين.

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ إذا انتصرت وظفرت بعدوك وغنمت أموالهم استاء المنافقون من ذلك واغتموا.

﴿وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ إذا حصل عليك نكسة أو هزيمة وظفر العدو بكم وانتصر عليكم: ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ يقول المنافقون لكم: هذا ما كنا نتوقعه وقد حسبناه؛ فلذا لم نخرج معكم، وإنّ هذا الأمر قد تدبرناه، وتدبرنا عواقبه، ورأينا أن المصلحة في عدم الخروج.

﴿وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴿٥٠﴾﴾ في عدم خروجهم مع النبي ﷺ، وأن هذا كان من حسن التدبير والسياسة.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن يجيب علىٰ المنافقين بأنه لن يصيبنا إلا ما قد كتبه الله لنا، فهو ولينا وناصرنا، ومعنىٰ ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ هو: ما علم أنه سينالنا ويلحقنا إذا استجبنا لأمره في جهاد عدوه وعدو دينه، وقد علم المؤمنون أنه لا بد أن يلحقهم إذا

جاهدوا وقاتلوا المشركين قتل وجرح فرضوا بذلك طمعاً في ثواب الله العظيم الذي وعده المجاهدين وباعوا نفوسهم من الله باختيارهم وإرادتهم، ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ...**﴾ [التوبة:١١١]، فلا حجة في ذلك للمجبرة.

﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴿٥١﴾**﴾ فقد توكلنا عليه، وفوضنا أمورنا إليه وخرجنا؛ فما لحقنا فهو شيء قد كتبه الله علينا لمصلحة يعلمها لنا.

﴿**قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ**﴾ كان المنافقون يقولون: إن الدين هذا ليس إلا رياحاً هبت وسرعان ما ستنجلي، يُصَبِّرُ بعضُهم بعضا بأن الدين هذا سيذهب وسينتهي، وما هو إلا عاصفة عصفت سرعان ما تنتهي، وسيرجع كل شيء إلى ما كان عليه.

وكانوا منتظرين متى ستأتي على المسلمين نكسة، وينتهي الدين، وينتهي الإسلام، ظانين أن دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لن تتم أبداً، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول لهم: لستم منتظرين لنا إلا إحدى اثنتين: إما أن نقتل في سبيل الله فنفوز عنده بالنعيم الدائم في جنات النعيم، وإما النصر والظفر بالعدو، وكل ذلك خصلة حسنة مرغوب فيها.

﴿**وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴿٥٢﴾**﴾[1] وبأن يقول لهم: أما نحن فمنتظرون لكم أحد أمرين ينزلهما الله بكم: إما أن ينزل بكم ساخطة من السماء تهلككم، أو أن الله سبحانه وتعالى يسلطنا عليكم فنقتلكم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه منتظرين لأمر الله في شأن المنافقين وقتالهم، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حتى

---

(١)- **سؤال:** ما هو المعنى اللائق لصيغة الأمر: «فتربصوا»؟

الجواب: أي: انتظروا مجيء وقت. أفاده الراغب الأصفهاني. أي: انتظروا إنا منتظرون.

مات، وذلك لأنهم كانوا يتسترون بالإسلام، ولم يظهروا كفرهم، وإذا ظهر منهم شيء ذهبوا يعتذرون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما دام الأمر كذلك ودين الله سبحانه وتعالى هو الظاهر فهذا هو المطلوب عند الله سبحانه وتعالى، فيعاملون معاملة المسلمين في التناكح والتوارث، ويقبرون في مقابر المسلمين، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي عليهم قبل أن يأمره الله سبحانه وتعالى بترك الصلاة عليهم، وقد فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك مع عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وقد كفنه في ثوبه، وصلى عليه، ووقف على قبره إلى أن انتهى الدفن، ثم نزلت بعد ذلك الآية التي تنهاه عن الصلاة على المنافقين، قال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [التوبة:٨٤]، فلم يصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك على من ظهر نفاقه أو علم صلى الله عليه وآله وسلم أنه منافق، أما من خفي نفاقه ولم يعرفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فحكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه، وفي الحديث: ((نحن نعمل بالظاهر)).

وفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع عبد الله بن أبي كان مكافأة له على معروف صنعه معه عندما أسر عمه العباس في غزوة بدر، وكان ضخم الجسم ولم يجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم له ثوباً ليكسيه إياه؛ فخلع عندها عبدالله بن أبي ثوبه وألبسه إياه، فلما مات عبدالله بن أبي كفنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبه مكافأة له، وليتألف ولده عبدالله بن عبد الله بن أبي لأنه كان من الصالحين، وليتألف قومه لأنهم إذا رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعامل كبيرهم هذه المعاملة الحسنة استجلبهم لطاعته وسلم من شرهم.

ففي هذا دليل على جواز معاملة المنافقين المعاملة الحسنة، وحسن الخلق معهم، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ذهب ليزور أناسا فصادف عبد الله بن أبي مع جماعته في جانب الطريق جالسين، فانعطف النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريقه إليهم؛ فسلم عليهم وقرأ عليهم شيئاً من القرآن، روى هذه القصة ابن إسحاق وهي في الروض الأنف، فهذا يدل على أنه يجوز معاملتهم المعاملة الطيبة، وأما أن يكون ذلك لأجل نفاقه أو فسقه ففي

هذا معصية لله ولرسوله، وكذلك النصح له ومعاونته على ما هو عليه من النفاق فذلك لا يجوز.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ۝٥٣﴾[1] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المنافقين بأن الله سبحانه وتعالى لن يقبل منهم نفقاتهم من الزكاة أو غيرها.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ۝٥٤﴾[2] فهذا هو الذي

---

(١)-**سؤال:** هل في الآية دليل قوي على الإحباط حين عللها بالفسق؟

الجواب: نعم فيها دليل على أن الفسق محبط للأعمال الصالحة، والمراد بالفسق ما توعد الله عليه بنار جهنم كالكفر، والنفاق، وقتل النفس المحرمة، والفرار من الزحف، والزنا، والربا، وموالاة أعداء الله، ومعاداة أولياء الله، ونحو ذلك مما توعد الله عليه بالنار، أو عَظَّمَ أمرَهُ في القرآن.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب المصدر: ﴿أَنْ تُقْبَلَ﴾؟ وأين فاعل: ﴿مَنَعَهُمْ﴾؟ وما محل جملة: ﴿وَهُمْ كُسَالَى﴾؟

الجواب: «أن تقبل» في محل جر بـ«من» مقدرة، وفاعل «منعهم» المصدر الواقع بعد «إلا»، وجملة «وهم كسالى» في محل نصب حال من فاعل يأتون.

سؤال: يقال: هل يدخل المسلم في هذا الوعيد عندما يقوم لبعض صلاته وهو كسول عنها، أو يحس من نفسه بتعب وسأم عنها لولا خشية العقوبة لتركها؟

الجواب: لا يدخل المؤمن في ذلك الذم والوعيد ولو قام إلى الصلاة وفيه فتور وسأم وتعب وهم من الوضوء والصلاة فما شيء من طاعة الله إلا ويأتي في كره، وحفت الجنة بالمكاره، وسمي التكليف تكليفاً لما فيه من المشقة والتعب، وذكر الله المؤمنين في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى۝٤١﴾ [النازعات]، أما المنافقون فقد بين الله تعالى الوجه في كسلهم بقوله في آية النساء: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا۝١٤٢﴾ [النساء]، فالمنافق يصلي من أجل أن يراه الناس، ولا يذكرون الله إلا بألسنتهم أمام الناس بخلاف =

منع من قبول نفقاتهم، وهو كفرهم بالله ورسوله ﷺ، وكذلك إذا قاموا للصلاة فقيامهم ليس لأجل إرضاء الله سبحانه وتعالى، وإنما لأجل أن ينافقوا بها، وكذلك لا يخرجون الزكاة عن طيب خاطر وقناعة بوجوبها عليهم، وإنما يؤدونها على كراهة منهم، وليتظاهروا بالإسلام؛ لأنهم إن رفضوا ذلك وامتنعوا عن الصلاة والزكاة- قتلهم المسلمون، وصار لهم حكم الكفار وهم لا يريدون ذلك؛ لأنه لا يؤديها بطيبة نفس إلا من هو راج لثوابها والجزاء عليها وهم المؤمنون، وأما هم فليسوا كذلك.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ كان المنافقون أهل أموال طائلة وأهل غنى وتجارات واسعة، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أن يستعظموا كثرة أموال المنافقين وكثرة أولادهم؛ لأن أموالهم هذه ليست إلا وبالاً عليهم في الدنيا لما يلحقهم من العناء والتعب عليها، وفي الحقيقة ليست إلا عذاباً وتنغيصاً عليهم في معيشتهم، وما هم فيه من الغنى ليس لكرامتهم عند الله سبحانه وتعالى، وإنما هو فتنة لهم، وعذاب يعذبهم الله به في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ۝٥٥﴾ والله سبحانه وتعالى يريد أن يعذبهم بها في حياتهم الدنيا بما يلحقهم عليها من التعب والعناء في المحافظة عليها وتنميتها وحراستها والسهر على حفظها، وما يتبع ذلك من الهم والغم والضيق والضنك و...إلخ.

﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ۝٥٥﴾ تكون الدنيا شغلهم الشاغل حتى يأتي عليهم الموت، وهم على هذه الحالة- فيموتوا وهم كافرون.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ يحلفون الأيمان الكاذبة أنهم

المؤمن فذكر الله على لسانه وقلبه فيندفع إلى طاعة الله بزاجر من ذكر الله المتمكن في قلبه فيطيع الله في سره وعلانيته وفي جميع أحواله في حال الصحة وحال المرض وحال الراحة والتعب و.. إلخ، والمنافق لا يأتي الطاعة إلا أمام الناس فمن هنا لا يدخل المؤمن فيما ذكر.

مسلمون، ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ۝٥٦﴾ فإظهارهم للإسلام وتظاهرهم به ليس إلا جبناً وخوفاً على أنفسهم من القتل.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا[1] لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ۝٥٧﴾ لو يجدون مكاناً يفرون إليه أو مغارات يدخلون فيها حتى لا تروهم أو مكاناً يدخلونه هربوا منكم إليه- ليظهروا كفرهم ونفاقهم فيه، وليفصحوا عما في قلوبهم، ولكنهم لم يجدوا ذلك حتى يفروا إليه.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ۝٥٧﴾ يعني: يسرعون سرعة يتساقطون معها من شدة الجري.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي ومن المنافقين من يعيب ويطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخذه للزكاة، ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ۝٥٨﴾ إن أعطاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الزكاة ارتاحوا إليه ومدحوه، وإن لم يعطهم منها، فإنهم يسبونه ويتنقصونه ويستهزؤون بالدين وبالمؤمنين.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ[2] سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ۝٥٩﴾ لو كانوا مثل المؤمنين المخلصين في إيمانهم إن أعطاهم الله سبحانه وتعالى شيئاً قبلوه وهم راضون قل أم كثر، وقنعوا بذلك، وبما قسم الله سبحانه وتعالى لهم، وكذلك لا يسخطون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن منعهم.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

---

(١)-**سؤال:** مم أخذ قوله: ﴿مُدَّخَلًا﴾؟

الجواب: «مدَّخلاً» اسم مكان من «ادَّخل» الخماسي، على وزن (مُفْتَعَل) بضم الميم وفتح العين.

(٢)-**سؤال:** ما معنى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾؟

الجواب: «حسب» مصدر بمعنى اسم الفاعل أي: محسبنا الله، أي: كافينا الله.

حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى المنافقين أن الصدقة ليست إلا لهؤلاء الأصناف خاصة بهم؛ فلا يصح أن يعطيكم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منها وأنتم أغنياء.

وهذه الصدقة حق واجب قد فرضها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء في أموال الأغنياء، وقد فرضها الله سبحانه وتعالى لهؤلاء بعلمه وحكمته، ولمصلحة جعلها فيهم، وقد ذكر الله تعالى هنا المصارف وعددها ثمانية:

١- الفقراء: والفقير في الشرع هو الذي لا يملك نصاباً زكوياً، والنصاب الزكوي الذي إذا ملكه المرء حرمت عليه الزكاة هو ستة عشر قرشاً فرانسي إلا ربع قرش تقريباً، ومن الذهب تسعة وستون جراماً إلا ثلث جرام، ومن الذرة أو الشعير أو البر سبعة وثلاثون قدحاً صعدياً ونصف قدح، ومن الغنم أربعون من الضأن أو من الماعز أو من كليهما، ومن البقر ثلاثون، ومن الإبل خمس؛ فمن ملك القدر الذي ذكرنا من أي نوع مما عددنا فلا تجوز له الزكاة ولا يحل له أخذها، أو ملك من أموال التجارة ما تساوي قيمته نصاباً مما عددنا، أو ملك شيئاً قيمته نصاب مما عددنا، إلا ما استثني، والذي يستثنى للفقير: بيت على قدر حاجته هو ومن يعيله ، ويكون على حسب ما يليق به، ففي صنعاء تبنى البيوت بالحجارة والياجور ، وفي صعدة بالطين والإسمنت، وفي البدو بالخيام و..إلخ، ويلحق بالبيت أثاثه وما لا بد منه، فإذا كان البيت كبيراً زائداً على قدر حاجته، أو كان زائداً في نفاسته وصناعته على بيوت الفقراء ، فلا تحل له الزكاة؛ لأنه حينئذ غني بالزيادة، ويستثنى للفقير سلاحه الشخصي: بندق، وجنبية، وكمية من المونة (الرصاص)، وعدد من القنابل

---

(١)-**سؤال:** علام نصب قوله: ﴿فَرِيضَةً﴾؟

الجواب: نصب على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة لأن معنى الجملة أن الله تعالى فرض الزكاة للأصناف المذكورة.

اليدوية، ويستثنى له مركوب يليق به ويكون على قدر حاجته إما سيارة غمارة أو غمارتين أو دباب، أو حمار، وإذا كان طالب علم فيستثنى له من الكتب ما يحتاجه للدرس والتدريس والمراجعة.

٢- والمسكين: هو أسوأ حالاً من الفقير، فالذي لا يملك بيتاً ولا مركوباً ولا سلاحاً ولا شيئاً مما ذكرنا يسمى مسكيناً، ويستثنى أيضاً للفقير الجوال؛ لشدة الحاجة إليه في هذا الزمان.

٣- والعاملون على جمع الزكاة من أرباب الأموال هم أحد مصارف الزكاة، ويشترط أن يكونوا فقراء، وإلا فلا يعطون منها، وتعطى أجورهم من غيرها، وهذا المصرف (العاملين عليها) أمرهم إلى ولاة المسلمين، فهم الذين يوظفونهم لجمع الزكاة، ويعطونهم منها أو من غيرها.

٤- والمؤلفة قلوبهم: هم الشخصيات المؤثرة في المجتمع، فقد أذن الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يعطيهم سهماً من الزكاة؛ ليجرهم بها إلى الدخول في الإسلام، أو ليسلم شرهم وشر أتباعهم ، وهذا المصرف أيضاً أمره إلى الولاة وليس إلى الرعايا.

٥- وفي الرقاب: والمراد العبيد الذين اتفقوا مع مواليهم على أن يدفعوا قدراً من المال مقسطاً على أقساط في كل وقت قسط، فإذا أوفوا بآخر قسط عتقوا وخرجوا من العبودية إلى الحرية، فهؤلاء أحد مصارف الزكاة؛ فيعطون منها لفك رقابهم، وهذا المصرف لا يوجد اليوم.

٦- والغارمين: هم الذين تحملوا الديون في غير معصية الله، أو قد تابوا وأنابوا وأصلحوا، فيعانون على قضاء ديونهم من الزكاة، ويصح أن يصرف في الغارم دفعة واحدة ما يسدد دينه ولو كثر وزاد على النصاب، فإذا كان على الفقير مليون أو نصف مليون ريال فيصح أن يعطى ذلك دفعة واحدة لسداد دينه، ثم إذا سدد يعطى أقل من النصاب لحاجاته وسداد خلته.

٧- وفي سبيل الله: وسبيل الله على المذهب المقرر هو مصالح المسلمين العامة، مثل الجهاد والمساجد والمدارس الدينية والإرشاد ونشر العلم وإصلاح الطرقات، وما أشبه ذلك من المصالح العامة للمسلمين، وإذا كان الفقراء محتاجين فيقدمون على سبيل الله، فلا يصرف في سبيل الله إلا بعد استغناء الفقراء والمساكين في بلد الصرف.

٨- وابن السبيل: هو المسافر الذي نفذت نفقته ولم يجد ما يستنفقه في سفره فيعطى من الزكاة ولو كان غنياً في بلده، ويعطى من الزكاة ما يبلغه إلى بلده.

﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ وبعض من المنافقين يلحقون الأذى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون إنه مسماع يصدق كل من تكلم عنده، يعنون بذلك أنه أبله وغير حاذق، وليس ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا لأخلاقه الرفيعة، وكرمه العظيم، ويستحيي أن يرد لأحد طلباً؛ فلذلك كان لا يرد أحداً قد جاء إليه معتذراً كائناً من كان ما دام يستطيع ذلك، وليس فيه ضرر على الدين.

وهو في الحقيقة لا يصدق كلامهم، وإنما كان يستمع لكلامهم إذا تكلموا عنده؛ لئلا ينفرهم فتمتلئ قلوبهم عليه وعلى الإسلام والمسلمين، فيؤدي ذلك إلى أن يقفوا في وجه دعوته.

﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يقول لهم: إنه أذن خير لهم، أي: أنه يسمع ما يقال له، فيغضي عن الشر ولا يؤاخذ عليه، ويتجاوز عما يسيئه ولا يتحدث به ولا يؤاخذ قائله، ولا يعمل بالوشاية، فسماعه كله خير للمسلمين جميعاً للمؤمنين والمنافقين، فهو يستمع لهم لأجل مصالحهم، ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يصدق بالله، ويصدق المؤمنين إذا تكلموا عنده بشيء، ﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ أراد بذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للذين آمنوا ولم يخلصوا في إيمانهم والمراد المنافقون، فهو رحمة لهم عندما يستمع إليهم، ويقبل أعذارهم؛ لأجل أن يستر عليهم، وأما التصديق فلا يصدق إلا المؤمنين، ولا يصدق إلا بالله، وسكوته عندما يعتذرون إليه ليس تصديقاً لهم وإنما رحمة بهم وستراً عليهم.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦١﴾﴾ يهددهم الله تعالى بأنه سيعذبهم على هذه الأذية التي يلحقونها بنبيه ﷺ، وهي ما ينسبون إليه من النقائص كمسماع وأبله، وغير ذلك.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ يأتي المنافقون إلى النبي ﷺ والمؤمنين، ويحلفون لهم بأنهم مؤمنون، وأنهم صادقون، وفي الحقيقة إنهم إنما يقولون ذلك لأجل إرضائهم.

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴿٦٢﴾﴾ والمفترض بهم أن يرضوا الله ورسوله، ويحرصوا على ذلك إن كانوا على ما يزعمون.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا[1] أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴿٦٣﴾﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم كيف لم يعلموا أنه من يعاد الله ورسوله فإن جزاءه نار جهنم خالداً فيها مخلداً، ويحادد بمعنى: يعادي.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم في أشد الحذر والخوف من ذلك مع أنهم كافرون بالنبي ﷺ، ومع اتهامهم له بالكذب والافتراء، ولكنهم خائفون أن ينزل الله سبحانه وتعالى على النبي ﷺ سورة تفضحهم.

﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴿٦٤﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يقول للمنافقين: افعلوا ما بدا لكم من استهزاء ومكر فالله سيفضحكم ويكشف أسراركم وأخباركم.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ بعد أن يفضحهم الله سبحانه وتعالى، ويطلع نبيه ﷺ على أسرارهم؛ فسيسألهم النبي ﷺ: ماذا

---

(١)-**سؤال:** هل يحتمل أنه استفهام تقريري نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴿١﴾﴾ [الشرح]؟

الجواب: يجوز أن تقول في هذا ونحوه: إنه استفهام تقريري واستفهام إنكاري؛ فالتقريري لما بعد النفي «يعلموا» والاستنكاري للنفي «لم يعلموا»، هكذا قالوا.

كنتم تفعلون؟ فيجيبون: إنما كان ذلك منا مزاحاً ولسنا جادين فيما نقول.

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ۝٦٥﴾ فيجيبهم النبي ﷺ: بل كنتم تستهزؤون بالله وآياته ورسوله(١)، يلقنه الله سبحانه وتعالى كيف يجيبهم.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ فلن يقبل لكم عذر ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾؛ لأن استهزاءكم بالله سبحانه وتعالى وبنبيه ﷺ كفر، ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ۝٦٦﴾ إذا عفا الله سبحانه وتعالى عن طائفة بعد أن يتوبوا ويحسن إيمانهم(٢) فهناك طائفة أخرى سيرفضون التوبة والإيمان ويمكثون على كفرهم، ولا بد أن يوقعهم الله سبحانه وتعالى في عذابه، وهذا وعيد لهذه الطائفة التي ترفض الإيمان والتوبة.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾(٣) طبيعة المنافقين واحدة ومبدأهم واحد وكلهم يأمرون بالمنكر ويفعلونه، وينهون عن المعروف، وطبيعتهم البخل في أموالهم فلا يؤدون زكاتها.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية الاستفهام فكيف؟

الجواب: الاستفهام للإنكار التوبيخي الذي هو واقع وفاعله ملوم، والدليل أنه واقع أول الآية: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ وأيضاً الآية التي تليها: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا...﴾.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد أن الطائفة المعفو عنها هي التي تتوب وتحسن؟

الجواب: نستفيد ذلك من تعليله لتعذيب الطائفة بالإجرام ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ۝٦٦﴾، فإن ذلك يشير إلى أن الطائفة المعفو عنها قد زال عنها صفة الإجرام بعد أن كانت الطائفتان مجرمتين جميعاً ؛ بدليل قوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾، ولا تزول صفة الكفر والإجرام إلا بالتوبة والرجوع إلى الله.

(٣)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، وجملة: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾؟

الجواب: جملة: «بعضهم من بعض» في محل رفع خبر المبتدأ «المنافقون والمنافقات..»، وجملة: «يأمرون بالمنكر...» لا محل لها من الإعراب؛ لأنها مستأنفة لبيان الروابط التي جمعت المنافقين وربطت بعضهم ببعض، ويجوز أن تكون الجملة في محل رفع خبر ثانٍ للمبتدأ.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم تركوا طاعة الله فحرمهم من رحمته وثوابه.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝٦٧﴾(١) فهؤلاء هم المنافقون، وهم المتمردون والخارجون عن حدود الله سبحانه وتعالى.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ فهذا جزاؤهم، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ۝٦٨﴾ فيكفيهم نار جهنم جزاءً على أعمالهم، فقد لعنهم الله سبحانه وتعالى وطردهم عن رحمته، فلا حظ لهم فيها ولا نصيب.

---

(١)-**سؤال:** يرد كثيراً تسمية المنافقين فاسقين، والكافرين فاسقين، ونحو ذلك، وهذا يشكك في ثبوت الحقائق الشرعية لهذه المسميات، وبذلك يختلط على الناظر خصوصاً مع عدم القرائن إذا قلنا إنه مجاز شرعي، فكيف الحل؟

الجواب: تسمية الكافر والمنافق باسم الفاسق تسمية غير مشككة لأنهما فاسقان وزيادة، واسم الفسق يعم الكافر والمنافق ومرتكب الكبيرة في الإسلام، وهذه الثلاثة الأسماء حقائق شرعية، وردت في القرآن لمعانٍ دينية خاصة، ثم إن أهل الشرع اصطلحوا بعد ذلك على استعمال كلمة «فاسق» في المسلم الذي يرتكب معصية كبيرة وخصوها به، فهي لذلك حقيقة اصطلاحية شرعية[١]، وقد كانت حقيقة دينية في الثلاثة الأصناف، والذي أحوج أهل الشرع إلى ذلك –في ظني– أن علماء الشريعة حين دونوا علم الفقه، وجمعوا أحكام الإسلام الشرعية، وميزوا بعضها عن بعض خصوا كلمة فاسق بالمسلم المرتكب للكبيرة دون غيره، وجمعوا الأحكام التي يستحقها وفصلوها وقالوا أحكام الفاسق هي.. إلخ، وأحكام الكافر هي.. إلخ، هذا ما ظهر لي، والله أعلم.

[١]- **ملاحظة**: يريد السائل هل ثبت تسمية من ارتكب كبيرة من الكبائر بالفسق من باب الحقيقة الشرعية الدينية لا الشرعية الاصطلاحية أم كيف؟

الجواب: نعم ثبت تسميته من باب الحقيقة الشرعية الدينية، وتخصيصه بتلك التسمية من باب الشرعية الاصطلاحية.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن صفة الكفار والمنافقين الذين كانوا علىٰ عهد النبي ﷺ فقال: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ فصفة[١] هؤلاء كصفة من سبقهم من الكفار.

﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ يعني أولئك الكفار السابقين قد استمتعوا في الدنيا بحظهم الذي قد أعطاهم الله سبحانه وتعالىٰ فيها من الأموال والأولاد والصحة والعافية، وقد اغتروا بما أعطاهم.

﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن المنافقين والكفار الذين في عهد النبي ﷺ بأنهم قد استمتعوا في الدنيا كما قد استمتع أولئك فيها ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ استمتعتم بما أعطاكم الله في الدنيا مثل ما استمتع أولئك، ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ خضتم في تكذيبكم واستهزائكم بنبيكم كما خاض أولئك السابقون في استهزائهم وتكذيبهم بأنبيائهم، وبما جاءوا به.

والمراد أن كلامهم فيما بينهم الذين يخوضون فيه لا يكون إلا حول الاستهزاء والتكذيب بأنبيائهم، وبما جاؤوهم به.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أعمال البر التي يصنعونها في الدنيا، وصنائع المعروف التي يفعلونها قد حبطت، وسلبوا جزاءها وثوابها الذي في الدنيا، وكذلك في الآخرة فقد خسروها.

وذلك لأن للكفار والمنافقين صنائع معروف يصنعونها في الدنيا من أعمال البر والمعروف كما ذكر في الحديث: ((إن القوم يكونون كفاراً فيتواصلون ويتباذلون فتنمو أموالهم، وتزكوا ثمارهم، وتغزر أنهارهم، وتنموا تجاراتهم))، فهذا هو الثواب الذي يستحقونه يعطيهم الله سبحانه وتعالىٰ إياه في الدنيا.

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن قوله: ﴿كالذين﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أنتم كالذين؟
الجواب: نعم هو خبر لمبتدأ محذوف.

وهؤلاء الذين هذه صفتهم قد خسروا الدنيا والآخرة، فلا ينالون شيئاً من ثواب الدنيا ولا من ثواب الآخرة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ استنكر الله[١] سبحانه وتعالى عليهم عدم اعتبارهم بما حل بمن مضى من هؤلاء جزاءً على أعمالهم وتكذيبهم حتى كأنهم لم يسمعوا ويعرفوا بقصصهم، وما مضى عليهم، والمؤتفكات: قرى قوم لوط عليه السلام، وائتفاكهن: انقلابهن، أي: المنقلبات التي جعل الله أعاليهن أسافلهن يقال: «أَفَكَه» إذا قلبه، وبابه (ضرب).

يحثهم الله سبحانه وتعالى على الاعتبار لينزجروا ويحذروا؛ لأن من رأى شخصاً وقع في مكروه أو مصيبة بسبب عمل عمله؛ فإنه سيتجنب أن يعمل مثل عمله خوفاً أن يحل به مثل ما حل بذلك الشخص.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فكذبوا بها واستهزئوا بها، فعذبهم الله سبحانه وتعالى جزاءً على ذلك.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧٠﴾ فقد اقتضت حكمته وعدالته أن يعذبهم، فتعذيبهم ليس ظلماً لهم؛ لأنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم وعنادهم وتمردهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ينصر بعضهم بعضاً، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾[٢] بعد أن

---

(١)-**سؤال:** وهل يصح أن يقال فيه استفهام تقريري؟

الجواب: يجوز أن يقال في هذا الاستفهام ونحوه: إنه تقريري أي: لما بعد النفي، واستنكاري للنفي، هكذا قال علماء الإعراب.

(٢)-**سؤال:** هل تدل الآية على أن من لم يتصف بهذه الصفات أو ببعضها فلا حظ له في رحمة الله تعالى؟ ومن أيِّ ناحية؟

الجواب: في الآية دليل على ذلك، وذلك من حيث أنه تعالى جعل رحمته لمن جمع بين تلك الصفات، =

ذكر الله سبحانه وتعالى صفات المنافقين ذكر صفات المؤمنين وأنهم على عكسهم تماماً؛ فسيدخلهم الله سبحانه وتعالى في رحمته وسيثيبهم جزاءً على أعمالهم هذه، فهو العزيز الغالب، والحكيم الذي من شأنه أن يضع كل شيء في موضعه، ويعطي ثوابه لمن يستحقه، وعقابه لمن يستحقه.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ(١) وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ(٢) ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

فمن لم يكن متصفاً بتلك الصفات أو ببعضها فليس له في هذا الوعد نصيب، ولا تعويل على قول من يقول: إن أهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم سيدخلون الجنة بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أو بعد تعذيبهم في النار على حسب ذنوبهم ؛ لأن قواطع النصوص القرآنية تزيف ذلك القول وترده، والقرآن هو أوثق الحبال وأقواها وأعظمها ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨﴾ [غافر]، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ...﴾ [النساء:٩٣]، والنصوص القرآنية في هذا الباب كثيرة. وقد رد الله تعالى على اليهود حين قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ فقال: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٠ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٨١﴾ [البقرة].

(١)-**سؤال:** ما وجه المخالفة بين: جنات عدن، وجنة الفردوس، وجنة النعيم، والمأوى، ونحو ذلك؟

الجواب: وجه مخالفة الصفات هو الترغيب والتشويق إلى طلب الجنة الموصوفة بتلك الصفات، فتارة يقول: جنات عدن؛ لعلمه أن المكلفين يرغبون ويتشوقون إلى الإقامة الدائمة التي لا موت فيها، وتارة يقول: جنات النعيم ليرغبهم بذكر النعيم؛ لعلمه أنهم يميلون إلى النعيم ويشتاقون له، وتارة يقول: جنة الفردوس؛ لعلمه أنهم يرغبون في الكرامة الرفيعة والمنازل العالية. وجنة المأوى هي -والله أعلم- الجنة التي تأوي إليها أرواح الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين في هذه الحياة الدنيا، وهي فوق السماء السابعة عند سدرة المنتهى، وليست من الجنان التي يزف إليها المتقون يوم القيامة.

(٢)-**سؤال:** ما وجه عدم عطف ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ على ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾؟

الجواب: لم يعطف «ورضوان من الله» على «جنات تجري..» لأن الرضوان داخل ضمن ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ وليس الرضوان

=

الْعَظِيمُ﴿٧٢﴾ يرغب الله سبحانه وتعالىٰ المؤمنين في هذه الآية أن يعملوا الأعمال الصالحة، وذلك بوعده لهم بأن جزاءها الجنة، وقد جعل الله سبحانه وتعالىٰ هذا الثواب ليرغبوا في طاعته، ويقبلوا عليها بجد واجتهاد، وإلا فالمفترض بكل امرئ أن يطيع الله سبحانه وتعالىٰ شكراً له علىٰ نعمه التي أنعم بها عليه كنعمة الخلق والرزق والعافية والأموال والأولاد، وحفظه من كل الأخطار التي تحيط به في كل وقت، فالواجب عليه أن يطيعه ولا يعصيه مقابل هذا الذي أعطاه ووهبه له من النعم؛ لأن شكر المنعم واجب، والمكافأة علىٰ الإحسان واجبة؛ فما دامت كل هذه الأشياء منه، وهو الذي وهبها فالمفروض مقابلتها بالإحسان، وهو الطاعة والانقياد حتىٰ ولو لم يكن ثواب أو عقاب.

وبعد كل هذه النعم حكم علىٰ من عصاه بأنه يعذبه سبحانه وتعالىٰ في نار جهنم خالداً فيها مخلدا.

وأكبر وأعظم من هذا الثواب هو رضا الله سبحانه وتعالىٰ، فما دام راضياً عنك فسيزيدك أكثر مما تستحقه، وسيجازيك علىٰ عملك أضعافاً مضاعفة.

﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿٧٣﴾ خاطب الله سبحانه وتعالىٰ نبيه محمداً ﷺ آمراً له

شيئاً آخر غير ما ذكر، ولو عطف الرضوان علىٰ جنات لأفاد أن الرضوان شيء آخر. **بيان ذلك:** أن الرضا والرضوان والسخط والغضب من صفات الله تعالىٰ، ومعنىٰ ذلك في حق الله: الثواب والعقاب، أو الحكم بذلك، فرضوان الله عن أهل الجنة هو إعطاؤهم نعيم الجنة الدائم وتخليدهم فيه، وغضب الله وسخطه علىٰ أهل النار هو تعذيبهم في دركاتها وتخليدهم في عذابها، ولا يجوز أن نصف الله جل وعلا بصفة الغضب الحقيقي الذي هو فوران دم القلب وغليانه، وانتفاخ الأوداج ؛ لأنه تعالىٰ متعال عن صفات المخلوق الضعيف ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وذكر قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مع أنه قد ذكر ضمناً فيما قبله ليفيد أن الله تعالىٰ سيزيدهم علىٰ ما ذكر من فضله أضعافاً مضاعفة ينعمهم فيها، وكبرها من حيث المضاعفة الدائمة لأسباب النعيم، والله أعلم.

بمجاهدة الكفار والمنافقين.

وفي سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه جاهد الكفار بالسيف وبالقرآن والوعظ والإرشاد والدعوة، وأما المنافقون فلم يذكر في سيرته أنه جاهدهم بالسيف، وإنما كان يجاهدهم بالوعظ والتذكير، وقد أمره الله سبحانه وتعالى بأن يبلغ جهده فيهم وفي دعوتهم، وتبليغهم آياته، وتكريرها عليهم عسى أن تدخل في قلوبهم، ولم يحمل عليهم سيفاً، ولم يَسْبِ نساءهم، ولم يتغنم أموالهم، ولم يخرجهم من بيوتهم.

ومن صفاتهم أنهم لم يكونوا ظاهرين مثل بقية الكفار؛ لأنهم كانوا يتسترون بالإسلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه كان في منتهى الذكاء والفطنة والفراسة التي لا تخطئ، ولكنه مع كل ذلك لم يكن يعرفهم جميعاً، وإنما كان يعرف البعض ممن قد أطلعه الله سبحانه وتعالى عليهم، قال تعالى **﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾** [التوبة:١٠١]، وبعض المنافقين قد أظهروا أمرهم وكشفوا سترهم مثل عبدالله بن أُبَيّ ومن معه عندما خرجوا بثلث جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وانفصلوا عنه؛ فعرفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون، مع أنه قد بقي من المنافقين بقية في ساحة المعركة لم يعرفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يطلع عليهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن ذلك قال تعالى **﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾** [التوبة:١٠١]، ومعنى مردوا على النفاق: تمرنوا على النفاق حتى مهروا فيه.

وأمره الله سبحانه وتعالى بأن يغلظ على الكفار والمنافقين، فإغلاظه على الكفار بضربهم بالسيف والترصد لهم في كل طريق، وأخذ تجاراتهم، واستباحة أموالهم، وأما الإغلاظ على المنافقين فهو أن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد أطلعه على صفاتهم وكذبهم، واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى، وما أشبه ذلك من صفاتهم، وأن الله سيعذبهم، وينزل نقمته بهم.

واعلم أن الجهاد كلمة عامة للجهاد بالسيف، والجهاد بالدعوة، والاجتهاد في إصلاح شأن المسلمين، وجهاد النفس وأعمال البر كلها.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ يأتي المنافقون ليحلفوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم لم يتكلموا بشيء يسوءه، ولكن الله سبحانه وتعالى كان يطلع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على ذلك، وما يدور بينهم في شأنه.

﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ مع أنهم قد كفروا بالله سبحانه وتعالى، وبالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبما جاء به بعد ما دخلوا في الإسلام.

﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ هموا بقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غير أن الله سبحانه وتعالى قد خيب آمالهم، ولم يمكنهم من الوصول إليه.

وكان عزمهم على ذلك في العقبة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عائد من تبوك إلى المدينة، اتفقوا على أن يُنَفِّرُوا ناقته؛ لأنهم إذا فعلوا ذلك أصابها الفزع فتهرب فزعة في غير طريق فتقتحم المهالك فيسقط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نفورها، ومع ذلك فما زال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحسن إليهم، ويقربهم ويتلطف لهم، ويكثر تذكيرهم ووعظهم؛ لعلهم يرجعون.

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ليس فعلهم ذلك إلا بطراً منهم؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندما فتح الفتوح غنم أموالاً طائلة، فوسع عليهم وأعطاهم كما أعطى غيرهم حتى أصبحوا أصحاب أموال وتجارات وثراء وغناء، وليس ذنب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا هذا، ولم يكن يأتيهم منه إلا كل خير، والذي نقموا عليه هو أنه أكرمهم وأعطاهم، وجعل لهم هيبة وعزاً بين جميع القبائل العربية، وبسببه صار لأهل المدينة دولة تهابها كل الناس حتى كسرى وقيصر، فهذا هو الذي نقموه عليه.

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ﴾ إن أرادوا أن يرجعوا عن غيهم وضلالهم إلى طريق الهدى، ويدخلوا في الإسلام فهذا هو الأفضل لهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وإن أصروا على

ضلالهم ونفاقهم- فسوف يعذبهم الله سبحانه وتعالى في الدنيا بالخزي والذلة والمهانة والصغار، وفي الآخرة بعذاب النار وبئس المصير.

﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝٧٤﴾ قد غضب الله سبحانه وتعالى عليهم، فعذابه لا محالة لاحقهم ومصيبهم، ولا يوجد على وجه الأرض من يدفع عنهم عذاب الله.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٧٥﴾(١) بعض المنافقين عاهدوا الله سبحانه وتعالى بأنه إن أغناهم وأوسع

---

(١)-**سؤال:** سمى الله فعل ثعلبة بن حاطب عهداً، والمذكور المشهور في السير أنه إنما وعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعداً بأنه سيفعل ويفعل، فهل يسمى مجرد الوعد عهداً؟ وهل يلزم الإنسان بمجرد ذلك ما وعد به؟ من فضلكم فصلوا القول في ذلك.

الجواب: ظاهر القرآن أن ثعلبة وعد الله وعداً مؤكداً بالأيمان، وإذا صدر الوعد على هذه الصفة سمي أيضاً عهداً، وعهد ثعلبة على أن يؤدي ما أوجب الله عليه في المال من الزكاة، وعلى أن يكون من المؤمنين الذين يطيعون الله تعالى ويعملون الصالحات، والزكاة وطاعة الله أمران واجبان في الأصل، وزادهما العهد تأكيداً.

- ومجرد الوعد من غير يمين لا يسمى عهداً.
- ويجب الوفاء بالوعد فيما هو واجب، وهذا واضح.
- ويجب الوفاء أيضاً فيما التزمه الإنسان وتحمله لغيره ورضي الغير، سواء أكان التزاماً بمال أو بفعل أو بقول أو بترك.
- هناك حالات لا يجب فيها الوفاء مثل: سآتيكم عصراً للحديث والجلسة، إذا عدت من السفر فسوف أمر عليكم، إذا شريت مني السلعة الفلانية فسأنقص لك من سعرها كذا وكذا. بخلاف ما إذا قال: إذا تعاونت مع فلان في أمره بمبلغ كذا وكذا فسأتعاون معك في أمرك الفلاني بمبلغ كذا وكذا، ففي مثل هذه الحال يجب الوفاء.
- وضابط ما لا يجب الوفاء به: أن يخبر الإنسان عما هو عازم على فعله في المستقبل من المندوبات أو المباحات أو المعروف؛ فإذا تغير رأي الإنسان عما أخبر به فيجوز له أن لا يفعل، كأن يخبر أصحابه أن سيسافر معهم غداً في رحلتهم أو في حجهم؛ فيفرحون، ثم يبدو له أن لا يسافر؛ فلا حرج عليه ولو استاءوا من تراجعه.

عليهم- ليتصدقن وليشكرن الله ويطيعنه ولا يعصونه.

﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ۝٧٦﴾ فلما أعطاهم الله ما طلبوا من السعة والغنى نقضوا عهدهم، وذلك أن ثعلبة ذهب إلى النبي شاكياً إليه الفقر وشدة العيش طالباً منه أن يدعو الله سبحانه وتعالى له بأن يوسع له في الرزق ويغنيه؛ فنصحه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن الأحسن له البقاء على حالته هذه، ولكنه أصر وألح عليه، فعند ذلك دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له فلم يلبث مدة حتى أوسع الله عليه في الرزق، وأصبحت له أموال طائلة؛ فنقض العهد الذي كان عاهد الله سبحانه وتعالى عليه فنزلت هذه الآية.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ۝٧٧﴾[1] تسبب نقضهم للعهد وإخلافهم الوعد وعدم صدقهم فيما قالوه تسبب ذلك كله في امتلاء قلوبهم نفاقاً وكفراً.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ۝٧٨﴾ ألا يعلمون أن الله سبحانه وتعالى عالم ومطلع على ما في قلوبهم، وعالم بنياتهم الخبيثة، فهو تعالى عالم بنياتهم يوم عاهدوا، وأنهم في ذلك الوقت مبيتون للنقض والإخلاف.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ كان المنافقون يسخرون من المؤمنين الذين يأتون بما قدروا عليه من صدقة التطوع للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويتنقصونهم.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ الذين كانت حالتهم ضعيفة، وكانوا يعطون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلاً على قدر حالته؛ فإن المنافقين كانوا

---

(١)-**سؤال:** قد يقول أهل الجبر: إن إعقابهم النفاق من الله حال بينهم وبين الإيمان، وليس معنى قولنا: إن الله قَدَّر عليهم النفاق إلا ذلك، فكيف يجاب عليهم؟

الجواب: أن فاعل ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ هو البخل والتولي والإعراض في قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ۝٧٦﴾ وليس الله هو الفاعل كما قد يتوهم، وهذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝١٤﴾ [المطففين]، والقرآن يبين بعضه بعضاً.

يسخرون منهم ويتنقصونهم أيضاً ويستحقرونهم لقلة ما تصدقوا به.

﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٩﴾ والمراد به أنه سيجازيهم على صنيعهم هذا.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فقد استحقوا غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه، ولن ينفعهم استغفارك لهم، وليس المراد به التخيير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين الاستغفار وعدمه.

والتعبير بـ«سبعين مرة» هو مثل يضرب لقطع الطمع في الشيء؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لرحمته كان يريد ويتمنى أن يغفر الله لهم لشدة شفقته على الناس من عذاب النار، فهو لا يريد لأحد أن يدخلها حتى كاد أن يقتل نفسه من الأسف والحسرة على عدم إيمان الكافرين؛ لما يعلم من العاقبة التي تنتظرهم؛ فأراد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن يقطع طمع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن مغفرته لهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝٨٠﴾(١) السبب في عدم مغفرته لهم هو أنهم كفروا بالله ورسوله فقد استحقوا عدم مغفرته ورحمته ما داموا خارجين عن حدوده.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾(٢) هؤلاء الذين تخلفوا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندما خرج إلى غزوة تبوك كانوا فرحين بقبول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعذارهم في القعود.

---

(١)-**سؤال:** هل الهداية المنفية عنهم في الآية هي عدم إثابتهم أو ماذا؟

الجواب: المراد أنه تعالى لا يثيبهم في الدنيا بزيادة التنوير والبصيرة والتوفيق، كما يثيب المؤمنين المستجيبين المطيعين له تعالى، فإنه تعالى يثيبهم بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد:٢٨].

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما معنى: ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾؟ وما إعرابها؟

الجواب: ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ أي: خلف رسول الله، وهي على هذا ظرف مكان، هذا قول. والقول الآخر: أن «خلاف» مفعول من أجله، أي من أجل مخالفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو يعرب «خلاف» حالاً أي: حال كونهم مخالفين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبمعرفة الإعراب يعرف المعنى.

﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واعتذارهم هذا كان لأنهم يكرهون الله سبحانه وتعالى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والجهاد في سبيله.

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ كانوا يكاسلون الناس ويثبطونهم عن الخروج مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴿٨١﴾﴾ كان المنافقون يشيعون بين الناس أن المصلحة في عدم الخروج هذا الوقت لشدة الحر فيه، وأنهم إذا خرجوا والحال هكذا فالحر سيضعفهم وينهك قواهم، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يخبرهم أن نار جهنم أشد من هذا الحر، وأن القعود معصية عظيمة وكبيرة، وأنهم قد استحقوا سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه وعذابه في نار جهنم بقعودهم هذا.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿٨٢﴾﴾[1] فرحوا عندما تخلفوا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقعدوا فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنهم سيندمون على قعودهم هذا عندما يرون ما أعد الله لهم من العذاب جزاءً على فرحهم بالقعود عن الجهاد.

﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴿٨٣﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنك يا محمد إذا رجعت من هذه

---

(١)-**سؤال:** ما وجه التعبير عن شدة ندمهم بضحكهم قليلاً وبكاهم كثيراً؟

الجواب: الوجه في ذلك أن الكناية أبلغ من الحقيقة، وهذا التعبير: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ تعبير بطريق الكناية عن لهوهم في الدنيا ولعبهم فيها، وسرورهم بما هم فيه من ذلك وهذا هو المراد بقوله: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ كناية عن حالهم يوم القيامة، وما سيكونون فيه من شدة الندم والعذاب الدائمين.

الغزوة إلى طائفة من المنافقين فطلبوا منك الخروج للقتال معك إذا غزوت ثانية فلا تسمح لهم أن يصحبوك في أي سفر أو غزوة أبداً.

والمراد بالطائفة هم أولئك الذين لم يتوبوا دون التائبين؛ لأن الله سبحانه وتعالى كان عالماً بأن بعضهم لن يتوب أبداً، والسبب في ذلك هو قعودهم عن الخروج في غزوة تبوك، فجزاؤهم القعود مع النساء والصبيان وعدم الخروج معك أبداً.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ(١) إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴿٨٤﴾﴾ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يصلي على المنافقين في بداية الأمر ثم إن الله سبحانه وتعالى نهاه عن الصلاة عليهم، وتشييع جنائزهم، والقيام على قبورهم، وكان آخر من صلى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴿٨٥﴾﴾ فلا يكبر في عينك يا محمد ما تراه معهم من كثرة النعم من الأموال والتجارات والأولاد، وتظن أن الله سبحانه وتعالى راضٍ عنهم، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يعطهم هذه النعم في الدنيا إلا ليعذبهم بها فيها، وذلك لما يلحقهم من التعب والنصب عليها من الحراسة والخوف عليها من الطامعين واللصوص ونحوهم، فقد أصبحت شغلهم الشاغل، ولن تنفعهم في آخرتهم، وسيموتون وهم على كفرهم(٢).

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ الكناية عن تشييع جنائزهم أو ماذا؟

الجواب: قد يكون كناية عن تشييع جنائزهم، وقد يكون النهي عن القيام الحقيقي، فقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقف على القبر يدعو للميت حين يدفن كما هي العادة الجارية عند التقبير.

(٢)-**سؤال:** هل في إرادة الله تعالى إزهاق أرواحهم وهم على الكفر ما ينافي الحكمة والمصلحة أم لا؟

الجواب: إرادة الله تعالى إزهاق أرواحهم وهم كافرون كناية عن إرادة تعذيبهم في الآخرة.

والذي يؤيد ذلك أول الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا...﴾ أي: ويعذبهم في الآخرة، وعلى هذا التفسير يرتفع الإشكال.

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا(١) بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴿٨٦﴾﴾ فهذه طبيعة المنافقين أن الله سبحانه وتعالى إذا أنزل سورة تأمرهم بالإيمان بالله والجهاد مع رسول الله ﷺ استأذنك أهل الغنى والتجارة منهم بالقعود مع النساء والصبيان.

فهذه السورة أخبرت بصفاتهم وأعمالهم وصنائعهم، وكشفت أسرارهم، وهتكت أستارهم وفضحتهم، وكان نزولها في آخر الإسلام بعد أن كانت المدينة قد امتلأت بالمنافقين؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه السورة ليفضحهم ويكشف أستارهم ويذلهم بها ويخزيهم، وقد أخبرت بأعمالهم التي يعملونها وعلاماتهم- ليتضح أمرهم للمؤمنين، وليتعرفوا عليهم ويعرفوهم.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ وهذه نقيصة ارتضوها لأنفسهم وهي أن يمكثوا بين النساء والصبيان، وذلك لأن من به أدنى أنفة وحمية فلن يرضى بأن يقعد مع النساء والصبيان وقت خروج باقي القوم للقتال.

﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴿٨٧﴾﴾ ولكن قلوبهم قد طبع عليها فلا يفرقون بين الحسن والقبح، وأن هذا خزي ومنقصة وهذا العمل عز وشرف.

﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ أما الرسول والمؤمنون فقد خرجوا للقتال بالرغم من شدة الحر وقسوة الظروف ممتثلين لأمر الله عز وجل.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة لأن ما في قبلها معنى القول دون حروفه، ويصح أن تكون مصدرية فتكون هي وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بحرف مقدر أي: بأن آمنوا بالله[١].

[١]- هل تقصدون ولو كان الفعل بعدها فعل أمر أم ماذا؟

الجواب: نعم ولو كان الفعل بعدها فعل أمر ولا مانع منه، وقد قرر ذلك صاحب الكشاف في بعض المواضع من كشافه.

﴿وَأُولَـٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ سيعطيهم الله سبحانه وتعالىٰ خير الدنيا ونعيم الآخرة، وقد أفلحوا وفازوا وظفروا بثواب الله سبحانه وتعالىٰ ورضوانه.

مع أن جميع حروب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومعاركه منذ أن بعثه الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أن مات- لم يبلغ الذين قتلوا معه المائتين أو الثلاثمائة قتيل، وكان أكبر عدد من القتلىٰ في معاركه يوم أحد بلغ عدد قتلىٰ المسلمين سبعين شهيداً.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ أولئك الذين خرجوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرغم من الظروف القاسية لهم عند الله ثواب عظيم في جنات النعيم خالدين فيها.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾[1] جاء المعتذرون من منافقي البدو الذين كانوا حول المدينة يستأذنون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القعود، وعدم الخروج مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنهم كاذبون علىٰ الله ورسوله، ولا زالوا كافرين، ويستحقون عذابه وسخطه.

---

(١)-**سؤال:** هل المستأذنون هم أنفسهم المرادون بقوله: ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾؟

الجواب: هم غيرهم، وقد قيل: إنهم هم المستأذنون ﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ إلا أن الراجح ما ذكرنا لظاهر الآية.

سؤال: ما الحكمة في قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بزيادة «منهم» مع أنهم كافرون جميعاً؟

الجواب: الفائدة هي التنبيه إلىٰ أن بعضهم سيتوب عن كفره ونفاقه ويخلص في إيمانه ودينه.

سؤال: كيف عدىٰ الفعل «كَذَب» إلىٰ المفعول بنفسه وهو لا يتعدىٰ إليه إلا بحرف الجر «علىٰ»؟

الجواب: لم يكذبوا علىٰ الله حتىٰ يتعدىٰ بـ«علىٰ»، والمعنىٰ: أنهم أظهروا الإيمان كذباً، وهذا مثل: «كذبته عينه» إذا أرته ما لا حقيقة له، و«كذبته نفسه» إذا حدثته بالأماني التي لا يبلغها كما في أساس البلاغة.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ(١) وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ(٢) مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٩١﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى هنا بأن أهل الأعذار والفقراء لا حرج عليهم في قعودهم، وهم الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون مركوباً ليركبوا عليه، ولا زاداً يتزودون به في طريق سفرهم؛ فإن الله سبحانه وتعالى يعذرهم عن الخروج، وذلك لأن سفرهم هذا بعيد، فلا بد من مركوب يسيرون عليه، ولكن بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، ويكونوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقلوبهم وألسنتهم.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا(٣) وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۝٩٢﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا حرج على من أتى إليك يا محمد يسألك مركوباً ليخرج عليه معك؛ فلم يكن عندك مركوب تحملهم عليه؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد علم أنه لم يمنع هؤلاء عن الخروج إلا ذلك، وأنهم لو وجدوا ما يحملهم لما ترددوا عن الخروج.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالضعفاء: ضعفاء البدن، أم ضعفاء الحال وهم الفقراء؟

الجواب: المراد ضعفاء الأبدان لا ضعاف الفقر لذكره بعد ذلك الفقراء بقوله: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾.

(٢)- **سؤال:** ما وجه تسمية أهل الأعذار محسنين؟

الجواب: سموا محسنين لأنهم من أهل طاعة الله فيما أمر ونهى، فاستحقوا هذا الاسم لذلك، وتركهم للخروج إنما كان للعذر الصادق.

(٣)-**سؤال:** هل قوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب «إذا»؟ وما إعراب: ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾؟

الجواب: الأولى أن يكون جواب «إذا» ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾، وقوله: ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب سؤال مقدر تقديره: ما كان حال هؤلاء حين سمعوا جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقيل: ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ﴾. و﴿حَزَنًا﴾ مفعول من أجله. و﴿أَلَّا يَجِدُوا﴾ مصدر مؤول مجرور بحرف جر مقدر «الباء».

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ فهؤلاء هم الذين قد استحقوا الذم وسخط الله سبحانه وتعالى وعذابه، فكيف يستأذنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم متمكنون من الخروج معه؟

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٩٣﴾ غطى الله سبحانه وتعالى على قلوبهم حين حرمهم من التنوير وزيادة البصيرة وحرمهم من الألطاف والتوفيق والتسديد؛ لأنه لا يعطي ذلك إلا للمؤمنين فحين حرمهم الله من كل ذلك غفلت قلوبهم وعميت بصائرهم عن إدراك مراشدهم، فصارت لذلك كالمغطاة بغطاء محكم يحجبها عن معرفة الحسن والقبيح، ومعرفة معالي الأمور ومساوئها، وأسباب العزة وأسباب الخسة.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: بأنكم عندما تعودون من غزوتكم هذه سيعتذرون لكم في عدم الخروج، ويختلقون لكم المبررات الكاذبة.

﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ امنعهم عن الاعتذار يا محمد عندما يأتون إليك وقل لهم: لا تعتذروا أيها المنافقون فلن نصدقكم؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد كشف لنا أخباركم وأعذاركم الكاذبة.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٩٤﴾ سيطلع الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على أسراركم وأخباركم، وسيكشفها لهم ويفضحكم في الدنيا، ثم تردون إلى الله سبحانه وتعالى الذي هو مطلع على أسراركم ونياتكم السيئة؛ فيجازيكم عليها، فلا تظنوا أنكم تقدرون على إخفاء نفاقكم وأعمالكم الخبيثة على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن بالغتم في التستر وفعلتم غاية جهدكم في التكتم.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن المنافقين سوف يأتون إليكم عند عودتكم مريدين أن يبرروا لكم سبب قعودهم وسيحلفون على صدق أعذارهم.

﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ يحلفون لكم لأجل أن لا تؤاخذوهم على قعودهم.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إذا قدموا إليكم معتذرين فاتركوهم وشأنهم، ولا تجازوهم ولا تؤاخذوهم؛ فالله سبحانه وتعالى سوف يتولى جزاءهم.

﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾[1] ليسوا إلا نجاسة فابتعدوا عنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٩٥﴾ ومصيرهم إلى جهنم سينالون فيها جزاءهم، فاتركوهم وشأنهم؛ فيكفيهم جهنم تكون جزاءً لهم على أعمالهم هذه.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ كان حلفهم أولاً لأجل أن يمنعوا عن أنفسهم جزاء النبي ﷺ، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم بعد ذلك سوف يحلفون لكم لينالوا رضاكم، ولتغيروا نظرتكم إليهم.

﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ۝٩٦﴾[2] إذا حلفوا

---

(١)-**سؤال:** هل المراد نجاسة حسية أو معنوية؟

الجواب: المراد النجاسة المعنوية بدليل أنه لم يرو أن النبي ﷺ والمسلمين كانوا يتحرزون عنهم وعن مؤاكلتهم، وكانوا يعاملونهم معاملة المسلمين في الغالب.

(٢)-**سؤال:** هل في هذا دليل على امتحان التائب واختباره في صحة توبته أو عدم صحتها؟ أم لا؟

الجواب: يؤخذ من هذه الآية مشروعية التحري والاحتياط في ذلك، وذلك بالامتحان للتائب حتى تتبين صحة توبته أو عدمها، ولكن هذا في توبة من لا يؤمن غدره وخيانته وضرره كالمنافق فإنه لا يؤمن أن يكون تظاهره بالتوبة والصلاح خديعة للمؤمنين حتى يتمكن من الدخول بينهم والاطلاع على أسرارهم وأخبارهم ومن التفريق بينهم و.. إلخ، أما من لا يتوقع منه ضرر فلا حاجة لاختباره.

سؤال: ظاهر الآية عتاب للصحابة إذا قبلوا أيمانهم وصدقوهم، فكيف يلزمهم الحرج وهم لم يقفوا على حقيقة قلوبهم وواقعها؟ فالموافق للقياس أن لا حرج على الإنسان في تصديق أمثال هؤلاء لأنه لا يعلم ما في قلوبهم؟

الجواب: إنما عاتب الله تعالى من سيرضى عن المنافقين إذا حلفوا له؛ لأن النفاق قد ظهر منهم، =

لكم فصدقتموهم ورضيتم عنهم، فاعلموا أن الله غير راضٍ عنهم فاحذروا أيها المؤمنون من تصديق المنافقين والرضا عنهم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ وهم البدو الذين خارج المدينة وحولها أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم أشد كفراً ونفاقاً من كفار ومنافقي المدينة، وكانوا قبائل معروفة، مثل بني سليم ومن على شاكلتهم.

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ(١) وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٩٧﴾ هم أهل جهل بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لا يعرفون ما هو الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، بخلاف أولئك المنافقين الذين في المدينة فهم يسمعون الأحكام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويعرفونها لمخالطتهم للمسلين.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن بعض الأعراب إذا طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزكاة- فإنهم يعتبرون ذلك خسارة ونقصاً في أموالهم.

﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ منتظرون لهزيمة تلحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، أو أي

ونزل القرآن مخبراً بنفاقهم وخبيث أعمالهم، وعرفوا بين المؤمنين بأعيانهم وأسمائهم وصفاتهم، وبعد أن تهتكت أستارهم وتكشفت عوراتهم، فلا عذر بعد ذلك في تصديقهم في أعذارهم وحلفهم على صحة أعذارهم، ولا سيما بعد نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين يخبرهم بأن المنافقين سيأتون إليكم ويبررون لكم قعودهم وتخلفهم، ويزخرفون لكم الأعذار، ويحلفون أنهم صادقون في ذلك.

(١)-**سؤال:** لو قال: ألا يعلموا ما أنزل الله على رسوله لأفادت المعنى، فما وجه قوله: ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾؟

الجواب: المقصود هو الإخبار عن جهل الأعراب وغفلتهم عن الدين، فهم حقيقون -لذلك- بأن لا يعلموا الأحكام الشرعية المفصلة، ولو لم يذكر «حدود» لما حصل هذا المعنى الذي هو المراد بجهلهم له.

كارثة تحل بهم تستأصلهم، وكانوا يقولون: إن أمر محمد ليس إلا عاصفة هبت سرعان ما ستنتهي، ويرجع كل شيء إلى ما كان عليه، وأن دولة الإسلام ستنتهي في ظنهم.

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٩٨﴾﴾ هذه دعوة عليهم بالهلاك، والله سبحانه وتعالى مطلع على ما في ضمائرهم وسيجازيهم على ذلك.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا زال بين الأعراب مؤمنون بالله واليوم الآخر، وأنهم ليسوا جميعاً منافقين.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾(1) إذا أخرجوا زكاة أموالهم، أو أنفقوا أي نفقة فإنهم يجعلونها قربة يتقربون بها إلى الله، ويحتسبونها في ميزان حسناتهم، راجين من إنفاقهم هذا أن يشفع لهم عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيدعو لهم، فهم يعلمون أن دعوته لن ترد، وأنها مقبولة عند الله سبحانه وتعالى، ويتوقعون الخير والبركة عند ذلك.

والمراد بصلوات الرسول هو الدعاء فهو يبادر بإخراج زكاته لينال ثواب الله سبحانه وتعالى ودعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد روي أن أناساً من آل أبي أوفى أتوا بصدقتهم إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فدعا لهم قائلاً: ((اللهم صل على آل أبي أوفى))(2)، قال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة:١٠٢]، ولأن دعوة النبي مقبولة عند الله سبحانه وتعالى لا يشكون في ذلك.

﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والصدقة قربة مقبولة عند الله تعالى.

---

(1)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿صَلَوَاتِ﴾؟ وعلام عطف؟ وكيف يكون معناه على هذا الإعراب؟

الجواب: «صلوات» منصوب عطفاً على «قربات» والمعنى: أنه يتخذ النفقة قربات وصلوات، وصح ذلك لأن النفقة سبب للصلوات.

(2)-**سؤال:** ما معنى: «صلّ» في الأثر النبوي؟

الجواب: المعنى: ارحم آل أبي أوفى.

﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ۝٩٩﴾ بسبب ذلك سينالون رحمة الله سبحانه وتعالى، والمراد برحمته هو الخير الذي يعطيه الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾(١) أثنى الله سبحانه وتعالى على السابقين إلى الإسلام وإلى نصرة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار والذين أتوا من بعدهم، وجاهدوا مع النبي ﷺ، واجتهدوا في طاعة الله ورسوله، فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ فهم من أهل رضوان الله سبحانه وتعالى، وأهل ثوابه وأهل رحمته، وهم راضون عن الله سبحانه وتعالى بما افترض عليهم من الفرائض، وأوجب عليهم من الطاعات، ويتلقونها وأنفسهم راضية ومتيقنة بثواب الله سبحانه وتعالى عليها.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝١٠٠﴾ فهؤلاء هم الذين يستحقون ذلك الثواب العظيم وهم المستوجبون للفوز برضوان الله.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ قسم الله سبحانه وتعالى الصحابة إلى قسمين: فالقسم الأول: هم المؤمنون الذين أثنى عليهم بأنهم السابقون الأولون.

والقسم الثاني: وهم المنافقون الذين بداخل المدينة ومن حولها.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه عن المنافقين الذين هم حول المدينة وفي داخلها،

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ يعود إلى حسن العمل والاتباع أو إلى الإحسان الذي بمعنى فعل البر والخير؟ وما فائدة هذا القيد؟

الجواب: يعود إلى اتباعهم في الأعمال الصالحة، وفائدة القيد إخراج من اتبعهم في الظاهر وهو في الباطن غير محسن كالمنافقين، ولإخراج مرتكب المعاصي الكبيرة أو بعضها.

الذين قد تمرنوا على النفاق حتى استطاعوا إخفاء كفرهم بحيث لا تظهر عليهم أي علامة تفضحهم وتكشفهم، لا من فلتات ألسنتهم، ولا من نظرات أعينهم، ولا من حركاتهم أو أعمالهم؛ فكانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويخرجون معه في غزواته حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يستطع أن يعرفهم مع شدة ذكائه وفطنته.

﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لا يستطيع أن يعرفهم، وأنه تعالى وحده اختص بمعرفتهم، وهناك أناس من المنافقين قد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيطلعه عليهم، وسيعرفهم بعلامات تميزهم، قال تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠] من خلال كلامهم، وهناك قسم ثالث من المنافقين، وهم الذين انفصلوا عن جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وهم عبد الله بن أبي ومن معه، وكانوا ثلث الجيش.

فالمراد في هذه الآية هم المنافقون الذين لم يظهر منهم شيء يكشفهم ولم يتمكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا المؤمنون من معرفتهم.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سيضاعف لهم العذاب في الدنيا؛ لأن ضرهم وخطرهم على الإسلام أشد من ضر الكفار وغيرهم.

﴿ثُمَّ(١) يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ في الدرك الأسفل من النار، وسيكون عذابهم أشد من عذاب المشركين.

﴿وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾ وهناك طائفة خلطوا عملاً صالحاً مع العمل السيئ فهم مؤمنون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومصدقون به، ويعملون الأعمال

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة العطف بـ«ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾؟

الجواب: فائدة العطف بـ«ثم» هو الإيذان بعظمة عذاب الآخرة وكبره وأنه أكبر وأعظم وأشد من عذاب الدنيا.

الصالحة، غير أنهم لم يتحكموا في شهواتهم ورغباتهم، ومع ذلك فهم يتوبون منها، ويندمون عندما يفعلونها؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء عسى الله أن يقبل توبتهم ويتوب عليهم(١).

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر الناس بإعطائه زكاة أموالهم.

﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ لأن الزكاة تطهرهم من الذنوب وتكفرها عنهم.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ(٢) إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ لأن دعاءك طمأنينة لهم في قلوبهم يزدادون بها ثقة بدينهم وإيماناً.

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأخذ الصدقة من عامة المسلمين، ثم أخبر أن هذه الصدقة ستطهر أولئك الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وستزكي أعمالهم الصالحة.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ ألم يعلم أولئك الذين خلطوا

---

(١)-**سؤال:** هل المراد أنهم مقطوع بقبول توبتهم أم أن توبتهم تحت الرجاء؟

الجواب: قبول توبتهم مقطوع بها إذا صحت التوبة، ودلائل هذا كثيرة في القرآن: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ٨٢﴾ [طه].

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع عليهم، فينقلب معنى الآية وكان من حقها أن يقول: «وصلِّ لهم»، فكيف؟

الجواب: يتعدى هذا الفعل إلى المدعو له بـ«على»: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، و﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ...﴾ على القياس، والمراد في: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا﴾ أي: قولو: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقد صح هذا بلا خلاف أي: أنزل رحمتك على محمد وعلى آل محمد، وكذلك نقول في: ﴿صَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ إن المراد قل: اللهم صل على آل أبي أوفى أي: أنزل رحمتك على آل أبي أوفى. وقد روي هذا المراد من قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا يرتفع الإشكال.

عملاً صالحاً وآخر سيئاً أن الله تعالى يقبل توبة التائبين من عباده المخلصين في توبتهم.

﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ ويقبل الصدقات ويجازي عليها، ويكفر بها الذنوب.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ۝١٠٤﴾ إن الله تعالى لا تتعاظمه كثرة الذنوب ولا كبرها فمن تاب ورجع إلى الله غفر له ذنوبه وتاب عليه.

يحثهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية على التوبة من المعاصي، وعلى إخراج الزكاة لأجل أن يكفر عنهم سيئاتهم.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝١٠٥﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يحث الناس على الأعمال الصالحة.

وخاطبهم أن ما عملتم من عمل فإن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازي العاملين على أعمالهم، ولو كان في جوف صخرة صماء؛ فإن الله سبحانه وتعالى سيظهر عمله، وسيكشفه للمؤمنين.

وكذلك المنافق مهما حرص على إخفاء عمله فسيفضحه الله سبحانه وتعالى بين الناس، ويوم القيامة سيجازي كل امرئ على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝١٠٦﴾ وهناك قسم من المتخلفين مؤخرون لحكم الله، إما أن يعذبهم إن لم يتوبوا(١)، وإما أن يتوب عليهم إذا تابوا.

---

(١)-**سؤال:** يقال: وما هو دليلنا أو القرينة على هذا الاشتراط؟

الجواب: الدليل هو معروف من مواضع أخرى من القرآن الكريم، فقد كثر الوعيد فيه للمجرمين والفاسقين والكافرين والمنافقين بالعذاب في نار جهنم، ولم يستثن من هذا الحكم الجازم إلا التائبين كقوله تعالى في سورة الفرقان بعد الوعيد للذين يدعون مع الله إلهاً آخر والذين يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق وللزناة: **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا**

=

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى نوعاً من المنافقين فقال عنهم: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ وذلك أن أهل قبا كانوا قد بنوا لهم مسجداً ثم دعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم ويصلي عندهم فيه تبركاً بصلاته في مسجدهم؛ فحسدهم على ذلك أناس حولهم فبنوا مسجداً أيضاً، ودعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتي إليهم ويصلي فيه، فهؤلاء الآخرون كانت نياتهم سيئة في عملهم هذا؛ لحسدهم أهل قبا، وإرادة إلحاق الضرر بمسجدهم، وليفرقوا بين الناس، وكذلك أرادوا أن يجعلوا القائم عليه حنظلة الراهب، وكان نصرانيا آمن ثم ارتد وهرب إلى الشام؛ فتشاوروا فيما بينهم أنه عند رجوعه سيجعلونه إماماً لصلاتهم، مع أنه قد حارب الله ورسوله.

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١٠٧﴾ حلفوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهم بعملهم هذا لا يريدون إلا الخير والصلاح، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم كاذبون في حلفهم هذا، وإنما يريدون بعملهم هذا التفريق بين المؤمنين، وإلحاق الضرر بهم.

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ كانوا قد دعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي في مسجدهم هذا؛ فنهاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾(١) وأخبره أن مسجد قبا هو الأحق بصلاته فيه؛ لأنه قد بني على غرض عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته، ولا غرض لهم غير ذلك.

﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]، ونحو هذه الآية كثير في القرآن.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَحَقُّ﴾؟ وما محل المصدر: ﴿أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾؟

الجواب: «أحق» خبر ومبتدأه «لمسجد». و﴿أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ محله الجر بباء مقدرة متعلق بأحق.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴿١٠٨﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن القائمين على هذا المسجد رجال يحبون الطهارة الحقيقية وهي الوضوء، والطهارة المجازية وهي التخلص من الذنوب(١).

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾(٢) أيهم أفضل وأحسن؟ هل الذي أسس بناء مسجده على تقوى ورضوان؟ أم الذي أسس بناءه على الباطل، فقد شبه الله سبحانه وتعالى هذا الأخير بمن يضع أساس بنائه على طرف حفرة على وشك أن تتهاوى أطرافها، فسرعان ما يسقط وينهار، يصور الله سبحانه وتعالى أن تأسيس هذا المسجد على باطل وضلال.

﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ وأن من ذهب للصلاة فيه فهو معرض للفتنة والهلاك.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴿١٠٩﴾﴾ هؤلاء الذين بنوا مسجد الضرار لا يمدهم الله بأنوار هدايته وكانوا منافقين، وقد أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد نزول هذه الآية بهدم هذا المسجد وتخريبه.

---

(١)-**سؤال:** يظهر من هذا أنكم تقولون بجواز استعمال الكلمة في معنييها الحقيقي والمجازي، فهل هذا صحيح؟

الجواب: أنا أميل إلى ذلك تبعاً لميل أصحابنا إليه، والمسألة محل خلاف بين علماء الأصول، وأدلتها في كتب الأصول كالفصول اللؤلؤية.

(٢)-**سؤال:** هل ﴿جُرُفٍ﴾ جمع جَرْف أو ماذا؟ وما معناه لغة؟

الجواب: ﴿جُرُفٍ﴾ مفرد مثل «عُنُق»، والجرف هي: طرف الوادي الذي جرف السيل طينه من تحت وضعف أعلاه وتصدع ولم يسقط، هذا معنى ما ذكروه في معنى: ﴿جُرُفٍ هَارٍ﴾.

سؤال: مم أخذ قوله: ﴿هَارٍ﴾؟ وما نوع اسميته؟

الجواب: أخذ «هار» من مصدر هار الجرف يهور هوراً، واسم الفاعل هائر وهارٍ، فإذا سقط الجرف قيل: انهار وتهور.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هدم هذا المسجد، وأخبر الله سبحانه وتعالى أن فعله هذا سيورث ريبة في قلوب أهل المسجد وحقداً عليه[(١)]، يسبونه ويعترضون عليه لماذا هدم مسجدهم؟ أليس مسجداً كسائر المساجد؟ وما أشبه ذلك من الانتقادات إلى أن يموتوا وهم على ذلك، وهو المراد بـ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾[(٢)] وأن الغيظ سيمكث في قلوبهم إلى أن يموتوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[(٣)] فقد

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الريبة الشك، فكيف؟

الجواب: الريبة هي الشك إلا أنه تولد منه الحقد فإنهم لما ارتابوا في تخريب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمسجدهم واستنكروه، وكبر في نفوسهم ذلك، وتساءلوا كيف يخرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجدهم دون غيرهم حقدوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واغتاظوا عليه.

(٢)-**سؤال:** ما وجه التعبير بـ: ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ﴾ دون: إلى أن تقطع؟

الجواب: معنى: ﴿تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: بالسكاكين أو بالموت لإزالة الريب، وفيه تخويف المرتابين وإدخال القلق في قلوبهم، وتوقع نزول المخوف بهم من غير جزم، هذا ما تفيده «إلا» ولو جاء بـ«إلى» لأفادت الجزم واليقين بنزول المخوف بهم وهو القتل وتقطيع محل الريب (القلوب)، والله تعالى لم يرد أن يسلط رسوله صلى الله عليه وآله وسلم على قتل المنافقين ولا يريد أن يتهددهم بما لا يفعله. **هذا**، وتخويف المنافقين في الدنيا مما يريده الله تعالى، وهو من أنواع العذاب الذي أوعدهم إياه.

(٣)-**سؤال:** ما وجه التعبير بقوله: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾؟ ومن أي أنواع الكلام؟

الجواب: الكلام هذا استعارة تمثيلية، وهي نوع من أنواع الاستعارة (المجاز) ووجه التعبير بها كونها أبلغ من الحقيقة. بيان كون ذلك استعارة تمثيلية: أنه ذكر لفظ البيع ولفظ الشراء والثمن ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ والصك حيث كتبه في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل واحد من ذلك له معنى مجازي فبتركيب ذلك صار استعارة تمثيلية. ووجه البلاغة في هذه الاستعارة المركبة (التمثيلية): أن المقرر المعهود بين الناس أن المشتري للسلعة يلزم بتسليم الثمن عند أخذه لها أو عند حلول أجل الثمن إذا كان ديناً لا مفر له من ذلك، ويلزمه الحاكم إن مطل أو تمرد، ويمقته الناس؛ لأن البائع قد استحقه استحقاقاً، ووجب له على

=

باعوا أنفسهم وأموالهم من الله سبحانه وتعالى، وقد جعل الجنة ثمناً لذلك.

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾(١) يقتلون عدوهم، ويلحقهم القتل في أنفسهم.

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا(٢) فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ وعد من الله سبحانه وتعالى بأن يوفي لهم الثمن الذي وعدهم به وهو الجنة، وهو حق ثابت، ولا بد أن يقع.

﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ يؤكد(٣) الله تعالى لعباده صدق وعده، الذي كتبه في التوراة والإنجيل والقرآن؛ ليطمئن عباده المؤمنين بما عنده من الثواب العظيم لهم، ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ فافرحوا بثمن بيعكم هذا واقطعوا بالوفاء به، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿١١١﴾﴾ الذي هو فوز على الحقيقة، حتى أنه لا يسمى فوزاً إلا هذا، وغيره لا شيء.

المشتري حتماً، وهذا أمر مفروغ منه بين الناس، فصور الله تعالى للمؤمنين بذلهم لأنفسهم وأموالهم في سبيله بصورة البيع و.. إلخ ليقرر في نفوسهم استحقاقهم للثواب العظيم والفوز الكبير بالجنة.

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ الإعرابي؟ وما معنى الفاء في قوله: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾؟

الجواب: لا محل لجملة ﴿يُقَاتِلُونَ﴾ لأنها مستأنفة لبيان البيع، كأنه قيل: كيف يبيعون أنفسهم؟ فقيل: يقاتلون، والفاء سببية عاطفة، والجملة معطوفة على: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(٢)-**سؤال:** علام نصب: ﴿وَعْدًا﴾ و﴿حَقًّا﴾؟

الجواب: نصب ﴿وَعْدًا﴾ و﴿حَقًّا﴾ بفعليهما المحذوفين.

(٣)-**سؤال:** من أين نفهم التأكيد هنا وهو استفهام؟

الجواب: المراد أن هذا تأكيد في المعنى لما تقدم ومعناه: لا أحد أوفى بعهده من الله، فهذا المعنى يؤكد في المعنى ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي...﴾ وهكذا قوله: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ﴾ فإنه في المعنى يؤكد ذلك.

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ الذين أخبر(١) الله سبحانه وتعالى عنهم بأنه اشترى منهم أنفسهم، وجعل لهم الجنة ثمناً على ذلك، والذين قد وعدهم بأنه سوف يوفيهم بوعده، والذين قد بشرهم ببيعه الذي بايعهم عليه، وأنهم يستحقون الفوز العظيم وهو الجنة- هم المتصفون بتلك الصفات الحسنة ولا يستحق ذلك الوعد إلا أهل تلك الصفات وهي: أن يكونوا تائبين إلى الله سبحانه وتعالى في كل أوقاتهم وراجعين إليه، وأن يكونوا في عبادتهم منقطعين إلى الله سبحانه وتعالى، ويكونوا من أهل الحمد والشكر له على جميع ما أنعم به عليهم، فالعابدون هم الخاضعون لله سبحانه وتعالى، المتواضعون له في عبادتهم(٢)، وأن يكونوا من السائحين أي الصائمين كما قال في الحديث:

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن قوله: ﴿التَّائِبُونَ﴾ خبر لمبتدأ محذوف فما تقديره بما يوافق السياق؟ أم أنه مبتدأ خبره محذوف؟ وما الدليل على أن هذا الوعد مختص بأهل تلك الصفات؟

الجواب: المراد أن قوله: ﴿التَّائِبُونَ...﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم التائبون... وهكذا أعربه صاحب الكشاف، أي: أنه بدأ بذكر هذا الوجه الإعرابي ثم ذكر إعرابات أخرى وتبعه المفسرون. والدليل على أن ذلك الوعد العظيم الكريم مختص بأهل تلك الصفات:

- أن الله تعالى قال: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمؤمنون حقاً هم أهل تلك الصفات.
- وأن الله تعالى قال في آخر تلك الصفات: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ١١٢﴾ وكان من حق السياق أن يقول: «وبشرهم» بالإضمار، إلا أنه أظهر للتنبيه على أن البشارة مختصة بالمؤمنين المتصفين بتلك الصفات؛ لذلك فيكون قوله: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أي: المؤمنين المتصفين بتلك الصفات.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما هو الوجه في حمل العبادة على الخضوع والتواضع؟

الجواب: المراد الخضوع لله والتواضع له بامتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، فإذا تمرد المكلف عن شيء من ذلك وتركه فليس خاضعاً لله ولا متواضعاً، وكان عند الله من المتكبرين.

((سياحة أمتي هي الصيام))، وأن يكونوا من أهل الصلاة والمداومة عليها، وأن يكونوا حريصين على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإرشاد الناس وتعليمهم أمور دينهم، وألا يتجاوزوا حدود الله سبحانه وتعالى ولا يتعدوها.

فلا بد أن يلتزم البائع نفسه لله سبحانه وتعالى بهذه الصفات، ولا يكفي ذهابه إلى المعركة فقط ويسمى شهيداً، بل لا بد مع ذلك من أن يكون على هذه الصفات، وأن يكون ملتزماً بحدود الله سبحانه وتعالى فيمتثل لما أمره به، وينتهي عما نهاه عنه.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿١١٣﴾﴾ حذر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين من الاستغفار للمشركين، وطلب المغفرة والرحمة لهم حتى ولو كانوا من أقرب القرابة كالأب والأم.

فإذا عرف المرء أن رجلاً مات مصراً على أي كبيرة[(١)] ولم يتب منها- فإنه لا يجوز له أن يطلب له المغفرة والرحمة[(٢)].

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين أخذ هذا الحكم في صاحب الكبيرة والآية إنما نصت على المشركين؟

الجواب: أخذ ذلك من قوله تعالى في آخر الآية: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿١١٣﴾﴾ وأهل الكبائر من أصحاب الجحيم.

سؤال: قد يقال: إن العامي لا يتبين له أن صاحب الكبيرة من أصحاب الجحيم فهل يعفى عن استغفاره لصاحب الكبيرة؟

الجواب: العامي غافل عن حكم الاستغفار والدعاء بالرحمة لأهل النار أي: لمرتكب الكبيرة من المسلمين، فيعفى عنه ما دام جاهلاً للحكم، فإذا علم الحكم فيعفى حتى يعلم الكبائر وتكليف العوام دون تكليف العلماء في فروع مسائل الأصول وتفاصيلها: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦].

(٢)- **سؤال:** وكيف يجاب على ما روي في كتب السير أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال يوم آذاه أهل الطائف وأغروا به سفهاءهم فرجموه حتى أدموا ساقه: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))؟

=

﴿وَمَا كَانَ[١] اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴿١١٤﴾﴾ كان نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله قد استغفر لأبيه فترة من الزمن ثم إنه ترك ذلك، وكان السبب في ذلك أن أباه كان قد وعده بأن يؤمن[٢] فكان إبراهيم يدعو له ويستغفر له على أساس هذا الوعد؛ فلما عرف إصرار أبيه على الشرك ترك ذلك[٣]، ومعنى «أواه» هو كثير التأوه من خوف الله سبحانه وتعالى.

الجواب: يقال: كان ذلك قبل أن ينزل القرآن بمنع الاستغفار للمشركين. ويمكننا أن نقول: إن المراد باستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو عدم معاجلتهم في الدنيا بعذاب، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]، فالمراد هنا بالمغفرة عدم مؤاخذتهم في الدنيا.

(١)-**سؤال:** هل «كان» هنا تامة؟

الجواب: «كان» ناقصة وخبرها: ما بعد «إلا».

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن صاحب الوعد هو إبراهيم عليه السلام فكيف؟

الجواب: قد فسر ذلك بالوجهين كما في المصابيح، ورجح أن الواعد أبو إبراهيم، قال: وهذا أظهر.اهـ **ويعد**، فإن الوعد الصادر من إبراهيم لا يبرر الاستغفار، وإذا قلنا: إن الواعد أبوه بأنه سيسلم فسيظهر المبرر.

(٣)-**سؤال:** هل لزوم التبري من الوالدين الفاسقين لا زال وارداً وجوبه؟

الجواب: التبري من أعداء الله الذين أوجب الله لهم النار واجب محتوم ولو كان عدو الله أباً أو أماً أو قريباً أو بعيداً. وعلى الابن أن يظهر كراهته وعدم رضاه بما يعمله والده من معصية الله من غير أن يعنف بهما أو يرفع صوته فوق صوتهما، ومن غير أن يدخل عليهما الأذى لقوله تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]، فللوالدين حق على ولدهما كبير ولو كانا مشركين. والبراءة هي إنكار المنكر وإظهار كراهته وعدم الرضا به، ومعاداة صاحبه، ومحل العداوة القلب، ولا بد أن تظهر آثارها على الساحة حتى يعرف أن الرجل مجانب لأهل المنكر ومشاقق لهم.

ومعنى حليم: كثير الحلم؛ لأنه تأنى بأبيه فلم يدع عليه.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يؤاخذ خلقه على فعل معصية حتى يبين لهم أن فعلها معصية.

ومعنى يضل قوماً: يحكم بعذابهم وضلالهم[1]؛ فإذا بين لهم ما يتجنبونه ثم عصوه - فإنه حينئذ سيحكم بضلالهم، واستحقاقهم العذاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾﴾ فما دام شأنه هكذا فاحذروه وامتثلوا لما أمركم به، وانتهوا عما نهاكم عنه؛ فأنتم في قبضته وتحت يده، ولا مفر لكم منه، وبيده حياتكم ومماتكم، ولن يدفع عذابه عنكم أحد أو ينصركم منه.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ[2] فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد تاب عليه هو ومن خرج معه إلى غزوة تبوك.

---

(١)-**سؤال:** لكن يقال إنه سبحانه قابل بين «يضل» وبين قوله: «هداهم» ويلزم على هذا أن معنى «هداهم» حكم لهم بالهداية، والظاهر أن معناه الدلالة أو التوفيق والتنوير فكيف المخرج من هذا الإشكال؟

الجواب: المخرج من ذلك أن المعنى على حسب الظاهر بعد إذ هداهم فاهتدوا، وإذا كانوا مهتدين فهو محكوم لهم بالهدى والثواب، فمن هنا تستقيم المقابلة.

(٢)-**سؤال:** ما السر في عدم تأنيث الفعلين: ﴿كَادَ يَزِيغُ﴾؟

الجواب: تأنيث كلمة ﴿قُلُوبُ﴾ تأنيث مجازي، وإذا كان الفاعل ظاهراً جاز تذكير الفعل وتأنيثه، وفاعل «كاد» هو ضمير الشأن، وفاعل «يزيغ» هو«قلوب» وهذا بالنظر إلى صحة التركيب وجريه على حسب القواعد الإعرابية. وهناك سبب آخر حسن معه تذكير الفعل «يزيغ» هو إضافة الفاعل إلى لفظ مذكر «فريق» فاكتسب التذكير من إضافته إلى مذكر.

وسميت ساعة العسرة؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يدعو الناس للنفير إلى بلاد الروم في أشد الحر، وأقسى الظروف، وكان بعض من المهاجرين والأنصار قد أوشك على عدم الاستجابة لله ورسوله، وقد أضمروا في أنفسهم القعود عن ذلك لولا رعاية الله سبحانه وتعالى لهم؛ إذ شملهم بلطفه وقوى عزائمهم، وربط على قلوبهم؛ فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه قد تاب عليهم فيما بدر منهم(١).

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: هذا ظاهر في: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وأما قوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ..﴾ فظاهر في التوبة المطلقة للذين خرجوا، فقد يحتج بها إما على أن الله يتوب على العبد بغير توبة إذا عمل صالحاً، أو على فضل الصحابة وأنهم ليسوا كغيرهم في الجرح والتعديل، فكيف؟

الجواب: من شأن المؤمن –وإن عظمت في التقوى منزلته– أن يصبح تائباً ويمسي تائباً، ولا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه عنده متهمة، وفي هذه الآية أخبر الله تعالى أنه قد تاب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الذين خرجوا معه في جيش العسرة، ومن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]. وقد وصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يدعون الله بطلب المغفرة في آيات كثيرة من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران]. وطلب المغفرة من الله هو توبة بدليل قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر]، وقد وصف الله تعالى إيمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بصفات في آخر سورة البقرة من جملتها: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾. فمن هنا نقول: إن الله تعالى تاب على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة لأنهم مستقيمون على الإيمان والطاعة والاستغفار، ولا يصح أن نقول: إن الله تاب عليهم من غير أن يتوبوا. ولا شك أن الآية تدل على فضل جيش العسرة في الجملة فقط؛ لأنه روي في التفسير عند قوله تعالى حكاية عن بعض المنافقين: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]، أنها نزلت في منافقين خرجوا في جيش العسرة. وليس في الآية دليل على أن جيش العسرة معصومون، ولا على أن الله تعالى قد غفر لهم ما تأخر من ذنوبهم، وإنما فيها أنه تعالى قد غفر لهم ما مضى، ولا يلزم أن يغفر الله لهم ما تأخر، ولم يظهر أن أحداً من علماء الأمة يقول: إن من تاب غفر الله له ما تقدم وما تأخر من =

ومعنى «لقد تاب الله على رسوله والمؤمنين»: رجع عليهم برحمته ولطفه.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد تاب على الثلاثة الذين تخلفوا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، وهم هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، وكعب بن مالك ثلاثتهم من الأنصار، وذلك أنهم أتوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد عودته من تبوك، واعترفوا له بأنهم قد أخطئوا في قعودهم مع تمكنهم من الخروج طالبين التوبة بعد أن عرفوا أنه لا مخرج لهم عند الله سبحانه وتعالى، ولا ملجأ لهم منه إلا إليه، راضين بحكمه فيهم؛ فأعرض عنهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يحكم فيهم بشيء منتظراً لأمر الله سبحانه وتعالى فيهم، ومنع الناس من السلام عليهم ومن محادثتهم أو معاملتهم بشيء، وجعلهم معزولين عنهم حتى عن نسائهم وأهاليهم؛ فمكثوا على هذه الحالة زماناً قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ(٢) عَلَيْهِمُ

ذنوبه، بل أمر الله تعالى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين التائبين بالاستقامة في آية أخرى فقال عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾ [هود]، فدل ذلك على أن التائبين من المهاجرين والأنصار ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ مأمورون بالاستقامة وأنهم إذا خرجوا عن الاستقامة ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ فإن الله يحاسبهم على طغيانهم ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾.

(١)-**سؤال:** ما وجه التعبير بالفعل المبني للمجهول: ﴿خُلِّفُوا﴾ دون المعلوم: تخلفوا؟

الجواب: قد سمى الله تعالى في هذه السورة كل من لم يخرج مخلفين بالبناء للمفعول: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ [الفتح:١٦]، ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ وكان التعبير في هذه الآية: ﴿خُلِّفُوا﴾ على هذا المنوال، وقد فسر ﴿خُلِّفُوا﴾ أي: عن التوبة أي: أن الله تعالى أَخَّر أمر توبتهم والحكم عليهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض و...إلخ وقد أعجبني هذا التوجيه.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «حتى» في الآية؟

الجواب: معناها الغاية لـ«خلفوا»، أي: خلفوا إلى أن ضاقت. وهذا واضح على التفسير الثاني المذكور في جواب السؤال السابق.

سؤال: أين جواب: ﴿إِذَا﴾ الشرطية في قوله : «إذا ضاقت»؟

الجواب: جوابها محذوف تقديره: تابوا ورجعوا إليه.

الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾(١) فقد ندموا على تخلفهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعرفوا ألا مهرب لهم من الله إلا إليه ولا مفر، فعندما ظهر صدق نياتهم وصدق توبتهم- تاب الله سبحانه وتعالى عليهم بعد ذلك ورحمهم، وأنزل في شأنهم قرآناً.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ۝١١٩﴾(٢) يحثهم الله سبحانه وتعالى على الذهاب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأن يكونوا من جملة المصدقين به والمتبعين له، ويتركوا المنافقين والكاذبين فإنما يدعونهم إلى الضلال.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾(٣) أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ما كان ينبغي

---

(١)- **سؤال:** كيف أخبر الله أولاً بأنه تاب عليهم، ثم بدأ في شرح حالهم، ثم أخبر بأنه تاب عليهم؟ هذا السياق ونحوه يشكل كثيراً على المرشدين؟ وهل المراد بقوله «ليتوبوا»: من أجل أن يتوبوا، فلا يتناسب مع السياق؟ أم كيف؟

الجواب: أخبر الله تعالى أولاً أنه تاب على الثلاثة الذين أَخَّر الله توبتهم إلى أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، عند ذلك تابوا إلى الله، ثم تاب الله عليهم. وقوله: ﴿لِيَتُوبُوا﴾ أي: ليرجعوا إلى الله في المستقبل ويستجيبوا لأمره، ولا يتكاسلوا عن طاعته كما تكاسلوا من قبل، وبهذا الترتيب يظهر المعنى المراد من غير إشكال، والله أعلم. وإعادة الإخبار عن توبة الله بـ«ثم» لتفيد أنه تاب عليهم مرة بعد أخرى، أي: أنه تعالى رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى؛ ليستقيموا على توبتهم، وليتوبوا إن فرطت منهم خطيئة. هكذا وجَّه الزمخشري الآية.

(٢)-**سؤال:** من أين أخذ بعضهم أن هذه الآية دليل على وجوب البحث عن الصادقين؟

الجواب: أخذ ذلك من باب ما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه، أي: أن الأمر بالكون مع الصادقين يقتضي وجوب التعرف عليهم بالبحث حتى يعرفوا، وهذا إن لم يكن المأمورون عارفين لهم.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما محل المصدر: ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾؟ وما معنى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾؟

الجواب: ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا﴾ موضعه الرفع فاعل كان التامة، ومعنى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هو: لا تفضلوا أنفسكم بالراحة وتختاروا لها السلامة والأمن وتعرِّضُوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمخاطر والشدائد وتسلموه للعدو.

لأهل المدينة ومن حولها أن يتركوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخرج وحده إلى تبوك، ويمكثوا في المدينة، ولا يجوز لهم أن يقعدوا عن الخروج معه، وعن الجهاد معه ويعرضوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للهلاك وهم في محل الأمن بين أهلهم وأولادهم.

﴿ذَلِكَ[١] بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ رغبهم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية بأنه سيضاعف عطاءهم إذا خرجوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسيثيبهم وسيجازيهم، فلا يصيبهم ظمأ وعطش، ولا تعب ومشقة، ولا مخمصة أي شدة ومجاعة، ولا ينزلون في مكان أو يصعدون يغيضون به الكفار، ولا ينالون منهم نيلاً إلا وسينالون ثواب عملهم هذا، ويكتب لهم أجره.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ فلا يمشون خطوة، ولا ينفقون نفقة إلا كان لهم على ذلك أجر وثواب، وأي عمل يعملونه خلال خروجهم هذا قل أم كثر فسيوفيهم ثوابه.

﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ وسيثيبهم على ذلك العمل بأحسن الثواب[٢]، وهو أن يجازي على الحسنة بسبعمائة ضعف أو أكثر.

---

(١)-**سؤال:** إلام أشير بقوله: ﴿ذَلِكَ﴾؟

الجواب: أشير بها إلى الكون مع الصادقين وهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون الذين اتبعوه في ساعة العسرة.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنه يجزيهم أحسن العمل الذي كانوا يعملونه فكيف نفهم أنها أحسن الثواب؟

الجواب: ذكر الله تعالى في الآية الأولى ما يصيب المؤمنين في سبيل الله تعالى من الظمأ والنصب والمخمصة و.. إلخ، وأنه يكتب لهم في كلٍّ من ذلك عملٌ صالح، وأنه لا يضيع أجرهم، وأنه يكتب لهم نفقاتهم في سبيل الله وسيرهم ونقل أقدامهم في سبيل الله، ثم علل تعالى كتابته لأعمالهم في سبيل الله التي هي أحسن الأعمال فقال: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
=

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخلف مكانه عند خروجه من يحرس المدينة ويحميها؛ لأن الأعداء كانوا يتربصون بها وبأهلها، ويتحينون الفرص لاقتناصها، فخلف علي بن أبي طالب مكانه بعد أن كان أمير المؤمنين قد ألح عليه في الخروج معه، ولكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصر على بقائه، ولن يحفظها أحد غيره، وكذلك في كل غزوة فلا ينبغي أن ينفروا جميعاً، ويتركوا بلادهم وأهليهم وأولادهم عرضة للعدو.

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ(١) مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ ليخرج من كل فرقة وقبيلة مجموعة منهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم(٢)

يَعْمَلُونَ﴿١٢١﴾ أي: ليجزيهم أحسن الأجر والثواب على أحسن الأعمال التي كتبها لهم، إلا أنه ذكر السبب الذي استحقوا به الثواب وأقامه مقام المسبب الذي هو الأجر والثواب، والقرينة واضحة، بل القرائن على ما ذكرنا متعددة ذكرناها في التفصيل، وآخر قرينة هي قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ﴾ والجزاء على الأعمال الصالحة هو الأجر والثواب.

(١)-**سؤال:** ما معنى «لولا» في الآية؟

الجواب: معناها التحضيض إلا أنها إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التنديم.

(٢)- **سؤال:** يقال: أصل النفير إلى الجهاد، فهل يصح حمله على الخروج لطلب العلم أم كيف؟

الجواب: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو مصدر العلم وعنه يؤخذ التفقه في الدين، وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا نفر للغزو تفتح أبواب التفقه في الدين وأبواب الفرص العريضة حيث أن الغزاة لا يفارقون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا ليلاً ولا نهاراً ولا وقت النوم واليقظة ولا وقت الوضوء والصلاة ولا... إلخ، فإذا سأله سائل سمعوا جوابه و..إلخ، وفي سفره فقهوا صلاة السفر، وصلاة الخوف، وصلاة النافلة، وآداب السفر، وحقوق المركوب، وحقوق الصاحب، وما لا يحصى من دقائق الأحكام الفقهية، بالإضافة إلى ما يبتدئهم به من العلم والمواعظ والذكر. وكانت غزواته تمتد إلى شهر أو أكثر أو أقل، فسافر صلى الله عليه وآله وسلم إلى مكة أربع مرات، كل سَفْرة تمتد إلى شهر تقريباً، وهي سفرة لعمرة الحديبية، ثم لعمرة القضاء، ثم لفتح مكة، ثم للحج، =

ليأخذوا عنه ويتعلموا عنه أحكام دينهم خلال ذلك فلا يرجعون إلى أهاليهم إلا وقد استفادوا وتعلموا وأخذوا عنه؛ فيعلمونهم ما استفادوه(١) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفرهم

وسفرته لتبوك كذلك امتدت نحو شهر، وغزوة بدر امتدت أياماً، وخيبر أياماً، و...إلى آخر غزواته صلى الله عليه وآله وسلم.

(١)- **سؤال:** هل في الآية دليل على وجوب طلب العلم على جميع المكلفين، حيث ألزم الخارجين أيضاً بتعليم الجالسين في المدينة؟

الجواب: نعم فيها دليل على وجوب طلب العلم على جميع المكلفين، وأقل العلم الواجب هو علم ما يجب على المكلف ولو عن تقليد كالعامي فيجب عليه بعد الإسلام والإيمان أن يتعلم الصلاة والطهارة والصيام وإذا كان غنياً فيتعلم الحج وإذا تزوج فيجب عليه معرفة حقوق الزوجة، وإذا كان تاجراً فيلزمه أن يتعلم ما يحرم من المعاملات، وكل ذلك بالسؤال وتقليد العالم الذي تطمئن إليه النفس لعلمه وعدالته وثقته وأمانته ودينه.

سؤال: يروى عن إمام الزمان مولانا مجدالدين عليه السلام أنه رجح أحد معنيي الآية اللذين ذكرهما الزمخشري وهو أن الله عاتبهم على الخروج جميعاً في السرايا وأمرهم أن يُنَفِّروا إلى الجهاد طائفة منهم، ويبقى الكثير منهم في المدينة ليتفقهوا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يعلموا الخارجين إذا عادوا من تلك السرية أو الغزوة، فما مدى موافقته لأول الآية؟

الجواب: هذا الوجه صحيح، والآخر صحيح؛ لأن هناك جامعاً مشتركاً بين الأقوال وهو أن يتعلم طائفة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يعلموا ما تعلموه من العلم والمعرفة من لم يكن بحضرته صلى الله عليه وآله وسلم، واختلاف الأقوال في صفة النفر لا يفسد التفسير ولا يخل بصحته ما دام المعنى كما ذكرنا؛ لذلك فنقول: التفاسير كلها صحيحة.

سؤال: هل في الآية دليل على تفضيل طلب العلم على الجهاد على كل التفاسير أم لا؟

الجواب: العلم مقدم على العمل، ولا يتم العمل إلا بالعلم، وفضلُ العلم على العمل -الجهاد وغيره من الأعمال- أمْرٌ مسلّم ومفروغ منه بين علماء الأمة، وقد نطق بذلك القرآن: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩]، ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:٢٨].

هذا وما تعلموه، يحثهم الله على ذلك حثاً؛ لأنهم يستفيدون عنه في أسفارهم أكثر مما يستفيدونه وهم في بلادهم؛ لأنهم يكونون منشغلين في مدينتهم بأمور معايشهم، وإصلاح أراضيهم وأشجارهم، فلا تتاح لهم فرصة الجلوس حوله والاستفادة منه، فإذا كانوا معه في أسفاره فإنهم يحفظون عنه كل أفعاله وحركاته وأقواله، فلا يرجعون من سفرهم إلا وقد أخذوا عنه الكثير والكثير من الفوائد والعلوم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴿١٢٢﴾﴾ لأجل أن ينتفع بقية قومهم، ويعرفوا أحكام الله وأمور دينهم، وليتجنبوا معصيته.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾(١) أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يقاتلوا الكفار ويبدؤوا بقتال القريب فالقريب منهم، وأمرهم بأن يكون فيهم شدة وقساوة عليهم، ولا يلينون لهم؛ لأنهم إذا لانوا لهم طمعوا فيهم.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴿١٢٣﴾﴾ بنصره ومعونته وتأييده.

﴿وَإِذَا مَا(٢) أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ كلما أنزل الله سبحانه وتعالى سورة من القرآن- تهامس بعض أهل المدينة فيما بينهم وتساءلوا فيما بينهم: من منكم زادته هذه السورة إيماناً؟

---

(١)-**سؤال:** قد يُفْهَم معارضة هذه الآية لآية المائدة: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ [المائدة:١٣]، فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: آية المائدة نزلت في أهل الكتاب المعاهدين وكانت تصدر منهم خيانات في بنود العهد فأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالتغاضي والصفح عن تلك الخيانات وأن يتجاوز عنها، وهذه الآية نزلت في المشركين المحاربين فلا تصادم بين الآيتين.

(٢)-**سؤال:** هل «ما» هذه زائدة أم لا؟

الجواب: «ما» صلة «زائدة» تدخل لتأكيد الكلام وتقويته.

فيجيبهم الله سبحانه وتعالى على ذلك: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ۝﴾[١] يخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنها تزيد الذين آمنوا لا غيرهم.

يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن كيفية طبع المؤمنين والمنافقين، فالمؤمنون ينتفعون بها ويعملون بأحكامها، فيزداد إيمانهم وثوابهم عندما يعملون بها.

والمنافقون يكفرون بها ولا يعملون بأحكامها، فيزدادون بذلك كفراً إلى كفرهم؛ لأنهم قد كفروا بما نزل من قبل، وكلما نزل شيء كفروا به أيضاً فازدادوا كفراً إلى كفرهم، وهذا معنى قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي نفاق، ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ۝﴾[٢].

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ۝﴾ يعجب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لماذا لا ينتفع المنافقون[٣] ويرجعون إليه، مع أنه ينزل بهم في كل سنة من البلاوي والمصائب ما

---

(١)-**سؤال:** من أين نأخذ أن هذا من جواب الله عليهم؟

الجواب: أخذنا ذلك من وقوعه بعد قول المنافقين المستهزئين بالمؤمنين الذين يستقبلون سور القرآن وآياته عند نزولها بالإيمان والتعظيم والفرح والسرور، والفاء التفريعية تدل على ما قلنا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.

(٢)-**سؤال:** ما وجه نسبة زيادة الرجس إلى السورة؟

الجواب: الوجه كون السورة سبباً ويسمى إسناد الفعل إلى السبب مجازاً عقلياً.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن تعمم الآية في كل مبتلى ولو كان من المسلمين؟

الجواب: الآية ذكرت ما ابتلى الله به المنافقين فيما سبق نزول الآية من الوقت، وليس فيها عموم، ولكن سنة الله واحدة في الأولين والآخرين فقد قضت رحمته وحكمته أن ينبه الغافلين بما من شأنه أن يوقظهم من غفلتهم ويردهم إلى الصواب: ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ۝﴾ [الأعراف]، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝﴾ [الأعراف]، ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝﴾ [السجدة].

يجعلهم ينزجرون، ويقلعون عما هم عليه من الكفر والنفاق والتمرد؛ فالمفترض بهم أن ينتبهوا بسبب ذلك من غفلتهم ورقدتهم، وهذا من لطفه عندما يبتلي الإنسان ببلاء أو شدة؛ لأن ذلك يوقظه، ويسوقه إلى الرجوع إليه والخوف منه، فكيف مع كل هذا لا ينتبه المنافقون ويرجعون عن غيهم وضلالهم.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ(١) ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴿١٢٧﴾﴾ فهذه هي طبيعة المنافقين كلما أنزلت سورة وسمعوها جعل بعضهم ينظر إلى بعض يهمون بالفرار لئلا تلحقهم مذمة عندما يتركون العمل بما نزل، ويكون انصرافهم عذراً لهم في عدم العمل ظناً منهم أن ذلك ينفعهم، وأن فيه مخرجاً لهم.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى العرب بأنه قد أرسل إليهم رسولاً منهم، إذ كان أهل المدينة أخواله، وأهل مكة أهله وعشيرته.

فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه ليس غريباً أن يكون منهم نبي، فلماذا لا تؤمنون به ما دمتم تعرفونه، وتعرفون معدنه وأصله.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾(٢) يعز عليه أن تقعوا في المهالك، وحريص عليكم أشد الحرص، وأيضاً يدعوكم إلى ما فيه نجاتكم وسعادتكم في الدنيا والآخرة.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾ مشفق على المؤمنين أن يلحقهم أي أذى أو مكروه أو مضرة في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ معمول لقول محذوف أم كيف؟

الجواب: ذلك معمول لقول محذوف تقديره: قائلاً هل يراكم من أحد.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾؟

الجواب: «ما» مصدرية مسبوكة مع «عنتم» بمصدر، وهو فاعل ﴿عَزِيزٌ﴾، وعزيز: صفة ثانية لرسول، ويجوز أن يكون «ما عنتم» مبتدأ مؤخر، وعزيز: خبر مقدم، والجملة صفة ثانية لرسول في محل رفع.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأبوا الاستماع إليك، وأرادوا هلاكك.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ فلا تخف منهم، وقل سيكفيني الله بهم، وسيحفظني ويدفع عني شرهم وأذاهم، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ اعتمدت عليه وحده، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴿١٢٩﴾﴾ رب الملك كله، والعرش هو ملك السماوات والأرض وما بينهما(١)، ولا سرير كما يزعمون ويقولون.

وهذه السورة اسمها التوبة، وقد نزلت في المدينة، وأكثرها تتحدث عن المنافقين، وتذكر شأنهم وأفعالهم، وبعض آياتها قد تحدثت عن المشركين.

۞۞۞۞۞

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يلزم من القول بأنه بناء عظيم فيه مصلحة عظيمة للملائكة أو لطف لهم- محذور أو لا؟ وهل يحمل عليه ما ورد في الحديث الصحيح الذي في مجموع الإمام زيد وغيره من المسانيد: ((إلا كتبت في رق ثم وضعت تحت العرش..إلخ))؟

الجواب: لا يلزم محذور فيما ذكرتم، وقد جوز بعض أئمتنا ما ذكرتم تجويزاً، ولكن العبرة في الإثبات لما ذكرتم هو الدليل، وقد فسر أئمتنا ما ورد في القرآن العرش والكرسي بغير البناء العظيم، بل في البخاري عند تفسيره لآية الكرسي صدَّر تفسيرها برواية أنه الملك. وأما: ((إلا كتبت في رق ثم وضعت تحت العرش)) فالتعبير كناية عن قبول الله للعمل وبيان مكانته عنده، وعن حفظه في أحفظ مكان، وقد صح وثبت أن الله تعالى غني عن كتابة علمه، ولا يحتاج أن يحفظ ما يريد حفظه تحت العرش، وإنما ذلك شأن المخلوق الضعيف.

سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يونس تتحدث عن مشركي مكة وتخاطبهم، وكان نزولها في مكة عندما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدعوهم إلى الإسلام والإيمان، ولكنهم رفضوا الاستماع إليه، وأصروا على كفرهم وتمردهم، وعلى عبادة الأصنام.

﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ①﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن اسم هذه السورة «الر»، وأنها تحتوي على الآيات المحكمة التي تنطق بالحكمة، وليست كلاماً كسائر الكلام فكل كلمة فيها تشتمل على المعاني الحكيمة البالغة الدقة والإحكام، وتتحدث عن مواضيع هامة ينبغي الاستماع لها، والوقوف على معانيها، والتدبر لما جاء فيها.

وأشار إليها بأنها آيات الكتاب الحكيم تعظيماً لها، وتفخيماً لشأنها(١).

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ(٢) أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ②﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم كيف أنهم يتعجبون عندما أنزل الله وحيه على رجل منهم؟ وكيف يجعلون ذلك مستحيلاً وغير ممكن؟ واستغربوه غاية الغرابة، فقالوا: لا يصح أن يكون الذي ينذرنا بشراً مثلنا، ولا بد أن يكون من غير جنسنا إما ملكاً أو نحوه؛ فكيف يتعجبون وليس ذلك موضعاً يستدعي

---

(١)-**سؤال:** هل مرادكم حصول هذا من استخدام إشارة البعيد، أم حين جعلها آيات الكتاب وإنما هي آيات بعضه؟

الجواب: المراد أنه حصل التعظيم من مجموع الأمرين.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ ﴿أَنْ أَنْذِرِ﴾؟

الجواب: «أن أوحينا» في تأويل مصدر مرفوع اسم كان. «أن» مفسرة لتقدم معنى القول دون حروفه، و «أنذر الناس...» مفسرة لا محل لها من الإعراب.

التعجب؟ وما المانع من أن ينزل الله سبحانه وتعالى وحيه على رجل مثلهم؟ فواجهوا هذا النبي الذي ينذرهم واتهموه بأنه ساحر ظاهر سحره، وليس من النبوة في شيء.

ومعنى: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أن لهم عند الله مكانة مكينة.

ثم خاطب الله سبحانه وتعالى قريشاً فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1] فمن هذه صفاته هو الذي يستحق أن يكون رباً لكم تتوجهون إليه بعبادتكم دون تلك الأصنام التي لا تنفع ولا تضر.

---

(١)-**سؤال:** هل الستة الأيام على حقيقتها أم لا؟ وماذا يجاب على من قال: إن قدرة الله متمكنة على خلقها في لحظة فما وجه الستة الأيام؟

الجواب: الستة الأيام المذكورة في الآية هي أيام أخرى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴿٤٧﴾﴾ [الحج]، والله تعالى على كل شيء قدير فهو جل وعلا قادر على أن يخلق السموات والأرض في لحظة واحدة، ولكن الله تعالى طبع خلق ما خلق في هذه الحياة على أسباب ومهلة، فخلق الإنسان وسائر الحيوان من الماء (النطفة) بتزاوج الذكر والأنثى خلقاً من بعد خلق... إلخ، وخلق النبات من البذرة خلقاً من بعد خلق، وأصل خلق الإنسان والحيوان والنبات هو التراب، وهكذا خلق السموات والأرض وما بينهما كان على مراحل. والذي لاح بخاطري من وجوه الحكمة يعود إلى المكلفين والتكليف، ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]، ففي هذا القرن الذي تطورت فيه وسائل المعرفة توصل علماء المادة إلى أن أصل خلق الكواكب والنجوم (السماوات والأرض) هو مادة غازية في الفضاء تكونت منها الأرض والشمس وسائر الأجرام السماوية، وبهذه المعلومة التي تحققوها وآمنوا بها ونشروها وأعلنوها، وتدرس في المعاهد والجامعات تقوم حجة الله عليهم أولاً وعلى أهل عصرهم ثانياً. وإنما كان حجة عليهم قائمة لأن الله تعالى قد ذكر ذلك في القرآن الحكيم الذي جاء به رسول الله ﷺ قبل مئات السنين فهذا مثال يفتح باب معرفة الحكمة، والله أعلم.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم استولى على الملك، وجعله تحت سيطرته، وتحت قدرته وتدبير شؤونه.

والملك هو السماوات والأرض وما بينهما، والعطف بثم هنا يدل على قدرته وتمكنه، وأن الاستيلاء وتولي إدارة ذلك أعظم من خلقه.

ولا سرير هناك كما يقولون، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد ذكر ذلك في سياق التمدح والكبرياء، فلو كان معنى ذلك هو الجلوس على السرير كما يزعمون، فأي تمدح في ذلك؟ وأي فائدة في ذكره لو كان كذلك؟ بل ولكان ذلك نقيصة في حقه جل وعلا أن يجعل جلوسه من جملة ما يتمدح به.

يثني الله سبحانه وتعالى على نفسه هنا، ويذكر صفاته التي يستحق بها الربوبية، فلم يبق مع ذلك إلا أن يكون معنى الاستواء هو ذلك الذي فيه غاية المدح والثناء له جل وعلا، وقد ورد ذلك في لسان العرب كثيراً، أي استعمال العرش بمعنى الملك، وأيضاً فقد فسره الكلام الذي ورد بعده فقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ مما يزيد ذلك وضوحاً ودلالة في أن المراد المعنى الذي ذكرنا وهو الاستيلاء[١].

﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ فالله سبحانه وتعالى لجلاله وعظمته وملكه وسلطانه أخبر أنه لا يستطيع أحد أن يشفع عنده إلا لمن أذن له، فلا نبي مرسل ولا ملك مقرب، يتقدم بشفاعة عند الله إلا بعد أن يأذن الله تعالى له، وهذا مما يدل على عظمته وقوة ملكه وسلطانه وتمكنه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: إذا كان ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى «استولى» فإنه يفهم أن ثمة منازعاً فكيف يكون رد هذا الفهم؟

الجواب: يزول ذلك الفهم بمعرفة معنى «ثم» في هذا الموضع. وأيضاً فإنا لو فسرنا العرش بالبناء العظيم فإن الله تعالى متعال عن القعود عليه؛ لأن القعود من صفات الأجسام والله تعالى ليس بجسم، فلا يرتفع الفهم المذكور في السؤال.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ فمن هذه صفاته هو ربكم الذي ينبغي أن تتوجهوا بعبادتكم إليه، وليست تلك الأحجار التي تنحتونها، وتجعلون لها أسماءً، وتعبدونها من دون الله.

﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ فخصوه بالعبادة ولا تعبدوا غيره؛ فالذي خلقكم وخلق السماوات والأرض وما بينهما، وسيطر عليهما بقدرته وقوته وملكه وتدبيره هو الذي ينبغي أن تتوجهوا بعبادتكم إليه بدل تلك الأحجار التي لا تضر ولا تنفع ولا تغني شيئاً.

﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ۝٣﴾ يحثهم الله سبحانه وتعالى على الرجوع إلى عقولهم، وأن يتفكروا وينظروا ليعرفوا الصدق والحقيقة؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد ركز في عقل كل عاقل معرفته، وأنه الذي يستحق العبادة دون غيره، وقد فطرها على التمكن من التوصل إلى ذلك؛ فإذا فتش فيها سيجد حقيقة ذلك، وسيسوقه تفكيره إلى الحقيقة التي تقتنع عندها الفطرة فلا يحتاج العقل إلى تعب في التفكير وإنما دعاه الله إلى أن يفتش بتفكيره في حنايا عقله.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ يحذر الله سبحانه وتعالى كفار قريش بأنهم سوف يرجعون إليه جميعاً هم وآلهتهم، وجميع من في السماوات والأرض فيجازيهم.

﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾[1] ولا بد أن يقع وهو حق ثابت لا يُخْلَف.

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ كانوا ينكرون البعث ويجعلونه مستحيلاً، ويستبعدون كيف يحيي الله العظام وهي رميم، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن من قدر على بداية خلق الشيء من العدم سوف يقدر على إعادته، بل إن الإعادة أسهل من ابتداء الشيء من العدم؛ لأن الإعادة هي تركيب وتأليف أشياء موجودة بخلاف الابتداء.

---

(١)-**سؤال:** علام نصب قوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ و﴿حَقًّا﴾؟

الجواب: «وعد الله» مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة التي قبله فهي في قوة «وعد» فهو منصوب بوعد أي بفعله، و«حقاً» مفعول مطلق منصوب بفعله المقدر.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾[(١)] فهذه هي الحكمة والغرض من الإعادة وبعث الناس يوم القيامة.

﴿وَالَّذِينَ[(٢)] كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ۝٤﴾ يبعثهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ليجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا، فهؤلاء إلى النار بسبب كفرهم وتكذيبهم بآيات الله سبحانه وتعالى ورسله، وأولئك إلى الجنة والنعيم الدائم جزاء أعمالهم الصالحة.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى قريشاً، ويستنكر عليهم عبادتهم الأصنام، ولماذا لا تعبدون الله الذي خلق الشمس وسخرها لكم تستضيئون بنورها الوهاج، وجعل[(٣)] القمر لكم نوراً تستضيئون

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: هل مضاعفة الثواب إلى حد بعيد من العدل والقسط؟

الجواب: مضاعفة الثواب تفضل وإحسان، أي: ما زاد على الثواب المستحق على العمل الصالح، ولا تنافي بين مضاعفة الثواب وبين العدل والقسط، ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:٢٦١].

(٢)-**سؤال:** ما العلة في استئناف الكلام في الذين كفروا، ولم يعطفه على الذين آمنوا؟

الجواب: لم يعطف «الذين كفروا» على «الذين آمنوا» ليشير إلى أن الحكمة في خلق الناس في هذه الدنيا ثم إعادتهم بعد الموت يوم القيامة هي مجازاة المؤمنين وإثابتهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝٥٦﴾ [الذاريات]، ولم يخلق الله تعالى أحداً من الناس ليكفر به ويعصيه، ولكن من تمرد على الله وكفر به وفسق عن أمره استحق الجزاء في نار جهنم، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا۝١٤٧﴾ [النساء]. ويمكننا تلخيص ذلك بأن الحكمة من خلق المكلفين هو عبادة الله التي توصل صاحبها إلى الجزاء العظيم في جنات النعيم، وقضت حكمة الله ثانياً بأن من تمرد عن عبادة الله وكفر بها فجزاؤه جهنم. وبهذا يتضح ترك العطف، ويظهر حسن الاستئناف، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** هل مرادكم أن هذا هو الفرق بين معنى الضياء والنور؟

الجواب: نعم ذلك هو المراد، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.

بنوره الخافت، وكل منهما لحكمة ومصلحة لكم؟ وكم من فوائد جعلها الله فيهما بقدرته وحكمته.

﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ﴾ وهي منازل القمر منزلة بعد منزلة إلى أن تستوفي شهراً.

﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ جعل هذه المنازل لتعرفوا بها السنين، وتحسبوا بها أوقاتكم ومواعيد معاملاتكم، وفي ذلك من المصلحة ما لا يخفى.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ما خلق ذلك إلا لحكمة ومصلحة لكم وغرض منفعتكم، ولم يخلقهما عبثاً.

وكل شيء يخلقه الله سبحانه وتعالى فهو لحكمة ومصلحة لكم، وأما هو فليس محتاجاً لذلك، يطلعهم الله سبحانه وتعالى هنا على المصالح التي يلمسونها بجوارحهم، ويحسون بها، وتحيط بها أفكارهم ببديهتها، وإلا فهناك فوائد كثيرة غير ذلك فمن فوائد القمر أنه الذي يمسك البحر، ويتحكم في عملية المد والجزر، وفيه[1] جاذبية تمنعه أن يفيض على اليابسة، ولا زال العلم الحديث يكتشف المزيد والمزيد من الفوائد التي تصب كلها في مصلحة الإنسان، وبعدُ فالحكمة العظيمة التي خلق الله من أجلها المخلوقات كلها هي أن يثيب الصالحين، ويعذب الظالمين.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝﴾ يوضح الله سبحانه وتعالى، ويبين لهم الآيات التي تدل على وحدانيته وقدرته وحكمته وعلمه ورحمته؛ لأن الشمس والقمر رحمة ونعمة عظيمة يفصل الله سبحانه وتعالى آياته فيهما وفي غيرهما لأولئك الذين يتأملون فيها، ويتدبرون في خلقها، ويزداد إيمانهم بالنظر في عجيب صنعها.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً أين الجاذبية في القمر أم في البحر؟

الجواب: الجاذبية في القمر فهي التي تمسك الماء وتجذبه إلى فوق، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى البحر ترى عند منتهى نظرك الماء مرتفعاً، وهذه المعلومة من العلوم الحديثة، بل قد رأيتها في كتب قديمة لا أذكرها، والله أعلم.

﴿إِنَّ فِي اختلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا[1] خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ۝٦﴾ فمرة يكون الليل طويلاً والنهار قصيراً، ومرة يكون العكس من ذلك، والليل يكون مظلماً، والنهار يكون مبصراً، يجيء النهار ثم يخلفه الليل.

يحثنا الله سبحانه وتعالى أن ننظر ونتفكر في هذا الاختلاف أليس يدل على أن وراء ذلك قادراً يفعل ذلك، وكذلك يحثنا على النظر فيما يترتب على هذا الاختلاف من المنافع العظيمة والمصالح الجمة الكثيرة لنا، أليس في ذلك آيات دالة على قدرته ورحمته وعلمه ووحدانيته وفضله ونعمته على الناس.

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سينتفع بهذه الآيات ويتفكر فيها المتقون لسخطه ونقمته، وأما الذين لا يخافون منه، ولا يؤمنون باليوم الآخر- فهم بعيدون كل البعد عن ذلك، ومعرضون أشد الإعراض.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بهؤلاء المشركين فهم الذين لا يؤمنون باليوم الآخر، ولا يؤمنون بلقاء الله سبحانه وتعالى، ولا بالحساب والعقاب والجنة والنار، وينكرون أن يكون هناك حياة غير هذه الحياة.

﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾ وجعلوا أكبر همهم الدنيا وزينتها وملذاتها، وتوجهوا بجميع أعمالهم إليها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ۝٧﴾ وهم غافلون عن النظر والتفكر في آيات الله سبحانه وتعالى التي بين أيديهم من خلق السماوات والأرض والشمس والقمر، واختلاف الليل والنهار.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن مصيرهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٨﴾ فمصيرهم إلى جهنم بسبب أعمالهم تلك.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «ما» في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾؟

الجواب: هي موصولة بمعنى الذي.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝٩﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن الذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة فسيهديهم ربهم إلى أن يعملوا(٢) بالأسباب التي تؤدي بهم إلى الجنة، وسيبصرهم(٣) بسبب ذلك إلى الطريق التي يسيرون فيها وتؤديهم إلى الجنة.

﴿دَعْوَاهُمْ(٤) فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ فهذا هو دعاء أهل الجنة، وهو: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي ننزهك ونعظمك ونقدسك، وأما تحية بعضهم لبعض وتحية الملائكة لهم فهو: (السلام عليكم).

﴿وَءَاخِرُ(٥) دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ على ما هداهم إلى أن وصلوا إلى ذلك الملك العظيم، والنعيم الدائم، ونفوسهم تطفح بحمد الله تعالى

---

(١)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾؟

الجواب: محلها الرفع خبر ثانٍ لـ«إنَّ».

(٢)-**سؤال:** ما العلة في حذف هذا المعمول من الآية؟

الجواب: حذف للعلم به، ولأنه لا يحصل إلباس.

(٣)- **سؤال:** يقال: قد ذكر جمهور أئمتنا أن معنى: ﴿يَهْدِيهِمْ﴾ هنا يثيبهم فكيف؟

الجواب: تفسير «يهديهم» هنا بيثيبهم تفسير صحيح، ولكن لا يمنع ذلك من تفسيرها بالتوفيق والتنوير؛ لأنها محتملة للوجهين، وبعد فالمعنى في الوجهين واحد فإن التوفيق والتنوير يوصل إلى الثواب الدائم.

(٤)-**سؤال:** يقال: كيف عبر عن الدعاء بلفظ الدعوى؟

الجواب: الدعوى مصدر دعا يقال: دعا يدعو دعاءً ودعوى، مثل شكا يشكو شكاية وشكوى، وهذا القول هو أجود ما قيل في تفسير هذا، والله أعلم.

(٥)-**سؤال:** أين خبر: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾؟

الجواب: الخبر هو: أن وما دخلت عليه في: ﴿أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ فهو مؤول بمصدر في محل رفع.

والثناء عليه عندما يرون هذه النعمة التي لا يضاهيها نعمة، والنعيم الذي لا يساويه ولا يعادله نعيم، تعبيراً وكناية عن رضاهم عن الله سبحانه وتعالىٰ بما أعطاهم.

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ(١) بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لو أن الله سبحانه وتعالىٰ يستجيب للناس عندما يدعون علىٰ أنفسهم بالعذاب والهلاك لانتهت حياتهم ولماتوا، ولو أنه يعجل استجابته لهم بذلك مثلما يعجل استجابته لهم بالخير عندما يدعون به لأهلكوا، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ لا يستجيب لهم دعاءهم بالشر علىٰ أنفسهم رحمة منه تعالىٰ بعباده.

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾ لا يعجل الله تعالىٰ العذاب للكافرين بل يمهلهم ويتركهم فيما اختاروا لأنفسهم من الكفر والضلال، مع أنهم يدعون الله سبحانه وتعالىٰ أن يعذبهم، وذلك كدعائهم علىٰ أنفسهم عند النبي ﷺ عندما دعاهم إلىٰ الإيمان فقالوا: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال]، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾ [ص]، أي: عجل لنا نصيبنا من العذاب الآن، ولكن الله سبحانه وتعالىٰ لا يستجيب لهم ذلك، بل يتركهم في غيهم وضلالهم وشركهم، يسرحون ويمرحون إلىٰ أن يستوفوا آجالهم التي كتبها لهم، ولو أنه يستجيب لهم لأخذهم في الحال وعذبهم، ولما أمهلهم.

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ(٢) أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ في هذه الآية عن طبع ابن آدم في الجملة، فإذا

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿اسْتِعْجَالَهُمْ﴾؟

الجواب: إعرابه النصب علىٰ أنه مفعول مطلق أي: مثل استعجالهم بالخير.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ: ﴿دَعَانَا لِجَنْبِهِ﴾؟ وكيف عطف عليه: ﴿أَوْ قَاعِدًا﴾؟

الجواب: معنىٰ ذلك أنه يدعو الله وهو رهين الفراش، «لجنبه» متعلق بمحذوف حال من فاعل «دعانا»، فهو في محل نصب؛ لذلك صح أن يعطف عليه ﴿قَاعِدًا﴾ بالنصب.

أصابه بلاء وشدة- رجع إلى الله سبحانه وتعالى يدعوه ويتضرع إليه، ويستغيث به في كل وقت، وعلى كل حالة في قيامه وقعوده واضطجاعه؛ ليكشف عنه هذا الضر، فما إن يرفع الله سبحانه وتعالى عنه ضره حتى يبدأ في الإعراض عنه وينأى بجانبه، فلا يحمد الله ولا يشكره، ورجع إلى عبادة الأصنام والاستقسام بالأزلام، وترك ذلك الذي عافاه وشفاه وأنقذه من المهالك.

وهكذا دأبهم يخلصهم الله سبحانه وتعالى من البلاوي والأمراض والمهالك والشدائد، فيعرضون عنه، ويظنون أنهم بعملهم هذا الذي قد زينه لهم إبليس في خير العمل.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى قريشاً، ويحذرهم بأسه ويحثهم على أن ينظروا في مصير الذين من قبلهم عندما كفروا بآيات الله سبحانه وتعالى، وكذبوا رسله- ليعتبروا بهم فيقلعوا عما هم عليه، و«لما» بمعنى حين.

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ ولكنهم لم يؤمنوا بالرغم من الآيات التي جاءتهم بها رسلهم؛ فعذبهم الله جزاءً على ذلك.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ۝١٣﴾ سوف نجازيكم ونفعل بكم مثل ما فعلنا بهم، فاحذروا.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد أولئك الذين أهلكناهم، تعمرونها وتعيشون على ظهرها.

﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ۝١٤﴾[1] لنختبركم كيف سيكون عملكم فيها، هل ستطيعون الله سبحانه وتعالى، وتؤمنون بآياته ورسوله؟ أم ستعرضون كما أعرض من كان قبلكم؟

---

(١)-**سؤال:** هل في الآية تهديد ووعيد أم إنها على جهة الإخبار فقط؟

الجواب: فيها وعيد وتحذير للخلائق بأن مصيرهم -إن كفروا- سيكون مثل مصائر المكذبين الذين أهلكهم الله بسبب كفرهم وتكذيبهم لرسله.

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ(١) لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ يتحدث الله سبحانه وتعالى عن مشركي قريش، وكيف كان موقفهم من القرآن وجوابهم عندما تلي عليهم، فأخبر الله سبحانه وتعالى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان إذا تلا عليهم آيات القرآن التي هي واضحة، والحق بين فيها، وظاهر لمن سمعه كان المشركون يجيبونه بأن يأتيهم بغير هذا القرآن، أما هو فلن يصدقوه، وليس ذلك منهم في الحقيقة إلا عناداً وتمرداً عن قبول الحق.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يجيبهم بهذا الجواب وهو أنه لا ينبغي لي أن أبدله وليس في استطاعتي ولا تحت قدرتي فهو كلام الله سبحانه وتعالى؛ فإن شاء تركه، وإن شاء بدله لهم بغيره.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ فلست أبلغكم إلا ما يوحي به الله سبحانه وتعالى إلي من الآيات، ولست مأموراً بغير ذلك، شئتم أم أبيتم.

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ إن بدلته لكم أو جئتكم بشيء من عندي فقد عصيت الله سبحانه وتعالى، وأنا أخاف من معصيته عذاب جهنم.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾(٢) أخبرهم يا محمد أن الله تعالى لو شاء لما أوحى به إليك، ولما بعثك لتقرأه عليهم.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾؟

الجواب: المؤمن يرجو ثواب الله ورحمته لإيمانه بالله وباليوم الآخر، والكافر بالعكس، فالرجاء والإيمان متلازمان في حق المؤمن، فكنى في حق الكافر بعدم الرجاء عن عدم الإيمان، وصحت الكناية لما ذكرنا من التلازم.

(٢)-**سؤال:** ما النكتة في تغيير الضمير من المتكلم إلى الغيبة في ﴿تَلَوْتُهُ﴾ ﴿أَدْرَاكُمْ﴾؟

الجواب: تغيير الضمير هو المسمى بالالتفات، وفائدته تنشيط ذهن السامع للإصغاء والاستماع للخطاب، ويختص هذا المقام بكون الحجة على الخصم تستدعي المواجهة بها له، وضمير المتكلم والمخاطب هو الموضوع للمواجهة والخطاب.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ ولو كان من تلقاء نفسي لكنت قد أخبرتكم به وقرأته عليكم قبل مبعثي.

أراد بذلك أن يقنعهم بأنه من عند الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأنه لو كان من عند نفسه لكان قد أسمعهم شيئا من هذا الكلام المعجز قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالىٰ إليهم، مع أن جميع قريش يعترفون بصدق النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمانته، وأنه لم يكذب كذبة قط؛ فلماذا يكذب الآن مع وضوح صدق ما جاء به؟

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿١٦﴾﴾ يحثهم النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علىٰ التفكر والنظر في صدق ما جاء به.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴿١٧﴾﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لا أحد أشد ظلماً من ذلك الذي يفتري الكذب علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ويقول: إن الله حرم هذا، وحلل هذا، كذباً وافتراءً من عند نفسه، وكذلك الذي إذا سمع آيات الله تتلىٰ عليه كذب بها واستهزأ، ونسبها إلىٰ الخرافات والسحر والأباطيل.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ هؤلاء المشركون كانوا يعبدون الأصنام التي لا تضر ولا تنفع.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ فسنسعد بشفاعتهم في الدنيا والآخرة؛ لأنها هي الواسطة بيننا وبين الله.

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴿١٨﴾﴾(٢) لقد تعاظم جهلكم أيها المشركون حتىٰ ادعيتم أن مع الله

---

(١)-**سؤال:** هل الإشارة بالإجرام إلىٰ هاتين المعصيتين؟

الجواب: قوله: ﴿الْمُجْرِمُونَ﴿١٧﴾﴾ إشارة إلىٰ أن تلك المعصيتين إجرام وفاعليها مجرمون.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية صحة الدليل المنطقي (الاستثنائي) مع صحة الملازمة بين المقدم والتالي هكذا: «لو كان له شريك لعلمه تعالىٰ» لكنه تعالىٰ لا يعلم له شريكاً، ينتج: فليس له شريك؟

=

آلهة، والله سبحانه وتعالى لا يعلم له شريكاً في السموات والأرض.

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ كان الناس جميعاً على الكفر(١)، ثم بعث الله سبحانه وتعالى إليهم الأنبياء فاختلفوا حينها؛ فمنهم من آمن، ومنهم من كفر.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١٩﴾ لولا أنه قد سبق من الله سبحانه وتعالى الوعد بأنه سوف يؤجل حساب الخلائق وجزاءهم إلى يوم القيامة لحكم بينهم في الدنيا، ولكن حكمته اقتضت أن يؤخر ذلك إلى يوم القيامة فيحكم بين المحقين والمبطلين.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يطلب المشركون من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يأتيهم بآيات تدل على نبوته ووعدوه بأنهم سيؤمنون به ويصدقونه، متغافلين عن الآيات التي قد جاءهم بها قبل ذلك، ومتعامين عنها، زاعمين أنها ليست شيئاً، وأنها لا تدل على صدق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصدق نبوته، وفي الحقيقة أن هذا ليس إلا عناداً منهم وتمرداً.

﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فلا أعلم ماذا سيكون من الله سبحانه وتعالى، وما الذي سينزله عليكم أو يأتيكم به، ولست إلا مبلغاً لما يأمرني بتبليغه، وليس في يدي شيء غير ذلك.

﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٢٠﴾ انتظروا واصبروا ماذا سيأتيكم من الله سبحانه وتعالى؟ وماذا سينزله عليكم؟ هل آياته أم سخطه وعذابه؟ ولا يعلم الغيب إلا هو وحده.

الجواب: يؤخذ من الآية صحة الاستدلال بالملازمة، وصحة تركيبها على صورة قياس استثنائي كما ذكرتم، والعقل يقر بذلك ويطمئن إليه.

(١)-**سؤال:** من أين نستفيد أنهم كانوا على ملة الكفر؟

الجواب: نستفيد ذلك من قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [البقرة:٢١٣]، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ...﴾ [الجاثية:١٧].

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ يتكلم الله سبحانه وتعالى عن طبيعة المشركين(١)؛ فأخبرنا أنه إن أعطاهم الخير وأسبغ عليهم النعم بعد أن أصابهم بالشدائد والمصائب نسوا ذلك، وبمجرد أن يرفع الله سبحانه وتعالى عنهم ذلك يبدؤون بالتآمر على دينه، وعلى أنبيائه وآياته، ويتخذون شتى الوسائل لهدمه وإبادته، وأن هذا هو دأبهم دائماً، ولكن كيفما كان مكرهم فمكر الله سبحانه وتعالى فوق مكرهم وسيغلبهم.

﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ۝٢١﴾ وهم الحفظة الكرام الكاتبون الموكلون بتسجيل(٢) أعمال ابن آدم، وسيجازيهم الله سبحانه وتعالى على ما قد سجلته الحفظة من أعمالهم صغيرها وكبيرها، فهذا هو المراد بمكر الله سبحانه وتعالى الذي سيمكره بهم.

---

(١)-**سؤال:** من أين نستفيد تخصيصها بالمشركين ولفظ الناس عام؟

الجواب: السياق في المشركين، مع أن آخر الآية يدل على ذلك وهو: ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ فـ«قل» أمر من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ أن يقول للناس (المشركين) الذين يُدَبِّرُون الحيل والمكايد لإبطال رسالة الله وآياته: أن قوة الله فوق قوتكم لا تخفى عليه أعمالكم يعلم سرائركم وضمائركم، ورسله تحصي أعمالكم، وسيبطل مكركم وكيدكم و..إلخ.

(٢)-**سؤال:** وهل التسجيل عندكم حقيقة؟ وما الحكمة في ذلك؟

الجواب: الظاهر في تسجيل الحفظة لأعمال بني آدم أنه حقيقة، والمصلحة والحكمة فيه تعود إلى المكلفين من الناس، بأن المكلف إذا علم أن عنده رقيباً يحفظ أعماله ويحصيها ويكتبها صغيرها وكبيرها حتى الكلمة والنظرة.. احتاط لنفسه وتحرز عن الوقوع في المأثم وإن صغر، ويكون ما سجله الحفظة وثيقة شاهدة على أعمال المكلف إذا أنكر. أما كيفية التوثيق والتسجيل فقد تكون بتسجيل الصوت والصورة، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٢٤﴾ [النور]، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٦٥﴾ [يس]، والله أعلم.

﴿هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1] يذكر الله سبحانه وتعالى كفار قريش بأنه الذي منّ عليهم بنعمة التنقل على ظهر البر والبحر، وسخر لهم الإبل والخيل والحمير وما أشبهها في البر، وكذلك نعمة السير بالأرجل، بما جعل فيكم من الصحة والعافية والتمكين، وفي البحر سخر لكم السفن تجري بكم فيه.

﴿حَتَّى إِذَا[2] كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا[3] بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يسخر الله سبحانه وتعالى لعباده الريح الطيبة التي تسير بهبوبها السفن، فيرتاح لها ركاب السفن ويفرحون بها، ثم يأتي الله تعالى بريح شديدة تهيج بشدتها الأمواج، هنالك يظن المشركون لشدة ما يرون من الأهوال وأسباب الهلاك أنهم قد وقعوا في الهلكة.

﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ ظنوا أنهم حينها قد أوشكوا على الهلاك والغرق فعند ذلك: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ففي هذه الحالة نسوا تلك الأصنام

---

(١)-**سؤال:** قد تستدل المجبرة بهذه الآية على مذهبهم الشنيع فكيف الرد عليهم؟

الجواب: الله تعالى هو الذي يسير المسافرين في البحر بالسفن والماء والرياح، وفي البر بالخيل والبغال والحمير والجمال، فالسفن تسير بإرادة الله وقدرته ورحمته،والجمال والبغال والحمير تسير كذلك بإرادة الله وقدرته ورحمته، وهذه الآية كآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ [الإسراء:٧٠]، وقوله: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ۝٤٢﴾ [يس]، وبهذا التفسير الواضح يرتفع الإشكال ويعرف الجواب.

(٢)-**سؤال:** ما هو جواب «إذا» الشرطية من هذه الجمل؟

الجواب: جواب «إذا» هو: ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ...﴾.

(٣)- **سؤال:** ما السر والنكتة في تغيير الضمائر من المخاطب إلى الغائب في «كنتم» و«بهم» و«فرحوا»؟

الجواب: انتقل من الخطاب إلى الغيبة لمقتهم وتقبيح ما هم عليه لغيرهم، وهذا بالإضافة إلى ما في الالتفات عموماً من تطرية ذهن السامع وتنشيطه وإيقاظه.

التي يعبدونها، ورجعوا إلى الله سبحانه وتعالى يستغيثون به وحده في إنقاذهم والكشف عنهم، وعرفوا أن معبوداتهم تلك لن تنفعهم شيئاً.

وهذه التي جعلتهم كذلك هي الفطرة التي جعلها الله سبحانه وتعالى في عقل كل عاقل، وجعلها حجة واضحة عليهم في معرفته.

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يدعونه وحده دون تلك الآلهة، ﴿لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ۝٢٢﴾ لئن خلصتنا يا ربنا من هذه الكارثة والشدة لنكونن من الشاكرين والمخلصين في عبادتنا لك لا ندعو معك نداً ولا نعبد سواك.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فلما أنجاهم وأنقذهم من الهلاك والغرق- رجعوا إلى ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والشرك(١)، ونسوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله سبحانه وتعالى عليه وهم على ظهر البحر الهائج الذي تتلاطم بهم أمواجه الهادرة.

وهذه التي قصها الله سبحانه وتعالى كانت هي حالة قريش؛ لأنهم كانوا أهل سفر وأهل تجارة، وكانوا يتعرضون لمثل هذه المهالك، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يذكرهم بتلك النعم التي أنعم بها عليهم؛ لعلهم يرجعون.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأن طغيانهم في الأرض وعبادتهم للأصنام لن يضر إلا أنفسهم، ووباله لن يكون إلا عليهم، وأنهم لم يبغوا إلا على أنفسهم، وأما هو فلن يضروه شيئاً، ولن يضروا دينه، وسيظهر دينه ولو كره الكافرون، وعلى رغم أنوفهم.

وطغيانهم هذا ليس إلا ذنوباً اكتسبوها، وسيجازيهم عليها في الدنيا بالخزي والذل

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن تعمم الآية على كل من نسي الله سبحانه وعصاه بعد أن لطف به وخارجه من المآزق؟

الجواب: الآية خاصة بالمخاطبين من المشركين في الظاهر، ولكن يلحق بهم من عمل مثل عملهم.

والهوان، وسيسلط عليهم من يعذبهم، وفي الآخرة عذاب النار وبئس المصير.

وبغيهم هذا إنما هو لأجل إشباع رغباتهم[1] وأهوائهم وشهواتهم، وليمتعوا أنفسهم باللهو والطرب والرقص عند الأصنام، ومخالطة النساء، وشرب الخمر، ولم يعبدوا الأصنام إلا لأجل ذلك.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ يخاطبهم الله سبحانه وتعالى بأن مرجعهم إليه وسيجازيهم على بغيهم هذا وفسادهم في الأرض.

﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٢٣﴾﴾ يطلعهم الله سبحانه وتعالى على أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ويجازيهم عليها.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ يصور الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا وقصرها، وسرعة زوالها، وأنها ليست إلا متاعاً وغروراً، وسرعان ما تنتهي وتزول.

شبه الله سبحانه وتعالى حالها تلك بأنها مثل الماء الذي ينزله من السماء إلى الأرض فينبت به الشجر، ويكسوا به الأرض خضرة، ولكن سرعان ما تذهب هذه الخضرة، وتيبس هذه الأشجار، وتذبل وتتفتت؛ فتطيرها الرياح وكأن شيئاً لم يكن.

﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢٤﴾﴾[2] قص الله سبحانه وتعالى هنا مثلين ذكر أولاً الحياة

---

(١)-**سؤال:** يقال: الظاهر أن «متاع» مفعول مطلق حذف عامله، أي: تتمتعون متاع، فكيف؟

الجواب: هو مفعول مطلق كما ذكرتم حذف عامله، والجملة من الفعل المحذوف ومعمولاته مستأنفة في جواب سؤال مقدر ناشئ من قوله: ﴿يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ و﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ...﴾ اعتراض بين ذلك، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** لطفاً ما معنى «حتى» في الآية مفصلاً؟ وما إعراب: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ...﴾؟ وما معناها؟

الجواب: معنى «حتى» الغاية، وهي متعلقة بقوله: ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أي: أن اختلاط الماء بالنبات يكون سبباً لنموه وازدهاره وكثرته إلى أن تصير الأرض مزدهرة في =

الدنيا وحالها، ثم أخبر ثانياً بأنه يمتع الكافرين(١) في الدنيا فيتركهم يتمتعون بزخارفها وزينتها، ويمكنهم على ظهرها بالعمارة والتجارة والصناعة؛ فإذا ظنوا أنها قد انساقت لهم وصلحت من كل ما ينغص عليهم فيها- دمرها الله سبحانه وتعالى عليهم، وأخذهم جهرة في ليلهم أو في نهارهم، يخبر أن هذه هي سنته في الدنيا في كل زمان، وليس بعد الكمال إلا النقصان، قال الشاعر:

.... توقـــــع زوالا إذا قيـــــــل تـــــــم

فليتنبه كل عاقل لذلك، ولا يغتر أحد بزخرفها وزينتها.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي(٢) مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

فالله سبحانه وتعالى لا يريد إلا سعادتكم وما فيه نجاتكم، وهو يناديكم إلى الجنة التي لا خوف ولا شدة ولا زوال لنعيمها الدائم؛ لأن الإنسان يميل بشهواته إلى الدنيا وملاذها ومتاعها مع أنها دار زوال، وسرعان ما ستنتهي كما قد شبهها الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة، والله سبحانه وتعالى يدعو إلى تلك الدار التي سلمت عن كل ما ينغصها ويذهب بهجتها، ويهدي إليها أولياءه.

أحسن زينة، و«كأن» مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وجملة ﴿لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ في محل رفع خبرها. ومعنى: ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ﴾ كأن لم يكن بها نبات، أو كأن لم يكن بها إنسان.

(١)-**سؤال:** هل هذه السنة خاصة بالكافرين؟ أم أنها عامة لهم ولغيرهم؟

الجواب: هي موجهة للكافرين وهم المقصودون بها، ومع ذلك فهي عامة صالحة لهم ولغيرهم.

(٢)- **سؤال:** هل يمكن أن نقول بأن حذف مفعول العامل الأول «يدعو» مع ذكر مفعول العامل الثاني «يهدي» فيه دليل على أن الهداية خاصة بفريق من عباده وهم المستجيبون له سبحانه أم لا يصح فما فائدة ذلك؟

الجواب: حذف مفعول «يدعو» للتعميم أي: يدعو كل أحد، وذكر مفعول العامل الثاني «يهدي» ليفيد أن الهداية التي بمعنى التوفيق والتنوير خاصة بالمستجيبين لله.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى بجزاء من أطاعه وامتثل لأوامره بأفضل الثواب وأجزله وأحسنه.

فالذين أحسنوا العمل[2] وطاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته فسيعطيهم الله المثوبة الحسنى وسيزيدهم على ما يستحقونه من عنده بأضعاف مضاعفة، ومن عظيم فضله جعل للإنسان فرصاً وأوقاتاً يكون أجر العمل فيها مضاعفاً رحمة بهم كشهر رمضان وليالي القدر ويوم الجمعة وليلتها والعشر الأول من ذي الحجة وليلة النصف من شعبان و...إلخ.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ومع هذا النعيم الذي هم فيه تكون وجوههم يوم القيامة مشرقة ومنيرة، ظاهراً عليها السرور والبهجة، بخلاف الكفار والمشركين والمنافقين

---

(١)-**سؤال:** يستدل أهل السنة بروايات كثيرة أن الزيادة هي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة فكيف الرد عليهم؟

الجواب: استدلالهم على رؤية الله فاسد:

١- أن رؤية الله تعالى مستحيلة؛ لأنه تعالى ليس من جنس ما يرى، فليس جسماً ولا متصفاً بصفات الأجسام.

٢- ما استدلوا به من الروايات مروي عن طرق آحادية وهي -وإن صحت عندهم أسانيدها- لا تفيد العلم، ومسألة الرؤية مسألة علمية.

٣- أما الآية هذه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ فالزيادة مبهمة لا تدل على الرؤية بأي وجه من وجوه الدلالة، فالاستدلال بها مردود.

(٢)-**سؤال:** غالباً ما ينصرف الإحسان في ألفاظ الشرع إلى صنائع المعروف فما وجه حمله على إحسان العمل؟ وهل المراد بإحسانه إتقانه أم عدم فعل السيئات أم ماذا؟

الجواب: حملناه على إحسان العمل لمقابلته بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ والمراد بإحسان العمل الإتيان به كما أمر الله.

والفساق فالقتر والسواد ظاهر على وجوههم، وكذلك الذلة والخزي والمهانة.

ذكر الله سبحانه وتعالى هنا صفات أهل الجنة يوم القيامة وثوابهم.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾[١] يخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن من عمل معصية فسيجازيه بمثلها ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يوم القيامة، سيحشرهم ووجوههم مظلمة وعليهم الخزي والذلة.

﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[٢] وليس لهم من يدفع عنهم العذاب يوم القيامة.

﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٧﴾﴾ من شدة سوادها كأنها ألبست قطعة من سواد الليل.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ﴾[٣] عندما يحشر الله سبحانه وتعالى المشركين يوم القيامة سوف يأمرهم بالوقوف في أماكنهم للمساءلة والحساب.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ جملة في محل رفع خبر المبتدأ فأين الرابط فيها؟ أم لا فما إعرابها؟

الجواب: الجملة في محل رفع خبر، والرابط محذوف والتقدير: جزاء سيئة منهم، على حد: السمن منوان بدرهم، وهذا الإعراب أحد وجوه الإعرابات في هذه الآية.

(٢)- **سؤال:** هل في الآية دليل على خلود أهل المعاصي في النار وعدم الشفاعة لهم؟

الجواب: الآية دليل على خلود أهل المعاصي في جهنم سواء أكانوا كافرين أم فاسقين، وسواء أكانت المعاصي كفراً أم فسقاً، فالاسم الموصول والسيئات كلمتان عامتان وقوله: ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ قاطعة لطمع الطامعين في الخلاص من عذاب جهنم الخالد بشفاعة أو غيرها.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما فائدة إيقاف شركائهم معهم؟ وما إعراب: ﴿مَكَانَكُمْ﴾؟

الجواب: الفائدة في ذلك هي: إظهار بطلان دينهم ظهوراً مكشوفاً لهم ولأهل الموقف، وإظهار أن الله تعالى يدخلهم النار بحق وأنهم يستحقون عذاب جهنم، وقوله: ﴿مَكَانَكُمْ﴾ مفعول به منصوب بفعل محذوف تقديره: الزموا مكانكم.

﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ ثم يفرق الله سبحانه وتعالىٰ بينهم وبين آلهتهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ۝٢٨﴾ أنكرت الآلهة التي عبدوها من دون الله أن هؤلاء كانوا يعبدونها كالمسيح والملائكة وغيرهم مما عُبِدَ من دون الله عز وجل.

﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ۝٢٩﴾(١) فلم نكن نفكر في عبادتكم لنا، ولم نأمركم بعبادتنا، وكفى بالله سبحانه وتعالىٰ على ذلك شاهداً.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ في ذلك الموقف في أرض المحشر سوف ترى(٢) كل نفس ما أسلفت من عمل في الدنيا، صغير أعمالها وكبيرها، ظاهرها وخفيها.

﴿وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ(٣) الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ۝٣٠﴾ رجعوا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في يوم القيامة، وهو الذي سيحاسبهم على أعمالهم وسيجازيهم عليها، فهذا الذي سوف يكون مرجعهم إليه هو إلههم الحق دون تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها فقد ضاعت عنهم يوم القيامة.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ۝٢٩﴾؟

الجواب: «إن» هي المخففة من الثقيلة أي: أنها للتأكيد مثل الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن، والجملة التي بعدها في محل رفع خبرها، واللام هي الفارقة.

(٢)-**سؤال:** يقال: إذا كان ﴿تَبْلُو﴾ من الإبلاء أو البلوى فمعناها الاختبار والامتحان، فمن أين نعرف أنها بمعنى ترى؟ وضحوا ذلك فالحاجة إليه ماسة؟

الجواب: لما كان الابتلاء سبباً لحدوث العلم صح إطلاقه على العلم على طريق المجاز المرسل.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾؟

الجواب: «مولاهم» نعت للفظ الجلالة، وكذلك «الحق» فهو نعت للفظ الجلالة، أو يكون «مولاهم» بدلاً من لفظ الجلالة، و«الحق» نعت له.

بأن يسأل المشركين: من هو الذي ينزل عليكم بركات السماء من المطر، ويخرج لكم خيرات الأرض؟

﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾[١] وأن يسألهم أيضا: من الذي خلق أسماعهم وأبصارهم؟ ومن هو مالكها؟

﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ ومن هو الذي يخرج من النطفة إنساناً سوياً ويخرج من الدجاجة البيضة، ومن يدير أمر السماوات والأرض ويدبر شؤونهما؟

﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ سوف يعترفون لك يا محمد بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي بيده كل ذلك، ولن يجدوا بُدّاً من هذا الاعتراف، وحقاً اعترفوا بكل ذلك.

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ فقل لهم يا محمد: فلماذا لا تتقونه وتطيعونه وتعبدونه، وتتركون هذه الأصنام والآلهة التي تعبدونها؟

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾[٢] فما دمتم معترفين أن الله تعالى هو وحده الذي ينزل الماء من السماء ويخرج به أرزاقكم، وأنه الذي جعل لكم السمع والأبصار وأنه الذي يحيي ويميت، وأنه الذي يدبر ملكوت السماوات والأرض فما بالكم لا تخصونه بالعبادة والطاعة فهو الذي يستحق الإلهية والربوبية- فينبغي أن تتوجهوا بعبادتكم إليه، وتنقادوا وتستسلموا له لو كانت لكم عقول.

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴿٣٢﴾﴾[٣] فكيف تصرفون عن

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «أم» في قوله: ﴿أَمَّنْ﴾؟

الجواب: معناها معنى «بل» أي: بل من يملك.

(٢)-**سؤال:** هل هذه أخبار أم صفات؟

الجواب: هي أخبار للمبتدأ متعددة.

(٣)-**سؤال:** فضلاً لو أعربتم هذه الجملة؟

الجواب: «ماذا» اسم استفهام أي أن ما وذا للاستفهام بعد التركيب، وهو في محل رفع مبتدأ =

عبادة الإله الحق الذي بيده خلقكم ورزقكم وحياتكم وموتكم، وتذهبون إلى تلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع؟ وما هو الذي صرفكم إليها؟

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٣٣﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن كلمته قد صدقت فيهم، وهي أنهم لن يؤمنوا أبداً فلا تطمع في إيمانهم يا محمد، ولا تتوقع منهم ذلك أبداً، ولا تتعب نفسك في ملاحقتهم، فقد سبق في علم الله سبحانه وتعالى أنهم لن يؤمنوا[(١)].

فقد بلّغتهم الحجة وهذا هو الذي عليك، ولست مكلفاً بإدخالهم في الهدى مكرهين.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعلّم الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيف يحاجج المشركين ويجادلهم، فأمره أن يسألهم: هل في هذه الأصنام التي تعبدونها من قد ابتدأ خلق شيء من العدم؟ وهل فيها من يستطيع أن يعيد خلق هذا الشيء مرة أخرى؟ وهل فيها من يقدر على ذلك؟ فسيجيبونه حتماً بالنفي.

وخبره ﴿بَعْدَ الْحَقِّ﴾ وهو متعلق بمحذوف تقديره: كائن بعد الحق، ومعنى الاستفهام النفي، والضلال مستثنى من المبتدأ، وأعرب بدلاً منه أي من المبتدأ كأنه قال: لا شيء بعد الضلال إلا الحق.

(١)-**سؤال:** إذاً فما الجواب على من يستدل بها على قضاء الفسق عليهم ما دام أنها قد صدقت فيهم كلمة الله؟ وما إعراب: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٣٣﴾؟

الجواب: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٣٣﴾ بدل من: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: وقع ما علمه الله وهو أنهم لا يؤمنون، وعلم الله سابق غير سائق أي أنهم تمردوا عن الإيمان بالله ورسوله وبالقرآن الكريم. والسبب في فسقهم وكفرهم هو من عند أنفسهم لا من عند الله، وقد زيف الرازي وهو رأس متكلمي المجبرة والقدرية ورئيسهم الاستدلال بعلم الله على القضاء والقدر والجبر واستدل على ذلك بما يلزم من أن يكون الله جل وعلا غير مختار في أفعاله.

﴿قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ولن يجدوا جواباً إلا أن يعترفوا لله سبحانه وتعالىٰ بأنه الذي ابتدأ ذلك الخلق، وهو قادر علىٰ إعادته حتماً(١).

﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ۝٣٤﴾ فكيف تعترفون بذلك لله سبحانه وتعالىٰ، ثم تصرفون عن عبادته إلىٰ عبادة الأصنام؟ وما هو الذي صرفكم؟

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ ولن يجدوا بداً من أن يجيبوه بالنفي.

﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ فإذا أجابوك بالنفي يا محمد فأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي يهدي إلىٰ الحق، ويبينه للناس ويدلهم إليه ويفصله لهم دون الشركاء الذين يعبدهم المشركون.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ اسألهم من الذي هو أحق بالاتباع: أذلك الذي يهدي للحق أم الذي لا يهتدي إليه إلا إذا هداه هادٍ إلىٰ طريق الهدىٰ والصواب؟ كالمسيح عندما كانوا يدعون له الربوبية، والحقيقة أنه لم يهتد بنفسه، وإنما احتاج إلىٰ من يهديه(٢).

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: كيف يعترف مثلاً الطبائعية والملحدون بأن من يبدأ الخلق ثم يعيده هو الله سبحانه لا غيره؟

الجواب: الخطاب هو موجه إلىٰ المشركين المعترفين بالله مع شركهم وعبادتهم لغير الله، وهم معترفون مقرون بأن الله تعالىٰ هو الذي ابتدأ الخلق، ولو أنهم نبذوا الكبر والحسد لاعترفوا.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف استدل بها أصحابنا علىٰ اشتراط الأعلمية في الإمام الأعظم وعلىٰ التسليم لأعلم الناس وأنه أولىٰ من غيره بذلك، مع أنهم جميعاً محتاجون إلىٰ هداية غيرهم؟

الجواب: رجحان اتباع العالم بطريق الهدىٰ علىٰ غير العالم بها بل لزوم اتباعه قضية عقلية مقررة في العقول؛ لذلك قال في آخر الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ۝٣٥﴾ فمن هنا وعلىٰ مقتضىٰ حكم العقل يكون الأعلم في زمانه بطريق الهدىٰ أحق بالاتباع ممن هو دونه في الأعلمية، فلا يجوز العدول عن الأعلم إلىٰ من هو دونه في ذلك، وهذا حكم عقلي مقرر في =

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴿٣٥﴾﴾ ما بالكم تميلون إلى ذلك الذي لا يهدي للحق؟

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فهم بعبادتهم هذه الآلهة لا يستندون إلى دليل قاطع على استحقاقها الإلهية والعبادة، وإنما يتبعون أوهاماً في قلوبهم، وظنهم هذا لا يكفي، ولا يغنيهم عن الحق شيئاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴿٣٦﴾﴾ فهو مطلع على نياتهم وعالم بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(١) وما ينبغي أن يكون هذا القرآن قد جاء به شخص من عند نفسه، وذلك لبلاغته الفائقة قوى البشر، ودقته وتناسق معانيه، وسلامتُهُ من التناقض والاختلاف يدل على أنه فوق قدرة البشر ولن يستطيع أحد أن يأتي بمثله، إذاً فلم يبق إلا أنه كلام الله سبحانه وتعالى.

كان المشركون واليهود يتهمون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كذاب، وأن القرآن الذي جاء به ليس إلا سحراً وكلاماً مفترا،ً فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بهذا الجواب.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ(٢) الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ(٣)﴾ ولكنه كتاب حق

فطر العقول، ألا ترى أن كل عاقل يختار بفطرة عقله التداوي عند من يرى أنه أبصر الأطباء، ولا يعدل إلى غيره إلا لمانع.

(١)-**سؤال:** كيف جاز أن يخبر بالمعنى: ﴿أَنْ يُفْتَرَى﴾ عن الذات: ﴿هَذَا الْقُرْءَانُ﴾؟

الجواب: القرآن هو حديث -أي: كلام- بدليل: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣]، والحديث معنى (مصدر) لذلك صح الإخبار بالمعنى عن المعنى.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَصْدِيقَ﴾؟

الجواب: يعرب خبراً لكان محذوفة مع اسمها أي: ولكن كان تصديق الذي بين يديه.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف صح أن يضيف التفصيل إلى الكتاب، والكتاب هو التفصيل فلا يضاف التفصيل إلى نفسه؟

الجواب: المراد بتفصيل الكتاب: تفصيل الحق المكتوب الذي أنزله الله، بدليل قوله تعالى في آية: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف:١١١]، تفصيل الإيمان والإسلام وشرائع الحلال والحرام، وكل ما يحتاج إليه من الأحكام.

مصدق لما سبقه من الكتب السماوية وهي التوراة والإنجيل، وهذا هو تفسير «الذي بين يديه» وأن المراد به هو أقرب شيء نزل قبله من الكتب، ومفصلاً للأحكام والشرائع.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] ولا يدخله الريب والشك، ولن يتطرق إليه أبداً.

ثم ذكر بعد ذلك أن هذا الكلام من كلام رب العالمين ليزيد من تأكيد عدم صحة دخول الريب فيه، فما دام من كلامه فكيف يصح أن يدخله الريب والشك ويتطرق إليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾[2] كان المشركون يقولون: إن القرآن ليس من كلام رب العالمين، وإنما هو كلام قد افتراه واختلقه محمد من تلقاء نفسه.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إذا كنتم تدعون أن محمداً ﷺ قد افتراه من عند نفسه فهاتوا سورة من مثل ما جاء به واستعينوا بمن أردتم من الجن والإنس.

تحداهم الله سبحانه وتعالى بذلك إن كانوا صادقين فيما يزعمون، مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة والسباقون في ميادينها، وكانت البلاغة في ذلك العصر قد بلغت غايتها، وراجت رواجاً عظيماً في ذلك الوقت حتى صارت تجارة أسواقهم وميدان سباقهم، وصارت الشعراء تجتمع في الأسواق يتبارون فيها، تشهد بقوة بلاغتهم المعلقات السبع التي علقوها في أستار الكعبة، وهي سبع قصائد كانوا قد انتقوها

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟

الجواب: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ في محل نصب حال، و﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال أيضاً أي: كائناً من رب العالمين، وصاحب الحال هو الكتاب.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «أم» في الآية؟

الجواب: «أم» بمعنى بل والهمزة، والتقدير: بل أيقولون افتراه.

لأشعر شعرائهم، ولكن عندما نزل القرآن وسمعوه استحقروها واستصغروها وأصابهم الخجل من أنفسهم فأزالوها عند ذلك.

وكان كبار قريش كأبي سفيان والوليد بن المغيرة وغيرهم يذهبون خفية لسماع القرآن لما فيه من الحلاوة واللذة والطرب لأنفسهم.

وعندما اجتمعوا ليتشاوروا في كيفية الطعن فيه قال الوليد بن المغيرة في شأنه: كيف يكون لنا مدخل في الطعن عليه؛ والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وأعلاه لمورق، وإنه يعلو ولا يعلا عليه، ووالله إن هذا الكلام ليس من كلام البشر، وإنه لكلام خالق القوى والقُدَر، ولكن أقرب ما نستطيع أن نقول فيه: إنه سحر يؤثر، أي: قويٌّ ونَفَّاذٌ، تقادمَ عهدُه(١).

وكان من سمعه آمن به، وبأنه من عند الله لمعرفتهم بالبلاغة والفصاحة، وتأثيره ذلك مما يدل على قوة إعجازه، ولولا أن قريشاً كانت تقف حائلة بين محمد ﷺ وبين الناس، وتمنع من أتى إلى مكة حاجاً أو معتمراً، وتحذر الناس من الاستماع له، وتتخذ شتى الوسائل للحيلولة بينه وبينهم- لكثر المؤمنون ذلك الوقت.

فكانت قريش تحذر منه حتى أن من دخل مكة صار يتحاشى لقاء محمد أو رؤيته خوفاً على نفسه من سحره، وأما من لم ينتبه لنفسه إلا وقد سمعه فإنه يؤمن بمجرد أن يسمعه لفصاحته وبلاغته الخارقة لقوى البشر.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾(٢) والسبب في عدم

---

(١)-**سؤال:** من أين نفهم أنهم قوي ونفَّاذ من قولهم: «سحر يؤثر»؟

الجواب: قولنا: إنه قوي ونفاذ مأخوذ من تنكير «سحر» في قولهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤﴾ [المدثر]، فقد أرادوا أنه سحر عظيم في تأثيره ونفوذه.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن يحمل: ﴿بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ على القرآن وحده أم لا؟ ولماذا؟ وما معنى عدم إتيان التأويل؟

الجواب: قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ هو مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ =

إيمانهم به هو تكذيبهم بما أنزل فيه من الأمور الغيبية كالقيامة والبعث والجزاء والحساب وتكذيبهم بالوعيد الذي توعدهم به الله سبحانه وتعالى على أعمالهم التي يعملونها، وكان ذلك مما زادهم استكباراً وعتواً وعناداً.

﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم أمم الأنبياء الذين كانوا قبلهم.

﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴿٣٩﴾﴾ انظروا أيها المشركون في عاقبة أولئك عندما كذبوا أنبياءهم كيف عذبهم الله سبحانه وتعالى؛ فاعتبروا بهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴿٤٠﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن بعض قريش قد آمن بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما جاء به، وبعضهم على العكس.

وقوله: «وربك أعلم بالمفسدين» فيه تهديد لهم بأنه مطلع على أعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴿٤١﴾﴾ إن لم يصدقوك يا محمد وتمردوا عليك فأخبرهم أن كل امرئ مرهون بعمله، وأنك بريء من أعمالهم ودينهم، وكافر به كما أنهم بريئون من دينك وعملك وكافرون به، وقد أبلغتهم الحجة، وهذا هو الذي يلزمك.

الْآخِرَةَ﴿٥٣﴾﴾ [المدثر]، في بيان السبب الداعي لهم إلى الكفر بآيات الله وبرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبالقرآن، ولو أنهم كانوا مصدقين باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب لما كفروا بالقرآن وبدين الإسلام ورسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ومعنى عدم إتيان التأويل: هو أنها لم تأت الأمور التي تحدث عنها القرآن وأخبر بوقوعها، أي: لم يأت ما تؤول إليه أخبار القرآن التي أخبر بوقوعها في المستقبل من الجزاء والحساب والثواب والعقاب و... إلخ، ومن شأن العاقل إذا سمع من صادق معروف بالثقة والأمانة والعدالة تحذيراً من أمر مخوف على وشك الوقوع بالسامع وغيره أن يأخذ حذره عندما يسمع الخبر ويستعد لنزوله لا أن يكذبه مباشرة عند سماعه من غير نظر ولا تفكير.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن بعض قريش كانوا يستمعون إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1] ولكن سماعهم هذا لم يكن سماع تصديق، وإنما هو سماع مثل سماع البهائم، ولن يستجيبوا لك لأنهم صم لا يسمعون؛ فكيف تستطيع أن تسمع الأصم، ومع ذلك ليس له عقل؟

يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه مهما حاول في إقناعهم فلن يستطيع؛ لأن حالهم كحال الأصم الذي لا يعقل.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن بعض المشركين ينظر إليه وهو يقرأ عليه القرآن.

فلا تظنن يا محمد من نظره هذا وإنصاته أنه قد أوشك على الإيمان فلن يهتدي أبداً.

﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فما حالهم إلا كحال الأعمى الذي لا يبصر أمامه فكيف تستطيع أن تدله على الطريق ليمشي فيها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2] فهم الذين ظلموا أنفسهم وجنوا عليها، وأعمالهم هي التي أعمت أبصارهم، وهم الذين تسببوا على أنفسهم بالدخول في الضلال، وليس الله سبحانه وتعالى هو الذي فعل بهم ذلك.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام في هذه الآية: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ﴾؟

الجواب: هو استفهام إنكاري.

(٢)-**سؤال:** هل لتقديم المفعول: ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾ على عامله فائدة، فما هي؟

الجواب: لتقديم المفعول هنا فائدة هي الإعلام بأن كفر المشركين وعنادهم وتمردهم وكيدهم للإسلام وأهله وسعيهم في إبطاله وما يلحقهم بسبب ذلك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة هو بسوء اختيارهم وجنايتهم على أنفسهم لا من الله فهم الذين أوبقوا أنفسهم وأوقعوها في الهلاك وجروا عليها الويل، وما لحقهم من الخزي والوبال فإنما هو جزاء عادل وحق استحقوه بأعمالهم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا[١] إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[٢] عندما يحشرهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة سوف يستقصرون[٣] مدة حياتهم في الدنيا فليست إلا بعض يوم في نظرهم، ولا زال بعضهم يعرف بعضاً فلم يكونوا قد نسوا ما كان بينهم في الدنيا.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ ولم يبق لهم أي أمل في النجاة أو الهرب من الله سبحانه وتعالى بسبب تلك الساعة التي عاشوها في معصية الله سبحانه وتعالى في الدنيا.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ۝٤٦﴾ كان الله سبحانه وتعالى قد وعد قريشا بأنه سيعذبهم على تكذيبهم واستهزائهم، فأخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم هنا بأنه سواء عليه أراه بعض ما وعدهم من العذاب، أو توفاه قبل ذلك؛ فمرجعهم إليه يوم القيامة، وسينالون جزاءهم في نار جهنم.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا...﴾؟ وما موقعه في الجملة؟

الجواب: ﴿كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا﴾ جملة حالية في محل نصب.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن تعرب جملة: ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ صفة لساعة ونقدر فيها ضميراً عائداً على الموصوف؟

الجواب: تكلف التقدير في إعراب الجملة صفة لساعة يمنع من صحته مع استقامة إعراب الجملة من غير تقدير، وذلك لأن الأصل عدم التقدير وليس هناك ما يحوج إلى إعرابها صفة.

(٣)-**سؤال:** ما سبب استقصارهم لمدة الدنيا؟

الجواب: استقصروها لأن ما مضى كأن لم يكن، ألا ترى أنك إذا رميت بفكرك إلى ما مضى من عمرك وإلى ما وقع من أحداث فإنك لا ترى السنين الطوال الماضية كما هي وإنما ترى وتتصور السنين كأنها يوم واحد متلاحق الأحداث أو لا تتصورها شيئاً، أو تتصورها كأحلام نائم، هذا ونحن قريبو عهد بها، أما إذا توسط الموت ثم البعث وما فيه من الأهوال فإن التصور يضعف ويستقل ما مضى استقلالاً زائداً على تصوره في الدنيا.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد رأى بعض عذاب الله الذي حل بكبار قريش يوم بدر وهم الذين كانوا يستهزئون به ويلحقون به وبأصحابه الأذى، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر]، وهو سبحانه مطلع على أعمالهم فلا يغيب عليه منها شيء، وسيجازيهم عليها.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧﴾(١) سوف تأتي كل أمة بنبيها يوم القيامة فيحكم الله سبحانه وتعالى بينهم بحكمه، فمن آمن بنبيه وصدقه أدخله الجنة، ومن كفر وكذب به أدخله النار.

فإن قيل: فكيف بتلك الأمم التي في أوروبا واستراليا ونحوهما من البلدان النائية والبعيدة هل بلغتها دعوة الرسل؟

فالجواب عليه: أن الله سبحانه وتعالى لم يقص علينا في القرآن إلا الأنبياء الذين بعثهم في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق؛ لقربهم من العرب واختلاطهم بهم ولسماعهم بأخبارهم ورؤيتهم لآثارهم، وأما أولئك فلم يقص الله سبحانه وتعالى علينا أخبارهم وأنبياءهم لعدم الحاجة إلى ذلك، والبعد الذي بيننا وبينهم، قال تعالى ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(٢) [غافر:٧٨].

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل هذه الآية تؤدي نفس المعنى الذي تؤديه آية النساء وغيرها ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ...﴾ إلخ [النساء:٤١]، أم أن الشهيد أخص من الرسول فيشمل الأئمة والعلماء الدعاة؟

الجواب: الشهيد شامل للرسل والأئمة والعلماء العاملين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وعلى ذلك فآية النساء شاملة لمن ذكرنا دون هذه الآية.

(٢)-**سؤال:** من المتيقن أن نبينا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رسول إلى الناس جميعاً بما فيهم سكان أوربا وأمريكا وأستراليا ومشارق الأرضين وأطرافها و...، فهل هم محاسبون على شريعته حتى من لم تبلغه الدعوة الإسلامية؟

الجواب: كل أمم الأرض محاسبون ومسؤولون عن دين الإسلام وشرائعه: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ
=

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴿٤٨﴾﴾ كان المشركون يسألون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: متى سيحين وقت هذا الوعد الذي تزعم أن الله سبحانه وتعالى سيعذبنا فيه؟ وسؤالهم هذا في الحقيقة إنما هو عناد واستهزاء واستخفاف واستبعاد منهم لوقوعه.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يجيبهم بهذا الجواب وهو أنه لا يعلم الغيب[1] ولا يعلم إلا بما أطلعه الله سبحانه وتعالى عليه.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ أخبرهم يا محمد بأن لكل أمة موعداً مؤقتاً في الدنيا لوقت عذابها، وسوف ينزله الله سبحانه وتعالى بهم في حينه.

﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٤٩﴾﴾ فإذا حل وقت ذلك الأجل وقع ذلك الذي توعدهم الله به.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴿٥٠﴾﴾[2] لماذا تستعجلون هذا الذي توعدكم الله سبحانه وتعالى به؟ وأي منفعة ومصلحة لكم فيه حتى طلبتم نزوله؟

أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴿٦﴾﴾ [الأعراف]، ويستثنى منهم من لم تبلغه دعوة الإسلام ولا سمع بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، ولا يعذر من سمع بدين الإسلام ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم أعرض ولم ينظر في ذلك.

(١)-**سؤال:** يقال: هل علم الغيب عبارة عن ملك الإنسان الضر والنفع أم ماذا؟

الجواب: ذكر الضر والنفع هنا كناية عن علم الغيب، وصحت الكناية لما بينها وبين المكني عنه من التلازم، ودليل التلازم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف:١٨٨]،

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما محل: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ﴾؟ وما إعرابها تفصيلاً؟

الجواب: محل الجملة: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴿٥٠﴾﴾ النصب على أنه المفعول الثاني لـ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾. و«ماذا»: اسم مركب من «ما» و«ذا» في أحد المذهبين وهو مبني على السكون في محل نصب مفعول ليستعجل.

فسؤالكم هذا إنما يسأله الأحمق، وأما العاقل فلا يستعجل إلا الشيء الذي فيه راحة له وسرور ومنفعة ومصلحة.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾ فكيف إذا وقع هل ستؤمنون به؟ وإذا آمنتم به فلن ينفعكم هذا الإيمان.

﴿آلْآنَ﴾(١) هل ستؤمنون الآن عند نزوله؟ فلن ينفعكم.

﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ۝٥١﴾ وقد كنتم من قبل تستعجلونه مكذبين به وبوقوعه.

﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ۝٥٢﴾ بعد أن أنزل الله سبحانه وتعالى بهم عذابه في الدنيا سيعذبهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل حقاً سيأتينا العذاب؟

﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾(٢) فيجيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه حق وواقع لا محالة.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ۝٥٣﴾ولن تستطيعوا أن تفروا من الله سبحانه وتعالى وتهربوا من عذابه.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾(٣) لو كان للكافر يوم

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَثُمَّ﴾ و﴿آلْآنَ﴾؟

الجواب: الهمزة للاستفهام، وثم: حرف عطف تقتضي الترتيب بمهلة. آلآن: الهمزة للاستفهام، والآن ظرف زمان.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ و﴿إِي وَرَبِّي﴾؟

الجواب: «أحق هو» جملة في محل نصب على أنها مقول لقول محذوف، والهمزة للاستفهام، وحق: خبر مقدم، وهو: مبتدأ مؤخر. «إي» حرف جواب. و«ربي» الواو حرف قسم وجر، وربي: مجرور بالواو وبكسرة مقدرة قبل الياء.

(٣)-**سؤال:** هل تعم هذه الآية كل نفس ظالمة ولو من عصاة أهل القبلة؟

الجواب: نعم الآية عامة لكل نفس ظلمت ولو من أهل القبلة، والنفس الظالمة التي توعدها الله =

القيامة حين يرى ما أعد الله له من العذاب ملك الأرض وما فيها لاقتدى به نفسه ليسلم من عذاب الله.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن حالة المكذبين والمتمردين والعصاة يوم القيامة، وكيف يكون موقفهم عندما يرون العذاب الذي أعده الله سبحانه وتعالى لهم؟ هنالك يندمون ندامة شديدة يسرونها في أنفسهم(١)، وسيقفون متحيرين مبهوتين لهول ما يرونه، واليأس قد تملكهم، والذلة والقهر مستوليان عليهم.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ۝﴾(٢) يحكم الله سبحانه وتعالى

بالعذاب هي التي ارتكبت كبيرة من كبائر الذنوب التي توعد الله مرتكبها بعذاب جهنم أو عظمها الله في القرآن بأن وصفها بالعظم أو الكبر أو فرض لها حداً مثل الشرك والكفر، والزنا وقذف المحصنة، وأكل أموال الناس بالباطل عن طريق الربا أو السرق أو الاغتصاب أو ببخس المكيال والميزان أو الحرابة والتقطع، وقتل المسلم أو ظلمه بأخذ ماله أو هتك عرضه أو أذيته،... وإلى آخر عظائم الذنوب التي نطق بها القرآن الكريم أو تواترت بها السنة النبوية أو أجمع عليها علماء الأمة. وعلى المؤمن أن لا يتهاون بشيء من معاصي الله تعالى وإن صغر قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (فوالله لو أني أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله تعالى في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت... إلخ) هذا لفظه أو معناه.

(١)-**سؤال:** يقال: ما السر في إسرارهم للندامة وهم قد رأوا من الهول ما لا يستطيعون معه كتم تندمهم؟

الجواب: إسرارهم الندامة هو لما رأوه من أهوال العذاب وشدائده التي لم يكونوا يتوقعونها أي: أنهم بهتوا وتحيروا وألجمهم الهول فلم ينطقوا، وليس إسرارهم للندامة تجلداً أمام أهل الموقف وأنفة من أن يظهر عليهم الضعف والوهن والاستكانة.

(٢)-**سؤال:** هل المراد بحكم الله بينهم حكمه فيهم وفي حالهم؟ أم المراد حكمه في أشياء تنازعوا فيها؟

=

بينهم بحكمه الحق، ولن يدخل أحداً النار بغير ذنبه.

أما أولياء الله فإنهم يوم القيامة والحساب في مأمن لا يلحقهم خوف ولا حزن كما قال سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦٢﴾ [يونس].

﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝٥٥﴾ وأخبرهم أيضاً أن وعده بيوم القيامة والحساب والجنة والنار حق ثابت لا محالة، ولكنهم لم يصدقوا بوعد الله فأصروا على الكفر.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۝٥٦﴾ فهو وحده الذي بيده ذلك، وإليه مرجعكم بعد الموت للحساب والجزاء.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يناديهم الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أنزل إليهم القرآن الذي فيه بيان ما يصلحهم ويرشدهم.

﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾(١) وجاءكم من الله ما يزيل الشكوك والأوهام والظنون التي في القلوب، والنفس تطمئن عند سماعه إلى أنه الحق، وأن هداها فيه.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ۝٥٧﴾ نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها عليهم وهي أن

الجواب: المراد حكمه فيهم فيحكم على كل منهم بما يستحقه على عمله من العذاب، وقد تقدم ذكر حكمه تعالى بين الكافرين وبين أنبيائهم.

(١)-**سؤال:** قد يقول القائل: أنا أقرأ القرآن وفي صدري هموم وغموم فلا تنجلي عني وقد قال سبحانه: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾؟ فبماذا توجهونه؟

الجواب: المقصود أن القرآن شفاء لما في الصدور من الكفر والنفاق والشكوك والشبه التي تدعو إلى ذلك، وفيه ما يهوّن على المؤمن ما يعرض له من الشدائد والمصائب التي يضيق بها صدره، وذلك من حيث أنه يصدق ويؤمن بأن الله تعالى سيثيبه على الصبر ويعوضه عما فات ويستبشر بما وعده الله للصابرين ويلجأ إلى ربه ويستند إليه ويتوكل عليه فيطمئن قلبه وتخف مصيبته.

جعل فيه هداهم، وجعل فيه النور الذي يضيء لهم طريق الحق وينورها، وجعله رحمة لهم، وفيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾[1] كان النبيصلى الله عليه وآله وسلم ومن آمن معه في أول الإسلام في فقر وفاقة وشدة بينما كان المشركون أهل أموال وتجارات وأهل وجاهة ورئاسة وترف وسعة، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيهصلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبر المؤمنين بأن يفرحوا بالهدى والنور الذي في قلوبهم، والقرآن الذي تعلموه وعرفوه عن نبيهمصلى الله عليه وآله وسلم، وبدينهم؛ فإن ذلك خير من تلك الأموال والتجارات التي جمعها أهل الدنيا، وألا يحتقروا أنفسهم، وما هم فيه من الفقر والشدة؛ فإن ما معهم من الهدى خير لهم مما مع أولئك المشركين من الأموال.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيهصلى الله عليه وآله وسلم بأن يسأل المشركين: أخبروني[2]

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يعارض جواز الفرح بهذه الآية ما دلت عليه الآيات الأخرى من ذم الفرح نحو: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ۝٧٦﴾ [القصص]، وقوله: ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ۝١٠﴾ [هود]؟

الجواب: لا تعارض بين هذه الآية وبين ما ذكر: ﴿لَا تَفْرَحْ...﴾ لأن الفرح المذموم هو الفرح الذي ينسى معه شكر الله ويصحبه العجب بما حصل من النعمة أي: أنها حصلت بذكاء صاحبها وحسن تدبيره وسياسته كما قال قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص:٧٨]. أما الفرح الذي هو انشراح الصدر والسرور بما حصل من نعم الله مع الاعتراف والإيمان أنها حصلت بفضل الله ورحمته، مع الشكر لله والحمد له على ذلك فهو حسن غير مذموم، والله جل جلاله يحب أن تظهر نعمه على أوليائه: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ..﴾ [الروم].

(٢)-**سؤال:** إذا كان معنى: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ في هذه الآية ونحوها: أخبروني كما هو قول جماهير المفسرين فهل خرجت عن معناها الحقيقي أم لا؟

الجواب: يحتمل ذلك أمرين:

١- أن يكون هذا من باب المجاز المرسل أي أنه استعملت الرؤية بمعنى الخبر؛ لأنها سببه، =

أيها المشركون هل أذن الله سبحانه وتعالىٰ لكم أن تحللوا وتحرموا من عند أنفسكم ما أنزل الله تعالىٰ لكم من الرزق فتجعلوا بعضه حراماً وبعضه حلالاً.

﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ۝٥٩﴾ أم أنكم تفترون علىٰ الله فتحرمون وتحللون ثم تقولون إن الله هو الذي حرم وحلل افتراءً عليه.

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(١) يلفت الله سبحانه وتعالىٰ أنظار المشركين إلىٰ التفكر والنظر في يوم القيامة لعلهم يرتدعون عن كفرهم وتكذيبهم؛ فإذا كان يوم القيامة في ظنكم أيها المشركون يوم سلام وأمن- فإنكم مخطئون. إنه يوم عظيم يجازىٰ فيه كل امرئٍ بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر وستلقون الله يوم الجزاء فيسألكم عن افترائكم عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ۝٦٠﴾ تفضل الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ جميع الناس من المشركين وغيرهم بأن أمهلهم وأمد لهم في أعمارهم، وعافاهم في أبدانهم، وزاد في أرزاقهم وأولادهم، وأرسل إليهم الهدىٰ، وأعطاهم السعادة في الدنيا والآخرة.

وعبر بالاستفهام عن الأمر لأنه جزء معناه.

٢- وأن يكون ذلك حقيقة عرفية عامة أي أن العبارة نقلت من معناها الأصلي في اللغة إلىٰ هذا المعنىٰ، فعلىٰ هذا الوجه تكون الرؤية قد خرجت عن معناها الأصلي.

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر تركيب الآية أن يوم القيامة ظرف للظن، وأن ظنهم سيحصل يوم القيامة، فكيف توجيه الآية لمعرفة أن ظنهم في الدنيا دون يوم القيامة؟

الجواب: الآية محتملة لكون يوم القيامة ظرفاً ومفعولاً به لظن الذين كفروا، وقد ذكر المفسرون هذين الاحتمالين، وقد ذكرت في التفسير أحدهما وهو أن يوم القيامة مفعول به، ولا وجه لمنع التفسير بالوجه الآخر.

سؤال: هل هذا التعبير القرآني من أعظم التهديد أم لا؟

الجواب: هو من أعظم التهديد والتخويف لما فيه من الإبهام.

ذكّرهم الله سبحانه وتعالى بتفضله على الذين يفترون عليه الكذب ويستهزئون بدينه وبنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويعبدون آلهة غيره ليعلموا أنه لم يعجل لهم العذاب، مع أنه كان من المفترض أن يعذبهم، ومع كل هذا رفضوا أن يشكروا الله سبحانه وتعالى على ما تفضل به عليهم وأعطاهم.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى هنا أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه مطلع على كل شؤون البشر وأعمالهم، وما من شأن ولا أمر مهم يكونون فيه إلا وهو حاضر معهم بعلمه لا يغيب عليه شيء من أعمالهم وأفعالهم.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لا يغيب عن علمه شيء لا صغير ولا كبير لا في السماء ولا في الأرض، يخبرهم الله سبحانه وتعالى عن سعة علمه وإحاطته بكل شيء، وأنه سيحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة.

﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٦١﴾ يعني أن كل ما هو أصغر من مثقال الذرة أو أكبر فإنه محفوظ في علمه، ولا كتاب على الحقيقة، وإنما يصور لنا ذلك بالمعلوم الذي نشاهده ونفهمه، وهو التسجيل في الدفاتر كالذي يكون من تسجيل الديون ونحوها حفاظاً عليها من الضياع والنسيان.

وأما الله سبحانه وتعالى فهو غير محتاج إلى ذلك؛ لأنه عالم لا يغيب عن علمه شيء(٢).

---

(١)-**سؤال:** هل الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم أنه لكل مخاطب عموماً؟ وما معنى: ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؟ وما فائدة دخول لفظة «منه» في قوله: ﴿تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ﴾؟

الجواب: الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتلحق به أمته أي كل واحد منهم، وتفيضون فيه: أي تخوضون فيه وتندفعون إليه. وفائدة دخول لفظة «منه» بيان التبعيض؛ لأن الضمير في «منه» عائد إلى شأن، والتلاوة هي بعض شأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(٢)-**سؤال:** يقال: قد يكون في الكتب حكمة ولو لم يكن إلا اللطف في انزجار المكلفين إذا علموا أن الملائكة يحصون عليهم ويكتبون كل صغير وكبير من أعمالهم، وهذا مع ما في =

هذا، وأما كيفية إطلاعهم يوم القيامة على أعمالهم التي عملوها في الدنيا فالله سبحانه وتعالى أعلم بكيفية ذلك، وأظن والله أعلم أنه سيطلعهم عليها في شاشات يشاهدون من خلالها أنفسهم وهم يمارسون تلك المعاصي قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ**﴾ [النور:٢٤]، حتى إذا أرادوا الإنكار لم يجدوا سبيلاً إليه، فستشهد عليه تلك الصور التي يظهرها الله سبحانه وتعالى أمام الناس يوم القيامة شاهدة عليه، فسيظهر الله سبحانه وتعالى أعمالهم أمام الناس جميعاً يوم القيامة حتى ينادوا الله سبحانه وتعالى بأن يعجل بهم إلى النار من شدة الفضائح التي يراها جميع الناس، والخزي الذي يلحقهم.

﴿**أَلَا**[1] **إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**٦٢﴾ أما أولياء الله فلن يلحقهم أي خوف أو حزن يوم القيامة، فهم في أمن وأمان وطمأنينة.

﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**٦٣﴾ كأنه قيل من هم أولياء الله هؤلاء؟

فأجابهم الله سبحانه وتعالى بأنهم الذين آمنوا بالله، وصدقوا رسله وكتبه وامتثلوا لأمره وتجنبوا معاصيه.

﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه

إبقاء الكتب على ظاهره؟

الجواب: قد ذكرنا فيما سبق في جواب سؤال أن الكَتْبَ لأعمال المكلفين يفسر على ظاهره أي أن الكتابة حقيقية؛ لما ذكر في السؤال من اللطف للمكلفين، ولإقامة الحجة في يوم القيامة على المكلفين، ولإظهار عدل الله في حكمه على الظالمين ﴿**مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾ [الكهف:٤٩]، والذي نفيناه في الأصل أن الله لا يحتاج إلى كتاب يسجل فيه أعمال المكلفين لتحفظ فيه، فقد يكون بين تسجيل الملائكة وحفظ الله لأعمال المكلفين فرق.

(١)-**سؤال:** ما معنى: «ألا» في هذه الآية؟ وما فائدتها؟

الجواب: معنى «ألا» هنا الدلالة على استفتاح الكلام والتنبيه على ابتدائه. وفائدتها: تنبيه المخاطب إلى الإصغاء للكلام الذي يليها، والإشارة إلى أهميته.

يبشر أولياءه وهم على الدنيا، تبشرهم الملائكة وهم على فراش الموت فيؤمّنونهم من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه، وقد قيل إن هذه هي أسعد لحظة تمر على المؤمن في حياته حتى أنه من شدة الفرح والسرور ينسى أهله وأولاده، ولا يهمه فراقهم، فهذه هي البشرى التي في الدنيا، ولا يصح أن تكون قبل ذلك؛ لأن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن يبقى المرء في حالة خوف وحذر من عذاب الله سبحانه وتعالى والبشرى بالجنة ينافي ذلك، وأما عند الموت فإن التكليف يكون قد ارتفع، والبشرى التي تكون في الآخرة فعندما يبعثهم الله سبحانه وتعالى فإن الملائكة تتلقاهم وتبشرهم بالخير والأمن والأمان والفوز.

أما الرؤيا الصالحة وإن سميت بشرى فليست مقصودة في هذه الآية بدليل قوله في آخرها ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝٦٤﴾، وهكذا الكرامات فهي وإن كانت بشرى إلا أنها ليست مقصودة أيضاً في هذه الآية فإن صاحب الكرامة لا يأمن أن تكون فتنة واختباراً والأعمال بخواتمها لما ذكرنا من قوله في آخر الآية: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝٦٤﴾.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾(١) فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى ولن يخلفه أو يبدله، ولا بد أن يقع ويوفي بوعده، ووعده هذا هو أنه لا يلحق أولياءه يوم القيامة

---

(١)-**سؤال:** هل لتسميتها «كلمات» بالجمع فائدة؟

الجواب: نعم للجمع فائدة، وذلك ليفيد أن وعد الله لأوليائه المؤمنين متعدد ومتنوع، وقد نطق القرآن الكريم بذلك، منها هذه الآية وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝٦٢﴾ [يونس]، والسلامة من النار ودخول الجنة والخلود فيها والأزواج المطهرة، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ۝٢٤﴾ [الرعد]، ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ۝١٥ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ۝١٨ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ۝٢٣ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا۝٢٦﴾ [الواقعة]، فهذا ليس وعداً واحداً، ولكن كلمات كثيرة.

شيء من مخاوف يوم القيامة ولا من أحزانها.

﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴿٦٤﴾﴾ الفوز العظيم هو الفوز برضوان الله تعالى وثوابه والسلامة من النار وسعيرها.

﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ عن الحزن من تكذيبهم له واستهزائهم به، وكفرهم وعنادهم وتمردهم، يريد الله تعالى أن يهون على نبيه ﷺ مما لحقه من الأسى والحزن بسبب عناد قومه وعدم إيمانهم فقال: ليس عليك أن يدخلوا في الهدى ولم أرسلك لتدخلهم في الدين والهدى وما عليك إلا البلاغ المبين.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(١) فلن يضروا الله سبحانه وتعالى شيئاً بكفرهم وتمردهم، فهو عزيز والعزة كلها له والعظمة والكبرياء، ولن يلحقه نقص بكفرهم وتمردهم، وسيقهرهم بعزته وقدرته وسيعذبهم.

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٦٥﴾﴾(٢) فهو مطلع على أعمالهم، وعالم بها، ولا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيهم عليها.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فكل ما في السماوات والأرض ملك له وتحت قدرته وسيطرته.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾(٣) أولئك الذين يعبدون غير

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿جَمِيعًا﴾؟ ولماذا ذُكِّرَت؟

الجواب: «جميعاً» حال من العزة، ولفظ «جميعاً» يُذكّر دائماً سواء تبع مذكراً أم مؤنثاً.

(٢)-**سؤال:** إذا قلنا بأن السميع بمعنى العالم، فسيصير معنى الآية: هو العالم العليم، فهل يتناسب مع النظم القرآني؟ أم كيف؟

الجواب: السميع هو بمعنى العالم بجميع المسموعات، أي: الأصوات المسموعة الظاهرة والخفية، وعلى هذا يختلف معنى الكلمتين.

(٣)-**سؤال:** هل يصح أن يجعل ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعولاً لـ﴿يَدْعُونَ﴾ ويكون مفعول: ﴿يَتَّبِعُ﴾ محذوفاً تقديره: برهاناً أو حجة ليتناسب مع قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ أم لا؟ وكذا لو

=

الله سبحانه وتعالىٰ فهم في الحقيقة لا يعبدون شركاء لله سبحانه وتعالىٰ في الإلهية، وإنما يعبدون أحجاراً بعيدة كل البعد عن الإلهية.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ وظنهم إلهيتها واستحقاقها العبادة ليس إلا أوهاماً لا حقيقة لها.

﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴿٦٦﴾﴾ أي: يكذبون في زعمهم إلهيتها.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴿٦٧﴾﴾ فمن هذه صفاته هو الذي يستحق أن يعبد، فمن حكمته أن جعل لكم الليل لترتاحوا فيه من عناء تعبكم في النهار ومشقته، وتهدأ أعصابكم وتناموا حتىٰ لا يصبح النهار إلا وقد تجدد نشاطكم وزال تعبكم، ومن حكمته أن جعل لكم الضياء في النهار لتبصروا أعمالكم وأسباب معايشكم.

فكيف يكون حالكم لو أن الوقت كان كله نهاراً؟ ومتىٰ ستجدون وقتاً لراحتكم؟ وكذلك لو كان الوقت كله ليلاً كيف ستتدبرون أمور حياتكم وأسباب معايشكم؟ فانظروا وتدبروا في هذه الحكمة العجيبة التي تدل علىٰ أن من دبر هذا التدبير في غاية الحكمة والعلم والقدرة والتمكن.

ويدل علىٰ رحمته بكم عندما سخر الليل والنهار لمصلحتكم.

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال المشركون: إن الملائكة بنات الله جل وعلا.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ تعالىٰ وتقدس عن اتخاذ الأولاد.

﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فليس محتاجاً إلىٰ اتخاذ الولد.

جعلنا «ما» في قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ﴾ استفهاماً لأجل التناسب أيصح ذلك أم لا؟

الجواب: الأولىٰ في الإعراب أن تعرب «شركاء» مفعولاً به لـ«يتبع»، وأما مفعول «يدعون» فمحذوف لظهوره وعدم التباسه، و«ما» نافية. أما جواز غير هذا الإعراب فيجوز، وقد ذكروا غير هذا الإعراب كما في الكشاف وغيره، ولكن ما ذكرنا -كما ظهر لي- أولىٰ لظهوره وسهولته ووضوح المعنىٰ فيه.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وإذا كان ملك السماوات والأرض وما فيهما له عز وجل فلا حاجة به لأن يتخذ ولداً.

﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾(١) أي: ما عندكم برهان بما تقولون، فهاتوا حجة ودليلاً على ما ادعيتموه عليه من اتخاذ الولد.

﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ۝٦٨﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم كيف يفترون عليه شيئاً لا يعلمونه، ولا دليل لهم عليه.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ۝٦٩﴾ قد خسر الذين يكذبون على الله تعالى ويدعون أنه قال وشرع ما لم يقل ولم يشرع، لقد خسروا وما أفلحوا، ولن تنفعهم أعمال البر التي يعملونها وسيخسرون دنياهم وآخرتهم.

﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾(٢) أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم سيُمتَّعون في الدنيا.

﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ۝٧٠﴾ ثم يرجعون إلى الله سبحانه وتعالى فيعذبهم بسبب كفرهم.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقص على المشركين قصة نوح في قومه لعلهم يتعظون ويعتبرون بما جرى عليهم، وليحذروا أن يحل بهم ما حل بقوم نوح.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ(٣) وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة دخول «مِنْ» على ﴿سُلْطَانٍ﴾؟

الجواب: فائدتها تأكيد العموم والتنصيص على شموله لكل أفراده من غير تخصيص.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا﴾؟

الجواب: متاع: مبتدأ وخبره محذوف، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذاك متاع أو هو متاع، أو لهم متاع. وفي الدنيا: جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمتاع.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما المراد بالأمر في قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ﴾؟ وما إعراب: ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾؟

الجواب: يقال: أجمع الأمرَ إذا عزم عليه ونواه، ويقال أيضاً: أجمع أمره إذا جعله جمعاً بعدما كان
=

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴿٧١﴾﴾ خاطب نوح عليه السلام قومه قائلاً: يا قوم إن كنتم قد تثاقلتم مقامي بينكم وتذكيري لكم، وتكابرتم ذلك فاعلموا أنني مع ذلك لا زلت مصراً على مواصلة تبليغكم رسالتي ودعوتي لكم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وترك عبادة الأصنام، وأنا متوكل عليه في ذلك.

تحداهم بذلك، وبأنه لن يتركهم حتى ولو عزموا على قتله، ولو اجتمعوا هم وآلهتهم التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى، وليفعلوا ذلك ولا يمهلوه لحظة واحدة إن استطاعوا، ولا يكن ذلك غمة في أنفسهم(١)، تحداهم بذلك لثقته بالله سبحانه وتعالى وبنصره وتأييده، وأنهم مهما فعلوا فلن يستطيعوا أن يمنعوه من إتمام ما أمره الله سبحانه وتعالى به.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الاستماع لي وإجابتي.

﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ فما هو الذي منعكم من إجابتي؟ هل طلبت منكم أجراً على ذلك حتى تمتنعوا عن الاستجابة لي؟

متفرقاً. فعلى هذا القول الأخير يكون معنى الآية: اجعلوا أمركم واحداً في التصدي لي ولدعوتي أنتم وشركاؤكم، وتعرب ﴿وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ مفعول معه أي: مع شركائكم، نص عليه سيبويه، وقد أعرب على غير هذا الوجه.

(١)-**سؤال:** هل تريدون ألا يغمهم أمر قتله؟ فهل حل قوله: ﴿غُمَّةً﴾ محل المصدر؟ أم تريدون ألا يكون أمر قتله مغموماً فيكون قوله: ﴿غُمَّةً﴾ في معنى اسم المفعول؟ وضحوا ذلك حفظكم الله؟

الجواب: المقصود بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ هو: لا تكونوا في حيرة لخفاء ما ينبغي لكم فعله لإبطال دعوتي، أجمعوا رأيكم وافعلوا ما بدا لكم، وعلى هذا فـ«غمة» بمعنى مغموماً أي: مستوراً، أي أنه قال لهم ذلك وهم متحيرون في ما هو الرأي الذي ينبغي أن يفعلوه في مواجهة نبي الله وإبطال دعوته.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾[1] ولست أبتغي الأجر إلا من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه الذي أمرني أن أسلم له وأكون من المنقادين له.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ أغرقهم الله سبحانه وتعالى جزاءً على تكذيبهم بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى بصناعة سفينة له ولمن آمن معه، وأن يحمل معه أيضاً زوجين من كل نوع من الحيوانات، وكان قومه يسخرون منه ويستهزئون ويضحكون عليه وعلى عمله هذا، وكيف يصنع سفينة في الصحراء، وعندما نزل أمر الله سبحانه وتعالى انقادت إليه جميع تلك الحيوانات وركبت معه، وأغرق الله سبحانه وتعالى جميع من بقي على وجه الأرض.

وأما الناجون معه فهم أولاده من آمن منهم[2]، وسكان الأرض الآن هم من ذريته فقط قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ جعل الله تعالى الذين نجاهم في الفلك خلائف الأرض أي: يخلفون أولئك الذين أهلكهم.

---

(١)-**سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بالباء المقدرة، أي بحرف جر مقدر، أو النصب على نزع الخافض قولان مشهوران عند المعربين.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر آية هود: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ﴾ [هود:٤٠]، أنه حمل في السفينة أناساً مؤمنين غير أولاده أم لها محمل آخر؟ وقد روي في بعض المصادر أنهم ثمانون رجلاً فكيف؟

الجواب: يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ على زوجات أولاد نوح عليه السلام؛ لأن القرآن يشير إلى ما ذكرنا حيث قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣]، وفي آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الصافات]، والرواية التي ذكرتم لا تقوى على معارضة ما ذكرنا، والله أعلم.

﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ۝٧٣﴾ انظروا لعاقبتهم عندما كذبوا نبيهم، واعتبروا بهم لئلا يصيبكم ما أصابهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ ثم إن البشر تكاثروا بعد أن أهلك الله سبحانه وتعالى قوم نوح ولم يبق إلا نوح ومن آمن معه، فتكاثروا على مرور الزمن، فأرسل الله سبحانه وتعالى لهم أنبياء، نبياً بعد نبي كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

﴿فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ وكل نبي جاء قومه بآيات بينات تدل على أنه رسول من عند الله.

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى أن طبيعة الأمم واحدة وعلى طريقة واحدة هي التكذيب بالرسل ورد دعوتهم.

﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ۝٧٤﴾ من شدة عنادهم وتمردهم أصبحت قلوبهم كالمطبوع والمختوم عليها؛ فلا ينفذ إليها الإيمان أبداً، وهذا كناية عن استحالة إيمانهم.

ثم بعث الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام وقد بعث الله تعالى قبلهما أنبياء كثيرين لا يعلمهم إلا الله، وهذا معنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾ أرسل الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون بآيات تدل على أنهما مرسلان من عنده.

﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ۝٧٥﴾ فلم يؤمنوا واستكبروا عن الإيمان مع أنهم قد عرفوا أن هذه الآيات صادقة من عند الله، وأن موسى نبي من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأن عادتهم كانت الإجرام والتمرد والعصيان.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في إسناده تعالى تكذيب المتقدمين إلى المتأخرين؟

الجواب: القصد في هذا الخبر أن طبائع مكذبي الرسل طبائع متحدة وعلى سنة واحدة قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ۝٢٣﴾ [الزخرف].

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ٧٦﴾ عندما جاءتهم الآيات الواضحة، والدلالات الدالة على صدق نبوة موسى قالوا حينها ليس إلا سحراً وساحراً متمكناً في سحره.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾ استنكر عليهم موسى عليه السلام التكذيب بما جاء به مع وضوحه ومع معرفتهم للحق الذي جاءهم، وأنه من عند الله تعالى.

﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ٧٧﴾ وأنتم تعلمون أيضاً أن الساحر إنما يسحر أعين الناس، ثم ينكشف سحره ويظهر بطلانه بعد ذلك، وقد علمتم أن الذي جئتكم به ليس من السحر في شيء.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ٧٨﴾ قال فرعون وملؤه لموسى مستنكرين عليه: قد أتيتنا بسحرك لتخرجنا عن دين آبائنا، وتكون أنت وأخوك المسيطرين على أرض مصر؟ فهيهات أن يكون ذلك أو أن نصدقكما.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ٧٩﴾ أمر فرعون بأن ينادى في جميع أراضي مملكته بأن من كان متمرساً في السحر فليأت لمعارضة موسى وسحره، قال ذلك ليوهم شعب مصر ويلبس عليهم حقيقة الأمر، ولئلا ينكشف لهم أنه النبي الموعود الذي أخبرت به الكهنة، وأن ملك فرعون وهلاكه سيكون على يده، فموه بذلك على أهل مملكته أن الذي مع موسى ليس إلا سحراً، وأما في الحقيقة فقد عرف أن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من السحر في شيء.

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٨٠﴾[1] عندما اجتمع

---

(١)-**سؤال:** هل هناك علة في إبهام: ﴿مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ٨٠﴾؟ فما هي؟

الجواب: العلة في الإبهام هي الاستهانة بما أعدوه من السحر وعدم المبالاة به وبهم، وإظهار الثقة بما عنده من الآية. هذا هو العلة في الإبهام كما يظهر لي، والله أعلم.

السحرة والتقوا بموسى في ميدان اجتماعهم وفي يوم عيدهم قال لهم موسى عليه السلام وهو غير مبالٍ بما جاءوا به من السحر: ألقوا سحركم وابدؤوا أنتم.

﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾[1] عندما ألقوا بحبالهم وعصيهم قال لهم موسى: إن هذا الذي ألقيتموه هو السحر في الحقيقة.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ۝٨١﴾ سيبطل الله سبحانه وتعالى سحركم هذا؛ لأن عملكم هذا إفساد في الأرض، والله لا يقبل عمل المفسدين.

﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ وسيظهر الله سبحانه وتعالى الحق بقدرته وإرادته، وسيبينه للناس ولو كره فرعون وحزبه، ولا بد أن يظهر الحق، وفعلاً قد ظهر الحق، وآمن السحرة، وخاب فرعون وما دبره وذلك حين ألقى موسى عصاه فانقلبت ثعباناً عظيماً فأخذ يبتلع كل ما ألقوه من السحر حتى قضى عليه فعند ذلك بهت الناس وخرت السحرة على وجوهها ساجدة لرب موسى وهارون وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون.

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ[2] مِنْ قَوْمِهِ﴾ فلم يستجب له أحد إلا القليل من بني إسرائيل.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾[3] هؤلاء الذين آمنوا بموسى كانوا قلة قليلة من بني إسرائيل، ومع ذلك هم خائفون من فرعون أن يعذبهم بالقتل والصلب.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾؟

الجواب: «ما» اسم موصول مبتدأ، «جئتم به» صلة الموصول، «السحر» خبر المبتدأ.

(٢)-**سؤال:** لماذا أطلق الله تعالى على المؤمنين من قومه «ذرية»؟

الجواب: قد يكون ذلك أن المؤمنين لموسى هم من الشباب آمنوا بموسى دون آبائهم.

(٣)-**سؤال:** ما موضع المصدر: ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بدلاً من «فرعون» بدل اشتمال، أي: على خوف من فتنة فرعون.

﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴿٨٣﴾﴾ وسبب خوفهم من فرعون: أنه متكبر في الأرض ومتجبر فيها، ومسرف في الدماء والقتل؛ فكان يقتل من غير مبالاة البريء وغيره، وهذا هو معنى الإسراف.

﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴿٨٤﴾﴾(١) وتوجه موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل يحثهم على الصبر وقال لهم: اعتمدوا على الله سبحانه وتعالى وتوكلوا عليه، ولا تخافوا من فرعون وبطشه، وسيكفيكم الله سبحانه وتعالى شره وأذاه.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً(٢) لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٨٦﴾﴾ فتوجهت بنو إسرائيل إلى الله بالدعاء بعدما وعظهم موسى وتوكلوا عليه وطلبوه أن يحفظهم من ظلم فرعون وبطشه وأن يجعلهم في منجاة من جبروته وكفره.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة استخدام موسى عليه السلام للشرط في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ﴾ ولم يجعله على القطع؟ وما السر في استخدامه أيضاً في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴿٨٤﴾﴾ بعد قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ﴾؟

الجواب: الفائدة من الشرط الأول والثاني هو بعث قومه على امتثال ما أمرهم به فالأول من حيث أن الإيمان والتصديق يقتضي المبادرة والاقتناع بالامتثال، والثاني من حيث أن الإسلام أي: الاستسلام لله والانقياد لأمره يقتضي الطاعة، وقد كان المقام يقتضي مثل ذلك الحث وغلق باب الأعذار على من آمن من بني إسرائيل لما عرف من عنادهم في باب الطاعة ولما يحيط بهم من مخاوف آل فرعون.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما معنى الفتنة في قوله: ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٨٥﴾﴾؟

الجواب: المعنى: لا تجعلنا موضع فتنة، أي: موضع عذاب، فإنهم إذا عذبوهم افتتنوا، أي: لا تسلطهم علينا فنفتتن.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ(١) لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿٨٧﴾﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى موسى وأخيه هارون بأن يتخذا لمن آمن من بني إسرائيل بيوتاً تكون محل عبادة لهم يعبدون الله سبحانه وتعالى فيها بعيداً عن فرعون وبطشه، وليتخفوا بدينهم في بيوتهم من أعين فرعون وجواسيسه، وأخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤيدهم وسينصرهم ويحفظهم ويقهر عدوهم.

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كان موسى عليه السلام قد استبطأ النصر الذي قد وعده الله سبحانه وتعالى به، ومكث ينتظر نحواً من أربعين سنة وهو يرى فرعون وبطشه وتجبره على بني إسرائيل وقتلهم، فعندها دعا الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ آتيتهم يا رب هذه الأموال وهذا التمكن في الأرض فاتخذوها وسيلة(٢) لإضلال الناس والبطش بهم، والتكذيب والتمرد.

﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ دعا عليهم بهذا الدعاء: وهو ألا تنموا أموالهم ولا تجاراتهم، وأن يسلبهم نفعها، وكان هذا من الله سبحانه وتعالى ابتلاءً واختباراً لموسى ومن معه هل سيصبرون ويثبتون على إيمانهم ويستمسكون بدينهم؟

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ تَبَوَّآ﴾؟ وما معنى ﴿قِبْلَةً﴾ ومم أخذ ذلك؟

الجواب: «قبلة» مجاز عن مكان الصلاة أو المصلى أو المسجد والعلاقة الجزئية، و«أن» مفسرة، ولا محل للجملة التي بعدها لأنها تفسيرية.

(٢)- **سؤال:** هل اللام الداخلة على «يضلوا» للعاقبة؟ وما قرائن ذلك؟

الجواب: اللام هي لام العاقبة، ودليل ذلك: ما علم بنصوص القرآن من أن الله تعالى أعطى العباد ما أعطاهم من طيبات المتاع في الدنيا ليشكروه كقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال]، ونحو هذه الآية في القرآن كثير.

﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ۝٨٨﴾(١) كان موسى عليه السلام قد غضب من فرعون ومن معه غضباً شديداً فدعا عليهم بأن لا يدخل الإيمان في قلوبهم أبداً ليدخلوا جهنم فيتشفى منهم عند رؤيتهم يتعذبون.

وفي الحقيقة لم يكن هذا من موسى إلا لأنه كان قد عرف أنهم لن يؤمنوا أبداً؛ إذ قد أطلعه الله سبحانه وتعالى على ذلك، وإلا فإنه لا يجوز لأحد أن يدعو على الكافر بأن يثبته الله سبحانه وتعالى على الكفر.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾(٢) أخبرهما الله سبحانه وتعالى أنه قد استجاب دعاءهما.

﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر دينه.

﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ(٣) سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ۝٨٩﴾ ولا تميلا إلى فرعون وباطله، واثبتا على ما أنتما عليه.

﴿وَجَاوَزْنَا(٤) بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عندما خرج موسى ببني إسرائيل من مصر هرباً من فرعون وجنوده، وفلق الله سبحانه وتعالى لموسى البحر.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾؟ وإعراب: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ تفصيلاً؟

الجواب: المعنى: اربط على قلوبهم حتى لا يخرج منها شيء ولا يدخلها شيء. والفاء سببية رابطة، ولا نافية، ويؤمنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء المسبوقة بالطلب.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف نسب الدعوة إليهما ولم يدع إلا موسى عليهما السلام؟

الجواب: قيل: إن موسى كان يدعو وهارون يؤمِّن على دعائه.

(٣)-**سؤال:** لماذا كسرت نون ﴿تَتَّبِعَانِّ﴾ مع أنها نون توكيد؟

الجواب: كسرت لوقوعها بعد ألف الاثنين لمشابهتها لنون المثنى.

(٤)-**سؤال:** لماذا أسند الله المجاوزة إلى نفسه؟ وما معناها؟

الجواب: أسندها إلى نفسه لأنه الذي أمر وفتح الطريق، ومعنى: «جاوز بهم» عبَر بهم وسار بهم.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ(١) فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ لحق بهم فرعون بجنوده ودخل بهم فرعون من وسط البحر من حيث مر موسى وقومه فلما توسط فرعون وجنوده البحر أطبقه الله عليهم.

﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ(٢) الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى ءَامَنَتْ(٣) بِهِ بَنُو إِسْرَاءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ عندما شاهد فرعون الموت وأيقن بالهلاك عند ذلك آمن بالله سبحانه وتعالى.

﴿آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ أتؤمن يا فرعون الآن وقد فات وقت الإيمان، إنه لا يقبل منك اليوم، وقد عصيت ربك قبل هذا اليوم وكنت من المفسدين في الأرض.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سيحفظ جثة فرعون، ويخرجها من البحر ليراها جميع الناس؛ لأن الناس كانوا مستبعدين لهلاكه لظنهم

---

(١)-**سؤال:** ما العلة في استخدام الفعل: «أتبعهم» مكان «تبعهم»؟

الجواب: «أتبعهم» بمعنى لحقهم، يقال: تبعته حتى أتبعته، أفاد ذلك في الكشاف.

سؤال: فضلاً ما إعراب كل من: ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ و﴿حَتَّى﴾؟

الجواب: يعرب «بغياً» مفعول من أجله وهذا وجه من ثلاثة وجوه، و«عدواً» معطوف عليه، و«حتى» ابتدائية، ومعناها الغاية.

(٢)-**سؤال:** ما معنى إدراك الغرق لفرعون؟

الجواب: المعنى: أحاط به الماء وغمره.

(٣)- **سؤال:** هل في وضع قوله: ﴿إِلَّا الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَاءِيلَ﴾ مكان: «إلا الله» سر وحكمة فما هي؟

الجواب: نعم في ذلك سر وحكمة هي: أن المشركين في ذلك الزمان كان لهم آلهة متعددة سموها بأسماء الله أو ببعض أسماء الله، فأراد فرعون أن يدل على إيمانه دلالة لا تقبل الاحتمال فكانت: ﴿إِلَّا الَّذِى ءَامَنَتْ....﴾ هي العبارة والدلالة التي لا تقبل الاحتمال.

أنه إله، وأنه يستحيل عليه الهلاك.

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ ليعتبروا بك، ويعرف الناس أنك لست بإله، وليعرفوا أن موسى هو النبي الذي وعدوا به؛ لأنه كان قد ذاع فيما بينهم أن الله سبحانه وتعالى سيبعث نبياً يكون هلاك فرعون على يديه، فإذا رأوا ذلك عرفوا صدق نبوته وأنه نبي من عند الله.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ۝﴾ فأكثر الناس في غفلة عن آيات الله سبحانه وتعالى التي يأتيهم بها، وجثة فرعون هذه آية من آيات الله سبحانه وتعالى فلم يعتبروا بها ولم يتعظوا.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد هيأ لبني إسرائيل مكاناً صالحاً للاستيطان وذلك في بلاد الشام، وأنه قد بسط عليهم الرزق.

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾(٢) وكانوا جميعاً يداً واحدة وكلمة واحدة فلما أن أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم الرسل بدأوا يختلفون حينئذ فمنهم من يؤمن، ومنهم من يكفر مع أنه كان من المفترض أن يكونوا على العكس من ذلك،

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بهذه الآية ذكر حالتهم بعد الانتقام من فرعون؟ أم أنها حكاية لحالهم السابق؟

الجواب: المراد بالآية ذكر حالتهم التي صاروا إليها بعد الانتقام من فرعون، وبعد خروجهم من مصر إلى الشام، أما حالهم في مصر فقد كانوا مقهورين مستضعفين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص:٥].

(٢)-**سؤال:** ما معنى «حتى» في قوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾؟ ولماذا سمى ما جاءت به الأنبياء علماً؟

الجواب: معنى «حتى» الغاية أي: أن اجتماعهم وعدم اختلافهم مستمر إلى أن جاءهم العلم على ألسنة رسلهم. وسمى الله تعالى ما جاءت به الأنبياء علماً لينوه بشرف العلم وعظيم مكانته.

وأن يجتمعوا على أنبيائهم لعظيم نعم الله عليهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴿٩٣﴾﴾ هؤلاء الذين أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم اختلفوا بين مصدق بنبيه ومكذب به- فإنه سيحكم بينهم يوم القيامة بالحق والعدل فيعذب المكذبين، ويثيب المؤمنين.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴿٩٤﴾﴾ لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شك وريبة من القرآن وإنما هذا من باب: «إياك أعني واسمعي يا جارة»، فالخطاب موجه لشخص بينما المقصود به غيره.

وذلك أن بعض المؤمنين كان قد دخل في قلبه الشك في صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن لما رأوه من الضعف في الإسلام وعدم انتشاره، وعدم استجابة الكثيرين لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأمرهم الله سبحانه وتعالى ألا يظنوا أن عدم انتشار الإسلام، وعدم التصديق لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أكثر الناس كان لنقص في الدين أو خلل، فالرسول رسول الله حقاً، والقرآن حق وصدق من عند الله سبحانه وتعالى، وإذا كان في قلوبكم شك فاسألوا علماء أهل الكتاب وسيخبرونكم بالحق(١).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٩٥﴾﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكن المقصود غيره كما ذكرنا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى

---

(١)-**سؤال:** هل هناك تعارض بين هذا وبين ما روي من النهي عن القراءة في كتب أهل الكتاب أم لا؟ فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: المراد بسؤال أهل الكتاب في قوله: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ هو سؤال الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وعبدالله بن صوريا وتميم الداري؛ لأنهم هم الذين يوثق بخبرهم، فمن هنا يظهر عدم التعارض المذكور في السؤال.

يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴿٩٧﴾[(١)] وهؤلاء الذين حقت عليهم كلمة الله سبحانه وتعالى هم قريش، وكلمة الله هي العذاب، أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن يقنع نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنهم لن يؤمنوا أبداً ليقطع طمعه في إيمانهم، وأن الله سبحانه وتعالى مهما جاءهم به من الآيات فلن يؤمنوا وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً كل الحرص على إيمان قريش حتى كاد أن يقتل نفسه أسفاً وحسرة عليهم.

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وذلك حين علم الله تعالى من نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه يتمنى آية عظيمة من آياته علها تنفع في إيمانهم وأما بلسانه فلم يكن قد سأل الله سبحانه وتعالى ذلك.

وأخبره أيضاً أن شأنهم كشأن آل فرعون عندما لم يؤمنوا إلا عند نزول العذاب بهم فلم ينفعهم ذلك الإيمان.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴿٩٨﴾﴾[(٢)] أخبر الله سبحانه وتعالى أن من شأن كل الأمم التي بعث إليها أنبياءه ورسله عدم التصديق والإيمان فأنزل بهم عذابه واستأصلهم إلا قوم يونس من بين هؤلاء جميعاً؛ فإنهم آمنوا عندما

---

(١)-**سؤال:** قد تستدل المجبرة بهذه الآية على مذهبهم، وهو أن ثبوت كلمة الله عليهم هو السبب في عدم إيمانهم فكيف يجاب عليهم؟

الجواب: علم الله سابق غير سائق، وقد زيف الرازي الاستدلال على الجبر بسبق علم الله -أي: أن علم الله هو المؤثر في إيمان المؤمن وكفر الكافر- لما يلزم من كون الله تعالى مجبراً في أفعاله لسبق علمه بها، والرازي كما لا يخفى من أكبر متكلمي الأشعرية إن لم يكن أكبرهم.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «لولا» في الآية؟ ومن أين نستفيد النفي الذي يوحي به كلامكم أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: معنى «لولا» التنديم هنا؛ لأنها دخلت على الفعل الماضي، والتنديم إنما يكون في أمر لم يكن ولم يحصل، فمن هنا استفدنا النفي.

رأوا أمارات نزول العذاب عليهم، وخرجوا حينها جميعهم بأهاليهم وأنعامهم يتضرعون ويتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى أن يرفع عنهم عذابه، فتاب الله سبحانه وتعالى عليهم عندما علم صدق توبتهم، ورفع عنهم عذابه فعاشوا إلى أن استوفى كل منهم أجله المقدر له، وأنهم لو لم يؤمنوا لكان قد قطع آجالهم في الحال وعذبهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ۝٩٩﴾ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً على إيمان قريش أشد الحرص، وكاد أن يقتل نفسه ويهلكها في ملاحقتهم؛ فأخبره الله سبحانه وتعالى أنه لو شاء أن يكرههم على الإيمان لفعل، ولكن حكمته اقتضت أن يكون ذلك باختيارهم وإرادتهم، وأنك يا محمد لن تستطيع أن تكرههم، وما عليك إلا تبليغهم فقط.

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ۝١٠٠﴾ أما أولئك الذين لم تنفع فيهم الدعوة، ورفضوا أن يستجيبوا لدعوة الرسل فقد طبع الله سبحانه وتعالى على قلوبهم، وسلبهم توفيقه وهداه.

والمراد بإذن الله: يعني بألطافه وعلمه، وقد علم أن أولئك لن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية.

ومعنى **الرجس**: هو الخذلان، **والخذلان**: هو سلب التوفيق والألطاف، ومن سلب الله عنه الألطاف والتنوير والتوفيق وقع في الرجس -أي: في المعاصي- وخاض فيها. والرجس هنا مجاز لغوي.

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ۝١٠١﴾(١) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يأمر قريشاً بأن ينظروا إلى

---

(١) -**سؤال:** يقال: هل في قوله: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ...﴾ دليل على اشتراط ظن التأثير في التبليغ أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم لا؟

الجواب: التبليغ واجب على الإطلاق سواء ظن التأثير أم لم يظن وذلك لإقامة الحجة.

=

الآيات الدالة على ربوبيته التي جعلها في السماوات والأرض، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هذه الآيات لا فائدة منها لقوم طبيعتهم العناد والتمرد والتكذيب، وأن عدم إرسال الآيات لهم ليس السبب في عدم إيمانهم فهي موجودة، ولكن السبب في ذلك هو عنادهم وتمردهم.

﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يبق إلا أن ينتظروا أن ينزل بهم مثل ما أنزله على الأمم التي كذبت أنبياءها من قبل.

﴿قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ١٠٢﴾ قل لهم يا محمد بأن ينتظروا نزول العذاب بهم، وأخبرهم أنك منتظر معهم.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾ إذا أنزل الله سبحانه وتعالى عذابه على أمة فإنه ينجي أنبياءه والمصدقين بدعوتهم، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى حق لازم(١).

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذا كنتم في شك وريبة من صدق ديني وعبادتي فاعلموا أني لن أعبد أصنامكم هذه التي تعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٤﴾ قل لهم يا محمد بأنك تعبد الله الذي بيده حياتكم وموتكم، وأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى قد أمرك بذلك.

وليس في الآية دليل على اشتراط ظن التأثير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١)-**سؤال:** هل الوعد من الله بنجاة المؤمنين عام في كل بلاء أو عذاب ينزله حتى ولو في عصرنا هذا؟

الجواب: نعم الوعد عام بنجاة المؤمنين في كل عذاب ينزله على المجرمين إلى يوم القيامة، للعموم في المؤمنين في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ١٠٣﴾.

﴿وَأَنْ[1] أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ وأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ قد أمرك بأن تتوجه إلىٰ الدين الحق وعبادة الإله الحق مائلاً عن عبادة كل ما يعبد من دون الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ وأخبرهم بأن الله سبحانه وتعالىٰ قد نهاك أن تكون من المشركين.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ نهى الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يعبد تلك الآلهة التي لا تنفع ولا تضر.

﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ إن فعلت ذلك وعبدتها فاعلم أنك من الخاسرين.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ فالخير والشر بيد الله سبحانه وتعالىٰ؛ فإن مسك بضر فلن يستطيع أحد أن يرفعه عنك أو يدفعه.

﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وإذا أراد لك الخير فلن يستطيع أحد أن يمنعه عنك.

﴿يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ يعطي الله الخير من يشاء من عباده وليس لأحد أن يعترض علىٰ الله فيما يفعله.

﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أخبرهم يا محمد بأنه قد جاءهم الدين الحق الذي فيه هداهم.

﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ أخبرهم يا

---

(١)–**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَأَنْ أَقِمْ﴾؟ ولماذا لم يعطف علىٰ: ﴿أَنْ أَكُونَ﴾؟

الجواب: «أن أقم» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور عطفاً علىٰ «أن أكون»، و«أن أكون» في تأويل مصدر مجرور بحرف جر مقدر متعلق بـ«أمرت»، و«أن أقم» معطوف عليه، وليس هناك ما يمنع من العطف.

محمد بأن من اهتدى فقد نفع نفسه، ومن ضل فلن يضر إلا نفسه.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ۝١٠٨﴾ أخبرهم يا محمد بأنك لن تحاسبهم على أعمالهم وليس عليك إلا أن تبلغهم فقط، وأن الوكيل والمحاسب لهم هو الله سبحانه وتعالى، وهو الذي سيجازيهم على أعمالهم.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يصبر على أذى قومه وتكذيبهم، وأن يواصل تبليغ دعوته.

﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۝١٠٩﴾ حتى يحكم الله بينه وبين قومه، وحكم الله سبحانه وتعالى هو أن يظهر الحق ويهلك المبطلين؛ وقد تحقق وعد الله تعالى ونصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على المشركين فقتل جميع صناديدهم وكبارهم يوم بدر، وفي آخر الأمر دخل مكة عنوة وقهرهم وأذلهم ودخلوا في دين الله كرهاً.



سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هذه السورة من السور التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة يخاطب بها المشركين، ويحاججهم بها، ويبين لهم آياته وحججه فيها.

وهي من جملة الكتاب الذي أحكمه[(١)] الله سبحانه وتعالى بعلمه، ورتبه بحكمته، ووضع كل كلمة منه في موضعها، وهو حق وصدق، وأحكامه مبينة بعلمه وحكمته فهو من الحكيم الخبير.

فهو سبحانه وتعالى الذي خلق الإنسان، وأنزل القرآن فهو عالم من أين يدخل على قلوبهم وعلى مسامعهم؟ وما هو البيان الذي سيفهمونه، والتفصيل الذي سيعقلونه؟ وعالم بالحجج التي ستطمئن لها أنفسهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[(٢)] أول خطاب وجهه إليهم هو أن أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر المشركين بعبادة الله سبحانه وتعالى وحده، ويتركوا عبادة الأصنام.

﴿إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾ وأمره أيضاً أن يخبر المشركين بأن الله

---

(١)-**سؤال:** يقول بعضهم بأن القول بجواز النسخ يعارض الإحكام المدلول عليه بهذه الآية فما رأيكم؟ وهل يستوي في ذلك نسخ الحكم ونسخ التلاوة؟

الجواب: لا تعارض لأن الإحكام هو الإتقان في الفصاحة والبلاغة، وفي الأحكام الشرعية من حيث مناسبتها للمصالح، فالمنسوخ والناسخ كلاهما مناسبان للمصلحة، فالمنسوخ كان هو الحكم المناسب للمصلحة في وقته، والناسخ هو المناسب للمصلحة في وقته، فلم يخرج الكتاب عن الحكمة وما تقتضيه المصلحة بالنسخ.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة، وجملة: «لا تعبدوا» تفسيرية لا محل لها من الإعراب.

سبحانه وتعالى قد أرسله إليهم لينذرهم عذابه إن استمروا على عبادة الأصنام، ليبشر من استجاب له وعمل بما أمره الله سبحانه وتعالى بالخير والرحمة والثواب العظيم في الجنة.

فكان من المفروض حين أخبرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا أن ينزجروا ويخافوا ويقلعوا عما هم عليه.

ألا ترى أن العاقل إذا أتى إليه شخص من أهل الثقة يخبره انه مرسل لينذره أن قوماً مسميين قادمون لقتله وتشريده إن لم يفعل كذا، فمن شأنه أن ينظر في مصداقية هذا الخبر وأن يعمل الاحتياطات اللازمة لتوقي ذلك الخطر القادم عليه، وألا يجعل هذا الخبر وراء ظهره، ولا يغفل عنه، وخاصة إذا كان الشخص هذا معروف الصدق، ولم يعرف عنه أنه قد كذب قط.

فشأن الرسول في قومه كهذا الشخص، فكان من الواجب على المشركين أن يتفكروا وينظروا في صدقه ومصداقية ما جاء به لا أن يردوا خبره من غير نظر وتفكر.

﴿وَأَنِ[١] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[٢] ومرسل إليكم بأن تستغفروا ربكم من ذنوب الشرك، وأن ترجعوا إليه وتعملوا بأوامره وأن تتركوا ما نهاكم عنه.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا...﴾؟

الجواب: «أن» المفسرة وتفسيرها معطوف على: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾.

(٢)- **سؤال:** يقال: لماذا عطف التوبة على الاستغفار واستخدم لذلك حرف العطف «ثم» رغم أن الاستغفار توبة؟

الجواب: الاستغفار: هو طلب مغفرة الذنوب السالفة، والتوبة : هي الرجوع إلى الله بامتثال أمره والانتهاء عن نهيه؛ لذلك عطف أحدهما على الآخر. وكان العطف بـ«ثم» لعظم التوبة وتفاوت ما بينها وبين الاستغفار، فإن التوبة لا تتم إلا بالاستقامة على امتثال أمر الله والانتهاء عن نهيه.

﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إن استغفرتم ربكم من عبادة الأصنام، ومن الشرك والضلال، ورجعتم إلى الله سبحانه وتعالى- فسيمدد لكم في أعماركم حتى يبلغ كل امرئ أجله المكتوب عند الله سبحانه وتعالى، وسيدفع عنكم المصائب والشدائد، وبالعكس إن بقيتم على ما أنتم عليه من الشرك فسيقطع أعماركم بأن يعذبكم ويستأصلكم قبل أن تستوفوا أعماركم التي هي مكتوبة لكم عنده.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ يعطي كل من عمل صالحاً ثواب عمله لا ينقص منه شيئاً.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟[1] فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾[2] وإن أعرضتم عن دعوتي وإنذاري وتبشيري لكم فسوف يحيط بكم عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه فيستأصلكم في الدنيا قبل الآخرة. وفعلاً حل بهم عذابه يوم بدر استأصل كبارهم جميعاً.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٤﴾ فسوف ترجعون إلى الله سبحانه وتعالى وسيحاسبكم، فهو قادر على أن يبعثكم بعد الموت، أليس من قدر على إحيائكم من العدم قادر على إعادة إنشائكم؟

وكانوا ينكرون البعث والحياة بعد الموت، ويستبعدون أن يقدر الله سبحانه وتعالى على ذلك.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ فعل مضارع حذفت إحدى تائيه وجزم بحذف النون؟

الجواب: نعم هو مضارع حذفت إحدى تائيه وجزم بحذف النون.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ۝٣﴾ على عذاب يوم القيامة أم لا؟

الجواب: يصح أن يحمل على عذاب يوم القيامة، وإنما عدلت عن تفسيره بذلك لقوله تعالى في سورة فصلت: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾.

المشركين إذا سمعوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرأ القرآن، أو يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى ويبشرهم وينذرهم- فإنهم يعرضون عنه ثانين لصدورهم، أي: يعرضون بوجوههم[١] عنه لئلا يسمعوه.

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ۝٥﴾[٢] فلن ينفعهم إعراضهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لئلا يسمعوه؛ فالله سبحانه وتعالى عالم بأسرارهم ومطلع عليها، وعالم بما يخفونه في قلوبهم حتى حين يتغطون بفراشهم عند النوم، وهو عالم بنية كل واحد، وما هو عازم عليه، وما يوسوس به، وما يحدث نفسه به.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ۝٦﴾ يطلعهم الله سبحانه وتعالى على مدى قدرته وأنها محيطة بكل شيء، وأنه ما من دابة تسير على الأرض إلا ويوصل إليها رزقها، ويعلم من أي صلب خرجت وفي أي رحم استودعت واستقرت، وأين تذهب وتجيء وأين تبيت وتأوي، وكلها في علمه مكتوبة، ولا يغيب عن علمه شيء من ذلك.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى المشركين على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه الذي خلق السماوات والأرض وليست هذه الأصنام التي يعبدونها من دونه.

---

(١)-**سؤال:** ما العلاقة بين ثني الصدور والإعراض بالوجه؟

الجواب: ثني الصدور، والإعراض بالوجه، كلاهما كناية عن الإعراض عن سماع الكلام وعن التهاون بسماعه.

(٢)-**سؤال:** لماذا يسمى ما يخفيه الإنسان في قلبه بذات الصدور؟

الجواب: سمي ذلك بـ«ذات الصدور» لملازمتها الصدور، فإن الصدور هي مخازن أسرار الإنسان التي تحفظ فيه، والأسرار مصاحبة للصدور.

والأيام هذه المراد بها أيام الله التي مقدار اليوم كما ورد خمسون ألف سنة، وقد يكون المعنى أنها ستة أيام مثل أيامنا، والله على كل شيء قدير.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض لم يكن إلا الماء، ثم خلق من الماء[١] السماوات والأرض وما بينهما، وجعل ذلك تحت ملكه[٢] وسيطرته وقدرته.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ هذه هي الحكمة من خلق السماوات والأرض وهي: أن يختبر عبيده من الجن والإنس والملائكة فينظر من الذي سيطيعه ويمتثل لأوامره، ويعمل الأعمال الصالحة فيثيبه، من الذي يكون بعكس ذلك فيعاقبه، والمقصود من ذلك هو الجزاء؛ لأنه الغاية من التكليف والاختبار.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا[٣] إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧﴾ قال الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ: إذا أخبرت المشركين أن الله سبحانه وتعالى سيبعثهم بعد الموت- فسيكذبونك ويرمونك بالسحر، ويتهمونك بالكذب والافتراء على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المشركين وهو أنه إذا أخر عنهم إنزال عذابه إلى فترة

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: إن الماء من جملة الأرض فكيف ذلك؟

الجواب: لم يكن يومئذ أرض ولا سماء.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون أن العرش بمعنى الملك الذي يراد به التملك؛ لئلا يصير المعنى: وكان ملكه (مملوكه) على مملوكه؟

الجواب: نعم المراد أن العرش بمعنى التملك والسلطان والسيطرة.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب جملة: ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؟

الجواب: الجملة جواب للقسم المدلول عليه بلام التوطئة المتصلة بـ«إن» الشرطية، وتسمى اللام الموطئة للقسم، ولا محل للجملة من الإعراب، وهي سادة مسد جواب «إن» الشرطية.

محدودة، وبلوغ أجله المقدر له قالوا: ما هو الذي حبس العذاب عنا؟ وما هو الذي منع من حلوله بنا؟

واستعجالهم ذلك واستفهامهم إنما هو سخرية واستهزاء منهم بنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبما جاءهم به.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بجواب ما يستعجلونه فقال: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾[1] فإذا نزل عليهم فلا دافع لهم منه.

﴿وَحَاقَ[2] بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٨﴾ فعند رؤيتهم للعذاب ونزوله بهم ستحيط بهم أعمالهم التي عملوها ويحيط بهم جزاء سيئاتهم.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً[3] ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ۝٩﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال الإنسان الكافر وهو أنه إذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليه في الدنيا بنعمة وأسبغها عليه، ثم بعد ذلك رفع عنه هذه النعمة- فإنه حينئذ

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم تكرموا بإعراب: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾؟

الجواب: «ألا» حرف استفتاح وهو في الأصل داخل على ليس. «يوم يأتيهم» يوم: ظرف زمان مضاف للجملة التي بعده وهي في محل جر بالإضافة، والظرف متعلق بقوله: «مصروفاً» الذي هو خبر ليس، وقد استدلوا بهذه الآية على جواز تقديم خبر ليس عليها من حيث أن تقديم معمول خبرها عليها يؤذن بجواز تقديم الخبر، وقد يقال: إنهم يتجوزون في الظروف بما لا يجوز في غير الظروف.

(٢)-**سؤال:** هل في التعبير بالماضي في «حاق» سر وحكمة؟ فما هو؟

الجواب: السر والحكمة في التعبير بالماضي في «حاق» مع أنه مستقبل- هو الإفادة بتحقق وقوعه فكأنه لذلك قد وقع.

(٣)-**سؤال:** يقال: لماذا عبر الله سبحانه عن النعمة بالرحمة؟

الجواب: لأن النعمة ناتجة عن الرحمة، فالرحمة هنا من المجاز المرسل من إطلاق السبب على المسبب.

يقنط من رحمة الله سبحانه وتعالى، ويصيبه اليأس، وينقطع أمله، ويكون ساخطاً من ذلك أشد السخط، بخلاف المؤمن فإذا فات عليه شيء أو حلت به كارثة أو مصيبة فلا ينقطع رجاؤه في الله سبحانه وتعالى، ويكون واثقاً بالله سبحانه وتعالى كل الثقة وأنه سيخلفه خيراً مما فات عليه ويعوضه من عنده، ويحتسب أجر ذلك عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة فتطمئن عند ذلك نفسه ويهدأ باله، وأما الكافر فلا يشعر بهذا الشعور ويصيبه اليأس والاضطراب.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ[(١)] بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠﴾ وإذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بعد شدائد قد أصابته فلا يشكر الله سبحانه وتعالى على ذلك، بل يكون فرحه بطراً وعصياناً لله تعالى، ويذهب في اللهو واللعب وفعل القبائح والمنكرات، ويتكبر ويتعالى على الناس ويترفع عليهم.

والفَرِح هو: فاعل المعاصي والمنكرات والقبائح، والفخور هو: المتكبر المتعالي على الناس.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ استثنى الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين الصابرين، فأخبر بأن حال[(٢)] الخير والشر عندهم سواء فهم راضون بما قسمه الله سبحانه وتعالى لهم، فإن هو أنعم عليهم قابلوا نعمته بالشكر والتواضع، وإن أصابهم بالشر احتسبوا ذلك عنده،

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما نوع الاسم «نعماء»؟

الجواب: «نعماء» اسم مصدر أي اسم للنعمة، ومثله السراء والضراء، فهما اسمان للمسرة والمضرة.

(٢)-**سؤال:** من أين نستفيد أن المراد الإخبار عن حالة المؤمنين في حالة الخير والشر؟

الجواب: يستفاد ذلك من الاستثناء: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فإنه استثناء من عموم الإنسان الكفور في حالة الضراء، والفرح الفخور في حالة النعماء.

وأيقنوا بإثابته لهم على الصبر عليه، وكانوا راضين بذلك مطمئنة قلوبهم بما أعطاهم وقسم لهم.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ[1] صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا[2] لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ عندما اتهم المشركون محمداً بالكذب ورفضوا تصديقه وقالوا له: لو كنت نبياً من عند الله حقاً كما تزعم لكان معك كنز من الذهب والفضة، أو لرأينا معك ملكاً من الملائكة يشهد بصدقك؛ عندها ضاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهم ذرعاً واستاء من قولهم هذا، فأراد الله تعالى أن يشد من عزيمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال له إنه لا ينبغي أن تهتم لقولهم، ولا أن تضعف عزيمتك بسببه ولا أن يكون سبباً لضيق صدرك، ولا مبرراً لأن تترك تبليغ ما أمرك الله بتبليغه.

وحثه الله سبحانه وتعالى على مواصلة تبليغهم الحجة وإنذارهم، وأخبره أن هذا هو الذي يلزمه فعله، وأنه سبحانه مطلع على أعمالهم، وهو الذي سيحاسبهم ويجازيهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ عندما قرأ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على المشركين القرآن وسمعوه قالوا حينئذ: ليس إلا كلاماً مفترى من عند نفسه، وليس من كلام الله.

---

(١)-**سؤال:** إلام يعود الضمير في «به»؟

الجواب: يعود إلى المصدر المؤول من: ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا...﴾ وصح عوده عليه مع تأخره لأنه في نية التقديم من حيث أنه متعلق بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ أي: مخافة أن يقولوا...

(٢)- **سؤال:** ما إعراب المصدر: ﴿أَنْ يَقُولُوا﴾؟ وكيف معناه حسب ذلك؟

الجواب: يعرب المصدر مفعولاً من أجله أي: مخافة أن يقولوا.. فهو في محل نصب بنزع الخافض أو في محل جر بالإضافة.

﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ[١] وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝١٣﴾ إذا كانوا يزعمون أنه كلام مفترى فقل لهم يا محمد بأن يأتوا بعشر سور من مثل بلاغته وفصاحته يفترونها من عند أنفسهم أيضاً إن كانوا صادقين في دعواهم أنك افتريته.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾[٢] ولم يستطيعوا أن يأتوا بعشر سور ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ[٣] اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۝١٤﴾ فتيقنوا أنه كلام الله أنزله بعلمه، وليس من كلام البشر.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ۝١٥﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن من أراد الدنيا ولذاتها وشهواتها فسيمتعه الله فيها وينعم عليه، ولن ينقص عليه من دنياه شيئاً؛ لأن أمور الدنيا مبنية على الأسباب فمن تسبب وتكسب فسيحصل عليها[٤].

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾؟

الجواب: صفة مجرورة لـ﴿عَشْرِ سُوَرٍ﴾.

(٢)-**سؤال:** هل لتغيير الضمير من المفرد «قل» إلى الجمع «لكم» سر ونكتة فما هي؟

الجواب: أمر النبي ÷ بكيفية الاستدلال وإقامة الحجة على أن القرآن منزل من عند الله وأنه حق لا ريب فيه ليقرر في قلوب المؤمنين وغيرهم صدقه وأحقيته فالاستدلال من النبي ÷ والنتيجة هي للمؤمنين وغيرهم، لذلك قال الله تعالى:﴿فَاعْلَمُوا﴾ فهذا هو السر والحكمة في تغيير الضمير من المفرد إلى الجمع، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** ما معنى الباء في: ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾؟

الجواب: الباء للملابسة أي: أنزله متلبساً بعلم الله ومصاحباً له.

(٤)-**سؤال:** يقال: ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة التوبة (٦٩) عن الكفار والمنافقين أنها حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: يمتع الله تعالى المجرمين في الدنيا ويمدهم بالمال والبنين والسلامة وأسباب النعيم: =

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ ولا حظ لهم ولا نصيب في الآخرة، وإنما يساقون إلى النار وبئس المصير.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٦﴾﴾ وحبط ما عملوه في الدنيا من أعمال البر[1] فلن ينالوا ثوابه مع كفرهم وشركهم وتكذيبهم بالله سبحانه وتعالى، وهو ما كانوا يفعلونه من مكارم الأخلاق نحو: إكرام الضيف، وحسن الجوار، وإغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وصلة الأرحام، وكانت العرب تتحالف على ذلك فيما بينها، وقد كان هناك حلف الفضول تحالفت عليه عدة قبائل من قريش في مكة على ألا يأتي إليهم مظلوم إلا نصروه، وتعاهدوا وتحالفوا عليه.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لو دعي إلى مثل حلف الفضول لأجاب[2]، فدل

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ [المرسلات]، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء]، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [آل عمران:١٩٧]، وقد يحرمهم الله تعالى خير الدنيا، ويسلبهم متاعها، وينزل بهم الخزي بسبب التكذيب للرسل والسعي في رد دعوتهم، كما ذكر الله في سورة التوبة عن الكافرين والمنافقين، وعلى هذا فالجمع بين الآيتين من الجمع بين العام والخاص، أي: أن الله تعالى يعطيهم ثواب الدنيا، وقد يعاقبهم بذهاب أموالهم إذا أسرفوا وتمردوا وحاربوا دعوة الله ودعوة رسله عليهم السلام، فإذهاب الله تعالى وإحباطه لأعمالهم الدنيوية هو حالة استثنائية.

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية السابقة ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أنهم يعطون على أعمال البر عطاءات في الدنيا تشبه الجزاء فكيف؟

الجواب: قد تضمن الجواب السابق الجواب على هذا. والمراد بإحباط الله لأعمال البر هنا هو عدم استحقاقهم لثوابها في الآخرة.

(٢)-**سؤال:** وإذا قيل بأن في ذلك إعانة للكفار فكيف؟ وهل يجوز ولو كان في ذلك تغرير؟ وما هو الضابط في التغرير وعدمه؟

الجواب: التعاون على إقامة حق وإماتة باطل أمر مطلوب في الإسلام، ويستدل لذلك بأدلة =

ذلك على حسن هذه الصفة وكرم أهلها، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيحبط ثواب أعمال البر التي عملوها في الدنيا.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ هل يستوي من كان على بينة من ربه وحجة واضحة في دينه، هو وذلك الكافر الذي لا يتبع في دينه إلا هوى نفسه وشهواته؟

يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا ينظرون بعقولهم ويتفكرون فيما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم مع أنه قد جاءهم بحجة واضحة تدل على صدقه، وأنه من عند الله سبحانه وتعالى، بينما أولئك ليسوا على بينة ولا حجة في عبادتهم للأصنام؛ فإن هم تفكروا في ذلك ونظروا عرفوا، فلماذا لا يتبعونه وقد عرفوا ذلك

﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ روي أن هذا الشاهد هو أمير المؤمنين(1) علي عليه السلام، وأنه الذي سيخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقوم مقامه، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرافقاً له، لا يفارقه من بداية دعوته، وما حدث به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحديث أو تكلم بكلام إلا وحفظه عنه ووعاه في صدره، وهو باب مدينته وخازن علمه ومستودع أمانته وقرينه، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترط لذلك أن لا يؤدي إلى حصول مفسدة راجحة أو مساوية، ومن جملة المفاسد حصول التغرير على بعض المسلمين. ومن هذا الباب ما روي في كتب السير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعاهد مع يهود المدينة، وذكر فيه التعاون بين المسلمين واليهود، والكتاب الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الباب رواه ابن إسحاق.

(1)-**سؤال:** يقال: فما معنى كونه منه؟ وكيف نرد على من قال الشاهد هو جبريل أو النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: معنى كونه منه هو أن علياً (الشاهد) متفرع من نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معدنه ومن لحمته. والرد على من قال: إن الشاهد هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو جبريل يكون بذكر الآثار المروية في تفسير هذه الآية، وبأن أهل البيت عليهم السلام فسروا الشاهد بعلي عليه السلام، وهم قرناء القرآن وتراجمته، المشهود لهم بذلك في حديث الثقلين وغيره.

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ من قبل القرآن كتاب موسى الذي هو التوراة رحمة للناس يهتدون بهديه.

﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الذين اهتدوا[1] بالتوراة وعملوا بما جاء فيها فهم مؤمنون بالقرآن، ومصدقون به؛ لأنه قد ورد ذكره في كتابهم، وقد عرفوا ذلك.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ من يكفر بالقرآن من الفرق المتحزبة ضد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قريش وغيرهم فمصيره نار جهنم خالداً فيها أبداً.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين وأعلمهم بأن القرآن الحكيم حق منزل من عند الله، وما ترونه أيها المؤمنون من كثرة المكذبين ليس لشكهم فيه ولا لارتيابهم في آياته ومصداقيته، فتكذيبهم ليس إلا لتمردهم على الله وفسوقهم عن أمره وتعاليهم على الله فلا ترتابوا أيها المؤمنون.

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ١٧﴾ واعلم أنه كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن الكفر والجحود طبيعة البشر منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى أولاد آدم إلا القليل منهم.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا أحد أظلم من أولئك الذين يختلقون الكذب والافترآت، ويقولون: إن الله حرم هذا وأحل هذا من عند أنفسهم، فقد بلغوا الغاية والنهاية في الكفر والضلال.

---

(١)-**سؤال:** يقال: لم يسبق للمهتدين ذكر حتى يشار إليهم بـ«أولئك» فكيف؟ وهل يصح أن يجعل إشارة لمن كان على بينة من ربه؟

الجواب: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو مفرد، وهذا على تفسيرنا، فلا يصح عود الإشارة إليه إلا على تأويل؛ لذلك اخترنا عود الإشارة إلى ما أفاده قوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ فإن كونه إماماً يدل على المؤتمين به والمتبعين له، وإيمانهم بالقرآن دليل على صحة القرآن وحجة واضحة على صدقه: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ١٩٧﴾ [الشعراء].

﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يعرضون للحساب يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ وهم الأنبياء؛ لأنهم الذين سيشهدون يوم القيامة على المكذبين من أممهم.

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾(١) والظالمون هم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، واللعنة هي أن يطردهم إلى جهنم، ويحبسهم فيها خالدين أبداً، ومحل لعنته هو جهنم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى من هم الظالمون أيضاً؛ لأن الظالم يندرج تحته معان كثيرة فقال:

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يمنعون الناس ويحذرونهم من الذهاب للاستماع للنبي ﷺ والأخذ عنه، ويلحق بهم كل من صد عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى أو عن ذكره.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون الناس في طريق الضلال والغي والجهل.

﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ لا يصدقون بالبعث والحساب والجزاء.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ هؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله سبحانه وتعالى، ويكفرون بالآخرة- أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم لن يعجزوه، وأن إمهالهم في الدنيا ليس لعجزه عنهم فهو قادر على أخذهم متى أراد؛ لأنهم تحت قبضته وقدرته.

﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ كانوا يقولون: إن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى ستنفعهم وتنصرهم، فأخبرهم الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما السر والحكمة في الاستفتاح بـ«إلا»؟

الجواب: السر والحكمة لتلك الأداة «ألا» هي تنبيه المخاطب إلى أهمية الخبر الذي يعقبها، أي أنها أداة لاستفتاح ذهن المخاطب ليعي الخطاب ويصغي إليه.

وتعالى أنها لن تنصرهم من دونه.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾[1] يضاعف الله تعالى العذاب لهؤلاء الذين يصدون عن سبيل الله.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ۝٢٠﴾[2] وسبب مضاعفة العذاب لهم أنهم كانوا لا يستطيعون أن يستمعوا لآيات الله سبحانه وتعالى وبيناته ولا لنبيه، ولا يبصرون الهدى الذي كان يدلهم على طريقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهم كالصم البكم العمي؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسمعهم الهدى ويبصرهم الحق، ولكنهم لم يكونوا يسمعون ولا يبصرون، وكان دأبهم العناد والتمرد والكفر وسفاهة العقول والاستكبار.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فهؤلاء الذين ذكرنا صفاتهم هم الذين قد خسروا أنفسهم في جهنم، وذلك هو الخسران المبين.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ۝٢١﴾ ضاعت عنهم يوم القيامة تلك الأصنام والمعبودات من دون الله سبحانه وتعالى التي كانوا يدعون أنها ستنصرهم وستدفع عنهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝٢٣﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المؤمنين، وما سيلاقونه

---

(١)-**سؤال:** ما السر في فصل هذه الجملة عما قبلها؟

الجواب: فصلت هذه الجملة لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً، أي واقعة في جواب سؤال مقدر.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف عبر الله عن عدم استماعهم بعدم استطاعتهم للسمع؟ وكيف نرد على المجبرة إذا استدلوا بها على نفي الاستطاعة؟

الجواب: عبر الله تعالى بعدم استطاعتهم للسمع كناية عن كراهتهم لدعوة الأنبياء واستثقالهم لسماعها. ويمكننا أن نقول للمجبرة: إن الله تعالى جعل للكفار أسماعاً وأبصاراً وأفئدة يسمعون ما يقال لهم، ويبصرون ما يفتحون أعينهم عليه، و... إلخ، والذي لا يستطيع السماع هو الأصم، وليسوا صماً ولا عمياً، وإلا لسقط عنهم التكليف بالتكاليف السمعية.

جزاءً على أعمالهم فقال: الذين آمنوا وصدقوا بالله سبحانه وتعالى، وعملوا مع ذلك الأعمال الصالحة، وتواضعوا لأوامر الله سبحانه وتعالى، واستسلموا له وقالوا سمعنا وأطعنا هم أصحاب الجنة خالدين فيها أبداً، والمتكبر في الحقيقة هو الذي لا يمتثل ما أمره الله سبحانه وتعالى به ويجعل أوامره وراء ظهره ويفعل المعاصي من دون مبالاة فهذا هو المتكبر ولو كان يمشي حافياً أو على وجهه من شدة التواضع.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يمثل الله سبحانه وتعالى لنا حال الذين آمنوا بالنبي ﷺ، وحال الذين كفروا وكذبوا به.

﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ فالمشرك كالأعمى والأصم،، والمؤمن كالبصير والسميع.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴿٢٤﴾﴾(١) فلا يستوي الأعمى والبصير، فالمؤمن كالبصير الذي اهتدى إلى طريق الصواب وسار فيه، والكافر كالأعمى الذي لا يهتدي إلى طريق، وإنما يخبط خبط عشواء لا يبصر شيئاً فيسير في غير طريق.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ كما أرسلناك يا محمد إلى قريش، وإلى جميع الناس.

﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴿٢٥﴾﴾(٢) يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه أرسل نوحاً لينذر قومه ويحذرهم.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾(٣) يأمرهم نبي الله نوح بعبادة الله وحده، ويترك عبادة الأصنام.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله: ﴿مَثَلًا﴾؟

الجواب: «مثلاً» تمييز منصوب محول عن الفاعل أي: هل يستوي مثلهم.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما محل جملة: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ...﴾؟

الجواب: محل الجملة النصب على أنها مقول لقول محذوف.

(٣)-**سؤال:** لو تكرمتم بإعراب: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾؟

الجواب: «أن» تفسيرية، والجملة التي بعدها لا محل لها من الإعراب لأنها مفسرة.

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۝٢٦﴾ إن بقيتم على عبادة الأصنام فإني خائف ومشفق عليكم أن يحل بكم عذاب يستأصلكم ويبيدكم، وقد جئت لأستنقذكم من عذاب الله وسخطه الذي أوشك أن يحل بكم.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم أشراف قومه وكبراؤهم، وذلك لأن البقية يكونون تبعاً لهم ولما قالوه.

﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ فلست نبياً كما تزعم ولست إلا بشراً من جنسنا، ظناً منهم أنه لا يصح أن يكون النبي من البشر، ولا بد أن يكون من غير جنسهم قالوا ذلك تعنتاً وتمرداً وإلا فقد جاءهم نبيهم نوح عليه السلام بما يدل على نبوته.

﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾(١) ولم يصدقك ويتبع دعوتك إلا أولئك الأراذل وحثالة القوم الذين استجابوا لك من دون نظر أو تروٍّ أو تفكير، استنقاصاً بهم واستحقاراً لهم(٢)، وليسوا من أهل العقول الراجحة والرأي حتى نصدقك، بل إن ذلك يدل على أنك كذاب، ولست نبياً من عند الله سبحانه وتعالى وإلا لما اتبعك هؤلاء الأراذل.

﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۝٢٧﴾ فلست إلا بشراً مثلنا غير زائد علينا في شيء، فلماذا نتبعك ونصدق أنك نبي؟

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾؟ وما هو العامل فيه؟

الجواب: «بادي الرأي» أي: أول الرأي فهو ظرف مكان منصوب وعامله: ﴿اتَّبَعَكَ﴾ أي: اتبعوك في أول الرأي أي من غير نظر وتفكير.

(٢)-**سؤال:** يقال: إذا قالوا ذلك استنقاصاً فما الوجه في التعبير بضمير الجمع «وما نرى لكم» بعد ضمير الإفراد «وما نراك»؟

الجواب: عبروا بضمير المفرد أولاً لأن الخطاب كان مع نوح عليه السلام وحده، ثم عبروا بضمير الجمع ثانياً لأن الخطاب كان لنوح عليه السلام وأتباعه الذين كان يدعي نوح عليه السلام لهم أنهم الفريق الصالح الذي حاز الفضل والشرف في الدنيا والآخرة؛ لذلك خوطبوا بضمير الجمع: ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ كما تدعون.

وفي الحقيقة لم يكن هذا إلا كبراً منهم؛ لأنهم قد عرفوا أنه صادق، وأنه قد جاءهم بالحق، وبما فيه نجاتهم.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ﴾ أخبروني كيف لو كنت على بينة واضحة وحجة قاطعة تدل على أنه قد تفضل علي، وجعلني نبياً، وأرسلني إليكم. والمراد بالرحمة: النبوة والرسالة.

﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ ولم تعرفوا هذه الحجة، وأما أنا فاعلموا أني قد علمت بذلك.

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ۝٢٨﴾ أأكرهكم على أن تقبلوا ذلك وتؤمنوا بهذه الحجة الواضحة مكرهين، فقد أخبرتكم بأني رسول إليكم من عند ربي، وجئتكم بما يدل على ذلك وهذا هو الذي يلزمني تجاهكم؛ فإن شئتم قبلتم، وإن شئتم رفضتم.

﴿وَيَا قَوْمِ﴾ يخاطب نوح عليه السلام قومه معاتباً لهم في عدم اتباعهم له قائلاً: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ فلا أريد منكم أجراً في تبليغي إليكم فأجري على ذلك من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾(١) كان كبار قومه وزعماء قبيلته اشترطوا عليه أن يبعد عنه الأراذل في زعمهم ممن آمن به وسوف يتبعونه، ويستمعون إليه، ولكنه أجاب عليهم بالنفي، وأنه لن يطردهم من عنده؛ لأنه سيسأل عن ذلك أمام الله سبحانه وتعالى يوم القيامة.

---

(١)-**سؤال:** ما وجه التعبير بـ: ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ مع أنه على ظاهر السياق كان الأولى أن يقول: إني ملاق ربي؟

الجواب: المراد إنهم ملاقو ربهم فينتصف لهم ممن ظلمهم، فالمظلوم يوم القيامة يسأل أولاً عما لحقه من الظلم ثم بعد ذلك يسأل الظالم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ۝٩﴾ [التكوير].

﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ۝٢٩﴾ ولو كنتم تريدون الحق كما تزعمون لما احتجتم إلى ذلك، ولكنكم من أهل العناد والتمرد على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ۝٣٠﴾ من يدفع عني عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه إن طردتهم وأخرجتهم؛ لأن ذلك جريمة عظيمة سيحاسبني ربي عليها ويعذبني.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا(١) أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(٢) عندما ادعى نوح عليه السلام الرسالة والنبوة استنكر عليه قومه ظناً منهم أنه لا يصح ذلك، وأنه لا بد لأجل ذلك أن تكون عنده خزائن الله من الذهب والفضة والأموال، أو يعلم الغيب، أو يكون من الملائكة؛ فأخبرهم بأنه ليس معه شيء من ذلك، ومع ذلك فهو نبي من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ ولن أقول إن هؤلاء الذين آمنوا بي ممن تحتقرونهم لن يثيبهم الله سبحانه وتعالى، ولن يدخلهم

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ معطوف على قوله: ﴿أَقُولُ﴾ أم على مفعول «أقول»؟

الجواب: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ جملة معطوفة على جملة: ﴿وَلَا أَقُولُ﴾ إذ لو عطف: «ولا أعلم الغيب» على مفعول «أقول» لصار التقدير: ولا أقول لكم لا أعلم الغيب. وما ذكرناه من الإعراب أولى مما ذكره الزمخشري؛ لما ذكرنا من الإشكال، ولما فيه من التناسب من عطف الفعلية على الفعلية.

(٢)-**سؤال:** من أين نستدل من هذه الآية: ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ على أن الملائكة أفضل من الأنبياء؟

الجواب: نستدل بهذه الآية على أن الملائكة أفضل من الأنبياء من حيث إنه لا يحسن أن يقول القائل: «أنا لا أدعي أني ملك» أو نحوها إلا إذا كان يعتقد أن الملك أعلى وأشرف، وهذا مع قول قوم نوح: ﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ لاعتقادهم أن رسل الله لا يكونون إلا ملائكة لا بشراً، وقولهم هذا يفيد أن الملائكة أفضل من البشر فأقرهم نوح عليه السلام على هذا المعتقد ولم ينكر عليهم.

الجنة، وكانوا يظنون أنه لن يدخل الجنة إلا الأشراف والكبار، ويعتقدون أنهم لشرفهم في الدنيا وتعاليهم فيها هم الذين يستحقون ثواب الله وكرامته دون الأراذل وأهل الضعف والمسكنة.

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فهو عالم ومطلع على ضمائر هؤلاء الذين تحتقرونهم، وبما يحملونه من الإيمان في قلوبهم، وسيثيبهم على ذلك.

﴿إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿٣١﴾﴾[1] لو استمعت إليكم وطردتهم.

﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٣٢﴾﴾ قد أكثرت علينا يا نوح فلن نؤمن لك، ولن نصدقك مهما فعلت فادع الله أن يعجل علينا بعذابه هذا الذي تدعي أنه سينزله بنا.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴿٣٣﴾﴾ فليس بيدي تعذيبكم فهو الذي سيعذبكم إن أراد ولستم بمعجزين له، ولن تستطيعوا أن تدفعوا عن أنفسكم عذابه إن نزل بكم، أو أن تفروا منه.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٣٤﴾﴾[2] فإذا حق عليكم عذاب الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** هل يصح أن يكون هذا جواباً على قوله: ﴿وَلَا أَقُولُ... وَلَا أَقُولُ..﴾ إلخ؟ أم أنه جواب على الطرد فقط؟

الجواب: هو جواب للطرد فقط؛ لاتصاله به، ولمناسبة الصيغة: ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴿٣١﴾﴾ للطرد، ولأنهم لم يطلبوا منه إلا الطرد.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن الله يريد إغواءهم، وأنه لا ينفع النصح معهم، وهو عين مذهب المجبرة، فكيف توجه الآية مع التدليل على ذلك حفظكم الله؟

الجواب: يوجه قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ...﴾ على:

١- إن كان الله يريد أن يهلككم بعذابه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴿٥٩﴾﴾ [مريم].

٢- إن كان الله يريد أن يترككم في غيكم وفيما أنتم عليه من الكبر والكفر والضلال؛ لأن النصح =

وتعالى واستوجبتم سخطه وحان وقت تعذيبكم، فلن ينفعكم الإيمان حينئذ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداًصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن حال المشركين، وأنهم يزعمون أنه كاذب فيما جاءهم به، وأن القرآن ليس من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ۝٣٥﴾ إن كنت قد افتريته على الله فأنا سأتحمل وزر ذلك، ولن تتحملوا عني شيئاً، ولكن اعلموا أنكم سوف تتحملون ذنب شرككم وتكذيبكم، وأنا بريء منه.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نوحاًعَلَيْهِ السَّلَام أنه لن يؤمن غير من قد آمن ليقطع طمعه في إيمان قومه.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ۝٣٦﴾ فلا تحزن على أعمالهم وشركهم وتكذيبهم، وعلى ما سيلحقهم بسبب ذلك من العذاب.

﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(١) بعد هذه المدة -مدة دعائه لقومه- أمره الله سبحانه وتعالى بأن يصنع سفينة له ولمن آمن معه، وطمأنه الله سبحانه وتعالى بأنه تحت عنايته وحفظه، وأنهم لن يستطيعوا أن يضروه بشيء فهو معه.

لا ينفع إلا المتواضعين دون المتكبرين الذين حال كبرهم بينهم وبين قبول النصيحة، وحجز ضلالهم وفسادهم دون قبولها، فمن هنا اقتضت سنة الله وعادته أن النصيحة لا تنفع إلا من كان على استعداد لقبولها دون من لم يكن له استعداد لقبولها كالمتكبرين وأهل الضلال والفساد الذين حال ضلالهم وكبرهم وفسادهم دون قبول النصح، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ۝٢٣﴾ [الأنفال].

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؟ وكيف يكون النظم تبعاً لذلك المعنى؟

الجواب: الباء للملابسة أي: متلبساً بأعيننا أي: محفوظاً بحراستنا ورعايتنا.

﴿وَوَحْيِنَا﴾ وأخبره الله سبحانه وتعالى بأنه سيرسل إليه(١) من يعلمه كيفية صناعتها بمنتهى الدقة.

﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴿٣٧﴾﴾ ولا تراجعني في شأن قومك فقد حق عليهم العذاب، وحان وقت نزوله بهم، وكأن الله سبحانه وتعالى قد علم بأن نوحاً عليه السلام سيدعوه أن يمهلهم، ويؤخر نزول عذابه بهم طمعاً في إيمانهم وشفقة عليهم، بالرغم من أنه قد مكث يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً؛ فأخبره الله سبحانه وتعالى بأنه قد بلغ الكتاب أجله، وأنه لن ينفع مراجعته في شأنهم.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ خلال عمله كان كل من مر عليه من قومه يسخر منه ويستهزئ به زاعماً أنه مجنون؛ فكيف يصنع سفينة في وسط الصحراء؟! وصناعة السفن إنما تكون على شواطئ البحار.

﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴿٣٨﴾﴾ إن كنتم تسخرون من عملنا هذا فإنا أيضاً نسخر منكم لكفركم بالله سبحانه وتعالى وبآياته.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴿٣٩﴾﴾ كانوا يقولون إن نوحاً قد خرج عن الحق، وعن دين آبائه وأجداده، وأن الأصنام سوف تنتقم منه جزاءً على ما يفعله؛ فرد عليهم بأنهم سوف يعلمون من الذي خرج عن الحق عندما يرون نزول العذاب بهم في الدنيا قبل عذاب الآخرة، ولا زالوا على هذا المنوال مدة صناعته للسفينة.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾(٢) أعلم الله تعالى نوحاً بأن علامة حلول

(١)-**سؤال:** هل يعني ملكاً من الملائكة أم ماذا؟

الجواب: قد يكون الوحي بواسطة ملك من الملائكة أو بواسطة الرؤيا: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴿٥١﴾﴾ [الشورى].

(٢)-**سؤال:** هل المراد بالتنور ما هو معروف عندنا اليوم بتنور الخبز؟ وهل المراد تنور نوح أم الجنس؟

الجواب: الظاهر أن المراد تنور الخبز، أي: تنور نوح التي في بيته.

عذاب الله بقومه هو فوران الماء من التنور.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ[١] وَأَهْلَكَ﴾ فإذا فار التنور فاركب أنت ومن آمن معك في السفينة، واحمل أيضاً معك زوجين من كل حيوان من حيوانات الأرض ذكراً وأنثى.

﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ إلا من قد استحق منهم عذاب الله سبحانه وتعالى، وهم زوجته وأحد أولاده فهذان اللذان لم يؤمنا من أهله فلا يحملهما.

﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ۝٤٠﴾ أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل فيها من آمن معه، ثم أخبر أنه لم يؤمن به إلا قلة قليلة.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا[٢] إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ۝٤١﴾ أمرهم الله سبحانه وتعالى أن يستعينوا به عند ركوبهم، وأن يتوكلوا عليه، وأن يسموا الله سبحانه وتعالى عند ذلك، وأنها تجري بأمره وتحت حراسته وحفظه.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[٣] نبعت الأرض بالماء والسماء بالمطر؛ فامتلأت الأرض، وتكاثر فيها الماء حتى غطى الجبال، والسفينة تجري بهم فيه.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿اثْنَيْنِ﴾؟ وما فائدته بعد قوله: ﴿زَوْجَيْنِ﴾؟

الجواب: تعرب «اثنين» على قراءة تنوين ﴿كُلٍّ﴾: صفة مؤكدة مثل: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [النحل:٥١]، وعلى قراءة إضافة «كل» إلى زوجين: مفعول به لـ﴿احْمِلْ﴾، وفائدة المجيء باثنين على القراءة الأولى هي التوكيد.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾؟ ومن أي أنواع الاسم هما؟

الجواب: يعرب ﴿مَجْرَاهَا...﴾ مبتدأ، ﴿وَمُرْسَاهَا﴾ معطوف عليه، والخبر: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، و«مجراها ومرساها» مصدران ميميان. وما ذكرناه أحسن ما قيل فيهما في رأيي، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** علام عطفت هذه الجملة؟ ولماذا استخدم فيها الفعل المضارع؟

الجواب: الواو للحال وليست عاطفة، وصاحب الحال محذوف، والتقدير: فركبوا فيها والحال أنها تجري بهم. وعبر بالمضارع لإحضاره الصورة في ذهن السامع وتصويرها أمامه كأنه يراها.

﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴿٤٢﴾﴾ كان الولد هذا منعزلاً عن أبيه مع الكافرين فناداه نوح عليه السلام بأن يركب معه؛ شفقة منه عليه من الغرق.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ فرفض دعوة أبيه، وقال له: سأصعد جبلاً طويلاً لا يلحقني فيه طوفان الماء.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾[1] يخاطب ابنه بأنه لن ينجو من الغرق إلا من كان من أهل رحمة الله سبحانه وتعالى وهم المؤمنون، فلم يصدق أباه أن الناس جميعاً سيغرقون، وظن أن الجبل سيحميه، وقد عاتب الله سبحانه وتعالى نبيه على ذلك؛ لأنه قد أخبره أنه لن ينجو من الغرق إلا من كان من أهل رحمته، فتاب نوح عليه السلام وندم على ما كان منه، واستغفر الله من ذنبه ذلك.

﴿وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ عندما قضى الله سبحانه وتعالى على الكافرين أمر الأرض بأن تبتلع ماءها، والسماء بأن تكف عن المطر؛ فنقص الماء إلى أن رجع كل شيء على حالته.

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ ورست السفينة على جبل اسمه الجودي قيل إنه في أرض التبت، وهي في أطراف الهند.

﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ هذه دعوة[2] نوح ومن آمن معه، وقد تكون دعوة من الملائكة، ويمكن أن تكون من الطرفين.

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: كيف صح أن يستثنى المرحوم (الشخص) من اسم المعنى (عاصم)؟

الجواب: التفسير مبني على المعنى في الجملة، أما إعراب: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ فـ«من» مستثنى من «عاصم» والجملة صلة «من» أي: إلا الراحم، والمعنى: لا عاصم إلا الله، وقد وعد بأنه لن يعصم من عذاب الغرق إلا المؤمنين.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل يصح أن تكون هذه الدعوة إخباراً من الله بهلاك الظالمين؟

الجواب: الظاهر أن ثمة قائلاً قال ذلك ولا مانع منه، ويجوز كناية عن الاستهانة بالمهلكين كقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ...﴾ [الدخان:٢٩].

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴿٤٥﴾﴾ عندما رأى ولده قد أوشك على الغرق أشفق عليه فدعا الله سبحانه وتعالى أن ينقذه ظناً[(١)] منه أنه قد دخل في جملة من وعده الله سبحانه وتعالى بالنجاة.

﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه نوح عليه السلام بأن ولده هذا ليس من أهله الذين وعده بأنه سينجيهم.

ثم أخبر بسبب خروجه من جملة أهله فقال: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[(٢)]؛ لأنه ليس من أهل الصلاح والإيمان، فهو داخل في جملة المشركين.

﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فلا تتشفع فيه وأنت تعلم أنه من أهل الشرك، وقد سبق أن أخبرناك أنه لن ينجو معك إلا من كان من أهل الإيمان.

﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ[(٣)] مِنَ الْجَاهِلِينَ﴿٤٦﴾﴾ فلا تسأل عن شيء وأنت تعلم أنه لا يجوز.

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف ظن نوح هذا الظن وقد أخبره الله بأنه لا ينجو إلا من كان من أهل رحمته كما قدمتم، وأيضاً قد استثناه في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾؟

الجواب: الذي لاح بخاطري من الجواب على هذا الاستفسار: أن الاستثناء في قوله: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ كان شبيهاً بالمجمل، ولم ينص على ابن نوح المغرق، والدليل على هذا: أن الله تعالى بين لنوح عليه السلام المستثنى بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

(٢)-**سؤال:** كيف أخبر عن ضمير الرجل بقوله: ﴿عَمَلٌ﴾ وهو اسم معنى لا يصح الإخبار به عن ذلك؟ أم أنه مؤول أم ماذا؟

الجواب: هو من باب إقامة الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى وذلك للمبالغة، وهذا مستعمل مشهور كقوله: فإنما هي إقبال وإدبار.

(٣)-**سؤال:** ما محل المصدر: ﴿أَنْ تَكُونَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بـ«من» مقدرة، أو النصب بنزع الخافض.

ويؤخذ من ذلك: أنه لا يجوز أن يسأل المرء أو يدعو بشيء وهو يعلم أن الله لا يريده ولا يفعله، كأن يسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يعمره ألف سنة، أو ألا يميته، أو نحو ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ۝٤٧﴾ تاب نوح إلىٰ ربه وندم علىٰ ما كان منه في شأن ولده، واستغفر الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ۝٤٨﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نوحاً ومن معه أن ينزلوا إلىٰ الأرض، ويسكنوا فيها، ويعمروها بذكره، وأخبرهم بأنه سيحفظهم من الآفات والمصائب، وأن بركاته مصاحبة لهم، وأنه سيبارك في ذراريهم وأرزاقهم، وسيتكاثرون هو ومن معه من الناس ومن الحيوانات.

وقد أراد بالبركة: الكثرة والنمو لذراريهم، وأنهم سيعمرون الأرض وسيملؤونها مكان أولئك الذين أهلكهم.

وأخبره الله سبحانه وتعالىٰ أيضاً أنه سيكون من هؤلاء الناس أمم سيكذبون رسلهم، وسيعذبهم الله علىٰ ذلك، وأن حالهم سيكون كحال أولئك الذين أهلكهم من قومه.

والله أعلم كم عاش نبي الله نوح بعد ذلك، وكم تعمَّرَ؛ فلم يقص الله سبحانه وتعالىٰ لنا إلا مدة دعوته في قومه وهي تسعمائة وخمسون سنة.

وأما الذين نجاهم الله سبحانه وتعالىٰ معه فهم ثلاثة من أولاده فقط(١)، وهم سام وحام ويافث، وقد تناسل الناس منهم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين قوله في الآية نفسها: ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ فظاهرها أنه أسلم معه أمم من الناس؟

الجواب: قد دل القرآن الكريم علىٰ ما ذكرنا، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ۝٧٧﴾ [الصافات]؛ لذلك فتفسر الأمم التي مع نوح بأولاده وذراريهم الموجودة معهم، وذراريهم التي ستأتي بعد إلىٰ يوم القيامة، وسموا أمماً لأنهم يحملون في أصلابهم أمم الأرض إلىٰ يوم القيامة.

ثم إن الله سبحانه وتعالى أخبر عن حال تلك الأمم فقال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾، وهي قصة نوح مع قومه، وأمر السفينة والغرق فهي من الأخبار التي يختص الله سبحانه وتعالى بعلمها، ولا أحد يعلمها لا أنت يا محمد، ولا أحد من قومك، وإنما أوحينا إليك علم ذلك، لنطلعك على أخبار الأمم التي كذبت برسلها، وفي ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴿٤٩﴾﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى هذه القصة ليُصَبِّرَ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم إذا علم أن نوحاً قد لبث في قومه تلك المدة، و علم كم آمن من قومه- هان عليه أمره، وما يلاقيه من تكذيب قومه، فأمره بالصبر؛ لأن النصر والظفر سيكون في النهاية لمن أتقاه وأطاعه، وإن كان القهر والغلبة والسلطان في الظاهر للمشركين؛ فإن العبرة بعاقبة الأمر ونهايته، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين بأنهم سوف يخلفون في الأرض في نهاية الأمر بعد أن يقهر المشركين، ويخزيهم ويذلهم في الأرض.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى قصة قوم عاد مع نبيهم الذي أرسل إليهم وهو هود عليه السلام.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴿٥٠﴾﴾ أرسلني الله سبحانه وتعالى إليكم لأنهاكم عن عبادة الأصنام من دونه، وآمركم بعبادته وحده؛ لأنه الإله الذي يستحق العبادة، والذي يحمل صفات الإلهية لا تلك الأصنام التي تدعونها من دون الله سبحانه وتعالى افتراءً عليه، فلا تحمل من صفات الإلهية شيئاً، فلا علم ولا قدرة، ولا تحيي ولا تميت، ولا تغني شيئاً.

وقوم عاد كانوا قاطنين في بلاد حضرموت في أرض الأحقاف (الكثبان الرملية).

﴿يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لم أطلب منكم أجراً على دعوتي لكم كي تتثاقلوا ذلك، وتتباطئوا عن الإيمان، وكانوا قد استثقلوا دعوته لهم، وضاقت نفوسهم منه.

﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝٥١﴾ ولست أطلب أجر تعبي إلا من الله سبحانه وتعالى.

فإن قيل: وما الفائدة في الأجرة حتى أن كل نبي يدعو قومه يقرن دعوته بذكر الأجرة عند معاتبتهم في عدم الاستجابة؟

قلنا ذلك؛ لأن من لا يطلب الأجرة على التعليم تكون النفوس في العادة إليه أميل ممن كان على خلافه، وتكون أقرب إلى تصديقه من ذلك الذي يطلبها.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ وتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى من الشرك وذنوبه وارجعوا إليه.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ أخبرهم نبيهم هود عليه السلام بأنهم إذا رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى واستغفروه- فسيثيبهم في الدنيا قبل الآخرة بأن ينزل عليهم الأمطار بركات من السماء، وهذا من المجاز المرسل من باب تسمية الشيء باسم مكانه.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ وكانت عاد أهل قوة وبسطة في الأجسام زائدة على من كان قبلهم من الأمم، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنهم إذا تابوا واستغفروا فسيزيدهم أيضاً قوة في أجسادهم فوق قوتهم التي هم عليها.

﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ۝٥٢﴾ ولا تعرضوا عن دعوتي لكم التي هي دعوة الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك جريمة كبيرة سيعذبكم عليها.

﴿قَالُوا يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ نفى قوم هود البينة والدليل على صدق نبوته مع أنه كان قد أتاهم بالبينات والحجج التي تشهد بصدقه، ونفيهم ذلك لم يكن إلا تمرداً وعناداً، وإلا فقد عرفوا صدق نبوته.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ[1] قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ۝٥٣﴾ فاقطع

---

(١)—**سؤال:** فضلاً ما معنى «عن» هنا لغة؟ وكيف يكون حل السياق تبعاً لذلك المعنى؟

الجواب: معناها المجاوزة ولم يذكر البصريون لها سوى هذا المعنى. وقد ذكر لها في هذه الآية معنى التعليل أي: ما نحن بتاركي آلهتنا لأجل قولك، وهذا المعنى قريب من معنى المجاوزة.

طمعك في إيماننا، فلن نترك آلهتنا حتى ولو جئتنا بالبينات والحجج، ولن نصدقك أبداً، فلا تتعب نفسك في ذلك.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ يزعم قومه أن آلهتهم قد أصابته بالجنون عقاباً له، وأنه أصبح يهذي كالمجانين.

﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ۝٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ۝٥٥﴾ فاشهدوا جميعاً يا قومي أني أشهد الله سبحانه وتعالى أني كافر بآلهتكم وبرئ منها فلتصنع بي ما شاءت، فاجتمعوا أنتم وآلهتكم، وافعلوا ما بدا لكم، واجهدوا جهدكم في إلحاق الضرر والأذى بي، ولا تمهلوني لحظة واحدة.

﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ فأنا متوكل على الله سبحانه وتعالى، وواثق به وبنصره، وما دام معي فلن يصل إليّ كيدكم.

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ فقد توكلت على الإله الذي بيده نواصي كل دابة وكل شيء تحت قبضته وقدرته، والأخذ بالناصية كناية عن السيطرة والقدرة والتمكن من الشيء.

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٥٦﴾(١) فأنا على الدين الحق الذي هداني إليه ربي.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فإن تعرضوا عن دعوتي وتكذبوا بها، ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ فقد أديت مهمتي التي كلفني ربي وهي تبليغكم طريق الحق، وطريق نجاتكم، قبلتم أم لم تقبلوا.

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: لا زالت هذه الآية مبهمة، فكينونة الباري تعالى على الصراط المستقيم غير مفهومة؟ أم أنها مشتملة على حذف أم ماذا؟

الجواب: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٥٦﴾ أي: على فعل الحق والعدل فيجازي كل ظالم الجزاء العادل الحق لا يفوته ظالم، ولا يضيع عنده محسن، وإرساله للرسل حق وعدل وشرائعه حق وعدل، وأفعاله كلها مبنية على الحق والعدل والحكمة والرحمة فهذا معنى الآية: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝٥٦﴾.

﴿وَيَسْتَخْلِفُ[١] رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ إن لم تقبلوا فسيعذبكم الله سبحانه وتعالى ويستأصلكم عن بكرة أبيكم، ويجعل مكانكم قوماً غيركم.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ۝٥٧﴾ فلن تضروا بكفركم إلا أنفسكم، فالله سبحانه وتعالى مستول ومسيطر على كل شيء، وكلكم تحت قدرته وقبضته، وسيحاسبكم على أعمالكم، ويجازيكم عليها وهو الغني الذي لا تنفعه طاعة من أطاعه ولا تضره معصية من عصاه.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ ولما حصل وقت تعذيبهم، ونزول العذاب بهم.

﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ۝٥٨﴾ لما أنزل الله تعالى عذابه بالمجرمين المكذبين نجى تعالى نبيه هوداً والذين آمنوا معه وأدخلهم الله سبحانه وتعالى في رحمته وحفظهم، بالرغم من كونهم بين أولئك الذين عذبهم.

هذا، ولم يذكر الله سبحانه وتعالى الآيات والمعجزات التي أنزلها على هود، ولم يقصها علينا في القرآن بخلاف غيره من الأنبياء.

والعذاب الغليظ هو الريح سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادتهم.

﴿وَتِلْكَ[٢] عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن هذه قصة عاد عندما كفروا بربهم وعصوا نبيه، **والجحود**: هو الكفر بألسنتهم مع معرفتهم بقلوبهم أنه صادق.

﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ۝٥٩﴾ عصوا أنبياء الله سبحانه وتعالى، وأطاعوا رؤساءهم وكبراءهم وأشراف قومهم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما السر في عدم جزم المضارع مع أنه في جواب الشرط؟

الجواب: ليست الجملة معطوفة على جواب الشرط وإنما هي جملة مستأنفة.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن تحمل الإشارة إلى القبيلة نفسها لا إلى القصة أم لا؟

الجواب: الإشارة هي إلى القبيلة حقاً، ولكن باعتبار قصتها الوخيمة وما حصل لها من العذاب بسبب الكفر والتكذيب.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[(١)] ولعنته في الدنيا هي إنزال العذاب عليهم، وقد عذب الله سبحانه وتعالى قوم هود في الدنيا والآخرة.

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بالسبب الذي استحقوا به عذاب الاستئصال وذلك هو كفرهم بربهم وتكذيبهم لنبيهم.

﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝٦٠﴾ أخبر بالهلاك والبعد لهم، وقد تكون على سبيل الدعوة عليهم.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأنه قد أرسل إلى قبيلة ثمود نبياً منهم واسمه صالح.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[(٢)] أرسله الله سبحانه وتعالى إليهم ليأمرهم بعبادته وحده، وترك عبادة الأصنام؛ لأنه الإله الحق الذي يستحق العبادة.

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يذكِّرُهم نبي الله صالح عليه السلام بالدليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق وأنه الذي يستحق العبادة وحده، وهو أنه الذي خلقهم من طين[(٣)]، وابتدأ إنشاءهم من العدم.

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ وهو الذي سخر لكم الأرض وهيأها لكم لتعمروها وتسكنوا عليها، وتعيشوا على ظهرها.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد أن اللعنة كانت تابعة لشيء فما هو؟ أم أن للإتباع معنى آخر فما هو؟

الجواب: المراد أن عاداً تقدموا بالكفر والتكذيب والتمرد المدلول عليه بقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩﴾.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في رفع كلمة: ﴿غَيْرُهُ﴾؟

الجواب: الوجه أنها رفعت على البدلية من محل المجرور.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بخلقهم من الطين ابتداء خلق أبيهم آدم أم أنه يشمل المخاطبين أنفسهم؟

الجواب: المراد ابتداء خلق أبيهم آدم عليه السلام من الطين، أما ذرية آدم فمن نطفة من ماء مهين، ولكن لما كان أبو البشر مخلوقاً من الطين صح أن يخاطبوا جميعاً بأنهم خلقوا من طين.

﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ[١] ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ فاتركوا عبادة الأصنام، وارجعوا إليه، واطلبوا منه المغفرة والرحمة على ما سلف منكم.

﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ إذا طلبتم منه المعفرة فهو قريب ممن ناداه ومستجيب لمن دعاه.

﴿قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا﴾ يخاطبونه بأنهم كانوا يؤملون فيه الصلاح والخير حتى رأوا منه ما رأوا من ادِّعاء النبوة فخابت آمالهم فيه، وذلك أنهم كانوا قبل ذلك يرون فيه الصدق والوفاء والأمانة حتى حصل ما حصل من ادعائه النبوة، ودعوته لهم إلى عبادة الله وحده فتغيرت نظرتهم نحوه، وصار من المفسدين في زعمهم.

﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ[٢] مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ استنكروا عليه كيف ينهاهم عن عبادة الأصنام التي هي دين آبائهم وأجدادهم.

﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[٣] ونحن في شك من دعوتك، ومرتابون في صدقها، يزين لهم الشيطان ذلك، وأنهم على الصواب، وأن صالحاً على الباطل.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ أخبروني يا قومي كيف يكون حالي إذا كنت على بينة فيما

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء في قوله: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾؟

الجواب: الفاء هي الفصيحة.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما محل المصدر: ﴿أَنْ نَعْبُدَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: موضعه الجر بحرف جر مقدر، أو النصب بنزع الخافض.

(٣)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ صفة لـ﴿شَكٍّ﴾؟ وكيف يكون المعنى عليه؟

الجواب: «مريب» صفة لـ«شك»، والمعنى: إنا لفي شك لا ندري ولا نعرف ما تقول، فإنه موجب -أي: الشك- للريب وسوء الظن وقلق النفس.

كلفني به ربي من تبليغ رسالته حيث اختارني برحمته لتبليغها إليكم ثم تمردت عليه وتركت تبليغها فمن هو الذي يدفع عني عذابه.

﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝٦٣﴾[1] فما أزداد إلا يأساً من تكذيبكم وحسرة لعدم إيمانكم واستجابتكم.

﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾[2] آية دالة على صدق نبوتي، وذلك أنه أخرج لهم ناقة من الجبل؛ لأنهم كانوا قد سألوه فقالوا: إن كنت صادقاً فأخرج لنا من هذا الجبل ناقة نراها أمام أعيننا، فإن فعلت ذلك صدقناك واتبعناك.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝٦٤﴾ وعندما خرجت هذه الناقة أخبرهم أن لها يوماً ويوماً لهم في الشرب والمرعى، وجعل لها حصة مثل حصتهم جميعاً مما يدل على كبر حجمها وعظمها، وقد قيل: إنها كانت تسقيهم جميعاً ما يكفيهم من لبنها، وأمرهم بأن يتركوها ترعى[3]، ولا يعترضوا لها أو يمنعوها أو يمسوها بسوء؛ فإن فعلوا فسيعذبهم الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** وهل يصح أن تحمل الآية أنهم لا يزيدونه إلا خسارة وضياعاً إن عصى ربه أم لا؟

الجواب: ظاهر الآية أن ثمود زادوا نبيهم صالحاً تخسيراً، فالتخسير واقع على نبي الله صالح صلى الله عليه وآله، والتخسير الواقع عليه من قومه: هو أن دعوته لم تؤثر فيهم ولم ينتفعوا بها فكأنهم ضيعوا دعوته ومواعظه لهم.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾؟ وما الوجه في انتصاب ﴿ءَايَةً﴾؟

الجواب: «لكم» خبر ثان أو حال، وآية: حال، وكلاهما من ناقة، والعامل اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل.

(٣)-**سؤال:** هل الإباحة لأكل هذه الناقة في جميع المأكولات لها ولو من أملاكهم الخاصة أم المراد من المراعي التي خارج أملاكهم ومزارعهم؟

الجواب: المراد المراعي التي خارج أملاكهم الخاصة ومزارعهم لظاهر قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فتمردوا على الله وعصوا نبيهم عليه السلام فقتلوها.

﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴿٦٥﴾﴾ أخبرهم نبيهم صالح عليه السلام أنه لم يبق لهم إلا ثلاثة أيام يعيشون فيها على الدنيا ثم ينزل عليهم عذاب الله سبحانه وتعالى جزاءً على عصيانهم وتمردهم، وأخبرهم أن هذا وعد من الله سبحانه وتعالى، ولا بد أن يقع.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ[1] إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴿٦٦﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أنزل بهم عذابه كما وعدهم، ونجى صالحاً ومن آمن معه، وقد عذبهم الله سبحانه وتعالى بالصاعقة[2] نزلت عليهم من السماء فصعقتهم جميعاً، وكان صالح بينهم، ولكن الله نجاه وحفظه هو ومن آمن معه.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴿٦٧﴾﴾ فما أصبح الصباح إلا وهم جاثمون على وجوههم أمواتاً.

---

(١)- **سؤال:** هل المراد باليوم من قوله: ﴿يَوْمِئِذٍ﴾ يوم نزول العذاب بقومه، فما فائدة دخول الواو في قوله: ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ أم المراد به يوم القيامة، وضحوا ذلك حفظكم الله؟

الجواب: المراد بـ«يومئذ» يوم نزول العذاب، والمعنى: أن الله تعالى جعل صالحاً وأتباعه يوم نزول العذاب في منجاة أي: في مكان نجاة لا يلحقهم فيه العذاب، وجعلهم في منجاة نعمة من الله عليهم، وسلامتهم من العذاب نعمة أخرى، فيتوجه عليهم شكر النعمتين، الشكر على أن يسر الله تعالى لهم مكاناً آمناً، والشكر على سلامتهم من الخزي اللاحق بقومهم.

(٢)- **سؤال:** هل المراد بالصاعقة الصواعق المعروفة عند نزول المطر؟ أم أنها صوت فقط كما هو ظاهر الصيحة؟

الجواب: المراد أن الله تعالى أهلكهم بصوت عظيم لم تتحمله قواهم البدنية لشدته وقوته، وقد سماه الله تعالى هنا صيحة، وسماه في «فصلت» صاعقة: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴿١٣﴾﴾، وهكذا في سورة الذاريات؟ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴿٤٤﴾﴾.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾(١) أصبحت بلادهم بعدما أخذتهم الصيحة خالية من السكان بعد أن كانت مأهولة بقوم صالح عليه السلام.

﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ﴿٦٨﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بالسبب في نزول عذابه وسخطه بهم، وذلك هو كفرهم بربهم وعصيانهم وتكذيبهم لنبيهم صالح عليه السلام فأبعدهم الله وأزهق أرواحهم بعذابه.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى حكاية قصة إبراهيم لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أخبره الله سبحانه وتعالى بأنه قد أرسل إلى نبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله الملائكة يبشرونه بمولود سيولد له يكون نبياً.

﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾(٢) دخلوا عليه فسلموا فرد عليهم السلام.

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ(٣) بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴿٦٩﴾﴾(٤) خرج من عندهم ولم يلبثوا إلا

---

(١)-**سؤال:** لو تكرمتم بإعراب: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ وقوله: ﴿أَلَا بُعْدًا﴾؟

الجواب: «كأن» مخففة من الثقيلة يجوز إهمالها وإعمالها، واسمها ضمير الشأن، وجملة: ﴿لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ خبرها. ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ ألا: أداة استفتاح وتنبيه، و«بعداً» مصدر منصوب بفعل محذوف أي: بعدوا بعداً.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم أخبرونا أي التسليمين أبلغ ولماذا؟

الجواب: تسليم إبراهيم عليه السلام أبلغ من تسليم الملائكة عليهم السلام، وذلك لأن تسليم الملائكة كان بالجملة الفعلية، وتسليم إبراهيم كان بالجملة الاسمية، والجملة الاسمية تدل على الثبوت والدوام بخلاف الفعلية، والتقدير: قالوا نسلم سلاماً، قال: سلام عليكم.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما محل: ﴿أَنْ جَاءَ...﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بـ«في» محذوفة، أو النصب بنزع الخافض.

(٤)- **سؤال:** هل لاختيار إبراهيم عليه السلام للعجل دون غيره من الأنعام سر وحكمة، فما هي؟

الجواب: لعل اختياره عليه السلام للعجل لكونه أكثر لحماً من الكبش أو التيس، ولحم الذكر أحسن من لحم الأنثى.

يسيراً حتى أقبل إليهم بذبيحة محنوذة ليأكلوا، وهذه هي عادة الكرام عند إقبال الغريب عليهم.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾(١) استنكر عليهم عندما رآهم لا يأكلون.

﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾(٢) خاف عندما رأى منهم ذلك، وعلم في نفسه أنهم ملائكة، وأنهم قد جاءوا لأمر جلل، إما للعذاب أو نحوه، وكان هذا هو سبب خوفه.

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ طمأنوه بأنهم لم يريدوا منه ولا من قومه غرضاً، وأنهم مرسلون إلى قوم لوط ليعذبوهم.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ كانت قريبة منهم وتسمع محاورتهم، وتبشير إبراهيم بمولود فاستبشرت(٣) وضحكت مما سمعت.

وقد قيل: إن معنى ضحكت حاضت، وأنها علامة على أنها ستحمل وتلد؛ لأنها كانت قد أسنت وكبرت، وقد انقطع حيضها.

﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ أخبروها بمولود سيكون نبياً واسمه إسحاق، وأنه سيولد لإسحاق نبي أيضاً واسمه يعقوب.

---

(١)-**سؤال:** هل الفعل «نَكِرَ» مثل «استنكر»؟ وما هو السر في استخدامه دون الثاني؟

الجواب: قالوا: إن نكر وأنكر واستنكر بمعنى، ولعل اختيار «نكر» هنا لقلة حروفه أي لكونه أوجز.

(٢)-**سؤال:** هل معنى أوجس: أحس، ولماذا قال: ﴿خِيفَةً﴾ دون: خوفاً؟

الجواب: أوجس بمعنى أحس أو أدرك. وقال خيفة دون خوفاً لأنه أراد نوعاً من الخوف.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر قوله «فبشرناها» أن الضحك قبل التبشير لدلالة الفاء، فكيف؟

الجواب: قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٢٨ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾، وفي سورة الحجر: ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾؛ لذلك يحمل التبشير لها في هذه الآية بعد تبشيرهم لإبراهيم عليه السلام الذي كانت قد سمعته، إلا أنهم لم يكتفوا بذلك بل قدموا لها البشرى خاصة، والله أعلم.

هذه هي البشرى التي بشروا بها نبي الله إبراهيم ﷺ حين جاءوا إليه وهم في طريقهم إلى قرى قوم لوط ليستأصلوهم.

وكان مولد إسماعيل قبل إسحاق، وذلك أن إسماعيل بعد مولده هاجر به أبوه إبراهيم مع أمه إلى مكة بأمر من الله سبحانه وتعالى ليعيشوا هنالك، وبعدما عاد إلى الشام ولد له إسحاق.

وقد سكن إسماعيل في مكة مع أمه واستوطن فيها، وكانت أرض قفر لا ماء فيها ولا حياة، ولم يكن معهما إلا الله سبحانه وتعالى برعايته، ولم تكن الكعبة قد عمرت وبنيت، وإنما كان مكانها أحجار مطروحة كعلامة عليها.

﴿قَالَتْ يَاوَيْلَتَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴿٧٢﴾﴾ قالت قولها ذلك وهي متعجبة[1] كيف تلد وقد شاخت هي وزوجها، وقد تجاوزت سن الحمل والولادة.

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ استنكرت الملائكة عليها حين تعجبت وهي تعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴿٧٣﴾﴾ سيدخلكم الله سبحانه وتعالى في رحمته[2] وسيبارك في ذرياتكم بأولاد أنبياء ينتفع الناس بهم، وسيؤتيكم الله سبحانه وتعالى الكتاب والحكمة والعلم.

---

(١)-**سؤال:** قد يقال: إنها ضحكت مستبشرة لهذه البشرى فكيف قالت: ﴿يَاوَيْلَتَى﴾؟

الجواب: كان ضحكها للاستبشار والتعجب، فلا تنافي إذا تعجبت واستغربت وتساءلت كيف تلد وهي عجوز لا يلد مثلها وزوجها شيخ كبير، وتساؤلها هذا كتساؤل نبي الله زكريا عليه السلام: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴿٨﴾﴾ [مريم]، قال هذا بعد أن سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً، وبعد أن بشره الله بولد اسمه يحيى.

(٢)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم أن قولهم: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ...﴾ وعد بأنه سيدخلهم في رحمته وسيبارك..إلخ؟

الجواب: نفهم ذلك من الجملة الاسمية: ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ...﴾ الدالة على الثبوت والدوام.

وسمي الحميد(١) لأنه ينعم على الناس نعماً يستحق أن يحمد عليها، والمجيد المراد به أنه ذو رفعة وعلو.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ لما زال عنه الخوف من الرسل الذين أقبلوا عليه، وبعد أن بشروه.

﴿يُجَادِلُنَا(٢) فِي قَوْمِ لُوطٍ۝٧٤﴾ بعد ذلك وبعد أن اطمأن أقبل إلى الملائكة يحاورهم في شأن قوم لوط، ويراجعهم في أن يمهلوهم لعلهم يهتدون، ويرجعوا إلى صوابهم ورشدهم.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ۝٧٥﴾ لأنه كان من أهل الأناءة والتروي وعدم استعجال الأمور، والأواه هو كثير التأوه من خشية الله سبحانه وتعالى، والمنيب الراجع إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿يَاإِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ لا تراجعنا في شأن قوم لوط.

﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ۝٧٦﴾(٣) فقد أراد الله

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تقصدون أن ﴿حَمِيدٌ مَجِيدٌ۝٧٣﴾ فعيل بمعنى مفعول؟

الجواب: هما صفتان مشبهتان دالتان على الثبوت بمعنى مفعول.

(٢)-**سؤال:** هل لمجيء جواب «لما» بالمضارع ﴿يُجَادِلُنَا﴾ حكمة؟ أم لا؟ مع أن المعتاد فيه أن يجيء بالفعل الماضي؟

الجواب: التقدير: أقبل يجادلنا، فجملة «يجادلنا» في موضع نصب على الحالية.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل في هذه الآية: ﴿قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وفي قول صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود:٦٥]، دليل على تَقَدُّم إرادة الله تعالى لتعذيبهم على مراده وهو تعذيبهم فتكون دليلاً لمن قال: إن الإرادة هي علمه باشتمال الفعل على الحكمة والمصلحة؟

الجواب: نعم في ذلك دليل واضح على تقدم إرادة الله وقضائه بتعذيبهم، هذا والقول بأن إرادة الله تعالى هي علمه بما تقضي به الحكمة والمصلحة من تدبير شؤون مخلوقاته من الإحياء والإماتة والإنعام والابتلاء و..إلخ هو قول صحيح راجح لا يلزم منه نقص في عظمة الخالق وكماله =

سبحانه وتعالى تعذيبهم، ولا راد لأمره وقضائه.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ بعد أن خرجت الملائكة من عند إبراهيم توجهت نحو قرى قوم لوط، ودخلت على لوط في هيئة الضيوف.

﴿سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ[1] بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ استاء من مجيئهم، وخاف عليهم من قومه أن يعلموا بهم فيأتوا مريدين للفاحشة بهم؛ لأن هذا كان طبعهم فيمن أقبل إليهم.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[2] وفعلاً فعندما عرفوا بأمر الوافدين على نبي الله لوط عليه السلام- أقبلوا نحوه جرياً من شدة الفرح مريدين للفاحشة.

ومعنى يهرعون: يسرعون في الجري، يسقطون ويقومون من شدة الجري.

﴿وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ وكانوا على الفاحشة من قبل مجيئهم يعملونها فيما بينهم، ولا ينفكون عنها.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[3] وقف في وجوههم محاولاً

وجلاله، وعلم الله تعالى ذاتي ليس بمكتسب ولا بآلة، فهو جل وعلا عالم في الأزل، وعلمه ذاته، فلا اعتراض على من يقول: إن إرادة الله تعالى قديمة بهذا المعنى الذي ذكرناه.

(١)-**سؤال:** هل قولهم: «ضاق به ذرعاً» كناية عن ضعف القوة والطاقة أم عن الضجر والقلق؟ وما أصل هذا التعبير؟

الجواب: هو عبارة عن ضعف القوة والطاقة، وقالوا: إن أصل ذلك البعير إذا حملوه أكثر من طاقته تقاصر ذرعه أي صغرت خطوته وضاقت فاستعملوا ذلك في ضيق الوسع والطاقة.

(٢)-**سؤال:** هل لاستخدام ﴿يُهْرَعُونَ﴾ مغير صيغة نكتة فما هي؟

الجواب: لذلك نكتة هي أن شيئاً دفعهم إلى لوط عليه السلام وحملهم على الإسراع إليه، وذلك هو خبثهم وولعهم بالفواحش التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما موضع جملة: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ الإعرابي؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة استئنافاً بيانياً، أي: واقعة في جواب سؤال مقدر.

لصدهم عن ضيوفه بشتى الوسائل، ويعدهم بأنه سيزوجهم(١) بناته؛ ليذهبوا فلا يفضحوه في ضيوفه.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ واتركوهم ولا تفضحوني في ضيوفي؛ لأن ذلك عيب على المضيف إن أصاب ضيفه مكروه وهو في بيته ولا يدافع عنه، وسيكون ذلك خزيا عليه، وهكذا في كل زمان من اعتدى على ضيفك فكأنه اعتدى عليك.

﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴿٧٨﴾﴾ فهل فيكم رجل ذو عقل يكفيني ما أجد، ويقدر موقفي هذا.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ(٢) وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴿٧٩﴾﴾ وقد رفضوا توسل نبي الله لوط إليهم وهم مصرون على فعل الفاحشة غير مبالين به وبتوسله إليهم، وكان ضيوفه هؤلاء جبريل وميكائيل وإسرافيل.

﴿قَالَ لَوْ(٣) أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴿٨٠﴾﴾(٤) يتحسر ويتندم

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم أنه إنما وعدهم بأنه سيزوجهم بهن؟

الجواب: الذي أوجب حمل ما ذكر على تزويجهم أن لوطاً عليه السلام هو نبي الله ورسوله، وأنبياء الله ورسله معصومون عن فعل ما يسخط الله، وعرض بناته للفاحشة من المعاصي الموجبة لسخط الله؛ فلزم لذلك أنه عليه السلام إنما عرض على قومه ما يجوز فعله وما ليس فيه معصية لله تعالى.

(٢)- **سؤال:** ما هو الحق الذي نفوه في بناته عليه السلام؟

الجواب: الحق كناية عن الحاجة أي: ما لنا في بناتك من حاجة، هذا الوجه أحسن ما قيل في تفسير الحق، والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** أين جواب الشرط «لو» في الآية؟

الجواب: «لو» في الآية للتمني والتحسر والتحزن وليست للشرط، ويقدر الفعل بعدها، و«أن» وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل.

(٤)- **سؤال:** يقال: هل في هذه الآية دليل على سقوط النهي عن المنكر عند عدم الأنصار الكافين للنهي عنه؟ ومن أين؟ أم لا؟

الجواب: قد أنكر لوط عليه السلام بلسانه، وتحسر وتحزن حين لم يجد من ينصره لدفع المنكر بيده، و﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]، فإذا لم يجد المؤمن من يعينه على إزالة المنكر الذي لا
=

على عدم استطاعته ردهم ودفعهم عن ضيوفه، ويتمنى أنه لو كان له أنصار يدفعون عنه شر هؤلاء القوم، أو أن له حصناً يأوي إليه، ويختفي منهم.

﴿قَالُوا يَالُوطُ﴾ تكلمت الملائكة حين رأت ما رأت من لوط مع قومه مخاطبة له ومطمئنة: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ نحن مرسلون من عند الله سبحانه وتعالى فاهدأ ولا تخف؛ فلن يستطيعوا أن يصلوا إليك ولا إلينا. قيل: إن جبريل ضرب بجناحه نحوهم فأعمى أبصارهم، فلم يهتدوا حينئذ إلى لوط، وصاروا يخبطون فيما بينهم.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ خذ أهلك في سواد الليل واخرج بهم من بين هؤلاء القوم. ومعنى «قطع من الليل»: قطعة من الليل، أي: في جزء منه.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ ولا ينظر أحد منكم وراءه وواصلوا مشيكم، وذلك لأن عذاب الله سبحانه وتعالى سينزل على هؤلاء القوم وأنتم في خلال مسيركم؛ فإذا ما رأيتموه فقد لا تتحملون هول ما ترونه.

﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾(١) فاخرج بأهلك جميعاً إلا امرأتك فاتركها بينهم، والاستثناء من قوله ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾، وأخبرته الملائكة أنها كانت كافرة مثلهم، وأن عذاب الله سينزل بها معهم.

يزول إلا بالتعاون فإنه يسقط عنه إزالة المنكر وليس مكلفاً بإزالته، وتحسر لوط عليه السلام لعدم وجود الشرط المشروط في إزالة المنكر.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾؟ وهل فيها نكتة بدل قوله: إنها معذبة، لو قاله؟

الجواب: جملة: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا...﴾ مستأنفة استئنافاً بيانياً في جواب سؤال مقدر.

وقوله: ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فيه تهويل عظيم للعذاب الواقع عليها وعلى قومها، ولو قال: إنه معذبها لفات هذا التهويل والتفخيم.

﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[1] موعد نزول عذاب الله بهم هو الصبح.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ رفع جبريل عليه السلام قراهم وضرب بها الأرض فأهلكها ودمرها بمن فيها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾ قد يكون ذلك لمن بقي منهم خارج هذه القرى، والسجيل الطين اليابس الذي قد استحجر. ومعنى «منضود»: منضد مصفوف.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ عليها علامة من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[2] وليس عذاب الله الذي أنزله بقوم لوط عليه السلام ببعيد من قريش لأنهم قد أجرموا، وأفسدوا في الأرض، وقد استحقوا ما نزل بقوم لوط؛ فليحذروا ذلك إن أرادوا.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى إلى قبائل مدين رجلاً منهم واسمه شعيب، ومدين بلاد تقع على خليج العقبة الآن، وآثارهم لا زالت إلى اليوم باقية.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ اتركوا عبادة الأصنام، واعبدوا الله سبحانه وتعالى فهو الإله الذي يستحق العبادة وحده.

﴿وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾[3] كانوا أهل تجارات وبيع وشراء؛ فنهاهم

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة الاستفهام هنا؟

الجواب: فائدته تهدئة عجلة لوط عليه السلام، فكأنه استبطأ نزول العذاب على قومه فقيل له ذلك لما ذكرنا.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل يؤخذ من هذه الآية أن حد اللوطي أن يرمى من شاهق ثم يتبع بالحجارة؟

الجواب: نعم، يمكن أن يؤخذ حد اللوطي من هذه الآية فيرمى به من شاهق ويتبع بالرمي بالحجارة، وقد أخذ منها ذلك الحكم، والمذهب أن حده حد الزاني، والله أعلم.

(٣)-**سؤال:** قد يقال: إن هذا التكليف (إيفاء المكيال والميزان) صعب لذلك قال الله تعالى =

عن الغش، وأمرهم بأن يوفوا في كيلهم ووزنهم.

﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ ينصحهم شعيب بعدم الغش والبخس في بيعهم وشرائهم، فهم في خير ونعمة وتجارة واسعة، وفي أمن وأمان في بلادهم؛ فلماذا لا يشكرون الله سبحانه وتعالى، ويتركون ما هم عليه من عبادة الأصنام والغش والخيانة في البيع والشراء، وفعل المعاصي والمنكرات؟

﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴿٨٤﴾﴾ فأنا خائف إن لم تقلعوا عن عصيانكم أن ينزل الله بكم عذابه المحيط الذي يستأصلكم ويقطع دابركم.

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴿٨٥﴾﴾ أوفوا للناس الكيل والوزن، ولا تنقصوا من حقوقهم شيئاً، واتركوا الفساد في الأرض.

عقيب الأمر به في سورة الأنعام: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢]، مما يفيد أنه تعالى يتجاوز عن الشيء الحقير فيه فما رأيكم؟

الجواب: الأمر كذلك، فالله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فما حصل من النقص بعد التحري في الإيفاء فلا يؤاخذ به.

(١)-**سؤال:** يقال: هل عرض المشتري الأثمان الناقصة جداً على البائع ليبيع سلعته بها من البخس أم لا؟ وما هو ضابط البخس؟

الجواب: من البخس أن يتحيل جماعة من المساومين على البائع فيتفقوا على أن يساومه كل واحد منهم ويدفع له ثمناً ناقصاً جداً وذلك من أجل أن يشتروا سلعته بينهم بثمن زهيد ناقص جداً عن سعرها الحقيقي. أما المساوم الواحد الذي يدفع ثمناً ناقصاً جداً فلا يؤثر على نفسية البائع في العادة، إلا أنه لا يجوز له أن يساوم ويدفع ثمناً ناقصاً وهو لا يريد أن يشتري وإنما يريد أن يحزن البائع وأن يحطم أمله في سلعته، أو أن يمهد لمشتر آخر. وعلى الجملة لا يجوز الإضرار بالبائع بالتحيل عليه ليبيع سلعته بثمن بخس ففي الحديث: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

﴿بَقِيَّةُ[١] اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ طاعة الله سبحانه وتعالى خير لكم من العصيان والتمرد.

﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ۝٨٦﴾ وليس عليَّ حسابكم وجزاؤكم، ولا يلزمني إلا أن أبلغكم ما أرسلت به إليكم، وحسابكم وجزاؤكم على الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾[٢] يستنكرون على نبي الله شعيب، حين دعاهم إلى ترك عبادة الأصنام ونهاهم عن بخس المكيال والميزان وقالوا لن نترك ذلك لأجل تنسكك.

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝٨٧﴾[٣] قالوا ذلك استخفافاً منهم به واستحقاراً لما يدعوهم إليه.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أخبروني أيها القوم ماذا لو كنت على بينة وحجة واضحة تدل على صدقي، وأني

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾؟ وممَّ أخذت في أصل لغتها؟

الجواب: معنى ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾: هو ما بقي من أموالكم بعد أن توفوا الناس في الكيل والوزن هو خير لكم أي: أنه يبارك لكم فيه، وسيثق الناس بكم ويتوجهون إليكم ويقصدونكم في البيع والشراء فتنمو أموالكم وتتبارك تجارتكم. وبهذا التفسير يظهر معنى ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ﴾ ويظهر مأخذها اللغوي. ولا منافاة بين هذا التفسير وبين تفسيرها بطاعة الله فمعنى طاعة الله هو امتثال أمره بإيفاء الكيل والوزن.

(٢)-**سؤال:** علام عطف: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ...﴾؟ وكيف يصير معناه على إعرابه؟

الجواب: ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ معطوف على «ما» في قوله تعالى: ﴿أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ فيصير المعنى: أو أن نترك فعل ما نشاء في أموالنا.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بهذا التهكم من باب ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [الدخان]؟

الجواب: هو كذلك من باب: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝٤٩﴾.

رسول من عند الله سبحانه وتعالى؛ فهل تريدون[١] مني أن أترك ما كلفني به، وأن أعصيه وقد أوسع علي في الرزق وأنعم علي، فلن يكون ذلك، ولا بد أن أكمل تبليغي رسالة ربي التي كلفني بها.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٢] ولن أعمل تلك الأعمال التي نهيتكم عنها حتى تتهموني بالاحتيال عليكم، والخيانة لكم، والكذب في دعوتي.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ[٣] وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ فلا غرض لي غير إصلاحكم، وإصلاح أمركم متوكلاً على الله سبحانه وتعالى في ذلك، ومستمداً منه العون على ذلك، ومعتمداً عليه في أمري هذا، وماضياً فيه؛ لأن مرجعي إليه، و هو الذي سيحاسبني.

﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ۝٨٩﴾، هذا من خطاب نبي الله شعيب لقومه: لا تحملكم عداوتي وشقاقكم لي ومخالفتكم على الوقوع في المهالك،

---

(١)-**سؤال:** هل تقصدون أن جواب «إن» الشرطية محذوف تقديره ما ذكرتم؟ وما هو المراد بالرزق الحسن؟

الجواب: ما ذكرناه هو جواب الشرط أن أعصيه بالتطفيف والتحيل لأخذ أموال الناس، والمراد بالرزق الحسن السعة في الرزق، فما ذكرناه من تقدير الجواب ومن تفسير الرزق هو المناسب للسياق، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ الإعرابي؟ وهل معنى «إلى» في قوله: ﴿إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ معنى الباء، أي: بما أنهاكم عنه؟ أم أنها على أصلها؟

الجواب: موضع: ﴿أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ النصب مفعول به، و«إلى» على أصلها للانتهاء.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم لو أعربتم قوله تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾؟

الجواب: إن: نافية. أريد: فعل وفاعل. وإلا: أداة استثناء. والإصلاح: مفعول به، والاستثناء مفرغ. و«ما» مصدرية ظرفية زمانية مضافة إلى الجملة التي بعدها، أي: مدة استطاعتي.

وأن تقعوا فيما وقع فيه قوم صالح وقوم هود وقوم لوط، ولا تأخذكم حماقتكم إلى ظلم أنفسكم وإهلاكها، ووعظهم أن يتفكروا وينظروا في عاقبة أمر أولئك الذين سبقوا، وأن قوم لوط لا زالوا قريبي عهد بهم؛ فليعتبروا بهم.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ واطلبوا المغفرة من ربكم على تمردكم وعصيانكم وشرككم، وارجعوا إليه وسيقبل توبتكم، وسيعفو عن سيئاتكم.

ومعنى «ودود» أنه تعالى يتودد إلى عباده ويتلطف بهم ليرجعوا إليه، ويدخلوا في رحمته.

﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ لا ندري ما هذا الذي تقوله، ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾﴾ ونحن نستطيع أن نقتلك ولولا خوفنا قبيلتك لقتلناك وما أسهل ذلك علينا لأنك لست ممتنعاً علينا.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أتخافون من قومي ولا تخافون من الله سبحانه وتعالى؟ ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا[١] إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾ جعلتموه وراء أظهركم ولم تبالوا به، مع أنه أحق بالخوف منه، وكيف تتهاونون به وبأوامره وبرسوله غير مبالين، وهو ربكم الذي بيده نواصيكم، وهو عالم بأعمالكم هذه، ومطلع عليها، وسيجازيكم عليها.

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ أبلغوا جهدكم في نصب العداوة لي، وافعلوا ما بدا لكم بي- فلن تثنوني عن عملي هذا، وسأواصل تبليغكم دعوتي، ولن أترك ذلك؛ فاصنعوا ما بدا لكم.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿ظِهْرِيًّا﴾؟

الجواب: ﴿ظِهْرِيًّا﴾ مفعول ثان لاتخذتموه.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴿٩٣﴾﴾[1] يهددهم شعيب بذلك، وأنه سيحل بهم العذاب عما قريب، وستعلمون عما قريب من ستكون الدائرة عليه؛ فانتظروا وترقبوا.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ عندما حان وقت تعذيبهم ونزول العذاب بهم- أحاطت رحمة الله بشعيب ومن آمن به، فنجاهم واستأصل قومه، فلم يبق على الأرض أحد منهم.

﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴿٩٤﴾﴾ عذبهم الله سبحانه وتعالى بصوت شديد نزل عليهم من السماء لم تتحمله قواهم البدنية- فماتوا جميعاً، ولم يصبح عليهم الصباح إلا وقد جثموا على وجوههم أمواتاً.

﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ وكأن أحداً لم يكن قد سكن تلك البلاد، أو عاش فيها، وأصبحت خالية من الحياة تماماً، وخرج شعيب والمؤمنون معه من هذه الأرض التي حل فيها العذاب، وكذلك كل أرض نزل بها عذاب الله سبحانه وتعالى فإن الأنبياء يتركونها تشاؤماً منها؛ لأنها أصبحت محل سخط الله سبحانه وتعالى وغضبه.

﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴿٩٥﴾﴾ أبعدهم الله سبحانه وتعالى من رحمته كما أبعد من قبلهم من المكذبين، وهذا دعاء عليهم.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿٩٦﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴿٩٧﴾﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى موسى بالآيات والحجج الواضحة التي تدل على صدق نبوته، والسلطان المبين هو الحجة الواضحة الظاهرة الدالة على أنها من عند الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** هل قال كلامه هذا على جهة التهديد والتحدي أو على جهة الإنصاف والتلطف في الدعوة من باب: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ]؟ أو على الجهتين معاً؟

الجواب: الظاهر أنه قاله على جهة الوعيد والتهديد، ولكنه أخرجه مبهماً لعلو أدبه وكرم أخلاقه عليه السلام، فلم تسمح له أخلاقه الكريمة بأن يباشرهم بالوعيد والتهديد.

أرسله الله سبحانه وتعالى إلى فرعون وكبار دولته وأعيانها، وذلك لأن بقية القوم يكونون تبعاً لهؤلاء الكبار، فإذا آمن الكبار تبعهم هؤلاء، ولكنهم استجابوا لفرعون وتركوا موسى وما دعاهم إليه، مع أن فرعون كان يدعوهم إلى الهلاك والبوار في الدنيا والآخرة.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ۝٩٨﴾ عندما اتبعوه سيحشرون معه يوم القيامة، وسيكون متقدماً لهم وهم خلفه إلى جهنم.

﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ۝٩٩﴾ بسبب طاعتهم له واتباعهم حلت بهم لعنة الله سبحانه وتعالى في الدنيا، وسوف تتبعها لعنته يوم القيامة، ولعنته في الدنيا هي عندما أغرقهم في البحر وأخزاهم، وسلبهم النعم التي كان أنعم بها عليهم، ولعنته يوم القيامة هي عذاب جهنم وبئس المصير، والرفد المرفود[1] هو اللعنة تلو الأخرى.

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن تلك القصص التي قصصناها عليك هي من أنباء القرى التي كذبت رسلها.

﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ۝١٠٠﴾ وأخبره الله سبحانه وتعالى أن بعض هذه القرى لا زالت آثارها قائمة إلى اليوم، وأن بعضها قد محيت وأزيلت.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ تعذيب الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المكذبين لم يكن ظلماً منه لهم، بل هم الذين تسببوا في هلاك انفسهم، وهم الذين ظلموا أنفسهم بارتكابهم الكفر والتكذيب.

---

(١)-**سؤال:** هل للرفد المرفود معنى في أصل اللغة؟ فما هو؟ وما وجه التجوز باللعنة عنه؟

الجواب: الرفد في الأصل العون على الأمر، قال الزجاج: كل شيء جعلته عوناً لشيء وأسندت به شيئاً فقد رفدت به، ويقال: رفدته وأرفدته بمعنى واحد، وعلى هذا فمعنى الرفد المرفود هو العون المعزز بعون، والتجوز بإطلاق الرفد المرفود على اللعن هو من باب المجاز المرسل، والعلاقة الضدية.

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ فلم تنفعهم تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها، ويدعون أنها تنفعهم، وأنها سوف تشفع لهم.

﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴿١٠١﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال هذه الأصنام بأنها لم تزد هؤلاء الذين يعبدونها إلا خسارة لأنفسهم في الدنيا والآخرة، ولم تنفعهم أي نفع.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴿١٠٢﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيأخذ القرى الظالمة مثل ما أخذ أولئك من قبل؛ فلتحذر قريش أن يحل بها ما حل بهم، وليتنبهوا من غفلتهم، ويعتبروا بمن كان قبلهم.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن في هذه القصص التي قصها عليه من أنباء الأمم المكذبة بأنبيائها عبرة لمن اعتبر، وعظة لمن انتفع بها، وخاف عذاب الآخرة، وأما أولئك الذين لا يخافون من الله سبحانه وتعالى فلن تنفع فيهم هذه العبر والمواعظ.

وكان نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد سأل الله سبحانه وتعالى ألا يعذب أمته بمثل ما عذب به تلك الأمم السالفة، فاستجاب الله سبحانه وتعالى له ذلك ولكنه استثنى من ذلك بأسهم بينهم؛ فلن يرفعه عنهم، وسيكون عذابه لهم بتسليط بعضهم على بعض.

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴿١٠٣﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن يوم القيامة الذي ذكر أنه سيعذب المكذبين فيه بأنه يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، وسيحضره جميع الأمم السابقة واللاحقة من الملائكة والجن والإنس.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴿١٠٤﴾﴾ ولم يبق لمجيئه إلا أوقات معدودة.

﴿يَوْمَ يَأْتِ[1] لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ عند حلول هذا اليوم واجتماع الناس فيه سيكونون مدهشين ساكتين لا يتكلم أحد منهم بكلمة إلا إذا أذن الله تعالى لأحد في الكلام.

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ۝١٠٥﴾ الناس يوم القيامة فريقان، سيكون الأشقياء في جنب، والسعداء في جنب آخر، وسيميز الله سبحانه وتعالى بعضهم من بعض.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ۝١٠٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن مصير الأشقياء والسعداء، فالأشقياء سيكون مصيرهم إلى النار.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ ولن يخرجوا من النار أبداً، خالدين فيها مخلدين.

﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أراد بذلك غير ما شاء ربك[2] من أنواع العذاب الذي سيعذبون به من العقارب والحيات والزمهرير وغير ذلك، علاوة على الخلود.

وليس المراد به أن الله سبحانه وتعالى استثنى ذلك من الخلود، وأنهم سيعذبون مدة، ثم يخرجون كما تزعمه بعض الفرق، والاستثناء هنا بمعنى غير.

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ۝١٠٧﴾وسيعذبهم بما أراد من أنواع العذاب ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا۝٣٠﴾ [النبأ].

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في حذف الياء في «يأت» مع أنه ليس مجزوماً؟

الجواب: حذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة لغة هذيل ونحوه قولهم: «لا أدرِ» حكاه الخليل وسيبويه. اهـ من الكشاف.

(٢)-**سؤال:** في ذهني أن نظركم هذا موافق لتفسير الإمام الناصر أبي الفتح الديلمي عليه السلام في البرهان وهو قوي جداً وهل من المناسب أيضاً أن تحمل الآية على ما ذكرناه سابقاً أنها كناية عن عظيم سيطرة الله سبحانه ونفاذ إرادته، وليس الاستثناء على حقيقته؟

الجواب: قد يصح ذلك، ويصح أن يحمل الاستثناء على أن المقصود به مدة الوقوف في المحشر قبل دخول النار. ولعل الذي ذكرناه أحسن المحامل.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المؤمنين بأنه سيدخلهم الجنة خالدين فيها أبداً، وأن ذلك غير ما قد شاء من النعيم الذي سيزيدهم فيه؛ والمراد أنه سيعطيهم غير الخلود من التكريم والتعظيم والرضوان والنعيم الزائد على ما يستحقون، وليس المراد بالاستثناء أنه سيدخلهم ثم يخرجهم من الجنة، بل المراد به ما ذكرنا من النعيم الزائد على الخلود.

﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ يعني غير منقطع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ فلا تظن يا محمد أنت وأصحابك أن المشركين على حق، ولا يدخل الشك في قلبك من ذلك، فليسوا على الحق، واقطع أنهم أهل باطل وضلال.

﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ[1] ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ ولا دليل لهم ولا حجة على عبادتهم ودينهم، وإنما يفعلون فعل آبائهم، فاسألهم يا محمد أن يأتوك بدليل يدل على أنهم على الحق إما بدليل حسي ملموس ومشاهد كالخلق والرزق، أو حجة يأتون بها من السماء إما وحي أو نحوه؟ ولن يأتوك بذلك أبداً.

﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه سيوفي هؤلاء المشركين نصيبهم من العذاب الذي استحقوه من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد أرسل موسى، وأنزل معه التوراة شاهدة بصدق نبوته، وأن أناساً آمنوا به، وآخرين كفروا وتمردوا عليه.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَمَا يَعْبُدُ﴾؟

الجواب: جار ومجرور صفة لمصدر محذوف أي: إلا عبادة كعبادة آبائهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لولا أن الله سبحانه وتعالىٰ قد حكم، وقد سبق في علمه وحكمته أنه سيؤخر الحساب والحكم بالحق إلىٰ يوم القيامة- لحكم بين هؤلاء المختلفين في التوراة في الدنيا، ولعذب الكافرين، وأثاب المؤمنين فيها، غير أن حكمته قد اقتضت ألا يحكم بينهم إلا في الآخرة.

والكلمة التي سبقت من الله سبحانه وتعالىٰ هي وعده بأن يحكم بين الناس يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن المشركين بأنهم في شك من يوم القيامة، وأنه سيبعثهم ويحاسبهم فيه.

﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ(٢) رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾﴾ أكد الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ أنه سيوفي الناس جميعاً أعمالهم، المؤمنين منهم

---

(١)-**سؤال:** هل يصح عود الضمير في «منه» إلىٰ القضاء المفهوم من قوله لقضىٰ بينهم، ولماذا؟ وهل الواو في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ﴾ للعطف؟

الجواب: لا يصح عود الضمير إلىٰ القضاء المفهوم من قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن الله تعالىٰ لم يتوعدهم به، وإنما هو قضاء مفروض، والواو للاستئناف وليست للعطف. ويصح أن تكون للحال من ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فالمراد بها قضاؤه بالبعث والحساب.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾؟ وهل هناك فرق على القراءتين؟

الجواب: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ الإشكال في هذه القراءة هو في إعراب «لَمَّا» المشددة فأحسن الأقوال فيها هو قول الزجاج: إن «لما» بمعنىٰ «إلا»، وإنما كان أحسن علىٰ ما فيه لأنه أسهل وأبعد عن التكلف، وهناك أقوال غير هذا وهي:

١ - أن تكون «لَمَّا» بمعنىٰ «لمن ما» فحذفت النون ثم أدغمت الميم في الميم.

٢- أن «لمّا» هذه أصلها مخففة ثم شددت للتوكيد.

٣- أن «لمّا» مصدر من «لَـمّ الشيء» إذا جمعه.

أما إذا خففت «لما» فاللام هي المزحلقة التي تدخل علىٰ خبر «إن» و«ما» صلة جيء بها لتتوسط بين اللام المزحلقة ولام جواب القسم التي في ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

والمشركين والكافرين، وسيوفيهم جزاء أعمالهم يوم القيامة، لا ينقص من ذلك شيئاً، وأخبر أنه عالم بأعمالهم لا يخفى عليه منها شيء، حتى خواطر قلوبهم، وما أضمروه في صدورهم، وكل حركة وسكون فالله سبحانه وتعالى عالم بها، وسيجازي على كل صغير وكبير.

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ[1] وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ عندما لم يستجب المشركون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورفضوا أن يؤمنوا له اصطدم صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه، وتحطمت معنوياته، فذكر الله سبحانه وتعالى له قصص الأنبياء السابقين، وما جرى لهم مع أممهم، وأخبره أنه سيجازي المشركين وسيعذبهم بذنوبهم، وأنه سيوفيهم أعمالهم، كل ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورفعاً لمعنوياته في الدعوة إلى الإسلام، وأمره بالاستقامة على ما هو عليه من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى دين الحق والتوحيد ورفض الشرك هو ومن معه من المؤمنين، وأمره ألا يفتر عن ذلك أو يتهاون.

﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٢﴾ لا تتجاوزوا حدود الله سبحانه وتعالى، والتزموا أوامره فلا تأتوا بشيء من عند أنفسكم، أو تنقصوا شيئاً مما أمركم به، فهو عالم بأعمالكم، ومطلع عليها، وسيجازيكم عليها، ولو كان ذلك أنت يا محمد فسيجازيك، فليس بين الله وبين أحد من خلقه هوادة.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ولا تميلوا إلى المشركين[2] ودينهم أيَّ ميلٍ حتى ولو كان ميلاً يسيراً، واثبتوا على دينكم الحق الذي أنزله الله سبحانه وتعالى.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾؟

الجواب: تعرب صفة لمصدر محذوف أي: فاستقم استقامة كالاستقامة التي أمرت بها.

(٢)-**سؤال:** هل تقصر الآية على المشركين أم تعم جميع الظلمة ولو كانوا من أهل القبلة كما نفهم ذلك من استدلال جمهور أئمتنا عليهم السلام؟

الجواب: نزلت الآية في المشركين؛ لأن السورة مكية، ولكنها تعم كما ذكرتم وذكر الجمهور فالعام لا يقصر على سببه، فيدخل فيها كل ظالم من المشركين ومن أهل الإسلام وغيرهم.

﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾ فإذا ركنتم إليهم فسيعذبكم الله سبحانه وتعالىٰ في النار، ولن يكون لكم مخرج من ذلك، ولن تنفعكم شفاعة أحد عنده.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أولاً بالاستقامة على دينه، والثبات على دعوته، وعدم الركون إلى الذين كفروا، ثم أمره بإقامة الصلاة، وجعل لذلك وقتاً معلوماً؛ فجعل وقت ذلك طرفي النهار، فالطرف الأول من طلوع الفجر إلى وقت الظهيرة، والطرف الثاني من الظهيرة إلى غروب الشمس، وقد أمرنا في الطرف الأول من النهار بصلاة الفجر في أول جزء منه إلى طلوع الشمس، وفي الطرف الثاني بصلاة الظهر وصلاة العصر، والمراد بزلف الليل: الساعات القريبة من النهار وهي أول ساعات الليل؛ فأمرنا بإقامة صلاة المغرب والعشاء في هذا الوقت، فهذه هي الصلوات الخمس التي أمر الله سبحانه وتعالىٰ عباده بإقامتها.

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وأراد بالحسنات الصلوات الخمس هذه، فهي تكفر السيئات التي هي الصغائر من الخطأ والنسيان والزلات التي تكون من المؤمنين.

﴿ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴿١١٤﴾﴾ هذه الأوامر التي أمر الله سبحانه وتعالىٰ بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الاستقامة وإقامة الصلاة سيذكر بها ويتعظ ويعمل بها الذين تنفع فيهم الذكرىٰ وهم المؤمنون.

﴿وَاصْبِرْ﴾ على أذىٰ قومك يا محمد وكفرهم واستهزائهم بك.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴿١١٥﴾﴾ فسيثيبك الله سبحانه وتعالىٰ، ولن يضيع عليه شيء من عملك أو يفوته.

﴿فَلَوْلَا[1] كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي

---

(١)–**سؤال:** فضلاً ما معنىٰ «لولا» في الآية؟

الجواب: معناها التنديم والتوبيخ.

﴿الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية عن حال علماء الأمم السابقة بأنهم كانوا لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر.

وأولو البقية[١] هم العلماء وحملة الدين، وقد استثنى الله سبحانه وتعالى القليل منهم فهم على خلاف من ذكر.

ولو كانوا ينهون عن المنكر لاستمر الهدى والصلاح في الناس، ولما انخرطوا في الفساد والمعاصي والكفر.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن كبار القوم وأثريائهم ووجهائهم بأنهم يتبعون زينة الحياة الدنيا والترف واللهو في الباطل، وأخبر أن فعلهم هذا جريمة يستحقون عليها العذاب.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يعذب أهل قرية فعلوا المعاصي وبينهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وما فعله بأولئك القوم الذين كذبوا أنبياءهم فإنما كان حين أطبق أهل تلك القرى جميعاً على الظلم والفساد والمنكر.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لو شاء لجعل البشر جميعاً على دين واحد، ولأجبرهم على الهدى جميعاً، ولكن مشيئته لم تقتض ذلك، وإنما أوكل ذلك إلى اختيار البشر ومشيئتهم، وذلك لما يترتب على ذلك من الثواب والعقاب، إذ لو كان ذلك جبراً وإكراهاً لما استحقوا ثواباً ولا عقاباً؛ لأن الثواب لا يكون إلا على الأعمال الاختيارية.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ ولا بد أن يقع الاختلاف فيما بين الناس.

---

(١)-**سؤال:** هل لتسميتهم بـ«أولي بقية» علة، فما هي؟

الجواب: الأصل في تسميتهم «أولي بقية» أن الرجل يستبقي الأفضل مما ينفقه ويخرجه لحرصه عليه وشدة رغبته فيه أي: أولو فضل ورشد وصلاح.

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم أهل الحق أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يقع الاختلاف فيما بينهم.

﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: لأجل الاختلاف، والمراد به التكليف والاختيار(١)؛ لأنه الذي يؤدي إلى الاختلاف، فما داموا مختارين فلا بد أن يقع الاختلاف فيما بينهم؛ لأنه لا بد أن ينقسم الناس ويختار كل منهم طريقاً غير طريق الآخر.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ۝١١٩﴾ فقد سبق في علمه أن أناساً سيختارون الكفر، ويموتون عليه، وأنه لن يكون كذلك إلا إذا خلاهم واختيارهم، وأنه لو كان الإيمان والكفر فعل الله سبحانه وتعالى لبطل التكليف، ولكان ظلماً أن يدخلهم النار، ولكانت التكاليف عبثاً، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ۝١٠﴾ [البلد]، فقد خلق الإنسان وجعله مختاراً وأخبره بطريق الخير وطريق الشر، يختار أيهما شاء، فإن سلك طريق الخير استحق الجنة، وإن سلك طريق الشر أدخله النار.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ(٢) مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ الغرض من قص الله سبحانه وتعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخبار الأنبياء، وما لاقوه من أممهم- أن يقوي عزيمة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويثبت قلبه، ويشد من عزيمته؛ فإنه إذا عرف صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما جرى

---

(١)-**سؤال:** وهل يصح أن تعود الإشارة إلى الرحمة؟ ولماذا؟

الجواب: ويصح أن تعود الإشارة إلى الرحمة بدليل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وعبادة الله تعالى هي باب رحمة الله، مع أن ما ذكرنا من التفسير لا يتنافى مع هذا فإن المعنى أن الله خلق الناس للتكليف والاختبار، والتكليف والاختبار هو الطريق إلى رحمة الله، وهذا هو المراد في التفسير.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾؟

الجواب: تعرب «كلاً» مفعولاً به مقدماً لـ«نقص» أي: كل نبأ نقص عليك. ويجوز أن تعرب مفعولاً مطلقاً أي: كل قصص نقص عليك.

على الأنبياء قبله- هان عليه تكذيب قومه له، واستهزاؤهم به.

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾ جاءك يا محمد في هذه السورة النبأ الحق من أخبار المكذبين بأنبيائهم، وما لحقهم بسبب ذلك.

﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴿١٢٠﴾﴾ وجاءك في هذه السورة أيضاً موعظة لمن اتعظ بها، وذكرى لمن اعتبر بما قص الله سبحانه وتعالى من أخبارهم.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴿١٢١﴾ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴿١٢٢﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يقول لمشركي قريش عندما رفضوا الإيمان: اعملوا واجهدوا جهدكم في باطلكم واعملوا طاقتكم من الحيل في الكيد للدين، ونصب العداوة للإسلام والمسلمين، وأخبرهم يا محمد أنك ستواصل تبليغ دعوتك إلى الله سبحانه وتعالى ونشر دينه، وأنك ناصب للعداوة لآلهتهم، ومكذب بها وحرب لها، وقل لهم بأن ينتظروا العاقبة لمن ستكون.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن علم الغيب مختص به وحده، وأنه لن يطلع عليه أحداً من خلقه، وذلك من أخبار النصر والفرج للإسلام والمسلمين، ومتى سيكون، ومتى سينزل غضبه على الكافرين؟

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فأمر الدنيا كله مرجعه إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة؛ أراد بذلك الجزاء والحساب.

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ خصه بالعبادة وحده وتوكل عليه في جميع أمورك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴿١٢٣﴾﴾ فلا يخفى عليه شيء من أعمال المسلمين، ولا من أعمال المشركين، وسيجازيهم جميعاً، ولن يضيع عليه شيء من ذلك.

❁❁❁❁❁

سورة يوسف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ①﴾ أشار الله سبحانه وتعالى إلى أن هذه السورة اشتملت على الحجج الواضحة والقاطعة، وأن الحق فيها واضح.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ②﴾ جعلناه على لغتكم لأجل أن تفهموه وتعقلوا معانيه، وتعلموا أنه حجة وآية من آيات الله سبحانه وتعالى، ولو كان أعجمياً لما حصل ذلك.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ﴾[(١)] نقص عليك يا محمد في هذه السورة أحسن القصص بما اشتملت عليه من العظات والعبر والذكرى بوحي ننزله عليك.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ③﴾[(٢)] فلم تكن يا محمد تعلم شيئاً مما قصصناه عليك قبل نزول الوحي، وكنت غافلاً عنها وعن الدين.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ④﴾ هذه هي بداية القصص التي وعد الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقصها عليه.

أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم برؤيا يوسف وأنه قصها على أبيه يعقوب؛

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا﴾؟

الجواب: الباء: حرف جر، و«ما» مصدرية، وأوحينا: فعل وفاعل، و«ما» وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالياء والجار والمجرور متعلق بـ«نقص».

(٢)- **سؤال:** وأيضاً ما إعراب: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ③﴾؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والجملة بعدها في محل رفع خبرها، واللام هي الفارقة.

فأخبره أن تأويل هذه الرؤيا بأنه سيكون له شرف وعز وشأن عظيم في المستقبل، وأن الله سبحانه وتعالى سيصطفيه للنبوة من بين إخوته.

﴿قَالَ يَابُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾(١) خاف يعقوب -عندما سمع رؤيا ولده هذه- من إخوته أن يدبروا له المكايد، ويعملوا الحيل؛ ليفتكوا به ويؤذوه غيرة وحسداً فأمره ألا يقصها عليهم.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ۝٥﴾ لأن الشيطان سيغري إخوته عليه، فليحذر أن يعلموا برؤياه.

﴿وَكَذَلِكَ(٢) يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ عندما سمع يعقوب بهذه الرؤيا أخبره بأن الله سبحانه وتعالى سوف يجتبيه ويختاره لرسالته.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وسيمنحك علم تأويل الأحلام، وكان ذلك العلم قد راج في ذلك العصر وازدهر، فكانت معجزة يوسف عليه السلام هي علم تفسير الأحلام، كما أن البلاغة والفصاحة كانت معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ سيتم نعمته عليك بالنبوة، وستشمل هذه النعمة بقية آل يعقوب عندما تكون نبياً منهم.

﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٦﴾ مثل ما أتم نعمته بالنبوة والاصطفاء والاختيار على أبويك إبراهيم وإسحاق، وهو تعالى عليم بمن هو أهل للنبوة والاصطفاء، حكيم لا يختار إلا من هو أهل لذلك،

---

(١)-**سؤال:** هل ظهر للعلماء شيء من الأسباب التي جعلت يعقوب يخاف هذا الخوف من أبنائه؟

الجواب: السبب هو ما عرفه يعقوب عليه السلام من الطبيعة المطبوعة في بني آدم من الحسد بين القرابة ولا سيما فيما كان من اختصاص الصغير بالفضل العظيم دون إخوته الكبار كما هو الحال في يوسف، فخاف يعقوب عليه السلام من أن يدخل الشيطان على أبنائه من هذا المدخل.

(٢)-**سؤال:** إلام الإشارة بذلك؟

الجواب: الإشارة إلى الاجتباء الذي رآه يوسف في المنام.

وقد اقتضت حكمته أن تكون يا يوسف موضع حملها.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِلسَّائِلِينَ۝٧﴾ سألوا النبي ﷺ عن قصة يوسف وما جرى عليه؛ فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ بأنه سيقصها عليه، وأخبره أن فيها دروساً وعبراً عظيمة لمن عرفها واعتبر بما فيها.

﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٨﴾ كان إخوة يوسف عليه السلام يتشاورون فيما بينهم في شأن يوسف وأخيه، وحب أبيهم الزائد لهما، وكانا على أم، وبقية الإخوة على أم، وكانوا عشرة إخوة قد بلغوا مبالغ الرجال، بينما يوسف وأخوه لا زالا صغيرين، فحسدهما إخوتهما لما يرونه من حب أبيهما الزائد لهما، وقالوا: كيف يؤثرهما علينا، ونحن الذين نتحمل مسؤولية أبينا، ونتصدى لمشاكله، وكل الأمور تُعْصَبُ بنا، فنحن أحق منهما بحب أبينا، واتهموا أباهم بأنه بعمله هذا قد أخطأ في حقهم، وأساء إليهم إساءة كبيرة، وحكموا عليه بالضلال بسبب ذلك، وهم يعلمون أن هذا الأمر من الأمور الجبلية التي لا يلام المرء عليها؛ لأن ميول القلب ليس تحت سيطرة المرء لأنه أمر خارج عن إرادته وقدرته.

فما دام الأمر هكذا فما ذنب يعقوب إن مال إلى حب يوسف أكثر من بقية إخوته، والشيء الذي يلام المرء عليه إنما هو عندما يفضل المرء أحد أبنائه في العطاء ونحوه، وهذا الشيء لم يكن من نبي الله يعقوب.

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ بعد أن تحاوروا في شأن يوسف- توصلوا إلى أنه لا حل لمشكلتهم هذه إلا أن يقتلوه، أو يخرجوه إلى أرض بعيدة[1] يضيع فيها عن أبيه.

---

(١)-**سؤال:** من أين نفهم هذا؟

الجواب: يفهم من قوله: ﴿أَرْضًا﴾ فإنه لا يتم خلو وجه يعقوب عليه السلام لأولاده الكبار إلا إذا أبعدوه عن أبيه بعداً لا يتأتى منه أن يصل خبره إلى يعقوب عليه السلام.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ ورأوا أنه لا حل لهم إلا أحد ذينك الأمرين لينفردوا بحب أبيهم، فلا يشغله أحد عنهم.

﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ۝٩﴾ أماني يتمنونها وهي أن يقتلوا يوسف، ويتخلصوا منه، ثم بعد ذلك يتوبون إلى الله سبحانه وتعالى من ذنبهم هذا، ويستغفرونه، وينتهي كل شيء.

﴿قَالَ قَائِلٌ[1] مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ قيل إن قائل ذلك كان كبيرهم واسمه يهودا، وقد أشار عليهم بعدم قتله، وأنه يكفيهم أن يلقوا به في البئر وسيكفون شره، ومعنى «غيابة الجب»: ما غاب وأظلم في قعر البئر.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ[2] إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ۝١٠﴾ أشار عليهم أخوهم الأكبر بذلك، وأنهم إذا ألقوه في البئر فسوف يأتي بعض المسافرين ليستقوا فيأخذوه معهم، وأخبرهم أن هذه هي الطريقة الأحسن للتخلص منه.

﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ۝١١﴾ بعد أن ناقشوا خطتهم وما دبروه، بدأوا في تنفيذها؛ فذهبوا إلى أبيهم يتوددون إليه ليأذن لهم في أخذه معهم، وأظهروا أنهم لا يريدون له إلا الخير، وتعليمه فنون القتال والصيد، وأن يتفسح ويتنزه معهم فقط.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ[3] وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ۝١٢﴾ وأن يخرج للعب

---

(١)-**سؤال:** هل لتنكير القائل وإبهامه نكتة بلاغية؟ فما هي؟

الجواب: النكتة في تنكير القائل هي لإفادة الوحدة، أي: ليفيد أن القائل واحد.

(٢)-**سؤال:** هل لفظ السيارة جمع سيار أو سائر؟ ولماذا لم يعبر بلفظ السائرين؟

الجواب: «السيارة» جمع سيَّار، أي: المبالغ في السير، ولم يعبر بلفظ السائرين؛ لأنهم يريدون ألا يلتقطه إلا أهل البلاد البعيدة دون أهل البلاد التي بالقرب منهم فكأنهم وضعوه في بئر على طريق المسافرين بعيدة عن أهل البلد.

(٣)-**سؤال:** هل لفظة «يرتع» مأخوذة من الرتع أم من الرعي؟

الجواب: هو مأخوذ من الارتعاء، أي: أن مصدره الارتعاء، ويرتعي: يفتعل، من الرعي فهو مأخوذ من الرعي بزيادة تاء الافتعال.

والنزهة والرعي، وعاهدوا أباهم على أنهم سيحفظونه، وسيحرسونه من كل مكروه إن أذن لهم في أخذه معهم.

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ لا أتحمل غيابه عن ناظري، ويصيبني الحزن كلما فارقني.

﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ۝١٣﴾ وأخشى أن يفترسه الذئب وأنتم غافلون مشغولون ببعض ألعابكم.

﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ۝١٤﴾ يطمئنون أباهم قائلين كيف أن الذئب يستطيع أن يأكله، ونحن مجموعة من الرجال الأشداء، وأنه إن فعل وأكله كنا خاسرين لرجولتنا كرامتنا.

والعصبة: المراد بها المجموعة من الرجال الذين تعقد بهم عزائم الأمور والمهمات الصعبة.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ تم لهم[(١)] ما أرادوا فأذن لهم أبوهم في أخذ يوسف، واتفقوا على أن يجعلوه في جوف البئر؛ فذهبوا به، ونفذوا مخططهم، ومعنى أجمعوا: عزموا على ذلك.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝١٥﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه يوسف وهو في جوف البئر بأنه سوف يلقى إخوته بعد زمان، وسوف يخبرهم بصنيعهم معه في وقت يكونون قد نسوا ذلك، وفعلاً قد تحقق ذلك بعد فترة من الزمان عندما أصبح عزيزاً لمصر، وأتوا إليه للميرة، فقال لهم: **﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ۝٨٩﴾** قال لهم ذلك وهم لا يعلمون أنه يوسف.

نزل عليه جبريل بالوحي[(٢)] وهو في جوف البئر ليطمئنه فيها، ويؤنس وحشته

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تريدون أن: «تم لهم ما أرادوا» هو جواب الشرط؟

الجواب: هو جواب الشرط أي: تَمَّ لهم ما أرادوا من وضعه في غيابات الجب.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف جاءه الوحي وهو قبل البلوغ؟

الجواب: يقال: جاءه الوحي لإيناسه لا للتبليغ.

لصغر سنه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ۝١٦ قَالُوا يَاأَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ۝١٧﴾ قالوا لأبيهم: نحن نعلم أنك لن تصدق ما نقول لك؛ لأنك متهم لنا فيه، وحبك الشديد له سيمنعك من تصديقنا.

كانوا قد تركوا يوسف في جوف البئر، وعادوا إلى أبيهم وهم يبكون، أو يتظاهرون بالبكاء، فقالوا له: إنا ذهبنا في سباق وتركنا يوسف عند متاعنا ليحفظه حتى نعود من السباق فلما عدنا من السباق وجدنا الذئب قد أكله ولم يترك منه إلا ثوبه.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾(١) لطخوا ثوبه بالدم ليموهوا على أبيهم ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وفعلاً لم يصدقهم أبوهم، وعلم أنهم يكذبون عليه، وأن أنفسهم قد زينت لهم المكر بأخيهم.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ ولكن نبي الله يعقوب عليه السلام بالرغم من شدة مصيبته عزم على أن يصبر على مصيبته هذه، وعزم على ألا يعاتبهم أو يناقشهم أو يظهر جزعه لهم ولا لغيرهم، وأن يحتسب مصيبته هذه عند الله تعالى.

﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ۝١٨﴾ وعزم على أن يستعين بالله سبحانه وتعالى، ويطلب منه العون على الصبر على هذه المصيبة، وأن يتوكل عليه في ذلك.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل كان الدم غير حقيقي أم أنه حقيقي ولكن لم يكن دم يوسف فلماذا أتى به على جهة الصفة ولم ينصبه؟

الجواب: كان الدم دماً حقيقياً ولكنه ليس دم يوسف. ووصف الدم بالمصدر مبالغة في أنه ليس دم يوسف، أي دم كاذب، فالإسناد في الصفة إسناد مجازي (عقلي). وفي وصف الدم بالكذب دليل على كذب دعواهم إنه دم يوسف دلالة واضحة وفاضحة، وذلك أنه جعل الدم الذي على القميص هو الكذب نفسه؛ لذلك كان الدم نفسه دليلاً على كذب دعوى إخوة يوسف.

وكان قد علم أنهم لم يقتلوه، ولكنه لم يعرف ما فعلتهم تلك التي فعلوها به.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾(١) ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى كيف تم إخراج يوسف وإنقاذه، وأن رجلاً من المسافرين جاء يستقي لأهل القافلة ماءً.

﴿قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ فأخرج الدلو من البئر؛ فإذا بداخله غلام قد تشبث به.

﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً(٢) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ وكان إخوة يوسف على مقربة من البئر يراقبون ماذا سيجري، فما إن استخرج هؤلاء القوم أخاهم حتى حضروا مدعين أنه غلام آبق عليهم، وأنهم يبحثون عنه، وأن عادته الهرب، وقد عزموا على بيعه، وقد خاف يوسف على نفسه من القتل إن أخبرهم بحقيقة الأمر، وكان عزمهم على بيعه خفية لئلا يفتضحوا وينكشف أمرهم عند أبيهم يعقوب، ولكن الله سبحانه وتعالى مطلع على أعمالهم هذه، وسيجازيهم عليها.

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ باعوه من أهل القافلة وقبلوا فيه أقل الأثمان؛ لأنهم يريدون أن يتخلصوا منه بأي طريقة، وأما هؤلاء الذين اشتروه فقد باعوه في مصر من عزيزها (الوزير).

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ

---

(١)-**سؤال:** أين كانت هذه البئر؟ ومن أين جاءت هذه السيارة؟

الجواب: كانت هذه البئر على طريق المسافرين إلى مصر من بلاد الشام.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾؟ وما المعنى المطابق لهذا الإعراب؟ وهل يصح أن يحمل ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ على الوارد أنه أخفاه عن بقية القافلة؟

الجواب: «أسروه»: فعل وفاعل ومفعول به، و«بضاعة» حال أي: أخفوه متاعاً للتجارة، وقد فسروا فاعل الإخفاء بإخوة يوسف وبالوارد، وهو محتمل للوجهين، إلا أنه ترجح لي أن الذين أسروه بضاعة هم إخوة يوسف لقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾، فإنه مناسب أي: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ لأن يراد به إخوة يوسف لكثرة ما عملوا بيوسف من الأعمال الظالمة.

﴿نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ كان عزيز مصر هذا عقيماً لا ينجب، وقد ألقى الله في قلبه حب هذا الغلام حباً شديداً؛ فاستبشر بهذا الغلام وفرح، فأوصى زوجته أن تعتني به، وأن تحسن تربيته ليكون ولداً لهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد أراد ليوسف المكانة العظيمة، وأن هذه بدايتها، فقد هيأ له عزيز مصر ليعيش حياة الملوك، ويكون له المكانة العليا.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾[1] وقد هيأ الله سبحانه وتعالى له ذلك، وأراد أن يمكنه في الأرض؛ لأجل أمر عظيم قد أراده له من النبوة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وليعلمه تأويل الأحلام وتفسيرها التي هي من خصائص الأنبياء.

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ[2] وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾ فإذا أراد الله سبحانه وتعالى أمراً هيأ له أسبابه، وقد أراد إخوته أن يضيعوه، ولكن أمر الله وإرادته فوق مشيئتهم، وقد دبر الله سبحانه وتعالى له هذا التدبير ليدفع عنه شرهم وأذاهم، وقد علم أنه لو مكث بينهم لما سلم من شرهم ومكايدهم، فجعل له في مكرهم هذا المصلحة والخير الكثير.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾؟

الجواب: هو معطوف على محذوف أي: مكنا له في الأرض لأمور عظيمة ولنعلمه من تأويل...، أي: ليحمل علم آبائه ويخلفهم في النبوة، وليدعو الناس إلى الدين الحق و.. إلخ.

(٢)-**سؤال:** إلامَ يعود الضمير في قوله: ﴿أَمْرِهِ﴾؟ وما المراد بالأمر؟

الجواب: يعود الضمير إلى الله، وأمر الله تعالى هو حفظ يوسف وإعلاء شأنه ورفع قدره، واختصاصه بالنبوة والكتاب وتأويل الأحاديث والتمكين له في الأرض، فهذا هو أمر الله الذي أراده ليوسف، وقد حاول إخوته أن لا يكون ذلك أبداً، فخيب الله مسعاهم، فلم يستطيعوا أن يحولوا بين يوسف وبين ما أراده الله تعالى له من الكرامة والرفعة.

سبحانه وتعالى أن يوسف لما بلغ مبالغ الرجال، واكتمل عقله ولعل ذلك بعد أن بلغ أربعين سنة؛ لأن العقل في هذه المرحلة يكون في كامل قواه، ويصبح عنده مدارك لجميع الأمور، وتقديرٌ لكل المواقف، ويكون قد اكتسب الخبرة، وخاض في تجارب الحياة، فقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أعطاه النبوة عندما بلغ هذا السن، وزاده من العلم والحكمة، وأن عطاءه هذا يكون للمحسنين من خلقه، يعطيهم إياه في الدنيا جزاءً على إخلاصهم له، وإحسانهم إليه، وهذا ثواب الدنيا غير ما أعده لهم من ثواب الآخرة.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ يحكي الله سبحانه وتعالى كيف أن يوسف عليه السلام استحق ما أعطاه من النبوة والعلم والحكمة، وكيف استطاع أن يقمع هوى نفسه، ويكبح جماحها، ويقهر غريزته الشهوانية، وقد صفي الجو له مع امرأة العزيز، وأصبحا وحديهما لا يعلم بخلوتهما أحد.

ومعنى المراودة: الطلب والتمحُّل للجماع، مِن: رَادَ يَرُود إذا جاء وذهب لطلب شيء.

﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾(١) والأبواب مغلقة عليهما، وقد تزينت، ولبست أفخر ثياب الزينة، وطلبت منه أن يقضي وطره فيها، وهيأت نفسها له، فرد عليها: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ(٢) إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فأجابها بالرفض لما تطلب منه، واستعاذ بالله من ذلك، واستنكر على نفسه كيف يخون سيده(٣)، ومالك أمره، وولي

---

(١)-**سؤال:** ما أصل كلمة ﴿هَيْتَ﴾؟ وما معناها؟

الجواب: ﴿هَيْتَ﴾ اسم فعل أمر بمعنى أسرع وفيها ضمير الفاعل مثل: «صه» و«مه»، وهو لازم لا يتعدى إلى مفعول به، وقيل: إن ﴿هَيْتَ﴾ اسم فعل ماض بمعنى: تهيأت لك.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾؟ وما أصله؟

الجواب: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف وجوباً أي: أعوذ بالله معاذاً، ومعاذ أحد مصادر عاذ يعوذ عوذاً ومعاذاً وعوذة وعياذة وعياذاً، ومعنى أعوذ بالله: أعتصم به وأمتنع.

(٣)-**سؤال:** يقال: لم يسبق للسيد ذكر فإلامَ يعود الضمير في «إنه»؟

الجواب: عندما راودته امرأة العزيز وصممت على أن يواقعها حضر في ذهنه عليه السلام إحسان =

نعمته، فيقع على زوجته، وقد آواه وأحسن تربيته وأكرمه؟

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴿٢٣﴾﴾ وأخبرها بأنه إذا حقق لها رغبتها فسيكون ظالماً لسيده، والظالم لن يفلح أبداً.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾ صممت أشد التصميم على أن يواقعها ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وقد مال إليها بطبيعته وغريزته، ولكن خوفه من الله سبحانه وتعالى منعه، ولولا هذا المانع من الله سبحانه وتعالى لواقعها، وهذا المانع الذي من الله المراد به الهدى والنور، ومعرفة الله سبحانه وتعالى التي استحكمت في قلبه، وأما العزم والنية على مواقعتها فلم يكن ذلك منه، وحاشا نبي الله أن يطيع هوى نفسه وشهواتها، فخوف الله سبحانه وتعالى، والهيبة منه قد غلب شهوته وطغى عليها.

﴿كَذَلِكَ[(١)] لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴿٢٤﴾﴾ صرف الله سبحانه وتعالى عن نبيه السوء، وفعل الفاحشة بتوفيقه ولطفه؛ لأنه كان من عباده المخلصين له، فلا مدخل للشيطان إلى قلبه.

﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ جريا مسرعين نحو الباب: هو هارب، وهي تلحق به.

﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا[(٢)] لَدَى الْبَابِ﴾ فتح الباب فإذا بالسيد في وجهيهما.

العزيز إليه واهتمامه بإكرامه: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾ وذكر حقه عليه وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان عند ذلك قال: ﴿إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فعاد الضمير إلى ذلك الحاضر في ذهنه، وقد أجازوا إطلاق الرب مقيداً على غير الله تعالى وقال يوسف: ﴿إِنَّهُ رَبِّي...﴾ على الظاهر وفسرنا الرب هنا بالسيد؛ لأنهم يفسرونه به في إطلاق العبد خصوصاً دون رب الناقة ورب الدار.

(١)-**سؤال:** إلام الإشارة بقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾؟

الجواب: تعود إلى التثبيت المفهوم من قوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ وقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما السر في إطلاق سيدها على الزوج؟

الجواب: قيل: إن الزوجة كانت تقول لزوجها: يا سيدي، وبعد فإن للزوج ملكة على زوجته ألا ترى أن الولي يقول عند العقد: أنكحتك وملكتك... إلخ.

ومعنى «ألفيا سيدها»: وجدا زوجها.

﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ[(١)] أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢٥﴾﴾ لفقت العذر هذا بسرعة، وحاكت حيلتها هذه قبل أن يتكلم العزيز بكلمة واحدة، وطلبت منه أن يلحق بيوسف أشد العقاب جزاءً على ما أراد منها.

﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ لم يجد يوسف بداً من الدفاع عن نفسه؛ فأخبر سيده بأنها هي التي قد دعته إلى نفسها، وأرادت النيل منه، ولم يجد بداً من أن يبرئ نفسه، وإلا فهو لا يريد أن يسيء إليها أي إساءة، ولا أن يلحقها أي فضيحة بسببه، ولكنه اضطرّ إلى ذلك ليرفع عن نفسه التهمة.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه كان هناك شخص يسمع ما جرى[(٢)]، وكان من أهل امرأة العزيز، فقال: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٢٧﴾﴾ هذا الرجل الذي كان يسمع ما جرى اقترح على السيد حلاً لمعرفة الصادق منهما؛ فأخبره بأن ينظر في قميص يوسف؛ فإن كان قد من مقدمه فهي صادقة في دعواها عليه، وإن كان قُدّ من دبر فهي كاذبة[(٣)].

---

(١)-**سؤال:** ما محل: ﴿أَنْ يُسْجَنَ﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الرفع على أنه خبر المبتدأ ﴿مَا جَزَاءُ﴾.

(٢)-**سؤال:** من أين نفهم أنه كان يسمع ما جرى؟

الجواب: نفهم ذلك من حيث سماه الله شاهداً في قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ فمقتضى ذلك أن الشاهد كان حاضراً عند الباب مع سيدها قد سمع ورأى.

(٣)-**سؤال:** ما وجه ما اقترحه هذا الشاهد؟ وما حكمه في الشرع؟ وهل هو بمثابة القرينة والأمارة؟ وهل للحاكم العدل أن يعمل بمثل ذلك أم لا؟

الجواب: وجه ذلك أن القدّ إذا كان من ورائه فهو أمارة على أنها قدته حال هربه وتوليه مما أرادته منه، وإن كان من أمامه فعلى العكس من ذلك، وما قاله الشاهد حق وصواب متوافق مع =

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ۝٢٨﴾ اقتنع العزيز بما قاله هذا الشاهد، ونظر إلى القميص؛ فإذا بالقميص مقدود من الدبر فعرف براءة يوسف، وأن امرأته قد مكرت به.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾، هذا من كلام العزيز يتوسل به إلى يوسف بأن يستر على امرأته، ويسكت عما جرى لأجل الستر.

﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ۝٢٩﴾ أمرها زوجها بأن تعترف بخطئها، وأن تندم عليه، وتستغفر من جريمتها هذه.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا(١) حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٣٠﴾ تسربت أخبار امرأة العزيز، وما جرى لها مع غلامها، وصارت حديث نساء المدينة يذمونها بذلك، ويلقون اللوم عليها، ويعيبون عليها صنيعها، وكيف أنها تتنازل إلى أن تلاحق عبداً من عبيدها؟! وكيف أن منصبها يسمح لها بذلك حتى تهيم بحب عبد هذا الحب؟!

ومعنى «شغفها حباً»: أي أن حبه تمكن في قلبها واستولى عليه. والشغاف: غشاء القلب.

وكان جمال يوسف وحسنه قد بلغ هؤلاء النسوة، واشتهر بينهن؛ فأردن بذلك أيضاً أن يستدرجنها لتخرجه إليهن ليروا جماله هذا، وكان هؤلاء النسوة من أزواج أعيان مصر ووجهائها.

القوانين الشرعية الإسلامية، فالقرائن والأمارات معمول بها في القضاء؛ فيكون القول قول من شهدت له القرائن والأمارات مع يمينه إن طلبت.

(١)-**سؤال:** ما إعراب ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾؟ ولمن أسند الشغف؟

الجواب: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ جملة حالية من فاعل تراود، و«شغفها»: فعل وفاعل ومفعول به، و«حباً»: تمييز محول عن فاعل أي: شغفها حبُّه، أي: أن حب يوسف دخل إلى شغاف قلبها.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ[1] أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ عرفت امرأة العزيز بما يردنه، فعزمت على أن تدعوهن إليها في احتفال تقيمه لهن.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ أعدت لهن مكاناً يجلسن ويتناولن فيه الطعام والفاكهة.

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ وأعطت كل امرأة سكيناً لتستعين بها على تقطيع الفاكهة، وعندها أمرت يوسف بالخروج إليهن.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ[2] لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ عندما خرج عليهن، ورأين جماله وحسنه الخارق تعاظمن ما رأين من الحسن والجمال الزائد على ما ألفنه وعرفنه، وصرن مبهوتات والسكاكين والفواكه في أيديهن فأخذن يقطعن أيديهن بالسكاكين وهن لا يشعرن من عظيم ما رأينه من جمال يوسف عليه السلام.

﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ أنكرت النسوة أن يكون هذا الغلام من جنس البشر- لما رأين من حسنه وجماله فقلن ليس هذا من البشر وما هو إلا ملك كريم من ملائكة السماء.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالمكر استدراجهن لها حتى تخرجه إليهن؟

الجواب: نعم، المراد هو ذلك.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾؟

الجواب: تعرب هنا مفعولاً مطلقاً ومعناها التنزيه، وحاشا بالألف، ويجوز حذفها كما هي في الآية، و«لله» ليس متعلقاً بحاشا وإنما هو من جملة وقعت بياناً لما قبلها في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: لمن التنزيه؟ فقيل: هو لله. ولـ«حاشا» معنيان آخران:

- أن تكون حرفاً للاستثناء بمنزلة «إلا»، وتجر ما بعدها أي: أنها حرف جر.

- أن تكون فعلاً متصرفاً، تقول: حاشيته -أي: استثنيته- أو ما حاشيته.

عندها تكلمت امرأة العزيز رافعة لرأسها مخاطبة لهؤلاء النسوة بأن هذا الذي قطعتن أيديكن لرؤيته هو ذلك الذي راودته عن نفسه، وقد امتنع ورفض أن يجيبني لما طلبته منه.

﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ۝٣٢﴾ وأخبرتهن بأنها سوف تحاول فيه حتى يطاوعها على ما طلبت منه، وستعمل الحيل لذلك وستهدده على ذلك بالسجن إن رفض، وستلحق به الهوان والذلة إن لم يجبها إلى ما تريد.

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ۝٣٣﴾ عندما علم بما همت النسوة بفعله دعا الله سبحانه وتعالى أن يصرف عنه كيدهن ومكرهن، وأن يعينه على الامتناع منهن، واختار السجن على أن يجيبهن إلى ما يردن، ومعنى «أصب إليهن»: أصل إليهن.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٣٤﴾ وقد حاولت النسوة فيه دون جدوى، وأصابهن اليأس والإحباط من موافقته على إشباع رغباتهن(١).

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ۝٣٥﴾(٢) ثم ترجح

---

(١)-**سؤال:** هل أظهرت هؤلاء النسوة بأجمعهن أنهن يردن منه الفاحشة مع حضور بعضهن البعض؟

الجواب: الظاهر من السياق أن النسوة عذرن امرأة العزيز لهول ما رأين من الجمال الخارق ووافقنها على ما أرادت من يوسف وتظاهرن معها على حمله على موافقتها، هذا هو الذي يظهر دون أن يردن منه الفاحشة معهن، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** أين فاعل: ﴿بَدَا﴾؟ وكيف ساغ للعزيز حبسه مع براءته؟ ولماذا أخر حبسه إلى مدة من الحادثة؟

الجواب: قد قيل: إن الفاعل البداء، أي: بدا لهم البداء، وقيل: الجملة أي ليسجننه، ويمكن أن يقدر أن يسجنوه أي: بدا لهم أن يسجنوه، فحذف لدلالة الكلام عليه. ويظهر أن العزيز كان مطواعاً لزوجته، مسخراً لتنفيذ رغباتها، فلم يكن له رأي مع رأيها، فما قررته نفذه من غير مراجعة، ولم يؤخر سجن يوسف إلا لرجاء زوجة العزيز أن يكون مجلس النساء قد أثر فيه، وفتَّ من عزيمته، فلما لم تَرَ أَيَّ تأثير أمرت بسجنه.

للعزيز وزوجته، ومن في جانبهما إدخاله السجن ليستروا هذه الفضيحة، وذلك بعد أن رأوا الدلالات الواضحة على براءته، وعلموا علماً قاطعاً أنه لم يكن شيء من ذلك الذي يتهمونه به.

وهؤلاء النسوة عندما رأوا جمال يوسف هذا رفعوا اللوم عنها، وعذروها في شغفها به واقترحن عليه السجن إن لم يجبها إلى ما تطلب.

وقد مكث في السجن سبع سنين مع براءته.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى بالأحداث التي حصلت معه في السجن، وما فيها من الدروس والعبر لمن عرفها.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴿٣٦﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه دخل مع يوسف السجن رجلان، وتعرفا عليه، وعرفا فضله وصلاحه، وتوسما فيه معرفة ما عندهما؛ فقصا رؤياهما عليه، فقال الأول بأنه رأى في منامه أنه يعصر العنب الذي سيتخذ خمراً بالتخمير، وقال الثاني بأنه رأى في منامه أنه يحمل خبزاً فوق رأسه تأكل منه الطير وهو حامله.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فأجابهما يوسف بأن تفسير رؤياهما عنده، وأن الله سبحانه وتعالى قد علمه ذلك العلم ووهبه إياه، وأخبرهما أن عنده تفسير وتأويل كل طعام يرونه في رؤياهما، وأن عنده تأويله، وسيتحقق على حسب ما يفسره بالدقة؛ لأن هذا العلم من عند الله سبحانه وتعالى قد وهبه إياه، وليس تخميناً من عند نفسه.

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴿٣٨﴾﴾[1]

---

(١)-**سؤال:** ما الذي نستفيده كمرشدين من فعل يوسف عليه السلام واهتمامه بالوعظ والدعوة قبل =

أخبرهما يوسف بأن الله سبحانه وتعالىٰ الذي علمه هذا العلم بسبب أنه ترك ملة الشرك والكفر، وعبادة الأصنام، واتبع دين آبائه الذي هو دين التوحيد، وعبادة الله سبحانه وتعالىٰ وحده، وأخبرهما أن هذا من فضل الله عليهم أن أعطاهم العلم والحكمة والنبوة، وأن هذا الفضل علىٰ الناس أيضاً؛ لأنهم سيأخذون منهم، ويهتدون بهم إن أرادوا ذلك، غير أنهم لم يشكروا الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ هذه النعمة وظلوا علىٰ ضلالهم وكفرهم.

وقبل أن يفسر لهما رؤياهما بدأ أولاً بوعظهما ودعوتهما إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وإلىٰ عبادته وحده، وقد جعل ذلك فرصة لدعوتهما.

﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴿٣٩﴾﴾ سألهما هذا السؤال ليبعثهما علىٰ التفكر والنظر بعقولهما، وليدخل معرفة الله سبحانه وتعالىٰ في قلوبهما بطريقة مقنعة لهما.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ثم أخبرهما عن هذه الآلهة التي يعبدونها بأنها لا تستحق الإلهية؛ لأنها ليست إلا أحجاراً صنعت بأيديهم، ثم اختلقوا لها الأسماء ونعتوها بالآلهة.

يناقشهم ويحاججهم بالبراهين العقلية التي توصلهم إلىٰ معرفة أنها لا تحمل شيئاً من صفات الألوهية، ولا دليل علىٰ إلهيتها.

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أمر السماوات والأرض، وتدبير شؤونهما كل ذلك إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، لا يشاركه في ذلك أحد.

أن يجيبهما عما سألا عنه؟

الجواب: الذي يستفاد من ذلك بالنسبة للمرشد:

- أن يكون الإرشاد أكبر عمله وشغله الشاغل.
- أن لا يتخلىٰ عن الإرشاد ولو كان في ظروف قاسية.
- أن يستغل الفرص التي يرىٰ فيها استعداد المخاطب للسماع والقبول.

﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وقد أمركم بعبادته وحده، وألا تعبدوا معه أحداً.

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ وأخبر أن عبادته وحده هو الدين الحق الثابت بالأدلة الواضحة، والبراهين القاطعة، وأنه وحده هو الذي يستحق العبادة دون تلك الآلهة التي لا حجة قائمة على صحة إلهيتها.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٤٠﴾﴾ ولكن أكثر الناس معرضون عن الدين الحق فهم يخبطون في الجهل والضلال واتباع الأهواء.

﴿يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ بعد أن دعاهما إلى دين التوحيد وبين لهما بالأدلة القاطعة أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يستحق الإلهية وحده، وأن العبادة ليست إلا له، لا يشاركه فيها أحد، بدأ يفسر لهما أحلامهما، وأخبر الذي رأى أنه يعصر الخمر أنه سوف يخرج من السجن، وسيرجع إلى عمله عند الملك، وكان ساقي الملك من قبل.

وأما الآخر فأخبره بأنه سوف يخرج من السجن، ولكنه سيصلب، وستأكل الطير من رأسه.

وكان السبب في سجنهما أنهما اتُّهما بالمؤامرة على قتل الملك والإطاحة به، ولكن الأول ثبتت براءته، وأما الآخر فبقيت التهمة لابسة له، وصلب جزاءً على ذلك.

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴿٤١﴾﴾ أخبرهما نبي الله يوسف عليه السلام أن ما قصه لهما من تأويل رؤياهما أمر محتوم(١)، ولا بد أن يقع، وأكد لهما أنه لن يكون غير ذلك.

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان الأمر محتوماً فقد قُدِّر عليهما ذلك، فكيف نجيب على هذا الإلزام؟

الجواب: أخبرهما يوسف عليه السلام بما سيقع بهما، ويوسف عليه السلام لا يعلم الغيب، إلا أن الله تعالى علمه تأويل الأحاديث أي: تأويل الرؤيا، وعلم الله تعالى سابق غير سائق، أي: أن ما علم الله تعالى أنه سيقع وسيحصل فلا بد أن يقع ويحصل حتماً من غير أن يكون لعلم الله أثر في وقوعه.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أوصى يوسف عليه السلام ذلك الذي ستثبت براءته بأن يخبر الملك[1] بأمر سجنه، وأن ينظر في قضيته، ويحقق فيها.

﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ وقد اقتضت حكمة الله[2] سبحانه وتعالى أن ينسى هذا الناجي وصية يوسف له لحكمة ومصلحة أرادها الله لنبيه يوسف عليه السلام.

﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ولم يتذكر تلك الوصية إلا بعد عدة سنين قيل إنها –والله أعلم– سبع سنين، والبضع من الثلاثة إلى التسعة.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَاأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا

---

(١)- **سؤال:** هل يصح ما يقال بأن يوسف عليه السلام نسي الرجوع إلى الله سبحانه في هذه الحالة، وظن مخرجه من عند الملك أم لا؟

الجواب: لا يصح ذلك، فالأخذ بأسباب الخلاص لا ينافي الاعتماد على الله والتوكل عليه، وقد استجار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمطعم بن عدي يوم عاد من الطائف، وبايع الأنصار على أن يمنعوه وولده مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم، وأرسل جماعة من أصحابه إلى ملك الحبشة يمنعهم من الأذى، وخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ليمنعوه من قريش وأذاهم. وقد كان يوسف عليه السلام في سجن الملك فلم يزد على الرفع بمظلوميته إلى الملك صاحب السجن الذي بيده الإفراج عن يوسف.

(٢)-**سؤال:** يقال: ظاهر الآية إسناد النسيان إلى الشيطان فكيف؟

الجواب: قد ترتب على ما وقع بيوسف من المحن والشدائد مصالح عظيمة ليوسف، أي: أنه وقع ليوسف محن شديدة وابتلاء عظيم كان له فيه خير عظيم، وقد كان كل ذلك بسبب التخلية بين المكلفين، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، وبسبب التخلية بين المكلفين رفع الله الصالحين وعظم منازلهم، فما حصل ليوسف فهو من هذا الباب، سواء من إخوته أو من امرأة العزيز أو من الشيطان، فبسبب ما لقي من هؤلاء وبسبب صبره على الالتزام بتقوى الله على طول المدة وشدة المحنة رفعه الله واختصه بكرامته.

﴿تَعْبُرُونَ﴾ كان ملك مصر قد رأى هذه الرؤيا، وصار في حيرة شديدة منها؛ فدعا جميع كبار دولته وعلماءها ليبحثوا له عن تفسير لها، ولكن أحداً لم يستطع جوابا لتأويلها، مع أن العصر ذلك قد اشتهر فيه علم تفسير الأحلام، وكثر علماء ذلك الفن.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ قال هؤلاء: إن هذا ليس إلا من الأحلام العابرة، وأن رؤيا الملك هذه خليط من الأحلام قد اجتمعت في حلم واحد، ولو كانت رؤيا[1] حقيقية لفسروها، وأما الأحلام فلا شيء عندهم فيها.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾[2] عند ذلك تذكر ذلك السجين الذي خرج من السجن تفسير يوسف لرؤياه، وتذكر وصيته تلك، وأخبر الملك أن تفسير ما يطلب عنده؛ فليرسله ليأتي إليه بتفسير رؤياه هذه.

ومعنى ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد انقضاء أمة من الناس وفنائها أي بعد زمان طويل مات فيه أمة من الناس.

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾[3] فأرسله الملك إلى يوسف ليسأله عن هذه الرؤيا، ونعته بالصديق؛ لأنه عليه السلام اشتهر بالصدق في جميع أقواله وفيما يفسره من تأويل الرؤيا.

---

(١)-**سؤال:** ما الفرق بين الرؤيا والحلم؟

الجواب: الرؤيا الفاسدة (الحلم) هي التي تأتي نتيجة لقصة سمعها، أو لحادثة رآها، أو لحديث نفس جال فيه الخاطر، أو كانت بسبب حمى أو ضربة شمس أو مرض أو شبع زائد ونحوه، أو جوع أو ما شابه ذلك. والرؤيا هي ما كان بخلاف ذلك، وأصدقها الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح يراها أو تُرى له، وهذه هي التي ورد فيها الأثر: ((لم يبق بعدي إلا المبشرات)) قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: ((هي الرؤيا... وهي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)) أو كما قال، وهذا الأثر في الأحكام.

(٢)-**سؤال:** ما السر في حذف ياء المتكلم في قوله: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾؟

الجواب: حذفت ياء المتكلم في قوله: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾ للتخفيف وهو قياسي.

(٣)-**سؤال:** هل خطاب يوسف هذا من الملك أم من السجين؟

الجواب: الخطاب هو من السجين بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ...﴾.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ۝٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ قص على يوسف الرؤيا؛ فأخبره بأنه سيأتيهم سبع سنوات يكثر فيها الخير من المطر، وستنزل فيها بركات السماء، وأمرهم بأن يزرعوا الأرض في هذه المدة، ومعنى «دأباً»: دائبين في زراعتكم وأعمالكم.

﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ وأمره أن يخبر الملك بأن يأمر الناس عند حصادهم أن يتركوا ما حصدوه داخل سنابله؛ لأجل أن لا تأكله السوس.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ۝٤٧﴾ ولا يخرجوا من السنابل إلا ما احتاجوه لأكلهم.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ وأخبره بأنه سيأتي بعد هذه السنين المخصبة سبع سنين مجدبة يستهلكون فيها ما قد خزنوه في تلك السنين المخصبة.

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ۝٤٨﴾ وأخبره بأنهم سيأكلون ما ادخروه من الحبوب في تلك السنين، ومعنى «تحصنون»: تدخرون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ۝٤٩﴾ وأخبره بأن بعد السنين الشداد سيكون عام يكثر فيه الخير، وتكثر فيه الثمار؛ فيأكل الناس فيها، ويعصرون ما جنوه من ثمارهم.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ عندما رجع الساقي من عند يوسف وقص على الملك ما سمعه منه- عرف أن من فسر رؤياه هذه بمكان من العلم والحكمة؛ فأمر بمن يأتيه به من السجن.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ۝٥٠﴾[1] رفض نبي الله يوسف عليه السلام أن يصحبهم

---

(١)-**سؤال:** هل مراد يوسف عليه السلام بقوله: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ...﴾ أن ينبه الملك كيف يستدل على براءته أو يعلمه بذلك؟

الجواب: أراد يوسف بذلك أن يظهر الدليل للملك وللناس على براءته مما رموه به من التهمة، وكان الدليل عند النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

إلى الملك، وامتنع من الخروج من السجن إلى أن ينظر الملك في قضيته التي سجن من أجلها، وتظهر براءته أمام الناس، فلم يرد أن يخرج وعرضه لا يزال ملطخاً بتهمة هو بريء منها، وكان العزيز وزوجته قد سجنوه بتهمة الاعتداء على امرأة العزيز.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾(١) وفعلاً استدعى الملك امرأة العزيز وصويحباتها اللاتي قطعن أيديهن، وحقق معهن في هذه القضية، وثبتت براءة يوسف.

﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ(٢) عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴿٥١﴾﴾ اعترفت امرأة العزيز ببراءته، وأقرت بأنها هي التي أجرمت في حقه.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴿٥٢﴾﴾ هذا من كلام يوسف عليه السلام وذلك ليبرر أمام الملك سبب رفضه للخروج من السجن حتى يستدعي النسوة ويسألهن، وأخبرهم أن ذلك أيضاً ليعلم العزيز أنه لم يخنه(٣)

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف سألهن عن مراودتهن ليوسف وأجبنه بتنزيه يوسف عليه السلام؟

الجواب: سؤال الملك عن مراودتهن دليل على أن يوسف قد ادعى في رسالة له إلى الملك مع الرسول على النسوة أنهن راودنه... إلى آخر ما جرى عليه من النسوة ومن امرأة العزيز فاستدعاهن الملك وسألهن عما ادعاه يوسف عليهن من المراودة، ثم التهمة له بمحاولة الاعتداء على امرأة العزيز ثم سجنه و... إلخ، فأجابت النسوة ببراءة يوسف ونزاهته عما اتهم به.

(٢)-**سؤال:** في قولها: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ﴾ تأكيد نسبة المراودة إلى نفسها وتبرئة صويحباتها كما يقتضيه التخصيص بالتقديم، وهذا يعارض ما تقدم أنهن راودنه جميعاً فكيف؟

الجواب: المراد بمراودة النسوة هو محاولتهن في مطاوعة يوسف لامرأة العزيز ونزوله عند رغبتها.

(٣)-**سؤال:** يقال: فما وجه عود الضمير إلى العزيز ولم يجر له ذكر فيما سبق؟

الجواب: القصة من قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ...﴾ إلخ يراد بها تبرئة ليوسف مما اتهم به من خيانته العزيز في امرأته وقد كبرت هذه التهمة على يوسف وأراد عليه السلام أن يعلم العزيز أنه لم يخنه في امرأته، وقد كان العزيز محسناً إلى يوسف غاية الإحسان وكان عنده بمنزلة الولد:
=

في امرأته عند غيابه عنها.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٥٣﴾﴾ هذا من كلام يوسف أيضاً فبعد أن قص للملك سبب امتناعه عن الخروج من السجن أخبره أن تبرئته لنفسه، ورفع التهمة عنها لا يعني أنه يزكي نفسه من الخطأ والزلل، فكل إنسان يخطئ، وقال: لا يعني ذلك أني معصوم(١) من الخطأ والزلل، ولولا عفو الله سبحانه وتعالى ومغفرته لكنت هالكاً، وكان ذلك من تواضعه عليه السلام وشدة خوفه من الله سبحانه وتعالى؛ لأن المرء كلما ازداد معرفة بالله سبحانه وتعالى ازداد خشية وخوفاً منه.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ عندما عرف بأمر يوسف، وما جرى معه، وعدم استعجاله الخروج من السجن حتى تظهر براءته، علم حينئذ بزكاء نفسه وطهارتها وعفتها، وأنه صاحب علم ومعرفة، عند ذلك أمرهم بأن يأتوا به إليه ليكون من خواصه المقربين لديه وأهل مشورته.

﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴿٥٤﴾﴾ حضر يوسف عليه السلام عند الملك وجرى بينهما كلام فرأى الملك من عظمة يوسف ما ادهش لبه وعرف من قوة شخصيته وزكاء عقله وكمال فطنته، وحسن علمه وحكمته وعظيم عفته، وطهارة مظهره ومخبره وجمال طلعته وصدق لهجته، وحسن تدبيره وسياسته

﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾ ويكبر على يوسف أن يبقى متهماً بكفر نعمة العزيز ومتهماً بالخيانة الكبيرة في حق العزيز فمن هنا كان العزيز حاضراً في ذهن يوسف، فصح عود الضمير إليه.

(١)-**سؤال:** قد يقال: فكيف هذا وهو نبي؟

الجواب: حتى أنبياء الله ورسله مع عصمتهم فإنهم يتهمون أنفسهم بالتقصير في طاعة الله، قال أمير المؤمنين ما معناه: (إن المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلا ونفسه عنده ضنون) أي: متهمة بالتقصير في طاعة الله.

و..إلخ، ما جعله يقول له: لقد أصبحت يا يوسف اليوم عندنا ذا مكانة رفيعة ومنزلة جليلة وصرت ذا ثقة عندنا واطمأنت نفوسنا إليك ومالت بقلوبها عليك ثقة بك وبأمانتك الكبيرة.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ولم يكن ذلك طمعاً منه إلى ما في خزائن الدولة، وإنما رحمة منه بالناس لما علم ما هم مقبلون عليه من القحط والشدة، ولعلمه أنه لن يستطيع أحد غيره أن يدير أمور معايشهم.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا تدبير من الله سبحانه وتعالى ليصل نبيه إلى ما وصل إليه من السلطان والولاية على أرض مصر.

﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ أصبحت أرض مصر تحت قبضته وسيطرته.

﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وتمكينه هذا التمكين رحمة من الله سبحانه وتعالى له، وعطاءٌ منه جل وعلا في الدنيا جزاءً على إيمانه وتقواه وصبره.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ إن أجر الآخرة وثوابها أعظم وأفضل من أجر الدنيا وثوابها إلا أن الله تعالى لا يعطي أجر الآخرة إلا لأهل الإيمان والتقوى.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ عندما حلت سنو القحط والشدة، وأصابت الناس المجاعة والجوع- أصبح الناس يقصدون أرض مصر بغية الزاد والطعام، كونها أرضاً غنية، ولما قد سمعوه عن عدالة حاكمها، ورحمته بالناس.

﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ﴾ وقد اضطر الجوع آل يعقوب للسفر[1] إلى أرض مصر لجلب ما يسدون به جوعتهم، فدخل إخوة يوسف على

---

(١)-**سؤال:** فضلاً وأين كان سكنهم؟

الجواب: سكن إبراهيم وآل إبراهيم بلاد الشام (الأرض المباركة) في فلسطين، إلا أن الله تعالى أمر نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينقل ولده إسماعيل وأمه إلى مكة فنقلهما إلى مكة ودعا لهما: ﴿رَبَّنَا

=

عزيز مصر وهم لا يعلمون من هو- يشكون إليه حالهم، وما وصلوا إليه من الحاجة ويرجون منه أن يزودهم بما يسد جوعهم، ومن يعولون؛ فعرفهم يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ عندما قضى لهم حاجتهم، وأوقر جمالهم بالطعام.

﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ۝٥٩﴾ كان قد سألهم عن حالهم وحال أهاليهم، فأمرهم أنهم إذا عادوا للميرة فليأتوا بأخيهم الذي من أبيهم ليعطيه حصته؛ لأنه كان لا يعطي إلا من يأتي إليه بنفسه، وعرّض عليهم بكرمه، وحسن ضيافته لهم؛ ليغريهم بالعودة إليه مرة أخرى مع أخيهم.

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ۝٦٠﴾ ثم أقنعهم أنهم إن لم يأتوا بأخيهم الحادي عشر معهم فإنه يحرمهم من الكيل وحذرهم من قربه وذلك لأن نفسه قد هاجت شوقاً لرؤية أخيه، وعواطفه قد جاشت إليه، فمنعهم من العودة إلا معه، وإلا فلن يكيل لهم، ويمكن أن يكون طلبه هذا بأمر من الله تعالى زيادة محنة نبيه يعقوب عليه السلام.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ۝٦١﴾ وأخبروه بأن أباهم قد فقد أخاً له من أمه قبل زمان، وكان مولعاً به أشد الولع، وأنه يتسلى بأخيهم عن مصابه، ويصعب عليه فراقه خوفاً أن يصيبه ما أصاب أخاه، وأخبروه بأنهم سوف يحاولون عسى أن تنفع فيه محاولتهم.

﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ۝٣٧...﴾ إلخ [إبراهيم]. أما آل إسحاق بن إبراهيم فما زالوا في بلاد الشام إلى أن طلبهم يوسف عليه السلام إلى الإتيان للسكنى عنده في مصر، فرحلوا إليها وسكنوها وما زالوا فيها حتى بعث الله تعالى نبيه موسى عليه السلام فأمره الله تعالى بإخراجهم من مصر، وردهم إلى بلاد الشام (الأرض المقدسة) فأخرجهم منها وردهم إليها.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۝٦٢﴾ أمر غلمانه بأن يردوا ثمن طعامهم بين أمتعتهم، وكان الثمن هذا جلوداً مدبوغة، يدفعونها مقابل الطعام هذا.

وكان غرضه من ذلك أنهم إذا رأوا ثمن بضاعتهم قد رد إليهم سيكون ذلك دافعاً لهم إلى الرجوع مرة أخرى.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَاأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ۝٦٣﴾ أخبروا أباهم بأن ملك مصر قد رفض أن يكيل لهم مرة أخرى إن لم يكن أخوهم برفقتهم، وعاهدوه بأنهم سيحفظونه وسيحرسونه فلا يصيبه أي مكروه.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ۝٦٤﴾(١) أخبرهم يعقوب بأنه لن يثق فيهم، وكيف يثق بهم وقد فعلوا ما فعلوا بأخيهم يوسف من قبل؟ وأخبرهم أن ثقته بهم قد سلبت.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ عندما نقضوا أحمال جمالهم وأنزلوها- فوجئوا بثمن بضاعتهم بين متاعهم قد رد إليهم.

﴿قَالُوا يَاأَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ يلحون على أبيهم، فحينما رأوا ثمن بضاعتهم قد رد إليهم، رأوا أن ذلك سيكون فرصة لموافقته، وحافزاً له في إرساله معهم، وذهبوا إليه ليعلموه بذلك، وماذا يريد بعد كل هذا؟ وبعد ما رأى

---

(١)-**سؤال:** ما مناسبة آخر الآية: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا...﴾ مع أولها مع دلالته أي أولها على عدم الحفظ؟

الجواب: أول الآية يدل على أنهم ليسوا محلاً لحفظ ولده، وأنه لا يثق فيهم إطلاقاً، والفاء في قوله: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ هي الفصيحة، وهي جواب لشرط مقدر، أي: إن كنت لا أثق فيكم فالله خير حافظاً أي: فثقتي هي بالله فهو خير الحافظين، وبهذا يظهر التناسب بين أول الآية وآخرها.

من كرم الملك ما قد رأى؟ واعتقدوا أن رؤية أبيهم لذلك سوف يزيده اطمئناناً، مما جعلهم يبشرونه بذلك، ويلحون عليه ذلك الإلحاح.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ وكذلك سيزودنا بما يسد جوعة أهلنا، ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴿٦٥﴾﴾ ونعاهدك على حفظ أخينا، وأخبروه بأنهم سيزدادون كيل بعير إن هم أخذوه معهم، وكانوا عشرة إخوة فسيكون لهم حمل عشرة جمال، وإن أخذوه معهم سيصير لهم حمل أحد عشر بعيراً، وأطلعوا أباهم على ما رأوه من كرم هذا الملك، وأن ما ينفقه ليس شيئاً بالنسبة لكثرة ما في خزائنه من الأموال والمؤن.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ بالرغم من إلحاحهم الشديد عليه لكنه أصر على الامتناع والرفض إلا إن أعطوه العهود والمواثيق على حفظه ورده إليه إلا أن يمنع من ذلك مانع من عدو يتمكن منهم، أو نحو ذلك.

﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴿٦٦﴾﴾ أشهد يعقوب على ذلك الله سبحانه وتعالى، وأخبر أولاده أن الله بينهم وبينه شاهد ورقيب. والوكيل: الشاهد.

﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كانوا أحد عشر رجلاً، فخاف عليهم من دخولهم مجتمعين، وأوصاهم بأن يتفرقوا عند دخولهم؛ فإذا حصل مكروه فلا يصيبهم جميعاً.

وأخبرهم أن هذا أخذٌ بالأسباب، وإلا فإن الله سبحانه وتعالى إن كان قد أراد بأحد سوءاً فلن يستطيع أحد أن يدفعه.

وقد قيل إن ذلك منه خوفاً عليهم من العين ومن الحساد؛ لأنهم كانوا أحد عشر شاباً عليهم الهيبة والجمال، وكمال الأجسام والقوة.

﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴿٦٧﴾﴾ أخبر أولاده أن الخلق بيد الله سبحانه وتعالى، وكلهم تحت قبضته وقدرته يحكم فيهم كيفما شاء.

ويؤخذ من ذلك أنه ينبغي، ويجب على المرء أن يأخذ بالأسباب، ثم يتوكل على الله سبحانه وتعالى، وإلا كان مفرطاً ومقصراً كأن يتزود في سفره مثلاً بالزاد والماء، ويكون معه ما يكفيه في سفره، وأن يأمن في طريقه فلا يسير في طريق الخوف، ثم يتوكل على الله سبحانه وتعالى لا أن يكون صفر اليدين، ويزعم أنه متوكل على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أخذوا بنصيحة أبيهم، وهم يعلمون أنها لن تدفع عنهم شيئاً قد أراده الله سبحانه وتعالى.

﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ وكان ذلك لأجل غرض في نفس يعقوب خاف منه، وقد يكون منه خوفاً من العين أو من الحسد، والله أعلم.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى أن فعله هذا ووصيته لأولاده كان لشيء قد علمه الله تعالى إياه وأطلعه عليه، ويؤخذ من ذلك أنه يجب على المرء أن يأخذ في تدبير أموره بنصيحة العالم الناصح الشفيق.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فلا ينبغي أن يزعم أحد ألا فائدة في فعل يعقوب ذلك.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ المراد أجلسه إلى جانبه.

﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ أجلسه يوسف بجنبه وأسر إليه بأنه أخوه، وأنه ذلك الذي فقده أبوه بسبب صنيع إخوته، وطمأنه على نفسه وذكر له ما وصل إليه من العز والشرف لئلا يحزن بعد ذلك على أخيه، وكان الوحيد من بين إخوته على أمه.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى «اللام» و«ما» في قوله: ﴿لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾؟

الجواب: اللام للتقوية دخلت على معمول المصدر المنون، و«ما» اسم موصول.

ويجوز أن تكون اللام تعليلية وما مصدرية أي: لتعليمنا إياه.

وكان أول ما دخلوا عليه أن أجلسهم كل اثنين في جانب فبقي هذا وحيدا وكأنه تذكر أخاه يوسف، وأنه لو كان موجوداً لكان إلى جانبه، وظهرت عليه علامات الحزن؛ فأجلسه إلى جنبه، وحصل ما حصل.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ كال لهم الحب وأمر من يشده على البعير.

﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ وهي المكيال الذي يكتال به الحب أمر من يضعها بين متاع أخيه.

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ۝٧٠﴾ عندما هموا بالرحيل نادى مناديه على أهل هذه القافلة: بأن توقفوا، ونعتهم بالسرقة(١).

﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ۝٧١﴾ رجعوا إليهم يسألونهم: ما الذي ضاع عليكم وفقدتموه؟

﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ۝٧٢﴾(٢) فأجابوهم: بأن صواع الملك قد فُقِد، وأخبرهم هذا المنادي بأن من وجده فسيكون له جائزة عند الملك، وأنه كفيل على إعطائه جائزته.

---

(١)-**سؤال:** كيف ساغ لهذا المؤذن أن ينسبهم للسرقة وهم أبرياء؟

الجواب: قد قيل: إنه نسبهم إلى السرقة من حيث إنهم سرقوا يوسف من أبيهم، ولم يصدر منهم توبة ولا اعتذار إلى أبيهم من ذلك إلا بعد أن عرفهم يوسف بنفسه، ويؤيد هذا قول يوسف: ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا...﴾ بعد قولهم: ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾؟

(٢)-**سؤال:** هل تؤخذ من هذه الآية شرعية الجعالة لمن لقي شيئاً أو لمن فعل شيئاً؟ وكذا هل دلت على جواز الكفالة وأنها حق للمكفول يتبع فيه الكفيل؟

الجواب: نعم، يؤخذ من هنا صحة الجعالة وشرعيتها فمن قال: من رد لي ضائعتي الفلانية فله كذا، فيلزمه تسليم ما قال لمن جاء بها، وكذا يلزم من قال: من طلع إلى رأس ذاك الجبل أو من قطع هذا النهر سباحة فله كذا فيلزمه تسليم ما قال لمن فعل ذلك. كما يؤخذ من هنا أن الكفيل ضامن ما اكتفل فيه يجب عليه تأديته إلى المكفول له.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴿٧٣﴾﴾ اندهشوا مما سمعوه، وأصابتهم الحيرة والاستنكار مما اتهموهم به، وخاصة أنهم قد عرفوا حالهم، وأنهم من أصل طيب، وأهل عز وشرف ودين، وعرفوا مروءتهم وشهامتهم، وأنهم منزهون عن السرقة ورذائل الأعمال، فكيف يتهمونهم مع كل هذا؟!

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴿٧٤﴾﴾ إذا ثبت وكان صواع الملك بين متاع أحدكم فماذا ستحكمون عليه؟

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴿٧٥﴾﴾ أخبروهم أن من وجدوا صواعهم بين متاعه فجزاؤه أن يكون عبداً لهم، وكان هذا حكم السارق في شريعة يعقوب عليه السلام، وأن من سرق يكون عبداً لمالك الشيء المسروق.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ فتّش أولاً أمتعتهم، وترك متاع أخيه آخر شيء، ثم إنه فتش متاعه؛ فإذا بالصواع بينه، فأخذه عبداً جزاءً على ذلك.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ وهذه الحيلة(١) كانت بتدبير من الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** يقال: إن جعلنا الحيلة المدبرة من الله في وضع الصاع كما هو ظاهر السياق فيشكل علينا كونه بأمر الله وتدبيره، وأنه ابتنى عليه أخذ أخيه ولم يصدر منه سرقة، وإن جعلناها في الحكم على أخ يوسف كما يظهر من كلامكم فقد يشكل علينا أنه يفهم من ظاهر الاستثناء: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن الله شاء ليوسف أن يدخل أخاه في ديانة الملك، فكيف ينحل هذا الإشكال؟ وإن جعلنا «ليأخذ» بمعنى يعاقب، فسيحوجنا إلى حمل «في» من قوله: «في دين الملك» على معنى الباء، وهو خلاف الظاهر، وإلى أن «ليأخذ» مشتق من المؤاخذة، فكيف؟

الجواب: ظاهر السياق هو في القصة كلها وأنها بأمر الله ووحيه، إلا أن النقطة الهامة في القصة هي في تحيل يوسف لإجراء حكم الله على الذي وجد الصاع في رحله لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: ما كان له أن يعاقب أخاه بحكم آل فرعون في السارق، وقد كانت الحيلة التي ألهمها الله يوسف عليه السلام حيلة عظيمة وحكيمة، من حيث =

ليوسف، وذلك لأجل ألا يحكم على السارق بشريعة أهل مصر، وكونهم قد حكموا على أنفسهم سيكون مبرراً له عند الملك إذا سأله: لماذا لم يحكم فيه بشرع أهل مصر؟ لأن أحكامهم كانت أحكاماً جاهلية، ويوسف لا يريد ذلك.

﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ما ينبغي ليوسف أن يعاقب أخاه ويحكم عليه بحكم أهل مصر؛ لأنه ليس حكم الله سبحانه وتعالى.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إلا إذا كان الله سبحانه وتعالى قد أذن له في ذلك، ولكنه قد أراد أن يحكم فيه بشريعة يعقوب الذي هو حكم الله جل وعلا.

﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴿٧٦﴾﴾ أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه يوسف عليه السلام بأنه رفع درجته بالعلم والحكمة وحسن تدبيره للأمور، ثم أثنى على نفسه بأنه بعلمه فوق كل عالم.

أنها خلصت يوسف من اعتراض آل فرعون وبررت له الحكم بالحق. وإذا كانت هذه القصة بأمر الله ووحيه فلا إشكال، وغاية ما في ذلك أنه خفي علينا وجه الحكمة، ونظير هذه القصة قصة الخضر مع موسى عليهما السلام. وأما إدخال أخيه في العبودية نتيجة هذه الحيلة فقد يجعل الله له أعواضاً مقابل ذلك، مع ما في ذلك من الحكم العظيمة التي انكشفت نهاية الأمر، وليس في قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أن يوسف أخذ أخاه في دين الملك، فأول الآية أنه حكم على أخيه بحكم آل يعقوب: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ...﴾ أي: جزاؤه أن يؤخذ؛ لذلك أخذه يوسف ﴿أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ...﴾. وأما قول السائل بلزوم اشتقاق «يأخذ» من المؤاخذة فلا يلزم، فإنه يكون بمعنى المعاقبة وهو مشتق من «الأخذ» كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود:١٠٢]، وقوله: ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴿٤٢﴾﴾ [القمر]، وأما قوله: ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ فالجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف، أي: أخذاً كائناً في دين الملك وشرعه، فلا يلزم أن يكون «في» بمعنى الباء، والله أعلم.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾(١) يريدون أن يرفعوا التهمة عن أنفسهم، ويلطخوا بها أخاهم وحده، فقالوا: ليس ببعيد عليه السرقة، فقد كان له أخ سارق وقد أشبهه، يريدون يوسف.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ ترك ذلك في نفسه، ولم يتكلم لهم بشيء؛ لأنه كان يريد ألا يكشف أمره لهم ذلك الوقت.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾(٢) كانوا إذا أرادوا أن يذموا شخصاً، قالوا: أنت شر مكاناً، ينسبون الشر للمكان والمراد صاحب المكان.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۝٧٧﴾ يخاطبهم يوسف بأن اتهامهم ذلك لأخيهم باطل، وأنه كان من المفترض بهم أن يتأولوا لأخيهم بالخير، ويستروا عليه.

﴿قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ(٣) إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٧٨﴾ تذكّروا عند ذلك العهد الذي أخذه عليهم أبوهم، وكيف سيرجعون إليه من دونه، وقد حصل ما حصل؛ فسألوا الملك عندها بأن يفتديه بأحدهم، ويتركه لأبيه الحزين، وذكروا له قصة أبيهم وتعلقه الشديد به بدلاً عن أخيه الذي فقده قبله، والذي لا يزال يبكي على فراقه بالرغم من أنه قد مضى على ذلك حقبة من الزمان، وقصوا عليه ما كان منهم من العهد الذي قطعوه له في رد

---

(١)-**سؤال:** هل يشيرون إلى قصة معينة في اتهامهم له بالسرقة أم أنه من كيل الاتهامات المعلوم بطلانها؟

الجواب: ليس هناك قصة معينة فلم يسبق أن سرق يوسف فقد أخذه إخوته يوم أخذوه للرعي معهم وهو في حدود السبع السنوات، وهناك قصص مروية لا ينبغي تصديقها؛ لذلك فما قالوه هو من التهم الباطلة التي لا ينبغي قبولها ولا سيما تهمة العدو لعدوه.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَكَانًا﴾؟

الجواب: ﴿مَكَانًا﴾ منصوب على أنه تمييز نسبة.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب قوله: ﴿مَكَانَهُ﴾؟ وما نوع اسميتها؟

الجواب: «مكانه» ظرف مكان منصوب على الظرفية، ومكان اسم مكان مبهم.

أخيهم هذا له، وتوددوا إليه بذلك، وأنهم لم يروا منه إلا الإحسان والكرم، ويطمعون في إحسانه إليهم برد أخيهم.

وكان ذلك ابتلاءً من الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه يعقوب عليه السلام ليزيده من الثواب جزاءً علىٰ صبره، وإلا فإن يوسف عليه السلام كان يستطيع أن يرسل إلىٰ أبيه فيخبره بحقيقة وجوده، وما صار له من العز والشرف والملك غير أن الله سبحانه وتعالىٰ لم يكن قد أذن له في ذلك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ[١] أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ۝٧٩﴾[٢] استنكر يوسف عليه السلام عليهم؛ فكيف يأخذ البريء مكان المتهم؟ وأن هذا لو صار لكان ظلماً.

وقوله: ﴿مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا﴾ بدلاً من: «مَنْ سرق»؛ لأنه لم يكن قد سرق في الحقيقة، ولو أنه قال كذلك لكان كاذباً.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ﴾ بعد أن حاولوا بشتىٰ الوسائل في استنقاذه، فلم يجد

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾؟ وما إعراب: ﴿أَنْ نَأْخُذَ﴾؟

الجواب: «معاذ الله» مفعول مطلق منصوب بفعل محذوف، أي: نعوذ بالله معاذاً، و«أن نأخذ» في تأويل مصدر مجرور بـ«من» محذوفة أو منصوب علىٰ نزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** هل نأخذ من هذه الآية أنه لا يجوز حبس البريء المتبرع بنفسه بدلاً عن المتهم فيما يسمىٰ بالرهينة أم لا؟

الجواب: يؤخذ من الآية أنه لا يؤخذ البريء بذنب المتهم، أي: أنه لا يجوز مجازاة البريء بذنب المتهم، أما الرهينة فليست من هذا الباب وإنما هي من باب آخر، فالرهينة لا تؤخذ للجزاء وإنما تؤخذ لحمل أصحابها علىٰ الطاعة أو علىٰ وقف الحرب أو نحو ذلك؛ لذلك فيكون أخذ الرهينة جائزاً علىٰ ما ذكرنا، ولكن لا يجوز للجهة المرتهنة إلحاق أي أذىٰ بالرهينة، وإذا نكث أصحاب الرهينة فلا يحق للمرتهن مجازاة الرهينة، ولكن له قبضها من غير أذىٰ أو مضايقات حتىٰ يذعن أصحابها للحق.

ذلك، وأصابهم اليأس، ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ انحازوا في جانب يتشاورون فيما بينهم.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ(١) أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ(٢) مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ وبخهم أخوهم الأكبر كيف يستطيعون أن يعودوا من دونه، وقد كان منهم ما كان من العهود والمواثيق، وقبل ذلك قد أفجعتموه بأخيه يوسف؟ فبأي وجه ستقابلونه؟ وكيف سيصدقكم وقد كان منكم ما كان؟ وأخبرهم أنه لن يصدقهم أبداً.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴿٨٠﴾﴾ وأخبرهم أنه لن يبرح أرض مصر حتى يأذن له أبوه في الرجوع، أو يفتح الله له باب الفرج من عنده.

﴿ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَاأَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾(٣) يدبرهم أخوهم الأكبر، ويشير عليهم بأن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ...﴾ الإعرابي؟

الجواب: لا محل للجملة من الإعراب لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾؟ وعلام عطفت؟

الجواب: الواو للحال أي: ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً والحال أنكم فرطتم في يوسف من قبل. و«من قبل» جار ومجرور متعلق بـ«فرطتم» على جعل «ما» زائدة، أو متعلق بمحذوف خبر مقدم على جعل «ما» مصدرية وهي أي «ما» و«فرطتم» في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، وقد قيل: إن الغايات لا تقع أخباراً ولا صلات ولا صفات ولا أحوالاً نص على ذلك سيبويه وغيره، ولكن يشكل عليهم قوله تعالى: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢].

(٣)-**سؤال:** يقال: كيف ساغ لهم أن يقولوا: ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ وهم لم يعلموا علماً يقينياً؟

الجواب: ساغ لهم أن يقولوا ذلك بناءً على ظاهر ما رأوا وقد استدركوا ذلك بقولهم: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴿٨١﴾﴾ أي ما كنا عالمين بما خفي ولم يظهر فلعل واضعاً وضع الصواع في رحل أخينا بغير علمه وبغير علمنا، فما شهدنا إلا بما رأيناه وعلمناه. **وبعد،** فليسوا من أهل العصمة ولم يكن قولهم هذا شهادة يترتب عليها حكم السرق.

بحقيقة ما جرى.

﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ۝٨١﴾ وأمرهم بأن يخبروه بأنهم قد عاهدوه، ولم يكونوا يعلمون ماذا سيكون في علم الله سبحانه وتعالى، وأشار عليهم بأن يخبروه بأنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أخذوه ولما عاهدوه.

﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ ويشير عليهم أيضاً بأنه إذا لم يصدقهم، فليقولوا له أن يسأل أهل مصر عن حقيقة ذلك الذي جرى.

﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ۝٨٢﴾ وأن يسأل القافلة التي معهم، وسيخبرونه بواقع ما حصل، وأمرهم أن يقسموا له على ذلك بأنه جرى.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ بعد أن أقبلوا على أبيهم، وقصوا عليه ما جرى- أصابه الحزن الشديد، واتهمهم(١) بأن أنفسهم قد زينت لهم أمراً في شأن أخيهم كما فعلوه من قبل بأخيهم يوسف.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعزم على أن يصبر على مصابه هذا، وعلى ترك عقابهم ولومهم.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ۝٨٣﴾ وأوكل أمره هذا إلى الله سبحانه وتعالى، ودعاه بأن يرد إليه يوسف وأخاه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف ساغ له أن يتهمهم هذا الاتهام من غير أن يتحقق الأمر؟

الجواب: ساغ له ذلك لقرائن وأمارات:

- أنه قد صدر منهم ما صدر في يوسف بعدما حلفوا لأبيهم وتعهدوا له في حفظه.
- ثم تكرر منهم الحلف والتعهد في أخيهم الثاني وأكدوا لأبيهم حفظه و..إلخ فحصل ما حصل وتكررت قصة يوسف مرة أخرى.
- أخذ يوسف لأخيه على شريعة يعقوب أثار شكوك يعقوب في أولاده أنهم تعاونوا مع ملك مصر في أخذ ولده.
- وأن المأخوذ هو أخو يوسف لأمه وأبيه دون سائر أولاده، مع سبق الإلحاح على أبيهم في سفره معهم.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[١] اعتزل في جانب بعيداً عن أولاده، ولم يظهر حزنه أمامهم؛ لأنه عزم على ألا يرى حزنه أحد غير الله سبحانه وتعالى، وكان في عزلته يشكو حاله ومصيبته إليه وحده بعيداً عنهم.

﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴿٨٤﴾﴾ من كثرة حزنه، وتوالي المصائب عليه عميت عيناه، وأراد بكظيم: أنه قد امتلأ حزناً في داخله.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴿٨٥﴾﴾ يوبخون أباهم على عدم نسيانه ليوسف، وقد مضى على فراقه فترة من الزمان نحوٌ من أربعين سنة، وإلى متى سيبكي؟ وهل سيظل يبكي عليه إلى أن يبلغ نهاية العمر، ويصير أبيض الرأس واللحية، أو إلى أن يأتي عليه الموت؟ يلومونه على بكائه وحزنه ذلك الذي لم ينته. ومعنى «حرضاً[٢]»: أي مشرفاً على الموت ومقارباً له.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴿٨٦﴾﴾ كانوا قد سمعوه وهو يبكي، ثم وبخوه على ذلك؛ فأخبرهم أنه لا يشكو إليهم، وأنه إنما يشكو حزنه إلى الله سبحانه وتعالى وحده، وأخبرهم أنه لا يريد أن يسمعوا شكواه وبكاءه، وأخبرهم أنه يعلم أن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده الصالحين لحكمة ومصلحة يعلمها لهم في ذلك، وهي إرادة أن يثيبهم على ذلك، وأخبرهم أيضاً أنه يعلم أن يوسف لا يزال حياً في مكان ما، وأن أمر اختفائه لحكمة ومصلحة يعلمها

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿يَاأَسَفَى﴾؟

الجواب: «أسفا» منادى مضاف إلى ياء المتكلم حذفت الياء وعوض عنها الألف.

(٢)-**سؤال:** مم أخذ: ﴿حَرَضًا﴾؟

الجواب: «حرضاً» مصدر حرِض بكسر الراء، وأصل الحرض: فساد الجسم والعقل من مرض أو غيره.

الله سبحانه وتعالى، وأن هذه البلوى لا بد أن يكون بعدها فرج، وأخبرهم أنه منتظر لهذا الفرج.

وكان ذلك لأمارات قد تقدمت تدل على ذلك من الرؤيا التي كان رآها يوسف، وهي أن الله سبحانه وتعالى سيختاره ويصطفيه، ويجعله نبياً، ويرفع ذكره في الأرض، ويعلو شأنه، وأن أباه وإخوته سوف يسجدون له حينئذ.

﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ عندما رجعوا إلى أبيهم وأخبروه بشأن أخيهم، وأنه قد سرق، وقد أُخِذَ جزاءً على ذلك- أمرهم أن يرجعوا إلى أرض مصر فيسألوا عن يوسف وأخيه، وليكن ذلك ببصيرة وتروٍّ دون أن يحس بهم أحد، وكأنه كان قد أحس أن الفرج قد قرب، وأنه سيكون من أرض مصر. والتحسس والتجسس بمعنى واحد.

﴿وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴿٨٧﴾﴾ والروح هو الفرج؛ لأن المؤمن إذا أصابه شر فلا ينقطع رجاؤه في الله، بل يجعل أمله مستمراً فيه وفي ثوابه، وأما الكافر فإذا أصابه الشر فإنه يصيبه اليأس والقنوط غير مؤمل في الله سبحانه وتعالى ولا راجياً لرحمته وفرجه ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت].

فينبغي على المؤمن عندما تصيبه مصيبة، أو تحل به شدة ألا يصيبه اليأس، ويجب عليه أن يكون راجياً لله سبحانه وتعالى، ومؤملاً فيه لكشف بليته ومحنته، يأمرهم أبوهم بذلك، وينهاهم أن يذهبوا وهم على يأس مما يرجوه أبوهم ويؤمله، أو في ظنهم أن يوسف قد مات، وقد فني قبل زمان، وأن ما يكون من أبيهم ليس إلا أوهاماً.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ عادوا إلى مصر، ودخلوا على عزيزها يشكون عليه حالهم، وما هم فيه من الجدب والجوع والفاقة، وأن بضاعتهم التي يريدون أن يبتاعوا بها الحب كاسدة ورديئة، ولا رغبة لأحد فيها، وكانت بضاعتهم الجلود.

﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴿٨٨﴾﴾ ورجوا منه أن يكرمهم، وأن يمن عليهم بإحسانه، ويكيل لهم غير ناظر إلى رداءة بضاعتهم، وأن يجعل ذلك صدقة، وخاصة أنهم قد عرفوا عنه ما عرفوا من الكرم والسخاء وعدم رده لمن يأتيه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴿٨٩﴾﴾(١) فحينئذ أذن الله سبحانه وتعالى لنبيه يوسف أن يظهر حقيقة أمره، ويكشفها لإخوته، وأن الوقت قد حان لمحنة يعقوب أن تنقضي، وأنه قد استحق ثواب الله سبحانه وتعالى على صبره، فبدأ بتوبيخهم على ما فعلوا به وبأخيه.

﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ عندما وبخهم على ما فعلوا أمعنوا النظر إلى وجهه وتحققوا في ملامحه، وعرفوا أنه هو؛ فسألوه حينئذٍ وكان استفهامهم هذا لتقرير(٢) شيء قد ثبت عندهم حقيقته، وكانوا من قبل لا يفكرون في ذلك، ولا يتخيلون أن يكون يوسف هو عزيز مصر، وعندهم أنه من المستحيل أن يكون قد بلغ تلك المرتبة حتى يفكروا في ذلك ولو كانوا يرون نفس ملامح يوسف فيه، وغاية ما في الأمر أن يكونوا قد شبهوه بأنه من بيت نبوة؛ لما يرون من الصفات التي يحملها من الإيمان والكرم وحسن المعاملة التي لا يحملها إلا ذوو الأقدار الرفيعة.

﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ قد أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بالصحة والسلامة والاجتماع.

---

(١)-**سؤال:** لماذا أطلق عليهم الجهل؟ هل المراد عدم علمهم أو المراد تجاهلهم أم كيف؟

الجواب: أطلق عليهم الجهل ليخفف عليهم صدمة المفاجأة بما يجري مجرى العذر لهم فيما فعلوا، والمراد بالجهل أنهم فعلوا ما فعلوا قبل أن تكبر مداركهم وتستحكم عقولهم في معرفة الحسن والقبيح.

(٢)-**سؤال:** من أين نفهم أن استفهامهم للتقرير؟

الجواب: يفهم من تأكيدهم للجملة بالاسمية وإنَّ واللام مع السياق.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ۝﴾(١) يخبرهم بما وصل إليه من الكرامة والرفعة والعزة وقال لهم: إن ذلك حصل بسبب الصبر وتحري تقوى الله، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين، غير أن الله سبحانه وتعالى لعلمه وحكمته قد يدخر أجر بعضهم ليوم القيامة لحكمة ومصلحة يعلمها، وهي أنه لو أعطاه أجره في الدنيا؛ لكان ذلك سبباً في بعده عن الله سبحانه وتعالى وهلاكه وخسارته للآخرة.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ۝﴾(٢) أيقنوا حينئذ أن الله سبحانه وتعالى قد فضله، ورفعه عليهم، واعترفوا له بخطأ ما صنعوه به.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أخبرهم بأنه لن يؤاخذهم على ما فعلوه ولن يعاقبهم أو يذكر ذنبهم.

﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ۝﴾(٣) أمرهم أن يستغفروا الله سبحانه وتعالى، وأن يتوبوا إليه، وسيتوب عليهم.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالإحسان هنا الإجادة في العمل أم الإحسان الشرعي أم عبادة الله كأنك تراه؟

الجواب: المراد هو الإحسان في عبادة الله وحسن طاعته.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ۝﴾؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ۝﴾ في محل رفع خبرها واللام هي الفارقة.

(٣)-**سؤال:** هل هو دعاء لهم بالمغفرة أم أنه أمر لهم بها كما يبدو من كلامكم أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: ذلك إرشاد لهم إلى طلب المغفرة من الله، فمغفرته مرصدة للمستغفرين وباب التوبة مفتوح للتائبين، وهو أرحم الراحمين، وقد يكون يوسف عليه السلام التمس منهم الندم والتوبة حين قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ۝﴾ فاستغفر لهم فيكون ذلك دعاءً لهم بالمغفرة.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴿٩٣﴾﴾ وأمرهم أن يذهبوا بقميصه إلىٰ أبيه؛ فإذا شمه فسيعود إليه بصره، كرامة من الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه، وأمرهم أيضاً أن يأتوا بأهلهم وجميع ما معهم ليسكنوا عنده في أرض مصر.

وكانت هذه المرحلة هي بداية استيطان بني إسرائيل لأرض مصر، فقد دخلوا مصر وهم اثنا عشر رجلاً وأبوهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولادهم، ولم يخرجوا إلا في عهد موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم ألوف.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴿٩٤﴾﴾ فما إن خرجت العير من أرض مصر حتىٰ بدأ يعقوب يشم رائحة يوسف وخاطب من عنده بأنه لولا أنكم ستتهمونني بالخرف وضياع العقل لأقسمت أن يوسف علىٰ مقربة منا(١).

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴿٩٥﴾﴾ فقال الحاضرون عنده: تالله إنك لتتكلم في غير الصواب وتتحدث عن أوهام وخيالات ناتجة عن هيامك بحب يوسف وغرامك به، وفي الحقيقة فقد كان في كامل قواه العقلية، وكان كلامه عن ثقة ويقين؛ لإلهام قد ألهمه الله سبحانه وتعالىٰ إياه.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ فما إن شمّ ريح القميص ذلك حتىٰ عاد عليه بصره. **والبشير**: هو الذي ينقل الخبر السار إلىٰ من يسترُّ به، وقد قيل: إن البشير أحد أولاد يعقوب.

---

(١)-**سؤال:** يقال: بأن يعقوب كان آنذاك في الشام فهل هذا صحيح؟ وبماذا يفسر؟

الجواب: الظاهر أن يعقوب اشتم رائحة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حين خرجت القافلة (العير) من مصر مباشرة قبل أن تدخل أرض الشام، وفي هذا معجزة كبرىٰ لنبي الله يعقوب، وإعلام من الله له بأن الفرج قد قرب وحصلت مؤشراته، وفيه أيضاً بيان كرامة ولده يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ وعظيم منزلته ورفعة شأنه وقدره عند الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ۝٩٦﴾ وكانوا يتهمونه بالخرف والهجر، وأنه قد رجع إلى ضلاله القديم في يوسف حين كان يقول لهم إنه ما زال حياً، وإنه سيعود فليبحثوا عنه؛ فعند ذلك زجرهم على ما كانوا يرمونه به، ووبخهم على ما كانوا يرمونه به من الضلال في حديثه عن يوسف، وأن يوسف لا يزال حياً وأنهم لم يصدقوه، فها هو كلامي ذلك يتحقق؛ فانظروا لقد عاد يوسف، وها هو من يبشرنا به، وأخبرهم أن الله سبحانه وتعالى هو الذي كان يلهمه ذلك.

﴿قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ۝٩٧﴾ ندموا على ما فرط منهم فيه، وفي أخيهم يوسف، وطلبوا من أبيهم أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى فيطلب لهم المغفرة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝٩٨﴾ ووعدهم بأنه سوف يستغفر لهم، كأنه أجّل ذلك إلى وقت يكون الدعاء فيه مستجاباً، ولم يسأل الله سبحانه وتعالى وقت طلبهم كما ذكرت الآية[1].

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ عندما خرجوا من الشام مع أهاليهم إلى أرض مصر، ودخلوا على يوسف- ضم أبويه إليه، وقبّلهما وأجلسهما بجنبه، وكأنَّ ذلك الاستقبال كان خارج أرض مصر يدل على ذلك سياق الكلام بعده.

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ۝٩٩﴾ بعد أن استقبلهم ذلك الاستقبال سار بهم نحو مصر.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أجلسهما على السرير، ثم سجد له

---

(١)-**سؤال:** هل هو صحيح أنه أخر الاستغفار إلى الثلث الأخير من الليل؟

الجواب: قد روى ذلك والله أعلم بصحته، إلا أن الأولى والأحسن في حمل تأخير الاستغفار وتفسيره على أنه كان من أجل أن يكون في وقت إجابة.

إخوته بعد ذلك وأبواه، وسجودهم ذلك كان لله سبحانه وتعالىٰ، وقد كان في شريعتهم جواز التحية بالسجود لله سبحانه وتعالىٰ(١).

﴿وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ تذكر حينها رؤياه تلك التي رآها أيام صباه، وأشار إلىٰ أبيه كيف أن تلك الرؤيا قد تحققت.

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾(٢) يعدد يوسف عليه السلام نعم الله سبحانه وتعالىٰ عليه وعلىٰ أبيه وإخوته.

﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ

---

(١)-**سؤال:** يقال: إذا كان هذا السجود لله فأي تعظيم فيه للمسجود له؟

الجواب: كان يوسف عليه السلام كالكعبة (البيت الحرام) التي يتوجه الناس إليها في صلاتهم وركوعهم وسجودهم تعظيماً وتشريفاً لها مع أن الصلاة والركوع والسجود لله، فعلىٰ هذا يحمل سجود أبوي يوسف وإخوته، وسجود الملائكة لآدم.

(٢)-**سؤال:** قد يقال: ما الداعي إلىٰ تسمية أرض الشام بدواً؟ وما هو الضابط في التسمية؟ وهل في الآية دليل علىٰ تفضيل القرية علىٰ البدو؟ وما وجه ذلك؟ وهل يتعارض مع دليل العزلة أم لا؟

الجواب: كان يعقوب وأولاده يسكنون أرض كنعان وهم أهل مواش وبرية، وقد كان ليعقوب مواشٍ يرعاها أولاده كما في أول السورة، وأهل الشام بدو وحضر. والبدو: هم الذين يتتبعون منابت الأعشاب للرعي فيها، فإذا أجدب المكان الذي نزلوه انتقلوا بخيامهم وأغنامهم إلىٰ مكان آخر تتوفر فيه المراعي. وفي الآية دليل واضح علىٰ فضل القرية علىٰ البداوة، وهناك أدلة أخرىٰ علىٰ ذلك مثل قوله تعالىٰ: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [التوبة:٩٧]. والوجه في تفضيل القرىٰ علىٰ البداوة هو أنها تتوفر في القرىٰ المصالح الدينية والدنيوية، وفيها تزكو العقول والأخلاق، وفيها مدارس العلم والعلماء وطلبة العلم ومساجد الجمع والجماعات، وفيها أسباب التعاون علىٰ الخيرات والطاعات و...إلخ. أما فضل العزلة فهو مترتب علىٰ حصول سببها وهو ظهور الفساد وسيطرته علىٰ المساجد والمدارس في القرية وفساد أهلها، فإذا حصل مثل ذلك فالبداوة أفضل والابتعاد عن القرية وأهلها أولىٰ وأفضل. فعلىٰ هذا فلا تعارض ففضل القرىٰ عام لجميع الأحوال وفضل العزلة خاص ببعض الأحوال.

﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ وأن الله سبحانه وتعالىٰ هو الذي دبر هذه الأمور بلطفه، وهيأ الأسباب إلىٰ أن ساقهم إليه، وأصبحوا علىٰ هذه الحال.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّالِحِينَ﴾ بعد أن عدد النعم التي أنعم بها الله سبحانه وتعالىٰ عليه وعلىٰ أهله- حمد الله سبحانه وتعالىٰ، وأثنىٰ عليه؛ لما أنعم عليهم، ثم دعا الله سبحانه وتعالىٰ أن يميته صالحاً، وأن يدخله في مداخل الصالحين(١).

وهذه هي نهاية قصته وما كان من شأنه، ختمها الله سبحانه وتعالىٰ بخاتمة كل إنسان التي لا بد منها وهي الموت، وفي هذا من البديع(٢) ما لا يخفىٰ علىٰ أهل البلاغة والفصاحة، ثم انتقل بعد ذلك إلىٰ خطاب النبي ﷺ فقال: ﴿ذَلِكَ مِنْ

---

(١)-**سؤال:** هل يؤخذ من هذا أنه ينبغي للمؤمن أن يستمر في دعائه بالثبات علىٰ الصلاح إلىٰ الموت؟

الجواب: نعم يؤخذ منها ذلك، بل إن الدعاء بالثبات والتوفيق والتسديد إلىٰ الموت من أعظم المطالب، أو أعظم المطالب وأوجبها علىٰ المؤمن؛ لذلك أوجب الله تعالىٰ علىٰ كل مؤمن أن يدعو في صلاته: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، فأسباب الهلكات بين يدي المؤمن وعن يمينه وشماله ولا يمكن للمؤمن التحفظ من الوقوع فيها إلا بمعونة الله وتوفيقه وتسديده والاعتماد عليه والالتجاء إليه وإظهار الضعف والعجز بين يديه والدعاء والتضرع لطلب معونته وتوفيقه وتثبيته.

(٢)-**سؤال:** لو ذكرتم شيئاً من البديع في خاتمة هذه القصة لكان مناسباً؟

الجواب: ختمت قصة يوسف بهذه الآية: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى...﴾ ووجه الحسن والإبداع في هذه الخاتمة:

- أنها تؤذن بنهاية قصة يوسف مع أبيه وإخوته.
- وتشير إلىٰ نهاية ما ابتلي به من المحن المتلاحقة.
- واعتراف يوسف بنعمة الله عليه حيث مكنه في الأرض وأعطاه من الملك واصطفاه للنبوة وعلمه من تأويل الأحاديث يؤذن بأن قصته في الحياة الدنيا علىٰ نهايتها.
- ودعاؤه بأن يتوفاه الله علىٰ دين الإسلام وأن يلحقه بالصالحين يشير إلىٰ نهاية قصته في الحياة.

أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأن هذه القصة من أخبار الغيب التي لا يعلمها(١) إلا الله سبحانه وتعالى وحده قد أطلعه على تفاصيلها.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴿١٠٢﴾﴾ أخبره أن هذه قصته وشأنه مع إخوته قد أوحيناها إليك؛ فلم تكن عندهم وقت تدبير حيلتهم تلك، وما اجتمعوا عليه في شأنه حتى تعرف أخبارهم، وما جرى لهم لولا أننا أعلمناك.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴿١٠٣﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن الكثرة من الناس لن يؤمنوا عندما تقص عليهم هذه القصة، مع أنهم كانوا يعلمون أنه كان أمياً لم يختلط بأهل الكتاب، ولم يتعلم عندهم أو يجالسهم حتى يزعموا أنهم نقلوا ذلك إليه، أو سمعه عنهم من التوراة والإنجيل، ويعلمون أيضاً أن هذه السورة نزلت عليه وهو لا يزال في مكة بين ظهرانيهم، ولم يكن قد حصل منه أي لقاء بهم.

أخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم لن يؤمنوا؛ وقد كان ﷺ حريصاً على إيمان قومه أشد الحرص مع امتناعهم أشد الامتناع؛ فأخبره الله سبحانه وتعالى بذلك ليقطع طمعه في إيمانهم، ولئلا يتعب نفسه في ملاحقتهم، وليعلم أنهم سيموتون على كفرهم وضلالهم.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴿١٠٤﴾﴾(٢) فلم تطلب يا

---

(١) **سؤال:** هل من الممكن أن يعلم بهذه القصة من قرأ في زمن النبي ﷺ في الكتب السابقة؟

الجواب: قصة يوسف موجودة في الكتب السابقة إلا أنه قد دخلها التحريف والتبديل فلا وثوق بها، وقد جاء الله تعالى بالحق من قصة يوسف عليه السلام، وذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا هو.

(٢) **سؤال:** يقال: كيف يجمع بين هذه الآية ونحوها وبين قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]؟

الجواب: تخص هذه الآية بما خصت به ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

محمد منهم الأجر على تبليغهم الدعوة، وتعليمهم معالم دينهم حتى يمتنعوا من الاستجابة والإيمان بك، هروباً من الأجر.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴿١٠٥﴾﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة الآيات الدالة عليه التي يمر المشركون عليها ويشاهدونها؛ فلا يعتبرون بها، ولا يتفكرون فيها، وإنما يعرضون عنها.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴿١٠٦﴾﴾[2] وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن أكثرهم إذا آمن وصدق بالله فإنه يشرك معه غيره.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴿١٠٧﴾﴾[3] استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم عدم إيمانهم، فهل هم آمنون من

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ ءَايَةٍ...﴾ بالتفصيل؟

الجواب: «كأين» خبرية، «من آية» تمييز لـ«كأين» بمعنى: آيات كثيرة، وكأين مبتدأ مبني على السكون في محل رفع، و﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جار ومجرور صفة لآية، والخبر هو جملة: ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴿١٠٥﴾﴾.

(٢)-**سؤال:** يقال: فما رأيكم فيما روي عن الإمام زيد بن علي عليهما السلام أن هذه الآية في المشبهة من أهل القبلة؟

الجواب: نزلت هذه الآية في مكة قبل وجود المشبهة في الإسلام، والذي يظهر لي -والله أعلم- أن مقصود الإمام زيد عليه السلام أن هذه الآية صادقة على المشبهة من أهل القبلة وأنهم داخلون في عمومها، ودليل دخولهم في عمومها أن الذي يشبه الله تعالى بخلقه هو في الواقع يعبد غير الله، ومن عبد غير الله فهو مشرك.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب ﴿بَغْتَةً﴾؟ وما نوع اسميتها؟ وهل قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴿١٠٧﴾﴾ تكرير لها؟

الجواب: «بغتة» أي: تبغتهم بغتة، فبغتة مصدر منصوب، والجملة حالية، أي جملة: تبغتهم بغتة. وجملة «وهم لا يشعرون» حالية أيضاً، و«بغتة» مصدر بغته يبغته بغتةً وبغتاً، ومعنى الحال الثانية هو بمعنى الحال الأولى.

نزول عذابه بهم لإصرارهم على الكفر والتكذيب، أو هم آمنون من حلول الساعة بهم؟ فمن شأن العاقل أن يتجنب المخاوف ويبتعد عنها.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ أخبرهم يا محمد بأن سبيلك التي تسلكها وطريقتك هي الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده، ونبذ الأصنام.

﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾(١) وأنا على حجة واضحة وأدلة قاطعة تدل على صدق دعوتي هذه التي أدعوكم إليها، وليس كشأن المشركين في ادعائهم إلهية الأصنام التي يعبدونها؛ فلا حجة لهم ولا برهان، وإنما يعبدون كما يعبد آباؤهم من دون حجة ولا دليل.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴿١٠٨﴾﴾ تعالى الله أن يكون معه شريك، وأخبرهم يا محمد أنك لا تشرك به أحداً في عبادتك.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا(٢) نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ استنكرت قريش أن يكون من البشر نبياً، وزعموا أنه لا يصح أن يكون إلا من الملائكة أو من

---

(١)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ و﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾؟

الجواب: جملة «أدعو إلى الله» تفسير للسبيل فلا محل لها من الإعراب لأنها في جواب سؤال مقدر. ويجوز أن تكون في محل نصب حال من الياء في «سبيلي».

و«على بصيرة» جار ومجرور متعلق بـ«أدعو» أو بمحذوف حال من فاعل «أدعو»، و«أنا» ضمير رفع مؤكد لفاعل أدعو، و«من» اسم موصول في محل رفع معطوف على فاعل أدعو، وفي هذه الآية إعرابات غير ما ذكرنا.

(٢)-**سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن الله تعالى لم يرسل امرأة قط فيقال إن مريم ليست نبية؟

الجواب: يؤخذ منها ذلك، وفعلاً لم يرسل الله تعالى امرأة، ولم يوح الله تعالى إلى مريم برسالة، وإنما أوحى الله تعالى يبشرها بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم، وأن الله اختارها واصطفاها لحمله من غير أب آية للناس ورحمة من عنده يكلم الناس في المهد وكهلاً وأنه رسول إلى بني إسرائيل و...إلخ.

جنس غير جنس البشر، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ أن يخبرهم بأن الرسل الذين قد أرسلهم قبله ليسوا إلا رجالاً.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء الرسل الذين قد أرسلهم من أهل القرى وليسوا من البوادي، وذلك لأن أهل القرى أفطن وأزكى وأكمل عقولاً، وذو أحلام وأخلاق حسنة وتجارب في الأمور، على الخلاف مما عليه أهل البوادي؛ لأنهم يكونون في عزلة عن الناس غير مختلطين بهم، مما يؤدي ذلك إلى صلابة في طبائعهم وخشونة، وغلظة فيهم[1].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك وعدم إيمانهم، وكيف ذلك وقد ساروا في الأرض، ورأوا آثار أهل تلك القرى الذين كانوا قبلهم كقوم عاد وقوم ثمود وقوم لوط وغيرهم؛ فلماذا لم يعتبروا بهم، وقد رأوا ما حل بهم بسبب تكذيبهم بأنبيائهم؟ والاستفهام للتقرير، أي: بلى قد ساروا في الأرض، وقد رأوا ما حل بمن كان قبلهم.

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠٩﴾ فهي أفضل للمؤمنين من دار الدنيا، يحث الله سبحانه وتعالى عباده على النظر والتفكر بعقولهم، واستنكر عليهم كيف يختارون الدنيا الفانية على الأخرى الباقية.

﴿حَتَّى[2] إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** إذا قيل: إن هناك سلبيات لسكنى القرى من عواقب الاختلاط وانحطاط الشهامة والمروءة عندهم فكيف مع ما سبق؟

الجواب: مع سلبيات القرى وما فيها من أسباب الانحطاط فإنها لا تخلو عادة ممن هو أهل لحمل العلم، فقد بعث الله محمداً ﷺ من مكة وأهلها الغاية في الضلال والانحطاط.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب «حتى» في هذه الآية؟ وما معناها؟

الجواب: «حتى» ابتدائية وهي للغاية، وتقدير ذلك: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً.. فتراخى نصرهم حتى إذا استيئسوا.

سبحانه وتعالىٰ أن النصر والفرج لا يأتي لأنبيائه ورسله إلا بعد أن يبتليهم ويمحصهم، ويختبر صبرهم، وأن ذلك لا يأتيهم إلا عندما يصيبهم اليأس والإحباط من إيمان قومهم، وإصرارهم علىٰ التكذيب.

﴿فَنُجِّيَ[1] مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴿١١٠﴾﴾ ثم ينزل الله سبحانه وتعالىٰ عذابه بعد ذلك علىٰ المشركين وينجي أنبياءه ومن آمن معهم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه يقص هذه القصص، وفيها العبر والمواعظ للذين يتفكرون بعقولهم، ويتركون اتباع شهواتهم وأهوائهم.

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ وأن هذا القرآن ليس كسائر الكلام والأساطير، بل كلام حق وصدق، وحجته ظاهرة فيه؛ فمن سمعه شهد بصدقه، وعلم بعده عن الكذب والافتراء.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[2] ولكنه مصدق لما سبقه من التوراة والإنجيل، ولم يأت بشيء مخالف مما يدل علىٰ أنه حق وصدق مثلهما، وأنه أنزل من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

ويؤيد ذلك أن النبي ﷺ جاء بالقرآن وهو في مكة، ولم يكن قد اختلط بأهل الكتاب، ولا عرفهم ولا جالسهم، وكان هذا القرآن الذي جاء بهم مصدقاً لكتبهم، وموافقاً لها في جملة شرائعها وأحكامها، فكيف يستطيع أن يأتي بكتاب من عنده يكون موافقاً للكتب السماوية.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿فَنُجِّيَ﴾ فعل ماض أو مضارع؟

الجواب: «نجي» فعل ماضٍ لأن السياق يرشد إليه.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَصْدِيقَ﴾؟

الجواب: يعرب خبراً لكان محذوفة مع اسمها، أي: ولكن كان تصديق الذي بين يديه.

﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفيه تفصيل وتبيين لجميع مهمات أمور الدين وأصوله(١)، وتفصيل كيفية بداية الخلق والرزق، ومكان العرش قبل خلق السماوات والأرض، وكيفية خلق آدم وحواء، وسجود الملائكة، وهو نفس ما هو موجود في التوراة والإنجيل.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴿١١١﴾﴾ فهو يدل على الطريق المستقيم، ويهدي الناس إلى طريق الحق والصواب الموصل إلى السلامة والنجاة، وفيه أيضاً منافع المؤمنين، فما من شيء شرعه الله سبحانه وتعالى لهم إلا وكان فيه مصلحة عظيمة لهم، ولو كانوا لا يعلمونها، وكم قد اكتشف العلم الحديث من هذه النعم والمنافع والمصالح؛ فمثلاً شرع الوضوء والصلاة فقد اكتشف الطب أن في ذلك وقاية من

---

(١)-**سؤال:** هل نفهم من هذا أننا قد نحتاج إلى السنة المطهرة في تفصيل بعض الأحكام الشرعية كأنصباء الزكاة وقدر الديات والأروش ونحو ذلك؟

الجواب: نعم، فقد اشتملت السنة المطهرة على تفاصيل كثيرة لكثير من الأوامر المجملة الواردة في الكتاب العزيز، ككيفيات الصلاة، وبيان فروضها وشروطها ومفسداتها، وأنصباء الزكاة في الذهب والفضة والأنعام الثلاث، وما أخرجت الأرض وبيان القدر المخرج منها، وبيان وجوبها في أموال التجارة والعسل وغيرها، وتفصيل مناسك الحج وبيان المواقيت والمحظورات فيه وغير ذلك، وفيها بيان شروط النكاح وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ونحو ذلك، وتفاصيل بعض أحكام الطلاق والخلع واللعان، وشيء كثير من تفاصيل أمور المعاملات والجنايات ومقادير الديات والأروش، وتماماً كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ [النحل:٤٤]، وقوله: ﴿**وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧]، وقال سبحانه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ**﴾ [الأحزاب:٢١]؛ لذلك أخبر تبارك وتعالى بأن في الكتاب تفصيلاً لكل شيء لَمَّا كان فيه الأوامر العظيمة بالتزام أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجتناب نواهيه، ولزوم التأسي بأفعاله، ونحو ذلك.

كثير من الأمراض وأن في حركات الصلاة رياضة للجسم، وأن المرء لو ترك تلك الحركات لأصيب بكثير من الأمراض، وأن في الجسم خلايا لا تتفتح إلا إذا تحرك الجسم تلك الحركات المخصوصة.

يحكى أن مريضاً مسلماً دخل على بعض الأطباء في بلاد كفرية يعالج أذنه من ألم كان فيها؛ فكشف على أذنه عدة أيام، وكان كلما كشف الطبيب على أذنه وجدها نظيفة، فيتعجب من ذلك؛ لأنه خلاف ما كان يراه في أهل بلاده كونهم كفاراً فسأله عن ذلك، فأخبره بأن ديننا الإسلام قد أمرنا بذلك، وأن نغسلها عدة مرات في اليوم؛ فعرف هذا الطبيب أن هذا الدين هو دين الرحمة للناس، والمراعاة لمصالحهم، وأسلم من حينه.



سورة الرعد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿المر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ يشير الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ تفخيم هذه السورة لما اشتملت عليه من الآيات الواضحة المنيرة التي فيها البينات والحجج التي تكشف عن صدقه، وفيها حث علىٰ النظر والتفكر في هذه الآيات، واستنكار علىٰ من أعرض عنها.

﴿وَالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأن القرآن الذي أنزله إليه هو الكلام الحق والصدق، وليس خرافات وأساطير الأولين كما يزعمون.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١﴾ فقد عرف المشركون ذلك، وأنه حق وصدق، ولكنهم استكبروا عن الإيمان به، وأعرضوا وتمردوا.

﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[1] يثير الله سبحانه وتعالىٰ عقول المشركين وغيرهم إلىٰ أن ينظروا إلىٰ السماء فوقهم، فمن الذي رفعها وأمسكها بغير عمد تعتمد عليه، وأخبرهم أنه قد جعلها آية ظاهرة أمام أعينهم معلقة فوقهم بكواكبها ونجومها بلا مانع يمنعها من السقوط إلا قدرته سبحانه، فلماذا لا يؤمنون بالذي رفعها وأمسكها من السقوط بقدرته؟

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ خلق الله سبحانه وتعالىٰ السماوات والأرض ثم سيطر عليها بقدرته، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ وحثهم

---

(١)—**سؤال:** من فضلكم ما محل جملة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ الإعرابي؟ وما ينبني علىٰ هذا الإعراب من معانٍ؟

الجواب: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ مستأنفة لا محل لها من الإعراب أي: أنكم ترونها مرفوعة بلا عمد، ويجوز أن تكون الجملة في محل جر صفة لعمد، أي: أن الله تعالىٰ رفع السماوات بغير عمد مرئية، أي أنه رفعها بعمد من قدرته، أي: أن قدرته هي التي أمسكت السماوات.

أيضاً أن ينظروا إلى الشمس والقمر هاتين الآيتين الظاهرتين أمامهم، وفي مجيئهما وذهابهما على تقدير في دقة متناهية لا تختلف عن مسارها ذلك منذ أن خلق الله السماوات والأرض وستظل كذلك إلى يوم القيامة.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾(١) وأخبرهم أن تدبير أمور السماوات والأرض وما بينهما من الخلق والرزق والحياة والموت والمطر والرياح وإخراج الثمر والنبات بقدرته وعلمه وحكمته.

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ۝﴾ فصل الله سبحانه وتعالى لنا هذه الآيات الدالة عليه وعلى جلاله وعظيم قدرته- لنؤمن به وبلقائه وحسابه وجزائه، وقد نزلت هذه السورة في مكة بين المشركين يخاطبهم الله سبحانه وتعالى بها لإعراضهم وتمردهم عليه.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ وأخبرهم أنه وحده هو الذي مد لهم الأرض وبسطها، وهيئها لمعيشتهم؛ فما بالهم يعدلون عن عبادته إلى عبادة الأصنام التي لا قدرة لها أصلاً؟

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾(٢) وهو الذي خلق على ظهرها الجبال الراسية لتثبيتها وإمساكها، وهو الذي أنزل لهم المطر، وأنبت لهم به أنواع الثمار.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ وهو الذي جعل ظلمة الليل تغطي ضوء النهار؛

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾؟

الجواب: جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

(٢)-**سؤال:** هل يلزم أن لا يوجد نوع من أنواع الثمار إلا ويوجد معه زوجة بمثابة الأنثى طبقاً لهذه الآية؟

الجواب: المراد في الآية أن كل ثمرة خلقها الله تكون صنفين أي: نوعين أو أكثر، فالعنب أصناف كثيرة والتمر أنواع، و... إلخ، ولا يوجد ثمرة على وجه الأرض من نوع واحد.

يدعوهم الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أن يتفكروا ويتدبروا في ذلك، ليرجعوا عن غيهم وشركهم إلىٰ فاطر السماوات والأرض.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ۝٣﴾ أخبرهم الله سبحانه وتعالىٰ أن فيما ذكر آيات ودلالات واضحة علىٰ قدرته وعظمته وسيطرته علىٰ ما في السماوات والأرض لمن تفكر ونظر وتأمل.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ﴾ أراد بذلك البساتين والأراضي الزراعية المتنوعة في زراعتها.

﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ وأخبر أن فيها بساتين النخل، وأن هذه النخل صنوان وغير صنوان، فالصنوان هي النخلة التي يخرج من عرضها نخلة مثلها متفرعة منها، وغير الصنوان هي المفردة التي لم يخرج منها ذلك.

﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ وأخبر أن هذه البساتين المتنوعة تسقىٰ بنفس الماء.

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ ومع ذلك تتفاوت في طعمها ونكهاتها، يبعث الله سبحانه وتعالىٰ هنا المشركين علىٰ النظر والتفكر في هذه القطع المتجاورات، وأصناف ما تنبته وتخرجه من الثمار المختلفة والمتنوعة، من هو الذي خالف بينها، وميز بين طعومها وألوانها، مع أنها تسقىٰ بماء واحد وفي تربة واحدة؟

يستنكر الله سبحانه وتعالىٰ عليهم لماذا لا يؤمنون بمن ظهرت فيهم آيات قدرته وآيات علمه ورحمته.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ۝٤﴾ فانظروا وتفكروا في ذلك، وستعرفون أنه لا بد من قدرة قادر عليم تدبر هذه الأشياء، وتخالف[1] بينها في منتهىٰ الدقة والإحكام.

---

(١)-**سؤال:** هل ما دلت عليه هذه الآية هو ما يعبر عنه علماء الكلام بدليل الاختلاف؟

الجواب: نعم ذلك هو دليل الاختلاف.

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾(١) يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه إذا تعجب من شيء فليتعجب من قول المشركين: ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لأنهم قد استنكروا كيف يصح أن يردهم الله سبحانه وتعالى أحياءً وقد صاروا تراباً؟

ففي قولهم هذا العجب العجاب؛ فكيف لا يستطيع أن يعيد خلقهم!! وقد خلق ودبر أمر السماوات والأرض، وأخرج البساتين والثمار المختلفة والمتنوعة مع أنها تنبت في تراب واحد وتسقى من ماء واحد؟ أليس من قدر على ذلك، وقدر على خلقهم من العدم قادر على أن يعيد خلقهم مرة أخرى؟ فإن كنت متعجباً يا محمد من شيء فتعجب من زعمهم هذا الكاذب، واتهامهم لله جل وعلا بالعجز وعدم القدرة، مع ما كان منه من كل تلك الآيات الظاهرة الدالة على عظيم قدرته.

﴿أُولَئِكَ(٢) الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن هؤلاء الذين يتهمون الله سبحانه وتعالى، ويشككون في قدرته- هم الذين كفروا بربهم.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ۝﴾ فبكفرهم بربهم سيغل الله سبحانه وتعالى أيديهم إلى أعناقهم، ويسحب بهم إلى نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ كان المشركون يسألون النبي ﷺ أن يعجل لهم العذاب الذي توعدهم به على كفرهم.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾؟

الجواب: ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ جملة جواب الشرط وهي في محل جزم، و«عجب» خبر مقدم، و«قولهم» مبتدأ مؤخر.

(٢)-**سؤال:** هل للإشارة بأولئك إلى من ذكر نكتة فما هي؟

الجواب: النكتة في الإشارة المذكورة أنهم أبعدوا في الكفر وتوغلوا فيه، وأنهم استحقوا الأغلال والخلود في عذاب النار كبعدهم في الكفر وذهابهم فيه إلى غاية بعيدة.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ يُعَجِّب الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من شأنهم هذا كيف يستعجلون نزول العذاب بهم وهم يرون ما حل بالأمم السابقة التي كانت قبلهم ويرون آثارهم؟ وأن هذا من سخافة عقولهم، والمثلات هي: الأيام التي مَثَّلَ اللهُ سبحانه وتعالى بأصحابها وعذبهم فيها وعاقبهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ۝٦﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أنه لا يعجل بإنزال عقوبته وعذابه بالعصاة مع أنهم قد استحقوا ذلك، بل يمهلهم ويؤخرهم، والتمهيل هو المراد بالمغفرة في الآية(١).

وأخبر أنه إذا أنزل عقابه بأحد فإن عقابه يكون شديداً؛ فليحذروه وليحذروا عقابه.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ يقول الكافرون لو كان محمد نبياً كما يزعم لكان معه آية من ربه تشهد بصدقه، مع أنه قد جاءهم بالآيات الواضحة والحجج القاطعة غير أنهم لم يعتدوا بها وكذبوها وعاندوا مع معرفتهم بصحة ما جاء به واستيقانهم لصحة ما جاءهم به من الآيات.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾(٢) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه لم يرسله إلا لينذرهم فقط، وليس عليه أن يأتيهم بما يقترحون من الآيات، فلن يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل لهذا المعنى (أن المغفرة التمهيل) دلالة تؤيده من كلام العرب أو نحوها فقد يحتاج المقام لذلك؟

الجواب: المغفرة: هي ترك المؤاخذة بالذنب، والتمهيل: هو ترك المؤاخذة للمجرمين بإجرامهم في مدة الحياة الدنيا؛ لذلك فالتمهيل هو من مسميات المغفرة. وفي هذه الآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد:٦]، لا يصح تفسير المغفرة ﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ...﴾ إلا بالتمهيل لهم وعدم مؤاخذتهم حالاً.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما الوجه في فصل هذه الجملة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ عما قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها ليست من مقول قول الذين كفروا، وهي جملة مستأنفة وقعت جواباً على قولهم.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ۝٧﴾ وأخبره بأنه يبعث لكل قوم من يهديهم إلى طريق الحق، وأنت يا محمد هادي[١] هذه الأمة لو كانوا يهتدون.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى المشركين عن مدى علمه وإحاطته بكل شيء، وأنه يختص بعلم ما تحمله كل أنثى، وما تغيض أرحامهن وتنقصه، وما يزداد فيها من الحمل، وهل بواحد أم باثنين أم بأكثر من ذلك؟ وهل هو حي أم ميت[٢]؟

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ۝٨﴾ وكل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى فهو على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من غير زيادة ولا نقصان.

فانظر لخلق الإنسان، وما في تركيبه من الإتقان العجيب، والتناسق البديع، وكونه على هذه الهيئة والصفة والتقدير، فانظر إلى خلق اليدين مثلاً لو أن اليد كانت أطول مما هي عليه كيف يكون حاله ومنظره، وأيضاً لو كانت أصغر مما هي عليه كيف يكون منظره وحاله؟

---

(١)-**سؤال:** هنا روايات متظافرة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المنذر وعلياً الهادي فما صحة ذلك؟

الجواب: الروايات صحيحة، وحقاً فعلي عليه السلام هو الهادي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمبين للأمة ما اختلفوا فيه من الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحق معه وهو مع الحق وهو خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والقائم مقامه، وهو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن و...إلخ.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل ما يعلم في زماننا بواسطة الأشعة ونحوها ينقض اختصاص الباري بعلم ما في الأرحام، أم أن لذلك معنى آخر؟

الجواب: لا منافاة ولا تناقض فالله سبحانه وتعالى يختص بعلم ما في الأرحام ونوع ما تصير إليه النطفة من ذكر أو أنثى، وعدده واحد أو أكثر، وكماله ونقصه، ولونه و..إلخ، وعلم ذلك محجوب عن البشر، فلا يعلم بواسطة الأشعة نوع الجنين وكماله أو نقصه إلا بعد أن يكتمل خلقه وتكوين جميع أعضائه، أي: حين يصير إنساناً كاملاً بجميع أعضائه ولم يبق بيننا وبينه إلا جلدة البطن وأغشية الأحشاء.

وكيف لو كان بغير شعر كيف يكون منظره؟ وكيف لو كانت عيناه على شكل غير شكلها هذا؟ وكذلك كل عضو في الإنسان إذا نظرت وتفكرت فيه ستجد أنه قد وضع في مكانه المحدد له على منتهى الدقة، وعلى حسب ما يوافق احتياجه في المعيشة.

وكذلك انظر إلى هذا الماء الذي ينزل من السماء فهو على قدر حاجة الإنسان والحيوان، وعلى حسب ما يوافق مصالحهم، فلو أنه زاد على ذلك القدر لكانت الفيضانات، ولاختلت أمور المعيشة، وانظر إلى الشمس لو أنها ارتفعت قليلاً عن مكانها لتجمدت الكائنات وانتهت، ولو أنها نزلت قليلاً لأحرقت من في الأرض، وأنها قد وضعت على حسب احتياج الإنسان ومصلحته، وكل ما في السماوات والأرض على هذا المنوال، وعلى قدر الحكمة والمصلحة.

ولو تتبعنا ذلك هنا وبسطناه على حسب ما يقتضيه المقام لاحتجنا إلى الكثير من الكلام.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ٤٩﴾ [القمر]، يعني على قدر الحكمة والمصلحة لا كما يزعم أولئك أن المعنى أن كل فعل يفعله الإنسان فهو من الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ والتقدير ذلك فهو صادر من العالم بما يحتاجه خلقه في الحاضر والمستقبل.

والغيب هو: الأمور المستقبلة والخفية الغائبة عن الحس، والشهادة هو: الأمر الحاضر المحسوس.

﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ٩﴾(١) فهو الكبير بعلمه المحيط بكل شيء، وبقدرته المسيطرة على كل شيء، وعظمته وملكه للسماوات والأرض وما بينهما، لا تلحقه

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل لحذف الياء هنا نكتة أو سبب أم لا؟ فلماذا حذفت؟

الجواب: تحذف الياء في مثل هذا للتخفيف، ولذلك نكتة زائدة هنا وهي مناسبة رؤوس الآي.

صفات النقص من التعب والإعياء، ولا الموت والفناء، ولا العجز ولا الجهل، فهذا هو معنى الكبير المتعالي.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾(١) فهو عالم بهما جميعاً، ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ۝١٠﴾ وعالم بمن هو متخف في ظلمة الليل، ومن هو سائر في وضح النهار لا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عن ضعف الإنسان، وأنه لا حول له ولا قوة حتى في نفسه، وأنه قد امتن على كل إنسان بأن سخر له ملائكة يحفظونه من المهالك والمصائب، ولا يرتفعون إلا عند حلول أجله.

والمراد أن للإنسان حافظاً يحفظه وهذا الحافظ هو من أمره تعالى(٢)، فقد يكون ملائكة وقد يكون غير ذلك، فكل شيء بقدرته تعالى، والمعقبات المراد بها أنها تتعقبه في كل أوقاته، ولا تنفك عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ عندما يكفر الإنسان نعم الله سبحانه وتعالى عليه ويبطر، ولا يشكر الله تعالى عليها فإن الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** ما هو إعراب: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾؟

الجواب: «سواء» خبر مقدم، و«منكم» متعلق بمحذوف حال من فاعل سواء، و«من أسر» اسم موصول مبتدأ مؤخر، و«سواء» مصدر بمعنى مستو.

(٢)-**سؤال:** يظهر من هذا أن: ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ«معقبات» فهل هو كذلك؟ وما الوجه في عدم تعلُّقِهِ بـ«يحفظونه»؟

الجواب: الأمر كذلك: فـ«من أمر الله» صفة لمعقبات، وليس متعلقاً بيحفظونه، والذي يرجح ما ذكرنا: اختلال المعنى أو فساده لو علقناه بيحفظونه، فإن الله تعالى إذا أراد أمراً فلا مرد له: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [هود:٤٣]، ولكن يجوز أن يتعلق الجار والمجرور بيحفظونه على تأويل «من» بمعنى الباء أو بمعنى «عن» أي: يحفظونه بأمر الله أو عن أمر الله.

سيرفع نعمه عنه، فينبغي للإنسان إذا أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بنعمة أن يؤدي حق شكرها، وشكره لله يكون بامتثال أوامره، والانتهاء عن مناهيه.

﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فإذا أراد الله سبحانه وتعالى إنزال مصيبة أو مكروه بقوم فلن يستطيع أحد[1] أن يدفع ذلك، ولا أي قوة في الأرض تستطيع رد ذلك، فلا مفر لهم منه إلا إليه.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴿١١﴾﴾ ولا ناصر لهم غير الله سبحانه وتعالى، فالأحسن لهم أن يرجعوا إليه، ويقلعوا عما هم عليه من الكفر والتمرد والعصيان.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[2] يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن البرق الذي نراه أنه من خلقه، ومن آيات قدرته، فبعض الناس يصيبه الخوف من رؤيته خشية أن يصيبه منه مكروه، وبعضهم يكون طامعاً في المطر، وما يأتي من الخير معه.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴿١٢﴾﴾ وأن هذه السحاب التي ترونها أمامكم المحملة بالماء، فالله سبحانه وتعالى هو الذي أنشأها وخلقها.

ينبه الله سبحانه وتعالى مشركي مكة بذلك لعلهم يرجعون إليه إذا نظروا وتفكروا فيها، ويتركون ما هم عليه من عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تغني شيئاً.

---

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن هذا صلة لما قبله؟ وأن المعقبات تمنع من حفظ الإنسان إذا أراد الله إنزال المكروه به؟

الجواب: الكلام متصل في المعنى بما قبله، وأن المعقبات التي تحفظ الإنسان لا تحفظ الإنسان مما يريده الله من السوء له.

(٢)-**سؤال:** يقال: هل من الممكن أن يراد حصول الأمرين جميعاً الخوف والطمع عند الناس جميعاً؟

الجواب: المراد هو ذلك أي: حصول الأمرين جميعاً عند الناس جميعاً أو على التوزيع كما ذكرنا فالكل صحيح.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ[(١)] وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بذلك أن الرعد يدل على عظمة منشئه وخالقه، وعلى رحمته بعباده وعظيم نعمته عليهم بالمطر الذي يخرج الله تعالى به لهم رزقهم، فمن نظر وتفكر في الرعد سبح الله وعظمه ونطق بحمد الله على ما رأى من عظيم النعمة بالرعد والمطر.

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بأنها تحمد الله وتسبحه خوفاً منه لمعرفتهم العظيمة به حق معرفته.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴿١٣﴾﴾ والله تعالى هو الذي يرسل الصواعق؛ فلماذا لا يؤمنون به مع آياته الكثيرة التي يرونها، ولماذا يصرون على كفرهم بربهم وهم يرون آثار قوته العظيمة وقدرته الشديدة، ومعنى «الْمِحَالِ»: القوة.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ هناك من يعبد الشمس ومن يعبد الأصنام ومن يعبد عيسى بن مريم، ومن يعبد البقر، و...إلخ، فأخبر الله تعالى ونبيه ذوي العقول بعد أن عدد آيات ربوبيته وآيات قدرته وآيات علمه ورحمته إلى أنه هو وحده الذي يستحق العبادة وأنه هو الذي يستحق أن تتوجه إليه الخلائق بالطاعة والخشوع والتذلل دون ما سواه من المعبودات.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ وأخبر الله سبحانه أن ما سواه من المعبودات عاجزة لا تنفع ولا تقدر على النفع.

﴿إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴿١٤﴾﴾ وأن دعوتهم للأصنام هذه ليست إلا كحال من يؤشر بيديه إلى الماء

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾؟ وهل يصح أن يحمل التسبيح على حقيقته أم لا؟ ولماذا؟

الجواب: الباء للملابسة والمصاحبة أي: متلبسة بحمده، والتسبيح الحقيقي لا يتأتى إلا من ذي روح عاقل.

من بعيد ويناديه بأن يأتيه ليشربه، فهل يستطيع هذا الماء أن يأتي؟ فدعوتهم هذه في ضلال وضياع.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ۝١٥﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى هنا أن ما في السماوات والأرض خاضع لله تعالى ومنقاد لمشيئته وإرادته من البشر وغيرهم من الملائكة والجن والحيوانات والنجوم والكواكب وغيرها، وأخبر أن بعض هذه الأشياء خاضع ومنقاد طوعاً كالملائكة وبعض الجن والإنس بمحض إرادتهم واختيارهم، والبقية خاضع له كرهاً كالنجوم والجبال والشجر والدواب أي أنها منقادة لإرادته ومشيئته، ولا اختيار لها في ذلك.

وذكره للظلال فقد أراد به الشمس لأنه ملازم لها ويعني به أن الشمس منقادة له في مسار واحد لا تختلف عنه أبداً منذ أن خلق السماوات والأرض، فالظلال منقاد لله تبعاً لانقياد الشمس.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يسأل المشركين من رب السماوات والأرض؟ وأخبره بأنهم[1] سيعترفون بأن الله خالقها ومالكها والمسيطر عليها.

﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ إذا اعترفتم بأن الله سبحانه وتعالى خالق السموات والأرض فلماذا تتخذون من دونه آلهة تعبدونها؟ مع أنها لا تملك لنفسها شيئاً من النفع، ولا تدفع عنها شيئاً من الضر، فضلاً عن أن تنفع غيرها، أو تدفع عن غيرها ضراً أو مكروهاً.

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم هذا مع أن الأمر الإلهي «قل» ظاهر في أن يجيب هو ﷺ؟
الجواب: جواب النبي ﷺ هو حكاية لإقرارهم: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، ولذا جاء بعدها: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ...﴾.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ فأخبروني إذاً هل يستوي الأعمى والبصير؟ وهل يعدل العاقل إلى تفضيل الأعمى على البصير، وإلى اختيار الظلمة على النور؟ فما بالكم تعدلون إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وتتركون عبادة رب السماوات والأرض؟

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾، يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم عبادتهم للأصنام فهل خلقت هذه الآلهة كخلق الله حتى اشتبه عليكم خلق الله من خلق ذلك الإله الآخر فذهبتم تعبدونه مع الله لأجل ذلك.

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ١٦﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبرهم أنه ما دام أنكم قد اعترفتم بالله سبحانه وتعالى، وأنه خالق السماوات والأرض- إذاً فهو وحده المختص بالإلهية، والمستحق للعبادة لا شريك معه في ذلك، فلأي سبب عدلتم إلى عبادة غيره.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ ثم أخبر عن قدرة الواحد القهار الذي استحق العبادة وحده بأنه الذي أنزل المطر من السماء بقدرته، ومعنى «بقدرها»: بالمقدار الذي أراده الله سبحانه واقتضته الحكمة.

﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ وأخبر أن هذا السيل يحمل زبداً فوقه والزبد كما هو معلوم لا نفع فيه، والرابي: هو المرتفع المنتفخ.

﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾(١) وأخبر تعالى أن هناك زبداً آخر يخرج من الذهب والفضة والحديد والنحاس عند صياغته بالنار، والمعروف أيضاً أن هذا الزبد غير نافع ولا قيمة له.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾؟

الجواب: «مما» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم. «يوقدون»: صلة الموصول. «ابتغاء» مفعول من أجله. و«زبد مثله» مبتدأ مؤخر ومثله صفة.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد ضرب للحق والباطل مثلاً فالزبد هو مثل الباطل والماء هو مثل الحق، وزبد المعادن هو مثل الباطل والمعدن هو مثل الحق.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ يضيع ويذهب وكأن لم يكن شيئاً، وإن كان يظهر أمام عين الرائي عندما يطفو على الماء في صورة وكأنه شيء ذو شأن، ومعنى جفاءً: مرمياً به لا يُلتفت إليه.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الذي فيه نفع للناس وهو الماء فإنه يبقى على وجه الأرض، وأما ذلك الزبد الذي لا ينفعهم فيذهب وينتهي، فمثل الحق والباطل في النفع وعدمه كحال الزبد والماء.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝١٧﴾ يضرب الله تعالى الأمثال للناس ليقرب إلى عقولهم صورة الحق وصورة الباطل كما فعل تعالى هنا حين صوَّرَ الحقَّ لنا بصورة الماء وصَوَّرَ الباطلَ بصورة الزبد الذي يطفو على وجه السيل ويملأ العين بجهامته ثم يذهب ويتلاشى ولا يستفيد منه إنسان ولا حيوان.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين استجابوا له وآمنوا به وصدقوا آياته ورسله فلهم جزاء الحسنى في الدنيا والآخرة. والمراد بالحسنى: المثوبة الحسنة وهي المغفرة والجنة والسلامة من النار.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾[1] ورفضوا دعوة الله سبحانه وتعالى وكفروا به.

﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ لن يكون لهم إلا الندم والحسرة يوم القيامة، ولو كان لأحدهم ملء الأرض ذهباً وأضعاف ذلك ليفتدي به- لاقتدى به من هول ما يرى من عذاب الله.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تصدق الآية على كل من رد شيئاً من التكاليف أو ترك العمل به؟
الجواب: تصدق الآية على كل من لم يعمل بما فرضه الله قطعاً أو أنكره ورده.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ وسيحاسبهم الله سبحانه وتعالى حساباً شديداً على كل صغيرة وكبيرة، بخلاف المؤمن فإن الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن صغائره ويمحوها بسبب محافظته على طاعة الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق].

﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ثم يدخلهم -أي: الذين لم يستجيبوا له- نار جهنم خالدين فيها أبداً، يكون فراشهم فيها النار، وعليهم غطاء من نار مع ما يلقونه من أنواع العذاب.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا(١) أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يستوي من آمن بك يا محمد وعرف الحق الذي أنزله الله إليك واهتدى به، هو وذلك الذي تعامى عن الحق وأعرض عنه.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يفرق بينهما إلا أهل العقول والمعرفة، وأما أولئك المشركون فالمؤمن والكافر عندهم سواء لأنهم لا يؤمنون بالبعث والحساب ويقولون إن من مات صار تراباً وانتهى أمره.

فأجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنهم ليسوا سواء، وأنه لا بد من دار يجازى فيها كلٌ منهما، ويتناصف فيها الظالم والمظلوم، وأن ذلك الذي يزعمه أولئك المشركون لا يصح عقلاً، فهل يصح أن يكون من أصابه البلاء من حين ولادته إلى موته، وذلك الصحيح على السواء؟

إذاً فإنا نحكم عقلاً عندما نرى ذلك المبتلى لم ينل جزاءه في الدنيا أن هناك داراً

---

(١)-**سؤال:** يقال: كان من حق كتابتها طبقاً لقواعد الكتابة أن تفصل هكذا «أن ما» لأنها موصولة فلماذا أدمجت؟

الجواب: نعم كان من حق كتابتها أن تكون مفصولة كما ذكرتم، ولكنها أدمجت لأنها كتبت في المصاحف التي كتبها الصحابة ووزعوها في أمصار المسلمين، وعلى ذلك التزم المسلمون أن يرسموا كتابة المصاحف من بعد ذلك على ما رسمه الصحابة وجعلوا ذلك سنة في كتابة المصحف إلى اليوم.

غير هذه الدار ينال فيها عوض ما فاته في الدنيا، وأنه لو لم يكن ذلك لكان ظلماً من الله سبحانه وتعالى أن يميته قبل أن ينال عوضه، وكذلك الظالم والمظلوم فعندما لا نرى هذا الظالم ينال جزاءه في الدنيا فإنا نقطع أنه لا بد من دار غير هذه الدار ينال فيها جزاءه، وذلك أنا نعلم أن الله سبحانه وتعالى عدل حكيم ومن عدله وحكمته أن ينال هذا الظالم جزاءه، ويأخذ هذا المظلوم حقه، وكذلك الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير فهو قادر على أن يمنع هذا الظالم، ويحول بينه وبين هذا المظلوم، ولكنه خلَّى بينهما، وجعل هذا متمكناً، ووفر له جميع أسباب ظلمه من الآلات والقوى، وفي مقابله سلب عن المظلوم التمكين والقوى التي يدفع بها عن نفسه، إذاً فلا بد أن يبعثهما فيعوض هذا ما قد سلبه في الدنيا، وينيل ذلك الظالم جزاءه، يعرف ذلك كل من نظر وتفكر بعقله.

ثم وصف الله سبحانه وتعالى أولو الألباب فقال: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ۝٢٠﴾ وهو إيمانهم بالله سبحانه وتعالى وامتثالهم لما أمرهم به، واجتنابهم ما نهاهم عنه؛ فهذا هو عهدهم وميثاقهم مع الله سبحانه وتعالى الذي يوفون به، وهكذا هم متصفون بالوفاء، وعدم نقض العهد فيما بينهم وبين الناس.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾(١) فهم يتبعون الله سبحانه وتعالى، ويطيعونه فيما أمرهم به، ويصلون ما أمرهم بوصله من الأرحام، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ومن صفة أولي الألباب أيضاً أنهم يخشون ربهم، ويخافون معصيته التي تؤدي إلى عذابه وعقابه.

---

(١)-**سؤال:** هل يدخل تحت هذا حقوق الوالدين والجيران وحق أهل البيت وحق الصحابة الأخيار وحق العلماء والمؤمنين؟

الجواب: يدخل كل من ذكر في عموم هذه الآية، فلن ينال رضوان الله تعالى في الدار الآخرة إلا من حافظ على حقوق من ذكر.

﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ۝٢١﴾ فيتركون المعاصي لأنهم عالمون بعاقبة ذلك.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾(١) ومن صفتهم كذلك أنهم يصبرون على ما ابتلاهم الله سبحانه وتعالى به في الدنيا من الفقر والشدة، كل ذلك لأجل أن ينالوا رضوان الله سبحانه وتعالى ورحمته، وذلك كما كان من ابتلاء الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين معه فقد ابتلاهم بالفقر والشدة بينما أعداؤهم كانوا أهل غنى وتجارات واسعة، وابتلاهم بالقلة والضعف بينما كان لأعدائهم كثرة وقوة وعدة وعدد، فصبروا بالرغم على كل ذلك.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ مع صبرهم ذلك فقد حافظوا على إقامة صلواتهم، وأدوا ما أوجبه الله سبحانه وتعالى عليهم على أكمل وجه، وأخرجوا زكاة أموالهم في السر والعلانية.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ وإذا أساء إليهم أحد بكلام فاحش أجابوه بالكلام الحسن واللين درءاً منهم للفتن.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ۝٢٢﴾ فهؤلاء الذين هذه أوصافهم سينالون تلك الدار التي ستعقب هذه الحياة الدنيا وهي: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى عن هذه الدار التي تعقب الدنيا بأنها جنات يتنعمون فيها لا تنقطع ولا يفنى نعيمها، والعدن(٢) المراد به الإقامة التي لا تنقطع.

---

(١)-**سؤال:** هل يدخل في هذه الآية الصبر على أداء الواجبات واجتناب المقبحات؟

الجواب: الصبر على أداء الواجبات واجتناب المقبحات داخل في هذه الآية، بل إن الصبر هو القوة الدافعة إلى جميع أعمال البر والتقوى مع الإيمان.

(٢)-**سؤال:** فضلاً مم اشتق؟ وما هو أصله؟

الجواب: ﴿عَدْنٍ﴾ هو مصدر: عدنت بالبلد أي: توطأته، وبابه ضرب، وعدنت الإبل بمكان كذا: لزمته فلم تبرح، ومنه: جنات عدن أي: جنات إقامة. اهـ من مختار الصحاح.

وأخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم سيدخلون الجنة هم والصالحون من أقاربهم.

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ فتدخل عليهم الملائكة وهم في الجنة يتنعمون فيباركون لهم ويعظمونهم، ويزفون إليهم التهاني والتبريكات، وفي هذا من التشريف والتعظيم ما لا يخفى، وكذلك لا يخفى ما يتركه من الأثر في النفس، ورفع المعنويات.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال هؤلاء الذين ينقضون ما عاهدوا عليه، ووثَّقُوا عليه الأيمان، ويقطعون صلة أولياء الله سبحانه وتعالى وصلة أرحامهم، ويقطعون صلاتهم بالمؤمنين.

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ويكون دأبهم السعي بالفساد بين الناس، وإثارة الفتن، وإهلاك الحرث والنسل، وخلق العداوات وسفك الدماء.

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ فجزاؤهم اللعنة من الله سبحانه وتعالى، والطرد من رحمته في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾(١) ولهم نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ كان المؤمنون في مكة يعيشون في حالة من الضعف والفقر الشديدين بينما كان المشركون أهل تجارات واسعة وثراء في الأموال، وأهل وجاهة ومكانة في الدنيا، فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن لا يحتقروا أنفسهم عندما يرون ذلك في عدوهم فهو يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيقه على من يشاء، وأن حكمته قد اقتضت ذلك.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تريدون بهذا أنه في معنى «الدار السيئة» فيكون من إضافة الصفة إلى الموصوف؟

الجواب: هو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم فرحوا بما هم عليه من النعمة ومن الغنى والثراء والسعة.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي[2] الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾﴾ فلا تتعاظموا أمر الدنيا أيها المؤمنون فليست شيئاً بالنسبة للآخرة، وليست إلا كمتاع المسافر سرعان ما ينتهي.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كان المشركون يقولون: لو كان محمد صادقاً لأتانا بآية واضحة تدل على صدق نبوته، متجاهلين ما جاءهم به من الآيات القاهرة.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يجيب على المشركين بأن الله قد أرسله بالآيات والحجج الواضحة التي تدل على صدقه، ولكنكم قد ضللتم[3] عنها، ولم تعتبروا بها، وأنه قد اهتدى

---

(١)-**سؤال:** هل الواو في قوله: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عاطفة؛ فعلام عطفت؟ أم أنها غير عاطفة فما هي؟

الجواب: الواو استئنافية وليست للعطف، والجملة استئنافية لبيان حال المشركين وما هم عليه من الغرور بالحياة الدنيا.

(٢)-**سؤال:** ما معنى «في» في قوله: ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾؟

الجواب: معناها المقايسة، وهي الداخلة بين مفضول سابق وفاضل لاحق، أي أن الحياة الدنيا بالنسبة إلى حياة اليوم الآخر حياة قليلة، وقد جاء في الأثر: ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع)).

(٣)-**سؤال:** قد يقال: إن الله تعالى قد أسند الإضلال إليه تقدس وتعالى فعلام يُخَرَّج؟ وما هي القرائن على ذلك؟

الجواب: الإضلال المسند إلى الله هو سلب التوفيق والتنوير بسبب كفرهم. والقرينة على ذلك هنا قوله: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾ فإذا كان الله تعالى يهدي من تاب ورجع إلى الله وآمن واستجاب فإنه يكون معنى الهدى المراد هو التوفيق والتنوير والإعانة، فعلى هذا يكون المراد بقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ يضل من أعرض عن الهدى وكفر به لمقابلته ليهدي إليه من أناب، فيكون الإضلال المسند إلى الله هو: سلب التوفيق والتنوير، كما
=

بها من أناب إلى الله سبحانه وتعالى ورجع إليه.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ۝٢٨﴾(١) فالمؤمنون قد صدقوا بآيات الله التي جاء بها النبي ﷺ واطمأنت قلوبهم إلى صدقها واستيقنت أنفسهم أنها من عند الله، وأخبر الله سبحانه وتعالى أن دواء القلوب هو ذكره جل وعلا، وقد يكون الإنسان في قلق وخوف وتوتر دائم لا ينفك عن ذلك وعن هموم الدنيا ومشاغلها، ومن أين سيأكل؟ ومن أين سيطعم أولاده؟ و...و...؛ فإذا تذكر الله سبحانه وتعالى، وعرف آياته، وأن السماوات والأرض تحت قبضته وتصرفه- عرف أن الرزق من الله سبحانه وتعالى، وأنه لن يصيبه إلا ما قد كتبه له، وإذا كان في مصيبة عرف أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يأتيه بالفرج، مما يبعث على الطمأنينة في نفسه، وبذلك يزول قلقه وهمه.

ومن صفة المؤمنين أنهم ينتفعون بآيات الله وبذكره(٢)، وتطمئن(٣) قلوبهم

ذكرنا، ولا مفر من هذا التفسير.

(١)-**سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿الَّذِينَ﴾؟ وما وجه عطف المضارع ﴿تَطْمَئِنُّ﴾ على الماضي ﴿ءَامَنُوا﴾؟

الجواب: يعرب «الذين» بدلاً أو عطف بيان على ﴿مَنْ أَنَابَ۝٢٧﴾ فيكون في محل نصب.

وعطف المضارع «تطمئن» على الماضي «آمنوا» لأن المفروض على المؤمن أن تكون طمأنينته متجددة دائماً إلى أن يموت، ولا يكفيه أن يطمئن مرة ثم لا تتجدد بعد ذلك، والمضارع يفيد التجدد والحدوث فاستدعى الحال أن يأتي بالمضارع.

(٢)-**سؤال:** هل تريدون بذكر الله عموم تذكر الباري تعالى وكل ما له صلة بذلك، أم أنه القرآن فقط؟

الجواب: المراد بذكر الله أن يكون القلب مؤمناً بالله وبجلاله وعظمته ومهابته ومؤمناً بعدله وحكمته وصدقه بوعده ووعيده و...إلخ، فإذا كان القلب كذلك اطمأن ورضي عن الله فيما ابتلاه واندفع إلى ذكره وشكره وطاعته، فإن فاته شيء علم أنه لحكمة ومصلحة في العاجل والآجل وأن ثواب الله خير من الدنيا وما فيها، ولا يزال قلبه معلقاً بالله لا ينقطع رجاؤه به ولو كثرت عليه الشدائد والمضايق، والقرآن الكريم يحيي هذا الذكر في القلب ويزيده ويقويه.

(٣)-**سؤال:** إذا قيل: نحن نقرأ القرآن باستمرار ولا نحس بالطمأنينة فما هو السبب؟

الجواب: إذا لم تحصل الطمأنينة فذلك لحصول نقص في التدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى

=

بالإيمان والتعظيم لله، والخشية منه، والرضا بقضائه وقدره.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴿٢٩﴾﴾ هذا وعد من الله سبحانه وتعالى للذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة بأن لهم في الجنة حياة طيبة ونعيماً دائماً لا ينقطع، وأن دارهم هذه قد حسنت لهم بما يرونه من النعيم الذي قد أعده الله سبحانه وتعالى لهم.

﴿كَذَلِكَ[١] أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أرسله إلى قريش وإلى بقية الأمم؛ لأن الناس جميعاً هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، وأن هذه الأمة قد مضى قبلها أمم كثيرة بأنبيائها، فلست يا محمد بدعاً من الرسل، وشأنك كشأن سائر الأنبياء الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى قبلك.

﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى هذه الأمة ليتلو عليهم ما أوحاه الله سبحانه وتعالى إليه من القرآن بما فيه من

قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، ونقصان التدبر يكون إما لعدم الفهم أو لمشاغل تشوش على القلب، أو لمعاص أصمت آذان القلب، أو للكبر والتعاظم. وقد لا يحصل شيء في القلب للمؤمن عند قراءة القرآن وذلك لأن الطمأنينة موجودة في قلبه والإيمان بالله و... مخالط لدمه ولحمه.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَذَلِكَ﴾ في الآية؟ وما معناها؟

الجواب: «كذلك» صفة لمصدر محذوف والتقدير: أرسلناك إرسالاً مثل ذلك الإرسال الذي عرفته.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما الوجه في أن يطلق لفظ أمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو على الكفار به صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل إطلاقه على المؤمنين به خاصة حقيقة عرفية؟

الجواب: يصح إطلاق لفظ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة، فأضيفت جميع الأمم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه أرسل فيهم، كما قيل: أمة نوح و..إلخ، وتطلق على الأمة المؤمنة به صلى الله عليه وآله وسلم لوجود المناسبة للإضافة، وهي اختصاصها بالإيمان به صلى الله عليه وآله وسلم.

الإنذار والبشارات، وتبيين آيات الله وحججه وبيناته وشرائعه وأحكامه.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم يستجيبوا لدعوته، ورفضوها وكفروا بالرحمن الذي نعمه ظاهرة لهم ومكشوفة، يرونها ويحسون بها ويلمسونها؛ لأن الرحمن معناه المنعم بالنعم الظاهرة المكشوفة، وذلك مما يدل على شدة عنادهم وتمردهم عندما يرون نعم الله سابغة عليهم ثم يكفرون ويتمردون؛ لأن العاقل من شأنه ألا ينكر الشيء الواضح الظاهر، فكفروا بالله سبحانه وتعالى بالرغم من كل ذلك.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يخبر المشركين بأن الرحمن هو ربه لا يشرك به شيئاً، ولا يعدل عن عبادته.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ۝٣٠﴾ ويخبرهم بأنه متوكل عليه ومسند ظهره إليه، ومستمد للنصر من عنده، وأن يخبرهم بأن مرجعه(٢) إليه يوم القيامة، وليقل للمشركين أن يفعلوا ما شاءوا فمرجعهم إلى الله فيجازيهم على أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ يبين الله سبحانه وتعالى شدة عناد قريش وتمردهم وكفرهم بالرحمن الذي نعمه ظاهرة مكشوفة لهم، وكفرهم بالقرآن الذي آياته واضحة وظاهرة مع أن عقولهم قد شهدت بصدقه، وحجيته قد استقرت في قلوبهم، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو كان هناك كتاب يهد الجبال ويزعزعها، أو يشق الأرض ويمزقها،

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب على أنها جملة حالية.

(٢)-**سؤال:** هل نفهم أن معنى ﴿مَتَابِ۝٣٠﴾ مرجع فمم أخذ؟ وهل يصلح أن يحمل على التوبة؟

الجواب: «متاب مصدر ميمي لتاب يتوب توباً وتوبة ومتاباً، ولا مناسبة لتفسير متاب بالتوبة، بل المعنى ما ذكرنا مثل: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ۝٧٠﴾ [القصص]، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الأنعام:٦٠]، ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ۝٧٢﴾ [الأنعام].

أو يكلم(١) الموتى لهدها هذا القرآن(٢) من شدة بيانه وصدقه، ولشق الأرض وقطعها، ولكلم الموتى لقوة وقعه وشدة صدقه.

يبين الله سبحانه وتعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عدم إيمانهم ليس لأن الحجة لم تظهر لهم، أو لنقص في القرآن، بل إنما كان كفرهم وعدم إيمانهم لشدة عنادهم وتمردهم، وليرفع عن قلبه الشك في أنه لو زاد لهم آية واضحة وظاهرة لآمنوا، لأن هذا القرآن من آيات الله العظيمة الذي من شأنه أن كل من وقف عليه عرف صدقه وآمن به، وهو أكبر الآيات الدالة عليه فلا آية أوضح منه، وأخبره الله سبحانه وتعالى أن كفرهم به وبما جاء به ليس إلا عناداً وتمرداً.

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾(٣) فتدبير أمر السماوات والأرض بيده وحده، والحكم

---

(١)-**سؤال:** يقال: لم يظهر لنا تكليم الموتى بالقرآن، هل المراد إحياؤهم حتى يعقلوا خطابه أم المراد غير ذلك وضحوا ذلك؟

الجواب: المراد تعظيم القرآن وبلوغه في البيان وقوة الحجة الغاية التي ليس وراءها غاية، وهذه الآية مثل آية الحشر: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ۝٢١﴾.

(٢)-**سؤال:** هل لحذف جواب «لو» ضابط معين أم أنه يحذف في جميع حالاته؟

الجواب: الأصل هو ذكر جواب «لو» ولا يحذف إلا لعلة تقتضي حذفه، فقد يحذف للعلم به كما هنا، وقد يحذف للتهويل والتخويف إذا كان المقام مقام تخويف وتهديد وتهويل فإنه يحذف من أجل أن يترك ذهن السامع في دهشة وحيرة من عظمة ذلك المخوف المجهول فيذهب ذهنه كل مذهب وهو يحاول أن يتصور ذلك المخوف المجهول.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما علاقة هذه الجملة ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ بما قبلها؟ وما فائدة الإضراب فيها؟

الجواب: ما قبل هذه الجملة هو في الاحتجاج على المشركين وبيان تمردهم وإصرارهم على الشرك، فكانت هذه الجملة رداً لاعتقادهم وإثباتاً لتوحيد الله واختصاصه بملك السموات والأرض ونفوذ أمره في الملك كله، ليس لمعبوداتهم في الملك شيء.

له وحده، ولا نصيب للأصنام في شيء من ذلك.

﴿أَفَلَمْ[1] يَيْئَسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ألم يعلم[2] المؤمنون ذلك، وذلك أن النبي ﷺ والمؤمنين كانوا يريدون من الله سبحانه وتعالى أن يأتي لقريش بآية ليؤمنوا، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بذلك الرد وأنه لو شاء لأدخل الناس جميعاً في الهدى، لكنه لم يشأ ذلك؛ لأن التكليف سيبطل، وقد اقتضت حكمته ومشيئته أن يوكل الناس إلى اختيارهم ومشيئتهم لما يترتب على ذلك من الجزاء؛ لأنه لا يصح الجزاء إلا على الأفعال الاختيارية.

يريد الله سبحانه وتعالى هنا أن يقطع طمع النبي ﷺ والمؤمنين من إيمان أولئك المشركين، وأنهم لن يؤمنوا مهما جاءهم به من الآيات والحجج، وأنه لم يبق إلا أن يدخلهم في الإيمان كرهاً، وذلك مما يتنافى مع الحكمة.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الاستفهام في الآية: ﴿أَفَلَمْ...﴾؟

الجواب: معناه: التقرير لما بعد النفي، ويصح أن يقال إنه للإنكار أي: إنكار النفي.

(٢)- **سؤال**: مم أخذ أن معنى «ييأس»: يعلم ؟ وما العلاقة بينهما؟

الجواب: قد قيل: إن «ييأس» بمعنى: يعلم، في لغة النخع ، واستدلوا بقول الشاعر:

ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم

ويقول آخر:

ألم ييأس الأقوام أني أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا

أفاد ذلك الرازي وقال إنه قول أكثر المفسرين. وقد خطر ببالي وجه آخر هو أن المراد: أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان المشركين، فتكون الآية استنكاراً على المؤمنين الطامعين في إيمان قريش بعد أن تقدم الله تعالى إليهم بأنه لو شاء لهدى الناس جميعاً فقوله: ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بمعنى: أنهم لا يؤمنون.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴿٣١﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يزال يرسل للكافرين العبر والمحن لعلهم يرجعون إليه، ويُنْزِلُ بهم المصائب الواحدة تلو الأخرى، في ديارهم وحول ديارهم لعلهم يتنبهون من غفلتهم فيرجعون إليه، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنها لا تنقطع القوارع حتى يأتي ما وعدهم الله من عذابه الذي يستأصلهم كما فعل بقوم عاد وقوم هود وغيرهم من المكذبين، ولا يفعل بهم ذلك إلا عندما يحل الأجل الذي قضت به الحكمة، وهذا وعد منه تعالى وهو لا يخلف الميعاد، ولا بد أن يقع ما أخبر بوقوعه(١).

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ليس الأول من الرسل آذاه قومه وكفروا به، بل إن كل رسول بعثه الله إلى أمة فإن أمته تستقبله بالتكذيب والاستهزاء، وأن شأنك يا محمد كشأنهم، وقد حل بك ما قد حل بهم من التكذيب والاستهزاء والأذى.

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أخبره الله سبحانه وتعالى بأنه قد أمهل أولئك المكذبين من الأمم الخالية المكذبة بأنبيائها مثل ما أمهل هذه الأمة.

يريد الله سبحانه وتعالى من نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ألا يستعجل نزول عذابه بالمشركين فإنه سيمهلهم في الدنيا كما قد أمهل من كان قبلهم، ثم يأخذهم بعد إمهالهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴿٣٢﴾﴾(٢) فانظر يا محمد كيف كان عقابي لهم، فقد كان

---

(١)-**سؤال:** هل ما نشاهده اليوم من فيضانات وحرائق وزلازل ونحو ذلك على كثير من البلدان هو من هذه القوارع؟ وهل وعد الله هو عذاب يوم القيامة؟

الجواب: ما يحدث في هذا الزمان من كوارث كالفيضانات والزلازل والحريق والحروب هو من القوارع التي توعد الله بها في هذه الآية فلا تزال مستمرة إلى أن يأتي وعد الله الذي هو يوم القيامة فيعذب الله المجرمين في جهنم خالدين فيها.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما فائدة الاستفهام هنا؟ وما إعراب: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴿٣٢﴾﴾؟

الجواب: الاستفهام هو لتعظيم العقاب والتعجيب منه، و«كيف» خبر كان مقدم، و«عقاب» اسمها مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الباء منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة وذلك أن «عقاب» مضاف إلى ياء محذوفة للتخفيف.

عقاباً شديداً أليماً، وعقاب استئصال لهم ولذراريهم وما معهم.

يسلي الله سبحانه وتعالى هنا نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويصبره على المضي على دعوته والاستمرار عليها ويشد من عزيمته حتى لا يتكاسل أو يفتر عن ذلك.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ تقرير من الله سبحانه وتعالى بقيامه على كل نفس، وأنه رقيب عليها يحصي عليها جميع أعمالها صغيرها وكبيرها، وأنه سيجازيهم على ذلك.

وأخبر أنه لا يستوي رب العالمين القائم على كل نفس بما كسبت، الذي هو حي قيوم بتدبير أمر السماوات والأرض، ورقيب شهيد على كل نفس يحصي جميع أعمالهم، وعالم بما في صدورهم، هو وتلك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تعلم شيئاً؟ فلماذا يعبدون هذه التي لا تنفع ولا تضر، ولا تعلم ولا تغني شيئا؟ ولماذا لا يرجعون إلى الذي بيده الضر والنفع والخير والشر وبيده القوة والسلطان؟

﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسأل المشركين عن أسماء آلهتهم هذه، فليست إلا أحجاراً يصنعونها ثم يختلقون لها أسماءً من عند أنفسهم.

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك، وهل يعلمون شيئاً لا يعلمه الله سبحانه وتعالى؟ لأن الله سبحانه وتعالى لا يعلم إلهاً غيره.

﴿أَمْ[1] بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ولا مصداقية لإلهيتها في الواقع، وإنما في القول والتسمية فقط، بل هي أسامٍ من دون مسميات.

﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ إنما حُسِّنَ في أعينهم كفرهم وتكذيبهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وزانت في عقولهم عبادة الأصنام والإقامة على الضلال والباطل، زين لهم الشيطان ذلك فزانت في أعينهم واستحسنوها.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى ﴿أَمْ﴾ في هذه المواضع؟ وبماذا تعلق قوله: ﴿بِظَاهِرٍ﴾؟

الجواب: «أم» في الموضعين بمعنى «بل والهمزة» التي للإنكار، و«بظاهر» متعلق بـ«تخبرونه» مقدراً.

﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ يقرأ بفتح الصاد وضمها، كان المشركون يصدون[1] الناس عن الإيمان ويقفون في طريق الحق، ويقطعون الطرق على الذاهبين للاستماع للنبي ﷺ، وكان من وصل إليه وسمعه يقرأ القرآن فإنه يؤمن به، ويتيقن أن ما جاء به هو الحق؛ فكانوا يقفون في مداخل مكة يحذرون الناس من الذهاب إليه، ومن الاستماع له، ويقولون: ساحر وكذاب، وينفرونهم عنه بكل ما يقدرون من الوسائل.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ فمن حكم الله سبحانه وتعالى بضلاله؛ فلن يستطيع أحد أن يحكم له بالهدى، أو يسميه به.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هؤلاء المشركون الصادون عن سبيل الله حكم الله سبحانه وتعالى عليهم بالعذاب في الدنيا، وبالخزي والذلة والهوان.

﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ وسيعذبهم أيضاً في الآخرة في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ۝٣٤﴾ ولن يدفع عنهم أحد يوم القيامة، ولن يستطيع ذلك أو يمنع عنهم العذاب، أو ينتصر أو يشفع لهم.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۝٣٥﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن صفة الجنة التي وعدها المتقين، فقد بلغت من النعيم ما لا يستطيع أن يحيط وصف الواصفين بها، وقد عرَّفَنا بوصفها العظيم هذا عندما أغفل ذكر الخبر فهو يدل على ذلك، وعلى عظم وصفها حتى لا يستطيع وصف الواصف أن يحيط بها، ولن تستطيع أي عبارة أن تذكر وصفها ذلك.

---

(١)-**سؤال:** يظهر أن تفسيركم هذا مبني على فتح «وصَدوا» فكيف يكون معناها على الضم؟

الجواب: والمعنى على الضم: أن الشيطان صدهم عن الدين الحق وزين لهم الباطل ودين الشرك فأصروا على التمسك به فقاموا في وجه الدين الحق وحاربوه وسعوا جهدهم في طمسه ووأده.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى بعض صفاتها بأنها تجري من تحتها الأنهار، وأن ثمارها دائمة لا تنقطع، وظل أشجارها دائم فلا تتساقط أوراقها كحال الدنيا، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن عاقبة المتقين ومصيرهم إليها، بينما تكون النار عاقبة الكافرين ومصيرهم.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى أن بعض علماء أهل الكتاب قد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدقوه واستبشروا بقدومه؛ لأن التوراة والإنجيل كانت قد بشرت بقدومه، وهؤلاء الذين هم كذلك ليسوا إلا قلة قليلة، وأما الكثرة فإن عامة اليهود قد كفروا وجحدوا وكذبوا.

﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى بهم الأحزاب المتحزبة من المشركين ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنكارهم لبعضه كإنكارهم لكله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المشركين بأنه لم يأتهم بأشياء خارجة عن المعقول، وأمره أن يخبرهم بأن الله سبحانه وتعالى إنما أمره بعبادته وحده لا شريك له، فلماذا يستنكرون عليه ذلك؟

وأمره أن يسألهم أن يأتوا له بدليل على إلهية هذه الآلهة التي يعبدونها، ولكنهم لم يستطيعوا أن يأتوا بحجة قاطعة تدل على ذلك؛ لأنهم إنما صنعوا أحجاراً بأيديهم ونحتوها، ثم عبدوها وقالوا: قد وجدنا آباءنا على ذلك.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴿٣٦﴾﴾ إلى الله سبحانه وتعالى وحده لا إلى غيره؛ لأن مرجعي سيكون إليه بعد الموت.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾(٢) أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد أنزل القرآن

---

(١)-**سؤال:** هل التخصيص في هذا بالقرينة الحالية حتى حمل على البعض أم بماذا؟

الجواب: التخصيص هو بالقرينة الحالية كما ذكرتم.

(٢)-**سؤال:** ما الفائدة في إطلاق الحكم على القرآن؟ وما إعرابها؟

الجواب: ﴿حُكْمًا﴾ مصدر وقع موقع الحال للمبالغة أي حاكماً، ووصف القرآن بالحكم لأن فيه بيان الأحكام التي شرعها الله تعالى للناس في هذه الدنيا في أمور دينهم ودنياهم ومعاملاتهم.

على نبيهﷺ كتاباً عربياً على لغتهم العربية، وذلك لأجل أن يفهموا خطابه، ويتحققوا معانيه.

﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴿٣٧﴾﴾ يهدد الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ بأنه إن اتبع دين هؤلاء المشركين الذي شرعوه على حسب أهوائهم ودواعي شهواتهم، وكانوا يجتمعون عند هذه الأصنام وهم عراة فيغنون ويرقصون عندها، وتغني لهم القيان.

وتهديد الله سبحانه وتعالى هذا للنبيﷺ إنما أراد به من كان حوله من المؤمنين، وأما النبيﷺ فهو بعيد عن هذا كل البعد، وحاشاه أن يفكر في ذلك، وأخبره الله سبحانه وتعالى أنه إن فعل ذلك فلن يجد أحداً ينصره أو يدفع عنه عذاب الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴿٣٨﴾﴾(١) كان النبي ﷺ حريصاً على إيمان قومه أشد الحرص، وقد كاد أن يهلك نفسه حزناً على عدم إيمانهم، وكان يتمنى أن يؤتيه الله سبحانه وتعالى آية عظيمة تجعلهم يؤمنون، وكانوا يعدونه بأنه إن جاءهم بآية فسيؤمنون، مما جعله يتمنى من الله سبحانه وتعالى ذلك، فأخبره الله سبحانه وتعالى أنه لا ينزل الآيات إلا إذا اقتضتها حكمته ولا ينزلها لأجل اقتراح الكافرين، وكان المشركون يستبعدون أن يكون محمد ﷺ نبياً لأنه مثلهم ذو

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴿٣٨﴾﴾؟ وهل هو من الحقيقة أو من المجاز؟

الجواب: الأجل هو الأجل الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، وكل أمة مكذبة لها أجل معلوم محدود عند الله تعالى ينزل فيه عذابه بالمكذبين فإذا حان وقت الأجل أنزل الله تعالى العذاب، وفي قوله «كتاب» تجوز أي: أن كتاب مجاز مرسل من باب تسمية الشيء باسم محله، وتعالى ربنا عن أن يحل في شيء أو يحله شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

زوجة وأولاد، فذكر الله تعالى أن جميع الرسل كانوا ذوي أزواج وذراري.

وأخبره أن قومه قد استحقوا نزول العذاب بهم، وقد قرب نزوله بهم.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ۝٣٩﴾ فأجل الموت، ووقت نزول العذاب وتحديدها بيد الله سبحانه وتعالى، وأمر تقديمها وتأخيرها إليه وحده على حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه(١).

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ(٢) بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا

---

(١)-**سؤال:** إذا قيل: بأن هذا قد يكون من البداء إذا أخر شيئاً مما سبق القضاء بتقديمه وكذا العكس خصوصاً مع التعبير بقوله: ﴿يَمْحُوا﴾ ﴿وَيُثْبِتُ﴾ فهل من ذلك مخرج؟ وهل يصح أن يحمل على النسخ في الأحكام الشرعية؟

الجواب: قد يكون المكلف عاصياً لله مرتكباً للكبائر الموبقة فيكون عند الله من أهل الوعيد بنار جهنم والخلود فيها، فإذا تاب إلى الله وآمن وعمل عملاً صالحاً محا الله سيئاته وبدلها حسنات وكتبه من أهل الثواب في جنات النعيم ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠]، وقد يكون للكافر أجل مسمى عند الله يموت إذا بلغه، فإذا تمرد الكافر على الله وكذب برسله أزهق روحه بعذاب ولم يبلغ أجله المسمى عند الله، وتماماً كما ذكر الله تعالى في سورة «نوح» حكاية لكلام نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ۝٣ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝٤﴾، فلم يستجيبوا لنوح وأصروا على تكذيبه وعلى الكفر والشرك فأخذهم الله تعالى بالطوفان فغرقوا جميعاً، ولم يؤخرهم الله تعالى إلى الأجل المسمى عنده بل اخترم آجالهم وقطع أعمارهم. فعلى هذا نقول: إن الله تعالى قد كتب وقضى لكل واحد من قوم نوح بأجل مسمى عنده كتب ذلك وهو عالم أنهم لن يبلغوها بسبب إصرارهم على الكفر والشرك والتكذيب. ويصح حمل المحو والإثبات على المنسوخ والناسخ في الأحكام الشرعية، وقد فسروه به.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ﴾؟

الجواب: «إن» شرطية جازمة، و«ما» صلة للتوكيد، و«نرينك» فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم وفاعله مستتر وجوباً، والكاف ضمير المفعول به.

الْحِسَابُ﴿٤٠﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد بلّغ ما عليه، وأن أمر حسابهم ووقت نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة إلى الله سبحانه وتعالى، وسواء عليك نزل بهم في حال حياتك أو بعد مماتك، وسواء عليك رأيت تعذيبهم أم لم تره؛ وأمره ليس موكولا إليك فما عليك إلا البلاغ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿٤١﴾﴾(١) يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين لماذا لا يؤمنون؟ وهم يرون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المؤمنين يتوسعون في البلاد وأن دولة الإسلام تكبر أمام أعينهم بينما أرض الشرك في نقص، وذلك أن المسلمين

---

(١)-**سؤال:** ما رأيكم فيما يذكر عن كثير من التابعين ومن بعدهم أن نقص الأرض من أطرافها هو موت علمائها وفقهائها؟

الجواب: قد روي ذلك كما ذكرتم، إلا أن الأنسب تفسيره بما ذكرنا، فسياق الكلام مع المشركين الذين طال إصرارهم على الكفر والشرك والتكذيب، فاستنكر الله تعالى عليهم إصرارهم على الكفر مع ما يرونه من قوة الإسلام وتمدده في البلاد مع نقص الشرك والمشركين، فقد دخل في الإسلام أهل المدينة وهم قبائل كثيرة لها قوة وشوكة، وتمدد الإسلام في نواحي المدينة وتوسع في بواديها وما وراء بواديها ولم يبق للشرك والمشركين هناك أثر، فكان من المفروض على مشركي مكة إذا رأوا ذلك أن تخف عداوتهم للإسلام والمسلمين وأن يسالموا أو يسلموا. هذا هو ما يميل إليه أهل العقول وتقضي به السياسة الحكيمة إذا قوي سلطان الخصم واشتدت شوكته وصار له كيان ودولة وعدد وعُدَّة. ويرجح هذا التفسير:

- أن الخطاب في هذه الآية موجه إلى المشركين.
- وفي آخر هذه الآية قوله: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴿٤١﴾﴾ فيدل أن نقص الأرض من أطرافها حكم من الله لا مرد له، وأن ذلك جزاء من الله واقع على من يستحقه، وهذا لا يناسب تفسير نقص الأرض من أطرافها بموت العلماء.
- ظاهر الآية أن النقص واقع على الأرض وليس على الناس.

كانوا يفتحون البلاد ويتوسعون في بلاد الكفر حتى وصلوا إلى أطراف بعيدة، وقريش لا زالت على كفرها وتمردها مع ما تراه من ذلك.

وهذه الآية نزلت في المدينة، بينما بقية السورة نزلت في مكة؛ لأن النبي ﷺ يوم كان في مكة كان الإسلام ضعيفاً، ولم يكن قد توسع وانتشر، وقد أخبرهم أن إظهار دينه حكم قد حكم به من عنده، وأن يقتلع الشرك من جميع البلاد العربية، ولن يستطيع المشركون أن يمنعوا ما حكم به، وسيجازي الكفار على كفرهم وتمردهم، وسيعذبهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾(١) أخبر الله عن كفار الأمم السابقة بأنهم قد مكروا بأنبيائهم ورسلهم، وقد كادوا لدينهم كل كيد، وعملوا جميع ما أمكنهم من الحيل، ولكن مكر الله سبحانه وتعالى كان فوق مكرهم، وقد أبطل مكرهم ودمرهم واستأصلهم.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾(٢) وكان مكره فوق مكرهم؛ لأنه محيط بهم وعالم بهم وبأعمالهم، وهم تحت قبضته وسيطرته.

---

(١)-**سؤال:** هل لإسناد المكر إلى الباري تعالى وجه فما هو؟ وما الوجه في تأكيده؟

الجواب: الوجه في إسناد المكر إلى الله تعالى هو وجود السبب المقتضي لصحة التجوز والتوسع (العلاقة) وهي هنا المشاكلة. والوجه في تأكيده في قوله: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾:

- هو التسلية للنبي ﷺ والمؤمنين وطمأنتهم بأن الله ناصرهم ومبطل كيد عدوهم ومكره، وليقوي صبرهم ويشد من عزيمتهم.
- وليدخل اليأس في قلوب المشركين أو في قلوب بعضهم من الانتصار على النبي ﷺ والمؤمنين فإنهم إذا سمعوا ذلك انكسرت قلوبهم وداخلها اليأس أو شيء من اليأس لأنهم يعتقدون أن محمداً ﷺ صادق وأن ما جاء به حق من عند الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام].

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الإعرابي؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها بيان للجملة الأولى: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴿٤٢﴾﴾ تهديد من الله سبحانه وتعالى للمشركين، وأنهم سيعلمون عما قريب لمن ستكون العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة، وفعلاً عرفوا ذلك عندما دخل الإسلام أوساط مكة، وقهرهم وأذلهم، ودخلوا فيه مكرهين غير راضين، واضطروا إلى أن يتسموا بالإسلام.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴿٤٣﴾﴾ فإذا أنكروا نبوتك يا محمد ورسالتك إليهم فالله شاهد لك بذلك، وكفى بشهادته بينك وبينهم، ويكفيك شهادة من عنده علم الكتاب أيضاً وهو جبريل، وبعضهم فسر ذلك بعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة، وبعضهم بمن آمن من أهل الكتاب.



سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ(١) أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أنزل إليه القرآن، ومنه هذه السورة لغرض إخراج الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى والحق.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ بأمره وإرادته إلى دين الله الذي هو عزيز غالب لا يستطيع أحد أن يلحقه أو يناله، والحميد هو المنعم على الناس(٢).

﴿اللَّهِ(٣) الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه الله الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهما، وهما تحت قبضته وقدرته وسيطرته.

﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾ تهديد للذين يرفضون قبول ما أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالعذاب الشديد في نار جهنم.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ عرّف الله سبحانه وتعالى من هم الكافرون فقال: هم الذين يميلون إلى شهوات الدنيا وملذاتها، ويتركون دعوة الله سبحانه وتعالى، ودعوة أنبيائه صلى الله عليهم.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿الر كِتَابٌ﴾؟

الجواب: «الر» مبتدأ، و«كتاب» خبره مرفوع.

(٢)-**سؤال:** من أين نأخذ أن معنى الحميد المنعم على الناس؟

الجواب: يؤخذ من نحو قوله تعالى: ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٨﴾ [الشورى]، ﴿رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ۝٧٣﴾ [هود].

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب لفظ الجلالة «الله» هنا؟

الجواب: يعرب عطف بيان على قراءة الجر، ومبتدأ على قراءة الرفع التي هي قراءة أهل المدينة.

﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ويمنعون الناس عن تصديق دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الذهاب للاستماع إليه، ويدخل في ذلك الصدُّ عن دعوة العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فالصادون عن دعوتهم وتبليغهم دين ربهم داخلون في هذا الوعيد.

﴿وَيَبْغُونَهَا[١] عِوَجًا﴾ فلا يريدون دين الحق وإنما يريدون الضلال واتباع الشهوات.

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ۝٣﴾ وهم غاوون عن الطريق، وفي بعد عن الحق والهدى.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يرسل نبياً إلى أمته إلا بلسانهم ولغتهم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أرسلهم بنفس لسان قومهم ليفهموا عنهم شريعة الله وهداه، ولكن لم يؤمن ويستجب لدعوة أنبيائهم إلا البعض منهم، وأكثرهم رفضوا ذلك وعاندوا وتمردوا، فالمستجيبون هم الذين هداهم الله سبحانه وتعالى وحكم بهداهم، وأما الذين لم يستجيبوا لأنبيائهم فقد حكم بضلالهم وغوايتهم[٢].

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٤﴾ وهو العزيز الغالب، والحكيم لأنه يضع الأشياء في مواضعها، فلا يحكم لأهل الهدى بالاهتداء إلا إذا كانوا من أهل الهدى، ولا يحكم على ذوي الضلال بالضلال إلا إذا كانوا من أهل الضلال.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بالمعجزات الدالة على صحة نبوته وصدقه.

---

(١)-**سؤال:** إلامَ يعود الضمير المؤنث في قوله: ﴿يَبْغُونَهَا﴾؟

الجواب: يعود إلى ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

(٢)-**سؤال:** هل تحتمل الآية معنى آخر من معاني الضلال والهدى أم لا؟

الجواب: قد فسرت بما ذكرنا، وفسرت بالتخلية بمعنى أن الله تعالى بعد التبيان على ألسنة رسله يترك المعرضين الذين لم يؤمنوا في غيهم، فلا يمدهم بالتوفيق والألطاف والتنوير فيتوغلون في الضلال. وأما من آمن فإن الله تعالى يمده بالتوفيق والألطاف والتنوير فيزداد هدى وإيماناً.

﴿أَنْ أَخْرِجْ(١) قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كلفه الله سبحانه وتعالى وأرسله ليستنقذ قومه من ظلمات الجهل والضلال التي هم فيها في سلطان فرعون وتحت قهره وظلمه إلى نور الهدى والإسلام والحرية والعدل.

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾(٢) وأمره الله سبحانه وتعالى أن يعظ قومه بأن يعتبروا بما مضى على المكذبين من الأمم السابقة.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ۝﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن في تاريخ الأمم السابقة التي كذبت بأنبيائها آياتٍ وعبراً، ولن يتعظ بها إلا من صبر على الإيمان، وعلى طاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله، وشكر ربه على نعمة الهداية والمعرفة لنحو تلك الآيات، وأما أولئك الذين انقادوا لشهواتهم وأهوائهم حتى طمست على عقولهم وأفكارهم- فلا تنفع فيهم هذه العظات والعبر، ولا يتذكرون بها.

كان موسى يعظ قومه من بني إسرائيل بعد أن أخرجهم من مصر؛ لأن الله سبحانه وتعالى كان قد أرسله إليهم ليستنقذهم من ظلم فرعون وطغيانه وكان فرعون قد ألحق بهم أنواع الأذى، واستعبدهم وأذلهم، وقتل أبناءهم واستحيا نساءهم، فأرسل سبحانه موسى عليه السلام رحمة بهم ليستنقذهم منه، وكان اضطهاده لهم واستعبادهم وقتلهم لما كان قد أخبرته الكهنة بأنه سيلد لبني إسرائيل مولود يكون هلاكه على يديه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾؟

الجواب: لا محل للجملة من الإعراب لأنها مفسرة و«أن» تفسيرية.

(٢) **سؤال**: ما المناسبة في تسميتها أيام الله؟

الجواب: المناسبة هي ما أحدث الله تعالى فيها من الأحداث العظيمة وأنزل فيها من العذاب العظيم على المكذبين برسله.

﴿ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ استنقاذ بني إسرائيل من ظلم فرعون وجبروته نعمة عظيمة؛ لأنه كان قد بلغ النهاية في ظلمهم وكان مسرفاً في الدماء أشد الإسراف، وكان يقتل على التهمة والشيء اليسير من غير مبالاة ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الدخان]، وكان يلحق بهم أنواع العذاب، فينبغي أن يشكروا هذه النعمة العظيمة عليهم حين أنقذهم من جبروت فرعون ونجاهم من ظلمه، ويطيعوا الله سبحانه وتعالى حق طاعته عليها، وقد مر تفسير السوم والاستحياء في السور المتقدمة.

وقوله ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٦﴾ يحتمل أن يكون ذلك البلاء هو النعمة لوروده في سياقها، ويحتمل أن يكون المعنى: وفي ظلم فرعون واستعباده بلاء عليكم من ربكم[1] عظيم، أي: امتحان شديد.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ خاطب موسى عليه السلام قومه بأن الله سبحانه وتعالى قد أعلن فيكم وأعلمكم أنكم إذا شكرتم نعمته عليكم وأطعتموه حق طاعته- فإنه سيزيدكم من نعمه، ويوسع عليكم فيها، وأما إذا كفرتم نعمه عليكم فسوف يعذبكم في الدنيا، ويجازيكم على كفر نعمه عليكم، فاحذروا كفران نعمته.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾[2] وأخبرهم موسى عليه السلام بأن الله سبحانه وتعالى غني عن إيمانهم

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف نسب البلاء إلى الله في المعنى الثاني وهو من فعل فرعون؟

الجواب: نسب إلى الله لأنه تعالى خلّى بين العباد ولم يمنع بعضهم من بعض قال تعالى: ﴿لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

(٢)-**سؤال:** هل لختم الآية بقوله: ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ مناسبة؟

الجواب: جاء ذلك ضمن جواب الشرط ليعلموا أنه تعالى مستغن عن إيمانهم وطاعتهم غير محتاج إلى شيء من ذلك، وأنهم إذا كفروا نعمته ولم يشكروه فإنهم هم المتضررون بكفر =

وطاعتهم، وليس محتاجاً إلى عبادتهم، وأخبرهم بأنه سيستخلف قوماً غيرهم يعبدونه مكانهم.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فلماذا لا تتعظون بهذه الأمم السابقة وتنظرون كيف أخذهم الله سبحانه وتعالى جزاءً على كفرهم وتمردهم على أنبيائهم عندما جاؤوهم بالآيات والحجج الواضحة؟

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ[(١)] وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ يعني بذلك أنهم واجهوا دعوة أنبيائهم بالكفر والإعراض، والتعبير بوضع الأيدي في أفواه أنبيائهم- كناية عن إرادة تسكيتهم عن دعوتهم، ومنعهم منها.

﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝٩﴾ كانوا يحاولون منع أنبيائهم زاعمين أنهم في شك من صدق دعوتهم.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فتجيبهم أنبياؤهم: كيف تتشككون في الله وأنتم ترون آياته الدالة عليه، وعلى قدرته- مِن خلق السماوات والأرض، وما بينهما؟

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ يدعوكم إلى توحيده وعبادته لمصلحتكم، ولا حاجة به إليكم وإلى عبادتكم، وإنما ليخرجكم من ظلمات الشرك والضلال والجهل إلى نور الحق والهدى.

النعمة أما هو جل وعلا فهو أهل الحمد والثناء فنعمه المبثوثة في السماوات والأرض ناطقة بحمده وشاهدة على أنه الحميد المنعم المتفضل.

(١)-**سؤال:** هل يصح أن تعاد الضمائر في أيديهم وأفواههم إلى المكذبين أنفسهم ويكون كناية عن الغيظ والتحسر؟

الجواب: الضمائر عائدة إلى المكذبين أي أن المكذبين ردوا أيديهم إلى أفواههم كما نفعله اليوم إذا أردنا تسكيت أحد فإنا نضع أيدينا على أفواهنا ونقول له: اسكت ولا تتكلم، فهذا هو المعنى الذي أردناه في التفسير، وهو المناسب للسياق.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ لأن كفركم هذا وشرككم وخوضكم في المعاصي والشهوات- قد أوجب تعجيل تعذيبكم وخرم آجالكم واستئصالكم وإبادتكم؛ فدعوته لكم وإرسال الرسل إليكم إنما هو لأجل أن يستنقذكم من إنزال عذابه بكم واستئصالكم، وليعيش كل واحد منكم في الأرض، ويستوفي مدة عمره الذي قد كتبه الله سبحانه وتعالى له فيها.

﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فأجابتهم تلك الأمم المكذبة بأنهم ليسوا أنبياءَ، وأنه لا يصح أن يكون نبيٌّ من البشر في زعمهم.

﴿تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا﴾ ودعوتكم لنا إنما هو لأجل إغوائنا عن دين آبائنا، فكيف تريدون أن نترك ديننا ودين آبائنا، ونعكف على عبادة إله واحد؟

﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿١٠﴾﴾ يطلبون من أنبيائهم أن يأتوهم بدليل وحجة واضحة تدل على صدق دعوتهم، وأنهم رسل من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أجابتهم رسلهم بذلك عندما زعموا أنه لا يصح أن يكون من البشر أنبياء، وأن هذا اختيار الله سبحانه وتعالى فكيف يعترضون على مشيئته واختياره؟

﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وأخبروهم أنه لا ينبغي لهم، وليس في مقدورهم أن يأتوا بآية إلا إذا أذن الله سبحانه وتعالى بذلك وأراد.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴿١١﴾﴾ تخبرهم أنبياؤهم بأنهم متوكلون على الله سبحانه وتعالى، وماضون في مواصلة دعوتهم، وعازمون على الصبر على أذاهم وكفرهم وتمردهم.

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ وأيُّ شيء يمنعنا من التوكل

علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ما دمنا قد عرفنا طريق الحق واهتدينا إليها[١].

﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ وسوف نصبر علىٰ أذاكم، وستتوكل علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ونعتمد عليه في تبليغ دعوته، فاجهدوا جهدكم، وافعلوا ما استطعتم أيها المشركون فالله معنا بنصره وتأييده.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ۝١٢﴾[٢] حث للمؤمنين ألا يتوكلوا إلا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ في جميع أمورهم، ولا يعتمدوا إلا عليه، ولا يثقوا إلا به وحده؛ فالنصر والظفر من عنده.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أراد بهؤلاء كفار الأمم السابقة التي كذبت بأنبيائها يعني بهم: قوم نوح وعاد وثمود المذكورين في أول السياق آية (٩)، وأن كل أمة كانت تهدد نبيها وتتوعده إن لم يرجع عما هو عليه بإخراجه وطرده من بينهم.

﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ۝١٣﴾ يطمئن الله سبحانه وتعالىٰ رسله بأنه لن يصيبهم أي أذىٰ أو مكروه من أقوامهم، وأن عذابه أسرع من وصولهم إليهم، أو مسهم بسوء أو مكروه وأخبرهم أنه سيهلك الظالمين.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً من الوجه في مناسبة هذا المعنىٰ لإعراب الآية؟

الجواب: قد أعربت هذه الآية علىٰ حسب ما فسرنا فقالوا: «ما لنا» بمعنىٰ ما منعنا، وقالوا: «لا» زائدة و«أن» وما دخلت عليه مفعول به للجار والمجرور، إلا أنهم اعترضوا علىٰ هذا الإعراب، فقالوا: إنه لم يعهد عمل الجار والمجرور في المفعول به.

واعترضوا أيضاً علىٰ تضمين الجار والمجرور معنىٰ «منعنا» فهذا الإعراب في محل النقد عند كبار المعربين من حيث الصناعة، أما المعنىٰ فهو مستقيم وواضح.

(٢)-**سؤال:** هل هذا من بقية كلام الأنبياء أم أنه من كلام الباري تعالىٰ تذييلاً للآية؟

الجواب: هو محتمل للأمرين جميعاً، والله أعلم.

﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وكذلك يعدهم الله سبحانه وتعالى بأنه سيورثهم بلادهم وأرضهم بعد أن يستأصلهم.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي(١) وَخَافَ وَعِيدِ﴾(٢) هذه القصص والعبر التي قصها الله سبحانه وتعالى لا ينتفع بها إلا الذين يخافون الله سبحانه وتعالى وعظمته وقوة سلطانه وقدرته، ويخافون وعيده وعذابه.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا(٣) وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ يعود الله سبحانه وتعالى هنا إلى حكاية ما كان من شأن مشركي قريش، وذلك أن قريشاً استفتحت يوم بدر، فدعت الله سبحانه وتعالى أن يقطع دابر الظالم منهم أو من المسلمين، دعا بذلك أبو جهل، وأمّن على ذلك المشركون والمؤمنون، وكان دعاؤه: اللهم وأقطعنا للرحم فأحنه اليوم، أي اجعل حينه وموته هذا اليوم أو هذه الساعة، وذلك أن كلاً من المشركين والنبي ﷺ كان يَدَّعي أن الآخر قد قطع رحمه، وفعلاً قطع الله سبحانه وتعالى دابر المشركين ذلك اليوم، وكانت الدائرة عليهم وخابوا وخسروا.

﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ وسيكون لهم وراء تلك الهزيمة نار جهنم يكون شرابهم فيها الصديد والقيح، فهم يحاولون ابتلاعه وربما لا يبتلعونه لشدة خبثه ونتنه.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بمقام الله في هذا الموضع؟

الجواب: قد يراد بمقام الله يوم القيامة حيث يقام حكم الله بالحق الفاصل بين المحقين والمبطلين والمؤمنين والمجرمين وقد يراد بمقام الله عظمة الله وجلاله وقوته وحكمه الحق وسلطانه القاهر.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿وَعِيدِ﴾؟ ولماذا حذفت الياء؟

الجواب: «وعيد» مفعول به لـ«خاف» منصوب بفتحة مقدرة على آخره و«وعيد» مضاف إلى ياء المتكلم التي حذفت للتخفيف وبقيت الكسرة للدلالة عليها.

(٣)-**سؤال:** ما هو المراد بالاستفتاح هنا؟

الجواب: المراد بالاستفتاح: الاستنصار أي : طلب النصر من الله.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ من شدة العذاب[١] يتألم إلى حد الموت، ويتمنى أن يموت ولكن هيهات ذلك.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝١٧﴾ وله عذاب شديد غير النار وماء الصديد، من الزمهرير والحيات والعقارب، وغير ذلك من صنوف العذاب.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا[٢] عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝١٨﴾ يمثل الله سبحانه وتعالى حال الذين كفروا من قريش بالنسبة لأعمال البر والخير التي كانوا يفعلونها كمكارم الأخلاق من إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم، وإكرام الجار وإطعام الطعام، وكانوا يتسابقون في هذه المكارم، ويتنافسون فيها، وقد اشتهروا بالكرم بين سائر العرب؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن أعمالهم هذه كرماد أتت عليه ريح عاصفة فنسفته وضيعته، وأن أعمال البر هذه ليس لهم من ثوابها شيء، ولن ينالوا من ورائها شيئاً وستصير هباءً منثوراً، وقد وصف الله سبحانه وتعالى ذلك بالضلال البعيد؛ لما يكون منهم من التعب عليها، وفي الأخير لا ينالون من ثوابها شيئاً بسبب إحباطهم لها بكفرهم وضلالهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن الإنسان إذا نظر إلى خلق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، وتفكر وتدبر فيها وفي خلقها فسيعرف لا محالة أنها قد خلقت لأمر

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل هذا من مطلق العذاب أم من التعذيب بالصديد؟

الجواب: هذا من مطلق العذاب الذي من ضمنه الصديد.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾؟ وما إعراب: ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا﴾؟

الجواب: «أعمالهم» بدل من: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بدل اشتمال، وجملة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ جملة بيانية أي: أنها بمنزلة عطف البيان جيء بها لتوضيح معنى الجملة التي قبلها.

عظيم، وأنها لن تنتهي بالموت؛ لأنا قد عرفنا أن الله سبحانه وتعالى عدل حكيم، ومن عدله وحكمته أنه لم يخلقها إلا ليرتب عليها داراً أخرى؛ فإذا تفكر وتساءل: يا ترى ما الحكمة في أن يخلق الله سبحانه وتعالى هذا المخلوق ضعيفاً، ويسلبه كل الإمكانيات والقوى، وذلك الآخر يخلقه ويمكنه بالقوة والبطش والمال، ويجعل له سلطة، ثم يخلي بينهما؟ فنرى هذا القوي يبطش بالضعيف ويقهره ويذله ويقتله، فلا يستطيع الضعيف أن يدفع عن نفسه شيئاً، ثم نراه في الأخير يموت من دون أن يكون قد حصل على أي إنصاف ممن ظلمه، إذاً ماذا ستحكم على الله سبحانه وتعالى لو لم يكن دار غير هذه الدار؟ أليس يكون ذلك ظلماً منه جل وعلا عندما يمكن هذا من هذا، ويسلب عن الآخر كل ما يستطيع أن يدافع عن نفسه به، ولا ينتصف له ممن ظلمه؟

ولو كان الأمر كذلك لكان قد خرج عن اسم العدالة والحكمة اللذين وصف بهما نفسه، وتمدح بهما عند خلقه، وقد علمنا أن الله سبحانه وتعالى عدل حكيم، وأن خلقه للسماوات والأرض لا بد أن يكون لغرض وحكمة، وتخليته هذه لا بد أن يكون وراءها شيء. ورؤية هذا في بلاء ومرض طيلة عمره، وذلك في صحة وعافية يجعل العقل يقطع أنه لا بد أن يكون لهذا أعواض مقابل ذلك.

ولما لم نره ينال تلك الأعواض في الدنيا فإنا نجزم بأن هناك داراً أخرى ينال فيها جزاءه، وإلا كان ظلماً وعبثاً من الله سبحانه وتعالى، وقد علمنا أيضاً أن الله سبحانه وتعالى غني، والغني ليس من شأنه أن يفعل ذلك وهو مستغن عنه.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ۝١٩ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ۝٢٠﴾ يتهدد الله سبحانه وتعالى المشركين بأنه لو أراد أن يذهبهم، ويأتي بخلق آخرين مكانهم- لفعل، وهو قادر على ذلك، وليس ممتنعاً عليه، ولكنه لرحمته بهم أمهلهم لعلهم يتنبهون من غفلتهم ويرجعون عن كفرهم وضلالهم فيقلِّبُهم في البلاوي والنعم، والرخاء والشدة لعلهم يتوبون ويرجعون إليه.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار جميعاً سيبرزون في ساحة المحشر يوم القيامة للحساب الدقيق والحُكْم العدل، ومعنى البروز: الظهور.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ هنالك يقول الأتباع لرؤسائهم وزعمائهم: قد كنا تابعين لكم في الدنيا نطيعكم فيما تأمرون به من الكفر والتكذيب بآيات الله ورسله، فاحملوا عنا بعض العذاب، وكان الرؤساء والزعماء في جميع الأمم هم الذين يتصدون لدعوة الأنبياء ويقفون في وجهها، وتكون الكلمة لهم، وبقية القوم يكونون تبعاً لهم ولما قالوه، فإذا جاء يوم القيامة فإنهم يتجادلون فيما بينهم التابع والمتبوع.

﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يريد هؤلاء الأتباع أن يأخذ المتبوعون نصيباً من عذاب الله النازل بهم مقابل إغوائهم وإضلالهم لهم.

﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ(1) سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ يرد عليهم الرؤساء بأننا لو كنا مهتدين لكنتم مهتدين مثلنا، ولكنا كنا ضالين فتبعتمونا، ولا مهرب لنا ولا لكم من عذاب الله وشدته، ولا نقدر أن نحمل عنكم شيئاً مما حق عليكم من العذاب.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وذلك يوم القيامة عندما يحكم الله سبحانه وتعالى على من استحق العذاب بالنار؛ فعندها يظهر إبليس على رؤوس الأشهاد خطيباً فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ يقول ذلك لأتباعه الذين ساروا في طريقه واتبعوه.

---

(١)-**سؤال:** هل قالوا ذلك على التزام مذهب الجبر فكيف وقد حصحص الحق؟ أم لأجل غرضٍ آخر فما هو؟

الجواب: ليس المراد أنهم ملتزمون لمذهب الجبر في قولهم: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ وإنما المقصود لو هدانا الله بالألطاف والتوفيق والتنوير وأمدنا بذلك كما يمد عباده المؤمنين...إلخ.

﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ ويخبرهم بأن مواعيده لهم ليست إلا أماني يمنيهم بها.

﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾(١) يخاطبهم إبليس ويخبرهم أنه لم يدخلهم في الضلال بالقوة والإكراه، وأنهم قد دخلوا بمحض إرادتهم ولم يكن منه إلا الدعاء لهم والوسوسة فقط(٢).

﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لأنكم الذين تسببتم على أنفسكم بالضلال واستحقاق العذاب.

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ فلست بمنقذكم من عذاب الله سبحانه وتعالى، وكذلك انتم لستم بمنقذي من عذابه.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ ويقول لهم الشيطان: إنكم عبدتموني في الدنيا وأطعتموني وأنا كافر بعبادتكم لي لأني لست شريكاً لله في الربوبية.

﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٢٢﴾﴾ وهم الذين دخلوا في طاعة الشيطان وعبدوه، وفي ذلك وما يكون من الحوار بينهم وبين إبليس ما لا يخفى من الذلة والخزي، وزيادة الحسرة والندامة التي تلحقهم لما يرون من سخرية إبليس بهم وفضيحتهم على يديه.

---

(١)-**سؤال:** كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل]؟

الجواب: المراد بالسلطان في هذه الآية السلطان القاهر الذي يلجيهم إلى طاعته وتنفيذ أمره، ويضطرهم إلى ذلك اضطراراً والمراد بالسلطان في الآية الثانية سلطان الطاعة والاتباع والحب للشيطان فيطيعونه ويتبعونه ويدينون له بذلك باختيارهم لا بقوة سلطانه.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف يميز الإنسان بين وسوسة إبليس وبين وساوس النفس؟ هل هناك دلائل وعلامات يميز بها الفرق بينهما؟

الجواب: وساوس الشيطان هي التي تزين للإنسان فعل المعصية، وتهيج النفس إلى ارتكابها، وما كان من الوساوس في غير ذلك فهو من حديث النفس ووساوسها.

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين أن جزاءهم سيكون النعيم الدائم في جنات النعيم، وأخبرهم أن التحية بينهم فيها ستكون سلام بعضهم على بعض، وتسليم الملائكة عليهم، وإقبالهم عليهم من كل باب يهنئونهم بما نالوا جزاءً على صبرهم في الدنيا على طاعة الله.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى عما تخلفه الكلمة الحسنة وراءها من الثمار، وما تتركه من الفوائد والمنافع بعدها، والأثر الكبير الذي يلحقها، حتى ولو كانت لعدو(٢)؛ فإنه إذا سمع منك كلمة طيبة فإنك تراه ينجذب إليك، ويظهر لك الود والاحترام والإخلاص، وأن حالها في ذلك كالشجرة الطيبة التي جذورها ثابتة في الأرض بينما ثمارها قد تدلت من أغصانها المتدلية من فوق يأكل منها جميع الناس.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾؟ وهل لتنكير قوله: ﴿سَلَامٌ﴾ نكتة فما هي؟

الجواب: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾ جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر فلا محل لها من الإعراب، نشأ هذا السؤال من جملة: ﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ...﴾ فقد تقرر في الأذهان أن الضيف الداخل يتلقى بالتحية فوقع هنا السؤال عن تحية الداخلين الجنة.

وتنكير «سلام» ليفيد أن السلام نوع مبهم لا يحاط به لعظمته.

(٢)-**سؤال:** إذا قال قائل: إن هذا يخالف مفهوم قوله تعالى: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩]، وقد يكون مداهناً إذا رفق بهم ولم يغلظ عليهم فكيف الجواب؟

الجواب: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ خاصة في المنافقين، أما الخُلُق العام الذي أُمِر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو ما جاء في قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[1] فحال الكلمة الطيبة كحال هذه الشجرة التي تؤتي ثمارها كل وقت يأكل منها جميع الناس.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ جعل الله سبحانه وتعالىٰ لنا هذه الأمثال لندرك مدىٰ تأثير الكلمة الطيبة وما يترتب عليها من المنافع والفوائد، وما فيها من المصلحة الكبيرة للدين ولهداية الناس إليه؛ لأنهم إذا سمعوا منك صدق الكلام ولينه، وعرفوا حرصك علىٰ الكلام الحسن والطيب، والرد علىٰ من أساء إليك بالكلمة الحسنة فإن القلوب بلا شك ستنجذب إليك، وستجعلهم يقبلون إلىٰ الاستماع إليك، والقبول منك والرغبة إليك.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ بخلاف الكلمة الخبيثة؛ فإذا سُمِعَ منك الكلام الفاحش والبذيء فإنهم سينفرون منك، ولا يتقبلون عنك، ولا يقبلون عليك ولو كنت عالماً، بل ولو بلغت الدرجة العليا في العلم فحالها كحال الشجرة التي لا تحمل إلا الشوك، ولا تخلف وراءها إلا الأذىٰ للناس، حتىٰ ولو اقتطعت فإنها تترك وراءها الشوك، ومن مر بجانبها مرة فلن يمر من عندها مرة أخرىٰ؛ لما يلحقه من أذىٰ الشوك الذي خلَّفَتْه بعد قطعها.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ[2] الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ

---

(١)-**سؤال:** ما الفائدة في ربط أثر الكلمة الطيبة بقوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾؟

الجواب: الفائدة هي بيان أن أثر الكلمة الطيبة ومنافعها تستمر وتدوم ولا تنقطع.

(٢)-**سؤال:** ما معنىٰ الباء في قوله: ﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾؟ وهل تريدون بتثبيتهم توفيقهم بسبب القول الثابت أو توفيقهم إلىٰ الكلمة الطيبة؟

الجواب: الباء للآلة مثل: «كتبت بالقلم» والمراد أن الله تعالىٰ يوفقهم ويهديهم إلىٰ القول الثابت الصحيح المدعوم بالحجج والبراهين في الدنيا فكلامهم كله طيب في الدنيا ليس فيه كلمة خبيثة، ويوفقهم يوم القيامة لقول الحق عند السؤال فلا يتلعثمون كما يتلعثم المجرمون.

اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴿٢٧﴾﴾(١) أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه يثبت عباده المؤمنين بهذه الكلمة الحسنة، والقول الحسن في الدنيا والآخرة، لما يكون منهم من الأخلاق الحسنة مع الناس، والكلام الحسن طيلة زمانهم، وفي الآخرة وعند الموت كذلك يكون منطقهم طيِّبَ الكلام، وذكر الله سبحانه وتعالىٰ، لا ينفكون عنه، وأما الظالمون فلا يوفقهم الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ ذلك.

﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴿٢٩﴾**﴾ وهؤلاء هم مشركو قريش أنعم الله سبحانه وتعالىٰ عليهم بنعم كثيرة عظيمة؛ فقد جعلهم سكان بيته الحرام وجعلهم أهل الله، وبعث فيهم نبياً منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ثم إنهم بالرغم من كل ذلك قابلوا هذه النعم بالكفر والجحود، وأدخلوا قومهم جهنم بسبب جهلهم وكفرهم.

﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ قابل مشركو قريش نعم الله سبحانه وتعالىٰ عليهم أيضاً بأن جعلوا مع الله آلهة أخرىٰ ليضلوا الناس عن طريق الحق والدين الحق.

﴿**قُلْ تَمَتَّعُوا**(٢) **فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴿٣٠﴾**﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١)- **سؤال:** ما رأيكم فيما رواه المرشد بالله عليه السلام وغيره عن عدة من الصحابة أن التثبيت هو عند السؤال في القبر؟ وهل يشهد له ما ورد من الأحاديث الصحيحة من الدعاء للميت: «ولقنه حجته، وصعّد بروحه، ولقه منك رضواناً»؟

الجواب: الآية محتملة لتفسيرها بالسؤال في القبر، وبالسؤال في يوم العرض الأكبر، فيصح تفسيرها بهما معاً؛ لأن الحياة الدنيا تنتهي بخروج الروح من الجسد. وما ورد في الدعاء: «ولقنه حجته» هو نفس المعنىٰ الذي دلت عليه الآية، فيصح تفسيره بالأمرين معاً.

(٢)-**سؤال:** يقال: ما المراد بالأمر بالتمتع؟ وما القرينة في ذلك؟

الجواب: الأمر بالتمتع هو للتهديد والوعيد، ودليل ذلك: إفضاء التمتع إلىٰ النار وتسببه في دخولها المدلول عليه بفاء السببية: ﴿**فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴿٣٠﴾**﴾.

أن يخبر المشركين أن مصيرهم إلى النار جزاءً على كفرهم ذلك، فليتمتعوا في الدنيا، وليتنعموا فيها بما أنعم عليهم من النعم فعاقبتهم إلى النار وبئس القرار.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا[١] الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٢] وأمره أيضاً أن يخبر الذين آمنوا وصدقوا، ويأمرهم بأن يؤدوا صلاتهم، ويخرجوا ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم من زكاة أموالهم في السر والعلانية.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝٣١﴾[٣] وليفعلوا ذلك قبل أن يأتي عليهم يوم القيامة يوم الحسرة والندامة الذي لا تكون فيه مبادلة منافع، ولا تنفع فيه صداقة فلا صديق ينفع صديقه، وقد انقطع الود فيما بينهم.

---

(١)-**سؤال:** ما رأيكم في جزم ﴿يُقِيمُوا﴾؟ هل لأجل حذف لام الأمر أم في جواب الأمر ﴿قُلْ﴾ مع أنه لم يظهر أنه في تقدير: إن تقل لهم يقيموا؟

الجواب: يجوز أن يكون الجزم بلام الأمر المحذوفة ويجوز أن يكون الجزم في جواب الأمر، وليس هناك جواب مقنع لاعتماد أي واحد من الأمرين. وإذا قلنا: إنه مجزوم في جواب الأمر فالتقدير: قل لهم أقيموا... يقيموا، فالجزم واقع في جواب الأمر المقيد بأقيموا، والأمر وإن لم يكن علة معقولة لإقامة الصلاة إلا أن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم صار عند المؤمنين بمنزلة العلة لاعتقادهم وجوب طاعته وامتثال أمره.

(٢)- **سؤال:** يقال: لماذا أمروا بالإنفاق سراً وقد قيل إنه لا خفاء في إخراج الواجبات؟

الجواب: قد يكون المراد بالسر لإنفاق النافلة وبالعلانية الفريضة، وعندنا أنه يجوز أن يراد باللفظ الواحد المعنى الحقيقي والمجازي.

(٣)-**سؤال:** هل ﴿خِلَالٌ ۝٣١﴾ جمع خِلَّة بالكسر فهي الخصلة واحدة الخصال أو جمع الخُلَّة بالضم فما وجه كسرها في الجمع؟ أم أنها نوع آخر فما هو؟

الجواب: ﴿خِلَالٌ ۝٣١﴾ مصدر خالَّه بالتشديد، أو خالَلَهُ بفك الإدغام يُخَالِلُهُ خلالاً ومخاللة مثل قاتل يقاتل قتالاً ومقاتلة.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فهو وحده الذي يستحق الإلهية والعبادة؛ لأنه الذي خلق السماوات والأرض، وأنزل لكم المطر، وأنبت به الزرع، وأخرج به الثمر، وجعل فيه أسباب رزقكم ومعايشكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ فهو الذي هيأ البحر وسخره لحمل السفن التي تحملكم وتحمل أمتعتكم، وجعلها تجري على ظهره بقدرته وإرادته.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ٣٢﴾ هيأها لتستنفعوا منها، وتسقوا منها أشجاركم، وتستقوا منها أنتم وأنعامكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جعلهما يجريان على طول الزمان في خدمتكم، وعلى حسب مصالحكم.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ٣٣﴾ وهيأهما في خدمتكم ومصالحكم، فجعل النهار لتنظروا فيه أسباب معايشكم وأرزاقكم، والليل لتسكنوا فيه وتهدؤوا من تعب نهاركم.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى عباده في هذه الآيات بنعمه عليهم، وإعطائهم كل ما طلبوه من منافع الدنيا على حسب مصالحهم.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ(١) لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤﴾ ومهما عد الإنسان من نعم الله سبحانه وتعالى فلن يستطيع أن يحصيها لكثرتها، ولو عد نعمه عليه التي في نفسه فلن يستطيع ذلك.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد باللام في قوله: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ الجنس الإفرادي أم الجنس الاستغراقي؟ وكيف أخبر عنه بأنه ظلوم كفار مع أن بعض بني الإنسان لا يجحد نعم الله ويعترف بها؟

الجواب: الإخبار عن الإنسان بأنه ظلوم كفار يدل على أن المراد بالإنسان هو الكافر فتكون اللام للاستغراق لكل إنسان كافر، وقد كثر استعمال «الإنسان» في القرآن مراداً به الكافر مثل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار]، ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ٦٦﴾ [مريم]، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ٧﴾ [العلق]، ويكون السياق هو المخصص.

فنعمة النفَس وإدخال الهواء إلى الرئتين، وانتظام دقات القلب على طريقة واحدة من دون اختلال أو فقد توازن، وتصفية الكليتين للسوائل التي يشربها، وأسنانه التي يقطع بها طعامه، وعينيه اللتين يبصر بهما ما أراد ويهتدي بهما لما أراد، وأذنيه اللتين يسمع بهما، ونعمة الطعم والذوق، ونعمة الشم، ونعمة اللمس ونعمة الكلام والتعبير عما بداخلك، وكم وكم غير هذه في جسمك التي لا تعد ولا تحصى، وكل نعمة من هذه النعم تترك وراءها ما لا يعد ولا يحصى من المنافع، ومع كل هذا فهو جاحد لهذه النعم، وكافر بها، غير معترف لله سبحانه وتعالى بمنة أو نعمة.

والظلوم: هو الذي يضع الأشياء في غير مواضعها فيعبد من لا يستحق العبادة، ويطيع من لا يستحق الطاعة، ويشكر من لا يستحق الشكر.

والكَفَّار: هو الجاحد بما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه الذي لم يعترف بنعمه عليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ يريد الله سبحانه وتعالى أن يذكِّرَ قريشاً بنعمه العظيمة عليهم، وهي أن جعلهم من ذرية إبراهيم، وأسكنهم حرمه، وجعله حرماً آمناً[(١)]، وأمَّنهم في أنفسهم يجيئون ويذهبون أينما أرادوا، بينما كانت بقية العرب في خوف وقتل وقتال، يتناحرون فيما بينهم، ويغزو بعضهم بعضاً، وهم يسيرون في جزيرة العرب آمنين على أنفسهم، وكانت العرب تسميهم بأهل الله، فهم آمنون في أنفسهم وبلادهم.

﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ۝٣٥﴾ وهذا من دعاء إبراهيم صلى الله عليه وآله بأن يرزقه

(١)-**سؤال:** هل نفهم أن الله تعالى حرم مكة لدعوة إبراهيم عليه السلام هذه أم ماذا؟

الجواب: لم نقصد ذلك، فمكة بلد حرام من قبل دعوة إبراهيم عليه السلام، ولعل إبراهيم عليه السلام دعا الله أن يجعل البلد آمناً لأن الناس كانوا ينتهكون حرمته، ولحرصه عليه السلام على أمن ولده وسلامته في ذلك البلد القفر الذي تجاوره أمم لا تدين بحرمة البلد الحرام، بل لا يوجد أثر للكعبة المشرفة ولا لزمزم، فبنى إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام الكعبة، ودعا إبراهيم عليه السلام الناس إلى تعظيمها والحج إليها وعلمهم المناسك، و...إلخ.

الله سبحانه وتعالى الذرية الصالحة لكي يعبدوه ويوحدوه، ويتركوا عبادة الأصنام، يريد عليه السلام أن يثبتهم سبحانه وتعالى على دينه في حين أنه قد ضل كثير من الناس بسبب هذه الأصنام.

﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣٦﴾ يذكر صلوات الله عليه وعلى آله أن من كان معه على ملته ودينه فهو منه، وأن من عصاه ورفض الاستجابة لدعوته وعكف على عبادة الأصنام ولوكان من ولده فالله سبحانه وتعالى أولى به(١).

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أمر الله(٢) سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله وهو في الشام بأن

---

(١)-**سؤال:** يقال: ظاهر قوله: «فإنك غفور رحيم» أن الله أولى بأن يغفر له ويرحمه وهذا مشكل من وجهين:

١- أنه جارٍ من إبراهيم عليه السلام مجرى الدعاء والدعاء للعاصي بالمغفرة لا يجوز.

٢- أنه رجاء منه عليه السلام وتجويز لحصول المغفرة لصاحب الكبيرة بل الكافر، وقد يستدل المخالفون بهذا على أن صاحب الكبيرة تحت المشيئة إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: يزول الإشكال بتقدير شرط التوبة أي: ومن عصاني ثم تاب فإنك غفور رحيم بدليل نحو قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ۝١٣٦﴾** [آل عمران]، وقوله تعالى: **﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۝٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝٧٠﴾** [الفرقان]، والآيات في هذا كثيرة فلزم تقييد آية إبراهيم بالتوبة لما ذكرنا، والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

(٢)-**سؤال:** يقال: من أين نستفيد هذا الأمر الإلهي؟

الجواب: يبعد كل البعد أن يخرج إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأم إسماعيل من الأرض المباركة إلى واد غير ذي زرع ثم يبني الكعبة ويؤذن في الناس بالحج، ثم يعلمهم حج البيت، ثم =

يهاجر بزوجته وابنه إلى مكة، وكانت أرضاً قفراء، فلا ماء ولا زرع، ولم يكن فيها أحد من الناس غير بعض القبائل كانوا ساكنين على مسافة منها، وهي أرض لا يصلح فيها الزرع، فأسكنهما بأمر الله سبحانه وتعالى فيها وذلك لحكمة منه سبحانه ومصلحة كان علمها، فدعا إبراهيم صلى الله عليه وآله الله سبحانه وتعالى بأنه قد أسكن بعض ذريته في تلك الأرض ليعمروها بذكره وعبادته وطاعته؛ لأنه سبحانه وتعالى قد أراد عمارة تلك البقعة بعبادته.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ دعا الله سبحانه وتعالى بأن يجعل في الناس الرغبة في تلك البقعة والدواعي(١) التي تجعلهم يميلون إليهم ويقصدونهم، ويسافرون إليهم من كل مكان في الأرض.

﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝٣٧﴾ وكذلك دعا الله سبحانه وتعالى أن يسبغ عليهم من النعم ويوسع لهم في الأرزاق ليشكروه، ولازالت دعوته تلك إلى يومنا هذا فالفواكه وخيرات الأرض تقبل عليها من كل مكان لا تنقطع في جميع أوقات السنة.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٣٨﴾ عندما أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم صلى الله عليه وآله أن يسكن امرأته وابنه في تلك الأرض القفراء وحدهما، ثم يرجع إلى الشام بعد ذلك وكان الولد طفلاً لا حول له ولا قوة، فعند ذلك أصابه الحزن الشديد، والضيق والقلق

يعود ويترك إسماعيل وأمه وقلبه يتقطع من الشفقة عليهما والحزن لفراقهما ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾، فاقتضى ذلك أنه عليه السلام فعل ما فعل بأمر من الله تعالى.

(١)-**سؤال:** هل الدواعي إلى الذرية أم إلى المكان؟ وكيف شملت هذه الدعوة المتأخرين من ذريته عليه السلام؟

الجواب: الدواعي هي إلى الذرية الساكنين في ذلك الوادي وشملت المتأخرين بدليل دعائه عليه السلام في سورة أخرى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ...﴾ [البقرة:١٢٩].

عليهما، ولكنه عرف أن هذا أمر الله سبحانه وتعالى، ولا بد أن يمتثل لأوامره، وعندها دعا الله سبحانه وتعالى شاكياً إليه ما هو فيه من الحزن والضيق، وانه وحده العالم بحاله، وما هو فيه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء، ويرجوه أن يعينه على الصبر على بلواه هذه.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴿٣٩﴾﴾ ثم حمد الله سبحانه وتعالى بعد ذلك على ما أنعم عليه من الأولاد في كبره وشيخوخته.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴿٤٠﴾﴾ ثم يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يوفقه هو والصالحين من ذريته إلى طاعته وإقامة الصلاة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴿٤١﴾﴾[1] يطلب لوالديه المغفرة؛ لأنه كان قد وعد أباه أن يستغفر له ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ**﴾ [التوبة:١١٤]، ويحتمل أن يكون طلبه ذلك للصالحين من آبائه الأولين، وفي ذلك أيضاً تعليم للناس كيف يستغفرون الله سبحانه وتعالى ويطلبونه، فإبراهيم هو قدوة المسلمين ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الحج:٧٨]، ولكن ينبغي أن ينوي المرء عند ذلك الصالح منهم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ فلا تظن يا محمد أن الله سبحانه وتعالى غافل عن الظالمين وعن أعمالهم عندما تراهم يتقلبون في النعم التي لا تحصى من التجارة والسعة والعدة والعدد والأمن والأمان والوجاهة والعافية والسلامة والرياسة، فالله سبحانه وتعالى مطلع عليهم وعلى أعمالهم، وسيؤاخذهم عليها؛ فما عليكم إلا الصبر.

---

(١)-**سؤال:** من حق المغفرة أن يطلب حصولها في الدنيا فما فائدة تعليقها بيوم الحساب؟

الجواب: علقها بيوم الحساب لأنه يحصل بها الفرحة الكبرى إذا نودي بها على رؤوس الخلائق، ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴿٢٠﴾**﴾ [الحاقة]، ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴿٩﴾**﴾ [الانشقاق].

﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ۝٤٢﴾ وأخبره أنه إنما يؤخر تعذيبهم إلى يوم القيامة، ووصفه بأن الأبصار تشخص فيه لشدة هوله وعظم الأفزاع التي فيه، فلا يحركون أبصارهم لما هم فيه من الهول والمراقبة والانتظار للعذاب.

﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ مسرعين بذلةٍ ورافعين رؤوسهم شاخصين بأبصارهم خوفاً وجزعاً، فهم مستسلمون منتظرون للعذاب الذي سينزل بهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ فهم محدقون بأعينهم إلى ناحية العذاب، لا تنظر إلى ما سواه، ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ۝٤٣﴾ وأفئدتهم خالية من كل تفكير لانشغالها بأهوال يوم القيامة.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن ينذر المشركين ويخبرهم بأن العذاب منتظر لهم إن لم يقلعوا عن شركهم، وأنه واقع بهم لا محالة.

﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ يخبرهم النبي ﷺ بذلك وأنهم سيطلبون من الله سبحانه وتعالى وقت حلول العذاب أن يمهلهم وينظرهم ليؤمنوا، ولكن حين لا ينفع الندم ولا يجابون إلى التأخير.

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝٤٤﴾ عندها يجيب الله سبحانه وتعالى عليهم بأن العذاب قد وجب ولا مفر لهم منه، ولن تنفعهم توبتهم حينها، ويخبرهم بأنه قد جعل لهم الفرص قبل ذلك فلم يغتنموها، وكانوا ينكرون ما ينذرهم به نبيهم ويكذبون ما جاءهم به، وينكرون البعث بعد الموت والحساب والجزاء.

﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾(١) وقد عرفتم وتحققتم أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد أسكن أمماً قبلكم،

(١)-**سؤال:** أين الفاعل في: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾؟

الجواب: اختلفوا في فاعل «تبين» ونحوها، فقيل: هو مصدر تبين أي: تبين لكم التبين، وقيل: =

وخلفتموهم في مساكنهم وقد عذبهم واستأصلهم بسبب تكذيبهم، ثم سكنتم في مساكنهم، فلماذا لم تعتبروا بهم، وبما نزل عليهم من عذاب الله وسخطه، وخاصة أنكم قد تحققتم ذلك؟

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴿٤٥﴾﴾ فلماذا لم تعتبروا ولم تتعظوا؟ وقد قصصنا لكم أخبار الأمم، وضربنا لكم الأمثال، وأرسلنا إليكم الرسل لتنذركم وتحذركم، فقد بلغتكم الحجة، ولم يبق لكم أي عذر.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ وهم المشركون فقد بالغوا في المكر، وعملوا جميع الحيل، واتخذوا جميع الوسائل في استئصال الإسلام، وإبطال دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن كل ما فعلوه من المكر والحيل يعلمه الله وأن قدرته فوق قدرتهم، ومهما حاولوا فهو من فوقهم بقدرته يبطل ما يكيدونه ويدبرونه.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴿٤٦﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن الجبال ما كانت لتزول من مكرهم وحيلهم، وبعضهم فسر ذلك بأن مكرهم عظيم غير أن مكر الله سبحانه وتعالى فوق مكرهم(١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ فلا تظن يا محمد أن الله سبحانه وتعالى سيخلف ما وعد به رسله من النصر والظفر بالمشركين والقهر لهم، بل سينتقم لدينه من المشركين ويعذبهم ويعز رسوله والمؤمنين، غير أنه تعالى يمهلهم ويتأنى بهم إلى

الجملة ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، وقيل: هو مقدر مأخوذ من معنى الجملة أي: من معنى ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾، والتقدير: وتبين لكم حالهم بالمشاهدة والأخبار، وهذا القول الأخير أحسن وأولى، والله أعلم.

(١)-**سؤال:** هل هذان التفسيران مبنيان على إعرابين مختلفين فما هما؟ وما الراجح منهما؟

الجواب: نعم، والإعراب الأول هو: أن «إن» نافية، وهذا الإعراب أحسن.

والإعراب الثاني: أن «إن» مخففة من الثقيلة، واللام في «لَتزولُ» مفتوحة والأخيرة مضمومة.

أن يحين أجلهم؛ لأن المسلمين كانوا قد استبطأوا نزول عذابه بهم حتى صاروا في شبه يأس من النصر والظهور عليهم؛ لما كانوا يرونه من المشركين من القوة والعدد والعدة والتمكن في الأرض والسلطان الكبير وكثرة الأموال والتجارات.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ۝٤٧﴾ فالله سبحانه وتعالى لا يمتنع عليه شيء وهو قادر على أن ينتقم منهم، وسينتقم منهم، غير أنه لم يحن ذلك الوقت الذي أراد أن يعذبهم فيه.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ۝٤٨﴾ وسيكون وقت انتقامه منهم يوم القيامة يوم يحشر جميع الخلق إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الحساب والجزاء، وأراد بتبديل الأرض أنها سوف تتساوى عاليها بسافلها ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا۝١٠٧﴾ [طه]، وليس هناك أرض غير هذه الأرض كما يظن البعض، فهذه الأرض هي نفسها الأرض التي سيبعثون منها وسيحاسبون فوقها ثم يسيرون منها إلى الجنة أو النار، وتبديل السموات المراد به: ذهاب ما فيها من شمس وقمر وكواكب.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ۝٤٩﴾ وسيكون المجرمون في يوم القيامة مقيدين بالسلاسل والأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ وهي ملابسهم ستكون من نحاس ذائب من شدة الحرارة.

﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ۝٥٠﴾ وهو اللهب يلفح وجوههم ويحرقها.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا(١) كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ۝٥١﴾(٢) سيبدل

---

(١)- **سؤال:** ما الوجه في حذف حرف الجر المعدى به: ﴿مَا كَسَبَتْ﴾؟

الجواب: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعدى إلى مفعولين بنفسه من غير حرف جر، ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]، والباء في نحو قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ [سبأ:١٧]، ليست للتعدية وإنما هي للسببية دخلت على العمل الذي استحقوا بسببه الجزاء.

(٢)-**سؤال:** ما المراد بكونه سريع الحساب؟

الجواب: يفسر ذلك بتفسيرين:

=

الله الأرض ويحشر الناس وسيحاسبهم؛ لأجل أن يجازي كل نفس بما عملت.

﴿هَذَا[(١)] بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ﴾ أرسل الله سبحانه وتعالى إليهم نبيه محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنزل معه القرآن؛ ليبلغ الناس معالم دينهم، ويحذرهم من عذاب الله، وينذرهم سخطه ونقمته، وما دام الأمر هكذا فالمفروض أن يأخذ المرء حذره، ولو لم يحصل له اليقين بصدقه، فالعاقل يحتاط لنفسه.

﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا[(٢)] هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾[(٣)] فلا يكون لأحد

---

١ –أن وعد الله حق وصدق فهو آتٍ لا ريب فيه، وكل ما هو آت قريب.

٢ –قيل لعلي عليه السلام: كيف يحاسب الله تعالى الخلائق في وقت واحد فقال: (كما يرزقهم في وقت واحد).

(١)-**سؤال:** إلام الإشارة بقوله: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾؟

الجواب: تعود إلى ما تقدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا...﴾ إلى آخر الآيات، أو يعود للسورة كلها، أو للقرآن أو لما اشتمل عليه من المواعظ والعبر والآيات.

(٢)-**سؤال:** كيف كان القرآن سبباً للعلم بوحدانية الله وإنما تعلم من العقل؟

الجواب: كان سبباً للعلم بوحدانية الله لاشتماله على الآيات المثيرة لدفائن العقول، وأيضاً فيه بعض الأدلة المركبة تركيباً مشابهاً للتركيب المنطقي، بل إن الأدلة القرآنية في توحيد الله وربوبيته.

(٣)-**سؤال:** هل لختم هذه السورة مناسبة مع ما تحدثت عنه من أولها فما هي؟

الجواب: ختمت السورة بآية: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ لتؤذن بأن:

١- الغرض والغاية من هذه السورة هو:

- أنها بلاغ للناس وتنبيه لهم على الدين الحق.
- وأنها تنذر المبطلين بعذاب الله ونقمته في الدنيا والآخرة إن لم يقلعوا عن الباطل ويرجعوا إلى الدين الحق ويتوبوا إلى الله.
- وأنها تحمل الدلائل الدالة على توحيد الله وبطلان الشرك.
- وفيها التذكير لأهل العقول بما هو الدين الحق الذي يجب أن يدينوا الله به.

٢- وتؤذن هذه الآية بنهاية السورة وتمامها وذلك واضح.

أي عذر عند الله سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة، فقد بلغتهم الحجج، وقد أعذرهم وأنذرهم وحذرهم علىٰ لسان نبيه الذي عرفوا صدقه وأمانته حتىٰ أنه اشتهر بينهم بلقب الصادق الأمين مع ما أيده الله تعالىٰ به من الآيات البينات والحجج الواضحة والبراهين القاطعة للأعذار.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ۝١﴾[(١)] يشير الله سبحانه وتعالى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن هذا الذي يتلى عليه هو من آيات الكتاب، وآيات القرآن الذي قد وضحت حجته وتبينت آياته.

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ۝٢﴾[(٢)] أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار سيتمنون يوم القيامة أنهم كانوا مسلمين في الدنيا لما يرونه من عذاب الله.

﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝٣﴾ اتركهم يا محمد يأكلوا في الدنيا ويتمتعوا فيها كما تأكل الأنعام فلن يدخلوا في دينك، ولن يستجيبوا لدعوتك، وسوف يعلمون بصدق دعوتك، وأنك مرسل من عند الله سبحانه وتعالى عندما يرون نزول العذاب بهم وحلوله بساحتهم، فدعهم يعيشون على الآمال التي يؤملونها ويتمنونها.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما وجه قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ وليست إلا بعضه؟ ولماذا نكر: ﴿وَقُرْءَانٍ﴾؟

الجواب: يمكن أن يقال: إن الإضافة بمعنى «من» أي: إن الإضافة للتبعيض، وهذا على أن الإشارة للسورة كما فسرنا، أما إذا قلنا إن الإشارة إلى القرآن فلا إشكال. ونكّر «قرآن» للتعظيم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿رُبَمَا﴾ و﴿لَوْ كَانُوا﴾؟

الجواب: «رب» حرف جر، ودخلت عليه «ما» فكفته عن العمل لذلك جاء بعده الفعل.

و«لو» حرف مصدري أي: أنه يسبك مع ما بعده بمصدر، أي: ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين، ومعنى «ربما» التكثير لأن كل كافر يود يوم القيامة أنه كان مسلماً ليسلم من عذاب النار الخالد.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴿٤﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه لم يهلك قرية ويعذب أهلها إلا عند بلوغ أجل عذابها الذي حدده لها؛ فلا تستعجل يا محمد على عذاب قومك، وسيأتيهم العذاب عند حلول أجله الذي كتبه الله تعالى.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴿٥﴾﴾ لا تستعجلوا هلاك قريش فإن لهم أجلاً لا بد أن يبلغوه ويصلوا إليه؛ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فهم كغيرهم من الأمم التي عذبها الله.

﴿وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴿٦﴾﴾ سخرت قريش من النبي ﷺ ومن دعوته ونسبته إلى الجنون.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا[1] بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴿٧﴾﴾ وقالت له قريش: فإن كنت صادقاً يا محمد فيما تزعم فهات الملائكة يشهدون بصدق نبوتك.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فأجاب الله سبحانه وتعالى على المشركين بأنه لا ينزل الملائكة إلى الناس إلا لحكمة ومصلحة، ولا حكمة في تلبية طلبهم لأن إيمانهم يكون لو أعطوا مقترحهم عن اضطرار.

﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴿٨﴾﴾ ولو أن الله تعالى نزل الملائكة إلى قريش كما اقترحوا لأخذهم بالعذاب ولما أمهلهم إذا لم يؤمنوا.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴿٩﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾؟

الجواب: «لوما» حرف تحضيض، و«تأتينا» فعل مضارع وفاعله مستتر والضمير مفعول به.

ومعنى التحضيض: الحث، أي: أن المشركين حثوا رسول الله ﷺ على أن يأتيهم بالملائكة إذا كان صادقاً في دعواه النبوة لتشهد له بالنبوة والرسالة أو لتعاقبهم على تكذيبهم.

نبيه ﷺ بأنه قد نزل عليه القرآن وسيحفظه من التحريف والتبديل والتغيير.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝١١﴾ وأخبره أيضاً بأنه قد أرسل قبله الرسل في كل فرقة من فرق الأمم السابقة، وكانت كل فرقة تكذب وتستهزئ برسولها، وتلحق به الأذى.

أراد الله سبحانه وتعالى أن يهون على نبيه ﷺ تكذيب قومه واستهزاءهم، وأن يشد من عزمه على مواصلة دعوته وتبليغ رسالته؛ لأنه إذا عرف أن الأنبياء قبله قد أصابهم مثل ما أصابه هانت عليه مصيبته، فالمصيبة إذا عمت هانت.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝١٢﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يُدْخِلُ القرآن في قلوب المكذبين به، ويفهمهم إياه؛ ليكون حجة عليهم يوم القيامة.

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ وقد عرفوه وعلموا به، ولكنهم لن يؤمنوا أبداً، يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بذلك لئلا يظن عندما يراهم لم يؤمنوا أنهم لم يفهموا حجة الله ولم يعلموا بها، فقد علموها، ولكنهم تمردوا واستكبروا ويريد الله تعالى أن يحسم طمع النبي ﷺ في إيمانهم، وأخبره بأنه قد عذب تلك الأمم السابقة جزاءً على كفرهم وتكذيبهم بأنبيائهم، وأن قومه سيصيبهم مثل ما أصاب الأمم السابقة، وأن سنته في جميع خلقه واحدة لا تتبدل.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ۝١٥﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن يحسم طمع النبي ﷺ في إيمانهم، ويقطع رجاءه فيهم، فأخبره أنه لو فتح لهم باباً إلى السماء يطلعون منه إليها، ثم ينزلون ويجيئون منه ويذهبون متى أرادوا- لظلوا على كفرهم هذا وتمردهم، ولما نفع فيهم ذلك، ولقالوا: إن الذي نسمعه من الملائكة ليس صدقاً وإنما قد أصابنا السحر، فلا تظن يا محمد أن إعراضهم وتمردهم لنقص في تبليغهم أو خلل في آياتك، فلن يؤمنوا أبداً أبداً.

ومعنى «سُكِّرت» أي: سُدَّت وحبست عن الإبصار والرؤية.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على خلقه، ويعرضهم على مدى قدرته وقوته ليلتفتوا إلى آياته هذه التي بثها لهم، ويتفكروا ويتدبروا فيها، وحثهم أن ينظروا إلى خلق النجوم التي فوقهم كأنها قناديل معلقة في السماء تزينها بنورها وجمالها.

والبروج: هي المنازل والطرق التي يسير فيها كل نجم، فكل نجم له منزلة لا يتخلف عنها.

﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾[1] حفظ الله تعالى السماء فلا تستطيع الشياطين أن تصعد إلى السماء لتستمع إلى ما تتكلم به الملائكة، أو تطَّلع على الأسرار من علم الغيب التي تتناقلها الملائكة فيما بينهم، والتي قد أطلعهم الله سبحانه وتعالى عليها؛ لأن الشياطين إذا سمعت ذلك فإنها ستنقله إلى كهنتها ومنجميها.

﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ إلا ما كان من بعض العفاريت المتمكنين بما معهم من القوة فيغامرون ليسترقوا بعض الأخبار، فإن الله سبحانه وتعالى يرمي من فعل ذلك بشهاب يرسله عليه فيحرقه ويطرده، وقد قيل إنه لا يموت منه، وإنما يؤلمه ألماً شديداً يمنعه من الإتيان مرة أخرى.

والمراد بهذه السماء هي سماء الدنيا؛ لأن النجوم الساطعة فيها، وأما التي فوقها فليس فيها نجوم ساطعة ظاهرة للناظرين.

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ ثم يُذَكِّرُ الله سبحانه وتعالى عباده بأنه قد مَهَدَ لهم الأرض، وجعلها صالحة للاستقرار على ظهرها والعيش فوقها.

﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ وجعل فيها الجبال ليهتدي بها الناس في طرقهم

---

(١)-**سؤال:** هل المراد بالشياطين مردة الجن أم أنهم نوع آخر كإبليس يمتازون بالوسوسة فقط؟
الجواب: الشياطين مردة الجن، وليسوا نوعاً آخر غير الجن.

ومعرفة الجهات والبلدان، ولتحفظ الأرض من الْمَيَدَان.

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ۝١٩﴾ وأنبت فيها من المعائش على قدر حاجة خلقه ومصالحهم، ولا يخلق شيئاً أو ينبت شيئاً عبثاً زائداً على قدر الحاجة ولا ينقص من قدر الحاجة.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾[1] جعل الله في الأرض أماكن صالحة للزراعة، ولحياة الحيوانات والأسماك، وبذلك قامت الحياة على ظهر الأرض للإنسان والحيوان.

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ۝٢٠﴾ وكذلك أرزاقاً للحيوانات[2] التي لا تستطيعون أن ترزقوها، وقد جعل الله سبحانه وتعالى لها في الأرض قدر حاجتها.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ۝٢١﴾ وكل شيء تحت قدرته وسيطرته وفي خزائنه وملكه، يعطي كلاً حاجته، ولا ينقص من ملكه شيء، وأن الأرزاق بيده ينزلها لخلقه على قدر ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يخبرنا الله سبحانه وتعالى بفائدة الرياح والنعمة التي جعلها لنا فيها، وهي أنها تلقح الأشجار، وتلقح السحاب ليمطر؛ لأن السحاب يلقح بعضه بعضاً[3]، فتأتي الرياح فتدمج هذا مع هذا مما يؤدي إلى أن يتفاعل فينزل المطر منه.

---

(١)-**سؤال:** كلمة ﴿مَعَايِشَ﴾ ما نوع اسميتها مع التفصيل؟

الجواب: «معايش» جمع معيشة، ولم تقلب الياء همزة لأنها أصلية، وبعضهم قلبها همزة تشبيهاً لها بياء صحيفة.

(٢)-**سؤال:** هل المراد كل الحيوانات أم بعضها التي لا تعرف أكلها وغذاءها أو لا تحمل رزقها؟

الجواب: الظاهر العموم لكل الحيوانات التي تعيش على ظهر الأرض.

(٣)-**سؤال:** هل هذه حقيقة علمية في العلم الحديث أم استنباط من ظاهر الآية؛ لأن الفاء للتعقيب تفيد أن نزول المطر عقيب التلقيح؟

الجواب: المراد أن السحاب يلقح بعضه بعضاً بفعل الرياح فهي التي تسوق بعضه إلى بعض، فإذا التقى السحاب المرتفع بالسحاب المنخفض حدث الرعد والبرق ونزول المطر بإذن الله.

﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ ولن تستطيعوا أن تخزنوا[1] هذا الماء الذي ينزل من السماء وإنما تمتصه الأرض إلى أن ينضب.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴿٢٣﴾﴾ ينبه الله سبحانه وتعالى هنا الإنسان عن غفلته ويوقظه ليتنبه من رقدته، ومن الوقوع في المهالك والمآثم، ويذكره بأن الموت والحياة بيده، وأنه هو الذي وهب الحياة، وسيأخذها متى ما أراد؛ فليحذروه ويتقوا معاصيه، ويجتنبوا سخطه وعذابه، ومعنى الوارثون: الباقون بعد فناء الخلق.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴿٢٤﴾﴾[2] يخاطب الله سبحانه وتعالى مشركي قريش بأنه سيأخذهم بعذابه وأنه قد علم من هو الذي سيعذبه منهم أولاً، وأنه عالم بمن سيأخذه بعذابه آخراً.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴿٢٥﴾﴾ وأن مرجعهم إليه يوم القيامة جميعاً، وكل من خلقه على وجه الأرض سيحشره يوم القيامة للجزاء والحساب.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يذكِّرُ الله سبحانه وتعالى عباده بنعمته عليهم بالخلق لعلهم يرجعون إليه، ويتركون ما هم فيه من الضلال والكفر، وأن بيده كل ذلك، أما الأصنام فلم يكن منها أي خلق أو رزق أو حياة أو موت.

---

(١)-**سؤال:** قد يقال بأنه يخزن في السدود والبرك ونحوها فما المراد بنفي خزنه؟

الجواب: حفظ الناس للماء يكون بكميات قليلة، ومهما خزنوا فلن يستطيعوا أن يخزنوا منه ما يكفي لسقي الجبال والشعوب والبراري والقفار، وما يكفي لإخراج أقوات الناس والحيوانات. **وبعد،** فلا نزال نسمع في هذا الزمان الذي تطورت فيه الصناعة عن مجاعات في بعض الدول بسبب قلة الأمطار حتى هلكت مواشيهم، بل حتى يموت بعضهم من الجوع والهزال.

(٢)-**سؤال:** ما معنى السين في قوله: «المستقدمين، والمستأخرين»؟

الجواب: معنى السين والتاء هو التأكيد في اللفظين جميعاً.

يخاطب الله سبحانه وتعالى العقل هنا؛ لأنه إذا تفكر في ذلك وتدبر عرف صدق ذلك، وإذا تفكر المشركون في الأصنام عرفوا أنها ليست إلا أحجاراً أخذوها من الجبال ونحتوها وصوروها، وسموها آلهة وعبدوها، وعرفوا أيضاً أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تستطيع فعل شيء.

ينبه الله سبحانه وتعالى المشركين ويذكرهم بذلك؛ لأنهم في بداية أمرهم نشأوا على ذلك وتربوا على عبادة الأصنام من صغرهم، وغرس آباؤهم فكرة إلهيتها في عقولهم، مما أدى ذلك إلى تعطل عقولهم، فعندها أرسل الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه ليذكروهم ويوقظوا عقولهم، ويثيروها على التفكر والتدبر، فإذا تفكروا وتدبروا عرفوا صدق ما جاءتهم به رسلهم، وأنهم كانوا في ضلال وباطل.

﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۝٢٦﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه خلق الإنسان، وأن أول ما خلق آدم من تراب أسود متغير وهذا معنى الحمأ، والمسنون: هو المحكوك حتى صار أملس، والمصنوع على شكل آدمي، والصلصال: هو التراب الذي قد عجن بالماء، ويكون له صوت طنين عند الضرب عليه إذا يبس، ثم بعد أن صوره على ذلك الشكل نفخ فيه الروح فإذا هو إنسان يتحرك ويمشي ويسمع ويبصر، وهذا هو بداية خلق البشر.

﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ۝٢٧﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق الجان قبل خلق الإنسان، وأنه خلقهم من اللهب الأصفر الذي يكون في النار.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۝٢٨﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى ملائكته قبل خلق آدم بأنه سيخلق بشراً من التراب.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ۝٢٩﴾ وأمرهم بالسجود له حين ينفخ فيه الروح بعد إتمام خلقته.

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ۝٣٠ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ۝٣١﴾ وكان هذا اختباراً منه جل وعلا لملائكته، من سيذعن منهم لأوامره، ويتواضع ويتضعضع لعظمته؛ فسجد جميعهم إلا إبليس؛ فإنه استكبر عن ذلك، ولم يتنازل لأن يسجد لبشر من طين، وكيف يسجد له وهو أفضل منه لكونه خُلِق من النار، والنار أشرف من الطين؟ وكان بتكبره هذا إنما يتكبر على الله سبحانه وتعالى عندما لم يمتثل لأوامره وتعاظم عن الانقياد لأمره.

﴿قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ۝٣٢﴾(١) استنكر الله سبحانه وتعالى على إبليس امتناعه عن الامتثال لأمره.

﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ۝٣٣﴾ فيجيب إبليس بأنه لا ينبغي له أن يسجد لبشر أدنى منه في الخلقة، وزعم أن ذلك

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف يكون المعنى نظراً لتحليل الكلام وفكه تبع التركيب الإعرابي فكثيراً ما يشكل هذا التركيب؟

الجواب: الإشكال حصل بسبب مجيء «أن» المصدرية والمفروض أن لا يؤتى بها مثل: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا۝١٣﴾ [نوح]، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٢٠﴾ [الانشقاق]، ومن هنا ذكروا عن الأخفش وهو من أئمة اللغة العربية أن «أن» المصدرية في هذا وأمثاله زائدة والجملة حالية. والمعروف أن «ما لك» أو«ما لهم» استفهام استنكاري يأتي بعده الأمر المستنكر نحو: مالك قائماً، فالمستنكَر على المخاطب هو القيام، ونحو: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا۝١٣﴾ فالأمر المستنكر هو قوله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا۝١٣﴾ وهي في محل نصب على الحالية، أي: مالكم غير راجين لله وقاراً، إلا أن المعربين لم يعجبهم قول الأخفش فأعربوا ذلك على وجهين:

- أن تكون «لا» زائدة للتوكيد، والتقدير: ما منعك يا إبليس من أن تسجد، أي: من السجود.
- أن تكون «لا» غير زائدة، والتقدير: ما الذي دعاك يا إبليس إلى عدم السجود، أو ما الذي عرض لك يا إبليس في عدم السجود. والجار والمجرور في الوجهين متعلق بما تعلق به «لك» في: ﴿يَاإِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾.

غير لائق به وبمكانته.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴿٣٥﴾﴾ عندها أمره الله سبحانه وتعالىٰ بالخروج من الجنة التي خلق آدم فيها، وهي من جنان الأرض، والرجيم هو المطرود، وأخبره بأنه مطرود من رحمته إلىٰ يوم القيامة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴿٣٨﴾﴾ طلب إبليس من الله سبحانه وتعالىٰ بعد أن طرده ولعنه أن ينظره ويمهله إلىٰ يوم القيامة، وألا يميته، فأجابه الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ ما طلب ووعده أن يمهله إلىٰ وقت مبعث الناس يوم القيامة.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴿٣٩﴾﴾ فما دمت محكوماً عليَّ بالغواية واللعنة والطرد فسأزين للبشر المعاصي، وسأغويهم عن طريق الحق والصواب وأصرفهم جميعاً عن طريق الحق.

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴿٤٠﴾﴾(١) استثنىٰ إبليس عباد الله المخلصين لعلمه بأنه لا يستطيع إضلالهم وإغواءهم، لإخلاصهم لله سبحانه وتعالىٰ، وإن وقع منهم زلة أو خطيئة تابوا عنها من ساعتها وحينها، وأقلعوا عنها.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴿٤١﴾﴾(٢) أخبره الله سبحانه وتعالىٰ أن عباده المؤمنين قد استحقوا أن يحوطهم بألطافه وبعنايته وتوفيقه وتسديده.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في جعل ﴿الْمُخْلَصِينَ﴿٤٠﴾﴾ بالفتح لا بالكسر؟

الجواب: قد قرأ بعض السبعة القراء بالكسر وبعضهم بالفتح، فمن قرأ بالكسر فالمعنىٰ: إلا عبادك الذين أخلصوا لك الطاعة والعبادة، ومن قرأ بالفتح فالمعنىٰ: إلا عبادك الذين وفقتهم وأمددتهم بزيادة الهدىٰ والبصيرة والنور.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في تشبيه الحق بالطريق الواضح المستقيم؟

الجواب: الوجه الجامع هو أمن وسلامة سالك الطريق المستقيم الواضح.

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[(١)] وأخبره أنه لا تسلط له عليهم لثباتهم وقوة إيمانهم ولعناية الله بهم، وأما البقية[(٢)] فقد صاروا تحت سلطانه وسيطرته وهو ما استثناه بقوله:

﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ۝٤٣﴾ لموعد الغاوين من الجن والإنس.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ۝٤٤﴾ لجهنم سبعة أبواب، وأصحاب جهنم سبعة أصناف لكل صنف منهم باب يدخل منه.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ۝٤٥﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المتقين أنهم يتنعمون في البساتين التي فيها ما لذ وطاب من أنواع الفواكه والثمار،

---

(١)-**سؤال:** هل وسوسة الشيطان منفية تماماً عن المخلصين أم المراد أن لهم ألطافاً وتوفيقاً ترد وسوسته؟

الجواب: ليست وسوسة الشيطان منفية عن المخلصين فهم كغيرهم في التكليف والابتلاء بالشيطان ووساوسه وشهوات النفس وهواها، إلا أن المخلصين تغلبوا على الهوى والشهوات فوساوس الشيطان بقوة الإيمان وخوف الرحمن قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [فصلت:٣٦]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ۝٢٠١﴾ [الأعراف].

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف يجمع بين هذا وبين قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾؟

الجواب: سلطانه على الفاجر من أنه يأمر فيطاع ويدعو فيجاب باختيارهم ورضاهم ورغبتهم، ليس للشيطان تأثير إلا الدعوة لهم إلى اتِّباعه، وليس له تسلط على جرِّهم إليه وإدخالهم في طاعته، وإنما هم الذين انجروا باختيارهم ودخلوا برضاهم ورغبتهم إلا أن طريق الشيطان إلى إضلالهم وجرهم إلى طاعته سهلة ميسرة؛ لأنه لا ألطاف لهم ولا تنوير ولا توفيق ولا معونة من الله، فسلطانه عليهم هو تمكنه من إدخالهم في طاعته، وعدم سلطانه هو أنه لا قدرة له على اضطرارهم إلى الدخول في طاعته فلو لم يختاروا طاعته لما استطاع إدخالهم.

وأن الأنهار تجري في هذه البساتين.

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴿٤٦﴾﴾ وستزفهم إليها الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى، وكذلك ستزف إليهم التهاني والتبريكات ويطمئنونهم عند ذلك، ويبشرونهم بنيل الفرح والسرور الذي لا خوف معه.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ وسيذهب الله سبحانه وتعالى عنهم تلك الطبائع(١) التي كانت في الدنيا موجودة عند كل إنسان من الغل والحسد والحقد وما أشبهها، وقد وجدت هذه الطبائع في الدنيا لأجل التكليف، فمن تحكم في نفسه ومنعها من الطمع والجشع والحسد فإنه يستحق على ذلك الثواب العظيم من الله سبحانه وتعالى.

﴿إِخْوَانًا(٢) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴿٤٧﴾﴾ وسيكونون إخوة متحابين ومجتمعين على سرر يتحدثون فيما بينهم.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ لا يلحقهم فيها ما يكون في الدنيا من التعب والإرهاق والضيق والهم والحزن.

﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴿٤٨﴾﴾ فهم في نعيم دائم لا ينقطع ولا يفنى.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٤٩﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغ جميع عباده من المشركين وغيرهم أنه غفور لمن تاب ورجع إليه ولو كانت ذنوبه مثل الجبال؛ فسيغفرها له ما دام قد رجع إليه، وأن هذا من رحمته بعباده إذ يرغب عباده في الرجوع إليه، والإقلاع عما هم عليه من الشرك والمعاصي والفساد.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد نزع أصل هذه الطبائع أم غير ذلك فكثيراً ما يشكل هذا؟

الجواب: المراد نزع أصل تلك الطبائع لأنه لا مصلحة فيها في الجنة لارتفاع التكليف.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «إخواناً»؟

الجواب: «إخواناً» حال من الضمير المجرور في «صدورهم».

﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴿٥٠﴾﴾ وأمره أن يخبرهم أيضاً أن عذابه شديد وأليم لمن أصر على معصيته ولم يتب منها، وأما من اعتذر عنده فسيقبل عذره، وأما إذا كانت زلته حقاً لآدمي فليذهب إليه ليتخلص من الحق عند صاحبه.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴿٥١﴾﴾ ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يقص على قومه قصة إبراهيم وما جرى له مع ضيوفه الكرام.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴿٥٢﴾﴾ وهذه هي بداية قصته معهم، وهي أنهم دخلوا عليه في هيئة البشر ضيوفاً، فسلموا عليه ورد عليهم، وأخبرهم أنه قد أصابه من دخولهم عليه الخوف بعد أن علم أنهم من الملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا لتعذيب قوم واستئصالهم.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴿٥٣﴾﴾ فطمأنوه وأخبروه أنهم إنما جاءوا إليه ليبشروه بمولود سيولد له، وسيكون من أهل العلم والحكمة.

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى[1] أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴿٥٤﴾﴾ استنكر عليهم واستغرب في نفسه كيف يبشرونه بالولد بعد أن طعن في السن وبلغ حداً لا يسمح له بالإنجاب؟

﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴿٥٥﴾﴾ فأجابوه بأنهم إنما يبشرونه بخبر قد أمرهم الله سبحانه وتعالى بتبليغه إياه، فكيف يتعجب من ذلك وهو يعلم أن الله على كل شيء قدير.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴿٥٦﴾﴾ فأجابهم إبراهيم عليه السلام بتصديق وعد الله وأنه على كل شيء قدير.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى «على» هنا؟ وهل خرجت عن أصلها أم لا؟

الجواب: «على» هنا بمعنى «مع»، ويجوز أن تكون على معناها الأصلي الذي هو الاستعلاء، ومعنى استعلائه على الكبر أنه وصل غايته فكأنه تجاوزه وعلا ظهره، هكذا قالوا.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ۝٥٧﴾ وكان قد عرف أنهم قد جاءوا لأمر آخر غير هذا الذي قد جاءوه به.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ۝٥٨﴾ فأجابوه بأن الله سبحانه وتعالى أرسلهم إلى قوم لوط؛ لأنهم قد أفرطوا في المعاصي وبلغوا النهاية في الكفر والتمرد.

﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ۝٥٩ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ۝٦٠﴾ وأخبروه أنهم نزلوا لاستئصال قوم لوط عليه السلام جميعاً إلا لوطاً وأهله فلا يلحقهم سوء، إلا امرأته فإنه سيصيبها ما أصابهم، وسيعذبها الله سبحانه وتعالى معهم؛ لأنها كافرة مثلهم ومعنى قدرنا: قضينا، ومعنا الغابرين: الماضين في العذاب.

﴿فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ۝٦١﴾ خرجوا من عند نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وآله ذاهبين إلى قرى قوم لوط فلما دخلوا عليه.

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ۝٦٢﴾ دخلوا على نبي الله لوط في هيئة الضيوف؛ فأنكرهم وسألهم عن ما جاءوا له.

﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ۝٦٣﴾ وأخبروه بأنهم جاءوه بما كان يتشكك فيه قومه ويكذبونه فيه؛ لأن لوطاً عليه السلام كان يحذر قومه من الخوض في الباطل والمعاصي، وينذرهم عذاب الله سبحانه وتعالى إن استمروا على كفرهم وباطلهم وضلالهم أن يحل عليهم فيستأصلهم فكذبوه.

﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ۝٦٤﴾ جئناك بالعذاب عليهم، وهو واقع بهم لا محالة.

﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ وأمروه بأن يخرج من بين قومه بأهله في سواد الليل، والمراد بـ«قطع من الليل»: جزء من الليل.

﴿وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ﴾ أمروه أن يجعل أهله أمامه ويمشي خلفهم، ليحرسهم فلا يتخلف منهم أحد.

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ وأمروه في خلال مشيهم ألا يلتفت أحد منهم وراءه، ولعل ذلك لكي لا يروا شدة العذاب النازل بقومهم.

﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۝٦٥﴾ وأخبروه أيضاً أن الله سبحانه وتعالى سيرسل إليهم من يوجههم في مسيرهم.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ[1] مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ۝٦٦﴾ والمراد به أن الله سبحانه وتعالى قد أوحى إلى لوط أن وقوع العذاب بهم مقطوع به، وأنه لن يأتي عليهم الصباح إلا وقد استأصلهم وأبادهم، وقطع دابرهم.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۝٦٧﴾ وذلك عندما وصل ضيوف نبي الله لوط عليه السلام علم قومه بقدومهم فأقبلوا مسرعين نحوه يعلوهم الفرح والسرور بما سيفعلونه مع هؤلاء الضيوف من الفاحشة، وقد قيل إن امرأته هي التي أعلمت القوم بقدومهم.

﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ۝٦٨ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۝٦٩﴾ استاء لوط عندما رآهم مقبلين إليه، وأخذ يترجَّاهم ويتوسل إليهم أن يتركوا ضيوفه فلا يفضحوه فيهم.

وفي هذه الآيات تقديم وتأخير فقد بدأ بذكر أمر الملائكة لنبي الله لوط بالخروج، وإخبارهم له بوقوع العذاب بهم، ثم قص بعد ذلك بداية قدومهم، وما كان من لوط مع قومه، وقد ورد في القرآن كثير من هذا الباب.

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٧٠﴾ وزجروه وانتهروه بأنه الذي جنى على

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب المصدر المؤول: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾؟

الجواب: يعرب بدلاً من ﴿ذَلِكَ﴾ فهو في محل نصب.

سؤال: ما المراد بالدابر؟ وهل هو حقيقة أم مجاز؟

الجواب: المراد بالدابر آخر المهلكين أي: أن الله أهلكهم كلهم حتى آخر رجل منهم.

والدابر مجاز فإنه شبههم بالجسد الواحد الذي له قابل ودابر، وقد يكون الدابر حقيقة من حيث أن المضاف جزء من المضاف إليه فدابرهم هو آخرهم هلاكاً.

نفسه، وزعموا أنهم قد حذروه أن يأتي إليه أحد فلا يلومن إلا نفسه.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٧١﴾﴾ عرض عليهم أن يزوجهم[1] بناته ليكفوا عن ضيوفه.

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴿٧٢﴾﴾ فلم يقبلوا منه عرضه هذا، وأصروا على الفاحشة وعلى جهلهم وضلالهم، ومعنى «يعمهون»: يترددون في غيهم وحيرتهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴿٧٤﴾﴾ عندها نزل بهم عذاب الله وقت شروق الشمس بالصيحة وبأن رفع جبريل قراهم وضرب بها الأرض فجعل أعلاها أسفلها، وأمطر الله سبحانه وتعالى عليهم بالحجارة من السماء، والسجيل هو الطين المستحجر.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴿٧٥﴾﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه لا زالت آثارهم باقية يراها كل من مر من حولها، وأن من تفكر فيها ونظر وتدبر في عاقبة أولئك القوم- انزجر وخاف وحذر من ارتكاب ما يسخط الله تعالى، وأن قريشاً لو نظرت وتدبرت لعرفت ذلك، ومعنى المتوسمين: المتفرسين المتأملين.

وكانت قرى قوم لوط في الأردن بجوار البحر الميت.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴿٧٦﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن آثارهم لا زالت قائمة، وأنها في طريق أسفار قريش في تجاراتهم.

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعرض عليهم إلا التزويج الشرعي؟

الجواب: يفهم ذلك من السياق، ومن قوله في آية أخرى: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود:٧٨]، أي: أطهر لكم مما طلبتم من الفاحشة.

سؤال: قد يقال: كيف ساغ له أن يزوجهم مع فسقهم وغوايتهم؟

الجواب: لا وجه للاستشكال فقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مزوجاً لبعض المشركين ولم ينزل تحريم زواج المسلمات بالمشركين إلا بعد الهجرة بفترة.

يحثهم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ النظر والتفكر فيها لعلهم يعتبرون في عاقبة المكذبين بأنبيائهم كيف كانت.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴿٧٧﴾﴾ فهم الذين يعتبرون ويحذرون عذاب الله سبحانه وتعالىٰ وعقابه.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴿٧٨﴾﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ أصحاب الأيكة وما كان من شأنهم، والأيكة هي الأشجار الكثيفة الملتفة والمختلطة، وهم قوم شعيب عليه السلام.

﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ فأهلكهم الله سبحانه وتعالىٰ عندما كذبوا نبيهم وتمردوا عليه.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴿٧٩﴾﴾ آثار مساكن قوم شعيب وآثار قرىٰ قوم لوط علىٰ طريق واضح تمر عليه قريش في أسفارها إلىٰ الشام.

وأراد بالإمام المبين الطريق الواضح المأموم التي لا زال الناس يسلكونها.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴿٨٠﴾﴾ ثم انتقل إلىٰ حكاية ما كان من شأن أصحاب الحجر وتكذيبهم بنبيهم، وهم قوم ثمود أصحاب نبي الله صالح عليه السلام، وجعل تكذيبهم به كأنهم قد كذبوا بجميع المرسلين[1].

﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴿٨١﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه قد أعطاهم الآيات الواضحات الدالة علىٰ الحق وعلىٰ صدق نبيهم، ولكنهم كذبوا واستهزئوا وتمردوا.

والحجر: هو السد الذي يحجز الماء كانوا قد جعلوه في واديهم فنسبوا إليه.

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في ذلك؟

الجواب: الحكمة في ذلك أن ديانة المرسلين ومعتقداتهم واحدة فكان تكذيبهم لصالح فيما جاءهم به من الدين تكذيباً لما جاء به المرسلون من قبله.

﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ[١] مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ۝٨٢﴾ وآثارهم لا زالت باقية إلى اليوم وهي في شمال المدينة المنورة وتسمى مدائن صالح، وكانوا في نعمة وأمن وأمان ولكنهم نغصوا نعيمهم ذلك بكفرهم وتكذيبهم.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ۝٨٣﴾ جزاءً على كفرهم وتمردهم عذبهم الله سبحانه وتعالى، واستأصلهم مع طلوع الصبح.

﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٨٤﴾ فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من متاع الدنيا من التجارات والعمران والقوة والعدة والعدد، ولم يدفع عنهم شيئاً من عذاب الله.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى قريشاً أنه لم يخلق السماوات والأرض وما فيهما عبثاً وباطلاً، وإنما خلقهما لأمر عظيم وراءهما وهو يوم القيامة، ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ۝٢٩﴾ [الأنعام]، فأجابهم الله سبحانه وتعالى بذلك وأنه لم يخلقهما إلا ليرتب عليهما دارا أخرى تكون بعد هذه الدار يجازى فيها المحسن والمسيء.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ۝٨٥﴾[٢] أكد الله سبحانه وتعالى وقوعَ الساعةِ، وأنها أمر واقع لا بد منه، ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يغلظ على المشركين، وأن يجيبهم بالكلام اللين ويحسن إليهم، وألا يعاتبهم أو

---

(١)-**سؤال:** هل نحتهم البيوت هو أخذ الأحجار منها والبناء بها، أو نحتهم للكهوف والجروف في الجبال؟

الجواب: المراد أنهم نحتوها جروفاً وكهوفاً إلا أنهم جعلوها مربعة وذات أبواب على شكل غرف البيوت.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩]؟

الجواب: الصفح كان في أول الإسلام فلما استقوى الإسلام وصار له كيان ودولة وعدد وعدة أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالغلظة بدل الصفح، أي: أن الأمر بالغلظة ناسخ للصفح والإعراض.

يماريهم أو يسيء إليهم أي إساءة، وأن يقابل إساءتهم بالإحسان لعله يكون فيهم من يكون من أصحاب الخير؛ فيقبل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما يرى منه ذلك، ولأن الفحش في الكلام والغلظة فيه ستكون حاجزاً بينه وبينهم حتى ولو كان فيهم صاحب خير فلن يستطيع أن يقبل إليه مع ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴿٨٦﴾﴾ فهو عالم بخلقه وبطبائع عباده، وما هو الذي يتألف قلوبهم ويستميلها، وأن مقابلة الإساءة بالإحسان خير وأنفع من مقابلتها بالسيئة.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴿٨٧﴾﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد أنعم عليه بنعمة هي خير له من كل ما مع المشركين من متاع الدنيا، وهي أن أعطاه سبعاً من المثاني وأعطاه القرآن، وقد فسرها بعضهم بفاتحة الكتاب، وسميت مثاني لأنها تثنى في كل ركعة، وبعضهم قال هي السبع السور الطوال من القرآن، وهي السبع الأُوَلُ منه(١)، وسميت مثاني لأنها تثنى فيها قصص الأنبياء والأمم، وتحكي أخبارهم، وتكرر ذكرها وتردده مرة بعد أخرى.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴿٨٨﴾﴾ نهى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينظر إلى ما أعطاه الله بعض المشركين من المال والوجاهة والغنى والترف في الدنيا، وأمره ألا ينظر إليها نظر إعجاب، وأخبره أن ما أنعم به عليه من السبع المثاني والقرآن العظيم أعظم وأكبر من نعمته على المشركين، وألا يخالجه الشك في ذلك فيحتقر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه، وأنه ينبغي له أن يفرح بنعمته هذه لأنها أكبر وأعظم مما معهم جميعاً، والمراد بقوله: ﴿أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ أي ما أنعم به على كثير من أفرادهم.

---

(١)-**سؤال:** هل المراد إلى سورة الأعراف أم إلى الأنفال؟

الجواب: المراد إلى الأنفال مع التوبة أي: أن سورة الأنفال والتوبة هي السابعة، فقد كانوا يعدونها كذلك.

وكذلك نهاه عن الحزن على عدم إيمانهم، وكان يسوؤه عدم استجابتهم له شفقةً منه عليهم، ورحمة بهم أن يصيبهم العذاب، وأمره أن يتواضع للمؤمنين.

﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن الله أرسله إليهم لينذرهم ويحذرهم من عذابه وسخطه.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن على نبيه ﷺ كما أنزل التوراة والإنجيل على اليهود والنصارى وهو المراد بالمقتسمين، ثم وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم جعلوا القرآن عضين أي: مُفَرَّقاً وأجزاءً، فقد آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، فما وافق أهوائهم آمنوا به وما كان على خلاف رغباتهم وشهواتهم كفروا به.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى أنه سيسألهم عن جميع أعمالهم تلك، وسيجازيهم عليها.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ ثم أمره الله سبحانه وتعالى بأن يجهر بدعوته، ويبثها في كل مكان، ويبلغها جميع الناس، ولا يبالي بتكذيب المشركين أو يفتر لردهم لدعوته وتكذيبهم برسالته.

يحثه الله سبحانه وتعالى على الاستمرار والمضي في مواصلة دعوته؛ لأنه ﷺ كان يستاء كثيراً من تكذيبهم ويضيق صدره من إعراضهم عن دعوته وتنهار قواه من ذلك.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه قد كفاه أمر أولئك الذين يقفون في وجه دعوته وفي طريقها، وأنه سوف يهلكهم.

ثم إن الله سبحانه وتعالى قد نَفَّذَ ما كان وعد به نبيه ﷺ وأهلكهم يوم بدر، وكان وعده هذا وهو لا يزال في مكة في بداية دعوته، وقد عبر عنه بالماضي مع أنه لم يكن قد وقع دلالة على تحقق وقوعه، وأنه واقع لا محالة.

﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ۝٩٦﴾ وهؤلاء هم أولئك المستهزئون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانوا يعبدون الأصنام. يهددهم الله سبحانه وتعالى ويتوعدهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة تكذيبهم واستهزائهم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ۝٩٧﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصيبه الضيق الشديد لما يراه من تكذيبهم واستهزائهم وعنادهم، ويصيبه الفتور وتضعف عزيمته في مواصلة تبليغ الدعوة، فأخبره الله سبحانه وتعالى أنه عالم بذلك الذي يصيبه ومطلع عليه، يشجعه الله سبحانه وتعالى بذلك، ويصبره على مواصلة دعوته لهم، وأنه سوف يجازيهم على ما كان منهم.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ[1] رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ۝٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ۝٩٩﴾ أمره الله سبحانه وتعالى بأن ينزهه ويوحده، وأن يحمده وأن يكون من العاكفين على عبادته وحده، وحثه على الاستمرار على ذلك حتى يأتيه الموت.

❁❁❁❁❁

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾؟

الجواب: الباء للمصاحبة والملابسة، والمعنى على ذلك: فسبح حال كونك متلبساً بحمد ربك.

سورة النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[(١)] كان المشركون يسألون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يعجل نزول العذاب بهم إن كان صادقاً فيما يدعيه، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ما يسألونه قد وجب عليهم، وأنه عما قريب واقع بهم فلا عجلة على مكروه.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ۝١﴾ تقدس وتعالى عن أن يكون له شريك كما يزعمون.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ۝٢﴾[(٢)] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه ينزل الملائكة بالقرآن الذي هو مثل الروح التي تكون بها حياة الأبدان؛ لأن القرآن حياة القلوب كما أن الروح حياة للأبدان؛ لأن من كان في ظلمات الجهل والشرك فهو ميت القلب؛ فإذا سمع القرآن وآمن فإن قلبه يحيا بالإيمان.

وأخبر سبحانه وتعالى أنه ينزله على من يشاء من عباده وهم الأنبياء كموسى وعيسى ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وغيرهم ممن اختارهم الله واصطفاهم لحمل شرائعه وتبليغها للناس، وأنزله عليهم لينذروا الناس من عبادة الأصنام وغيرها، ويأمروهم بعبادة الإله الواحد، واتقاء معصيته ومخالفة أوامره.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة التعبير بالماضي في قوله: ﴿أَتَى﴾ ولم يكن قد حصل؟

الجواب: الفائدة في ذلك هي الإشارة إلى أن إتيان أمر الله متحقق الوقوع وأنه واقع لا محالة فكأنه لذلك قد وقع، فمن هنا جاء بالماضي.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾؟

الجواب: «أن» مفسرة، والجملة التي بعدها تفسيرية لا محل لها من الإعراب.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ[(١)] تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ۝﴾ هو وحده الذي خلق السماوات والأرض، يصرف الله سبحانه وتعالى آياته وينوِّعها، ويكرِّرها للمشركين؛ لأجل أن يتدبروا ويتفكروا فيها، فهو عالم بمداخل قلوبهم، وما هو الذي سينفع في كل واحد منهم، ويذكر لهؤلاء قصة ولآخرين قصة أخرى لكل على حسب مصلحته وحاجته، فأخبرهم هنا أنه خلق السماوات والأرض بالحق لغرض وحكمة، وليس كما يزعم المشركون من أنه لا حياة بعد الموت؛ لأنه لو كان كما يقولون لكان خلقهما عبثاً وباطلاً لا فائدة فيه[(٢)]، وأخبر أنه قد تعالى عن هذه الآلهة التي يعبدونها من دونه أن تكون مشاركة له في الإلهية.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ۝﴾[(٣)] وأخبرنا الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء هنا ﴿بِالْحَقِّ﴾؟ وكيف يكون المعنى تبعاً لذلك؟

الجواب: معناها الملابسة والمصاحبة، والمعنى: أن الله تعالى خلق السماوات والأرض حال كون السماوات والأرض متلبسة ومصاحبة للحكمة، أو حال كون الخالق متلبساً بالحق أي: محقاً في خلقه لهما، أي: أنه تعالى خلقهما لحكمة، والحكمة هي الابتلاء والتكليف ثم البعث والجزاء في يوم القيامة.

(٢)-**سؤال:** يقال: من أي ناحية يكون خلقهما عبثاً لا فائدة فيه لو صح قولهم؟

الجواب: قال الله تعالى للمشركين المنكرين ليوم الحساب المكذبين به: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ۝ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ۝﴾ [ص]. هكذا رد الله على المشركين الذين نسوا يوم الحساب أي: كفروا به ولم يؤمنوا ولم يصدقوا، فكان إنكارهم ليوم الحساب اتهاماً لله جل وعلا بأن خلقه للسماوات والأرض وما بينهما عبثاً باطلاً لا لحكمة، واتهاماً له بالتسوية بين المجرمين والمؤمنين، والمفسدين والمصلحين، والظالم والمظلوم، لو لم يكن جزاء وحساب.

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ۝﴾؟

الجواب: اختلف النحويون في إعراب «إذا» الفجائية وأحسن الأقوال قول الكوفيين إنها حرف، وعلى القول بأنها ظرف مكان أو زمان فتكون متعلقة بالخبر أي بـ«خصيم» أي: إن الإنسان خصيم مبين في زمان تكليفه أو مكانه.

وتعالىٰ أنه وحده هو الذي خلق الإنسان من نطفة وليست تلك الأصنام التي يعبدونها من دونه، واستنكر علىٰ الإنسان المخلوق من النطفة ثم العلقة... حتىٰ إذا بلغ مبالغ الرجال واستكمل عقله برز لعداوة خالقه ومخاصمته والكفر به والتكذيب برسله وكتبه وبآياته والكفران لنعمته.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ۝٥﴾ ويذكِّرُنا أيضاً بأنه الذي خلق لنا الأنعام نعمة منه علينا، لما جعل لنا فيها من المنافع والمصالح من الأكل والركوب علىٰ ظهورها، ولبس جلودها والتدفؤ بها وبشعرها، والحرث عليها، يذكر المشركين بذلك أيضاً لعلهم يرجعون إلىٰ الحق والهدىٰ ويشكرون الله علىٰ نعمه.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ۝٦﴾ وكذلك يُذَكِّرُ الله سبحانه وتعالىٰ عباده وفي المقدمة المشركين بنعمة الجمال الذي جعله لهم فيها والذي يدركونه ويشاهدونه في مجيئهم بها وذهابهم بها، ولكونهم من أهلها وأصحابها مما يجعلهم يحسون بهذه النعمة ويدركونها، وإن كنا لا ندرك هذه النعمة ولا نحس بها لكوننا لسنا من أهلها.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ۝٧﴾ وهذه أيضاً من النعم التي أنعم بها علىٰ خلقه يذكرنا بها لنرجع إليه وهي أنها تحمل الأمتعة في أسفارنا البعيدة التي لولا هي لأرهقنا حملها إرهاقاً شديداً، ولما استطعنا أن نصل إلا بتعب وجهد شديدين، والمراد بشق الأنفس هو أن التعب يكون قد أخذ بَعْضَ النَّفْسِ وشِقَّها، وهذا من رأفته ورحمته بخلقه أن أعطاهم وامتن عليهم بهذه النعم.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ وكذلك خلق الخيل والبغال والحمير وفيها نعمة الركوب علىٰ ظهورها، وجعلها زينة يتزينون بها عند ركوبها وتربيتها، والزينة ظاهرة في الخيل والبغال.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يذكّرنا الله سبحانه وتعالى بمدى قدرته وقوته وإحاطته بكل شيء، وأنه يخلق أصنافاً من المخلوقات لا نعلمها.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد أوجب على نفسه أن يبين لخلقه طريق الحق والهدى وما فيه نجاتهم، وقصد السبيل هو بيان الطريق التي تسوق إلى الحق، وأخبرنا تعالى أن بعض الطرق جائرة تؤدي إلى الضلال والهلاك فلا نسلكها، وأن طريق الحق ليست إلا واحدة فقط، وهذا معنى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لو شاء مشيئة جبر وإلجاء لفعل ذلك، ولأدخلهم في الهدى مكرهين، ولكنه ترك خلقه ووكلهم إلى اختيارهم لما يترتب على ذلك من الجزاء.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وليست الأصنام التي تعبدونها أيها المشركون.

﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ يذكر الله عباده بعظيم نعمة الماء الذي ينزله من السماء فيشرب منه الناس وتنبت به الأشجار والمراعي التي تأكلها الأنعام وترعاها الدواب وهذا معنى: «فيه تسيمون».

﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وأخبرنا أن في ذلك دلالة كبيرة، وآية واضحة بينة تدل على قدرته وإلهيته إذا كان هناك من يتفكر وينظر، فبالماء الذي ينزله من السماء ينبت الله لنا الزرع بأنواعه وينبت به الزيتون والنخيل والأعناب والأثمار والفواكه على اختلاف أنواعها وأشكالها.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ وهيأهما لمصالحكم، وعلى حسب ما يوافق معايشكم.

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾[1] وكذلك الشمس والقمر سخرهما لمصالح بني آدم لما لهم فيهما من الدفءِ والنور والضياء ومعالم الأوقات والزراعة، والفائدة لأشجارنا وأنعامنا، وكم وكم من المنافع فيهما التي لو عددناها لاحتجنا إلى الكثير من الكلام الذي لا يسع بسطه هنا.

وكذلك سخر لنا النجوم لنهتدي بها في أسفارنا، ونحدد به جهات مسيرنا، ونعرف بها ساعات الليل، وغير ذلك كثير من المنافع.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ يذكِّرُنا الله سبحانه وتعالى بذلك ليبعثنا على التفكر والتدبر في شأنها لنعرف من أوجدها، ومدى قدرته وعظمته وإلهيته، وأن في ما ذكره لأهل العقول آيات واضحاتٍ وحججاً بيناتٍ تدل عليه وعلى تفرده بالألوهية.

---

(١)-**سؤال:** ما النكتة في عطف الجملة الاسمية: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ على الفعلية قبلها؟

الجواب: قرئ بنصب النجوم وبرفعها فالنصب هو بالعطف على مفعول: «سخر لكم»، أما على قراءة الرفع فهو من عطف الجمل. والنكتة في عطف الاسمية على الفعلية -والله أعلم- هي الإشارة إلى الفرق بين التسخيرين فتسخير الليل والنهار والشمس والقمر قد كان لمصالح البشر، والبشر مدركون لذلك بالضرورة تقريباً، والتعبير بالماضي عند تعداد المنعم لمننه على الناسي لها أو الكافر بها هو السبيل المعهود والقرآن مليء بشواهد ذلك. أما تسخير النجوم فلا يدرك المخاطبون حاجتهم إليها لحياتهم على الأرض ولا يفهمون مصالحهم المتعلقة بها اللهم إلا الاهتداء بها في الطرق ولكن ذلك خاص بقلة من الناس، وسائر البشر غير فاهمين لذلك، فمن هنا لم يكن البشر مدركين أن النجوم مسخرة لهم، ولا يرون أن لهم بها مصالح كما هو الحال في الليل والنهار والشمس والقمر، فلم يمتن الله تعالى عليهم بخلق النجوم، فاقتضى الحال العدول إلى الجملة الاسمية لما ذكرنا وللدلالة على أن التسخير ثابت مستمر لها لا يختص بزمان دون زمان.

﴿وَمَا[(١)] ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ۝١٣﴾ وكذلك مخلوقاته التي خلقها في الأرض على مختلف أنواعها وأصنافها وألوانها فيها آية واضحة لمن تفكر ونظر فيها، فمن خلقها على هذه الصفة؟ ومن ميز بين ألوانها وصورها؟ فلو اجتمع أهل الأرض على أن يخترعوا لوناً لما استطاعوا، وكذلك الطعوم فمن هو الذي جعل لكل صنف طعماً ونكهة تميزه عن صنف آخر غيره؟ ومن هو الذي خالف بينها مع أن تربتها واحدة وتسقى بماء واحد؟ ولو اجتمع جميع علماء الأرض على أن يستخرجوا لوناً من تلك التربة، أو يستخرجوا حلاوة منها- لما استطاعوا ذلك، ولما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، مما يدل على أن هناك قدرة خارقة هي التي تتحكم في ذلك، وتخالف وتميز بين ألوانها وطعومها، وكل ما ذكرنا فيه دلالة واضحة عليه جل وعلا، وعلى قدرته وعظمته، ومن تدبر فيها ونظر وتأمل عرف الله سبحانه وتعالى حق معرفته.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ[(٢)] مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝١٤﴾ أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه تفضل علينا بأن سخر البحر في خدمتنا، وهيأه في صالحنا نركب على ظهره، ونسير فوقه، وجعل لنا فيه أرزاقاً كثيرة فنأكل ونلبس ونتزين من خيراته، يخبرنا بذلك لنعرف فضله علينا ونعمته لنشكره ونحمده على ذلك، وكذلك تسخير السفن لتسير على ظهره ففيها آية واضحة تدل

---

(١)-**سؤال:** علام عطف الاسم الموصول؟

الجواب: عطف على الليل والنهار، ويجوز أن ننصبه بفعل محذوف أي: وخلق أو أنبت، ويكون من عطف الجمل.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾؟

الجواب: الواو اعتراضية والجملة معترضة لا محل لها من الإعراب.

على أن هناك قوة سخرته على هذه الطبيعة، ومعنى «مواخر»: جاريات تشق الماء شقاً، وكذلك ما جعل لنا فيه من أسباب المعايش والبيع والشراء والتجارات، كل ذلك لأجل أن نعرفه ونعرف نعمه علينا، ونعترف بها وأنها من عنده، ولكن أكثر الناس ينكرون فضله ونعمه هذه، ويتمردون ويعاندون ويستكبرون.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ[1] تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴿١٥﴾﴾ يذكرنا الله سبحانه وتعالى بنعمته هذه وأنه قد خلق لنا الجبال لنستطيع أن نعيش على ظهر الأرض فلا تتمايل وتفقد توازنها، وكذلك سخر لنا الأنهار لنشرب ونسقي أرضنا ومواشينا، وكذلك الطرق التي نهتدي بها في أسفارنا كل ذلك لمصلحتنا، وقد جعل لنا في هذه الطرق علامات لنهتدي بها في سيرنا، فلو كانت كلها صحراء لضعنا ولتهنا فيها.

﴿وَعَلَامَاتٍ[2] وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴿١٦﴾﴾ ثم ذكرنا بنعمة قد أنعم بها على العرب خاصة[3] من بين سائر الأمم، حيث جعل لهم النجوم ليهتدوا بها في أسفارهم وطرقهم وتحديد جهات سيرهم.

وقد تكون الرواسي هي الجبال الكبيرة، والعلامات هي الجبال الصغيرة، فالرواسي لتحفظ توازن الأرض، والعلامات لنهتدي بها في سيرنا وطرقنا.

---

(١)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾؟

الجواب: «أن» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة والتقدير: كراهة أن تميد بكم، ويصح أن تقول: في محل نصب بنزع الخافض.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿عَلَامَاتٍ﴾؟

الجواب: منصوب عطفاً على: ﴿أَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾.

(٣)- **سؤال:** يقال: لماذا كانت للعرب خاصة دون غيرهم؟

الجواب: لأن الله تعالى أخبر بذلك في هذه الآية في قوله: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴿١٦﴾﴾ فهذا التركيب يفيد الاختصاص.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ۝١٧﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين كيف يساوون بينه وبين تلك الأصنام التي لا تخلق ولا ترزق، ولا تستطيع فعل شيء، وكيف يشركونها في عبادته.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ۝١٨﴾(١) عدد الله سبحانه وتعالى لنا بعض نعمه علينا، وأخبرنا أن نعمه علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ۝١٩﴾ خلقنا وجعل لنا كل هذه النعم وأخبرنا أنه عالم بنا، وأن علمه محيط بنا مثل ما أن قدرته محيطة بكل شيء.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ۝٢٠﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين بأن معبوداتهم تلك التي يعبدونها من دونه لا تستطيع خلق شيء، بل هي في نفسها مخلوقة.

﴿أَمْوَاتٌ(٢) غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ۝٢١﴾ وأن الأصنام التي يعبدونها من دونه ليست إلا مواتاً(٣) وجمادات لا تعلم شيئاً عن البعث والحساب والجزاء؛ فكيف يعبدونها وهذا حالها؟

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ ثم أخبرهم أن تلك التي يعبدونها ليست شيئاً فلا إله إلا

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في تذييل الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ۝١٨﴾؟

الجواب: الظاهر -والله أعلم- أن المخاطبين كفروا بنعم الله تعالى ولم يشكروه وعبدوا غيره، وبذلك استحقوا العذاب والنكال إلا أن الله تعالى لم يعجل بعذابهم ونكالهم مع أنهم قد استحقوه لسعة مغفرته ورحمته.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب ﴿أَمْوَاتٌ﴾؟

الجواب: «أموات» خبر لمبتدأ محذوف أي: هم أموات.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن نحمل ﴿أَمْوَاتٌ﴾ على المشركين دون الأصنام؟

الجواب: يصح أن يفسر «أموات» بالأصنام وبالمشركين إلا أن السياق هو في الأرباب التي تعبد من دون الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إله واحد وهو الله رب العالمين.

﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴿٢٢﴾﴾ ولكن أولئك الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء ينكرون الله رب العالمين استكباراً منهم عن الاعتراف بالحق، ومع معرفتهم بالله تعالى فهم متمسكون بدين آبائهم، ومصرون على عبادة أصنامهم.

﴿لَا جَرَمَ[1] أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴿٢٣﴾﴾ يؤكد الله سبحانه وتعالى أنه مطلع على أعمالهم سرها وعلانيتها وسيجازيهم عليها، وأخبر أنه لا يثيب المستكبرين عن عبادته، ولا يدخلهم في رحمته؛ لأنه لا ينال رحمته إلا المتواضعون لعظمته، والمنقادون لأوامره بالسمع والطاعة والامتثال.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ[2] الْأَوَّلِينَ﴿٢٤﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن المشركين إذا سألهم سائل: ماذا أنزل ربكم على محمد؟ فإنهم سيجيبون بأنه لم يأت إلا بخرافات من قصص الأولين وحكاياتهم.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى: ﴿لَا جَرَمَ﴾؟ وما أصل استعمالها؟ وما إعرابها مع ما بعدها؟

الجواب: معنى ﴿لَا جَرَمَ﴾ حق أو ثبت أو حقاً، وأصل استعمالها أنها مركبة من كلمتين هما «لا» النافية للجنس و«جرم»: اسم مبني على الفتح، فاستعملت بعد التركيب لمعنى حق أو ثبت أو حقاً، و﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ مؤول بمصدر فاعل «لا جرم». هذا قول سيبويه والخليل، وهناك أقوال أخرى لأئمة النحو.

(٢)-**سؤال:** ما الوجه في الرفع مع أن المناسب للسؤال هو النصب على المفعولية؟

الجواب: في «ماذا» وجهان من الإعراب:

- أحدهما: أن تكون كلها في محل نصب مفعول به.
- الثاني: أن تكون مبتدأ وخبراً، وعلى هذا الوجه فالمناسب الرفع في الجواب: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴿٢٤﴾﴾، فمن هنا يجوز في الجواب الرفع والنصب.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴿٢٥﴾﴾(١) ثم أخبر بأن هؤلاء المشركين سوف يتحملون وزر ذنوبهم التي اقترفوها، بالإضافة إلى مثل ذنوب الذين أضلوهم وأغووهم، لتسببهم في إضلالهم وإغوائهم من غير نقص من ذنوب الأتباع.

وذلك أن كبار المشركين وزعماءهم هم الذين كانوا يتصدون للدعوة، ويقفون في وجهها، وأما بقية القوم فكانوا تبعاً لما قالوا.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين أن المكذبين من الأمم السابقة قد فعلت مع أنبيائها مثل ما فعلت قريش معه من مكرهم بالدين وتكذيبهم واستهزائهم.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴿٢٦﴾﴾ جزاءً على تكذيبهم ذلك واستهزائهم عذبهم الله سبحانه وتعالى بأن خَرَّبَ بيوتهم فوقهم، وقد قيل إنه النمرود ومن معه من وزرائه وأشراف مملكته هم الذين تهدم عليهم بنيانهم، وقد يكون المراد بذلك أن الله سبحانه وتعالى قد أخذهم بعذابه من المكان الذي يأمنون فيه، ويحسون بالأمان في جانبه، ولم يشعروا إلا بنزوله عليهم من حيث لا يتوقعون.

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ ومع تعذيبهم في الدنيا فلا زال ينتظرهم عذاب يوم القيامة وهو أشد وأطم.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى

---

(١) **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴿٢٥﴾﴾؟ وما معناها؟

الجواب: «ألا» للاستفتاح والتنبيه، و«ساء» فعل ذم، و«ما» نكرة تامة في محل نصب على التمييز، وفاعل ساء محذوف أي: الوزر، أو اسم موصول في محل رفع فاعل. و«يزرون» صفة على الأول في محل نصب، وصلة على الثاني فلا محل لها من الإعراب.

أيضاً بأنه في يوم القيامة سيخاطبهم وسيسألهم: أين هؤلاء الشركاء الذين كنتم تعبدونهم وتعادونني بسببهم؟ وذلك لأنهم بعبادتها كانوا يعادون الله سبحانه وتعالىٰ، يقول الله لهم ذلك يوم القيامة ليزيدهم حسرة وندماً إلىٰ حسرتهم وندمهم.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْىَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴿٢٧﴾﴾(١) وأنه سيجيب علىٰ سؤاله هذا أهل العلم من أنبيائه وغيرهم بأن الخزي هذا اليوم والعذاب علىٰ الكافرين.

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنْفُسِهِمْ﴾ ثم وصف الكافرين بأنهم هم الذين يموتون وهم مصرون علىٰ معاصيهم غير تائبين منها.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾(٢) وهم هؤلاء الكفار سيستسلمون يوم القيامة وقت رؤيتهم لمصيرهم، وسينقادون حينئذ لله سبحانه وتعالىٰ، ويظهرون إيمانهم، وينكرون أنهم كانوا يعملون المعاصي في الدنيا، وذلك بعد أن

---

(١)-**سؤال:** قد يقال بأنه يؤخذ من الحصر في الآية أن الخزي مختص بالكافرين وأنه لا خزي علىٰ الفساق فكيف يجاب علىٰ ذلك؟

الجواب: يمكن الجواب بعدة أجوبة:

١- أن دلالة هذه الآية علىٰ ما ذكرتم من دلالة المفهوم، وقد دلت الدلالة القرآنية الصريحة بعذاب غير الكفار وتخليدهم في نار جهنم كالقاتل والزاني والعائد في الربا و..إلخ، ومن شروط العمل بدلالة المفهوم أن لا تعارضها دلالة المنطوق.

٢- أن فساق هذه الأمة في الحقيقة والواقع هم من جنس الكافرين بدليل الحديث المشهور: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا ... إلخ)).

٣- أن يكون المعنىٰ في هذه الآية أن الخزي الكامل المتناهي خاص بالكافرين، أما فساق هذه الأمة فإن خزيهم دون خزي الكافرين.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب مقول قول محذوف أي: قائلين ما كنا...

كانوا في الدنيا يصرحون بعداوتهم لله ورسوله، ويظهرون حربهم للإسلام وأهله ويتحدون الله سبحانه وتعالى ورسوله بعنادهم وتمردهم، ثم يجيبهم الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٢٨﴾ من المعاصي والشرك لم يخفَ عليه من أعمالكم شيء.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ۝٢٩﴾ جزاءً على أعمالكم فهي مثواكم ومستقركم خالدين فيها أبداً، والمتكبر هو الذي يرفض أوامر الله سبحانه وتعالى، ولا ينقاد لما أمره أو نهاه عنه، ولو كان يمشي في الدنيا على وجهه من شدة التواضع، فما دام غير مستجيب لله تعالى ويجعل أوامر ربه تحت قدميه فهو متكبر.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾[1] وأما المتقون فإذا سألهم السائل: ماذا أنزل الله تعالى؟ فإنهم سيجيبون بأنه قد أنزل الخير والهدى.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الذين أطاعوه وعملوا الأعمال الصالحة سيكون ثوابهم الجنة، وقد يكون المراد بالحسنة هو ما يعطيهم في الدنيا من الخير، وقد يكون هذا من كلام المتقين جواباً لمن سألهم: ماذا أنزل ربكم؟

﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ۝٣٠ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ ومع ثواب الدنيا سينالون ثواب الآخرة في النعيم الدائم في الجنة، والعدن: المراد بها النعيم الذي لا ينقطع.

﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ وأخبر عن هذه الجنة بأنها بساتين تجري فيها الأنهار، وأخبرهم أيضا أن لهم فيها كل ما يشاؤونه

---

(١)-**سؤال:** هل لتنكير ﴿خَيْرًا﴾ فائدة؟ فما هي؟

الجواب: فائدته التعظيم، وقد يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس].

ويتمنونه من أصناف النعيم.

﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ۝٣١ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ فهي للذين يتقون الله سبحانه وتعالى، ويتقون معاصيه وسخطه وغضبه- جزاءً على تقواهم وصبرهم على طاعته وطلب رضوانه، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن صفة هؤلاء المتقين بأنهم الذين تتوفاهم الملائكة ويموتون وهم على طاعته، ومنقادون لأوامره ونواهيه.

﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٣٢﴾ وأن الملائكة تسلم على هؤلاء، وتبشرهم بدخول الجنة من ساعة موتهم، وتطمئنهم وتؤمنهم من الخوف والحزن، وكذلك في ساعة حشرهم.

وقد قيل: إن أسعد لحظات تمر على المؤمن في حياته على الدنيا هي ساعة موته، عندما تبشره الملائكة بالفوز بالنعيم الدائم في جنات النعيم، فيكون في فرح وسرور من تلك اللحظة، ولا يمسه حزن بعدها أبداً، حتى أنه من فرحه ذلك ينسى حزنه على فراق أهله وأحبته، ولو أنه كان يستطيع الكلام لأخبرهم بما يراه ويشاهده(١).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ثم أخبر الله عن حال أولئك المكذبين، وأنه قد انقطع الرجاء في إيمانهم، واستحقوا العذاب، ولم يبق إلا أن تأتيهم الملائكة بعذابه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل يعارض هذا ما روي من التشديد على الأخيار في سكرات الموت وآلامه ووجعه؟ أم أنه يجمع بين الأمرين فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: لا منافاة بين الأمرين فالبشرى التي يتلقاها المؤمن بشرى عظيمة هي الفوز برضوان الله ومغفرته وثوابه وجنة عرضها السماوات والأرض و..إلخ، ومع ذلك فإن المحتضر المتلقي للبشرى موقن بأعواض مضاعفة على ما يجد من الألم فلا تتنغص عليه سعادته وفرحته وطمأنينته، ألا ترى أن المريض الذي يرجو الشفاء من مرضه المؤلم بكية نار أو بمجارحة أو بشرب الدواء المر الكريه أو بشرطة الحجام أو بضرب الإبر فإنه لا يبالي بما يلحقه من الألم لما يرجوه من العافية.

﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ وهو عذابه.

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن حال قريش كحال المكذبين السابقين، وسيلحقهم من العذاب مثل ما لحق أولئك جزاءً على تكذيبهم لأنبيائهم.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ۝٣٣﴾ فهم الذين جنوا على أنفسهم بتكذيبهم وتمردهم، وتسببوا في هلاكها.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ وأن ما لحقهم من العذاب فهو جزاء على ما عملوا من الأعمال السيئة.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٣٤﴾ أحاط بهم جزاء ذلك العمل وهو استهزاؤهم بعذابه، وتكذيبهم به.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ۝٣٥﴾ عندما احتج النبي ﷺ على المشركين، وعلى بطلان آلهتهم التي يعبدونها، وأنه لا يستحق العبادة إلا الله سبحانه وتعالى وحده، فحينئذ احتج المشركون وزعموا أنهم على حق، واستدلوا على ذلك بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد لهم عبادة الأصنام، وأنه لو شاء أن يمنعهم لمنعهم فهو قادر على ذلك، وما دام لم يمنعهم وهو قادر على ذلك فهو دليل على أنه قد شاء لهم عبادة الأصنام، فهم لذلك على الحق في زعمهم، وكذلك ما حرَّموه من تلقاء أنفسهم فقد زعموا أن الله سبحانه وتعالى لو شاء أن يمنعهم عن التحريم لمنعهم، ولكن لما لم يكن ذلك فهو دليل على أنه قد أراد ذلك وشاءه.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن المشركين ممن كانوا قبلهم قد احتجوا بنفس احتجاجهم، وأنهم على نفس طريقتهم، وأنه قد أرسل لهم رسله ليبلغوهم أمور دينهم، ويخبروهم ببطلان آلهتهم ودينهم، وأن هذا هو الواجب عليهم تجاه أممهم؛ فليس

عليهم أن يدخلوهم في الهدى والدين كرهاً، ويلجئوهم إليه؛ فما على الرسول إلا البلاغ، وقد شنع الله عليهم حين احتجوا بمشيئة الله وتعللوا بها، وذمهم على ذلك.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه قد تابع فيهم حججه، وقد بعث في كل أمة رسولاً لينذرهم ويحذرهم، ويدعوهم إلى عبادة الله، واجتناب عبادة الطاغوت.

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ فكل نبي أرسله الله تعالى فإنه يأمر أمته بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت، وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه إذا علم بحال الأنبياء قبله مع أممهم هانت عليه مصيبته.

والمراد بالطاغوت: هو كل ما عبد من دون الله قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ [الزمر:١٧].

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ وأخبره بأنه قد اهتدى منهم القليل(١)، وأما البقية فقد استحقوا العذاب والهلاك لعنادهم وكفرهم وتمردهم.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾(٢) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يأمر المشركين بأن يسيروا في الأرض لينظروا ماذا

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما وجه نسبة الهداية إلى الباري؟ وكيف نجيب على من قال: في هذه الآية ما يدل على أن الضلالة من قِبَل الله؟

الجواب: الوجه في نسبة الهداية إلى الله هو أنه تعالى جعل للمستجيبين لدعوة رسله ألطافاً وتوفيقاً وتنويراً، وأما الضلالة فنسبتها إلى الله تعالى من حيث إنه تعالى منع المعرضين عن دعوة رسله عليهم السلام من ألطافه وتوفيقه وتنويره فتوغلوا لذلك في الضلال وتاهوا فيه.

(٢)-**سؤال:** يا حبذا لو أُعْرِبَتْ هذه الآية: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝٣٦﴾؟

الجواب: «فانظروا» فعل أمر وفاعله، والفعل هذا معلق عن العمل لأن المراد بالنظر نظر الاعتبار لا نظر العين. «كيف» اسم استفهام منصوب المحل خبر لكان مقدم والمراد بالاستفهام التهويل والتعظيم، و«عاقبة المكذبين» اسم كان وهو مضاف إلى ما بعده.

حل بتلك الأمم المكذبة؛ لأن آثارهم كانت باقية، ولأنهم كانوا أهل سفر وتجارة، وكانت آثار المكذبين في طريق أسفارهم يرونها ويشاهدونها، كأصحاب لوط والأيكة وديار ثمود، فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يذكرهم لينظروا ويتدبروا ويتفكروا فيما حل بهم.

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾[١] كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً أشد الحرص على إيمان قومه، ودخولهم في الهدى، وقد كاد أن يهلك نفسه من الأسى والحزن على عدم استجابتهم- رحمة بهم، وشفقة عليهم من العذاب الذي ينتظرهم، فأخبره الله سبحانه وتعالى أنه مهما حرص على هداهم فلن يهتدوا أبداً؛ لأنهم قد استحقوا الضلال والهلاك، وليسوا من أهل الهدى، لأنه لا يهتدي إلا من كان من أهل الهدى، واختار طريق الهدى، وما دام ذلك الشخص قد اختار طريق الضلال فلا يصح[٢] أن يهديه الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك سيكون خلاف

---

(١)-**سؤال:** قراءة قالون عن نافع: ﴿فإن الله لا يُهْدَى من يضل﴾ بضم الياء وفتح الدال من «يهدى» فكيف يكون معناها؟ وأي القراءتين أقرب موافقة للدليل العقلي؟

الجواب: المعنى على قراءة قالون: إن كنت حريصاً يا محمد على هدى قريش وترجو من الله أن يفعل ذلك وترغب إلى الله فيه فإن الله تعالى عليم حكيم وأفعاله كلها مبنية على العلم والحكمة فلا يحتاج إلى من يعلمه ويهديه إلى فعل ما تدعو إليه الحكمة ويقضي به العدل والرحمة، فلا ترجُوَنّ أيها الإنسان أو يا محمد من الله تعالى أن يفعل من أجلكم خلاف ما قضاه الله وحكم به فهو العليم الحكيم. وقراءة حفص في معناها كقراءة نافع، فمعناها: إن تحرص على هداهم وترجو من الله أن يفعل ذلك فإن الله تعالى عليم حكيم لا يهدي من حكم وقضى بضلاله ولا يفعل خلاف ما تقضي به الحكمة.

(٢)- **سؤال:** يقال: هذا مُسَلَّم لو كان الفعل «يضل» مفتوح الياء من الثلاثي، أما وهو مضموم الياء فهو من الرباعي «أضل» فظاهر المعنى: فإن الله لا يهدي من يضله ؛ فهل سنضطر إلى التأويل الأخير بمعنى: سلب التوفيق والألطاف، أم كيف؟

=

ما تقتضيه الحكمة والمصلحة؛ لأن حكمته اقتضت أن يوكل كل امرئ إلى اختياره ومشيئته فمن اختار الضلالة حرمه الله الألطاف والتوفيق.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ۝٣٧﴾ وما داموا قد استحقوا الضلال والهلاك فلن يجدوا من ينصرهم أو يدفع عنهم عذاب الله وسخطه.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ(١) لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ وهؤلاء هم المشركون كانوا ينكرون أشد الإنكار البعث بعد الموت، ويحلفون على ذلك أغلظ الأيمان.

﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ(٢) حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ۝٣٨﴾ أجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بأنه سيبعثهم، وأكد على بعثهم بعد الموت، وأوجب ذلك على نفسه، ولكن على الرغم من كل ذلك فأكثر الناس لا زالوا ينكرونه تكبراً على الله سبحانه وتعالى، وعلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾(٣) والغرض من البعث بعد الموت أن يتبين المحق من المبطل؛ لأن كلاً من أهل الحق والباطل يدعي أنه الذي على الحق والهدى، وكل فرقة وملة من الملل من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم تدعي

الجواب: وعلى الضم فالمعنى واحد، أي: فإن الله لا يوفق من قد حكم بضلاله؛ لأنه لا يستحق التوفيق.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾؟

الجواب: «جهد أيمانهم» مفعول مطلق ناصبه: «وأقسموا».

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾؟

الجواب: «بلى» حرف جواب. «وعداً» مفعول مطلق مؤكد لما دل عليه بلى، أي: بلى يبعثهم، ويبعثهم هو وعد من الله، و«حقاً» أيضاً هو مصدر مؤكد لما دل عليه بلى، و«عليه» صفة لوعداً.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل يبيّن الحق من الباطل حتى في المسائل المختلف فيها بين الفِرَق؟

الجواب: المراد -كما يظهر لي- أنه يبين ويفصل في المسائل التي كانت منشأً للعداوة والتضليل والتفسيق والتكفير دون المسائل التي لم تكن سبباً للشقاق والعداوات والتفسيق والتكفير.

أنها التي على الحق والهدى، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيبعثهم بعد الموت ليظهر المحق من المبطل، وما داموا في الدنيا فلن تعترف أي فرقة للأخرى بأنها على الحق.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝٣٩﴾ وكذلك ليعلم أولئك الذين كانوا يدعون أنهم على الحق من الكفار والمشركين وغيرهم أنهم كانوا كاذبين في دعواهم.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ يبين الله سبحانه وتعالى أنه لن يعسر عليه شيء أو يعجزه أو يتعبه، وأنه إذا أراد شيئاً فإنه كائن من دون تكلف أو آلة يحتاج إليها؛ فلا تستبعدوا أيها المشركون البعث والحساب.

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن المؤمنين الذين هاجروا من مكة لما كانوا يعانونه من أذى المشركين بأنه سيمهد لهم مكاناً حسناً في الدنيا يستقرون فيه ويعيشون عليه، ويأمنون فيه، ويعوضهم عن مكة أحسن منها.

﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾[1] وعد الله المؤمنين المهاجرين بالأجر العظيم في الآخرة مع ما يعطيهم من ثواب الدنيا.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٤٢﴾ وهم المهاجرون الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بأنه سيعوضهم في الدنيا، وسيثيبهم في الآخرة جزاءً على صبرهم على دينهم وتمسكهم به بالرغم من كل ما يلحقهم من أذى المشركين وتسلطهم عليهم، وكذلك جزاءً على توكلهم على الله سبحانه وتعالى، واعتمادهم عليه،

---

(١)-**سؤال:** ما النكتة في استخدام هذا الأسلوب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٤١﴾ في كثير من الآيات؟
الجواب: يأتي ذلك بعد الإخبار بثواب عظيم أو عقاب كبير أو بعواقب مهولة لتنبيه جاهل ذلك على البحث عن الخبر وعن صدقه فربما كان الخبر صادقاً فيحذره ويتقيه إن كان عقاباً، أو يسعى لطلبه إن كان ثواباً.

وتيقنهم أنه الذي سيفرج عليهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ كان المشركون ينكرون أن يرسل الله نبياً من البشر، وزعموا أن ذلك لا يصح، وأنه لا بد أن يكون من جنس غير جنسهم؛ فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأن رسله الأولين كانوا جميعاً رجالاً من البشر يوحي إليهم برسالاته فيبلغونها للناس.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٤٣﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يأمر المشركين بأن يذهبوا إلى أهل التوراة والإنجيل يسألونهم عن ذلك، وكيف كانت الرسل الأولون؟ وهل هي من الملائكة أم من البشر؟

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ الجار والمجرور متعلق بنوحي(١)، أخبر الله سبحانه وتعالى أن هؤلاء الذين يرسلهم من البشر يوحي إليهم بتبليغ آياته وبيناته، وبالكتب التي ينزلها عليهم.

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ۝٤٤﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا ﷺ بأنه أنزل إليه القرآن ليبلغ الناس شرائع دينهم، ومن أجل أن يتلوا الآيات التي تبعثهم على التفكر والنظر في معرفته.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ۝٤٥﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى على أولئك الذين يحيكون الحيل ضد دعوة النبي ﷺ وضد الدين والإسلام والمسلمين كيف يفعلون ذلك، وهم عالمون أنه لا طاقة لهم بمحاربة الله سبحانه وتعالى؟ وهل أمنوا مباغتة عذاب الله سبحانه وتعالى حتى نصبوا أنفسهم لمحاربة الله ورسله؟

---

(١)-**سؤال:** يقال: لماذا لا يصح أن يعلق بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ۝٤٣﴾؟

الجواب: ليس هناك ما يمنع تعلق الجار والمجرور بـ«لا تعلمون» فيصح تعلقه به، وهو واحد من الأقوال التي قيلت في ذلك.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ۝٤٦﴾ فهل أمنوا عذاب الله وهم يعلمون أنهم لن يعجزوا الله سبحانه وتعالى، ولن يستطيعوا أن يهربوا منه، فهو قادر على أخذهم، وهم يتقلبون في بلادهم، وفي أمر معيشتهم.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ۝٤٧﴾ وهل أمنوا أن يأخذهم العذاب في حال توقعهم لنزوله بهم، يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم كيف ينصبون العداوة له مع علمهم بكل هذا.

ثم أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه يمهلهم ويتأنى بهم لعلهم يرجعون إليه، ويقلعون عما هم عليه، وأن ذلك من رحمته ورأفته بهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾(١) استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يتفكرون ويتدبرون في آياته التي أمام أعينهم؟

﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا(٢) لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ۝٤٨﴾ وكذلك يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم لماذا لا يؤمنون وآياته بين أيديهم؟ وقد حثهم هنا على النظر والتفكر في كل ما يرونه أمامهم، فهو آية دالة عليه من إبلهم وبقرهم وغنمهم، ومن الجبال والشجر والدواب، ومن النجوم والكواكب، والشمس

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾؟ وقوله: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾؟ وما محلها الإعرابي؟

الجواب: «إلى» حرف جر متعلق بـ«يروا»، و«ما» موصولة وصلتها ما بعدها، و«من شيء» متعلق بمحذوف حال بيان لإبهام الاسم الموصول، وجملة «يتفيأ ظلاله» في محل جر صفة لشيء.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ حال من فاعل ﴿يَرَوْا﴾ أو من ﴿شَيْءٍ﴾ الموصوف بالجملة؟

الجواب: هو حال من «شيء» الموصوف بالجملة، ولا يصح جعله حالاً من فاعل «يروا»؛ لأن فاعل يروا هم المشركون المعرضون عن عبادة الله وتعظيمه، وهم الذين استنكر الله تعالى عليهم إعراضهم عن الخضوع لله وعبادته وحده.

والقمر و...و...إلخ، وأن جميع هذه الأشياء خاضعة لإرادته ومشيئته يتصرف فيها كيفما شاء، وهو ما أراده بقوله (سجداً لله) ؛ لأنه تعبير عن غاية الخضوع والانقياد لما يرونه من آيات الله.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ۝٤٩﴾ وكل شيء في السماوات والأرض خاضع لإرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، ومنقاد له وتحت سيطرته، غير أن هناك من البشر من هو على خلاف ذلك، فهو عاص ومتكبر على الله سبحانه وتعالى ومعاند له.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۝٥٠﴾ يخافون الله سبحانه وتعالى الذي قدرته فوق قدرتهم وعظمته فوق عظمتهم، ويطيعون الله سبحانه وتعالى في كل ما أمرهم به وهم الملائكة.

﴿وَقَالَ اللَّهُ(١) لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ(٢) إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ۝٥١﴾(٣) ينبه الله سبحانه وتعالى عباده إلى أنه لا يصح أن يكون هناك إلهان، ولو كان كذلك لاختل نظام هذا الكون، ولرأينا خلق الإله الآخر ورسله، فثبت من كل ذلك أنه لا يصح أن يكون هناك إلا إله واحد وهو خالق السموات والأرض، ثم أخبرهم بأنه وحده الذي ينبغي أن يخافوه ويحذروه.

---

(١)- **سؤال:** هل في هذه الآية التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿وَقَالَ اللَّهُ﴾ ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ۝٥١﴾؟

الجواب: نعم فيها التفات من الغيبة إلى التكلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل لقوله: ﴿اثْنَيْنِ﴾ فائدة رغم أنه مستفاد من تثنية ﴿إِلَهَيْنِ﴾؟

الجواب: يمكن أن يقال في ذلك: إن قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ﴾ محتمل لأن يراد النهي عن اتخاذ الإلهية أو تعدد الإلهية، ونحو أن يقال: لا تتخذ إلهاً يحتمل النهي عن الإلهية أو كونه واحداً فالصفة «اثنين» للاحتراس.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ۝٥١﴾؟

الجواب: إياي: مفعول به لفعل محذوف مقدر بعد إياي يفسره ما بعده تقديره: فإياي ارهبوا فارهبون.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم علل[(١)] ذلك بأنه وحده الذي بيده ملك السماوات والأرض، وهما تحت قدرته وسيطرته وحده.

﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾[(٢)] وأيضاً لأن له وحده الدين الخالص فلا شريك له، فالمفروض أن يتوجهوا بعبادتهم إليه وحده.

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ۝٥٢﴾ فما دام الأمر كذلك، وأنه وحده الذي خلق السماوات والأرض وهو مالك لهما ومتصرف فيهما كيف شاء فلماذا تشركون معه غيره في العبادة؟

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وكذلك كل ما يأتيكم من النعم فهي من الله تعالى وحده.

﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ۝٥٣﴾ يعاتبهم الله سبحانه وتعالى كيف يعبدون غيره، مع أنهم إذا مسهم سوء أو مكروه لجأوا إليه ليكشف الضر عنهم.

﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ۝٥٤﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم، ويعاتبهم عندما يرجعون إلى شركهم بعد أن عرفوا نعمته عليهم برفع البلاء والشدة عنهم.

﴿لِيَكْفُرُوا[(٣)] بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ۝٥٥﴾ أخبر الله سبحانه

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نفهم التعليل؟

الجواب: يفهم ذلك من السياق، فإنه تعالى أخبر أنه إله واحد ثم جاء بما يدل على ذلك فقال: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾ فقوله: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ هو دليل على وحدانيته، والعطف جاء لينبه على أن هذا الدليل معطوف على أدلة يعترف بها المشركون مثل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

(٢)-**سؤال:** وهل يحمل الواصب على الدائم، أم أنه الخالص فقط؟

الجواب: قد فسروه بالدائم، وبالخالص، وبالواجب، وبغير ذلك، وكل ذلك مروي.

(٣)-**سؤال:** يقال: هل يصح أن تحمل اللام في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ على العاقبة دون التعليل؟

الجواب: يصح ذلك ويكون المعنى أنهم يشركون لأجل الهوى وشهوات النفس واللعب فيؤديهم ذلك إلى الكفر.

وتعالى بأنه إذا كشف الضر عنهم رجعوا إلى شركهم لأجل أن يكفروا بالله سبحانه وتعالى، وبما أنعم به عليهم.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن كفرهم هذا لن ينفعهم، وما هي إلا أيام قلائل في الدنيا يأكلون ويتمتعون في الدنيا بما أنعم به عليهم، ثم يأخذهم بعدها بعذابه.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ كان المشركون يجعلون للأصنام التي يعبدونها نصيباً من أرزاقهم، ويخصصون لها حصة من ذلك.

﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴿٥٦﴾﴾ ثم أقسم الله سبحانه وتعالى أنه سوف يسألهم عن سبب افترائهم هذا، وتشريعهم الذي يشرعونه من عند أنفسهم، وعن تحليلهم ما حرم الله سبحانه وتعالى، وتحريمهم ما أحل الله سبحانه وتعالى.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴿٥٧﴾﴾ وهذا منهم حط لله سبحانه وتعالى ولملائكته إذ جعلوها بنات الله، وفي نفس الوقت يشرفون أنفسهم ويعزونها بجعلهم الذكور لأنفسهم، وادعوا أنه لا يصح أن ينسب إليهم من الأولاد إلا الذكور فقط، وأما البنات فكانوا يدفنونهن أحياءً.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴿٥٨﴾﴾ وإذا ولد لأحدهم بنت فإنه يغتاظ من ذلك أشد الغيظ ويصيبه الهم والحزن.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ ينعزل عن قومه خجلاً، ويفكر في نفسه:﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴿٥٩﴾﴾ فهل يمسكها ويربيها على مذلة وهوان يلحقه من ذلك، أو يدفنها وهي حية ليتخلص من الفضيحة والعار.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن شناعة هذا الحكم وفضاعته وعن شناعة تنزيههم لأنفسهم عن البنات خوفاً من الفضيحة كما يزعمون، واستنكر عليهم عدم استحيائهم من الله سبحانه وتعالى عندما ينسبون إليه البنات، وينزهون أنفسهم عن ذلك.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى(١) وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ۝٦٠﴾ فأخبر الله سبحانه وتعالى أنهم هم الذين يستحقون أن يكون لهم مثل السوء، وأن ينسب إليهم النقص لا إليه، فهم الذين يستحقون صفات الذم والقبح والنقص، وأما هو فهو متعال عن ذلك، ومستغن عنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ۝٤﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾(٢) ولكنه رحيم بعباده؛ فلو أنه يؤاخذهم بظلمهم لعذبهم من حين اقترافهم المعصية.

﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ۝٦١﴾(٣) فيمهلهم في الدنيا، ويتركهم يتمتعون فيها إلى أجل كتبه وحدده لهم يعذبهم فيه؛ فإذا حل ذلك الوقت، ونزل بهم عذابه وغضبه- فلا مفر ولا مهرب لهم منه.

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل معناها الصفة الكاملة أو صفة الكمال والعظمة؟

الجواب: المعنى: أن الله يختص بصفات العظمة والكمال والجلال التي لا يستحقها إلا هو دون مخلوقاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

(٢)-**سؤال:** هل المراد بالدابة بنو الإنسان المكلفون أم كل ما دب على الأرض؟ فما ذنبها في الإهلاك؟

الجواب: المراد كل ما دب على الأرض ومن جملتها الإنسان المكلف، وليس لسائر الدواب سوى الإنسان ذنب، إلا أن الله تعالى إذا أهلك بني آدم لم يبق لحياة ما سواهم من الدواب حكمة ومصلحة فيهلكها الله تعالى تبعاً لهلاك بني آدم، فالذنب ذنب بني آدم وما لحق الدواب فبشؤم بني آدم. ولفظة «دابة» على ما ذكرنا من التفسير حقيقة لغوية.

(٣)-**سؤال:** هل المراد بالأجل يوم القيامة أم في الدنيا أم أنه شامل لهما؟

الجواب: الأجل محتمل لأن يراد به أجل نزول العذاب في الدنيا، وأن يراد به في الآخرة. والأقرب -كما يبدو لي- أن المراد أجل نزول العذاب عليهم في الدنيا.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ وهو البنات فينسبونهن إليه جل وعلا، وينزهون أنفسهم عن نسبة البنات إليهم.

﴿وَتَصِفُ[(١)] أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾[(٢)] ذمهم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ذلك ونسبتهم لأنفسهم ما هو الأحسن والأفضل وهو الذكور.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنهم بذلك القول قد استحقوا النار بلا شك، ومعنىٰ مفرطون: مقدّمون إلىٰ النار.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقسم الله سبحانه وتعالىٰ لنبيه ﷺ أنه قد أرسل رسله إلىٰ الأمم التي كانت قبله؛ فكذبوا بها واستكبروا، وآمنوا بالشيطان واتبعوه.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ فهو قاهرهم والمسيطر عليهم، وقد استحقوا العذاب بسبب ذلك.

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[(٣)] أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأنه قد أنزل عليه الكتاب فيه بيان الحق والهدىٰ الذي اختلف فيه الناس، وذلك أن كل طائفة كانت تدعي أنها التي علىٰ الحق.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما الحكمة في استخدام هذه الكلمة ﴿تَصِفُ﴾ بدلاً عن تقول؟

الجواب: السر في استعمال كلمة «تصف» بدلاً عن تقول هو ما في «تصف» من البيان البليغ في اتصافهم بقول الكذب فهو مثل قولك: وجهه يصف الجمال، هكذا قالوا، وينبغي علىٰ هذا أن يراد بقوله: ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ قولهم وكلامهم أي: أن الذي يصف الكذب هو قولهم وكلامهم.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾؟

الجواب: «الكذب» مفعول به لتصف، و«أن لهم الحسنىٰ» في تأويل مصدر بدل من الكذب فهو في محل نصب.

(٣)-**سؤال:** فضلاً علام عطف قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾؟

الجواب: معطوف علىٰ محل ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ فإنه في محل نصب مفعول من أجله.

وكذلك أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه قد أنزله إليه ليهتدي به المؤمنون رحمة(١) منه جل وعلا بهم، وأما المشركون فليس عليك أن تدخلهم في الهدى يا محمد وتكرههم عليه؛ فما عليك إلا البلاغ وحسابهم على الله سبحانه وتعالى، وهو الذي سيجازيهم.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴿٦٥﴾﴾ يكرر الله سبحانه وتعالى ذكر آياته للمشركين لعلهم يتنبهون من غفلتهم، فأمرهم أن يتفكروا في ذلك الماء الذي ينزله لهم من السماء وكيف تحيا به الأرض، وتكتسي بالخضرة والنبات بعد أن كانت أرضاً مواتاً يابسة، يُذَكِّرُ الله سبحانه وتعالى المشركين بذلك ليعلموا أن من قدر على أن يحيي الأرض قادر على إحيائهم بعد الموت.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ(٢) مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ

---

(١)-**سؤال:** كيف كان القرآن الكريم رحمة للمؤمنين؟

الجواب: كان لهم رحمة لأن الله تعالى أنقذهم به من الضلال وهداهم به إلى رضوانه وثوابه والسلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

(٢)- **سؤال:** ما العلة في ضم النون في ﴿نُسْقِيكُمْ﴾ مع أن الظاهر أنه من «سقى» كما هو في قراءة قالون بفتحها؟

الجواب: قرئ كما ذكرتم بالضم والفتح، فقراءة الضم ذهبت إلى معنى غير المعنى الذي ذهبت إليه قراءة الفتح، فقراءة الضم يراد فيها أن الله تعالى جعل اللبن الذي يخرجه من بين فرث ودم شراباً سائغاً لمن أراده، وهكذا قالوا في تفسير: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر:٢٢]، أي: جعلناه لكم شراباً، وهكذا يقال في ماء الأنهار ونحوها، وأما ما جعلته من الشراب من أجل أن يشربه الشارب أو الضيف فيقال فيه: سقى ولا يقال: أسقى كقوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴿٢١﴾﴾ [الإنسان]، فعلى هذا فقراءة الفتح ذهبت إلى هذا المعنى الأخير، وقراءة الضم إلى المعنى الأول.

لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴿٦٦﴾ يحث الله سبحانه وتعالىٰ الناس أن يتفكروا وينظروا في الأنعام التي هي بين أيديهم عظة وآية يشاهدونها كيف يخرج لبنها في غاية الصفاء والنقاوة من بين أحشائها وفرثها ودمها، مع ما يكون فيه من الطعم واللذة الذي يستسيغه كل من يشربه، أليس خروجه من ذلك المكان يدل علىٰ أن هناك قدرة قاهرة تتصرف فيه وتجعله علىٰ تلك الصفة؟

ففي ذلك دلالة واضحة علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وعلىٰ قدرته وعظمته لمن تفكر فيها وتأمل.

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴿٦٧﴾﴾ وكذلك يحثهم الله سبحانه وتعالىٰ أن يتفكروا في ذلك الثمر الذي يخرج من أشجار النخيل والأعناب، وكيف أنعم عليهم بذلك إذ جعل لهم فيه رزقاً حسناً؟ وأخبر كذلك بأنهم يتخذون منه الخمر الذي هو خلاف الرزق، ولذلك غاير بين الرزق والخمر؛ لأن ما كان من هذه الأثمار حراماً فقد سماه سكراً[1]، وما كان منها حلالاً سماه رزقاً حسناً، فإن في ذلك دلالة واضحة علىٰ رحمة الله سبحانه وتعالىٰ بخلقه إذ أنعم عليهم بهذه النعم.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴿٦٨﴾﴾ فمن الذي ألهمها ذلك وعلمها كيف تبني بيوتها وترصفها علىٰ ذلك الشكل الهندسي البديع، ومعنىٰ «ومما يعرشون»: من الأشجار علىٰ الأعواد كالعنب.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ذكر السكر واتخاذه من هذه الأشجار في سياق التمنن عليهم بالنعم مشكل؛ إذ التمنن لا يكون بما فيه حرمة، فكيف يجاب علىٰ هذا؟

الجواب: التمنن هو بما رزقهم الله من ثمرات النخيل والأعناب وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ عتاب من الله لهم علىٰ فعل ما لا ينبغي ولا يجوز؛ لذلك قال الله: ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ لينبه بذلك علىٰ أن السكر الذي اتخذوه من ثمرات النخيل والأعناب ليس حسناً.

﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾(١) ومن الذي ألهمها إلى أن تهتدي إلى طعامها ورزقها، ومن الذي ساقها إلى رزقها ذلك.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ(٢) مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ(٣) لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ وحثهم على أن يتفكروا في ذلك الشراب الذي يخرج من بطونها، وما فيه من اللذة والطعم مع ما فيه من العلاج والشفاء لكثير من الأمراض.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ ثم يذكرهم الله سبحانه وتعالى بأنه الذي خلقهم وأن بيده حياتهم وموتهم وأن أرواحهم بيده يأخذها متى شاء، فمنهم من يأخذه في ريعان شبابه، ومنهم في طفولته، ومنهم من يعمره إلى أن يصل إلى مرحلة لا يستطيع أن يعرف أو يميز بين شيء.

يذكر الله سبحانه وتعالى بنعمه هذه وآياته لأجل أن يتفكروا فيها ويتدبروا ليرجعوا إليه ويشكروه على نعمه.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بـ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾؟ وما إعراب ﴿ذُلُلًا﴾؟ وإلى من يعود؟

الجواب: المراد بسبل ربك الطرق التي تسلكها النحل للرعي، و«ذللاً» حال عائدة إلى سبل ربك أي أن السبل مذللة للنحل لا يتوعر عليها أي سبيل تسلكه.

ويصح عوده للنحل أي أن النحل مذللة لأصحابها فتسير معهم حيث أحبوا.

(٢)-**سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ الإعرابي؟

الجواب: ليس لها محل من الإعراب لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر عن العلة في عناية الله بها تلك العناية الخاصة.

(٣)- **سؤال:** ما فائدة تنكير: ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾؟

الجواب: التنكير للتعظيم أي: أنه شفاء عظيم الفائدة، وعظم فائدته من حيث أنه يعالج به أمراض كثيرة متنوعة.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ فضل الله بعضكم أيها الناس في الرزق على بعض لحكمة منه ومصلحة؛ فقد فضل ما بين العبيد وأربابهم.

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾(١) فما اكتسبه العبد يكون لسيده، فيختص السيد بمكسبه ومكسب عبده، ولا يشرك عبده في ذلك.

يضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل للمشركين ليتنبهوا إلى معبوداتهم التي يعبدونها من دونه فكيف يعبدون هذه الأصنام التي هي مملوكة، ولا تملك بيدها شيئاً، ويتركون عبادة مالكها الذي بيده كل شيء.

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٧١﴾ استنكر الله سبحانه وتعالى عليهم ذلك؛ لأنهم بعبادتهم للأصنام يجحدون نعمته عليهم، وكان من المفروض أن يتوجهوا بعبادتهم وشكرهم إلى ربهم الذي أولاهم النعم، ورزقهم من الطيبات.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ يتمنن الله سبحانه وتعالى على المشركين هنا بأنه الذي خلق لهم من جنسهم أزواجاً، وأنه جعل في ذلك حكمة الإنجاب، وجعل لهم من أزواجهم بنين وأبناء بنين، وأنه وحده الذي بيده الرزق وليست تلك الأصنام التي تعبدونها أيها المشركون.

﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝٧٢﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين كيف يذهبون إلى عبادة تلك الأصنام التي لا تملك من صفات

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ استفهام أم خبر؟

الجواب: هو خبر وليس استفهاماً والمعنى: أن أرباب العبيد الذين فضلهم الله في الرزق لا يردون رزقهم على عبيدهم حتى يكونوا سواءً في الرزق فما بالهم (المشركين) يساوون بين الله تعالى وعبيده في العبادة، مع أنهم لا يرضون أن يتساووا هم وعبيدهم فيما أعطاهم الله من الرزق. والمراد تقرير عدم المساواة بين المالك والمملوك.

الإلهية شيئاً، ويتركون عبادة الله الذي بيده خلقهم ورزقُهم وهو ولي جميع نعمهم؟

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴿٧٣﴾﴾(١) يخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن المشركين بأنهم يعبدون آلهة لا تستطيع أن تنزل لهم رزقاً من السماء، ولا أن تخرج لهم رزقاً من الأرض، وأن ذلك ليس تحت قدرة هذه الآلهة فلا تستطيع إنزال المطر، ولا إخراج الثمر، وأن هذا من سخافة عقولهم أن يعبدوا من هذا شأنه.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٧٤﴾﴾(٢) نهى الله سبحانه وتعالىٰ عباده أن يضربوا له الأوصاف ويمثلوه بخلقه، أو يشبهوه بشيء من مخلوقاته، وأنه وحده الذي له أن يضرب الأمثال لخلقه، وأما هو فلا مثل له ولا شبيه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴿٧٣﴾﴾؟

الجواب: «رزقاً» مفعول به ليملكون، و«من السماوات..» صفة لرزقاً، و«شيئاً» بدل من رزقاً، ويجوز أن يكون مفعولاً به لرزقاً لأنه يصح أن يحل الفعل وأن المصدرية محل المصدر، فيقال: لا يملكون أن يرزقوكم شيئاً.

(٢)-**سؤال:** يقال: إنه لا يجوز قياس الغائب علىٰ الشاهد لعموم هذه الآية فما هو الجواب؟

الجواب: قياس الغائب علىٰ الشاهد قسمان:

١- ممنوع ولا يصح ولا يجوز وذلك ما كان فيه تشبيه الله تعالىٰ بمخلوقاته.

٢- وقسم جائز وصحيح وهو ما كان من القياس متعلقاً بمخلوقات الله فيصح قياس الغائب منها علىٰ الشاهد.

سؤال: يقال: ما مناسبة ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٧٤﴾﴾؟

الجواب: المناسبة هي -والله أعلم- بيان العلة والسبب الباعث علىٰ النهي لكم عن ضرب الأمثال لله وبيان حسن ما ضربه الله من الأمثال لتصوير الحق والباطل، والتوحيد والشرك به والمؤمن والمشرك، و... إلخ.

مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٧٥﴾﴾[١] ضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل للذين يعبدونه، والذين يعبدون الأصنام، فهؤلاء المشركون حالهم وشأنهم في توجههم في عبادتهم إلى الأصنام كحال من توجه إلى معاملة عبد مملوك ليس له أي تصرف فهو وما ملك لسيده، وحال المؤمنين وشأنهم في توجههم بعبادتهم إلى الله كحال من توجه إلى سيد هذا العبد الذي له أن يتصرف كل تصرف، وبيده أن يعطي ويمنع، وأن حال هذه الأصنام كحال العبيد التي لا تملك شيئاً، فمن المفترض بهؤلاء المشركين أن يكون رجوعهم إلى المالك لا إلى المملوك الذي ليس بيده أي شيء.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٧٦﴾﴾[٢] ثم مثل الله سبحانه حالة الأصنام، فأخبر أن حال الأصنام كحال الرجل الأبكم الذي لا يتكلم ولا ينطق ولا يستطيع أن يتصرف في شيء من أمور الدنيا، وليس بيده أي نفع أو ضر، ومع ذلك فهو عبء على وليه ينفق عليه ويقوم على حاجته، فهل يستوي هو ومن بيده التصرف في جميع الأمور وله الأمر والنهي والتدبير؟

فقطعاً لا يستوي هذان؛ فلماذا يذهبون إلى عبادة هذه الأصنام التي لا تسمع ولا

---

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في اتباع المثل بقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؟

الجواب: الحكمة هي أن قوة الحجة وظهور الحق وانكشافه بما ضرب الله تعالى من المثل نعمة عظيمة يجب شكر الله عليها والثناء عليه ببيانها، وإن خفيت على المشركين فليس لخفائها وإنما لعمى قلوبهم وصممها.

(٢)-**سؤال:** هل قوله: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ كناية عن ضعف التصرف في كل شيء؟ وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴿٧٦﴾﴾ كناية عن حسن تصرفه؟

الجواب: نعم ذلك كناية عما ذكرتم.

تبصر، وليس بيدها أي تصرف، ويتركون الذي بيده ملكوت كل شيء؟

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه مختص بعلم ما غاب في السماوات والأرض، وهو كل ما كان غائباً عن الحس والمشاهدة، وكل ما كان محجوباً عنا كالذي يكون تحت الثرى، وفي بطون الأرض، وما يكون في السماء.

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كان المشركون يستبعدون البعث بعد الموت، وينكرون أن يكون الله سبحانه وتعالى قادراً على ذلك؛ فأخبرهم الله سبحانه وتعالى أنه سيبعث الأموات للحساب في لمح البصر فما أمر ذلك في قدرة الله إلا كغمضة عين وفتحها، فإذا الناس وكل ما خلق الله سبحانه وتعالى على وجه الأرض قيام إلى الحساب والجزاء: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر]، فيحييهم الله سبحانه وتعالى في لمحة البصر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، فلا آلة أو مزاولة عمل، أو حاجة إلى عمال، فما أراده فهو كائن وواقع لا محالة.

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٧٧﴾﴾ يعبر الله سبحانه وتعالى عن مدى قدرته، فأخبرنا أن ما يفصلنا عن الساعة ليس إلا كغمضة العين أو أقل من ذلك، فعندها سيفني الأرض ومن عليها في لحظة واحده: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴿١٤﴾﴾ [الحاقة]، وستصير هباءً منثوراً وغباراً متطايراً، ثم إن هذا الغبار سيتساقط ويتكاثف بعد ذلك حتى تستوي جميع الأرض وتصير أرضاً مستوية فعندها يبعث الله سبحانه وتعالى جميع خلقه في لمح البصر، أو هو أقرب من ذلك، ولنصدق ذلك فقد رأينا آثار قدرته فيما حولنا من الجبال والنجوم والشمس والقمر وغير ذلك؛ فلا بد أن يكون من قدر على جميع هذه الأشياء قادراً على إعادة الخلق، والبعث بعد الموت.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ يُطْلِعُ الله سبحانه وتعالى المشركين على مدى قدرته؛ فحثهم على النظر والتفكر في بداية خلقهم، وكيف أنه أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يملكون شيئاً لأنفسهم، ولا يعلمون

بشيء مما يجري حولهم.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ۝٧٨﴾ وكذلك زودكم بآلة السمع والبصر، وجعل لكم العقول لتفرقوا بها بين الحسن والقبيح، وكل ذلك نعمة منه أنعمها عليكم لتشكروه عليها، وأخبرنا أن ذلك هو الغرض من خلق هذه الحواس، فهو لم يخلق العقل إلا لذلك، وإلا فلسنا في حاجة إليه للأكل والشرب؛ إذ كل الحيوانات تأكل وتشرب مع أنه لا عقل لها، وأي فائدة فيه لو كان الأمر كذلك، فلم يعطنا العقل وينعم به علينا إلا لنؤدي حق شكره على نعمه علينا، وكذلك فإن السمع والبصر هي الوسائل التي توصل إلى العقل المعلومات التي تتمركز فيه ليحكم فيها بالحسن والقبح وترتيب الأمور، ثم نرجع بعد ذلك الحكم إلى الشكر والعبادة لله تعالى الذي هو الغرض المطلوب من كل ذلك، وأما الأكل والشرب فقد تكفل الله سبحانه وتعالى به كما في سائر الحيوانات الأخرى.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ۝٧٩﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين إعراضهم عن آيات عظمته وقدرته وعلمه، وهي مبثوثة أمام أعينهم في السماوات والأرض وفي أنفسهم، وفي هذه الآية استنكر عليهم إعراضهم عن النظر إلى الطير الذي يطير بين السماء والأرض، فما بالهم لم ينظروا إليه ويتفكروا في تسخيره في جو السماء[1]، وما هو الذي يمسكه عن السقوط إذا صف بجناحه، فمن تفكر في ذلك وتدبر وتأمل عرف أن هناك قدرة تتحكم فيها وتسيرها وتمسكها، ولا قدرة إلا قدرة الله سبحانه وتعالى تستطيع ذلك.

---

(١)-**سؤال:** يقال: كيف يكون الطير مسخراً وهو في جو السماء؟

الجواب: المراد بالتسخير هنا أن الله تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها أن يطير في السماء يدف حيناً ويصف حيناً مع أنه جسم ثقيل يمتنع بقاؤه في الجو.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ ثم ذكرنا الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بأنه الذي أنعم علينا وهدانا ومكننا، وجعل لنا القوة، وسخر لنا الآلات التي نستطيع بها بناء ما نسكن فيه، ونستتر تحته من الحر والبرد، وجعلها مأمناً لنا من جميع المخاوف والأخطار.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يتمنن الله سبحانه وتعالى هنا على العرب خاصة بأنه سخر لهم جلود الأنعام هذه، فكانوا قديماً يجعلون منها بيوتاً يأوون إليها، وكانت خفيفة يستطيعون حملها في تنقلاتهم وترحالهم وأسفارهم؛ ليستكنوا ويتظللوا تحتها، وأما في وقتنا هذا فقد صنعوا ما يقوم مقامها.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ۝٨٠﴾[(١)] وكذلك أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بأن جعل لنا من أصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعار الماعز فراشاً نتمتع به، ونفترشه ونلبسه ونتزين به.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ وكذلك يذكرنا الله سبحانه وتعالى بأنه أنعم علينا بأن جعل لنا ظلالاً نستكن تحته من حر الشمس، وقد ذكر الله نعمته هذه؛ لأن بلاد العرب كانت أرضاً حارة.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ وكذلك هيأ لخلقه أماكن في الجبال يستكنون تحتها من الأمطار وغيرها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾[(٢)]

---

(١)-**سؤال:** هل هناك فرق بين الأثاث والمتاع؟

الجواب: قالوا: إن الأثاث ما يكتسي به المرء ويستعمله والمتاع ما يفرش في المنازل ويزين به.

(٢)-**سؤال:** يقال: فائدة الملابس الوقاية من البرد هي الأغلب والأكثر، وأما الوقاية من الحر فأقل فلماذا خص الوقاية من الحر هنا؟

الجواب: نزل القرآن الكريم على قوم ساكنين في بلاد شديدة الحرارة يشوي سمومها جلودهم، وكانوا يتقون ذلك بالثياب، أما البرد فقليل نادر في بلادهم.

وكذلك هو الذي أنعم علينا بأن جعل لنا الملابس التي تقينا من حر الشمس حتى لا تتشوه أجسامنا، وكذلك سخر لنا الملابس التي تحمينا من بأس بعضنا البعض في الحروب، وهي دروع الحديد، وتكون على شكل حلق صغيرة مترابطة لينة؛ لكي يستطيع الإنسان أن يتحرك من خلالها، وأن يلبسها بسهولة تقي لابسها من ضرب السيوف وطعن الرماح.

﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ۝٨١﴾ ثم أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنه هو الذي وفر لنا كل ما نحتاجه في جميع مجالات حياتنا نعمة منه علينا لأجل أن ننقاد له ونستسلم لأوامره، ونشكره عليها.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ۝٨٢﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ بأن قريشاً إن أعرضوا وتولوا بعدما ذكَّرهم بآياته وبنعمه عليهم- فقد أدى ما عليه، فما عليه إلا تبليغهم بآيات الله سبحانه وتعالى، وتذكيرهم بها حتى يتبين لهم الحق ويعرفوه؛ فإذا علموه وعرفوه فقد أدى ما عليه، سواء استجابوا أم أعرضوا وتمردوا.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ۝٨٣﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأنهم يعترفون بأن النعم التي هم فيها منه جل وعلا، ثم ينكرونها ويجحدونها ولا يؤدون شكرها استكباراً منهم على الله سبحانه وتعالى، وكفراً منهم لما أنعم به عليهم.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ اذكر يا محمد وذكِّر قريشاً بيوم القيامة عندما يبعث الله سبحانه وتعالى من كل أمة نبيها يشهد عليها عند الله سبحانه وتعالى بأنه قد بلغهم، وأنهم رفضوا وأعرضوا، وكذلك العلماء الذين يبلغون عن أنبيائهم في كل عصر سيكونون شهداء على أهل عصرهم من أجابهم، ومن أعرض عنهم(١).

---

(١)-**سؤال:** يقال: من أين نأخذ هذا الحكم بالنسبة للعلماء؟

الجواب: الأنبياء هم حجج الله تعالى على الناس، أما بعد موت الأنبياء فلا يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر، ولا يخفى أن حجة الله تعالى قائمة على الناس بعد رسول الله وإلى يوم

=

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۝٨٤﴾ لا يؤذن للكفار حينئذ بالكلام، ولا ينفعهم أي عذر أو مراجعة لله تعالى، أو استئناف في الحكم كما في حال الدنيا إذا أخطأ شخص على أي شخص آخر؛ فإنه يأخذ معه من وجهاء قومه ليذهبوا ويعتذروا إليه ويستسمحوه، ففي يوم القيامة لن ينفعهم ذلك ولن يكون لهم أي مفر أو مهرب من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه، وهذا هو المراد بقوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ۝٨٤﴾(١).

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ۝٨٥﴾ يقطع الله سبحانه وتعالى أمل أولئك الذين يدعون الخروج من النار ويقولون إن الله سبحانه وتعالى سيعذب كلاً على قدر معصيته، ثم يخرجه من جهنم، ويخبرهم بأن من استحق جهنم ودخلها فلا أمل له في الخروج منها، وإنما سيعذب فيها دائماً وأبداً، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لن يمهلهم لحظة واحدة بعد مبعثهم، وإنما يحاسبهم ويدخلهم جهنم مباشرة من دون إمهال أو تروٍّ.

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ۝٨٦﴾ أولئك المشركون الذين كانوا يعبدون غير الله سبحانه وتعالى أخبر الله عنهم بأنهم يوم القيامة حين يرون الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى سيقولون يا ربنا هؤلاء الأرباب التي كنا

القيامة، وذلك بالقرآن وبأهل بيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في حديث الثقلين، وكما في حديث: ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين...))؛ لذلك فدلالة الآية هي بمعونة هذه الأحاديث ونحوها.

(١)-**سؤال:** يا حبذا لو فصلت هذه اللفظة فقد تشكل على بعض القاصرين؟

الجواب: الأصل «عَتَبَ» وبابه نصَر وطرِب، يعتب عَتَباً وعَتْباً، عتب عليه بمعنى: وجِد عليه وغضب عليه مع الإذلال، ولا زلنا نستعمل هذا اللفظ إلى اليوم. وأعتبه بمعنى: سرَّه، واستعتبه بمعنى: استرضاه، أي: طلب رضاه. اهـ من المختار.

نعبدها من دونك، ثم إن معبوداتهم عندما تسمعهم تتبرأ منهم وتنكر أنها ادعت الإلهية، أو أمرت أحداً بعبادتها، ويخبرونهم أنهم إنما كانوا يعبدون الشيطان، وأما هم أي: المعبودون فلم يكونوا يدَّعون ذلك، وذلك أنهم كانوا ينحتون أصناماً على شكل الملائكة في زعمهم ثم يعبدون الصنم على أساس أنهم يعبدون ذلك الملك، فإذا كان يوم القيامة فإن الملائكة ستنكر عليهم أنها ادعت الربوبية، أو أمرتهم بعبادتها، وتقول: إنكم كاذبون في ادعائكم ذلك.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ فحينئذ سيستسلمون لله سبحانه وتعالى عندما يرون الملائكة تكذبهم وسينقادون للواقع الذي وقعوا فيه وصاروا إليه.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿٨٧﴾﴾ وتلك التي كانوا يعبدونها ويدعون إلهيتها سوف تضيع عنهم يوم القيامة، وعندها سيستسلمون لله تعالى ويعترفون حينئذ بكفرهم وتكذيبهم أمام الأشهاد، وبعدل الله وعدم ظلمه لهم بحكمه عليهم باستحقاق النار؛ لأن الله سبحانه وتعالى لن يحكم عليهم بها إلا عندما يعترفون على أنفسهم بأنهم يستحقونها.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴿٨٨﴾﴾ يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن حال الذين كفروا بأنه سوف يعذبهم بسبب كفرهم، وسيزيدهم عذاباً فوقه بسبب صدهم عن سبيله، ومنع الناس عن الهدى والإيمان، وإدخال الناس في الضلال.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(١) وهو يوم القيامة

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل من اللازم أن لا تطلق الأمة إلا على الجماعة المعاصرين لنبي من الأنبياء من جهة اللغة أو الشرع أو نحو ذلك أم يصح ولو على طائفة من الأمة؟

الجواب: كلمة «أمة» تطلق على جماعة من الناس أو من غيرهم بدليل: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ﴾ [القصص:٢٣]، وإذا قلنا: «أمة محمد ﷺ» فالمقصود الذين بعث إليهم. و«أمة» في الآية كلمة مطلقة في كل جماعة من الناس، إلا أنه يمكن تقييدها بقوله: ﴿نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ

=

سيبعث الله سبحانه وتعالى مع كل أمة نبيها يكون شهيداً عليهم.

﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ وسيكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهيداً على أمته، وعندما أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيل إنه بكى عندما علم أنه سيكون شهيداً على أمته لشدة رحمته وشفقته على أمته من عذاب الله سبحانه وتعالى، وحرصه الشديد على استنقاذهم من عذاب الله.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا[1] لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيه

شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ فعرفنا أن المقصود بكل أمة هو كل أمة بعث الله تعالى إليها رسولاً، وقد بعث الله تعالى إلى بني إسرائيل موسى عليه السلام وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة وهو نبيهم ورسول الله إليهم إلى يوم القيامة بدليل: ﴿لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام:٢٩]، ((لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)) وهكذا موسى عليه السلام إلى أن نسخت شريعته.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿تِبْيَانًا﴾؟

الجواب: يعرب مفعولاً من أجله.

(٢)-**سؤال:** يتوهم البعض أن القرآن قد اشتمل على بيان كل مسائل الدين، وأنه لا يقبل من السنة إلا ما قد ذكر في القرآن ويتجاهل أعداد الركعات وأنصباء الزكاة والديات ونحوها فلو بينتم هل نحن محتاجون إلى السنة المطهرة لمعرفة أمثال هذه التفاصيل، أم نكتفي بالقرآن فحسب؛ لكان مناسباً؟

الجواب: حقاً فقد أنزل الله تعالى القرآن تبياناً لكل مسائل الدين الإسلامي، إلا أن كثيراً من مسائل التشريع (العبادات والمعاملات) وردت على سبيل الإجمال، فوكل الله تعالى بيانها إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾ [النور:٥٤]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]،

=

بيان الحق والباطل والهدى والضلال، وفيه بيان الطريق التي توصل إلى ثواب الله سبحانه وتعالى، وكذلك فيه البشرى للمؤمنين بثواب الله تعالى والأمن يوم القيامة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ(١) وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ۝٩٠﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى المشركين وغيرهم من عباده بما فيهم المسلمون أنه لم يأت بدين خارج عن المعقول، ومخالف لفطر العقول، وإنما أمركم بما فيه مصلحتكم، وهو العدل والإحسان، وأمركم بصلة أرحامكم لما فيه من زيادة الروابط والعلاقات التي فيها كثير من المصالح والمنافع لكم التي تستحسنها عقولكم، ونهاكم عن كل القبائح التي تستفحشها العقول وتستنكرها، ولم ينهكم عن شيء تستحسنه عقولكم، ونهاكم عن الظلم لما فيه من الإفساد بينكم.

أخبركم الله سبحانه وتعالى بكل ذلك لعلكم ترجعون إليه وتتفكرون في الدين الذي أتاكم به ربكم، وأنه الدين الذي تقتضيه فطر عقولكم.

وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، فبهذه الآيات ونحوها كان ما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو نهى عنه، وكل ما شرع وسن من ضمن البيان القرآني وداخلاً تحت أوامره ونواهيه وتشريعاته.

(١)-**سؤال:** ما الحكمة في ذكر المنكر مع أنه قد دخل في الفحشاء؟

الجواب: الفحشاء هي المعاصي التي يعظم قبحها عند فطر العقول السليمة، والمنكر هو المعاصي التي تنكرها الفطر السليمة وتنفر عنها فالمنكر معطوف على الفحشاء عطف العام على الخاص، فالفحشاء المعاصي العظام والمنكر دونها. ودليل ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا۝٢٢﴾ [النساء]، وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ۝٨٠﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [الإسراء:٣٢].

والإحسان هو(١) الأعمال الصالحة التي تستحسنها العقول كشكر المنعم، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى القربى مع أنهم قد دخلوا تحت العدل والإحسان، وذلك ليبين أن صلتهم بمكانة عظيمة وكبيرة عنده تعالى.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ وأمرهم الله سبحانه وتعالى بأنه إذا كان بينهم وبين أحد عهد فالواجب أن يوفوا به، ولا ينقضوه.

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴿٩١﴾﴾ لأن من عاهد عهداً(٢) فقد جعل الله سبحانه وتعالى كفيلاً عليه؛ فلا ينبغي أن ينقض عهده(٣)، وقد توعد الله سبحانه وتعالى من خانه في عهده

---

(١)-**سؤال:** من أين استفيد هذا المعنى للإحسان؟

الجواب: استفيد من نحو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة:٩١]، فسمى الله تعالى أهل تلك الأعذار محسنين إذا نصحوا لله ورسوله والنصيحة لله ولرسوله هي الطاعة لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد جاء في السنة تفسير الإحسان بأن تعبد الله كأنك تراه... الحديث. والإحسان يفسر أيضاً بالإحسان إلى الناس وإنما فسرناه بالعمل الصالح لكونه أكثر وأشمل مع دخول الإحسان إلى الناس فيه.

(٢)-**سؤال:** هل ترون أن توكيدها هو عقد العهد فيها؟

الجواب: توكيد الأيمان هو عقد العهد فيها.

(٣)- **سؤال:** رجل عاهد والده أن لا تخرج مشكلة من مشاكلهم عن إطار البيت، ثم زادت المشاكل فاضطر الولد أن يشكو على بعض قرابته فهل يعد فعله نقضاً للعهد؟ وهل هو معذور في نقضه أم كيف يعمل؟ مع العلم بأنه سيتحمل كثيراً من المشاكل لو لم يخرجها؟

الجواب: يبدو لي أن المقصود بالعهد في بال الطرفين هو الستر على أهل البيت بترك إظهار ما يحدث من المشاكل التي يكون في ظهورها نقص أو خدش في مكانة أهل البيت من المشاكل التي تحصل في العادة وتتكرر، وقد حصل في الماضي منها كثيراً فالعهد وقع على ترك إظهار مثل تلك المشاكل التي حصلت وتكررت في البيت، وإذا حصلت تمت معالجتها. هكذا =

فسيجازيه على ذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾[١] ولا تكون حالكم كالمرأة التي تتعب نفسها في الغزل والنسج حتى تحكم صنعه وغزله، ومتى فرغت من غزلها ذلك- بدأت بنقضه، فيذهب تعبها ذلك هباءً، شبه الله سبحانه وتعالى ذلك الذي ينقض عهده بعد توكيده وإبرامه بهذه المرأة التي تغزل ثم تنقض غزلها.

والأنكاث: هم الذين ينكثون العهد مثل المرأة التي تنقض الغزل بعد إحكامه، كأولئك الذين عاهدوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الإيمان بالله ورسوله والجهاد بين يديه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بعد ذلك ينقضون عهدهم هذا، وكذلك كل العهود سواءً كانت مع الله سبحانه وتعالى أو مع أحد من خلقه، فلا يصح ولا يجوز نقضها؛ لأن نقضها من الكبائر التي توعد الله سبحانه وتعالى عليها بالعذاب الشديد.

﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ أي تجعلون أيمانكم حيلة تحتالون بها وطريقا ووسيلة إلى الفساد والغدر.

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾[٢] كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن معه من

ظهر لي ما وقع عليه العهد وعليه فإذا كانت المشكلة التي أظهرها الابن على بعض قرابته لم يمكن حلها ولا معالجتها داخل البيت، وإذا تركت بدون حل تأزم الوضع وتضاعفت المشاكل وحصل فساد، وكان للابن أمل في الحل عند بعض قرابته فأطلعه على المشكلة لحلها فلا يعد فعله نقضاً للعهد.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْكَاثًا﴾؟ وما نوع اسميتها؟ وكيف يكون معناها طبق ذلك؟

الجواب: تعرب «أنكاثاً» مفعول به ثان لنقضت لتضمنه معنى صيرت، أو جعلت، وقد أعربوها حالاً من «غزلها» وأنكاث جمع نِكث بكسر أوله وهو الحاصل من نقض الحبال والأكسية وحلها لإعادة نسجها، والمعنى الذي ذكرناه في التفسير مبني على هذا.

(٢)-**سؤال:** ما موضع المصدر المؤول: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾؟

الجواب: موضعه الجر بلام التعليل محذوفة.

المؤمنين في ضعف بينما كان المشركون في قوة وعزة، وكان هناك أناس عاهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد عزموا على نقض عهدهم معه، والذهاب إلى قريش لكونهم أقوى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، وأمر بالوفاء بالعهد، ولو كان يلحق ضرر من ذلك القوي، وأربى يعني أقوى وأعزَّ.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي: بأن جعل أناسا أقوى من أناس آخرين، أخبر أن ذلك منه اختبار لكم هل ستوفون بعهودكم أم لا؟

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴿٩٢﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيحكم بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه بينهم في الدنيا، وهو ما كان من الاختلاف بين المؤمنين مع المشركين، ومع اليهود والنصارى؛ فسيحكم الله سبحانه وتعالى بين هذه الأمم المختلفة يوم القيامة، ويبين لهم المحق من المبطل منهم جميعاً.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو أراد أن يكره الناس جميعاً على الإسلام لفعل، ولكن حكمته اقتضت خلاف ذلك، وأن يتركهم واختيارهم ومشيئتهم ليرتب على ذلك الثواب والعقاب؛ لأنه لا يُستَحقُّ الثوابُ والعقابُ إلا على ما كان موقوفاً من الأعمال على الاختيار، فلا يستحق الإنسان الثواب إلا إذا ذهب إلى الهدى باختياره ليس معه غرض غير ذلك، وأيضاً اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه على ضعف وقلة حظ في الدنيا؛ لأجل ألا يذهب إليه إلا من لا غرض له سوى الهدى والإيمان، إذ لو كان معه قوة ودولة وسلطة لأقبل الناس إليه ودخلوا في دينه لأجل قوته وغناه وسطوته، لا لأجل الإيمان، وإلا فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يفتح لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم خزائن الأرض، ويجعل مفاتيحها بيده.

﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٩٣﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يرد أن يكرههم ويلجئهم، وأنه أراد أن يوكلهم إلى

اختيارهم؛ فمن اختار الهدى جعله الله في زمرة المهتدين، ومن اختار الضلال جعله الله في زمرة الضالين[١]، ثم أكد الله سبحانه وتعالى على أنه سيسأل كل امرئ عن كل ما عمله من صغير وكبير يوم القيامة، وسيحاسبه عليه ويجازيه.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ ثم أكد الله سبحانه وتعالى عليهم مرة ثانية بالوفاء بالعهود والمواثيق والأيمان، وأراد بالأيمان المعقودة على شيء، وهنا قد نهى الله سبحانه وتعالى عن اتخاذ الأيمان حيلة ووسيلة لأن يأمنَ أحدٌ جانبَكَ وأنت تريدُ الغدرَ به والفسادَ، وأخبر أن ذلك معصية كبيرة يستحق عليها العقاب والعذاب الشديد.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ۝٩٤﴾[٢] أراد الله سبحانه وتعالى أن نقض العهود والمواثيق والأيمان من الكبائر التي تخرج صاحبها من اسم الإيمان، ويستحق بسببها العذاب والنار؛ لأنها من الصد عن سبيل الله لما فيها من الإفساد والغدر.

---

(١)-**سؤال:** هل تريدون أن قوله: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ۝٩٣﴾ قرينة قوية على أن المراد بالإضلال والهداية الحكم والتسمية؟

الجواب: نعم ذلك قرينة قوية على أن المراد بالإضلال والهداية هو الحكم والتسمية.

(٢)-**سؤال:** هل في الآية دليل على أن التحيل بالأيمان بأن تجعل وسيلة للغدر والخيانة سبب للخروج من الهدى؟ وهل يطرد هذا في كبائر العصيان؟

الجواب: في الآية دليل على ذلك، ويطرد أيضاً في كبائر الذنوب قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ۝٦٣﴾ [النور]، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ۝١٠﴾ [الروم]، وقال تعالى في أصحاب السبت: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ۝١٦٣﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ۝١٦٣﴾ [الصافات]، فمن ارتكب معصية كبيرة ولم يتب إلى الله منها كان عرضة للوقوع في العظائم والفتن والتمادي في الغواية والضلال.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ثم أكد الله سبحانه وتعالى على ذلك بالنهي عن نقضِ العهد وقبولِ أي ثمن مقابل ذلك؛ لأنه خروج من الدين وكبيرة يستحق عليها النار.

﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٩٥﴾﴾(١) وأخبر أن الوفاء بالعهد هو الأفضل عنده سبحانه وتعالى؛ لأنه سيعطي على ذلك الثواب العظيم.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ أراد الله سبحانه وتعالى أن متاع الدنيا سيفنى وسيبقى إثمه، وأن ثوابه هو أبقى لهم إذا وفوا بعهودهم وأيمانهم.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٩٦﴾﴾ وعد من الله سبحانه وتعالى لأهل الوفاء بأنه سيجازيهم بأحسن الأجر وأوفاه وأكمله.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ وهذا أيضاً وعد من الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأنه سيحييهم في الدنيا الحياة الطيبة، وسيرزقهم الأمن والأمان والطمأنينة والرضا بما قسمه لهم، وفي هذه الآية حث وترغيب على الإيمان والعمل الصالح لأنهم إذا علموا أنهم سيحييون بعيدين عن القلق والاضطراب والمكاره والشدائد وضنك العيش؛ فسيكون ذلك أدعى إلى المسارعة في الأعمال الصالحة.

والمؤمن الصادق الإيمان ولو كان قليل المال فإن الله تعالى يجعل في قلبه قناعة ورضا وطمأنينة؛ لأنه عالم بأن الله سبحانه وتعالى سيعطيه، وأنه إذا ابتلاه بشيء فهو راضٍ بما قسم الله له، وعالم بأنه سيعوضه عما فاته في الدنيا؛ فلا ينقطع أمله ورجاؤه في الله سبحانه وتعالى، بل يكون في فرح وسرور دائمين لعلمه بما عند الله، وأن ما

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة الشرط هنا في آخر الآية؟

الجواب: الفائدة فيه في هذا المكان وفي أمثاله تنبيه المخاطب وبعثه على البحث والنظر في حقيقة الخبر المعقب بهذا الشرط.

عند الله هو خير وأبقى، وأنه وإن لم يعط مقابل تلك البلوى في الدنيا فهو عالم بأن الله سبحانه وتعالى سيعطيه مقابل ذلك في الآخرة، بخلاف أولئك العاصين والمتمردين على الله؛ فلبعدهم عنه ينقطع رجاؤهم فيه، ويصيبهم اليأس والقنوط، فيزيد ذلك في حسراتهم وهمومهم وغمومهم.

ولأن المؤمن عالم بأن الله سبحانه وتعالى عدل حكيم فيعتقد بأن فيما ابتلاه الله به مصلحة له يعلمها وأن بلواه خير له في دينه ودنياه من عافيته.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى بأنه مع سعادتهم التي يعطيهم في الدنيا سيوفيهم أجورهم في الآخرة، وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴿٩٨﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين إذا شرعوا في قراءة القرآن أن يستعيذوا من الشيطان الرجيم.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴿٩٩﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أن الشيطان ليس له تسلط على المؤمنين المتوكلين المعتمدين عليه، ولا طريق(١) له إليهم، وأنه آيس منهم، ومقتنع بأنهم محاطون بتوفيق الله سبحانه وتعالى وتسديده، وأنه لن يستطيع شيئاً فيهم، فإن من اعتمد على الله سبحانه وتعالى وتوكل عليه؛ فإنه سيكفيه من شر إبليس ومكره.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴿١٠٠﴾﴾ وأخبر أن سلطان الشيطان ليس إلا على أولئك الذين يعملون المعاصي وقد أصبحوا تحت

(١)-**سؤال:** يقال: كيف يفسر وقوع بعض الزلات من أشخاص لهم قدم في العبادات؟

الجواب: إذا وقع المؤمن في زلة فإنه يتداركها بالتوبة ولم يصر كما قال الله سبحانه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴿٢٠١﴾﴾** [الأعراف]، **﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾** الآية [آل عمران:١٥٣]، لذلك لا يستولي عليهم الشيطان ولا يسخرهم لطاعته ولا يدخلهم في حزبه وجنده.

سيطرة إبليس وقبضته، وقوله: ﴿هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أراد بذلك أن من أطاع الشيطان فقد عبده وأشركه في العبادة(١).

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَكَانَ(٢) ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ۝١٠١﴾(٣) ينزل الله سبحانه وتعالى شرائعه وأحكامه على حسب ما تقتضيه المصلحة والحكمة فأمر في أول الإسلام بشرائع على حسب ما اقتضته المصلحة في ذلك الزمان وعندما أصبح الإسلام في قوة وعزة أتى تعالى بشرائع أخر نسخت الشرع الأول؛ فعند ذلك رمى المشركون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالافتراء والكذب على الله سبحانه وتعالى، وقالوا: كيف يأمر في أول اليوم بأمر ثم ينقضه في آخره بأمر آخر، وقالوا: إن هذا دليل على أنه يفتريه من عنده، كالصلاة مثلاً، ففي بداية الإسلام لم تكن إلا اثنتين اثنتين إلا المغرب فهو ثلاث، ثم نسخ ذلك بعدما استقوى الإسلام إلى أربع أربع، وكذلك المسح على الخفين كان جائزاً في بداية الإسلام، ثم نسخه آخراً.

وكذلك بقية التكاليف نزلت أول الإسلام على التخفيف والتيسير فلم ينزل القطع بتحريم الخمر إلا عندما تروضوا على الإسلام وتمرنوا عليه، وكل الشرائع كانت على التدريج فأول فريضة فرضها الله تعالى على الناس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله، ولم يشرع الله سبحانه وتعالى الشرائع وينزل

---

(١)-**سؤال:** فما يكون معنى الباء في قوله «به» حينئذ؟

الجواب: الباء للتعدية ومشركون مضمن معنى مؤمنين أي أنهم مؤمنون بالشيطان ومشركونه في الطاعة التي لا تنبغي إلا لله الواحد القهار.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَكَانَ ءَايَةٍ﴾؟

الجواب: تعرب مفعول فيه لـ«بدلنا»، أي: أنها ظرف مكان منصوب على الظرفية.

(٣)- **سؤال:** ما الحكمة في التدليل على أن الناسخ من عند الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾؟

الجواب: الحكمة والله أعلم أن المؤمنين كانوا يتمنون أن لا ينسخ الله آية وينزل بدلها لما في ذلك من التنفير للمشركين عن الإسلام ولما يتوقعون من الطعن في الدين فكان قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أن أنزل الناسخ مكان المنسوخ على حسب ما تقضي به الحكمة والمصلحة فكان ذلك رداً لما يتوهم من أن الحكمة والمصلحة في ترك النسخ.

الأحكام والتكاليف على الحتم إلا عندما كانوا في المدينة وقد استقوى الإسلام، وصار له دولة وكيان، وقد استغنى بالرجال والعدة والعتاد.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢﴾ عندما رمى المشركون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالكذب والافتراء على الله سبحانه وتعالى أمره الله تعالى بأن يخبر المشركين بأن روح القدس وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي أنزله إليَّ من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه الدين الحق الذي سيثبت(١) عليه الذين آمنوا، وسيستجيبون لما نزل عليهم فيه من الأحكام والشرائع التي فيها هداهم إلى الطريق المستقيم.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد استاء من مقالة المشركين فيه الزور والبهتان، وذلك أنهم كانوا يقولون: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما يتعلم من غلام لعتبة وشيبة، وإنّ هذا الغلام كان على دين يونس بن متى، وأن ما جاء به ليس من عند الله سبحانه وتعالى، وإنما هو من عند ذلك الغلام؛ فاصطدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من مقالتهم تلك واستاء؛ فأخبره الله تعالى بأنه قد علم بمقولتهم هذه، وأنه سيجازيهم عليها.

﴿لِسَانُ(٢) الَّذِى يُلْحِدُونَ(٣) إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ١٠٣﴾

---

(١)-**سؤال:** ما مظاهر التثبيت في إنزال الناسخ والمنسوخ؟

الجواب: الناسخ والمنسوخ وغيرهما من آيات القرآن بالنسبة للمؤمنين سواء فلا يرتابون في شيء من ذلك ولا يترددون في العمل به.

(٢)-**سؤال:** ما وجه قطع هذه الجملة عن الجملة التي قبلها؟

الجواب: قطعت لأنها جواب لسؤال مقدر ناشئ من الجملة التي قبلها كأنه قيل: فما هو الجواب عليهم؟ فقيل: لسان....إلخ.

(٣)- **سؤال:** لماذا سمى الله تعالى اتهامهم للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأخذه عن الغلام إلحاداً في قوله: ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ﴾؟

الجواب: سمى ذلك إلحاداً لأنهم مالوا عن قول الحق في القرآن وعدلوا إلى القول بأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعلم القرآن وأخذه من الغلام.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ بأن ذلك الذي يتهمون النبيﷺ بأنه أخذ عنه وتعلم منه هو من الأعاجم ولغته أعجمية، وأن الذي جاءهم به النبي ﷺ باللسان العربي الفصيح، واللغة العربية التي هي لغتهم، وهم يعرفون أن ذلك العجمي لن يستطيع أن يأتي به كذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٠٤﴾ فلن يتوفقوا إلىٰ توبة أبداً، ولذا تراهم يتخبطون في وادي الهلكات فمرة يقولون: ساحر، ومرة مجنون، وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنهم قد خرجوا من عنايته ولطفه، واستحقوا العذاب بسبب إعراضهم عن آيات الله سبحانه وتعالىٰ بعد أن عرفوا صدقها.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٠٥﴾(١) فهؤلاء هم الذين يفترون علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ الكذب.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾(٢) وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن من كفر بعد إيمانه ورجع إلىٰ دين المشركين هو الذي يتوقع منه أن يفتري الكذب علىٰ الله دون النبي ﷺ والمؤمنين الذين استقاموا علىٰ الإيمان والتقوىٰ فما أبعدهم عن افتراء الكذب علىٰ الله لشدة تعظيمهم لله وخوفهم منه، وأما من أكرهه المشركون علىٰ الكفر وأرغموه علىٰ النطق بالتكذيب

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة تذييل الآية بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ١٠٥﴾؟

الجواب: فائدة ذلك هو توكيد الكلام الذي قبلها، والواو اعتراضية والجملة معترضة.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما هو إعراب «من» في: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾؟ وهل هي بدل من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أم ماذا؟ وهل يصح أن تكون شرطية وجوابها ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ ويكون إعادة الشرط «من» للتأكيد أم لا يصح هذا؟ فما هي العلة؟

الجواب: «من» بدل من ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ ولا يصح أن تكون شرطية وجوابها: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ...﴾ إلخ، وذلك أن الاستدراك: «ولكن» مانع من ذلك من حيث أن الاستدراك يدل علىٰ أن الكلام الأول قد تم وأن ما بعدها خارج عن حكم ما قبلها.

بالنبي ﷺ وبالقرآن فكفر بلسانه ليسلم من القتل والعذاب فلا بأس عليه إن نطق بكلمة الكفر، ما دام مكرهاً عليها، كما كان من عمار بن ياسر عندما عذبه المشركون حتى ألجئوه إلى أن ينطق بالكفر، وبسب النبي ﷺ، وقد ذهب بعد ذلك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله قد هلكت وكفرت! فأجابه النبي ﷺ بأنه لا بأس عليك يا عمار، ما دام قلبك مطمئناً بالإيمان، وإن عادوا لك فعد لهم بمثلها.

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا(١) فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴿١٠٦﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى بأن الذي صح عليه اسم الكفر، واستحق عذاب الله تعالى وسخطه- هو من اعتقد الكفر بقلبه(٢).

﴿ذَلِكَ(٣) بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴿١٠٧﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أن سبب اعتقاد الكفر والرضا به هو إيثار الحياة الدنيا وشهواتها وحرمانهم من الألطاف والتوفيق.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴿١٠٨﴾﴾ فما أحق الكافرين بالله الذين رضوا بالكفر واطمأنوا إليه بأن يحرمهم الله من ألطافه وأنوار هدايته وتوفيقه وإعانته لكفرهم بربهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴿١٠٩﴾﴾ لا شك ولا ريب أنهم قد خسروا يوم القيامة، وأنهم قد أصبحوا من أهل عذاب الله وسخطه.

---

(١)- **سؤال:** ما فائدة تنكير قوله: ﴿صَدْرًا﴾؟

الجواب: الأصل في التمييز هو التنكير و«صدراً» هنا تمييز.

(٢)-**سؤال:** يقال: فعلى هذا ممّ يكون الاستدراك بقوله: «ولكن»؟

الجواب: الاستدراك هو من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فبين بالاستدراك أن حكم المتعمد للكفر الراضي به مخالف لحكم المكره على قول الكفر.

(٣)-**سؤال:** هل يصح عود الإشارة بـ«ذلك» إلى الغضب واستحقاق العذاب العظيم أم لا؟

الجواب: يصح عودها إلى ذلك وقد يكون أولى مما ذكرنا في التفسير.

﴿ثُمَّ[١] إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١١٠﴾﴾ أخبر الله تعالى بأنه سيغفرُ للذين عذبهم المشركون حتى أرغموهم على الكفر ثم بعد ذلك تابوا إلى الله وهاجروا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاهدوا معه وصبروا على تكاليف الإسلام ويرحمهم.

وذلك أن أناساً كانوا قد آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم إن المشركين علموا بإيمانهم فعذبوهم حتى ارتدوا عن الإيمان وكفروا، ولكنهم عندما سنحت لهم الفرصة هربوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة، وجاهدوا معه، وآمنوا وحسن إسلامهم.

﴿يَوْمَ[٢] تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴿١١١﴾﴾ وهذا هو يوم القيامة سوف يكون كل امرئ منشغلاً بنفسه يجادل ويدافع عنها، والشهود سيكونون على رؤوسهم يشهدون عليهم حتى يتبين الحق والصدق، وتوفى كل نفس عملها الذي قد عملته في الدنيا لا يزيد الله عليهم شيئاً لم يعملوه، ولا ينقصهم شيئاً من أعمالهم.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا[٣] مِنْ كُلِّ

---

(١)-**سؤال:** ما النكتة في استعمال «ثم» في أول هذه الآية؟ وما فائدة تكرير إن واسمها في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾؟

الجواب: النكتة في الإتيان بـ«ثم» هنا هي الإشارة إلى البعد البعيد أي البعد المعنوي بين مكانة الكافرين الذين غضب الله عليهم ولهم عذاب أليم وبين مكانة أهل مغفرة الله ورحمته. والحكمة في تكرير «إن» هنا هي أنه إذا ابتعد خبر «إنّ» عن اسمها كما هو الحال هنا كررت «إنّ» لتأكيد ربط الخبر بالاسم.

(٢)-**سؤال:** ما هو العامل الذي نصب «يوم» في: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾؟

الجواب: العامل هو ﴿رَحِيمٌ﴿١١٠﴾﴾ الذي قبله، أو نقدر له عاملاً «اذكر».

(٣)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿قَرْيَةً﴾ و﴿رَغَدًا﴾؟

الجواب: «قرية» بدل من «مثلاً»، و«رغداً» مفعول مطلق أي: إتياناً رغداً.

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ(١) الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴿١١٢﴾﴾ وهي مكة جعلها الله سبحانه وتعالى عبرة للناس ليعتبروا، وليحذروا أن يفعلوا كفعلهم؛ فيلحقهم مثل ما لحق أولئك من العذاب، وذلك أن أهل مكة كانوا مطمئنين آمنين، والرزق مقبل عليهم من كل مكان؛ فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم محمداً -صلى الله عليه وآله وسلم- فكفروا به، وكذبوا بآيات الله، وعاندوا وتمردوا؛ فابتلاهم الله سبحانه وتعالى بالجوع حتى أكلوا الكلاب، وبالخوف بدل الأمن نحواً من سبع سنين، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينهم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد دعا عليهم، فقال: ((اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف)).

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴿١١٣﴾﴾ وهو هذا العذاب الذي ذكرنا من الجوع والخوف.

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا(٢) وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴿١١٤﴾﴾ يخاطب الله عباده جميعاً بأن يأكلوا مما رزقهم حلالاً طيباً، ولكن يجب عليهم أن يشكروه على ما أنعم به عليهم، ويطيعوه فيما أمرهم به.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يحرم عليهم شيئاً من طيبات الرزق، وإنما حرم عليهم ما كان خبيثاً ومستقذراً، بينما كان المشركون يحرمون بعض الطيبات من عند أنفسهم، ويحللون بعض الخبائث كأكل الميتة، وكانوا يقولون: إنها ذبيحة الله، ومع ذلك

---

(١)- **سؤال:** ما النكتة في ذكر اللباس في قوله: ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ﴾؟

الجواب: النكتة أن الجوع كان قد تبالغ فيهم حتى ظهرت آثاره على أجسامهم وصورهم كالهزال وانكشاف الصورة وتغير اللون فكانت هذه الآثار الظاهرة على أبدانهم كالثياب المحيطة بأبدانهم.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾؟

الجواب: ﴿حَلَالًا﴾ حال من الموصول أو من العائد عليه و﴿طَيِّبًا﴾ صفة.

يحرمون ما ذبحه الإنسان، وكذلك يحللون بعض الأنعام لذكورهم دون إناثهم، وبعضها حرموه على ذكورهم وإناثهم، إلا إذا مات فهم فيه شركاء جميعاً؛ فأخبر الله سبحانه وتعالى أن الذي شرعه المشركون إنما هو ضلال وجهل، وأنه قد أحل الطيبات جميعاً، ولم يحرم إلا هذه الأشياء المذكورة في الآية.

والذي أهل لغير الله هو ما ذكر عليه غير اسم الله سبحانه وتعالى نحو: باسم اللات، وباسم العزى.

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿١١٥﴾﴾ وأباح هذه الأشياء إذا كانت الضرورة قد دعت إليه، ولكن لا يأكل أكثر مما يسد جوعته.

ومعنى «باغ» أي: غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ[(١)] لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴿١١٦﴾﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يحلل أحد شيئاً، أو يحرمه من عند نفسه، وأخبر أن من فعل ذلك فقد افترى على الله الكذب، وارتكب بذلك معصية كبيرة.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿١١٧﴾﴾[(٢)] وأن من افترى الكذب على الله سبحانه وتعالى فسيمتعه في الدنيا قليلاً، ثم يعذبه في نار جهنم خالداً فيها أبداً.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا﴾؟

الجواب: «لا» ناهية، وتقولوا: فعل وفاعل، واللام حرف جر، و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر، وتصف: فعل مضارع، وألسنتكم: فاعل، والكذب: مفعول به، و«هذا حلال وهذا حرام» مقول القول، والتقدير: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي: لتعودها عليه وجريانها به أي: لا تحللوا ولا تحرموا لأجل قول تنطق به ألسنتكم، وقوله: «لتفتروا..» بدل من «لما تصف ألسنتكم».

(٢)-**سؤال:** لو تكرمتم بإعراب هذه الآية؟

الجواب: «متاع» خبر مبتدأ محذوف أي: تنعمهم في الدنيا وأعمالهم متاع قليل، أو مبتدأ وخبره محذوف أي: لهم متاع قليل، «ولهم عذاب أليم» جملة من مبتدأ وخبر.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ أنه حرم على اليهود بعض الطيبات التي قصها[1] فيما سبق كتحريم الشحوم.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ وأخبر أنه لم يظلمهم بتحريمه عليهم بعض الطيبات؛ فهم الذين تسببوا على أنفسهم بمعصيتهم لله سبحانه وتعالى، فحرم عليهم بعض الطيبات جزاءً على ذلك.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ[2] تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾ وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سيتوب على العصاة إذا تابوا ورجعوا إليه، وأصلحوا ما أفسدوه[3]، وأن كل من عصى الله فهو

---

(١)-**سؤال:** هل المراد قص لنا حلها أو قص تحريمها؟

الجواب: المراد ما قص تحريمه على بني إسرائيل مما كان حلالاً لهم.

(٢)-**سؤال:** ما الحكمة في استخدام «ثم» في هذا التعبير؟

الجواب: السر هو الإشارة إلى تفاوت حال التائبين عن حال الكافرين الظالمين المصرين، والمراد تفاوت الحال لا تفاوت الزمان.

(٣)-**سؤال:** يقال: ظاهر هذا الكلام أن العاصي إذا تاب من ذنب وأصلح فإن توبته مقبولة، وإن لم يتب من الذنوب الأخرى المتقدمة، وجمهور أصحابنا أن التوبة لا تصح من ذنب دون ذنب فما هو الدليل القوي؟

الجواب: التوبة كما يظهر لي قسمان:

١- توبة يستحق بها التائب محبة الله وثوابه، وهي التي عناها الله بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾**﴾ [البقرة]، وبقوله: ﴿**إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾**﴾ [الفرقان]، والتائب من ذنب دون ذنب لا يستحق محبة الله ولا ثوابه.

٢- توبة بمعنى التخلص من ذنب أو مظلمة دون الذنوب الأخرى وهذه التوبة تنفع التائب في حقوق المخلوقين بمعنى أن التائب إذا اعتذر إلى خصمه وأرضاه فلا يسأل يوم القيامة.

يعمل السوء بجهالة، ولو كان يعلم أنه يعصي الله سبحانه وتعالى فهو في جهالة[١].

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝١٢٠﴾ كان مشركو مكة يزعمون أنهم على دين إبراهيم، وأن ما هم فيه من الشرك هو دين إبراهيم، فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ هذه الآية يخبرهم فيها أن إبراهيم كان أمة لحاله، ولم يؤمن به إلا امرأته ولوط عليه السلام، وأخبر أنه وحده بدينه يسمى أمة، ثم وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه كان قانتاً يعني: خاضعاً خاشعاً متعبداً لله تعالى وحده، وكان أيضاً حنيفاً، يعني: مائلاً عن الأديان الباطلة، ووصفه أيضاً بأنه لم يك من المشركين كما يدعي مشركو قريش.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ وكان أيضاً شاكراً لنعم الله سبحانه وتعالى بينما أنتم أيها المشركون غير شاكرين لله سبحانه وتعالى بعبادتكم لأصنامكم هذه، وتقربكم إليها، وتوسلكم بها من دون الله سبحانه وتعالى.

﴿اجْتَبَاهُ[٢] وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ۝١٢١﴾ اختاره الله سبحانه وتعالى واصطفاه للنبوة وهداه إلى الدين الحق، وهو دين التوحيد لله تعالى دين الإسلام.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ۝١٢٢﴾ رزقه الله في الدنيا

---

(١)-**سؤال:** لماذا يكون في جهالة مع هذه الحالة؟

الجواب: إذا سيطرت الشهوة وغلبت دوافع الهوى ضعف الإيمان بالله والتصديق بالثواب والعقاب ومن هنا روي: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن..)) لذلك لا يقدم العاصي على المعصية الموجبة لسخط الله وعذابه إلا وهو في جهالة لا يلتفت معها إلى الإيمان بالله والحياء منه وخوف وعيده. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ۝٢٠١﴾ [الأعراف]، دليل على ما ذكرنا فإن قوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ۝٢٠١﴾ دليل على أنهم حال المعصية غافلون عن ذكر الله ووعيده.

(٢)-**سؤال:** ما هو إعراب جملة ﴿اجْتَبَاهُ﴾؟

الجواب: الجملة في محل نصب خبر خامس لكان في قوله: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾.

رفعة وشرفاً وذكراً حسناً، ولم تأت أمة من الأمم إلا وتصلي عليه وتذكره، وكذلك جعل في ذريته النبوة، والعلم والكتاب والحكمة، وكل أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمْ السَّلَامُ ونبي هذه الأمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذريته، فهذه هي الحسنة التي أعطاه الله سبحانه وتعالى في الدنيا وأكرمه بها، ومع ذلك فهو في الآخرة من أهل المنازل الرفيعة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يتبع دين إبراهيم الذي هو الدين الحق، ودين التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وكان اليهود يقولون أيضاً بأنهم هم المتبعون لملة إبراهيم، فأكذبهم الله سبحانه وتعالى وأنكر عليهم كونهم على دينه، وأخبرهم أن السبت إنما جعل وفرض التخلي فيه عن الأعمال للعبادة على اليهود وحدهم، ولم يلزم تبارك وتعالى به أحداً غيرهم، وأنه لم يكن إلا في زمن موسى عندما أمرهم به في التوراة؛ فآمن به بعضهم، وكفر به بعضهم ولم يكن السبت من دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيحكم بين اليهود يوم القيامة فيما اختلفوا فيه مما نزل عليهم في التوراة، وسيجازيهم على كل صغيرة وكبيرة.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يدعو الناس إلى الدين الذي أمره بتبليغه، وهو دين التوحيد، وعبادة الله سبحانه وتعالى وحده ونبذ عبادة الأصنام.

﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ أراد بالحكمة: بالعلم الذي أنزله عليه، وأمره أن يكون ليناً ولطيفاً في دعوته لهم لئلا ينفرهم، وأمره أن يجادلهم على بطلان دينهم بالطريقة التي ترغبهم في جانبه، وتجعلهم يميلون إليه وهي الكلام اللين، وعدم الإغلاظ لهم في القول؛ لأن ذلك سينفرهم، ويكسر قلوبهم، وذلك

لأن الله سبحانه وتعالى عالم بمن سيستجيب للهدى، وعالم بالطريقة التي ستجعلهم يؤمنون، وكذلك أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لن يجازيهم إلا على أعمالهم التي تظهر منهم(١)، ولن يجازيهم على ما في قلوبهم، وإلا فهو عالم بمن سيهتدي ومن سيضل، وأخبر أن الجزاء لن يكون إلا على الأعمال التي يعملونها لا على ما في علم الله.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ۝١٢٦﴾ هذه هي الآية الوحيدة التي نزلت في المدينة وبقية السورة نزلت في مكة، والسبب في نزولها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان قد تحمس على أنه سيمثل بسبعين من قريش إن ظفر بهم، وذلك لما فعلوه بالمسلمين في أحد من القتل، والتمثيل والتشويه، وما فعلوه بعمه حمزة بن عبد المطلب من التشويه، فاغتاظ غيظاً شديداً، وجعله يقسم على أنه إن ظفر بهم ليمثلن بسبعين منهم، عدد قتلى أحد؛ فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنكم أيها المسلمون إن عاقبتم واقتصصتم من أَحَد فلكم ذلك، ولكن إن صبرتم فالصبر أفضل لكم لكونك يا محمد صاحب الدعوة؛ فلا ينبغي أن يصدر منك أفعال تنفر الناس عنك، وأنك إن فعلت، ومثَّلت بهم، فسينفر الناس عنك، وتقسو قلوبهم تجاهك(٢).

---

(١)-**سؤال:** من أين نأخذ هذا المفهوم؟ هل من الآية أم من غيرها؟

الجواب: أخذناه من غير هذا الموضع، وذلك من قصة إبليس فإن الله تعالى لم يؤاخذه إلا حين أظهر الكبر وامتنع من السجود لآدم، ومن نحو قوله تعالى: ﴿**فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۝٣**﴾ [العنكبوت].

(٢)-**سؤال:** يقال: قد يشكل علينا اشتراط مثل العقوبة التي عوقب بها الإنسان فقد يقتل الولي ويستوفي حقه بطريقة وآلة أفظع مما قتل بها قريبه أو نحو ذلك وخصوصاً في الحروب فكيف المخرج؟

الجواب: الذي لا يجوز في الاقتصاص هو الْمُثْلة أو تعذيب المقتول حتى يموت، أما الآلة فالمطلوب أن تكون قاتلة من غير تعذيب، واختلافها لا ينافي المثلية، فالسهم ورصاصة البندق ورصاصة الرشاش الثقيل سواء.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا[1] بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يستعين به فهو وحده الذي سيعينه على الصبر، ونهاه عن الحزن على إصرار المشركين على شركهم، وعدم استجابتهم، وأمره بأن يتركهم في ضلالهم وشركهم؛ فسيجازيهم سبحانه على ذلك.

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ ولا يصبك الضيق والأسى والحزن من مكرهم بك، ومحاولة قتلك، واستئصالك، وطمس دينك؛ فالله معك بنصره وتأييده، وسيخذلهم وينصرك عليهم، فلا تحمل في قلبك الهم تجاههم، واستمر في دعوتك؛ فمهما فعلوا، ومهما حاولوا فلن يصلوا إليك[2].

❁❁❁❁❁

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾؟ وكيف يصير معناها تبعاً لذلك؟

الجواب: الباء للاستعانة مثلها مثل الباء في «بسم الله الرحمن الرحيم» فيكون المعنى حينئذ: وما صبرك حاصل إلا بمعونة الله وتوفيقه وإعانته.

(٢)-**سؤال:** هل لختم هذه السورة بهذه الآيات مناسبة فما هي؟

الجواب: نعم لختم السورة بهذه الآيات مناسبة، بيان ذلك: أن هذه السورة من أولها إلى آخرها في ذكر المشركين الذين ينكرون اليوم الآخر ويعبدون مع الله آلهة أخرى، وفي عرض نعم الله وآياته، والتذكير بقدرة الله وعلمه ورحمته وحكمته ووحدانيته، وبطلان دين الشرك، وبيان ضلال المشركين، وضرب الأمثال الحكيمة، وذكر تمردهم وطعنهم وتكذيبهم، وذكر اليوم الآخر، و... إلخ، ومن قرأ سورة النحل يخيل إليه أن رسول الله ﷺ قد أيس من إيمان المشركين ولم يبق له طمع في ذلك، ومن شأن البشر حصول الفتور وقلة النشاط أو عدمه إذا لم يحصل على نتيجة كان يطمع فيها وقد بذل فيها وسعى إلى تحصيلها غاية سعيه، وتقحم في هذا السبيل المهالك سنة بعد سنة، وفي الأخير لم يحصل على نتيجة، فمن هنا جاءت هذه الآيات: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾ إلى آخر السورة لتبعث من نشاطه الذي كان قد حطمه اليأس فتأمره بمواصلة الدعوة وتبليغ الرسالة وتأمره بالصبر، وأن الله معه وناصره وحافظه و..إلخ. وفي هذه الآيات إشارة وإيذان بأن السورة قد تمت وتم موضوعها الذي سيقت له.

سورة الإسراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ①﴾ تقدس الله وتعالى عن أن يكون له شريك أو مثيل أو شبيه، يقص الله سبحانه وتعالى علينا كرامته لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أنه كان قد أصاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الضيق والغم، ودخلت الشكوك في قلبه عندما رأى من المشركين عدم الاستجابة له، واتهم نفسه بالنقص والتقصير في دعوته؛ لما يراه فيهم من زيادة العناد والتمرد، فأسرى به الله سبحانه وتعالى ليرفع من شأنه، ويرد عليه معنوياته، ويعرف أنه لم يكن منه أي تقصير في تبليغ دعوته، وأنه لم ينقص من قدره شيء عنده تعالى، وكذلك ليشاهد آثار الأنبياء قبله[1]؛ لأن المسجد الأقصى في بلاد الشام، وكانت مهبط الأنبياء والمرسلين، فإذا شاهد آثارهم ازداد طمأنينة، وازدادت معنوياته وهمته ونشاطه في مواصلة نشر دعوته، وتبليغ رسالة ربه؛ لان الله سبحانه وتعالى عالم بأن فعله هذا سيزيد من نشاطه، وسيزيل ما كان أصابه من الأسى والحزن بسبب عدم استجابة المشركين له.

وأخبر أن أرض الشام جعلها أرضاً مباركة لما فيها من كثرة المياه وخصب

---

(١)-**سؤال:** هل تقصر الآيات في قوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ على مشاهدة آثار الأنبياء، أم أن هناك آيات أخرى مثل معجزة قطع المسافة في ليلة واحدة ونحو ذلك؟

الجواب: قطع المسافة الطويلة في ليلة واحدة آية من آيات الله تعالى أراها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فتكون من ضمن آيات الله التي في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾، وقد يكون المراد بالآيات غير ذلك وهو ما ذكره الله تعالى في سورة النجم عند ذكره تعالى لمعراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء: ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى⑫﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى⑱﴾.

الأرض، وكثرة الثمار، وما كان فيها من الخير، وكونها مقصداً لتجارتهم من جميع أقطار الأرض ثم إنها أرض الأنبياء عليهم السلام.

﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه أنزل على موسى التوراة التي فيها هدى بني إسرائيل وطريق نجاتهم.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا۝﴾[1] وأمرهم ألا يتخذوا إلهاً غيره، وأن يفردوه وحده بالعبادة.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا۝﴾[2] وأن بني إسرائيل هم من ذرية من أنجاهم الله سبحانه وتعالى من الغرق، وهم أولاد نوح عليه السلام، وقد كان أبوكم نوح عبداً شكوراً وجدير بكم أن تقتفوا أثره في شكر الله.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا۝﴾[3] أخبر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل في توراتهم أنهم في الأرض مرتين، وأنهم سيتكبرون في الأرض، وسيظهرون عليها بالفساد مرتين.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا[4] خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا۝﴾ فإذا كان إفسادهم الأول فإن الله سبحانه وتعالى سيسلط عليهم قوماً من عباده أهل قتل وقتال، وسيقتحمون بلادهم،

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما موقع: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا۝﴾ الإعرابي؟

الجواب: لا محل للجملة من الإعراب؛ لأنها مفسرة.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿ذُرِّيَّةَ﴾؟

الجواب: «ذرية» منصوب بتقدير أعني، أي: على الاختصاص، وقيل: منصوب على النداء.

(٣)-**سؤال:** يقال: لماذا عدي ﴿قَضَيْنَا﴾ بـ«إلى» وهو بمعنى: أخبرنا وأعلمنا الذي يتعدى بنفسه؟

الجواب: عدي بـ«إلى» مع أنه بمعنى أعلمنا وأخبرنا لأنه ضُمِّن معنى «أوحينا» الذي يتعدى بـ«إلى».

(٤)-**سؤال:** ما معنى «فجاسوا» ؟ وما أصل اشتقاقها؟

الجواب: «جاسوا» الجوس: الاستقصاء في طلب الشيء وبابه قال، تقول: جاس يجوس جوساً.

وسيكثرون فيهم القتل، وأخبرهم أن هذا واقع لا محالة، وهؤلاء الذين سلطهم عليهم هم أهل بابل، وهم جيش بخت نصر(١).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا(٢) لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل أنهم بعد ذلك سيستردون دولتهم وهيبتهم، وسيظهرهم في الأرض.

﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا۝٦﴾ وأنه سيمكنهم في الأرض بالأموال والبنين والقوة، والعدة والعدد.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾(٣) وأخبرهم بأنهم إن أحسنوا وعملوا الأعمال الصالحة كان ذلك عائداً عليهم بالثواب والنعيم الدائم، وأنهم إن أساءوا كان وزرهم على ظهورهم، وهم الذين سيتحملون عاقبة وزرهم.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ وهي إفسادهم المرة الثانية في الأرض.

---

(١)-**سؤال:** على أي دين كان هؤلاء؟وهل كانوا ملتزمين به؟

الجواب: ليس هناك ما يدل على أن أولئك العباد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل كانوا أهل دين سماوي، أم لم يكونوا أهل دين سماوي، إلا أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يدل على أن أولئك كانوا على غير هدى وإلا لما سلط الله تعالى بني إسرائيل عليهم. وقوله: ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ فيه دلالة ضعيفة على أنهم كانوا أهل ديانة سماوية.

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف نسب الله تعالى رد الكرة لهم إلى نفسه وهي من فعلهم مع أنهم كانوا مفسدين؟

الجواب: نسب الله تعالى ذلك إلى نفسه من حيث أنه تعالى هيأ لهم أسباب الكرَّة والنصر والتمكين والعدد والعدة و..إلخ، ولم يكونوا مفسدين حينذاك، وقد يكون ما فعلوه بأمر الله تعالى.

(٣)-**سؤال:** يقال: الظاهر أن تستعمل «على» في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، فما السر في العدول إلى اللام؟

الجواب: الظاهر هو ما ذكرتم وقد عدل عنه للمناسبة لما قبلها: ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾.

﴿لِيَسُوءُوا[١] وُجُوهَكُمْ﴾ وهم أهل بابل سيسلطهم الله سبحانه وتعالىٰ عليكم مرة أخرىٰ، وسيمكنهم منكم فيلحقون بكم الأذىٰ والقتل.

﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وسيعبثون بمقدساتكم ويخربونها ويستبيحون حرمتها.

﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا۝٧﴾ وسيهلكون كل ما يظهرون عليه، وسيدمرون مساكنكم ومزارعكم ومواشيكم، وكل ما ظفروا به منكم أيها اليهود.

أخبر الله سبحانه وتعالىٰ بني إسرائيل بذلك في التوراة علىٰ لسان موسىٰ قبل وقوعه.

﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ بني إسرائيل بأنه بعد إفسادهم في الأرض مرة أخرىٰ، وبعد أن يسلط عليهم عباده في الكرة الثانية بأنه سيرحمهم مرة أخرىٰ، وسيرد عليهم قوتهم ودولتهم.

﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ وأخبرهم بأنهم إن عادوا إلىٰ الفساد في الأرض فسيسلط عليهم من يعذبهم، وعلىٰ هذا إلىٰ يوم القيامة كلما عادوا عاد عليهم، وكان آخر تسليط عليهم هو أن سلط الله سبحانه وتعالىٰ عليهم هتلر في الحرب العالمية الثانية، قتل نحواً من ستة مليون يهودي، وخرب مساكنهم، والآن قد تراجعوا وعادت لهم هيبتهم، وقد بدأوا في الفساد في الأرض، وقريباً سيسلط الله عليهم من ينتقم منهم، ويقتلهم ويذلهم كما وعد سبحانه وهو لا يخلف الميعاد.

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما هي هذه اللام الداخلة علىٰ الأفعال: «يسوءوا، ويدخلوا»؟ ولماذا جيء بجواب الشرط علىٰ هذه الصيغة؟

الجواب: جواب الشرط محذوف والتقدير: فإذا جاء وعد الآخرة بعثناهم، فاللام الداخلة لـ«يسوءوا، ويدخلوا» هي لام التعليل وهي متعلقة بـ«بعثناهم».

﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ وأخبرهم بأنه قد جعل جهنم سجناً للكافرين يعذبهم فيها بعد أن يعذبهم في الدنيا بالخزي والذل والقتل.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ(١) وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾(٢) أخبر الله سبحانه وتعالى أن القرآن يهدي الناس إلى طريق نجاتهم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بثواب الله والنعيم الدائم.

﴿وَأَنَّ(٣) الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وفيه الوعيد لمن كفر بالله سبحانه وتعالى، وأنكر البعث بعد الموت بالعذاب الأليم في نار جهنم خالدين فيها أبداً.

﴿وَيَدْعُ(٤) الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ أخبر الله

---

(١)-**سؤال:** مم أخذ قوله: ﴿أَقْوَمُ﴾؟ وما يكون معناها تبعاً لاشتقاقها؟

الجواب: أخذ من أقام، على غير القياس، وعند سيبويه أنه قياس. والمعنى: أن القرآن يهدي للطريق التي لا ميل فيها ولا اعوجاج ولا لبس ولا خفاء.

(٢)- **سؤال:** ما موضع المصدر المؤول: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾؟

الجواب: موضعه الجر بباء مقدرة، والجار والمجرور متعلقان بـ﴿يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٣)-**سؤال:** علام عطف المصدر: ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾؟

الجواب: هو معطوف على: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ أي: أنه يبشر المؤمنين ببشارتين: أن لهم أجراً كبيراً، وأن الكافرين معذبون، وكان ذلك بشارة للمؤمنين لما فيه من الإنصاف لهم من الكافرين الذين لقوا منهم ما لقوا من القتل والتعذيب والأذى، و...إلخ.

ويجوز أن يقدر فعل أي: ويخبر بأن الذين لا يؤمنون.. فيكون من عطف الجمل.

(٤)-**سؤال:** ما الوجه في حذف الواو من ﴿يَدْعُ﴾ هل هو التقاء الساكنين؟ فلماذا لم يحذف في سائر الكلمات؟

الجواب: حذفت في خط المصحف، وخط المصحف سنة لا يقاس عليها، ولا يطلب لذلك علة.

سبحانه وتعالى عن طبيعة الإنسان المكذب بأنه يستعجل نزول الشر كاستعجاله بنزول الخير، وأنهم يدعون على أنفسهم بالشر، ويستعجلون نزوله؛ لأن الأنبياء كانت تدعوا أممها إلى الله تعالى، وكان كل نبي يحذر قومه أنهم إن أصروا على الكفر والتمرد فسينزل الله بهم عذابه في الدنيا ويستأصلهم، فكانوا يستعجلون نزول العذاب بهم، ويسألون أنبياءهم أن يدعو الله سبحانه وتعالى بأن يعجل بنزول العذاب عليهم تكذيباً منهم واستهزاءً بأنبيائهم.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ ثم يذكر الله سبحانه وتعالى عباده بآياته الدالة على قدرته وعلمه وحكمته؛ فأمرنا بأن نتفكر في آية الليل والنهار.

﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1] جعل الله الليل أسود مظلماً وجعل لنا النهار ضياءً ونوراً لنرى فيه مصالحنا وأسباب معايشنا ومنافعنا، ونبتغي فيه أرزاقنا.

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا[2] عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وكذلك لنعرف بهما الشهور والأسابيع والسنين، ومواعيد أعمالنا ومعاملاتنا، ومواسم عبادتنا.

---

(١)-**سؤال:** هل كانت القمر منيرة ثم طمست ومحيت كما هو ظاهر الآية؟ أم أنها من أصلها، أوضحوا ذلك؟

الجواب: تكون القمر منيرة ثم يمحوها الله شيئاً فشيئاً حتى يعود كالعرجون القديم، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى بعد ذلك: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وهذا التعليل هو من اللف والنشر غير المرتب، فقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ علة لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ وقوله: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ علة لقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ اللَّيْلِ﴾ فكانت الحكمة في محو آية الليل هي معرفة السنين والحساب.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: ﴿لِتَعْلَمُوا﴾؟ وما إعراب: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾؟

الجواب: عطف ﴿وَلِتَعْلَمُوا﴾ على ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا﴾، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول به لفعل محذوف تقديره: فصلنا كل شيء، وإنما قدرنا له فعلاً محذوفاً لاشتغال الفعل الذي بعده بضميره.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴿١٢﴾﴾ وأخبرنا أنه قد فصل لنا كل آياته، ووضحها وبينها لنا.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[١] وأخبرنا أنه قد ألزم كل إنسان عمله يتحمله في عنقه، وأن كل امرئ مرهون بعمله فعمله هو الذي يوبقه أو يطلقه.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴿١٣﴾﴾ وأنه يوم القيامة سيحصي على كل إنسان عمله، وسيعرض عليه صحيفة أعماله يوم القيامة فيرى فيها كل صغير من أعماله وكل كبير ﴿**لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾ [الكهف:٤٩].

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴿١٤﴾﴾[٢] وسيعرض عليه كتابه ليرى عمله الذي عمله في الدنيا، وسيقرأ ما كتب فيه من أعماله ليحكم كل امرئ على نفسه بما يستحقه، وإن أنكر أو كذب بشيء قد كتب عليه فستأتي الشهود لتشهد عليه عند الله سبحانه وتعالى بالحق.

---

(١)-**سؤال:** يقال: لماذا سمي العمل طائراً؟

الجواب: الأصل في ذلك أن العرب كانوا يعتقدون أن الطائر الذي يطير من يسار الرجل إلى ناحية يمينه (السانح) سبباً للخير، والعكس سبباً للشر (البارح) يتفاءلون بالأول ويتشاءمون بالثاني، فمن هنا شبهوا عمل الإنسان بالطائر المذكور، والوجه الجامع هو كون المشبه والمشبه به سبباً للشر أو الخير.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴿١٤﴾﴾؟

الجواب: «كفى» فعل ماضٍ، والباء حرف جر، و«نفسك» مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه فاعل كفى، والظرف والجار والمجرور متعلقان بـ«حسيباً»، وحسيبا: تمييز، ويجوز أن يكون حالاً لأنه مشتق بمعنى محاسب أو حاسب.

سؤال: هل في هاتين الآيتين دليل على أن الكَتْبَ حقيقي وأن فيه غرضاً صحيحاً ولطفاً لبني آدم؟ فما رأيكم؟

الجواب: نعم فيهما دليل على ذلك.

﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فلا يظن أحد أنه سيضر الله تعالىٰ بكفره وتمرده وعصيانه أو يضر دينه أو نبيه، وإنما سيضر نفسه فقط، ولن يتعدىٰ ضره إلىٰ غيره.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ولا تحمل نفس ذنب نفس أخرىٰ، بل كل نفس سوف تتحمل وزرها وحْدَها.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لا يعذب أحداً حتىٰ يبعث إليهم رسولاً يحذرهم وينذرهم؛ ليقطع عليهم الاحتجاج والأعذار؛ فلا يكون لهم عذر عند الله سبحانه وتعالىٰ يوم القيامة.

فإن قيل: فكيف بمن لم تبلغه دعوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

فالجواب عليه: أن الله سبحانه وتعالىٰ سيثيبه علىٰ قدر ما يمليه عقله عليه، وذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ قد خلق العقل وجعل فيه القدرة التي تمكنه من الوصول إلىٰ معرفته سبحانه والعلم بوجوده، فمن استجاب لداعي العقل والفطرة هذه وآمن بالله سبحانه وتعالىٰ فسيدخله الجنة حتىٰ ولو لم تبلغه دعوة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ(١).

وبالنسبة لزماننا هذا فقد اختلف الوضع، وأصبحت وسائل المعرفة موجودة وفي متناول الجميع في شتىٰ بقاع الأرض، وبسهولة وتيسير، وما علىٰ المكلف إلا أن يفتح الإنترنت وسيتوصل إلىٰ ما أراد.

وعلىٰ الجملة فلن يعذب الله سبحانه وتعالىٰ إلا من بلغته الحجة، وعرف الحق ثم أعرض عنه.

---

(١)-**سؤال:** إذا قال واحد من هؤلاء: لم يُمْلِ عليّ عقلي بأن الله قادر عالم و..إلخ فماذا يجاب عليه؟

الجواب: من طبيعة العقل وفطرته الإذعان بتعلق الفعل بفاعله والحدث بمحدثه، ولا يمكنه التخلي عن هذه الفطرة، وهكذا ما يظهر في الفعل والصنع من الحكمة والإتقان يدل علىٰ علم فاعله وإتقانه يذعن العقل للجزم بذلك والقطع به؛ لذلك فلا يقبل قول من يدعي أن عقله لم يوح إليه بقدرة الذي أحدث المحدثات المشاهد حدوثها بعد العدم إلا إذا كان مدعي ذلك ناقص العقل.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا[(١)] فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٦﴾[(٢)] أخبر الله سبحانه وتعالى أنه إذا أراد أن يهلك أهل قرية، وأن ينزل عليهم عذابه لكفرهم وفسادهم؛ فإنه قبل ذلك يرسل إليهم رسولاً يأمرهم وينهاهم، ويحذرهم وينذرهم، ويخبرهم أنهم قد استحقوا نزول العذاب بهم إن لم يؤمنوا ويستجيبوا فإذا لم يؤمنوا عذبهم الله واستأصلهم وقطع دابرهم.

ومترفوها هم كبار القوم وزعماؤهم؛ لأن رسل الله سبحانه وتعالى يذهبون إلى الكبار؛ لأن الكلمة تكون كلمتهم، وأما البقية فيكونون تبعاً لهم.

﴿وَكَمْ[(٣)] أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ١٧﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى المشركين لعلهم يعتبرون فيرجعون إليه، ولعلهم إن عرفوا بمصائر الأمم المكذبة قبلهم اعتبروا.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ

---

(١)-**سؤال:** إذا استدل أهل الجبر بهذه الآية على مذهبهم فكيف نرد عليهم؟

الجواب: ليس فيها دليل على مذهب الجبر، فمعنى الآية: أن الله تعالى إذا أراد أهل قرية لكثرة فسادها فإنه لا يعذبها حتى يرسل إليها رسولاً لتتم به الحجة عليهم كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ١٥﴾ [الإسراء].

(٢)-**سؤال:** يقال: هل في هذه الآية دليل على أن الإرادة بمعنى العلم باشتمال الفعل على المصلحة؟ إذ لا يمكن أن تفسر الإرادة هنا بمعنى فعل المراد لتقدم الإرادة على الإهلاك بنص الآية ومنطوقها؟

الجواب: فيها دليل واضح على أن الإرادة ليست نفس المراد لتقدم الإرادة على نفس المراد بنص الآية هذه؛ لذلك تكون الإرادة هي العلم باشتمال الفعل على مصلحة.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾؟

الجواب: «كم» في محل نصب مفعول به لأهلكنا، وليست «كم» للاستفهام بل هي خبرية.

يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴿١٨﴾﴾[1] من أراد الدنيا وزينتها ولذاتها- فإن الله سيمتعه فيها ويعطيه على حسب ما اقتضته الحكمة والمصلحة، ثم بعد ذلك يدخله نار جهنم خالداً فيها مخلداً.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ[2] فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴿١٩﴾﴾ ومن عمل لآخرته وترك الدنيا وشهواتها ولذاتها؛ فإن الله سبحانه وتعالى سيثيبهم فيها في النعيم الدائم الذي لا ينقطع.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ[3] وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴿٢٠﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه يعطي كلا الصنفين من أراد الدنيا، ومن أراد الآخرة، وليس رزقه في الدنيا وعطاؤه فيها محصوراً على أحد فهو يرزق في الدنيا الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم.

---

(١)-**سؤال:** لا زال يلتبس على كثير منا تفسير إرادة الدنيا، فالقلوب مائلة إلى شهوات الدنيا، فما توضيح ذلك؟

الجواب: الدنيا المذمومة التي يكره الله تعالى من عباده أن يريدوها ويطلبوها ويأكلوها هي نوعان:

١- ما حرمه الله تعالى على عباده من الخمر والزنا والربا وأكل أموال الناس بالباطل والقتل والظلم والكبر و... إلى آخر ما حرمه الله في دين الإسلام.

٢- الدنيا التي تلهي عن ذكر الله وعن تأدية ما أوجب الله، فإن لم تؤد إلى ذلك فليست مذمومة ولا منهياً عنها ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢].

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما موضع: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الإعرابي؟ وما فائدته؟

الجواب: موضعه النصب على الحالية، والفائدة من هذا القيد أن الإيمان شرط في قبول الأعمال الصالحة، فمن عمل الأعمال الصالحة وهو غير مؤمن فلا تنفعه عند الله ولا تقبل منه.

(٣)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾؟

الجواب: «كلاً مفعول به مقدم لـ«نمد» و«هؤلاء» بدل من «كلاً»، و«هؤلاء» الثانية معطوفة على الأولى.

﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴿٢١﴾﴾ ثم أخبر أنه قد فاضل بينهم في الدنيا فجعل هذا غنياً وذاك فقيراً، وهذا شريفاً وهذا وضيعاً؛ لحكمة منه ومصلحة، ولتستقيم أمور المعيشة في الدنيا، وكذلك في الآخرة فأهل الجنة متفاضلون كلاً على حسب عمله إلا أن درجات الآخرة عظيمة لا تقاس بدرجات الدنيا.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴿٢٢﴾﴾ نهى الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد كل عبدٍ من عبيده أن يتخذ إلهاً غيره وأنه إن فعل ذلك سلبه توفيقه وتأييده ونصره.

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(١) أمر الله سبحانه وتعالى وألزم جميع عباده بإخلاص العبادة له وحده، وقرن بذلك الإحسان إلى الوالدين ليبين عظيم منزلتهما وقدرهما.

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا(٢) أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾(٣) إذا

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما موضع: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ الإعرابي؟ وعلام عطف قوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾؟ وما العامل فيه؟

الجواب: «أن» مصدرية، و«لا» نافية، وعليه فموضع المصدر الجر بباء محذوفة، ويصح أن تكون «أن» مفسرة و«لا» ناهية، وعليه فلا موضع للجملة لأنها مفسرة. «وبالوالدين» الجار والمجرور متعلقان بأحسنوا محذوفاً،وهو معطوف على: «لا تعبدوا..».

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾؟

الجواب: «إما»: «إن» الشرطية، و«ما» الزائدة للتوكيد، «يبلغن» مضارع مبني على الفتح في محل جزم، «أحدهما» فاعل يبلغن، «أو كلاهما» معطوف على أحدهما مرفوع بالألف، «عندك» حال من الفاعل أي: حال كونه أو كونهما عندك وفي كفالتك تتولى منهما مثل ما كانا يتوليانه منك في صغرك.

(٣)- **سؤال:** يقال: كيف إذا رأى الوالدان أو أحدهما رأياً ضعيفاً وإذا بين الولد ضعف رأيهما فربما أحزنهما فهل يعتبر ذلك مما نهي عنه؟

الجواب: لا حرج في أن يعرض الولد رأيه المخالف لرأي والديه أو أحدهما، ويبين لهما وجه =

بلغا في الكبر إلىٰ حد الضعف والعجز وأصبحا في حاجة إلىٰ من يقوم عليهما فيتأكد وجوب الإحسان إليهما والقيام بما يلزم لهما وحياطتهما بالشفقة والرحمة وحسن الرعاية، وقد نهىٰ الله تعالىٰ في هذه الآية أن يظهر الولد التضجر منهما والتأفف والتقذر مما يرىٰ منهما من قذر أو وسخ؛ لأن من طعن في السن واستولىٰ عليه الضعف لا يخلو من ظهور شيء منه من الوسخ والقذر، فلا ينبغي أن تتأفف منهما وتستقذرهما، وليس المراد به كلمة أف علىٰ حقيقتها، وإنما هي كناية عن الاستقذار، وقد جعل الله ذلك معصية لما لهما علىٰ الولد من النعمة من تربيتك صغيراً والقيام عليك والحرص علىٰ نظافتك من دون استقذار؛ لما يكون منك من الأقذار، فينبغي أن ترد لهما ذلك عند حاجتهما إليك، ولا تبدي لهما الاستياء والاستقذار، ولا ينبغي أن يريا منك ما يدل علىٰ الاشمئزاز والتضجر.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾﴾ ونهاه أيضاً أن يغلظ لهما في القول، أو أن يصيح في وجهيهما، ولو كان حصل منهما خطأ تجاهه، وأمر أن يلين لهما في الكلام، وأن يحرص علىٰ أن يطيب نفسيهما.

الصواب؛ مراعياً في ذلك الأدب والتعظيم واللطف، وتماماً كما فعل إبراهيم عليه السلام في عرضه النصيحة لأبيه المذكورة في سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ...﴾ الآيات، فإن أصر الوالدان أو أحدهما بعد ذلك علىٰ رأيهما فإن كان في رأيهما معصية لله أو يؤدي إلىٰ معصية لله فلا يطعهما الولد ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]، وإن لم يكن في رأيهما معصية لله ولا يؤدي إلىٰ معصية لله فعلىٰ الولد أن يطيعهما ولا يعصيهما فإن الخير في طاعتهما.

ومن الأمثلة التي تحصل كثيراً: أن يرغب الولد في الزواج وعنده زوجة فيعرض الولد رغبته علىٰ أبويه فيرفضان ويغضبان ويقومان ويقعدان لرأيه، ففي مثل هذه الحال علىٰ الولد أن يوافقهما في رأيهما إلا أن يخشىٰ الوقوع في الفتنة. أو يرغب الولد في الزواج من امرأة وهو غير متزوج ولكن الأبوين يرفضان الزواج من تلك المرأة التي رغب في الزواج منها، وسواء كان رفضهما لسبب واضح أم غير واضح، فعلىٰ الولد أن ينزل عند رأيهما، ولا يتزوج إلا بمن يرضيانها له زوجة، اللهم إلا إذا خشي علىٰ نفسه الوقوع في المحظور.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ[(١)] وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ولتكن في غاية التذلل والخضوع، وقد عبر بخفض الجناح مبالغة في ذلك وفي الحرص على إحاطتها لهما بالعناية والرحمة والشفقة، مثل ما تفعل الدجاجة مع صغارها، وكذلك أن تدعو الله سبحانه وتعالى لهما بالرحمة والمغفرة وأن يجزيهما عنك خير الجزاء، وأن يكافئهما على إحسانهما إليك، وعنايتهما في تربيتك.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه عالم بما في نفس كل إنسان، وأن من عادته الإحسان إلى والديه والبر بهما ونيته صالحة في حقهما إذا صدر منه بعض الزلات والأخطاء تجاههما أو صدر منه بعض الكلام الغليظ والقاسي نحوهما؛ فإن الله سيغفر له ما دام كذلك، وسيتجاوز عنه ما دام قد رجع إليه[(٢)].

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان والتعطف على ذوي القربى، وأمر بأن يحرص كل امرئ على صلتهم والبر بهم، وإعطائهم حقوقهم، وكذلك أمر بحقوق المساكين وأبناء السبيل، والحرص عليها، وعدم التقصير نحوهم وليس هناك حد محدود للإحسان ولكن بالمعروف وعلى حسب الظروف المادية وأقل درجات الإحسان كف الأذى وكلمة طيبة.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما معنى «مِنْ»؟ وبماذا تعلقت؟ وما إعراب: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾؟

الجواب: معنى «من» التعليل أي: من أجل الرحمة وهي متعلق بـ«اخفض»، و«كما» الكاف حرف جر، وما مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالكاف، والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي: ارحمهما رحمة مثل تربيتهما لي صغيراً، ويجوز أن تكون الكاف للتعليل أي: لتربيتهما لي صغيراً، وقد أجاز هذا بعض النحاة كما أشرنا إليه فيما مضى.

(٢)-**سؤال:** يعني : أن ذلك بشرط التوبة من ذلك والرجوع إلى الله؟

الجواب: لا بد من التوبة والرجوع إلى الله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ والأوابون هم التوابون.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا۝٢٦﴾ ونهى الله تعالى أيضاً عن التبذير، وهو: أن تضع أموالك في غير مواضعها كالحرام والرشوة والفساد[١]، وأنه ينبغي أن تضعها في مواضعها كصلة الأرحام والإحسان إلى الوالدين والمساكين، وأبناء السبيل، وغير ذلك من القرب التي تقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا۝٢٧﴾ وإن هؤلاء الذين يضعون أموالهم في غير مواضعها من الحرام ومعصية الله سبحانه وتعالى- خارجون عن زمرة المؤمنين إلى زمرة الشياطين.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا[٢] فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا۝٢٨﴾ يُعَلِّم الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ويرشده كيف يتعامل مع ذوي

---

(١)-**سؤال:** يقال: ما هو المرجح لحمل التبذير على الإنفاق في الحرام دون الإنفاق الزائد عن الحاجة في الحلال؟

الجواب: لم ندخل الإنفاق الزائد على قدر الحاجة لأن الزيادة التي يزيدها المنفق أو الموكل بالإنفاق إنما تزاد لاحتمال الحاجة إليها هذا هو المعتاد، وطبائع العقلاء مطبوعة على الميل والحرص على حفظ المال، فلا يقع من عاقل الإتلاف للمال والإفساد له من غير داع له إلى ذلك سوى التضييع لأن حب المال طبع مطبوع في بني آدم، ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا۝١٩ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا۝٢١**﴾ [المعارج]. وقد يقع تضييع المال لغرض الفخر والمراءاة بالكرم وذلك في الولائم وما أشبهها فيأثم المضيع لماله في ذلك، لا لكونه تبذيراً بل للغرض الذي أنفق المال من أجله.

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿**ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا**﴾؟ وما معناها طبق هذا الإعراب؟

الجواب: ﴿**ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ**﴾ ابتغاء: مفعول من أجله أي: وإن أعرضت عمن ذكر فلم تعطهم من أجل أنك ترجو أن الله تعالى سيعطيك من فضله وتتوقع ذلك من ربك لتعطيهم وتحسن إليهم فقل لهم قولاً ميسوراً، أي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا سألوه ولم يجد ما يعطيهم أعرض عنهم وتوجه رجاؤه إلى الله في أن يتفضل عليه ليعطيهم.

القربى والمساكين وأبناء السبيل، وأنه إن كان لا يجد شيئاً يعطيهم، فينبغي أن يتخلص منهم بالكلمة الطيبة إلى أن يعطيه الله سبحانه وتعالى.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ ثم نهاه أن يكون بخيلاً ممسكاً لا يخرج لهم شيئاً، وكذلك لا يعطي جميع ما في يده حتى لا يبقى معه شيء، وأن يكون على الوسط من ذلك.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه هو الذي يعطي ويمنع ويبسط رزقه لمن يشاء ويضيقه على من يشاء، وأن كل ذلك لمصلحة عباده فهو عالم بما يصلحهم وما يفسدهم، وأنه لو بسط الرزق لبعضهم لبغوا في الأرض ولأفسدوا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا[1] كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ كان المشركون يقتلون أولادهم خشية الفقر فنهى الله سبحانه وتعالى عباده عن ذلك، وأخبرهم أنه سيرزقهم مثلما رزق آباءهم، وأنه لم يخلق أحداً إلا وقد تكفل برزقه، وأن قتل الأولاد معصية عظيمة.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾[2] ثم نهى تعالى عن الزنا لكونه معصية في غاية القبح والفحشاء، وبئست العادة الزنا لما فيه من الفساد واختلاط الأنساب، وما يورثه من المفاسد في المجتمع.

---

(١)-**سؤال:** ما الوجه في قوله: ﴿خِطْئًا﴾ بدل قوله: «خَطَأً» بفتح الخاء والطاء؟

الجواب: قيل: ﴿خِطْئًا﴾ بالكسر والسكون مصدر «خَطِئ» يقال: خَطِئَ خِطْأً، كأَثِمَ إِثْماً، وقيل: خِطْأً وخَطَأً لغتان، كمِثْل ومَثَل، وينبغي أن يقال: إن خَطَأً بفتح الأول والثاني هو اسم مصدر أخطأ الذي معناه ضد الصواب، وبالكسر والسكون بمعنى الإثم فيكونان مختلفين.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾؟

الجواب: «ساء» فعل ماض للذم، وفاعله ضمير مستتر، و«سبيلاً» تمييز يبين به جنس الفاعل، أي: وساء السبيل سبيلاً، والمخصوص بالذم مقدر أي: الزنا.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ونهى عن قتل النفس إلا إذا كانت قد استحقت ذلك نحو القصاص.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن من قتل ظلماً وعدواناً فقد جعل سبحانه لولي هذا المقتول سلطاناً وتسلطاً على القاتل ليقتله ويقتص منه.

﴿فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا۝٣٣﴾ وهذا وعد من الله سبحانه وتعالى بأنه سوف ينصره على قاتل قريبه، ولكن بشرط ألا يعتدي بقتل غير القاتل، وهذا معنى «فلا يسرف في القتل».

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ ونهى عن قرب مال اليتيم إلا بما يكون فيه إصلاح له فهو يريد منكم أن تحفظوا مال اليتيم وتستصلحوه فليس لكم فيه أي حق إلا أجرة تعبكم وقيامكم عليه وهي أجرة المثل، حتى يبلغ(١) اليتيم مبالغ الرجال ثم تسلموه أمانته.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا۝٣٤﴾(٢) وأمر بالوفاء بالعهود والمواثيق، وأخبر أن نقض العهد معصية كبيرة سيعذب عليها.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا۝٣٥﴾(٣) وكذلك أمر بإيفاء الكيل والوزن، وتوعد على البخس والنقص فيه،

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل العبرة بسن البلوغ أم بالتمييز والحذق والفطانة؟

الجواب: الأولى أن يكون المعتبر مجموع الأمرين البلوغ والفطانة؛ لأنه لا يتم حفظ المال حق حفظه إلا لمن جمع بين الأمرين.

(٢)-**سؤال:** إذا قيل: كان من حقه أن يقول: «مسؤولاً عنه» فما العلة في حذف الجار والمجرور؟

الجواب: حذف الجار والمجرور لأنه تجوز هنا بالعهد عن صاحبه لذلك كان العهد هنا هو المسؤول لا صاحبه فلم يبق للجار والمجرور حينئذ حاجة.

(٣)-**سؤال:** ما معنى: ﴿بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾؟ وهل هي كلمة عربية أم لا؟

الجواب: القسطاس: هو الميزان، وأصل الكلمة غير عربية إلا أنها دخلت في لغة العرب وجرت على ألسنتهم فصارت عربية.

وأخبر أن عاقبة من أوفى كيله ووزنه عاقبة حسنة في الدنيا وبركة في الرزق، وأجر وثواب عند الله.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ثم نهى عن اتباع الأوهام والظنون، وأمرنا ألا نعمل إلا بما قد حصلَ اليقينُ فيه.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ واعلم أن الله سبحانه وتعالى سيسألك عن كل ما سمعت ورأيت وأخطرت في قلبك من العقائد.

وهذه التي سيسأل اللهُ سبحانه وتعالى عنها هي الطرق التي يحصل منها العلم، فما عرف من خلالها أنه الحق واليقين اتبعه المرء سواء كان من سمعٍ أو بصرٍ أو اعتقادٍ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ثم نهى عن المشي في الأرض مشي المتكبرين والمختالين، أو السير بسيرتهم مترفعا على الناس في معاملاته.

﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾[1] فمهما اشتدت وطأتك أيها الإنسان فلن تخرق الأرض، ومهما شمخت بأنفك فلن تبلغ بطولك الجبال، فالأحسن لك أن تعرف قدر نفسك، وأن تمشي مشي المتواضعين، وكذلك فإن من كان كذلك فسيمقته الناس وسيبغضونه وسينفرون عنه، وسيحاولون إدخال الضرر والمكروه عليه.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ[2] عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن تلك الأشياء التي نهانا عنها من الفواحش والقبائح والكبائر التي يستحق فاعلها النار.

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿مَرَحًا﴾ و﴿طُولًا﴾؟

الجواب: «مرحاً» مفعول مطلق مبين لنوع المشي، و«طولاً» تمييز نسبة.

(٢)-**سؤال:** قد يفهم من قوله: ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ أن في تلك المعاصي ما هو حسن، وأن المنهي عنه ليس إلا سيئه، فكيف يدفع هذا المفهوم؟ وأما قراءة قالون فلا إشكال فيها.

الجواب: كل ما تقدم بعضه أوامر وبعضه نواهٍ، والسيء إنما هو النواهي دون ما ذكر من الأوامر، فالمفهوم حينئذ يراد به أن بعض ما تقدم حسن، والله أعلم.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن هذه الوصايا والتعاليم هي مما أوحى إليه بعلمه وحكمته، وأنها مبنية على ما تقتضيه المصلحة لعباده.

﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا۝٣٩﴾ ثم أضاف الله سبحانه وتعالى إلى نبيه وصايا غير ما ذكر؛ فنهاه أن يعبد إلهاً غيره، وأخبره أن من فعل ذلك فقد أشرك بالله وجزاؤه جهنم خالداً فيها مخلداً.

ومعنى «مدحوراً»: مطروداً من رحمة الله.

﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا۝٤٠﴾ خاطب الله سبحانه وتعالى المشركين هنا مستنكراً عليهم في قولهم: إن الملائكة بنات الله، وإنهم قد اختصوا بالذكور، وذلك أنهم كان من ولد له بنت منهم، فإنه يدفنها حية، أو يتخلص منها بأي طريقة، وأخبر أن هذا القول فرية عظيمة وبهتان عظيم قد افتروه عليه تعالى، ومعنى «أفأصفاكم»: أخصَّكم وميَّزكم.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا۝٤١﴾ وأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه قد بين لهم في القرآن بيناته وحججه وصرفها لهم ونوَّعها بأساليب مختلفة لعل شيئاً منها يدخل في قلوبهم فيرجعوا إليه، غير أن ذلك لم ينفع فيهم، ولم يزدادوا إلا بعداً عن الحق وعتواً وكفراً.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا۝٤٢﴾ يجادل الله سبحانه وتعالى المشركين ويحاججهم بأنه لو كان هناك آلهة غيره لتوجهوا

---

(١) **سؤال:** ما الفرق بين هذه الآيات وسائر آيات القرآن الحكيم حتى وصفت بأنها من الحكمة؟

الجواب: الفرق أنه في هذه الآيات سرد أكثر من عشرين حكماً من الأحكام التكليفية العظيمة بدأها بالتوحيد وختمها بالتوحيد جمعاً وسرداً يقل نضيره في القرآن الحكيم، وكلها أحكام يحكم العقل بحكمتها ويشهد بصحتها وصدقها وأنها مبنية على الحق والعدل ومصالح العباد، والقرآن كله حكيم وآياته كلها مبنية على الحكمة.

إلى مغالبته في ملكه وممانعته ومحاربته، وذلك كما يكون من الملوك والرؤساء في الدنيا، ولتنازعوا معه في الاستيلاء على العرش والسلطة.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ولكنه تقدس وتعالى وتنزه عن مقالتهم هذه أن يكون له شريك ينازعه في ملكه لا إله إلا هو وسع كل شيء رحمة وعلماً.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ(١) وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ويشهدون له بالتعالي عن الشريك، فكل مخلوقات السماوات والأرض تنزهه عن المشارك، وتشهد له بالوحدانية، وليس هناك لسان على الحقيقة تتكلم به، وإنما أراد بذلك أنها آيةٌ ناطقةٌ دالةٌ على تفرده بالإلهية، وأن من نظر وتفكر فيها علم علماً يقيناً ألا شريك له ولا مثيل، وأن من نظر إلى الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب والسحاب والمطر- علم أنها مسخرة في مصلحة واحدة، تصب في خدمة الإنسان، وأن كل واحدة منها آية مكملة للأخرى، لا تتم الحياة ولا تستمر إلا بها، مما يدل على أن مدبرها واحد، وأنه لو كان هناك إله غيره لما تمت الحياة، ولما استمرت، ولتفرد كل إله بخلقه، ولأخذ ما خلقه واستبد به.

هذا ويجب النظر على كل مكلف ليسبح الله تعالى وينزهه عن اتخاذ الشريك؛ لأنه لن يعرف وحدانية الله تعالى، ولن تزول الشكوك عن قلبه إلا إذا نظر وتفكر وتأمل في خلق السموات والأرض، ففي كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى آية

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾؟

الجواب: الباء للملابسة والمصاحبة أي: يسبح الله حال كونه متلبساً بحمده، أي أنهم جمعوا بين التسبيح والحمد، ودليل هذا أن رسول الله ﷺ علمهم التسبيح في الركوع والسجود: «سبحان الله العظيم وبحمده» و«سبحان الله الأعلى وبحمده».

ناطقة، ودلالة واضحة على وحدانيته تعالى وتفرده بالإلهية.

ثم خاطب الله سبحانه وتعالى مشركي قريش بأنهم لا يفقهون تسبيح السماوات والأرض وكل ما خلقه الله فيهما؛ لأنهم لم ينظروا ولم يتفكروا فيما خلقه، وأخبرهم أنه حليم لم يعجل بتعذيبهم، وأنه أمهلهم في الدنيا، وأسبغ عليهم نعمه بالرغم من كل ذلك مع استحقاقهم للعذاب.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا۝٤٥﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيمنع المشركين من النيل منه عندما يقرأ عليهم القرآن، وذلك لأنه كان قد علم أنهم سيؤذونه إن قرأه عليهم لتكبرهم وقسوتهم وجبروتهم، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمره أن يقرأ عليهم القرآن فخاف أن يؤذوه لما هم عليه من الكبر والقسوة والتجبر فطمأنه الله سبحانه وتعالى بأنه سيجعل بينه وبينهم حجاباً[1] من قدرته يحميه منهم ويمنعهم منه.

(١)-**سؤال:** هل يستفاد من هنا أن قراءة القرآن سبب في حجب الظالمين عن القارئ ومنعهم منه بقدرة الله تعالى أم لا؟

الجواب: لا شك أن قراءة القرآن كما ينبغي وسيلة مقربة إلى الله سبحانه وتعالى بها تنال الرغائب، وتأدية ما أمر الله به وترك ما نهى عنه كل ذلك وسيلة إلى الله تعالى والازدياد من نوافل الصدقات والصيام والصلاة والحج والاعتمار والإحسان و... إلخ كل ذلك وسائل، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن حفظ الله لأوليائه المتوسلين إليه بطاعته من الظالمين مبني على الحكمة والمصلحة، فإذا كان في تخلية الظالم من المؤمن مصلحة للمؤمن وخير كثير وثواب عظيم خلّى بينه وبين الظالم ولم يحفظه، كما هو الحال في يوم أحد فقد أدمي وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسرت رباعيته وقتل عمه الحمزة رضي الله عنه وغيره من الصحابة الأخيار، وقد تكون الحكمة والمصلحة والخير الكثير في حفظ المؤمن من الظالم فيحفظه الله ويحول بينه وبين الظالم بقدرته، وأمثلة ذلك كثيرة، والحمد لله رب العالمين.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ[(١)] وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ وأخبر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه إذا قرأ عليهم القرآن فلن يفهموه، ولن يعوا منه شيئاً، وأن قلوبهم كأنها قد أغلقت، وقد طبع عليها فلا ينفذ إليها شيء، وآذانهم كأنه قد أصابها الصمم فلا يسمعون شيئاً.

عبر الله سبحانه وتعالى بهذا التعبير كناية عن عدم قبولهم للحق وعظيم تكبرهم، وإنما نسب الباري تعالى جعل الأكنة والوقر إلى نفسه لأنه تعالى حرمهم من الألطاف والتنوير ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ۝٤٠﴾ [النور]، وكان حرمانهم سبباً لضلالهم فنسب إلى الله تعالى لأنه فاعل السبب.

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ۝٤٦﴾ وأخبره بأنه إذا ذكر الله سبحانه وتعالى وحده ولم يذكر آلهتهم فإنهم سيعرضون عنه أشد الإعراض، وسيصيبهم الاشمئزاز والغضب مما يقول.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ[(٢)]

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾؟

الجواب: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ في محل جر والجار له محذوف.

(٢)-**سؤال:** من فضلكم ما إعراب هذه الآية: ﴿بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ﴾؟

الجواب: «بما يستمعون به» الباء حرف جر، و«ما» اسم موصول، وجملة «يستمعون به» صلة الموصول، والباء في «به» سببية أي: بما يستمعون بسببه أي بالهزء، وقد تكون «به» في موضع الحال أي: مستهزئين، وقيل: الباء بمعنى اللام أي: بما يستمعون له أي للهزء.

﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝٤٧﴾: «إذ» الأولى: ظرف لما مضى من الزمان متعلق بـ«أعلم»، و«إذ» عطف على إذ الأولى، و«إذ» الثالثة بدل من «إذ» الأولى، أي: أن الله تعالى عالم بالمستهزئين الذين جاءوا للاستماع لا لقصد الاستماع وإنما للاستهزاء وهم جماعة يتناجون في ذلك الوقت بالهزء والسخرية مما تقرأه، ويقولون في ذلك الحين: إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً.

﴿الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴿٤٧﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن المشركين يستمعون إلى النبي ﷺ ولكنهم لا ينتفعون بما يسمعون، وأخبر أنه عالم بأنهم إنما يستمعون إليه ليجدوا فيما يسمعون طريقاً يطعنون من خلالها عليه، فربما وجدوا مدخلاً في القرآن يدخلون عليه من خلاله، وأخبر أنهم يتشاورون ويتناجون فيما بينهم بأن محمداً ليس إلا رجلاً قد أصابه الجنون وليس إلا ساحراً.

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴿٤٨﴾﴾ وذكر تعالى أن المشركين ضربوا له الأمثال، وشبهوه بتشبيهات عدة؛ فمرة يقولون ساحر، ومرة شاعر، ومرة مجنون، ومرة يقولون إنما يعلمه بشر، ومرة أساطير الأولين، وأخبر أنهم قد ضلوا في أوصافهم، ولم يصيبوا وصفه الحقيقي، وأنهم كلما ضربوا له مثلاً وتشبيهاً كذَّبهم الواقع، وأثبت أنه على خلاف ما وصفوه به، فتحيروا ولم يجدوا سبيلاً يدخلون عليه منه.

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا[1] لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴿٤٩﴾﴾ يستنكر المشركون على النبي ﷺ بأنهم كيف يبعثون ويخلقون مرة أخرى وقد صاروا تراباً، واستبعدوا قدرة الله سبحانه وتعالى على ذلك.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ وعند استنكارهم واستبعادهم أخبرهم الله سبحانه وتعالى أنهم لن يعجزوه، وأنهم كيفما صاروا وعلى أي صفة صاروا، ولو صاروا حجارة أو حديداً، أو أي خلق يستعظمونه، ومهما كبر في أعينهم- فسيعيد خلقهم مرة أخرى.

﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنهم سيسألونه من الذي سيعيد خلقهم ويبعثهم؟ فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يخبرهم بأن الذي قدر على خلقهم من العدم قادر على إعادة خلقهم وهم تراب.

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة إعادة الاستفهام مرة أخرى؟

الجواب: الفائدة هي الإشارة إلى أنهم توغلوا في الجحود والاستنكار للبعث.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴿٥١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنهم سيميلون إليه رؤوسهم مستنكرين متى سيكون مبعثهم، وقد أمره بأن يجيب عليهم بأن موعد بعثهم قريب، وأن ذلك: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ(١) وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴿٥٢﴾﴾(٢) يخبر الله سبحانه وتعالى المشركين بأنه سيدعوهم حين موعد بعثهم وسيستجيبون له معترفين بالبعث والحساب والجزاء، وأخبر أنهم سوف يظنون يوم مبعثهم أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا فترة قصيرة؛ كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار.

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴿٥٣﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يأمر المؤمنين بألا يغلظوا في كلامهم على الغير، وأخبرهم أن الكلمة القاسية تورث العداوة والبغضاء والمشاحنة، وأن الشيطان يتحين الفرص لإثارة العداوة بين الناس وزرعها بينهم، وأن لا يخاطبوا غيرهم إلا بالكلمة الطيبة وبأحسن الكلام حتى ولو كان عدواً، وأن الكلمة الطيبة ستجمد العداوة وتوقف العدو عند حده؛ فلا يجد مع ذلك مدخلاً يدخل من خلاله عليك، وأنها ستجعله ينجذب إليك ويطمئن، ويسمع منك حتى ولو كان مشركاً فسيكون ذلك أدعى إلى إسلامه، بخلاف الكلمة القاسية.

---

(١)-**سؤال:** ما معنى الباء في ﴿بِحَمْدِهِ﴾؟ وكيف استجابتهم بحمده؟

الجواب: الباء بمعنى الملابسة والمصاحبة أي أنهم يلبون الداعي حال كونهم حامدين لله أي: حال كونهم ذليلين منقادين غير متأبين ولا متمنعين كما كانوا في الدنيا، أي: أن حالهم في تلبيتهم للنداء مشابهة لحالة الحامد لله المنقاد له إذا دعاه الله، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما سبب ظنهم هذا الظن؟

الجواب: قَلَّتْ في نفوسهم الحياة الدنيا وتحقرت لهول ما يرون في القيامة، وهذا مع أن الإنسان إذا نظر إلى ما مضى من عمره لا يرى السنين الطويلة الماضية إلا كيوم واحد متلاحق الأحداث، أو كرؤيا رآها في منامه، فهو يتذكر أحداثها ويتصور خيالها، فيذكر بعضها وينسى بعضها.

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ وأخبر أنه عالم بخلقه وبما يصلحهم، وبما يجمع بينهم ويؤلف بين قلوبهم.

﴿إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ لله الملك والقدرة والقوة والسلطان في السماوات والأرض وكأن هذه الآية تخاطب المشركين وتقول لهم: إن العذاب قد حق عليكم أيها المشركون فإذا أنزل الله بكم عذابه فلاستحقاقكم للعذاب بكفركم، وإن أمهلكم ولم ينزله بكم(١) فبرحمته أمهلكم ومتعكم في الدنيا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴿٥٤﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لم يرسله إلى الناس ليحاسبهم ويجازيهم، فليس عليه إلا البلاغ فقط وتلاوة آيات الله سبحانه وتعالى عليهم وحججه وبيناته.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأخبر بأنه وحده المختص بعلم أهل السماوات والأرض وما هم عليه، وأن إليه حسابهم وجزاءهم فهو وحده العالم بأعمالهم صغيرها وكبيرها، وخفيها وظاهرها لا يخفى عليه شيء منها.

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾(٢) يؤكد الله تعالى لنا أن الأنبياء عليهم السلام

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل تأخير العذاب عليهم هو رحمته بهم؟ وهل يصح أن يكون ذلك كناية عن عظيم سلطانه ونفوذ قدرته على كل شيء؟

الجواب: نعم قد أردنا في التفسير أن تأخير العذاب رحمة. ويصح التفسير بأنه كناية عن نفوذ قدرته وعظيم سلطانه فيكون في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴿١٨﴾﴾ [الحج]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴿١﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد:٤١].

(٢)-**سؤال:** هل لهذا المقطع علاقة بما قبله؟

الجواب: هذا المقطع ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ...﴾ مرتبط بما قبله، فإن أول الآية: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تحدثت عن علمه بمن في السماوات والأرض من الملائكة والجن والإنس على أبلغ ما يكون من العلم، ثم ذكر بعدها: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ...﴾ ليدل على أن اصطفاءه للأنبياء وتفضيل بعضهم على بعض صادر عن علم محيط بظواهر المعلومات وبواطنها وماضيها ومستقبلها وسرها وجهرها و..إلخ، وهذا =

ذوو مراتب ودرجات عنده، فبعضهم أرفع من بعض.

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴿٥٥﴾﴾ وأن من الأنبياء الذين قد فضلهم الله سبحانه وتعالى داوود عليه السلام أعطاه الله كتاباً اسمه الزبور.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴿٥٦﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقول للمشركين ويأمرهم أن يدعوا آلهتهم التي يعبدونها فينظرون هل يستطيعون كشف الضر عنهم وإجابة دعائهم، أو أن تحول حالكم من حال إلى حال؟ ثم أخبرهم بأنها لن تستطيع أن تفعل لهم شيئاً لا نفعاً ولا ضراً.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ[1] وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴿٥٧﴾﴾ كان مشركو قريش يعبدون الملائكة فكانوا ينحتون أصناماً ويسمونها باسم ملك ويعبدونها، فخاطبهم الله سبحانه وتعالى بأن أولئك الذين يعبدونهم من الملائكة هم في أنفسهم يعبدون الله تعالى ويتوسلون إليه، ويتنافسون في عبادته وطاعته من يكون منهم الأقرب إليه،

مدلول: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ﴾ ومدلول قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فاعتراض المشركين على اختيار الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للنبوة والرسالة واعتراضهم على تفضيل بعضهم على بعض كل ذلك اعتراض مردود لجهل المشركين وقصور علمهم.

(١)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وجملتها؟

الجواب: قد جوزوا في «أيهم» أن تكون موصولة وأن تكون استفهامية، وقد بنينا في التفسير على أنها استفهامية، والفعل المعلق مقدر دل عليه قوة السياق أي: ينظرون أيهم أقرب.

وعلى تقدير أنها موصولة فتكون «أيهم» بدلاً من الواو في «يبتغون» أي: يبتغي الذي هو أقرب الوسيلة إلى الله، أي: أن الملائكة الذين هم أقرب الملائكة إلى الله يبتغون الوسيلة إلى الله، والوسيلة إلى الله هي عبادته وذكره والتذلل له تعالى والخشوع وطاعته المتواصلة على مرور الزمان المدلول عليها بالفعل المضارع «يبتغون» الدال على ذلك.

واستنكر عليهم لماذا يعبدونهم والحال هكذا، وأخبرهم أن الأولى لهم والأحسن لهم أن يحذروا عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه وأن يخافوه.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾(١) ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم تكن قرية في الدنيا إلا وسيهلكها في الدنيا بعذابه بسبب عصيان أهلها وتمردهم، وأنه سيستأصلهم جميعاً أو يعذبهم عذاباً شديداً يؤلمهم كالجوع والجدب والخوف، وأخبر أن هذا الذي ذكر واقع لا محالة، وأن مكة من جملة هذه القرى.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ(٢) بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن حكمته اقتضت ألا ينزل لقريش آية من آياته العظيمة كناقة صالح؛ لأنه إن أعطاهم آية من آياته تلك، ولم يؤمنوا فسيعذبهم ويستأصلهم، وأنه لم يترك إنزال ما طلبوا من الآيات إلا رحمة بهم حتى لا يستأصلهم؛ لأنه عالم بأنه سيأتي من أصلابهم من يعبد الله سبحانه وتعالى ويوحده، وأن هذه هي الحكمة من عدم

(١)-**سؤال:** يقال: كيف توجه الآية ونحن نشاهد مئات القرى لم يحصل لها الهلاك أو التعذيب قبل يوم القيامة؟

الجواب: القرى المراد بها المدن، وقد شاهدنا الكثير من المدن في عذاب، وفي حال كتابة هذا (٦/ ١١/ ١٤٣٨هـ) أكثر مدن اليمن تحت ويلات العذاب بسبب الحرب التي اشتعلت في اليمن قبل هذا التاريخ بسنتين ونصف تقريباً، ومدن سوريا والعراق وليبيا طحنتها الحروب، وفي الحرب العالمية الثانية حصل من الخراب والهلاك والقتل في مدن أوربا وشمال أفريقيا والشرق الأوسط وشرق آسيا ما لا يخطر على بال، وإذا رجعنا إلى الوراء ونظرنا ما سطرته التواريخ رأينا تصديق وعد الله إما موتاً عاماً بوباء، وإما عدماً وجوعاً، وإما حروباً، وإما زلازل وفيضانات، وإما... وإما... إلخ.

(٢)-**سؤال:** ما محل المصدرين: ﴿أَنْ نُرْسِلَ﴾، و﴿أَنْ كَذَّبَ﴾؟

الجواب: محل الأول الجر بـ«من» مقدرة، ومحل الثاني الرفع على أنه فاعل «منعنا».

استئصالهم، فلم يستأصل قوم نوح إلا بعد أن علم أنهم لا يلدوا إلا فاجراً كفاراً، وأنه لن يخرج من أصلابهم رجل يعبد الله سبحانه وتعالى، بخلاف مشركي قريش فقد علم الله أنه سيخرج من أصلابهم من يعبد الله، فعلى سبيل المثال عتبة بن أبي وقاص الذي شج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم أحد وكسر رباعيته وأسقطه بداخل الحفرة وجرحه فقد خرج من صلبه أولاد كانوا من أعمدة الدين ومن أنصار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة كهاشم الملقب بالمرقال وابنه عبدالله.

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ فلو أنه أعطى قريشاً آية مثل آية ثمود هذه عندما أخرج الله سبحانه وتعالى لهم ناقة عظيمة من الجبل، وكانت تشرب عدل ما يشرب جميع قوم صالح ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ۝١٥٥﴾ [الشعراء]، لعذبهم لكفرهم بها كما عذب ثمود واستأصلهم عندما كفروا بها.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝٥٩﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه إنما يرسل آياته ليخوف عباده ليرجعوا إليه.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ يذكر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه قد أحاط بالناس بعلمه وقدرته، وأنه مطلع على جميع أعمالهم لا يخفى عليه منها شيء؛ وسيجازيهم عليها ويحاسبهم على كبيرها وصغيرها.

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ(١) الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد رأى في المنام بني أمية، وهم يتتابعون على منبره واحداً بعد واحد، ورؤيا الأنبياء حقيقة،

(١)-**سؤال:** فضلاً علام عطف: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾؟ وكيف يكون التركيب المفروض؟

الجواب: «والشجرة....» معطوفة على الرؤيا والتقدير: وما جعلنا الرؤيا والشجرة... إلا فتنة للناس، ولكنه عدل عن هذا التركيب لأن الضمائر في قوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ۝٦٠﴾ تعود إلى الشجرة الملعونة دون من رآهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الرؤيا.

فأخبره الله سبحانه وتعالى أن هذا الذي رآه في المنام إنما جعله فتنة للناس واختباراً لهم هل سيصبرون على إيمانهم؟ وهل سيتمسكون به أم سيميلون مع هؤلاء الظلمة الذين سيتولون عليهم؟

والشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية وبنو مخزوم من قريش، وهم الذين قاموا في وجه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفي وجه دعوته من حين مبعثه إلى أن فتح مكة.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه يخوفهم بآياته ولكن ذلك لم يزدهم إلا طغياناً وعناداً وتمرداً.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴿٦١﴾﴾[1] ثم قص الله سبحانه وتعالى علينا قصة آدم من بداية خلقه، وما كان من إبليس عندما أمره بالسجود له واستكباره عن ذلك واستنكاره كيف يسجد لبشر أدنى منه في الخلقة إذ ليس مخلوقاً إلا من الطين؟

﴿قَالَ[2] أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴿٦٢﴾﴾ ثم إن إبليس خاطب الله سبحانه وتعالى سائلاً له أن يؤخر موته إلى يوم القيامة لإضلال ذرية آدم، وأقسم على أن يغويهم جميعاً إلا من عصم الله، وهم المخلصون من أهل الإيمان ومعنى «لأحتنكن»: لأستأصلن ذريته بالغواية.

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿طِينًا﴿٦١﴾﴾؟

الجواب: «طيناً» حال وجاز وقوعه حالاً وإن كان جامداً لأن معناه: وضيعاً أو دَنِيّاً، فقد كان إبليس يعتقد أنه أرفع من آدم وأشرف بدليل قوله تعالى حكاية عنه: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

(٢)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾؟ وما معناها؟

الجواب: «أرأيتك» الهمزة للاستفهام، ورأى: فعل ماض، والتاء: تاء المخاطب وهي الفاعل، والكاف حرف خطاب لا محل له من الإعراب جيء به للتوكيد. «هذا» مفعول به، «الذي» صفة لهذا، و«كرمت علي» صلة الموصول. هذا إعراب الجملة، ومعناها: أخبرني عن هذا الذي كرمته علي لم كرمته علي؟

﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا۝٦٣﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أجاب إبليس إلى ما سأل من الإمهال وطرده، وتوعده هو ومن تبعه بأنه سيعذبهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً، وكفى بهذا الجزاء لهم.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ[1] وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا۝٦٤﴾ ثم أخبره الله سبحانه وتعالى بأنه قد مكنه منهم جعل له سلطاناً؛ فليبلغ جهده وطاقته في إضلالهم، وهذا تصوير منه سبحانه وتعالى لإبلاغ الجهد، وإلا فلا خيل معه، ولا رجال، ولا جيوش، وأخبره بأنه قد مكنه أن يدخل عليهم من جميع المداخل التي يستطيع الدخول منها، وأن يعدهم ويمنيهم بما شاء من الأماني، وأخبر أن أماني إبليس ووعوده ليست إلا كذباً وباطلاً وتغريراً لأتباعه، ومعنى «استفزز» استخف من استطعت فمن خف لك فخذه معك إلى جهنم.

يبين الله سبحانه وتعالى هنا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن الشيطان هو الذي أضل قريشاً، وأنهم مقتدون به وهم جنوده ومن أعوانه، وقد أصبحوا تحت سلطانه بتكبرهم على الله سبحانه وتعالى، وعدم استجابتهم لدعوة نبيه.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[2] ثم أخبره الله سبحانه وتعالى أنه مهما فعل، ومهما حاول فلن يستطيع التسلط على عباده المؤمنين، أو يقدر على إغوائهم.

---

(١)-**سؤال:** ما رأيكم في تفسير: ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أنه الغناء؟

الجواب: لا مانع من تفسير ذلك بالغناء، وبغيره من الكلام الجاري على ألسنة أوليائه من الإنس الذي يستغوون به بني آدم.

(٢)-**سؤال:** في سورة الحجر: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ۝٤٢﴾، وفي هذه الآية لم يستثن فكيف يجمع بينهما؟

الجواب: نقول: هذه الآية مخصوصة بما خصت به آية الحجر، وترك الاستثناء هنا للاكتفاء بذكره هناك.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه يكفي أن يكون هو تعالىٰ المحاسب والمجازي لهم.

﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالىٰ عباده جميعاً وأخبرهم بأنه الذي يسوق لهم السفن في البحر، وأنه الذي هيأه لحملها علىٰ ظهره، وسخر لها الرياح لتسوقها، وأنه قد سخرها لكم لتسافروا علىٰ ظهرها لمصالحكم ومنافعكم وأسباب معايشكم، وأخبرهم أن هذه نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، وأنها من رحمته بهم؛ فالمفروض أن يقابلوا ذلك بالشكر.

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ المشركين بأنهم إذا أحسوا بالخطر في البحر، وأحاطت بهم الأمواج وهاجت عليهم الرياح- فإنهم ينسون آلهتهم التي يعبدونها، ولا يبقىٰ في أذهانهم إلا الله سبحانه وتعالىٰ يلجؤون إليه، ويتضرعون بالدعاء له.

﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ ثم لما أن استجاب لهم ونجاهم من الغرق أعرضوا وتمردوا وعادوا إلىٰ عبادة الأصنام، وأخبر أن طبيعة الإنسان نسيان الجميل وإنكاره لإحسان المنعم عليه، والجحود لنعمه، ومقابلتها بالكفر.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ[1] أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أتظنون أنكم آمنون إذا أصبحتم في البر بعد أن أنقذكم الله من الغرق في البحر؟

---

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ: جانب البَرّ؟ وما هو إعرابه؟

الجواب: جانبه هو طرفه المجاور للبحر، و«جانب البر» مفعول به ليخسف، وكان المشركون إذا ركبوا البحر خافوا من الغرق، فإذا خرجوا من البحر إلىٰ البر أمنوا، فاستنكر الله تعالىٰ عليهم حين أمنوا في البر وقدرة الله تعالىٰ وإرادته نافذة في البحر والبر وفي الهواء.

فاعلموا أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يأخذكم ويخسف بكم الأرض ويهلككم، أو أن يرميكم بحجارة من السماء.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ وعندها لن تجدوا بعد ذلك ناصراً يدفع عنكم سخط الله سبحانه وتعالى وعذابه.

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ أو هل أمنتم أن يحوجكم الله سبحانه وتعالى إلى أن تركبوا البحر مرة أخرى فيحل عليكم قاصف من الريح فيغرقكم جميعاً؟ والقاصف: هو العاصف الشديد.

يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم نقض عهدهم الذي عاهدوه وهم في البحر، ورجوعهم إلى كفرهم وتمردهم، ثم أعلمهم بأنه إذا نزل بهم عذاب الله وسخطه فلن يستطيع أحد أن ينتقم لهم، أو يأخذ بثأرهم منه.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ يذكِّرُ الله سبحانه وتعالى عباده هنا بأن من نعمته عليهم أنه قد أكرمهم وفضلهم على كثير من خلقه، وجعل لهم مكانةً وشرفاً وقدراً وعزة على غيرهم، وفضل ابن آدم على غيره بالصورة الحسنة والجمال في الخلقة، وكذلك بالسير منتصب القامة بخلاف غيره من الكائنات، وجعله بادي البشرة بخلاف غيره، وفضله بالعقل الذي يميز به بين الأشياء، وباللسان الذي يستطيع أن يعبر به عما في داخله، ومكنه من استطاعته لأخذ ما أراد، وتجميع ما أراد وعلى وفق ما أراد بمساعدة عقله، وبما جعل له من الهيبة والسلطان على جميع المخلوقات في الأرض، وبأن كل ما في الأرض مسخر له ومهيأ لمصالحه وخدمته، وكذلك سخر لهم ما يحملهم على ظهره ويسير بهم في البر والبحر، وبما أخرج لهم في الأرض من طيبات الرزق، وكذلك فضلهم بالتكاليف التي توصلهم إلى السعادة الأبدية والنعيم الدائم.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه يوم القيامة سيدعو كل أمة وكل طائفة من الناس بإمامهم وقائدهم الذي كانوا يتبعونه في الدنيا، ثم ينادى بهم يا أتباع فلان أقبلوا؛ ويحتمل أن يكون المعنى يوم ندعوا كل شخص بكتابه الذي كتبت أعماله فيه.

﴿فَمَنْ أُوتِيَ[1] كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١﴾ وهم الذين قد عملوا الأعمال الصالحة فسيوفيهم الله سبحانه وتعالى أجورهم يوم القيامة لا ينقص من أعمالهم مثقال ذرة، والمراد بإعطاء الكتاب باليمين: أنه علامة على أنه من أهل الهدى والصلاح، وبالعكس من أوتيه بشماله.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأن من كان في الدنيا أعمى عن الحق والهدى ومعرضاً عنه فلا حظ له في الآخرة من الثواب، ولا نصيب له في رحمة الله سبحانه وتعالى، وكان المشركون يقولون: إنهم إذا رجعوا إلى الله سبحانه وتعالى فإن لهم عنده الحسنى، وكانوا يعتقدون أن من فضله الله سبحانه وتعالى في الدنيا فإنه سيفضله في الآخرة، وكانوا يقولون: إنهم أولى بالجنة من أتباع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه لا يتبع محمداً إلا أراذل القوم، وأنهم أهل الجاه والعز والسلطان والشرف، وأنهم هم الذين يطعمون الطعام ويحمون الجار ويغيثون الملهوف وهم...وهم..وهم، فهم أحق بالجنة من أولئك الذين لا حظ لهم ولا نصيب في شيء من الدنيا، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بذلك.

---

(١)-**سؤال:** هل أخذ الكتاب باليمين يوم القيامة أو بالشمال حقيقة خصوصاً مع قوله: ﴿يَقْرَءُونَ﴾ و﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء:١٤] أم مجاز؟

الجواب: الظاهر الحقيقة ليطلع المكلف على أعماله التي يستحق بها الثواب أو العقاب وليعلم أن الله تعالى لم يظلمه: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾.

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا۝٧٣﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بأن المشركين أهل دهاء وجدال وخصام ومراوغة، بينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً كل الحرص على إيمانهم وإدخالهم في الهدى، وكان يلين لهم ويتلطف، وحاولوا[١] بدهائهم ومكرهم أن يستزلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن الله تعالى عصمه ورد كيدهم في نحورهم.

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا۝٧٤ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ[٢] ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا۝٧٥﴾ وأنك لو

---

(١)-**سؤال:** هل عرفت بعض المحاولات التي حاولوا أن يفتنوا بها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: عرف منها ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا۝٢٨**﴾ [الكهف]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ۝٥٢ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ۝٥٣**﴾ [الأنعام].

ففي هذا ما يدل على أن المشركين حاولوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرد أهل الضعف والمسكنة من أصحابه المؤمنين أنفةً منهم وكبراً أن يجلسوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم عنده في مجلسه، فنهى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن طاعة المشركين الغافلة قلوبهم عن ذكر الله فيما أرادوا من إبعاد أهل المسكنة والضعف.

وفي قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ۝٢...**﴾ إلى آخر السورة [الكافرون]- ما يدل على أن المشركين حاولوا أن يستجروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى حل وسط بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند محاولتهم هذه ظن أنهم قد لانوا قليلاً وأن الإسلام قد دخل في قلوبهم بعض الدخول فنزلت هذه السورة لإفشال كيد المشركين ورد مكرهم.

(٢)-**سؤال:** قد جاءت روايات صحيحة عن الباقر وزين العابدين أن ﴿**ضِعْفَ الْمَمَاتِ**﴾ =

فعلت يا محمد وملت إليهم لضاعفنا لك العذاب في الدنيا وفي الآخرة، وهذا أيضاً تهديد للمؤمنين لأجل أن يتمسكوا بدينهم، ولا يتنازلوا عن شيء من أمور دينهم أبداً، وأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو محاط بعصمة الله تعالى وتوفيقه ولن يكون منه ذلك أبداً، والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد به غيره[1] من باب: «إياك أعني واسمعي يا جارة».

عذاب القبر فما رأيكم في ذلك؟

الجواب: «ضعف الممات» هو كما روي عذاب القبر وعذاب النار، وعذاب القبر هو بداية عذاب الآخرة الأبدي.

(١)-**سؤال:** يقال: قد يظهر من قوله: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ﴾ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرادٌ بهذا الخطاب المتناول لشيءٍ قد جرى في الواقع، فكيف؟

الجواب: حاول المشركون أن يخدعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرضوا عليه عروضاً منها: أن يُمَلِّكوه عليهم ويزوجوه أجمل فتاة في قريش، ومنها أن يطرد الضعفاء والمساكين عن مجلسه إذا أحب أن يجلسوا عنده ويستمعوا لحديثه، ومنها التصالح بينه وبينهم بأن يترك كل طرف الطعن في دين الطرف الآخر، فلعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكر في العرضين الأخيرين ولم يردهما مباشرة مع علمه ببطلان ما عرضوه، فأنزل الله تعالى ما أنزل من القرآن في ذلك لتنبيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليقتنع المسلمون من الصحابة الذين اشتد عليهم الأذى والمضايقة من المشركين بأنه لا يوجد حل وسط في الدين، ولا يمكن التنازل عن شيء من الدين ولا التغاضي عن تشريع من تشريعاته لإرضاء المشركين، وأنه لا يكون ولا يصح قبول أي ضلالة من ضلالات المشركين كبرت أو صغرت. ولا يخفى أن مخاطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك الخطاب المزلزل والتهديد الغاضب أوقع في نفوس المسلمين وأقوى وأبلغ مما لو كان موجهاً إليهم.

ولو كان المراد بالخطاب هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده لكفاه التنبيه والإشارة من الله تعالى لشدة تعظيمه لله وخوفه منه، وما كان الله تعالى ليواجهه بمثل هذا التهديد الغاضب لعظيم رحمة الله بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ورأفته به، ألا ترى كيف خاطبه الله تعالى في سورة التوبة حين أذن صلى الله عليه وآله وسلم للمتخلفين عندما استأذنوه فبدأ تعالى في مخاطبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالعفو عنه فقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾ [التوبة:٤٣]، رحمة بنبيه وتخفيفاً عليه من صدمة الخطاب.

﴿وَإِنْ(١) كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ(٢) إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾﴾ كان المشركون قد ضاقت صدورهم من النبي ﷺ وامتلأت غيظاً عليه وعلى أصحابه، وكانوا قد استاءوا من بقائه بينهم لصرفه للناس عن عبادة آلهتهم ونسبتهم إلى الجهل والضلال، فأرادوا أن يخرجوه من مكة صاغرا ذليلا، فأخبره الله سبحانه وتعالى بأنهم لو فعلوا وأخرجوه لما مكثوا بعد إخراجه إلا قليلاً ثم ينزل بهم عذابه وسخطه جزاءً على ذلك، ومعنى «ليستفزونك»: ليستخفونك ويزعجونك.

﴿سُنَّةَ(٣) مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ وأخبره بأن هذه هي سنته في المكذبين من الأمم السابقة، وأنه كان من طرد نبيه من تلك الأمم فإنه يستأصلهم بالعذاب، وأن حالك يا محمد كحالهم فلو فعلوا وطردوك لعذبهم الله سبحانه وتعالى ولاستأصلهم.

هذا، وأما هجرته من مكة إلى المدينة فقد كانت بأمر من الله سبحانه وتعالى، لا(٤) لأنهم طردوه، وذلك أن المشركين كانوا قد خططوا لقتله، وقد بدأوا في تنفيذ

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب «إن» هذه؟

الجواب: «إن» مخففة من الثقيلة.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿خِلَافَكَ﴾ وخلفك مستويان أم بينهما فرق فما هو؟

الجواب: هما مستويان في المعنى وليس بينهما فرق.

(٣)-**سؤال:** علام نصب ﴿سُنَّةَ﴾؟

الجواب: نصب على أنه مفعول مطلق مؤكد لمضمون الجملة التي قبله.

(٤)-**سؤال:** يقال: ظاهر قوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [التوبة:٤٠]، يفيد أنهم أخرجوه فكيف؟ أم أنه يمكن الجمع بينهما؟

الجواب: همت قريش وعزمت على قتل النبي ﷺ أو ربطه وحبسه أو إخراجه من مكة، فأمر الله تعالى حينئذ نبيه ﷺ بالهجرة، وأمر المؤمنين أن يهاجروا أيضاً ويلحقوا بنبيهم ﷺ؛
=

ذلك، فأمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى المدينة.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ(١) إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا۝٧٨﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيهﷺ بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها، وجعل وقت الظهر والعصر من عند دلوك الشمس وهو زوالها عن وسط السماء إلى غسق الليل وهو ظهور ظلمته، وجعل ظهور الظلمة ابتداء وقت صلاة المغرب والعشاء إلى طلوع الفجر؛ فإذا طلع فهو وقت صلاة الفجر، ثم ذكر أن صلاة الفجر تختص من بين سائر الصلوات بأنه يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار، مما يجعل لها مزية وفضلاً على بقية الصلوات.

وسميت صلاة الفجر بقرآن الفجر؛ لأن النبيﷺ كان يطول قراءة القرآن فيها.

لذلك صح أن يقال: إنهم أخرجوه لما كانوا هم السبب في خروجه وهجرته إلى المدينة.

وقد كانت إقامته ﷺ في مكة بأمر الله، وقد كان بعد موت عمه أبي طالب في جوار المطعم بن عدي (من كبار قريش) وكان آمناً لم يتعرض له أحد بمكروه لمكانة المطعم بن عدي وجواره، إلا أن قريشاً تآمرت فيما بينها وتشاورت كيف تتخلص من رسول الله ﷺ فأجمع رأيهم على أن ينتخبوا من كل بطن من قريش رجلاً قوياً ليقتلوا النبيﷺ فيتفرق دمه في قبائل قريش فلا تقدر بنو هاشم على الأخذ بثأره ولا يمكن المطعم بن عدي أن يأخذ بحقه.

فعند أن أجمعت قريش على تنفيذ هذا المخطط الماكر أوحى الله تعالى إلى نبيه بالأمر بالخروج من مكة إلى المدينة فخرج ليلاً وأمر علياً عليه السلام أن ينام في فراشه للتمويه على قريش أنه نائم في فراشه لئلا يلحقوه و... إلخ.

(١)-**سؤال:** علام نصب: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾؟

الجواب: نصب بالعطف على الصلاة.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً(١) لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴿٧٩﴾﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وأوجب عليه خاصة بأن يقوم في الليل ليتهجد ويصلي صلاة الليل ويتنفل فيه، وهذا من خواصه(٢) صلى الله عليه وآله وسلم، ووعده سبحانه وتعالى بأنه سيجعل له مقاماً رفيعاً يوم القيامة على سائر الناس.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴿٨٠﴾﴾ وأمره الله سبحانه وتعالى بأن يدعوه بهذا الدعاء، وهو أن يخرجه من مكة مخرج صدق وخير وفائدة تعود للإسلام والمسلمين، وأن يدخله مكة بالعودة إليها منتصراً، أو يدخله المدينة دخول عز ونصر للإسلام وأهله، وفعلاً فقد كان خروجه من مكة مهاجراً نصراً كبيراً له إذ استطاع أن يفلت من أيدي المشركين بالرغم من إحاطتهم به من كل مكان ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠]، فوصف الله سبحانه وتعالى خروجه هذا بالنصر له والهزيمة على المشركين عندما أفلت من بين أيديهم.

وقد أمره بأن يدعوه عند خروجه من مكة ودخوله المدينة بأن يجعل له سلطاناً وأتباعاً ينتصر بهم ويرفع بهم راية الحق وأهله.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴿٨١﴾﴾ عند خروج

---

(١)-**سؤال:** بم تعلق: ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾؟ وعلام نصب: ﴿نَافِلَةً﴾؟

الجواب: «من الليل» متعلق بـ«تهجد به»، و«نافلة» منصوب على الحالية من الهاء في «به» أي: بالقرآن.

(٢)-**سؤال:** يقال: من أين استفيد أنه من خواصه؟

الجواب: استفيد من قوله تعالى: ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ فكان التهجد (صلاة الليل والوتر) واجباً عليه صلى الله عليه وآله وسلم دون أمته.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة ودخوله إلى المدينة أمره الله سبحانه وتعالى بأن يخبر المشركين بأنه قد آن ظهور الحق وانتصاره، وهزيمتكم أيها المشركون، وأن يخبرهم بأن الباطل مهما كانت صولته فلا بد أن يسقط وتنتكس رايته، وأن يظهر الحق عليه مهما طال الزمان، ومعنى «زهق الباطل»: زال وانتهى واضمحلَّ.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ[1] مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴿٨٢﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ينزل القرآن وفيه شفاء للمؤمنين من الشكوك والوساوس التي في القلوب، وآياته التي تشفيهم من الشبه والجهل، ويبعث على الطمأنينة في القلب لما فيه من الهدى والنور الذي يبصرهم طريق الحق، ويسمى هذا الشفاء الروحي، وفي العمل بأحكامه وشرائعه رحمة للمؤمنين لما فيه من التزكية للنفوس والارتقاء بها إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، وكذلك أخبر أن الظالمين بخلاف ذلك فلا يزيدهم القرآن إلا خسارة لآخرتهم؛ لأنه كلما نزلت سورة أو آية كفروا بها، وبذلك يزداد كفرهم فيزداد سخط الله عليهم.

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: ﴿مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ يفيد أن الشفاء في بعضه لا غير؟ وهل يكون شفاءً للأمراض المحسوسة؟

الجواب: «من» في قوله: ﴿مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ للبيان وليست للتبعيض، بين بها الإبهام الذي في قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾.

والقرآن شفاء أيضاً للأمراض الجسدية المحسوسة بإذن الله تعالى، وقد عرفنا الكثير ممن شفي من مرضه الجسدي بقراءة القرآن عليه، وفي أحكام الإمام الهادي عليه السلام وهو يذكر فاتحة الكتاب ما لفظه: «ومن ذلك ما يروى أنها لم تقرأ على مريض قط إلا شفي، ولم يقرأها مكروب إلا كفي ونجي، ولا توسل بها أحد إلى الله سبحانه إلا أعطي».اهـ

وقد روي: ((فاتحة الكتاب شفاء من كل سم))، وروي حديث الرجل الذي رقى سليماً بفاتحة الكتاب فشفي فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((وما يدريك أنها رقية؟)).

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن طبيعة الكافر بأنه إذا أنعم عليه ربه بنعمة أعرض عن شكره وتكبر عليه وعن اتباع الحق وعن السماع لآياته، وشمخ بأنفه استكباراً على الله تعالى وعلى رسوله.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴿٨٣﴾﴾ وإذا نزلت به مصيبة أو شدة بعد رخاء وخير فإنه ينقطع أمله، ويزداد يأسه وقنوطه، بخلاف المؤمن فإنه إذا نزلت به مصيبة أو شدة فإنه لا ينقطع أمله في الله سبحانه وتعالى لما يرجوه من ثوابه وتعويضه، وهو عالم بأنه إن لم يعوضه في الدنيا فإنه سيعوضه في الآخرة.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴿٨٤﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد بين طريق الحق وطريق الشر، ووضح لكم كلاً منهما، وأنكم مخيرون في اختيار أي الطريقين أردتم، وأنه عالم بعمل كل واحد من الصنفين ومطلع على كل صغيرة وكبيرة، وسيجازي كلاً على عمله، ومعنى الشاكلة: الطريقة والمذهب.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ وهؤلاء هم المشركون سألوا النبي ﷺ عن حقيقة الروح، وذلك أن المشركين كانوا قد ذهبوا إلى اليهود يخبرونهم بأنه قد ظهر فيهم رجل يدعي أنه نبي من عند الله، وأن الله تعالى قد أرسله ليبلغهم رسالته، فأمرت اليهود المشركين بأن يسألوا هذا النبي عن الروح وعن أصحاب الكهف، وأخبرتهم أنه إن أفتاكم في الروح وأخبركم عن حقيقتها فليس نبياً كما يدعي، وإن أخبركم أن علمها عند الله سبحانه وتعالى، وقص عليكم خبر أهل الكهف فهو نبي صادق، وكل ذلك كان قبل أن تعلم اليهود بأمر محمد ﷺ وأنه النبي الذي ينتظرون ظهوره في مكة، وإلا فإنهم لم يكونوا ليجيبوا المشركين بهذا الجواب لئلا يفتضح أمرهم.

﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴿٨٥﴾﴾فعندما سأل المشركون النبي ﷺ أمره الله سبحانه وتعالى بأن يجيبهم بأن الروح علمها عند

الله سبحانه وتعالىٰ وحده، وأنها مما اختص واستأثر بعلمه، ولا قدرة لعقول البشر أن تعي مفهومها وتستوعب حقيقتها، وذلك أن قدرة العقل محدودة ومعرفة حقيقتها فوق طاقته وقدرته، وقد حاول العلم الحديث بما معهم من القوة والآلات المتطورة أن يكتشف حقيقتها وماهيتها فلم ينجح.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ بأنه لو شاء لأخذ القرآن من صدره، ولرفعه من قلبه؛ فلا يستطيع أحد أن يشفع له ليرده إليه.

يطلع الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ علىٰ مدىٰ قدرته وقوته وإحاطته بكل شيء وأن كل شيء تحت قبضته وسيطرته.

﴿إِلَّا رَحْمَةً(١) مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾﴾ أراد الله سبحانه وتعالىٰ أنه إنما أوحىٰ إلىٰ نبيه ﷺ بالقرآن وجعله في صدره- رحمة منه له وتفضلاً منه تعالىٰ عليه، وأن اختياره لتبليغ رسالته رحمة منه له ولغيره.

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأن الإنس والجن لو اجتمعوا وتعاونوا علىٰ الإتيان بمثله فلن يستطيعوا ذلك، وأن يخبرهم بأن القرآن هو حجته الدالة علىٰ نبوته؛ فإن استطاعوا أن يأتوا بمثله فهم محقون في عدم صدق نبوته؛ لأن المشركين كانوا ينكرون نبوته، ويرمونه بالكذب والافتراء وغير ذلك، ثم إنه تحداهم بأن يأتوا بسورة منه أو بعض سورة، وأنهم إن استطاعوا فسيتنازل

---

(١)-**سؤال:** هل الاستثناء في الآية منقطع أم متصل؟

الجواب: الاستثناء منقطع بمعنىٰ «لكن»، ويجوز أن يكون متصلاً، و﴿وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ هو المستثنىٰ منه أي: لا تجد من يتوكل علينا باسترداده إلا رحمة من ربك.

عن دعوته وادعاء نبوته فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولا بعشر سور من مثله ولا بمثل سورة منه مع حرصهم الشديد على إبطال أمره.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴿٨٩﴾﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد نَوَّعَ للمشركين في القرآن أمثاله وبينها على كل وجه، وأتى على المشركين من كل طريق لعلهم يؤمنون به ويصدقونه، ولكنهم بالرغم من كل ذلك رفضوا الإيمان واتباع النبي ﷺ، وهؤلاء هم قريش؛ وهم الذين وقفوا في وجه النبي ﷺ، وصدوا عن دعوته، وحاصروه في مكة نحواً من ثلاث عشرة سنة، وعندما هاجر إلى المدينة لحقوا به وغزوه في عقر داره، وتقطعوا له في كل طريق وقتلوا أصحابه، وأقنعوه بأنهم لن يؤمنوا له مهما حاول فيهم.

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴿٩٠﴾﴾ أي حتى تجعل لنا في مكة أنهاراً متفجرة مثل ما في أرض الشام والعراق.

﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴿٩١﴾﴾ أو يكون لك بستان من النخيل والأعناب تكون الأنهار جارية في وسطه لا تنقطع.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أو تسقط السماء علينا قطعاً، ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴿٩٢﴾﴾[2] أو تأتي بالله والملائكة إلينا ونراهم عياناً ثم يشهدون لك بالنبوة والرسالة، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ من ذهب ﴿أَوْ

---

(١)-**سؤال:** يقال: هل التفريق للأمثال أو الوعيد في مختلف أجزاء القرآن من جملة التصريف الذي ذكره الله هنا وفي آيات أخرى؟

الجواب: أمثال القرآن وأنواع الوعيد كل ذلك داخل في عموم هذه الآية أي: ولقد صرفنا للناس من كل معنى بديع هو كالمثل في بلاغته وحسنه وإقناعه.

(٢)-**سؤال:** وهل يحتمل ﴿قَبِيلًا﴿٩٢﴾﴾ معنى جماعات جماعات؟

الجواب: قد فسر ﴿قَبِيلًا﴾ بما ذكرنا، وبما ذكر في السؤال أي: جماعات جماعات.

﴿تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ ونراك أمام أعيننا وأنت تصعد في السماء.

﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ ولن نصدقك ولو رأيناك وأنت تصعد في السماء يا محمد حتى تنزل كتاباً من عند الله سبحانه وتعالى إلى قريش مخاطباً لكل شخص باسمه، قالوا ذلك للنبي ﷺ لكي يقطعوا طمعه في إيمانهم.

﴿قُلْ سُبْحَانَ[1] رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣﴾ فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يخبرهم بأن ما طلبوه ليس في يده ولا تحت قدرته، وأن يخبرهم بأنه ليس إلا بشراً أرسله الله سبحانه وتعالى إليهم ليبلغهم رسالته فإن شاءوا فليؤمنوا وإن شاءوا فليكفروا.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا[2] إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤﴾[3] فلم يجدوا حجة على عنادهم وكفرهم إلا استنكارهم على الله سبحانه وتعالى أن يبعث إليهم رسولاً من البشر، وأنه لا بد أن يكون من جنس غير جنسهم، فجعلوا هذا عذرهم وحجتهم في عدم الإيمان والتصديق، وإلا فهم في

---

(١)-**سؤال:** ما فائدة الأمر بالتنزيه هنا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾؟

الجواب: فائدة ذلك هو النداء على فرط حماقتهم وعظيم جهلهم فيما طلبوه من المستحيلات التي لا يمكن حصولها.

(٢)-**سؤال:** ما محل المصدر: ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾؟

الجواب: محله الجر بـ«من» مقدرة أي: وما منع الناس من الإيمان.

(٣)- **سؤال:** هل في هذه الآية دليل قوي يحج القائلين بخلق أفعال العباد؟ فمن أي جهة؟

الجواب: نعم في الآية دليل على ما ذكرتم، وذلك لأن الآية حصرت وقصرت السبب المانع لهم من الإيمان في سبب واحد هو استبعادهم أن يرسل الله تعالى رسولاً من البشر أي: لم يمنعهم من الإيمان إلا هذا السبب لا غيره من الأسباب، ولا يقال: منع الناس هذا السبب إلا وهم قادرون على الدخول في الإيمان.

الحقيقة عالمون بصدق نبوته ورسالته.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾﴾ وأخبرهم يا محمد بأن سكان الأرض لو كانوا ملائكة لأرسل الله سبحانه وتعالى لهم رسولاً من الملائكة، وأنه لا يصح أن يرسل للبشر رسولاً من الملائكة؛ لأنهم لا يستطيعون أن يتخاطبوا معه، فلا بد أن يكون من جنسهم ليتمكنوا من التفاهم والتخاطب.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ وأخبرهم يا محمد بأنها تكفي شهادة الله سبحانه وتعالى بأنك قد بلغتهم، وأنهم قد كذبوا بدعوتك؛ لأنه العالم بأعمال جميع عباده المطلع عليها صغيرها وكبيرها، لا يخفى عليه منها شيء.

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأنه لن يستطيع(١) أن يدخل أحداً في الهدى أو يحكم بهداه، وأن ذلك إلى الله سبحانه وتعالى فمن حكم بأنه مهتد فهو المهتدي، ومن حكم بضلاله فلا يصح أن يحكم بهداه، ولن يستطيع أحد أن يحكم بهداهم أو يدخلهم في الهدى؛ فاقطع طمعك من إيمانهم يا محمد واترك ملاحقتهم ليؤمنوا.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الضلال بأنه سيحشرهم، ثم يسحبهم على وجوههم إلى جهنم وأيديهم مربوطة؛ فلا يتقون العذاب إلا بوجوههم لا يخفف عنهم سعير جهنم، وهم فيها عمي وصم وبكم.

---

(١)-**سؤال:** ما المراد بعدم استطاعته ﷺ لأن يدخل أحداً في الهدى؟

الجواب: المراد هنا هو مثل المراد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [القصص:٥٦]، فرسول الله ﷺ لا يقدر على إدخال أحد في الهدى.

ومعنى «خبت»: سكن لهيبها.

﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا(١) لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى عن سبب دخولهم جهنم؛ فقال ذلك بسبب كفرهم بآيات الله وإشراكهم به وإنكارهم لليوم الآخر وما فيه من الجزاء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى إنكار بعثهم بعد الموت مع أنهم قد رأوا، وعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض، وخلقهم وأوجدهم من العدم، فإن من قدر على ذلك لا يعجز عن إعادة خلقهم بعد الموت.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(٢) ثم أخبرهم بأنه سيعذبهم عند حلول ميعاد تعذيبهم، لا يخلف الله وعده.

﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾(٣) ولكنهم كفروا وكذبوا وأنكروا ما جاءهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١)-**سؤال:** هل لإيراد الاستفهام مرتين علة؟ إن كانت فما هي؟

الجواب: العلة في إيراد الاستفهام مرتين في قوله تعالى: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ هي أن المشركين استنكروا واستبعدوا شيئين اثنين هما:

١- البعث بعد الموت وكفروا به.

٢- قدرة الله على إعادة الحياة إلى الميت الذي صار رفاتاً وتراباً وعظاماً وذهبت أجزاء بدنه وتفرقت وعدمت؛ فجيء بهمزة الاستفهام الإنكاري على الأول والثاني.

(٢)-**سؤال:** علام عطف قوله: «وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه»؟

الجواب: جملة «وجعل لهم أجلاً...» معطوفة على جملة «أو لم يروا أن الله...» وصح لأنها في معنى: قد رأوا.

(٣)-**سؤال:** مما استثنيت لفظة «كفوراً»؟ وهل لهذا التعبير ضابط في العربية؟

الجواب: هذا الاستثناء مفرغ، وهو جار على المعنى؛ إذ المعنى: فما رضي الناس إلا كفوراً.

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ[١] خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴿١٠٠﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن المشركين بأن خزائن السماوات والأرض لو كانت بأيديهم لبخلوا بها؛ لأن طبيعتهم البخل والإمساك، وكانوا قد استنكروا علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ أن يبعث يتيم أبي طالب نبياً، ولماذا لم يجد إلا هذا اليتيم للنبوة؟ ولماذا لم يبعث كبيرا من كبار قريش كعتبة بن ربيعة، أو أبي سفيان، أو الوليد بن المغيرة؟ وأيضاً كان فقيراً وصغير السن بالنسبة لأولئك، وكان عمره أربعين سنة حين مبعثه، فحسدوه علىٰ ذلك مع وجود من هو أغنىٰ وأوجه وأكبر منه سناً.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا﴿١٠١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ بأنه قد أرسل موسىٰ إلىٰ فرعون ليستنقذ بني إسرائيل من ظلمه وجبروته، وقد أرسل معه تسع آيات بينات تدل علىٰ صدق نبوته، ولكنهم كفروا بها، وكذبوه ورموه بالسحر.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ[٢] إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي

---

(١)-**سؤال:** ما إعراب: «لو أنتم تملكون» «إذاً»؟ وهل كان يكفي قوله: «لأمسكتم» فما فائدة «إذاً»؟

الجواب: «لو» شرطية «أنتم» فاعل لفعل محذوف يفسره قوله: «تملكون» أي: لو تملكون، و «إذاً» حرف جواب وجزاء، وفائدتها تأكيد ارتباط «لأمسكتم» بالشرط «لو أنتم تملكون» وجاء التأكيد من حيث أنها متضمنة لجملة الشرط، وقد كان يكفي «لأمسكتم» ولكن جيء بها للتأكيد الذي ذكرنا، والله أعلم.

(٢)-**سؤال:** كيف أشار إلىٰ الآيات بـ«هؤلاء» وكان من حقها «هذه» أو نحوها؟

الجواب: قد قالوا: إن الأكثر في «هؤلاء» أن تستعمل فيمن يعقل، فلما وصفت الآيات بصفة من يعقل «بصائر» أي: ذوات بصائر ساغت الإشارة إليها بـ«هؤلاء» وحسنت جداً، لما فيها من التنبيه علىٰ قوة الآيات ووضوحها.

﴿لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴿١٠٢﴾﴾ قال موسى مخاطباً لفرعون ومستنكراً عليه: بأنك قد علمت يا فرعون أنها آيات واضحات منزلة من عند الله سبحانه وتعالى، وليس تكذيبك هذا إلا مغالطة وتمويها على قومك خوفاً منهم أن يتركوك ودينك، والتسع الآيات التي أعطاه الله سبحانه وتعالى هي العصا واليد والجراد والقمل والطوفان والضفادع والدم والسنين ونقص الأموال والأنفس والثمرات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراف:١٣٠].

والمثبور: هو المهلك.

﴿فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أراد فرعون أن يخرج موسى وقومه من أرض مصر ويقتلهم.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴿١٠٣﴾﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى فلق لموسى البحر؛ فلحقه فرعون فانطبق البحر عليهم، وغرقوا جميعاً.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه بأن يسكنوا أرض الشام.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴿١٠٤﴾﴾ وأخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيبعثهم يوم القيامة هم وفرعون، وسيحاسب الفريقين، وينتصف لكم منه ويحكم بينكم بالحق. ومعنى «لفيفاً»: جميعاً، وهو اسم جمع بمعنى الجمع العظيم من أخلاط شتى.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[1] اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى

---

(١)-**سؤال:** هل قوله: «وبالحق نزل» تكرير لما سبق؟ فما فائدته؟

الجواب: المراد بقوله: «وبالحق نزل» أي: من السماء الدنيا إلى الناس، أي: نزل بالهدى والبينات والنور محفوظاً من الشياطين، أي: لا كما يقول المشركون إنه قول شيطان يوحيه إلى النبي ÷. والمراد بقوله: «وبالحق أنزلناه» أي: إلى سماء الدنيا في ليلة القدر أي: أنزله بالهدى والنور والبينات والحكمة، أي أن للقرآن نزولين: الأول إلى سماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا إلى النبي ÷؛ فالثاني هو غير الأول، فلا تكرير.

والمصلحة أن ينزل القرآن ويرسل محمداً ﷺ في ذلك الوقت وذلك الزمان؛ لأن الجهل والضلال قد عم الناس جميعاً، والشرك قد أطبق عليهم، وقد أصبحوا في حاجة إلى من يهديهم ومن يرشدهم، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن بالحق مصاحباً له ولآياته جميعاً تشهد بصحتها العقول؛ فلم يأمرهم إلا بما تستحسنه عقولهم، ولم ينههم إلا عن الفواحش التي تستقبحها العقول وتنفر عنها؛ ولم يحل لهم إلا ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، ولم يحرم عليهم إلا ما فيه مضرة عليهم، ودلهم على عبادة إله واحد فقط؛ لأنه وحده الذي يستحق العبودية كما تشهد به فطر عقولهم، ونهاهم عن عبادة الأصنام التي ليست إلا أحجاراً وتشهد ببطلانها العقول أيضاً، إذاً فآيات القرآن كلها تخاطب العقول، وليس فيه ما ينافي العقل أو فطرته، أو يأمر بما يخالف العقل.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝١٠٥﴾ بعث الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ ليبشرهم وينذرهم وليس مكلفاً بإدخالهم في الهدى.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ[1] لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ وفرَّقنا نزول القرآن عليك يا محمد ليسهل عليك حفظه وتبليغه الناس وليستطيعوا حفظه في صدورهم. ومعنى «على مكث»: على تأنٍّ وتمهل.

﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝١٠٦﴾ نزله قليلاً قليلاً على فترات متقطعة، ولم ينزله دفعة واحدة؛ لأن صدورهم كانت كتبهم فلا قراءة ولا كتابة، وإنما كانوا يعتمدون على الحفظ والفهم فقط.

---

(١)-**سؤال:** ما السر في تخفيف الفعل «فرقناه»؟

الجواب: قد قرئ بالتخفيف للراء والتشديد لها في «فرقناه»، فالتشديد يدل على نزوله مفرقاً منجَّماً، وفسروه على التخفيف بوجوه، منها: بمعنى فصلناه، وبمعنى بيناه، وبمعنى إنزاله مفرقاً منجماً، وكلها صحيحة.

﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يخبر مشركي قريش أنه سواء عنده آمنوا به أم لم يؤمنوا، فما عليه إلا البلاغ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ[1] سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝١٠٨﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى أن بعض[3] أهل العلم من أهل التوراة والإنجيل يؤمنون به ويخضعون له تواضعاً لعظمته، ويسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه وتعالى مسبحين له، ومصدقين بوعده من بعث آخر الأنبياء، وبالبعث بعد الموت وبالحساب والجزاء.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝١٠٩﴾ وأنهم يسجدون باكين من خشية الله تعالى، ويزيد من خشوعهم سماعهم لتلاوة القرآن.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المؤمنين أنه سواء أن يذكروا الله أو الرحمن في دعائهم له فهما اسمان له تعالى؛ لأن المؤمنين كانوا إذا سمعهم المشركون يذكرون الرحمن عيروهم بأنهم يذكرون إله اليمامة وهو مسيلمة الكذاب؛ وكانوا يسمونه

---

(١)-**سؤال:** ما معنى اللام هذه في قوله: «للأذقان»؟

الجواب: اللام بمعنى «على» في هذه الآية.

(٢)-**سؤال:** ما إعراب «سجداً» و «إن كان وعد ربنا لمفعولاً»؟

الجواب: «سجداً» حال من فاعل يخرون، «إن» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستتر، «كان» فعل ماض ناقص، «وعد ربنا» اسم كان مضاف إلى رب، ورب مضاف إلى ضمير الجماعة، «لمفعولاً» اللام هي الفارقة، مفعولاً: خبر كان، وجملة «كان وعد..» في محل رفع خبر «إن» الشأنية.

(٣)-**سؤال:** من أين نستفيد البعضية؟

الجواب: استفيدت البعضية مما حكاه الله تعالى عن أهل الكتاب من أن كثيراً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون، فلزم أن تفسر هذه الآية بالبعض.

بهذا الاسم وهو رحمن[(١)] اليمامة، فأخبرهم الله تعالى بأن هذين الاسمين مختصان به؛ فلا يصدنهم عن ذكره بهذا الاسم ما كانوا يسمعونه من تعيير المشركين.

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾[(٢)] لا ترفع صوتك يا محمد حتى يسمعه المشركون فيقولون: إن محمداً يذكر إله اليمامة، ولا تخافت به حتى لا يسمعك أصحابك، واطلب التوسط بين هذين الأمرين.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾[(٣)] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١)-**سؤال:** يقال هل استعمالهم هذا يخرجه عن كونه حقيقة في الباري تعالى كما هو مذهب غير واحد من أئمتنا محتجين باستخدامهم وهم فصحاء العرب ولو كانوا معادين للمسلمين؛ لأننا إنما نستدل باستعمالهم وإطلاقهم لا برأيهم وعقيدتهم أم لا يخرجه عن الحقيقة؟ مع تفضلكم بإيراد التعليل لذلك.

الجواب: استعمالهم للرحمن في غير الله إنما هو تمرد منهم في الكفر، كتسميتهم للصنم إلهاً ورباً، ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:١٨٠]، أي: يميلون في أسمائه تعالى فيسمون بها غيره، فهذا دليل على أن استعمالهم إنما هو تمرد وميل عن الحق، وخطأ وضلال.

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على أنه لا يجهر في جميع الصلوات، ولا يخافت في جميعها؟ بل يجهر في بعضها ويخافت في بعض؟ أم لا، فما هي العلة؟

الجواب: الظاهر من المعنى هو ما ذكرناه، ويجوز بمعونة الآثار الواردة من فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يراد بالآية ما ذكرتم.

(٣)-**سؤال:** هل ترون قوة استدلال الأصحاب بختم الآية «وكبره تكبيراً» على أن التوجه قبل التكبير، وأنه يزاد فيه هذا: «الحمد لله... إلخ»؟ أم لا مع تعليل نظركم حماكم الله وعافاكم؟

الجواب: الاستدلال بالآية على ما ذكرتم قوي لأن السياق في الصلاة فيكون التوجه بهذا «الحمد لله الذي لم يتخذ...» قبل التكبير، ويمكن الجمع بين هذا وما ورد من الآثار من أن التوجه بعد التكبير بأن يقال: هذا التوجه «الحمد لله..» قبل التكبير، فإذا كبر المصلي توجه بالتوجه المأثور: «وجهت وجهي..» وقد ذهب إلى هذا بعض أعلام أهل البيت المتأخرين.

أن يحمده بهذا الحمد، وأن يثني عليه بهذا الثناء، وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله، واليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله؛ فأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن ينزهه عن اتخاذ الولد والشركاء في الملك، وأخبره أنه ليس محتاجاً إلى من ينصره، أو يعينه على تدبير شؤون ملكه، وأمره أيضاً أن يعظمه غاية التعظيم، وأن يقدسه عن الولد والشريك والمعين.



سورة الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ۝١﴾[١] ابتدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بالحمد والثناء، والشكر له على نعمته هذه، وهي أن أنزل القرآن الذي فيه نعمة عظيمة؛ إذ أنزله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليعرف الناس طريق نجاتهم وهدايتهم، وأي نعمة أعظم من هذه النعمة أن يهدينا إلى الطريق الموصلة إلى السعادة الأبدية والدين المستقيم الذي يوافق فطرة العقل.

﴿قَيِّمًا﴾ فهو كتاب حجته قائمة فيه بينة ظاهرة.

﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا[٢] شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ يحتمل أن المنذر هو القرآن، ويحتمل أن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو ينذر الكافرين والمكذبين بالعذاب الشديد يوم القيامة.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ ويبشر المؤمنين أهل الأعمال الصالحة بالثواب العظيم في الجنة خالدين فيها أبداً.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ يحذر القرآن أو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وينذر هؤلاء الذين يفترون عليه هذه الفرية العظيمة وهو أن معه ولداً تعالى عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات كونه قَيِّماً؟

الجواب: فائدة الجمع بين نفي العوج وكونه قيماً هي تأكيد استقامة الكتاب الكريم استقامة تامة.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿بَأْسًا﴾ وكيف صح أن يكون مُنْذَراً وإنما هو منذرٌ به؟

الجواب: «بأساً» هو المفعول به الثاني، وهو منصوب بنزع الخافض أي: ببأس، والأول محذوف ليعم كفار قريش وغيرهم، وهم المنذرون.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ وأخبر أنهم إنما يقولون ذلك من عند أنفسهم لا عن دليل ولا حجة كما يقول آباؤهم، وهؤلاء هم طائفة اليهود عندما قالوا: عزير ابن الله، وكذلك النصارى عندما قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً[1] تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ وأخبر أن هذا افتراء عظيم عليه، لأنهم بقولهم هذا حطوه عن مرتبة الإلهية والربوبية؛ لأن التوالد من طبيعة الخلق، والله تعالى ليس من جنس المخلوقين.

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ثم أخبر أن قولهم هذا ليس إلا كذباً وافتراءً عليه، ولا دليل لهم عليه ولا حجة.

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[2] يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم معاتباً له على شدة متابعته لقريش ليؤمنوا، وحرصه البالغ في متابعتهم وملاحقتهم حتى أجهد نفسه غاية الجهد، وتعاظم حزنه وأسفه على عدم إيمانهم، فعطف عليه ربه وقال له: هون على نفسك ولا تقتلها في متابعة قريش ليؤمنوا، وما عليك إلا البلاغ المبين، فإذا بلَّغتَهم حجة الله عليهم فقد أديت رسالتك.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿كَلِمَةً﴾؟

الجواب: تعرب على أنها تمييز للفاعل المستتر في «كبرت» وهو من نوع التمييز الذي يقال فيه إنه محول عن فاعل.

(٢)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿أَسَفًا﴾؟ وأين جواب: ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾؟

الجواب: يعرب «أسفاً» مفعول من أجله، وناصبه «باخع»، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى[1] الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[2] أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق الأرض لعباده، وسخر لهم ما عليها من الزينة ليختبرهم ويبتليهم؛ لينظر من يصبر منهم على طاعته، ومن يميل بهواه إلى زينة الحياة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه سوف يدمر الأرض بعد ذلك، وسيجعلها صعيداً واحداً لا نبات فيها ولا حياة، وذلك يوم القيامة ليحاسب الناس على ظهرها.

﴿أَمْ[3] حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾[4] أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن آياته كلها عجيبة، وأن أصحاب الكهف آية من آياته فالمفروض أن لا يتعجب منها وحدها، فليست وحدها التي تبعث على العجب، فآيات الله العجيبة تملأ السماوات والأرض.

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بـ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ هل: المال والبنون ونحو ذلك أم ماذا؟

الجواب: نعم المراد ذلك ونحوه وهو كل ما تميل النفوس إليه وترغب فيه مما يشتهيه البطن أو الفرج أو البصر أو السمع أو الطبع كالسيطرة والترفع وما أشبه ذلك.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يستدل بقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ على أن الله تعالى لا يقبل من الطاعات إلا ما كان صحيحاً سالماً من المفسدات؟

الجواب: نعم يصح الاستدلال بالآية على ذلك ؛ لأنه إذا خالط العمل الحسن ما يفسده ذهبت عنه صفة الحسن، بدليل ذم الله تعالى للذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، وذمه للمنافقين وشهادته عليهم بالكذب.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «أم» في هذه الآية؟

الجواب: بمعنى بل والهمزة.

(٤)- **سؤال:** كيف صح أن يخبر بالمصدر ﴿عَجَبًا ۝٩﴾ عن الذات: ﴿كَانُوا﴾؟

الجواب: صح ذلك لأن المراد قصة أهل الكهف وخبرهم لا الإخبار عن ذواتهم.

والرقيم: لوح من الحجارة رقم عليه قصة أصحاب الكهف، وذلك لأن قصتهم كانت مرقومة على لوح من حجر في باب الكهف فسموا أصحاب الرقيم لذلك.

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ قص الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ شأنهم، وذلك أنهم فتية هربوا بدينهم إلى الكهف من بطش ملكهم الكافر؛ وكانوا قد أعلنوا إيمانهم غير مبالين بظلمه واستكباره.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴿١٠﴾﴾ دعوا الله سبحانه وتعالى عند دخولهم إلى الكهف بأن ينزل عليهم رحمة من عنده في كهفهم هذا؛ لئلا يظفر بهم ملكهم فيفتنهم عن دينهم، وأن يحوطهم بعنايته وحفظه، وأن يدبرهم إلى ما فيه رشدهم، ويمهد لهم الطريق التي فيها سدادهم وسلامة دينهم.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴿١١﴾﴾(١) ثم إن الله سبحانه وتعالى استجاب لهم، وأنزل عليهم النوم في هذا الكهف مئات السنين، وحفظهم فيه، وألقى الرعب في قلب كل من اقترب منهم فلا يستطيع أحد أن يصل إليهم، وذلك بأن ألبسهم الله سبحانه وتعالى صوراً تجعل كل من رآها يفر هارباً.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ(٢) أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴿١٢﴾﴾(٣) ثم إن الله

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴿١١﴾﴾؟

الجواب: «سنين» ظرف زمان متعلق بـ«ضربنا»، و«عدداً» صفة لسنين لتفيد كثرة السنين.

(٢)- **سؤال:** كيف صح على الباري تعالى أن يقول: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ وهو عالم من قبل؟

الجواب: المراد ليعلم حصول المعلوم الذي هو اختلاف الحزبين في مدة لبثهم في النوم، وما يترتب عليه من حصول آية عظيمة على صحة البعث بعد الموت، وهو تعالى عالم بما سيحصل من الاختلاف في مدة نوم أهل الكهف وبما يترتب على ذلك من الآية العظيمة في الأزل، ولكنه تعالى لا يعلم أن الاختلاف قد وقع وحصل إلا حين يقع ويحصل.

(٣)-**سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴿١٢﴾﴾؟

الجواب: «لنعلم» فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وأن والفعل مؤول بمصدر =

سبحانه وتعالى أيقظهم من نومتهم تلك بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين، وذلك لأجل أن يعلموا كم لبثوا ليطلعوا على كرامة الله سبحانه وتعالى لهم بأنه استجاب لهم، ونجاهم من بطش ملكهم وحفظهم، ويعلموا أنه قد رضي عنهم فتطمئن أنفسهم.

وكانوا قد انقسموا قسمين فقال بعض منهم: قد لبثنا يوماً أو بعض يوم، وقال الباقي: الله سبحانه وتعالى وحده الذي يعلم كم قد لبثنا، ثم إنهم بعد ذلك عرفوا وتحققوا كم لبثوا من السنين، وكل ذلك ليطلعهم الله سبحانه وتعالى على أنه قد أكرمهم واستجاب دعاءهم ونجاهم، ورضي عنهم، وقد أطلع الناس جميعا على ما أكرمهم به؛ ليرفع من قدرهم ومنزلتهم.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أنه سوف يقص عليه خبرهم الصحيح، وما كان من شأنهم.

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى۝١٣﴾ كان أصحاب الكهف مجموعة من الشبان المؤمنين، وبسبب إيمانهم زادهم الله هدى ونوراً في قلوبهم.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا۝١٤﴾ وقوى الله قلوبهم وشد من عزائمهم عندما قاموا في وجه ملكهم، وأعلنوا[1] أمام الملأ إيمانهم بالله سبحانه وتعالى، واستخفوا

مجرور باللام، والجار والمجرور متعلق بـ«بعثناهم». «أي» اسم استفهام مبتدأ مرفوع، والفعل «نعلم» من أفعال القلوب وهو معلق عن العمل بسبب «أي» الاستفهامية، وأي: مضاف، والحزبين: مضاف إليه. «أحصى» فعل ماضٍ بمعنى أصاب وضبط وفاعله ضمير مستتر عائد على «أي»، و«أمداً» مفعول به لأحصى، والجار والمجرور قبله حال منه أي: من «أمداً»، هذا أقرب الأعاريب التي قيلت في هذه الآية.

(١)- **سؤال:** يقال: كيف نجمع بين إعلانهم وجهرهم بإيمانهم هذا وبين مبالغتهم في الإخفاء بعد استيقاظهم المحكي في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا۝١٩ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا...﴾ إلخ؟

=

بما سواه من الآلهة، غير مبالين بالملك وبطشه، وذلك قبل لجوئهم إلى الكهف، ومعنى «شططاً»: بعيداً عن الحق.

﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ مستنكرين على قومهم غير مبالين بهم، وبما يكون من ردة فعلهم بأنهم اتخذوا آلهة يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى.

﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ(١) بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴿١٥﴾﴾ مطالبين لهم بأن يأتوا بدليل يشهد لهم على صدق إلهية ما يدعونه، وأخبروهم أنهم لن يستطيعوا ذلك؛ لأن ادعاءهم ذلك كذب وافتراء، وأنه لا أحد أظلم ممن ادعى آلهة مع الله سبحانه وتعالى كذباً وافتراءً عليه، ولأجل ذلك زادهم الله سبحانه وتعالى بصيرة في قلوبهم، وأيدهم بالحجة التي أسكتوا بها قومهم.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ(٢) وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا﴿١٦﴾﴾ يتشاورون فيما بينهم، بعدما أعلنوا إيمانهم بالله وحده وترك ما سواه، وكان هذا خطاب كبيرهم، فقد أشار عليهم بأن يهربوا إلى الكهف بدينهم، وأخبرهم أنه لم يبق لهم إلا الله سبحانه وتعالى يلجؤون إليه، وأنه سينزل رحمته عليهم في الكهف، وسوف يهيئ لهم مكاناً يلجئون

الجواب: جهروا بإيمانهم في أول الأمر فلما رأوا قوة الرد الغاضب وقساوته وعرفوا إرادة التنكيل بهم خافوا وهربوا بأنفسهم، ولم يكونوا يظنون أن يواجهوا كل ذلك وإلا لتحرزوا واحتاطوا لأنفسهم، أما بعد استيقاظهم فحرصوا غاية الحرص على التكتم والتخفي لما علموه من نية قومهم أن يفتكوا بهم ويقتلوهم رجماً أو يعذبوهم حتى يرجعوا إلى دين الكفر.

(١)- **سؤال:** الضمير في قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعود إلى الآلهة فلماذا ذُكِّر؟

الجواب: الآلهة وإن كان لفظها مؤنثاً فمعناها مذكر؛ لأنها جمع إلهٍ وهو مذكر؛ لهذا صح عود ضمير المذكر إليها.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ من كلام كبيرهم أم من كلام غيره؟

الجواب: الذي يظهر أنه من كلام كبيرهم وذي الرأي فيهم.

إليه، ويحفظهم فيه من هذا الملك الظالم(١).

ومعنى «مرفقاً»: مكاناً ترتفقون به وتأوون إليه يحفظكم عن عدوكم وتأمنون فيه.

ثم إنهم ذهبوا إلى الكهف الذي أشار عليهم كبيرهم بالذهاب إليه والاختباء فيه فدخلوا فيه وناموا.

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ(٢)﴾ وأخبره أن الشمس كانت إذا طلعت فإنه يميلها عن كهفهم إلى ناحية اليمين؛ لئلا تحرقهم بشعاعها مع طول الوقت، وعند غروبها تعطيهم من أشعتها شيئاً يسيراً(٣)؛ لكي تستفيد منها أجسادهم.

﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في متسع داخل هذا الكهف.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ وأن هذا كان من تدبيره تعالى إذ صرف الشمس عنهم حتى لا تصيبهم أشعتها إلا ما تحتاج إليه أجسادهم.

---

(١)- **سؤال:** هل هذا هو المسمى دقيانوس؟ وهل عرف زمانهم؟

الجواب: هو دقيانوس كما يقال، ولا يترتب على معرفة اسم ملكهم ومكانهم وزمانهم فائدة، والفائدة والعبرة هي في معرفة ما قص الله تعالى من قصتهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ وكيف يكون معناها الموافق لهذا الإعراب؟

الجواب: «ذات الشمال» ظرف مكان متعلق بـ«تقرضهم» والمعنى: أن الشمس تميل إلى جهة الشمال ولا تصيبهم بحرارتها إلا شيئاً يسيراً لا يضرهم ولا يؤذيهم تذهب به عفونة الكهف ويزكو به هواؤه.

(٣)- **سؤال:** لماذا عبَّر الله تعالى بالقرض في الشيء اليسير هنا؟

الجواب: القرض: هو قطع الشيء اليسير من الثوب ونحوه، والقرض هنا هو استعارة، شبَّه يسير إصابة الشمس لهم بقراضة الجلم «المقص» فقال: ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ أي: فتكون الاستعارة تبعية.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[1] وهؤلاء قد هداهم الله سبحانه وتعالىٰ، وقد جعلهم من المهتدين، وأما من ضل عن طريق الحق والهدىٰ فلن يستطيع أحد أن يهديه بعد الله سبحانه وتعالىٰ[2].

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ كانوا في خلال نومتهم تلك فاتحين لأعينهم، وكانوا أيضاً يتقلبون تارة على أيمانهم وتارة أخرىٰ على شمائلهم؛ حفاظاً على أجسادهم من التقرح والتآكل، وكل ذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وقد نام كلبهم على باب الكهف باسطاً ذراعيه ماداً لهما، وأدركته رحمة الله تعالىٰ معهم وأحاطت به، وفي ذلك دلالة على أن من صاحب الأخيار فإنه يناله نصيب مما يعطيهم الله سبحانه وتعالىٰ من رحمته[3].

---

(١)- **سؤال:** كأن في هذه الآية إشارة إلى أن اهتداءهم هنا هو حسن رعاية الله لهم لا اهتداء الدين والإيمان؛ فما رأيكم؟

الجواب: نعم فيها ما ذكرتم بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وبدليل آخر الآية: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

(٢)- **سؤال:** كيف نُسِبَ الإضلال إلى الله تعالىٰ في هذه الآية؟

الجواب: الإضلال هنا بمعنىٰ الحكم والتسمية أي: من حكم الله تعالىٰ بضلاله وسماه ضالاً...

(٣)- وما أحسن ما قاله الزمخشري في ذلك:

كثر الشك والخلاف وكلٌّ ... يدعي الفوز بالصراط السويّ
فاعتصامي بلا إله سواه ... ثم حبي لأحمد وعليّ
فاز كلبٌ بحبِّ أصحاب كهفٍ ... كيف أشقىٰ بحب آل النبي

ولله دره.

﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ١٨﴾ كان النبي ﷺ من أقوى الناس قلباً وأشدهم بأساً، فأخبره الله سبحانه وتعالىٰ أنه لو اطلع عليهم لامتلأ منهم رعباً وفزعاً؛ لما جعل الله عليهم من الصور التي لا تتحمل طبيعة البشر النظر الطويل إليها لما ألبسهم الله من أسباب الفزع وبواعث الرعب الغاية من ذلك والنهاية.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه بعثهم من نومهم الطويل ليعلموا أن رحمة الله تعالىٰ قد أدركتهم، وأنهم قد فازوا برضوان الله سبحانه وتعالىٰ وكرامته، وذلك من خلال مساءلتهم ومناقشتهم مع بعضهم البعض.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ سأل بعضهم بعضاً عند بعثهم من نومهم فقال بعضهم: كم لبثتم في نومتكم هذه؟ فأجابوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم، وفي ذلك دلالة علىٰ أن أجسادهم كانت علىٰ حالها وطبيعتها لم تتغير، وثيابهم لم تبل، وأن أشعارهم وأظافرهم لم تتغير ولم تطل، وأن الله قد أزال أسباب الرعب عن صورهم.

﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[(١)] ثم ردوا أخيراً العلم بمقدار نومهم إلىٰ الله تعالىٰ.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أمر كبيرهم واحداً منهم أن يذهب لشراء الطعام لهم، ولم يخص واحداً بعينه تأدباً لئلا يحسسهم بأنه متأمِّرٌ عليهم، وأنه فوقهم.

---

(١)- **سؤال:** ما وجه نسبة الله القولين إلىٰ جميعهم مع أن كلاً منهما لفريق؟

الجواب: قد قال كلٌّ قولاً إلا أن كلهم ردّ علم ما اختلفوا فيه إلىٰ الله؛ لأن كل قائل منهم إنما استند في قوله إلىٰ الظن والتخمين.

وفي هذا دلالة على أنه إذا كان هناك مجموعة في سفر أو نحوه فإنهم يُكَبِّرون واحداً منهم ويؤمِّرونه عليهم، ويجعلونه مسؤولاً على احتياجات رحلتهم وحلهم وترحالهم.

وفيه دلالة على أن يتحلى من كان كبيراً منهم بهذه الآداب بأن يظهر لهم التأدب وعدم التعنيف بهم، وأن يشاورهم في جميع أمورهم، وكانت ورِقهم دراهم من فضة كانت معهم.

﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ فليذهب أحدكم إلى المدينة لجلب الطعام، وليتخير الحلال الطيب منه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ وليتخذ من يذهب منكم الحذر الشديد؛ لئلا ينكشف أمرنا للملك.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ ولا يخبر أحداً بموقعنا كائناً من كان.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ إنهم إن عرفوا بأمركم ومكانكم فسوف يأتون لقتلكم أو تعذيبكم إلى أن ترجعوا إلى دينهم.

وكان هذا الكهف قريباً من مدينتهم، وكانوا قد اختبئوا فيه تلك الليلة من تعبهم ليستريحوا فيه، ويناموا ليلتهم إلى أن يدبرهم الله سبحانه وتعالى لمخرج وطريق يسلكونه، ومكان يأوون إليه، فأنامهم الله تعالى في ذلك الكهف.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ كشف الله سبحانه وتعالى للناس قصة أهل الكهف وأظهر أمرهم بتدبير منه بالرغم من تخفيهم الشديد، وحرصهم على ألّا يطلع أحد على أمرهم، ولكن حكمته اقتضت أن يظهر أمرهم لجميع الناس، فذاع خبرهم وقصتهم واشتهر بين جميع سكان المدينة، فلحقوا بهم إلى الكهف ليتعرفوا على أخبارهم وشأنهم وقصتهم عن قرب، وقد أخبرهم أهل الكهف بقصتهم وشأنهم، وأخبروهم عن

أسمائهم، وظهر لهم كم لبثوا نياماً بداخل الكهف، وكان السر والحكمة في ذلك ليعلم الناس أن وعد الله سبحانه وتعالى حق، وأنه قادر على أن يبعث الناس بعد موتهم، وأنه سيحشرهم يوم القيامة؛ لأنهم إذا رأوا وعرفوا أمر أصحاب الكهف ونومتهم مئات السنين عرفوا أن الله على كل شيء قدير، وأنه قادر على أن يحيي الموتى، ولئلا يكون لهم سبيل بعد ذلك إلى إنكار البعث بعد الموت.

إذاً فهناك حكمتان من بعثهم: الأولى: ليعرفوا كرامة الله سبحانه وتعالى لهم. والثانية: ليطلع الناس على قدرته على البعث والإحياء بعد الموت.

﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ كان الناس قد لحقوا بهم لينظروا شأنهم وقصتهم، وبعد أن عرفوا ما جرى عليهم دخل هؤلاء الفتية الكهف، فأماتهم الله تعالى مكانهم، ثم إن الناس اختلفوا فيما بينهم فبعض منهم أشار بأن يضعوا بناءً عليهم.

﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴿٢١﴾﴾ وكانت الغلبة والدولة للمؤمنين(١)؛ لأنهم كانوا الكثرة ذلك الوقتَ فاتفقوا على أن يبنوا عندهم مسجداً؛ ليكون ذلك المكان مقصداً للناس يتعبدون فيه إظهاراً لشرف هؤلاء الفتية وكرامتهم عند الله سبحانه وتعالى، وللتبرك بالصلاة فيه.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن اليهود مختلفون فيما بينهم حول

(١)- **سؤال:** يقال: المشهور عند المفسرين أو أغلبهم احتمال أن يكونوا من المؤمنين وأن يكونوا من غيرهم، فمن فضلكم ما هو الوجه في ترجيح كونهم من المؤمنين؟ وهل يصح أن يستدل بهذه الآية: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴿٢١﴾﴾ على جواز البناية والتسقيف على القبور؟

الجواب: إنما حملناه على المؤمنين لوجود القرينة وهي: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴿٢١﴾﴾ فذكرهم المسجد يدل على أنهم من أهل المساجد، وليس هناك ما يدل على أنهم من غير المؤمنين، وفي الآية دليل على جواز التسقيف على قبور الصالحين والبناية عليها.

عدد أصحاب الكهف ففريق منهم قال ثلاثة نفر وكلبهم الرابع، وفريق قال خمسة وكلبهم السادس، وأخبره أن أهل هذين القولين إنما يقولون ذلك لا عن حجة ولا دليل، وأنه قول باطل. ومعنى «رجماً بالغيب»: رمياً بالظن والجهل.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وأما فريق منهم فإنهم كانوا يقولون إنهم سبعة وكلبهم الثامن، وأخبره أن هذه المقالة هي الصحيحة بدليل أن الله تعالى لم يردها كما رد تلك المقالتين السابقتين.

﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ وأخبرهم يا محمد أن الله هو العالم بعدتهم، وأنه قد قرر أهل القول الثالث بينما قد كَذَّب المقالتين السابقتين.

﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وأنه لم يعلم بأمرهم إلا القليل من الناس، وهم بعض أهل الكتاب أي الذين قالوا بأنهم سبعة وثامنهم كلبهم.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ نهى الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يجادل أهل الكتاب وأن يكثر معهم الجدال، وإنما يخبرهم بقصتهم كما أخبره في القرآن، وذلك لأنهم أهل جهل وعناد فلن يقبلوا منه، ونهاه أيضاً أن يسأل أحداً من اليهود عن أخبار أهل الكهف؛ لأنهم لا يعلمون بقصتهم على حقيقتها، وإنما يخبطون في شأنهم وقصتهم لا عن علم ويقين، وإنما يتبعون هواجس وأهواء.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ونهاه الله سبحانه وتعالى أن يعد أحداً بشيء إلا ويعلقه بمشيئته، وذلك أنهم عندما سألوه عن قصة أصحاب الكهف وعدهم بأنه سيخبرهم غداً، فعاتبه الله سبحانه وتعالى على ذلك ونهاه أن يعد أحداً بشيء إلا إذا كان معه خبر من الله سبحانه وتعالى بأنه سينجزه له فلا بأس بذلك، وقد قيل إنه بسبب ذلك رفع عنه الوحي نحواً من خمسة عشر يوماً.

وأظن أن ذلك ليس بصحيح؛ لأن الله سبحانه وتعالى لطيف بنبيه ورحيم به، ولا يريد أن يحزن نبيه أو يظهره في صورة الكذاب بين الناس، ويعرضه لسبهم ورميهم له بالكذب، وإنما كان ذلك تعليماً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يقطع في شيء إلا بأمر وإذن منه، وأن لا يعد أحداً بشيء ليس في يده ولا تحت قدرته، كما كان منه في وعده لليهود بأنه سيخبرهم بقصة أهل الكهف مع أن ذلك ليس في يده ولا زال في علم الله سبحانه وتعالى لا يعلم ما مراده فيه، وهل سيخبره بشأنهم أم لا، فنهاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك، وأن لا يقطع في شيء إلا وقد أذن له فيه؛ لأن حكمته قد لا تقتضي ذلك الشيء الذي قد وعدهم به.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾[1] أمره الله سبحانه وتعالى أن يكون ذكره على قلبه في كل وقت وحين، وأن يتذكر أوامره له وتعاليمه، ويعمل بها.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴿٢٤﴾﴾ وأمره أن يسأله أن يطلعه على المزيد من آياته وعجائبه، كقصة أهل الكهف وغيرها من الآيات.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴿٢٥﴾﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبرهم بأنه وحده العالم بمدة لبثهم في الكهف، وأنهم قد لبثوا ثلاثمائة وتسع سنين، وأمره بأن لا يعتمد على أخبار اليهود فهو أعلم منهم، وأن لا يثق بأخبارهم على الإطلاق، ولا بما ينقلونه من الوقائع والأحداث، وقد أجمع المسلمون على أنه لا وثوق بأخبار بني إسرائيل؛ لأن كتبهم قد أصبحت محرفة، فهو وحده العالم؛ لأنه المختص بعلم غيب السماوات والأرض مستقبلها وماضيها، ولا أحد يشاركه في ذلك.

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل هذا على أنه إذا نسي من تعليقه بالمشيئة أن يذكر الله سبحانه عند ذكره؟

الجواب: يصح أن يحمل على ذلك، وقد دخل ما ذكرتم تحت ما ذكرنا في التفسير.

وقد قيل: إن ثلاثمائة سنة شمسية تساوي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، ويحتمل أنها ثلاثمائة وتسع سنين شمسية أو قمرية.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾[1] الله تعالى هو العالم بمدة نوم أهل الكهف دون أهل الكتاب، وهو تعالى المختص بعلم مغيبات السماوات والأرض، لا يغيب عن علمه لفظة لافظ ولا همسة هامس ولا صوت وإن دق، ولا يغيب عن علمه متحرك ولا ساكن، وسع كرسيه السماوات والأرض.

﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ليس للمشركين إله يعبد غير الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يشرك أحداً في ملكه وتدبيره لأمر السماوات والأرض وما بينهما.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن يستمر على تلاوة آيات القرآن عليهم، وتبليغهم ما أوحي إليه، وأن لا تفتر عزيمته أو تضعف معنوياته لمصادمتهم له بالتكذيب والاستهزاء، وأن لا يبالي بتكذيبهم واستهزائهم.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ وأخبره بأن النصر سيأتيه وأن دينه سيظهر على جميع الأديان، وأخبره أنه لن يبدل وعده هذا، وحثه على الصبر والاستمرار على تبليغ الحجة.

---

(١)- **سؤال:** لو أعربتم: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ وتحدثتم عن هذا الأسلوب وماذا يعني على ضوء إعرابه، فالمرشد في أمس الحاجة إلى معرفته؟

الجواب: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ أبصر: فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر للتعجب، والباء حرف جر، والضمير في «به» هو الفاعل زيدت فيه الباء لإصلاح اللفظ أي: أن الفعل الماضي جاء على صورة الأمر فاستدعى ذلك زيادة الباء لمشابهته للأمر.

﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ وأخبره أنه لن يجد أحدا يلتجئ إليه أو يسند ظهره إليه إلا الله سبحانه وتعالى.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في خلال دعوته إلى الله سبحانه وتعالى وإلى الإسلام قد استجاب له ضعاف الناس وفقراؤهم، بينما أولئك الأشراف وأهل الغنى والوجاهة قد كذبوا به، فأمره الله سبحانه وتعالى بأن يمكث بين أولئك الضعاف، فهم الذين انقادوا لله سبحانه وتعالى، واستسلموا له خاضعين له بالدعاء والتوسل، وأمره أن يتخذهم جلساء له، وأن لا ينظر إلى غيرهم من أهل الدنيا بل يعرض عنهم كل الإعراض ولا يلتفت إليهم في أي شيء من أمور دنياهم على الإطلاق، ولا ينظر إلى ما هم فيه نظر إعجاب بما أوتوا من الأموال ومن زينة الدنيا أو نظر الاستعظام لما هم فيه من النعيم والترف فهو حقير عند الله سبحانه وتعالى، وأخبره أن هؤلاء الضعاف أعظم جاهاً وأرفع قدراً من أولئك المتكبرين، ونهاه أن يميل نظره عنهم أي ميل، أو يرفع نظره عنهم.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ ونهاه أن يستمع إلى أهل الدنيا أو أن يستجيب لهم في أي أمر من أمورهم أو أن يميل إليهم أي ميل؛ لأنهم غافلون كل الغفلة عن الله سبحانه وتعالى فهم عبيد أهوائهم وشهواتهم.

والمراد بـ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾ هو أن الله سبحانه وتعالى قد أعطاهم الجاه والشرف والعز والأموال والتجارات التي هي أسباب غفلتهم، فنسب الإغفال إليه عندما أعطاهم الأسباب التي غفلوا بسببها[1].

---

(١)- **سؤال:** هل يستدل على هذا الكلام بقول الملائكة: ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان]؟

الجواب: نعم ذلك دليل على صحة التفسير الذي ذكرناه.

ألا ترى لو أعطى رجل ولده النقود، ثم إن هذا الولد انحرف بسببها فإن الناس سيقولون: إن أباه هو الذي خذله، وجعله منحرفاً، وسينسبون ذلك إليه، مع أنه لم يفعل إلا السبب فقط، والله سبحانه وتعالى قد نسب الإغفال إليه لفعله ما هو سببه.

ولو كان الأمر كما يزعمه بعضهم لكان ظالماً في تعذيبهم على فعله للغفلة فيهم.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴿٢٨﴾﴾(١) بعيداً عن الحق. يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه هنا والمراد به أصحابه؛ لأنه بعيد كل البعد عن اتباع أهل الأهواء والشهوات؛ لأنه في الدرجة العليا من الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والتنزه عن هذه الأعمال.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وأخبرهم يا محمد أن الحق هو ما قد جاء به ربهم، وأوحى به إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقط، وأن غير ذلك ضلال وباطل.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ فقد وضح الله سبحانه وتعالى لخلقه الحق وبينه على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالحجج والبراهين القاطعة، وجعل لهم العقول التي يميزون بها بين الحق والباطل، ثم وكل كل واحد إلى مشيئته واختياره فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾(٢) وأخبر أنه قد أعد لمن عصاه وتمرد عليه ناراً محاطاً عليها بسور لا يستطيعون الهروب منها أو الخروج دائماً وأبداً.

ومعنى «سرادقها» أي: سور كالبناء الذي يمنع الدخول والخروج.

والظالم هو الذي يضع الحقوق في غير مواضعها، والمشركون بعبادتهم الأصنام سموا ظالمين؛ لأنهم عبدوا من لا يستحق العبادة.

---

(١)- **سؤال:** مم أخذت هذه الكلمة أو ما أصل اشتقاقها؟

الجواب: أخذت من قولهم: «فرس فرط» أي: متقدم للخيل.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الآية عامة في كل ظالم أم أنها خاصة بالمشركين؟

الجواب: الآية عامة في المشركين وغيرهم من الظالمين.

﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴿٢٩﴾﴾ وإذا طلبوا من يغيثهم فإن ملائكة العذاب ستغيثهم بماء من حميم إذا قربوه من وجوههم ليشربوا شواها وأحرقها من شدة غليانه.

والمهل: هو النحاس الذي أغلي عليه في النار حتى أذيب من شدة الحرارة، والمراد أن هذا الماء كالمهل في حرارته، فقد ورد أن شرابهم من صديد أهل النار وقيحهم، وهو أقبح الشراب وأشنعه.

وأخبر أيضاً أن لا مكان يرتفقون إليه ويأوون فيه إلا النار، وأن لا مفر لهم ولا مهرب غيرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ[١] إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ ثم أخبر أن من آمن به وامتثل لأوامره واجتنب ما نهاه عنه فإنه لن يضيع عليه شيء من أجور أعماله هذه، وأنه سيثيبهم جنات إقامة دائمة تجري الأنهار في بساتينها لا تنقطع دائماً وأبداً.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ تكون أسورتهم فيها من الذهب يتزينون بها، ويكون لباسهم من السندس والإستبرق والمراد بهما الحرير الغليظ والرقيق، **فالسندس:** هو الرقيق، **والإستبرق**: هو الغليظ.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ يجلسون على الأرائك والسرر مع أصحابهم للراحة وتبادل الحديث فيما بينهم كما كانوا في الدنيا، فلا شغل لهم إلا التنعم والتلذذ فيها فمرة مع الأصحاب والإخوان، ومرة عند الحور ومرة هنا ومرة هناك.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً أين خبر اسم إن ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾؟

الجواب: الخبر جملة: ﴿أُولَئِكَ...﴾ و﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾ اعتراض.

﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾[١] فثوابهم في غاية العظمة والحسن والنعيم، وحَسُنَ مُرْتَفَقُهم فيها ومأواهم الذي يأوون إليه.

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يضرب لقريش مثلاً وهو: رجلان جعل الله سبحانه وتعالى لأحدهما بستانين من الأعناب وعلى أطرافهما النخل وبين أوساطهما الزرع.

﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ وأن كلاً من هذين البستانين قد أخرج ثماره صالحة كلها، لم ينقص أو يفسد منها شيء.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ وبين وسط هاتين الجنتين نهر يجري.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ وقد امتلأت مخازن هذا الرجل بالثمار.

﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ فقال هذا الرجل لصاحبه مفتخراً عليه بما أعطاه الله سبحانه وتعالى من النعيم ومحتقرا له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤﴾ ومعنى «أعز نفراً»: أنه من قبيلة كبيرة وقوية.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ[٢] هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝٣٦﴾ دخل جنته وهو معجب بكثرة ما معه من الثمار والبساتين، غير شاكر لله سبحانه وتعالى بما أنعم عليه، ناسٍ لنعمته عليه.

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾؟

الجواب: حسنت: فعل ماض للمدح، وفاعله ضمير مستتر وجوباً، ومرتفقاً: تمييز مبني للفاعل.

(٢)- **سؤال:** ما السر في فصل: ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ﴾ وعدم عطفها على ما سبقها؟

الجواب: لم تعطف لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر فكأن قائلاً يقول: فماذا قال ذلك الظالم المغرور؟ فقيل: قال...إلخ.

وأخبر الله تعالىٰ أنه ظلم نفسه بفعله هذا وظنِّه أنه لن يزول هذا النعيم الذي هو فيه، وأن الله سبحانه وتعالىٰ لم يعطه هذا النعيم إلا وهو راضٍ عنه، وبطر نعمة الله سبحانه وتعالىٰ عليه حتىٰ كفر بالله سبحانه وتعالىٰ، وأنكر البعث والحساب، وزعم أنه لو فرض وأن الساعة حق فإن الله تعالىٰ سيعطيه خيراً من هذا النعيم؛ لأنه في زعمه أهل لذلك، ومعنىٰ «منقلباً» مرجعاً وعاقبة.

يخاطب صاحبه بذلك وهو في غاية التكبر والزهو بنفسه والغرور.

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝٣٧﴾(١) تعجب واستنكر الفقير علىٰ صاحبه كيف يكفر بالله سبحانه وتعالىٰ مع أنه عارف بأنه الذي خلقه من التراب، وأوجده من العدم؟!! وأنه كان من المفترض عليه أن يشكر الله علىٰ ما أنعم به عليه، لا أن يقابل نعم الله عليه بالكفران.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي(٢) وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٨﴾ بعد أن أكمل عتاب صاحبه الكافر استدرك فقال: أما أنا فلن أشرك بالله سبحانه وتعالىٰ مثلك.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ يعظ صاحبه ويذكره بأنه من المفترض أن يذكر الله سبحانه وتعالىٰ عند دخوله إلىٰ جنته، ورؤيته للنعيم الذي هو فيه، وأن يعترف -بدل الجحود- لله تعالىٰ بأنه الذي تفضل عليه،

---

(١)- **سؤال:** كيف سمىٰ الله هذا الكافر صاحباً لهذا المؤمن مع الفرق الشاسع بينهما في العقيدة؟

الجواب: الصاحب اسم إضافي لا يقال: صاحب إلا إذا كان ثم مصحوب سواء أكانا كافرين أم مؤمنين أم مختلفين، هكذا جاء في اللغة العربية قال تعالىٰ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾ [التكوير].

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾؟

الجواب: «لكنا» أصلها: لكن أنا حذفت الهمزة ثم أدغمت النون في النون فصار «لكنا»، و«أنا» مبتدأ و«هو» مبتدأ ثان، و«الله» مبتدأ ثالث، و«ربي» خبر المبتدأ الثالث، والجملة خبر الثاني والثاني وخبره خبر المبتدأ الأول.

وأن كل ما معه لاحول له فيه ولا قوة، بل هو بحول الله وقوته، وأنه لولا الله سبحانه وتعالى لما استطاع أن يكون في هذا النعيم الذي يتقلب فيه، وأن يتواضع لله سبحانه وتعالى ويتبرأ من حول نفسه وقوته، ولكنه أخطأ رشده وأصر على الجحود وكفران النعمة.

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا۝٣٩ فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ[1] خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ إن كنت تراني لا مال لي ولا ولد فإن أملي لا زال متعلقاً بالله سبحانه وتعالى وبفضله، ولا زلت واثقاً بأنه سيعطيني أفضل مما عندك.

﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا۝٤٠﴾ وأنه لا يصعب على الله تعالى أن يدمر جنتك هذه في ليلة واحدة فلا يصبح عليها الصباح إلا وقد أصبحت أرضاً جرداء لا حياة ولا خضرة فيها، حتى يكاد أن يزلق عليها.

ومعنى «حسباناً» الحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي: مقداراً قدره الله وحسبه، وقيل: عذاب حساب ما كسبت يداك، وقيل غير ذلك.

وهذا إيذان بأن من لا يشكر نعمة الله سبحانه وتعالى عليه فإنها تكون قريبة الزوال.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا۝٤١﴾ أو ينزل ماؤها إلى باطن الأرض فلا تستطيع أن تدركه حتى تيبس أشجارك وبساتينك.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا۝٤٢﴾[2] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه

---

(١)- **سؤال:** ما السر في حذف الياء من قوله: ﴿يُؤْتِيَنِ﴾؟

الجواب: حذفت للتخفيف وهو حذف قياسي.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿يَالَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا۝٤٢﴾ يعتبر توبة من هذا الرجل أم لا؟

الجواب: ليس ذلك توبة؛ لما يظهر من السياق، ومن أن ندمه لم يكن إلا من أجل هلاك جنته وذهاب ماله.

فعلاً قد أنزل على بساتينه سخطه ودمرها جميعاً، فلما رآها على تلك الحال أخذ ينادي بالويل والثبور، وأصابه الندم الشديد على كفره لنعمة الله سبحانه وتعالى عليه وإشراكه به، ومعنى «خاوية على عروشها» تهاوت الأعمدة والعيدان التي تمدد عليها أغصان العنب وثماره، فتهاوت بالأعمدة والعيدان وتهاوت فوقها أغصان العنب وفروعه وثماره.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه عند نزول عذابه لم يكن مع هذا الكافر من ينصره أو يدفع عنه عقابه، وأنه لن يستطيع أن ينصر نفسه أو يدفع هذه النازلة التي نزلت به.

﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ فإذا نزل عذابه وسخطه على أحد فلن يستطيع أحد أن يدفعه؛ لأن الملك ملكه والسلطان سلطانه، ومقاليد السماوات والأرض بيده وحده، ومعنى الولاية: النصرة فالله تعالى هو القادر على نصر من أراد من عباده فإذا أنزل الله عذابه على أحد فلا أحد مقدر على دفعه ورده إلا الله.

وأخبر أنه إذا أثاب أحداً فإن ثوابه يكون عظيماً، وأنه إذا عاقب أحداً فإن عقابه يكون شديداً، يريد بذلك أن يحذر الناس فيجتنبوا ما يسخطه ويغضبه، وأن يطلبوا رضاه ورحمته بعمل ما يرضيه.

هذا مضمون القصة والمثل الذي أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يضربه لقريش؛ لينظروا كيف كانت عاقبة من كفر بنعم الله تعالى عليه؟ وكيف تكون عاقبة من آمن بالله تعالى؟ ليحذروا عاقبة كفرهم لنعم الله عليهم وبطرهم واستهزائهم بالله سبحانه وتعالى وبنبيه ﷺ وبما جاءهم به، وأن لا يجحدوا نعمه العظيمة عليهم إذ جعلهم أهل حرمه، آمنين في جميع بلاد العرب يسيرون أينما شاءوا فيها، لا أحد يعترضهم بمكروه، بينما بقية العرب في خوف وقتل وقتال، وكانوا يسمونهم أهل الله وسكان حرمه، وأيضاً كان الرزق يأتيهم من جميع بقاع الأرض لا ينقطع

عنهم، وجعل لهم جاهاً ورفعة وشرفاً في الدنيا على جميع الناس، وكانوا أهل ثراء وتجارات واسعة، فكان من المفترض بدل كفرهم بالله سبحانه وتعالى وبنعمه وإفسادهم في الأرض أن يشكروا نعمه عليهم، ويعترفوا بفضله عليهم، وأن يؤمنوا به وبرسوله، وبما جاءهم به من الدين.

ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يضرب لهم مثلا آخر فقال:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ(١) بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ شبه الله تعالى لهم سرعة زوال هذه الحياة الدنيا، وأنها ليست دار بقاء بماء ينزل من السماء فتنبت به الخضرة والشجر والزرع فلا يلبث في نضارته وخضرته إلا قليلاً، ثم يصير بعد ذلك هشيماً يابساً تُطِيرُهُ الرياح في كل مكان، فحال الدنيا كحال هذا النبات، فما إن تنساق وتعطي زينتها لأحد حتى تذهب ببهجتها وزينتها وكأنَّ شيئا لم يكن.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا۝٤٥﴾ فهو الذي يأتي بالخضرة ويزيلها، وهو الذي بيده الحياة والموت.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المال والبنون هما مطلب الإنسان وغاية

---

(١)-**سؤال:** ما وجه الحكمة في التعبير بالاختلاط عن إنبات الماء للشجر؟

الجواب: في ذلك التعبير أسرار ونكت بيانية:

١- المجاز العقلي أي: إسناد الفعل إلى نبات الأرض.

٢- بيان أن الماء كثير من حيث أن المخلوط فيه أكثر من الطارئ.

٣- القلب، نظير قولهم: عرضت الناقة على الحوض، وقول الشاعر: كما طينت بالفدن السياعا.

٤- في الاختلاط أكثر من معنى حيث يدل على ارتواء النبات بالماء وانتفاعها به انتفاعاً ظاهراً فنمت وأورقت واخضرّت.

٥- أن نبات الأرض كان عاطشاً وقت نزول المطر ومحتاجاً إليه غاية الحاجة وذلك من حيث أن النبات بادر إلى الاختلاط بالماء والانتفاع به.

رغبته في هذه الحياة الدنيا[١].

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴿٤٦﴾﴾ والباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة من الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبرسله وكتبه والامتثال لأوامره ونواهيه، فأخبرنا أن اكتساب الأعمال الصالحة أفضل عند الله سبحانه وتعالى من المال والبنين، وأن عاقبتها عظيمة عنده تعالى وهي الثواب والفوز بالجنة.

ولا مانع أن يكون المرء ذا مال وبنين ولكن لا يكون عبداً لهما حتى يسيطرا عليه، ويضيعا عليه دينه، فلا بأس أن يكون له مال وبنون ولكن ليسخره في طاعة الله سبحانه وتعالى، ويستعمله فيما يرضيه، ويؤدي الحقوق التي تجب عليه في ماله وولده، وأولاده فلا يطيعهم في معصية الله سبحانه وتعالى فيكونوا سبباً في ضياع دينه إما بأن يكتسب المال الحرام من أجلهم، أو يعصي الله تعالى لأجل أن لا يلحقهم مكروه، بل ينبغي أن يجعلهم سبباً وعوناً له في طاعة الله سبحانه وتعالى، فكل امرئ يستطيع أن يجمع بين المال والإيمان.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴿٤٧﴾﴾ يذكِّرُ الله سبحانه وتعالى عباده بيوم القيامة وبما يحصل فيها من نسف الجبال وتفتيتها حتى تصير الأرض كلها قاعاً مستوية وصعيداً واحداً، ثم يحشر الناس على ظهرها جميعاً حتى يستطيع الرائي أن يراهم جميعاً، وذلك أن الله سبحانه وتعالى سوف يقوي بصر الرائي ليرى أهل الموقف، وكذلك البحار سيذهب

---

(١)- **سؤال:** هل نفهم أن تشبيههم بالزينة من هذه الناحية التي ذكرتموها أم ماذا؟

الجواب: المراد بأن ذلك زينة هو ما ذكرنا من حيث إنها زانت في أعين أهل الدنيا واشتدت رغبتهم فيها وطبعوا على الميل إليها لذلك نرى أهل الدنيا من الأولين والآخرين قد أفنوا أعمارهم في طلب تلك الزينة وتحصيلها وما زالوا كذلك ولن يزالوا إلا من عصم الله وقليل ما هم.

ماؤها، وسيسوي باطن الأرض بعاليها، وسيحشر الله سبحانه وتعالى كل حيوان خلقه على وجه الأرض، وكل ذلك ليعلم أولئك المنكرون للبعث صدق ما كانوا يكذبون بوقوعه من البعث بعد الموت، ثم بعد ذلك يدخلهم الله سبحانه وتعالى جهنم، وسيدخل[١] معهم كل تلك الحيوانات التي كانوا يخافونها في الدنيا، وتشمئز منها أنفسهم، وسينعمها الله تعالى بتعذيبهم، وستتلذذ بذلك كما يتلذذ أهل الجنة بنعيمهم.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يحشرهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة فيعرضون للحساب ولا شيء معهم كما كانوا عند خروجهم من بطون أمهاتهم، وقد قال بعضهم: إنهم سيكونون عراة[٢] وقد اعترض ذلك الهادي عليه السلام بأن ذلك قبيح[٣] على الله سبحانه وتعالى، وقال: إن كل

---

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ هذا؟ وهل المراد أنها تدخل معهم جهنم؟ فكيف تتنعم فيها؟ أم المراد غير ذلك فما هو؟

الجواب: أخذ ذلك مما جاء في السنة في حيات جهنم وعقاربها، ويدخلها الله تعالى جهنم للتنعم فيها بلحوم الكافرين ودمائهم وتعذيبهم، وتكون نار جهنم برداً وسلاماً عليها كما تكون برداً وسلاماً على خزنتها من الملائكة المقربين الموكلين بتعذيب أهل النار.

وقد ذكر الله تعالى أنه سيبعثها يوم القيامة ويحشرها، ولو أدخلها الله تعالى الجنة لنغصت نعيم أهل الجنة لصورها المنفرة التي جبل الناس على الخوف منها والاشمئزاز عند رؤيتها، والمعلوم أن كل ما أعده الله لأوليائه في الجنة من أنواع الثواب حسن وجميل لا يشوبه ما ينفر أولياءه ولا يوجد ما ينغص عليهم نعيمهم.

(٢)- **سؤال:** هل في قوله: ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دليل على هذا؟

الجواب: قد استدلوا بهذه الآية على أنهم يبعثون عراة، إلا أن المعنى الذي تعطيه الآية هو: جئتمونا فرادى من الأنصار والأعوان والأموال، وهم فرادى وإن بعثهم الله تعالى مستوري العورات.

(٣)- **سؤال:** إذا قيل: إنهم مشغولون بأنفسهم، أو يكون لهم كالحاجب عن النظر، فهل =

إنسان سيحشر في كفنه.

وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كيف سيحاسب الله تعالى الناس جميعاً في ساعة واحدة؟ فأجاب: كما أنه يرزقهم جميعاً في ساعة واحدة، فكذلك سيحاسبهم.

فهو قادر على ذلك ولا يعجزه شيء، وقد وصف نفسه بأنه سريع الحساب، وسيكون حسابه دقيقاً مع سرعته، وكذلك سيطلع الناس على أعمالهم وفضائحهم حتى إن صاحب النار لن يدخل النار إلا وقد عرف الناس جميعاً أنه يستحقها، ويشهد على نفسه باستحقاق دخولها، وأن الله سبحانه وتعالى عدل حكيم لا يعذب أحداً إلا بذنبه، وكذلك الأعمال المعنوية التي لا تدرك بالحس والمشاهدة سيجعلها الله سبحانه وتعالى في صورة حسية حتى يستطيع أن يراها جميع الناس(١).

وأما المؤمن التائب فلن يفضحه الله تعالى ولن يكشف ستره، غير أنه سيطلعه على عظيم رحمته به عندما يريه أعماله وذنوبه ويخبره بأنه قد سترها عليه لأجل توبته ورجوعه، ولن يراها أحد غيره ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق].

﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۝٤٨﴾ وسيخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين عندما يرون ذلك بأن هذا الذي كنتم تنكرون حدوثه، وها أنتم اليوم

يرتفع القبح؟

الجواب: طبيعة البشر وجبلَّتهم التي جبلوا عليها هي استقباح كشف العورة بين الملأ، وقد يرتفع القبح لوجود ما يقوم مقام الستر مثل انشغال كل فرد بنفسه، والمسألة ليست قطعية، والله أعلم.

(١)-**سؤال:** لو أوردتم دليلاً على هذا لكان مناسباً؟

الجواب: الدليل على ذلك هو ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٤﴾ [النور]، والذي يظهر لي والله أعلم أن شهادة الجوارح تكون بإظهار صورة العاصي وعمله الذي عمله في الدنيا بلسانه أو يده أو رجله أو... صورة متحركة أبلغ من صورة الفيديو، والله أعلم.

تشاهدون ما أنكرتموه فذوقوا الجزاء على تكذيبكم وكفركم.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً[(١)] وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ وهي الكتب التي أحصيت فيها أعمالهم، فعندما يرى المجرمون ما كتب فيها من أعمالهم القبيحة ويشاهدون فضائحهم سينادون بالويل والثبور مما أحصي عليهم من الأعمال التي عملوها في الدنيا، ولم يَضِعْ منها شيء لا صغيرها ولا كبيرها.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ فإذا وجدوا جميع أعمالهم[(٢)] التي قد عملوها في الدنيا فعندها سيجازيهم الله سبحانه وتعالى على صغيرها وكبيرها حتى أنهم سيحسون بألم عذاب كل معصية عملوها، وسيكون عذاب كل شخص بمقدار سيئاته[(٣)]، لا يزيد ولا ينقص مما يستحقه شيء.

---

(١)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً﴾؟

الجواب: «يا» حرف نداء، و«وليتنا» منادى مضاف منصوب والضمير مضاف إليه، «ما» اسم استفهام مرفوع المحل مبتدأ. و«لهذا» جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، و«الكتاب» بدل من هذا. ينادون ويلتهم -أي: هلاكهم- ليحضر فهذا أوان حضوره. «لا يغادر صغيرة...» لا: نافية، ويغادر: مضارع مرفوع وفاعله مستتر، وصغيرة: مفعول به، والجملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا تستنكرون في كتابكم؟ فقالوا: لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

(٢)- **سؤال:** هل المراد وجود أعمالهم في الصحائف أم وجود آخر فما هو؟

الجواب: يحتمل أمرين:

الأول: أنهم وجدوا أعمالهم السيئة مكتوبة في الصحائف.

الثاني: أنهم وجدوا جزاء أعمالهم السيئة حاضراً أمام عيونهم.

وكلا الاحتمالين صحيح لأن المعنى في الأول: وجدوا أعمالهم التي يستتبعها الجزاء العظيم.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: فكيف يصح في عدل الله سبحانه وتعالى أن يخلد من ارتكب كبيرة واحدة من المسلمين ويجعله كمن أغرق نفسه في الكبائر والسيئات طيلة عمره من الكافرين =

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ قصة الملائكة مع آدم وما كان من إبليس، وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب، ثم إنه أمر الملائكة وإبليس معهم بالسجود فامتثلوا لأمره، وتواضعوا لعظمته، واستجابوا وسجدوا.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ إلا إبليس فإنه استكبر عن أمر ربه ورفض أن يسجد لبشر من تراب، وكبر ذلك الأمر في نفسه.

وقد كان إبليس من مؤمني الجن(١) والعُبَّاد لله سبحانه وتعالى فرفعه الله سبحانه وتعالى بين الملائكة؛ لأن بقية الجن كانوا قد خرجوا عن طاعة الله وعصوا أوامره(٢)

والفاسقين على قود مذهبكم أيها العدلية فبماذا يجاب عليه؟

الجواب: يقال في الجواب على هذا الاستشكال: فعل المعصية الكبيرة والإصرار عليها وعدم الندم على فعلها وعدم التوبة إلى الله والاعتذار لديه متنافٍ مع الإيمان فإذا حصلت المعصية وعدم التوبة منها انتفى الإيمان، فلو كان تعظيم الله ومهابته والخوف منه واليقين بعذابه باقياً في نفس العاصي لبادر إلى الندم والتوبة والاعتذار إلى الله، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝١٧٥﴾ [آل عمران].

(١)- **سؤال:** يقال: وكيف سنحمل إطلاق أمير المؤمنين عليه السلام بأنه طاووس الملائكة وكذا ما في كلامه المشهور: (ما كان الله ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً)؟

الجواب: نصت هذه الآية: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أن أصل إبليس من الجن فلزم لذلك حمل كلام أمير المؤمنين عليه السلام على التجوز بنسبته إلى الملائكة لانضمامه إليهم وسلوكه سبيلهم في عبادة الله.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم أن الله رفعه إلى الملائكة وأن إخوانه من الجن عصوا وتمردوا جميعاً؟

الجواب: فهمنا ذلك من دخوله في الأمر الموجه إلى الملائكة فلو لم يكن من جملتهم ومعهم لما شمله الأمر ولما صح استثناؤه، وفهم أن إخوانه من الجن تمردوا جميعاً وفسقوا أن الله تعالى بين علة عصيان إبليس بقوله في هذه الآية: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ وفي آية البقرة: ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۝٣٤﴾، فعلم أن الجن كانوا حينها كافرين.

وقد بقي وحده بينهم يعبد الله سبحانه وتعالى فرفعه الله تعالى إلى الملائكة ليتعبد معهم، وعندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم أمر ملائكته بالسجود لآدم، وقد شمله أمر الله لكونه بينهم فسجد الملائكة كلهم، وأما هو فقد استكبر عن السجود معهم، وكان من الجن الذين كانت طبيعتهم التكبر والتمرد مثل البشر فكانوا يرفضون الانحناء لله سبحانه وتعالى من شدة الكبر الذي فيهم، والفسق هو التمرد عن أوامر الله سبحانه وتعالى.

﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾[1] يستنكر الله سبحانه وتعالى على البشر كيف يتخذون الشيطان وذريته[2] أرباباً من دونه مع أنهم يعرفون العداوة التي بينهم على مدى التاريخ، وكيف يطيعون أوامره ويستجيبون لوساوسه ويسيرون في طريقه.

وإبليس هو رئيس الغاوين والداعين إلى الضلال وكبيرهم، وبقية الشياطين تبعٌ له ينفذون أوامره فهو الذي يدبرهم ويوزعهم، ويعين لكل واحد منهم عمله؛ لأنه صاحب خبرة وتجربة في إغواء الناس، وعارف لمداخل قلوبهم ومن أي طريق يستطيع الدخول عليهم منها.

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾[3] اختار الظالمون طاعة الشيطان ومتابعته، وتركوا

---

(١)- **سؤال:** يقال: لماذا لم يجمع «عدو» مع أن مبتدأه جمع أعني قوله: «هم»؟

الجواب: «عدوٌ» للواحد والجمع والذكر والأنثى، ويصح أن يجمع ويثنى ويؤنث، هكذا قال أهل اللغة.

(٢)- **سؤال:** هل في هذا دليل على أن الجن يتزاوجون فيما بينهم وأنه يحصل لهم الذرية أم كيف؟

الجواب: نعم فيها دليل على أن الجن يتناسلون هذا هو الظاهر، ويحتمل على بعد أن يكون المراد أن الشيطان بمنزلة الأب لأتباعه إلا أنه لا قرينة ظاهرة على هذا المجاز، والأصل الحقيقة.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝﴾؟

الجواب: «بئس» فعل ماض يستعمل للذم وفاعله ضمير مستتر وجوباً، و«بدلاً» تمييز مبين لنوع =

طاعة الله تعالىٰ واتباع أمره، فبئس الاختيار، لقد أخطأوا حظهم ورشدهم.

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴿٥١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه لم يُشهد(١) أحداً خلق السماوات والأرض، لا من الشياطين ولا من المشركين، ولا من غيرهم، وأنه لم يدْعُهُم ولم يستعن بهم عندما أراد خلق السماوات والأرض، وأنه لا ينبغي له أن يتخذ أعواناً من أهل الضلال والجهل والكفر، وما دام الأمر هكذا فلا ينبغي لأحد أن يكون شريكاً له في الربوبية والألوهية، فهو وحده القادر والمسيطر علىٰ السماوات والأرض وما بينهما، وأيُّ مسوغ لهم حتىٰ يزعموا أن مع الله سبحانه وتعالىٰ شريكاً في ملكه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴿٥٢﴾﴾ وكذلك يذكِّرُ الله سبحانه وتعالىٰ المشركين بأنه يوم القيامة سوف يطلب منهم أن يأتوا بالشركاء الذين كانوا يدعونهم معه، فالذين يدعون المسيح سوف يأمرهم بأن يأتوا به، وكذلك الذين يعبدون عزيراً سوف يأمرهم بالإتيان به، وكذلك الذين يعبدون الملائكة والأصنام، ثم إنهم سينادون عليهم، ولكنهم سيرفضون أن يستجيبوا لهم أو يقبلوا إليهم؛ لأنه سبحانه وتعالىٰ قد جعل بينهم وبين شركائهم حاجزاً يمنعهم من الوصول إليهم.

والموبق: هو المكان الذي لا يستطيع أحد أن ينفذ منه.

﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ(٢) النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴿٥٣﴾﴾

الفاعل والتقدير: بئس البدل، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من «بدلاً» كانت في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالاً.

(١)- **سؤال:** هل المراد بالإشهاد الإحضار أم الاستعانة؟

الجواب: المراد الإحضار الذي يكون لغرض الرأي والمشورة والتدبير، هكذا يفيد السياق.

(٢)- **سؤال:** هل يدخل الفساق في عموم ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ وبأي دلالة دخلوا؟

=

يرى المجرمون النار ويعلمون(١) أنه لا مفر لهم منها، وأنهم وقودها.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا۝﴾(٢) أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد نوع لبني آدم الآيات والأمثال في القرآن؛ لأجل أن يؤمنوا، ولكن طبيعتهم هي الجدال بالباطل والتمرد والعصيان.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى(٣) وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا۝﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن المشركين أنهم قد امتنعوا عن الإيمان وقبول ما جاءهم به محمد ﷺ، وسبب امتناعهم هو عدم نزول العذاب(٤) عليهم مثل ما نزل على الأمم السابقة من المكذبين، وأخبر أنهم لن يؤمنوا إلا عند نزول العذاب بهم ومعاينتهم له عندما يكون الأوان قد فات لقبول إيمانهم، وأن حالهم كحال الأمم السابقة سواءً سواءً،

الجواب: الجرم هو الذنب والمجرم هو المذنب، والفاسق مذنب فيكون داخلاً في عموم المجرمين، والدلالة من قبل الظاهر على قول، أو من النصية على آخر.

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن الظن في الآية بمعنى العلم؟ وهل استعماله في ذلك حقيقة أو مجاز؟ وهل في استعماله في العلم سر ونكتة فما هي فقد استعمل في القرآن في كثير من المواضع؟

الجواب: الظن هنا بمعنى اليقين وهو مجاز مشهور كما قيل، والنكتة هي أن المجاز أبلغ من الحقيقة.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما المراد بالشيء في قوله: ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ﴾ والمعلوم أن بقية الأشياء من المخلوقات لا تجادل؟

الجواب: المراد أكثر شيء يتأتى منه الجدل.

(٣)- **سؤال:** هل في قوله في هذه الآية: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ دليل على هدم مذهب المجبرة وأن الهدى قد عمّ المشركين وغيرهم وأن لا سبب للامتناع من الإيمان إلا سوء اختيار أنفسهم؟

الجواب: نعم فيها دليل على هدم الجبر.

(٤)- **سؤال:** الذي يظهر لنظري القاصر بالنسبة لإعراب الآية أن سبب امتناعهم هو عنادهم وتمردهم حتى يستحقوا ما حل بالسابقين أو يعاجلوا بالعقوبة، فكيف؟

الجواب: ما ذكرناه هو بمعنى ما ذكرتم أي: أن الذي منعهم هو التمرد والعناد الذي لا يتركوه إلا عند نزول العذاب.

فلا تطمع نفسك في إيمانهم يا محمد أو تتعبها في ملاحقتهم، فليس عليك أن تكرههم على الإيمان فقد أديت ما عليك، وحسابهم على الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ أرسل الله تعالى الرسل ليبشروا أهل طاعة الله بالثواب، وأهل معصية الله بالعقاب، فما عليك يا محمد إلا تبليغ الرسالة التي كلفت بتبليغها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر؛ وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان قريش أشد الحرص، وكاد أن يقتل نفسه من الأسف والحسرة عليهم، وذلك لأنه قد علم أن الله سبحانه وتعالى سيعذبهم إن لم يؤمنوا فأراد ﷺ أن يستنقذهم من عذاب الله سبحانه وتعالى رحمة وشفقة بهم، فأراد الله أن يقطع طمعه في إيمانهم، وأخبره أنهم لن يؤمنوا أبداً مهما حاول فيهم، وأنهم لن يؤمنوا إلا عندما ينزل بهم مثل ما نزل على الأمم السابقة من العذاب.

﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا﴿٥٦﴾﴾كان المشركون يجادلون النبي ﷺ ويغالطونه ليدحضوا الحق الذي جاءهم به ويدفعوه عن أنفسهم وعن الناس ليمنعوهم من الإيمان، وقد جعلوا آيات الله سبحانه وتعالى وما أنذرهم به محمد ﷺ محل هزؤ وسخرية فيما بينهم، ومعنى «ليدحضوا»: ليبطلوا ويسقطوا.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ[(١)] عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ وأخبر أنه لا أحد أظلم وأمكر من أولئك الذين إذا ذكرهم أحد بآيات الله سبحانه وتعالى أعرضوا عنها، ومع ذلك لا يبالون بالمعاصي التي يفعلونها ولا يحسبون لها أي حساب.

---

(١)- **سؤال:** هل عدم العمل بما دلت عليه الآيات من الأوامر والنواهي يعد إعراضاً؟ وما الدليل على ذلك أيدكم الله؟

الجواب: من ترك الامتثال لأمر الله والانتهاء عن نهيه بعد علمه بأمر الله ونهيه فهو معرض داخل في عموم هذه الآية، والإعراض عن الأمر أو النهي هو ترك العمل به وعدم المبالاة به.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ[١] وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا۝٥٧﴾ فاقطع طمعك يا محمد من إيمانهم فقلوبهم قد غلفت بأغطية فلن ينفذ الهدى إليها أبداً، وهذا مجاز وكناية عن عدم قبولهم الإيمان والهدى، وأخبر أيضاً أن آذانهم مسدودة عن سماع الهدى وهو أيضاً كناية عن عدم قبولهم الحق، يريد الله سبحانه وتعالى أن يحسم طمع نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في إيمان قريش، وأن يترك ملاحقتهم بنصيحته وشفقته ودعوته.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن من صفاته تعالى أنه يغفر لمن تاب ورجع إليه، وأنه ذو رحمة واسعة تعم الناس جميعاً حتى الكافرين فهم في رحمته، وأنه لو يؤاخذهم بما عملوا لأنزل بهم عذابه، ولم يمهلهم لحظة واحدة، ولكنه لرحمته بهم قد أمهلهم وأمدهم بنعمه وتركهم يسيحون في الأرض كيفما شاءوا، وذلك لإكمال الحجة عليهم، فلا يقولون يوم القيامة: بأنك لو تركتنا يا رب وأمهلتنا في الدنيا لعرفنا الحق ولاتبعناه.

﴿بَلْ[٢] لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا۝٥٨﴾ وأنه جعل لهم موعداً

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما محل المصدر: ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ الإعرابي؟

الجواب: محله الجر بالإضافة والتقدير كراهة أن يفقهوه، أو النصب بنزع الخافض، وهذان إعرابان مشهوران عن أئمة الإعراب.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما فائدة الإتيان بالإضراب هنا؟

الجواب: جاء الإضراب هنا لما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ﴾ من أن الله لا يعذبهم بما كسبوا من الذنوب لسعة رحمته ومغفرته، فاقتضى ذلك رد اعتقاد هذا المفهوم، فكانت هذه الآية: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ...﴾ رداً على من قد يكون اعتقد أن الله لا يعذب كفار قريش الذين كفروا برسالة الله وجادلوا بالباطل وأعرضوا عن آيات الله و.. إلخ.

لتعذيبهم؛ فإذا حان موعدهم ذلك فلا مفر لهم حينئذ يهربون إليه.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ[١] مَوْعِدًا۝٥٩﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ بأن تلك القرى التي قص عليه أخبارها كقرى قوم لوط وقوم ثمود وقوم[٢] صالح قد أهلكها بالعذاب في الدنيا واستأصلهم بسبب ظلمهم وتكذيبهم بآياته واستهزائهم بأنبيائه ورسله، وأخبره أنه جعل لكل قرية من تلك القرى موعداً لإهلاكها وتعذيبها، فانتظر يا محمد واصبر فقد قرب موعد تعذيب قريش وهلاكها.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ ثم قص الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ ما كان من موسى مع فتاه، وقد قيل إنه يوشع بن نون، وقد كان وصي موسى من بعده وقد بعثه الله سبحانه وتعالى نبياً بعده، وكان ملازماً لموسى أينما ذهب لخدمته والأخذ عنه.

﴿لَا أَبْرَحُ[٣] حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا۝٦٠﴾ أخبر موسى فتاه

---

(١)- **سؤال:** ما المقصود بقوله: ﴿لِمَهْلِكِهِمْ﴾؟ ومم أخذت أو ما أصلها؟

الجواب: المقصود: لوقت هلاكهم أو لهلاكهم ومَهلِكهم مصدر هَلَك يهلِكُ، أو اسم زمان، وكان القياس فتح اللام كما هو المعروف في «فَعَل يَفْعِل» أما قراءة قالون عن نافع ﴿لِمُهْلَكِهِم﴾ فهي من «أهلك يُهلِك إهلاكاً» والمراد: وجعلنا لإهلاكهم موعداً أو وجعلنا لزمان إهلاكهم موعداً.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما مناسبة الإشارة إلى هذه الأقوام ولم يجر لها ذكر في هذه السورة؟

الجواب: المناسبة هو تطمين النبي ﷺ والمؤمنين بأن عذاب الله تعالى نازل بقريش لا محالة فجاء بالإشارة لإحضار صورة القرى التي أنزل الله تعالى بها عذابه لتكذيبهم لرسله وكفرهم بآياته، وقد كان النبي ﷺ والمؤمنون عالمين بما أنزل الله بأهل تلك القرى من العذاب إلا أن الدليل الحسي الذي تعطيه الإشارة أقوى تأثيراً من غيره.

(٣)- **سؤال:** فضلاً أين خبر: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾؟

=

بأنه سوف يستمر في السفر والطلب حتى يبلغ مكان النبي الخضر ويلاقيه، وأنه سوف يبحث عنه ولو مكث في البحث عنه مئات السنين[١].

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴿٦١﴾﴾

عندما وصل موسى عليه السلام وفتاه مجمع البحرين[٢] كان معهما حوت، فنظر الفتى إليه فإذا به قد قفز إلى البحر وقد خَدَّ فيه طريقاً بقيت بعده لمدة، وقد جعل الله سبحانه وتعالى ذلك علامة لموسى ليهتدي بها إلى مكان الخضر عليه السلام، ومعنى «سرباً» أن الله تعالى أمسك الماء فبقي طريق الحوت ومدخله كبيوت الحيوانات التي تحفرها في الأرض.

الجواب: محذوف تقديره: لا أبرح مسافراً.

(١)- **سؤال:** إذاً فما الوجه في الإتيان بها على سبيل التخيير في قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴿٦٠﴾﴾؟

الجواب: أتى بحرف التخيير لأن المقصود أن موسى عليه السلام عزم وصمم على السير إلى أن يحصل على واحد من أمرين إما أن يبلغ المكان الذي يلتقي فيه البحران وإما أن يمضي في السير حقباً، وهذا التخيير مثل التخيير فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه)) فجاء التخيير ليفيد أنه مصمم غاية التصميم وعازم غاية العزم على الوصول إلى مجمع البحرين، وإذا لم يصل مجمع البحرين فإنه لن يفتر عن السفر وسيواصل السفر عشرات السنين ليصل إليه.

(٢)- **سؤال:** ما المقصود بمجمع البحرين؟ وأين هو حالياً؟

الجواب: مجمع البحرين هو مكان التقاء البحرين، والأقرب أن المراد البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لأن هذين البحرين أقرب إلى بلاد الشام التي هي بلاد إبراهيم عليه السلام وآل إبراهيم عليهم السلام، ويلتقي البحران اليوم بواسطة قناة السويس، وكان التقاؤهما قبل ذلك ببحيرات مالحة.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا۝٦٢﴾ بعد أن قطعا مسافة في مسيرهما أمر موسى فتاه بأن يحضر لهما الأكل ليستريحا من تعب السفر ويأكلا.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ[(١)] فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ[(٢)] أَنْ أَذْكُرَهُ[(٣)] وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا۝٦٣﴾ فعندما طلب موسى عليه السلام إحضار الغداء تذكر يوشع الحوت وما كان منه حين قفز في البحر وأخذ يشق طريقاً في البحر عجيبة لم ينقطع أثرها، فأخبر موسى بذلك، واعتذر إليه بأنه قد نسي أن يخبره[(٤)] بذلك لكثرة ما كان يرى من العجائب في مسيره معه، ولكثرتها لم يأخذ بالاً بهذه الحادثة.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ فأخبره موسى أن ذلك هو الذي كنا نريد، وأن الله سبحانه وتعالى قد جعله علامة لهما ليهتديا بها إلى الخضر عليه السلام من خلال مسير ذلك الحوت.

---

(١)- **سؤال:** ما خبر هذه الصخرة؟

الجواب: الصخرة هضبة أي جبل صغير نام موسى عندها وهي في مجمع البحرين.

(٢)- **سؤال:** كيف نسب النسيان إلى الشيطان وقد يكون من فعل الله سبحانه؟

الجواب: النسيان من فعل الله تعالى والشيطان هو سبب النسيان لذلك صح نسبته إلى الشيطان.

(٣)- **سؤال:** ما موضع: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ الإعرابي؟ وعلام يعود الضمير في قوله: ﴿سَبِيلَهُ﴾؟

الجواب: موضع «أن أذكره» النصب بدل اشتمال من الهاء في ﴿أَنْسَانِيهُ﴾ والضمير في ﴿سَبِيلَهُ﴾ يعود إلى الحوت.

(٤)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن النسيان متعلق بالإخبار بالحوت فكيف نجمع بينه وبين ما مر في الآية السابقة؟

الجواب: الواقع أن فتى موسى نسي الحوت ونسي ما فيه من الآيات ؛ لذلك أخبر موسى بأنه نسي الحوت وما رأى فيه من الآية العجيبة.

﴿فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا۝٦٤﴾[1] ثم إنهما رجعا إلى ذلك المكان الذي فقدا فيه الحوت ليقصا أثر مسير ذلك الحوت.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا۝٦٥﴾ ثم إنهما سارا في تلك الطريق التي شقها الحوت فوجدا من كانا يبحثان عنه وهو الخضر عليه السلام، وكان الخضر من أولي العلم وقد آتاه الله سبحانه وتعالى حظاً وافراً منه، وقد علَّمه اللهُ سبحانه وتعالى أشياء لم يكن موسى يعلمها، والرحمة[2] التي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد آتاه إياها هي النبوة.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ[3] مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا۝٦٦﴾ ثم إن موسى طلب منه أن يقبله ليسير معه وأن يخدمه ليتعلم من علمه الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى، ومعنى «رشداً» هو الهداية.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا۝٦٧﴾ فأخبره الخضر عليه السلام أنه لن يستطيع أن

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿قَصَصًا۝٦٤﴾؟

الجواب: مفعول مطلق أي: تقصان قصصاً.

(٢)- **سؤال:** هل من دليل على أن الرحمة هي النبوة أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: قد سمى الله تعالى النبوة رحمة بدليل قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ...﴾ [الزخرف:٣٢]، ﴿وَءَاتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ..﴾ [هود:٢٨]، وبما قصه الله تعالى عن الخضر في هذه السورة من الأفعال التي صدرت عن الخضر واستنكرها موسى عليهما السلام فإنه لا ينبغي للخضر فعلها إلا بوحي من الله، ثم ما قاله من بيان الحكمة المترتبة على ما فعله فإن ذلك كله يدل على أنه فعل ما فعل وقال ما قال بوحي من الله.

وبعد، فظاهر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا۝٦٥﴾ أن تلك العلوم التي قصها الله تعالى عن الخضر حصلت له من عند الله بالوحي.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما السر في حذف ياء ﴿تُعَلِّمَنِ﴾؟

الجواب: السر في حذفها هو التخفيف وهو حذف قياسي في ياء المفعول به بعد نون الوقاية.

يصبر على العلم الذي سيعلمه إياه، وذلك لأنه ليس كما عَهِدَه من العلم، وأخبر موسى أيضاً بأن الله سبحانه وتعالى قد عهد إليه علما غير العلم الذي علمه الله إياه، وأنه سوف يستنكر عليه عندما يرافقه، وكان الله سبحانه وتعالى قد اختصه بأشياء من علم الغيب وعلمه إياها.

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا۝٦٨﴾[1] استنكر على موسى كيف يستطيع أن يصبر على شيء لم يحط بمعرفته وتأويله، وأخبره أنه لن يتحمل ما سيراه خلال مسايرته له؛ لأنه كان قد عرف أن موسى لن يستطيع أن يصبر ويسكت على ما يراه من الأعمال التي في ظاهرها أنها من المنكرات والكبائر العظيمة.

وكان الله سبحانه وتعالى قد أذن له في تلك الأعمال لحكمة ومصلحة قد أطلعه عليها، وستأتي إن شاء الله.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا۝٦٩﴾[2] فرد عليه موسى عليه السلام ووعده بأنه سيحاول أن يصبر على مسايرته وعلى عدم الاعتراض عليه في شيء مما سيعمله.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا[3]۝٧٠

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿خُبْرًا۝٦٨﴾ وما معناها؟

الجواب: يعرب تمييزاً وهو محول عن فاعل، و«خبراً» أي: علماً متمكناً.

(٢)- **سؤال:** علام عطفت جملة: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا۝٦٩﴾؟

الجواب: الجملة معطوفة على ﴿صَابِرًا﴾، فهي في محل نصب.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي...﴾ إلخ، شرط من الخضر؟ فما المسوغ لهذا الشرط في سبيل الحصول على العلم؟ وهل يجوز للعالم ونحوه مثل هذا الاشتراط؟

الجواب: قد كان الخضر عليه السلام عالماً بما سيحصل في رحلته هو وموسى عليهما السلام من الأفعال التي تستنكرها عقول البشر وتستقبحها، وفي الواقع أن العلم الذي أراد الله تعالى أن يعرفه موسى من الخضر مترتب على تلك الأفعال التي سوف يستنكرها موسى بعقله ولا يقدر أن يصبر

=

فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴿٧١﴾﴾ فكان بداية مسيرهما هو أن ركبا سفينة فلما مشت السفينة قليلاً أحدث الخضر فيها خرقاً فتسرب منه الماء حتى كاد أن يتسبب في غرقها، فاستنكر موسى عمله هذا، ولم يستطع أن يسكت على هذا المنكر لفظاعته حسب علمه، **والإمر**: هو الشيء الفظيع أو المنكر العظيم.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿٧٢﴾﴾[١] فأجاب عليه الخضر عليه السلام بأنه قد أخبره من قبل بأنه لن يستطيع أن يصبر أو يسكت.

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴿٧٣﴾﴾[٢] فاعتذر موسى إليه وأخبره بأنه قد نسي[٣] ما كان وعده به، وأنه لم يستطع أن يتحمل ما رأى،

عليها، فأراد الخضر عليه السلام أن يشترط على موسى عليه السلام أن لا يسأل عن شيء حتى يكون الخضر عليه السلام هو الذي يخبر موسى بما عنده من العلم، وحينئذ فحصول العلم لموسى لا يتم إلا إذا سكت ولم يسأل وصبر لأن العلم الذي يطلبه موسى مبني على تلك الأفعال التي سوف يستنكرها موسى عليه السلام ولا يستطيع الصبر عليها، وقد يجوز للعالم مثل هذا الاشتراط في مثل هذه الحال، والله أعلم.

(١)- **سؤال:** هل وقت الحاجة إلى بيان الحكمة هو وقت استنكار موسى عليه السلام؟ فإذا كان ذلك كذلك فهل يؤخذ منه جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة لحكمة، أم كيف؟

الجواب: قد يكون وقت الحاجة هو وقت استنكار موسى عليه السلام في هذه القصة، إلا أن الخضر قد قدم لموسى عليه السلام أن يسكت ولا يسأل مع علمه أن الخضر عليه السلام من عباد الله الصالحين الذين اختصهم الله تعالى بالعلم والحكمة، فلو لم يكن عند موسى علم ذلك لما جاز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ لأن التأخير سيحمل موسى على اعتقاد الباطل في الخضر، أي: اعتقاد فسوقه عن أمر الله.

(٢)- **سؤال:** بم تعلق قوله: ﴿مِنْ أَمْرِي﴾؟

الجواب: «من أمري» متعلق بمحذوف حال من «عسراً» مقدماً.

(٣)- **سؤال:** هل فعلاً كان قد نسي أو تناسى فقط؟

الجواب: الظاهر أنه نسي فعلاً، وكأن موسى عليه السلام لم يتوقع مثل تلك الأفعال التي فعلها الخضر، =

وتوسل إليه أن يقبل عذره هذا. ومعنى «ترهقني»: تُغْشِني يقال: رهقه إذا غشيه.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴿٧٤﴾﴾ ولم يستطع أن يتحمل رؤيته للخضر وهو يقتل هذا الطفل البريء فصاح عليه وأنكر أشد الإنكار، ولم يستطع أن يسكت على هذه الجريمة المنكرة في الظاهر، ومعنى «نكراً»: شيئاً منكراً تنكره العقول ونفر عنه النفوس.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴿٧٥﴾﴾ فرد عليه الخضر بأنه قد أخبره من قبل أنه لن يستطع صبراً على مسايرته.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴿٧٦﴾﴾ فاعتذر إليه وطلب منه أن يسامحه، ووعده أنه إذا حصل منه شيء مرة أخرى فليتركه، ولا يقبل منه أي عذر بعدها(١).

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ كان قد أخذ منهما الجوع كل مأخذ، وعندما وصلا إلى إحدى القرى(٢) طلبا من أهلها أن يطعموهما، ولكنهم رفضوا إطعامهما،

ولم يخطر بباله أن سيحدث إلا ما يسوغ في العقل والشرع، فلما فعل الخضر عليه السلام ما يستنكر فعله في العقل والشرع اندفع مستنكراً بناءً على أن ما حدث ليس مما شرط عليه.

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أوضحتم معنى هذا الأسلوب ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴿٧٦﴾﴾؟ وكيف صار لا يقبل منه أي عذر؟

الجواب: معنى «قد بلغت من لدني عذراً»: قد وجدت عذراً في مفارقتي وترك مصاحبتي لأني أخللت بما شرطت عليَّ مرتين. وصار الحال إلى أن لا يقبل منه عذر لأن الخضر عليه السلام قد بلغ الغاية والنهاية بإقرار موسى عليه السلام واعترافه في قبول أعذار موسى، فلا يحق لموسى بعد ذلك أن يعتذر إن أخطأ ويطالب الخضر بقبول العذر والاستمرار على المصاحبة.

(٢)- **سؤال:** هل علمت هذه القرية بعينها فما هي؟

الجواب: قيل: إنها «أيلة» وهي على ساحل خليج العقبة في بلاد «مدين» أو حولها، وقيل: =

وخلال ذلك وجدا جداراً في إحدى أبنيتها قد أوشك على السقوط فقام الخضر ليصلحه من جديد ويرده على ما كان.

﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ فاستنكر موسى عليه كيف يصلح جدارهم وقد رفضوا إطعامهما ما يسد جوعتهما، وأنه كان من المفترض به أن يشرط عليهم الأجرة مقابل بنائه لهذا الجدار.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾

فأجاب عليه الخضر عليه السلام بأنه قد حان وقت الافتراق(١)، وأنه سيخبره بسبب أفعاله تلك التي استنكرها عليه، وما هو الذي دعاه إلى فعلها ويبين له وجه الحكمة فيها.

«أنطاكية» وهي في بلاد الشام أو في حدوده الشمالية أي: في أطراف أوربا الجنوبية.

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر آخر الآية أنه استحق أن يفارقه غضباً وحنقاً عليه، فكيف مع تعليل نظركم حماكم الله؟

الجواب: لم يظهر من السياق أن الخضر قال مقولته هذه عن غضب على موسى لعلمه من أول الأمر أن موسى عليه السلام لن يصبر ولا يستطيع أن يصبر وإن كان قد التزم بما شرطه عليه الخضر، فالخضر من أول الأمر عالم بعدم صبر موسى وبعدم قدرته على الوفاء بما شرط عليه، فرضي الخضر مع ذلك بمصاحبته، ومن شأن من كان كذلك أن لا يغضب عند حصول ما هو متوقع لحصوله؛ لرضاه بمصاحبة من سيحصل منه ذلك المتوقع.

سؤال: بناء على السؤال السابق هل يجوز للعالم والمدرس أن يترك تعليم من لم يفِ بالشرط بعد أن يعذر إليه ثلاث مرات أم لا فكيف؟

الجواب: إذا كان الشرط الذي اشترطه العالم أو المدرس من الشروط التي لا يتم تحصيل العلم إلا بها فيجوز للعالم والمدرس ترك التعليم أو التدريس، وذلك نحو أن يشترط العالم أو المدرس على طالب العلم أن لا يشتغل وقت الدرس بغير الدرس والاستماع إلى العالم ثم إن الطالب اشتغل وقت الدرس بالحديث أو نحوه مع غيره من غير ضرورة يوماً بعد يوم ففي مثل هذه الحالة يجوز للمعلم ترك تعليم الطالب.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴿٧٩﴾﴾[١] أما السفينة فسبب خرقي لها أنها كانت مسافرة في طريق غير آمن، وأنه كان أمامهم في هذه الطريق ملك ينهب كل سفينة تمر من عنده، فإذا رآها ذلك الملك معيبة والماء يتدفق بداخلها فإنه سيتركها ولن يمسها بسوء.

وكانت هذه السفينة لمجموعة من المساكين والفقراء اشتركوا فيها، وكانوا لا يملكون أي شيء في الدنيا يستعينون به على أمور معايشهم غيرها، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ عليهم سفينتهم هذه من ذلك الملك الظالم[٢].

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴿٨٠﴾﴾ وأما الغلام فقد علم الله سبحانه وتعالى أنه إذا كبر فسيكون رجلاً فاجراً وعاصياً، وأنه سيكون فتنة لأبويه الصالحين وسبباً في كفرهما وهلاكهما.

﴿فَأَرَدْنَا[٣] أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴿٨١﴾﴾ وأخبره أن الله

---

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿غَصْبًا﴿٧٩﴾﴾؟ وكيف سماهم مساكين وقد ملكوا سفينة؟

الجواب: «غصباً» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: يغصبها غصباً. وسماهم مساكين وقد ملكوا سفينة لأنهم -وإن ملكوا سفينة- كثيرون بدليل جمعهم «مساكين» وهو من جموع الكثرة فملك كل واحد من المساكين لا يخرجه عن المسكنة لقلة حصته.

سؤال: يقال: ما رأيكم فيما يقدره بعض المفسرين من الصفة لقوله: ﴿كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أي: صالحة، هل هو لازم؟

الجواب: المراد كل سفينة صالحة غير معيبة بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ لذلك يلزم تقدير الصفة لقيام الدليل على تقديرها، وهذا من حيث الصناعة.

(٢)-**سؤال:** هل الآية تدل على أنه يجب دفع الضرر الكبير باليسير ولا يجب مراضاة المدفوع عنه؟

الجواب: الآية تدل على حسن دفع الكبير باليسير دون الوجوب.

(٣)-**سؤال:** يقال: ما العلة في نسبة الإرادة إليه ولم ينسبها إلى ربه مع أنه هو الذي أراد ذلك؟

=

سبحانه وتعالى قد أراد أن يأخذ هذا الولد الفاجر ويعوضهما[١] بولد صالح زكي طاهر لا يعمل الخبائث والمنكرات، وكذلك فيه مصلحة له بأن يموت وهو لا زال طفلاً ليكون مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى وذلك خيرٌ له من أن يموت كبيراً على الكفر، وكذلك لأبويه مصلحة أخرى وهي الثواب لصبرهما على مصيبتهما هذه.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[٢] وأما الجدار الذي أوشك على السقوط فقد كان لطفلين يتيمين وكان تحته كنز قد وضعه أبوهما، فأراد الله سبحانه وتعالى لهذا الجدار أن يبنى ليُحفَظ[٣] المال

الجواب: ورد هنا ذلك من باب قول بعض خواص الملك: فعلنا كذا وقلنا كذا، والفاعل والقائل الملك، وصح ذلك لما بين المتكلم والفاعل القائل من الخصوصية، مع ما في ذلك من التفنن في العبارة، حيث قال مرة: «فأردت» وأخرى: «فأراد ربك» وثالثة: «فأردنا».

(١)- **سؤال:** لم يظهر لنا كيف يكون العوض أقرب رحماً من ذلك الغلام؟

الجواب: يكون العوض بتقدير الله تعالى أن يولد للأبوين الصالحين ولد يحظى برعاية الله وتوفيقه لعلمه تعالى بأنه من أهل التوفيق والالتطاف فينشأ على طاعة الله والبر بوالديه والشفقة بهما.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾؟ وما المراد بتلك الرحمة؟

الجواب: تعرب مفعولاً من أجله، والمراد بالرحمة هو ما فعله الله تعالى من بناء الجدار وحفظ المال وعنايته باليتيمين حتى بلغا أشدهما واستخرجا كنزهما وانتفعا به، هذا هو معنى الرحمة هنا.

(٣)- **سؤال:** قد يقال: ما الوجه في عدم حمل الآية على أنهما قد بلغا أشدهما واستخرجا كنزهما عند إعادة الخضر لبناء الجدار؟

الجواب: قد ذكر الله تعالى هنا أنه تعالى أراد أن يبلغ الغلامان رشدهما ويستخرجا كنزهما، أي: أنه تعالى أراد ببناء الجدار حفظ الكنز لليتيمين الضعيفين إلى أن يبلغا مبالغ الرجال الراشدين فيستخرجا كنزهما الذي حفظه الله لهما، وقد بلغا أشدهما واستخرجا كنزهما وانتفعا به برحمة الله بهما وبأبيهما الصالح.

الذي تحته إلى أن يبلغا أشدهما ويستخرجاه بأيديهما، وأخبره أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ هذين الغلامين وكنزهما بسبب صلاح أبيهما.

﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ[١] عَلَيْهِ صَبْرًا﴿٨٢﴾﴾ وأخبر الخضر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لم يفعل من تلك الأشياء شيئاً إلا بأمر من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه لم يفعل شيئا من تلقاء نفسه، وأن هذا تأويل[٢] تلك الأشياء التي لم يستطع أن يسكت عليها.

قص الله سبحانه وتعالى علينا هذه الأخبار لنعلم أن كل ما يفعله الله بعباده من المكاره فإنما يفعله لحكمة ومصلحة لنا يعلمها هو تعالى، وأنها لو كانت مكروهة لنا فإن لها فوائد ومصالح راجعة إلينا لا نعلمها، وكذلك لنعلم أن الله سبحانه وتعالى يحفظ الابن بسبب صلاح أبيه، ويبارك له في دنياه ويصلح له أمور دينه.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴿٨٣﴾﴾ ثم انتقل الله سبحانه وتعالى إلى ذكر ذي القرنين وقصته، وما كان من شأنه فأخبر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه إذا سئل عن ذي القرنين فإنه يجيبهم بأنه سيقص عليهم أمره ونبأه، وما كان من شأنه.

وقد قيل: إنه إسكندر المقدوني، وقد قال بعض المؤرخين اليمنيين: إنه أسعد الكامل «أسعد تبع»، واستدلوا على ذلك بتسميته بـ«ذو القرنين»[٣] ولا تأتي هذه

---

(١)- **سؤال:** هل في حذف التاء من: ﴿تَسْطِعْ﴾ حكمة أو نكتة؟ فما هي؟

الجواب: النكتة في حذف التاء هي التخفيف لقرب مخرج التاء من الطاء ويقال في الماضي: اسطاع.

(٢)- **سؤال:** يقال: لماذا أطلق عليها اسم التأويل؟

الجواب: أطلق عليها اسم التأويل لأنها آلت ورجعت تلك الأفعال التي استنكرها موسى إلى غاية حسنة وغرض صحيح ومصلحة راجحة يحبذها العقل وتخشع لها الفطرة.

(٣)- **سؤال:** هل المراد أن أهل اليمن يسمون: ذو فلان وذو فلان؟

الجواب: نعم المراد هو ذلك؛ لأنهم المختصون بهذه التسمية ويقال لهم: الأذواء، ومنهم: ذو رعين، وذو جدن، وذو المنار، وذو معاهر، وذو شناتر، وذو غيمان، وذو يحصب، وذو مهدم، وذو نواس، وذو الكلاع، وذو يزن، و... إلى ما لا يعد ولا يحصى، ومنهم ذو القرنين.

التسمية إلا في لغة أهل اليمن، وأنه لا يسمي بهذه الأسماء غيرهم.

والذين ملكوا الدنيا أربعة ملوك هم: أسعد تبع، وذو القرنين، ونبي الله سليمان عليه السلام، وهناك أيضاً ملك رابع[1]، فهؤلاء هم الذين غزوا مشارق الأرض ومغاربها وملكوها.

وكان ذو القرنين ملكاً صالحاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد هيأ له أسباب الملك والسلطان من المال والسلاح والرجال والقوة وكل ما يمكنه من الزاد والعدة من الرجال والدواب في سيره إلى غزو أطراف الأرض.

﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا[2]﴿٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ سار متوجهاً ناحية الغرب حتى وصل طنجة ناحية المغرب.

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ وذلك أنه وجدها تغرب وراء البحر وهي لا زالت حارة مما يدل على أنها لا تغرق في البحر كما يزعم بعضهم فقوله: «فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ»: متعلق بمحذوف في محل نصب على الحال تقديره: كائنة في عين حمئة.

﴿قُلْنَا[3] يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴿٨٦﴾﴾ استسلم

---

(١)- **سؤال:** لو ذكرتم اسمه لكان مناسباً لإتمام الفائدة؟

الجواب: الرابع هو بخت نصر أو نمروذ، وقد عد الاثنان ممن ملك الأرض.

(٢)- **سؤال:** لم يظهر لكثير من الإخوان فك هذا التركيب وتحليل معناه حسب مفرداته فلو أوردتموه لكان مناسباً؟

الجواب: «فأتبع سبباً» أي: تبع طريقاً يوصله إلى مطلبه.

(٣)- **سؤال:** لمن هذا القول؟ مع بيان وجهه إن كان لغير هؤلاء القوم؟

الجواب: القائل هو الله على لسان بعض أهل العلم الذين كانوا في صحبته من أهل الكتاب أو أن ذا القرنين كان عالماً بدين الله، وقد قيل إنه نبي واستدلوا بهذه الآية، والله أعلم.

هؤلاء القوم لذي القرنين، وأصبحوا في قبضته يتصرف فيهم كيفما شاء إما أن يعذبهم وإما أن يعفو عنهم، وكان ذو القرنين قد علم حكم الله سبحانه وتعالى بمن ظفر به من الكافرين من القتل أو التعذيب.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ٨٧﴾ كان ذو القرنين مؤمناً آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، فحكم عليهم بأن من كان مصراً على الذنوب والمعاصي رافضاً للتوبة فإنه سوف يقتله، وبعد ذلك سوف يرد إلى ربه يوم القيامة فيعذبه في نار جهنم.

﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨﴾[1] وأما من تاب وأقلع عن المعاصي ورجع إلى الله سبحانه وتعالى فإن الله تعالى يجازيه بالجنة، وسنعامله في الدنيا بالمعاملة الحسنة ونحفظ له أمواله وأهله.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ ثم إنه بعد ذلك توجه في مسيره إلى ناحية مشرق الشمس نحو الصين.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ٩٠﴾ وجد في بلاد مشرق الأرض قوماً[2] لا بيوت لهم ولا مأوى يؤويهم، ولا شيء يكنهم من حر الشمس أو المطر، فالأرض فراشهم والسماء سقفهم، لم يكونوا قد اهتدوا إلى بناء المساكن والبيوت.

﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ٩١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد أحاط بذي القرنين وجيوشه وقد أحصى عددهم وعدتهم، وأنهم تحت قبضته وسيطرته، فلا يسيرون إلا بأمره وقدرته.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ٨٨﴾؟

الجواب: «من أمرنا» جار ومجرور حال مما بعده، و«يسراً»: مفعول به أو مطلق.

(٢)- **سؤال:** هل عرف هؤلاء القوم بأعيانهم فمن هم؟

الجواب: هم الصين كما يظهر فبلادهم ممتدة على أكبر قسم من مشارق الأرض.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا۝٩٣﴾ بعد أن قهر تلك الأمم في مشرق والأرض ومغربها توجه سائراً ناحية الشمال ووصل إلى بلد كان أهلها يتخذون السدود والحواجز المائية وكان قبل أن يصل إلى تلك الأماكن من ناحية الجنوب قد وجد قوماً لم يستطع أحد أن يعرف لغتهم وحديثهم[(١)] وهي بلاد الترك التي تشمل الآن دول تركيا والاتحاد السوفيتي (أوروبا الشرقية وبعض دول آسيا كأفغانستان وما حولها).

وذلك أنه كان قد أعد في غزواته المترجمين لجميع لغات أهل الدنيا، فلما أن وصل إلى هؤلاء القوم لم يستطع أحد أن يعرف لغتهم، ولم يجد لهم مترجما إلا بعد بحث وتعب شديد.

﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا۝٩٤﴾[(٢)] شكا أهل تلك البلاد عند ذي القرنين ما يلاقونه من أولئك القوم من السلب والنهب في كل وقت وأنهم قد تسلطوا عليهم، وأنهم يغزونهم فينهبون ويسرقون ثم يفرون هاربين لا يستطيع أحد أن يلحق بهم؛ لأنهم قوم لا بيوت[(٣)] لهم أو مكان ليلحقوا بهم إليه، وإنما يفرون

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أن هؤلاء القوم هم الذين لم يفهموا الحديث لا الغزاة الذين غزوهم فكيف؟

الجواب: نعم هم لا يفهمون الكلام ولا يفهم الغزاة كلامهم لغرابة لغتهم.

(٢)- **سؤال:** هل يأجوج ومأجوج هم سكان السدين؟

الجواب: سكان السدين هم غير يأجوج ومأجوج، وسكان السدين هم الذين شكوا على ذي القرنين ما يلاقون من يأجوج ومأجوج من الغزو عليهم والسلب والنهب لأموالهم والقتل والفساد.

(٣)- **سؤال:** يقال: الظاهر أن القوم الذين لا مأوى لهم هم سكان مطلع الشمس فمن أين يظهر لنا أن هؤلاء مثلهم؟

الجواب: يقال: لا بلد ولا قرار ليأجوج ومأجوج وإلا لغزاهم ذو القرنين إلى عقر ديارهم ونكل =

متفرقين في الصحاري.

ويبدو من وصف هؤلاء القوم ليأجوج ومأجوج بهذا الوصف أنهم قوم لفيف قد اجتمعوا من كل مكان، وكانوا من أهل الصحاري التي في تلك البلاد واسمها الآن صحراء سيبيريا، وكانوا يأتونهم من بين جبلين، فطلبوا منه أن يقيم لهم حاجزاً بين هذين الجبلين حتى لا يستطيعوا أن يصلوا إليهم، وأخبروه أنه إن جعل هذا الحاجز فلن يستطيعوا أن يغزوهم من الجبال، وأخبروه أيضاً بأنهم سوف يعطونه أجرة على ذلك.

والأقوال التي تقول إن ذا القرنين قد عزل ياجوج وماجوج عن العالم بهذا السد، وإنه في آخر الزمان سوف ينفتح هذا السد ويخرجون إلى الناس فلا صحة لها، وذلك لأن سياق الآية يدل على أنه قد جعل هذا السد بين هذين الجبلين ليمنع عن أهل تلك البلاد فقط شرهم(١).

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴿٩٥﴾﴾

بهم ولما احتاج لبناء السد فقد غزا شمال الكرة الأرضية بما فيها من الممالك وأخضعها لسلطانه كما غزا مشارق الشمس ومغاربها وأخضعها لسلطانه، فلو كان ليأجوج ومأجوج مأوى وقرار لغزاهم وأخضعهم لسلطانه كما فعل بغيرهم من ممالك الأرض.

(١)- **سؤال:** يقال: فما قولكم في الأخبار المتكاثرة الواردة في البخاري وغيره: ((فتح من ردم يأجوج ومأجوج...))؟

الجواب: قد سد ذو القرنين بين القوم الذين لا يكادون يفقهون قولاً وبين يأجوج ومأجوج ليسلموا شرهم، ولم يسد بينهم وبين سكان الكرة الأرضية.

وما رواه البخاري وغيره فالله أعلم بصحته وليس كل ما روي بصحيح ولا كل ما صححه البخاري أو غيره بصحيح، وتصحيحهم للحديث إنما هو باجتهادهم ونظرهم وليسوا معصومين عن الخطأ، ولم يرد فيهم دليل يدل على أن أقوالهم حجة في التصحيح والتضعيف، والقرآن أولى بالاتباع وأحرى بالاعتماد عليه، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب].

فأجابهم بأن ما قد أعطاه الله سبحانه وتعالى من القوة والجاه والمال خير مما عرضوه عليه من الأجرة، وطلب منهم أن يعينوه على ذلك بأيديهم.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴿٩٦﴾﴾ ثم طلب منهم أن يأتوه بما يكفي من قطع الحديد لإقامة هذا الحاجز إلى أن يساوي الجبلين، وأمرهم بعد ذلك أن يوقدوا على هذه الصفائح حتى تصبح ناراً، ثم يأتوه بالنحاس المذاب، فإذا صبوه على صفائح الحديد فإنها ستلتصق ببعضها البعض وتلتحم.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴿٩٧﴾﴾ فلم يستطع أحد بعد ذلك أن يعلو ذلك الحاجز ولا أن يخرب ذلك البناء أو يخترقه[1].

وفي ذلك دلالة على أن الصناعة في ذلك الوقت كانت متطورة وإلا فمن أين لهم بالمنافيخ الضخمة التي تستطيع أن توقد لهم كتل الحديد تلك.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ وعندما انتهى ذو القرنين من بناء السد حمد الله تعالى وأثنى عليه على ما مكنه من القوة والسلطان، واعترف بأن كل ما معه من فضل الله عليه، وأنه بتدبيره وتهيئته وحوله وقوته، فلم يأخذه العجب والفخر ولم يتكبر على الله سبحانه وتعالى بقوته تلك التي أعطاه الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴿٩٨﴾﴾ هذا من كلام ذي القرنين بأن وعد الله إذا حصل وهو يوم القيامة فسيدمر الدنيا وما عليها ومن جملتها ذلك السد العظيم[2]، وأنه لا خلف لما وعد به ولا تبديل، ويحتمل أن

---

(١)- **سؤال:** ما الفرق بين الفعلين «اسطاعوا» و«استطاعوا»؟

الجواب: لا فرق في المعنى، فاسطاعوا أصله استطاعوا حذفت تاء الافتعال تخفيفاً لقرب مخرجها من مخرج الطاء.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما المانع من أن يكون يأجوج ومأجوج لا زالوا خلف هذا السد، وأن تخريبه علامة من علامات القيامة، وأن الموج في ذلك اليوم سواء أكان الهرج والمرج من قوم يأجوج

=

يكون المراد بوعد الله سبحانه وتعالىٰ هو إرادته لتخريب ذلك السد، وأنه متىٰ أراد أن يخربه فعل.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ وذلك قبيل يوم القيامة ستحصل فوضىٰ عظيمة وهرج ومرج في الأرض وقتل وقتال وفتن كثيرة، وسيكثر القتل بين الناس حتىٰ إنه قيل بأنه سيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، وأظن أن ما يحصل في كثير من البلاد اليوم هو بداية ذلك.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ ولن يخلف ذلك إلا قيام الساعة وحشر الناس جميعاً إلىٰ ساحة المحشر للحساب والجزاء.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١﴾[1] ويوم القيامة ستعرض النار أمام

ومأجوج أو من غيرهم فيطابق ما في الأخبار التي أشرنا إليها سابقاً وفي بعضها: ((ويل للعرب من شر قد اقترب...))؟

الجواب: يأجوج ومأجوج أمم من ضمن الأمم التي تعيش في آسيا التي شرق أوربا وشمال الصين وفي صحراء سيبريا ويسمىٰ هؤلاء في الاصطلاح القديم الترك ومنهم المغول ولم يبق اليوم منطقة جغرافية مجهولة علىٰ وجه الأرض، بل بإمكانك أن تستعرض صورة أي مكان تريده علىٰ وجه الأرض علىٰ شاشة جوالك وتحدد أي عمارة أو سوق أو شارع وتقيس مساحته، فلو كان ثمة بلد مغلق تسكنه يأجوج ومأجوج معزول عن أهل الأرض مضروب بينهم وبين الناس بسد يغلق علىٰ جانب من الأرض لا يعلم عرضه وطوله إلا الله لعرف مكانه اليوم ولاشتهر شهرة عامة بين سكان العالم ولتوافد إليه السواح لقدم بنائه وإحكامه وقوته وإتقان صناعته إلا أن شيئاً من ذلك لم يكن. أما موج الناس بعضهم في بعض فيأجوج ومأجوج يموجون من ضمن المائجين.

(١)- **سؤال:** إذا قيل: بأن الله قد أخبر عنهم بأنهم لا يستطيعون سمعاً فهذا يصحح مذهب المجبرة فكيف نرد علىٰ هذه المقالة؟

=

الكافرين وسيشاهدونها، ثم أخبر عن صفة الكافرين هؤلاء بأنهم الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء، وكانت قلوبهم مغطاة لا تبصر الحق والهدى، ولا تستبصر بها جاءها من عند الله سبحانه وتعالى، وقد أعمتهم الدنيا وشهواتها وغرقوا في المعاصي والمنكرات.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ هل يظنون أن الله سبحانه وتعالى الذي خلقهم وصورهم ورزقهم سيتركهم من غير حساب أو جزاء على ما اتخذوه من الآلهة دونه، فلا بد أن يحاسبهم ويجازيهم على كفرهم وعبادتهم واتخاذهم لغيره آلهة.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾(١) ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه قد أعد جهنم لهؤلاء الكافرين ضيافة لهم ينزلون فيها وبئست الضيافة.

الجواب: قد شهدت أمة محمد ﷺ بأنه ﷺ قد بلغ رسالة ربه إلى من أرسل إليهم وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور]، فقد أدى رسول الله ﷺ رسالة ربه ونفذ أمره وأسمع الكافرين وبين لهم الحق الذي أنزله الله ووضحه لهم وكرره على أسماعهم وسمعوه ووعوه، وسيقول الله لهم يوم القيامة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا...﴾ [الملك]، فليس المعنى حينئذ في الآية أن الكافرين كانوا فاقدين لآلة السمع أو لم يكن لديهم قدرة على سماع القرآن والحق فقد سمعوه وكذبوا به فلم يبق إلا أن يكون المعنى أن الكافرين كانوا ينفرون عن سماع القرآن ويكرهون الإصغاء إليه لشدة كراهتهم له.

ونظير ذلك الأسلوب ما يقال في مخاطباتنا اليوم، فقد يدعوك مثلاً صاحبك للحضور في مجلس يجتمع فيه جماعة فتقول: عفواً أنا لا أستطيع أو لا أقدر السماع لحديث تلك الجماعة لما فيه من الفحش والبذاءة والشتم والكلام الساقط، والمعنى: أنه يكره سماع حديث القوم ويتضايق منه.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب ﴿نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾؟

الجواب: «نزلاً» مفعول به ثاني لأعتدنا، والمفعول الأول «جهنم».

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا۝١٠٤﴾[١] بلغهم يا محمد أن أخسر الناس صفقة وأضلهم في أعماله هو الذي يسير في غير الطريق ظناً منه أنه في عين الطريق وأنه على الحق والهدى وهو في الباطل والضلال. ومعنى «ضل سعيهم»: ضاع سعيهم وبطل.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا۝١٠٥ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا۝١٠٦﴾ ثم ذكر صفة أولئك الأخسرين أعمالاً بأنهم الذين كفروا بالله سبحانه وتعالى وأنكروا البعث بعد الموت، وأخبر أن ما عملوا من أعمال البر محبطة مع كفرهم وتكذيبهم، وأنه لا مقدار ولا ميزان لهم في يوم القيامة بل جزاؤهم جهنم بسبب كفرهم واستهزائهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا۝١٠٧ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا۝١٠٨﴾ ثم أخبر عن مصير المؤمنين به والمصدقين بآياته ورسله الذين عملوا مع ذلك الأعمال الصالحة بأنه قد أعدلهم جنات الفردوس ينزلهم فيها، وأنهم خالدون فيها لا يملون ما هم فيه من النعيم أو تصيبهم السآمة والضجر ولا يتمنون أن يتحولوا عنها، وذلك لأن الإنسان في الدنيا يصيبه الملل حتى من الراحة والنعيم، فإذا استمر في ذلك فترة فإنه يحب أن تتغير حالته تلك حتى ولو إلى أسوأ أما جنات الفردوس فلا يلحقهم فيها ملل ولا سآمة.

---

(١)- **سؤال:** هل تنطبق هذه الآية على أهل البدع المنكرة كالمشبهة والمجبرة والرافضة ونحوهم؟

الجواب: الآية صادقة عليهم وعلى غيرهم من أهل المذاهب الباطلة فكل أهل مذهب يعتقدون أن المذهب الذي نشأوا عليه منذ الصغر ورأوا عليه آباءهم وأمهاتهم وأهل بلادهم هو الحق والصواب وغيره باطل.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا۝﴾ يطلعنا الله سبحانه وتعالى على مدى علمه وإحاطته، وأن البحار لو كانت مداداً وحبراً فيكتب الكتبة بهذا المداد حتى يستنفدوا ذلك المداد فإنهم لن يستطيعوا أن يحصوا المعلومات[١] التي يعلمها الله سبحانه وتعالى، وأنهم لو زادوا على تلك البحار مثلها مداداً لما أحصوا ذلك، ولنفدت البحار قبل أن تنفد كلمات الله ومعلوماته، وكذلك لو أن كل ما في الأرض من شجر أقلام لنفدت تلك الأقلام قبل أن يحصوا ذلك، يخبرنا الله سبحانه وتعالى بذلك لنعلم أنه من المستحيل أن يدخل علمه تحت العد والحصر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا۝﴾[٢] عندما ادعى

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم هل هناك قرينة أو نحوها تدل على أن «كلمات الله» بمعنى معلوماته؟

الجواب: القرينة هي عقلية استدلالية، بيان ذلك: أن التمدح بكثرة الكلام غير سديد، بل إن صفة كثرة الكلام هي أقرب إلى الذم منها إلى المدح؛ لذلك حكمنا بأن استعمال «كلمات» هنا مجاز عن العلم بمعانيها.

(٢)- **سؤال:** هل تصلح هذه الآية دليلاً على النهي عن الرياء وأنه من الشرك أو لا؟

الجواب: يصح الاستدلال بالآية على ما ذكرتم إلا أنه ينبغي أن يعلم أن الشرك نوعان شرك عبادة الأصنام وغيرها مما يعبد مع الله وشرك ليس فيه عبادة ولا تعظيم وهو الرياء فالمرائي لا يشرك مع الله غيره في العبادة والتعظيم وإنما يرائي الناس ولا يعبدهم فيكون الرياء لهذا دون النوع الأول.

سؤال: ما مناسبة كون هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: أمر النبي ÷ أن يقول للمشركين المكذبين بما تلاه عليهم في هذه السورة: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾ الآية، فكأنه قال: حقيقة أمري ومهمتي هي كذا وكذا فأنتم وشأنكم فتكون الآية مؤذنة بنهاية السورة وتمامها.

محمد ﷺ النبوة، وأنه مرسل من عند الله سبحانه وتعالىٰ أنكرت قريش ذلك وادعت أنه من المستحيل أن يكون نبي من البشر، وأنه لا بد أن يكون في زعمهم من غير جنسهم، فأمره الله سبحانه وتعالىٰ أن يخبرهم بأنه نبي وأنه بشر مثلهم قد أوحىٰ الله تعالىٰ إليه أن يخبرهم أنه لا إله في السماوات والأرض إلا إله واحد وهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، ويخبرهم بأن من أراد أن يفوز برضوانه ورحمته فليطعه، وليعمل الأعمال الصالحة ولا يعص أوامره ولا يتخذ له إلهاً غير الله سبحانه وتعالىٰ.



سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كهيعص۝١ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا۝٢(١) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا۝٣﴾ تبدأ هذه السورة بحكاية قصة زكريا عليه السلام وما كان من دعائه لله سبحانه وتعالى بأن يرزقه الولد الصالح، وكيف استجاب الله له ورزقه بالولد؛ ليطلعنا الله سبحانه وتعالى على مدى قدرته وأنه لا يعجزه شيء.

وكان زكريا قد دعا ربه بذلك الدعاء سراً مما يدل على أن دعاء السر أدعى للإجابة، وأقرب إلى الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا۝٤﴾ هذا هو الدعاء الذي دعا به زكريا عليه السلام ربه، وهو أنه شكا عليه ضعفه ووهن عظامه وهزالها، وأنه قد صار كبير السن، وتمنى على الله سبحانه وتعالى أن لا يرد دعاءه الذي يدعوه به، فقد عوّده أن لا يرد له سؤالاً، فقال في دعائه: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا۝٥ يَرِثُنِي(٢) وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا۝٦﴾ دعا الله سبحانه وتعالى أن يرزقه بالولد الصالح ليرثه ويرث العلم الذي تركه آل يعقوب الذي هو علم الكتاب

---

(١)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا۝٢﴾؟

الجواب: ذكر: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا ذكر، أو المتلو ذكر، أو تقدر «كهيعص» هي المبتدأ وذكر: خبر، و«ذكر» مضاف و«رحمة» مضاف إليه، وهي مضافة لرب، وهو مضاف إلى الضمير، و«عبده»: مفعول به لرحمة، و«زكريا»: عطف بيان.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في عدم جزم هذا الفعل «يرثني» مع أن ظاهره جواب الدعاء «هب»؟

الجواب: الوجه كون الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: وما تبغي من الولد؟ وقد أعربت الجملة صفة لـ«ولياً»، ولو جزم لكان صحيحاً وقد قرئ بالجزم.

والحكمة، وأن يكون من أهل رضوان الله سبحانه وتعالى.

وكان قد خاف أن يرثه أقاربه فيضيعوا دين الله سبحانه وتعالى ويحملوا ميراث النبوة فيغيروا ويبدلوا في دين الله تعالى إذا مات، فكان ذلك هو الذي بعثه على الإلحاح على الله سبحانه وتعالى في الدعاء.

﴿يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا۝٧﴾ فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاءه وبشره بغلام، وأخبره بأنه قد اختار له اسماً من عنده تكرمة له، فسماه يحيى، وأخبره بأن هذا الاسم جديد لم يتسم به أحد قبله.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا۝٨﴾(١) فاستبعد وتعجب أن يولد له ولد على كبر سنه، وتجاوز امرأته سن الحمل والولادة؟ وهذا مع أنه عالم في نفسه أن الله على كل شيء قدير، وتعجبه ذلك لم يكن إلا من قدرة الله سبحانه وتعالى العظيمة، وإرادة منه أن يعلم كيف سيتم ذلك في امرأة عاقر وزوج جاوز تسعين سنة.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ(٢) هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا۝٩﴾ فأجابه الله سبحانه وتعالى أنه لا يصعب عليه شيء فهو على كل شيء قدير، وأخبره أنه كما خلقه قبل ذلك وأوجده بعد أن لم يكن شيئاً فهو قادر على أن يخلق ولداً في بطن زوجته العاقر.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب قوله: ﴿أَنَّى يَكُونُ﴾ وكذا ﴿عِتِيًّا﴾؟

الجواب: «أنى» اسم استفهام منصوب على الظرفية المكانية متعلق بالاستقرار المقدر في خبر يكون «لي». و«غلام»: اسم يكون، و«عتياً»: مفعول به.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿كَذَلِكَ﴾؟ وما الفائدة في إعادة الفعل والفاعل المظهر في قوله: ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ مع أن القول الأول له تبارك وتعالى؟

الجواب: كذلك: خبر لمبتدأ محذوف أي: الأمر كذلك، وإعادة الفعل والفاعل المظهر لقصد تأكيد الخبر للسامع وتقوية تأثيره في ذهن المخاطب.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ فطلب زكريا عليه السلام عند ذلك من الله سبحانه وتعالى أن يجعل له دلالة عند حمل امرأته.

﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴿١٠﴾﴾ فجعل الله سبحانه وتعالى علامة ذلك أن يمسكَ لسانُهُ عن الكلام، وأخبره أنه لن يستطيع أن يتكلم مدة ثلاثة أيام.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴿١١﴾﴾ فكان في مدة سكوته عن الكلام يخرج[1] على قومه فيعظهم ويذكرهم بتسبيح الله تعالى وذكره بالإشارة فقط، وكان مدة سكوته ثلاثة أيام.

﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴿١٢﴾﴾ أعطى الله تعالى يحيى العلم والحكمة في حال صباه، وبعد أن كبر[2] أوحى إليه بأن يأخذ توراة[3] موسى

---

(١)- **سؤال:** من أين نفهم استمرار خروجه للتذكير بالإشارة مع أن الآية بالماضي ﴿فَخَرَجَ﴾؟ وما إعراب: ﴿أَنْ سَبِّحُوا﴾؟

الجواب: من شأن أنبياء الله عليهم السلام الدعوة إلى الخير والأمر بعبادة الله والحث عليها في كل حين وذلك هو عملهم وشغلهم الشاغل، وإذا كان زكريا عليه السلام قد خرج عليهم في اليوم الأول من الثلاثة الأيام ليدعوهم إلى تسبيح الله والصلاة والعبادة فلن يترك الخروج في اليوم الثاني ولا الثالث، ولأن ما أمروا به في اليوم الأول هم مأمورون به في اليوم الثاني والثالث، وأما «أن سبحوا» فـ«أن» تفسيرية لتقدم «أوحى» المشتمل على معنى القول دون حروفه، و«سبحوا» فعل أمر، و«واو الجماعة» فاعله.

(٢)- **سؤال:** هل هناك دلالة على أنه لم يؤمر بأخذ الكتاب بقوة إلا بعد أن كبر؟ وما فائدة إيتائه الحكمة في حال صباه؟

الجواب: أخذ الكتاب بقوة معناه أن يبلغه لبني إسرائيل ويحاججهم على صدقه وصحته ثم يأمرهم بالعمل بأحكامه وشرائعه، ولا يتأتى مثل هذا العمل الكبير لصبي. وفائدة إيتائه الحكمة في حال صباه هي الإرهاص لنبوته، وليكون محط أنظار من يبعث إليهم.

(٣)- **سؤال:** نريد أن نعرف المأخذ أن الكتاب هو التوراة لا غيره؟

الجواب: المعروف أن التوراة هي كتاب بني إسرائيل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا

=

ويجدد الدعوة والتبليغ لبني إسرائيل بما أنزل الله سبحانه وتعالى فيها من الأحكام، وذلك لأن بني إسرائيل كانوا قد حرفوها وغيروها وبدلوها، فأوحى الله إليه بأن ينفذ أحكامها، وأن يعمل بما فيها، ويعلمها الناس بحزم وعزيمة.

﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴿١٤﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه وهب لزكريا ولداً اسمه يحيى رحمة منه لزكريا(١)، وأخبر أيضاً بأنه قد طهره من الذنوب والآثام، وأنه يحمل نفساً زكية وطاهرة من دنس الذنوب والآثام، ولا تحمل شيئاً من الخبائث، وأنه من أهل البر والطاعة للوالدين.

﴿وَسَلَامٌ(٢) عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴿١٥﴾﴾ وأخبره أنه قد أحاطه بعنايته وحفظه من الشياطين ومن الخبائث، من ولادته إلى حين وفاته، وأنه سيبعث كذلك يوم القيامة.

النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ...﴾ [المائدة:٤٤]، وقد بعثه الله ليجدد التبليغ والدعوة لبني إسرائيل لما أن حرفوا كتابهم

(١)- **سؤال:** فعلى هذا علام عطف قوله: ﴿وَحَنَانًا﴾؟ وهل ترون أنه لا بأس بأن يكون التحنن لزكريا والتزكية ليحيى ولا محذور في اختلافهما؟

الجواب: «حناناً» معطوفة على «الحكم» وكل ذلك ليحيى، إلا أن كل ذلك لرحمة الله بزكريا؛ لذلك بدأت السورة بـ﴿كهيعص﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴿٢﴾﴾ ثم قص الله تعالى تفاصيل رحمته بعبده زكريا إلى ختمها بقوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴿١٥﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** فضلاً علام عطفت هذه الجملة: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ ؟ وما معنى السلام هنا؟

الجواب: الجملة مستأنفة والواو استئنافية، ومعنى السلام هنا: السلامة من الشيطان، ومن الوقوع في المعاصي، ومن التفريط في طاعةٍ، وحصول ذلك يكون برعاية الله وحفظه، وإحاطته بالتوفيق والتسديد والمعونة.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يقرأ على قومه قصة مريم وما كان من أمرها، وذلك أنها خرجت من بين أهلها إلى مكان منعزل في جهة الشرق من قرية أهلها(١) لتتعبد الله سبحانه وتعالى فيه.

﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ جعلت لها بناءً يحجبها عن قومها وقد أحكمت غلقه كي لا تراهم أو يروها.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا(٢) فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(٣) ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل إليها جبريل عليه السلام في هيئة البشر.

---

(١)- **سؤال:** هل عرفت قريتها حالياً فأين هي؟

الجواب: يحتمل أن المكان هو شرق بيت المقدس.

(٢)- **سؤال:** لماذا أطلق على جبريل الأمين روح الله؟

الجواب: أطلق عليه ذلك للتشريف والتكريم، ولأنه هو الذي يحمل دين الله وشرائعه إلى البشر أي: أنه رسول الله إلى البشر برسالة الله التي هي كالروح تحيا بها البشر.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب: ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾؟ وهل في الآية دليل على تمثل الملائكة بالبشر؟

الجواب: «بشراً» حال من فاعل «تمثل». «سوياً» صفة لبشراً، وسوغ وقوعَ الحال جامدة نعتُها بقوله: «سوياً»، وسوياً: صفة مشبهة، والآية دليل على صحة تمثل الملائكة بالبشر بإذن الله لا من قِبَل أنفسهم.

سؤال: وهل هناك مانع من تمثل الجن بالبشر لو أقدرهم الله على ذلك؟

الجواب: ولا مانع -إذا أذن الله- أن يتمثل الجن بصور البشر، أما من تلقاء أنفسهم فلا يقدرون على التصور بصور البشر لا هم ولا الملاكة، وما قد يراه بعض الناس أو بعض المرضى من أشباح وصور غريبة فقد يكون بسبب السحر، فعلم السحر هو أصلاً شيطاني بدليل: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴿١٨﴾[(١)] قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴿١٩﴾﴾ فلما رأته ورأت عليه هيئة الصالحين وسمة المتقين قالت له: إني أستجير بالرحمن وألوذ به من أذاك إن كنت تتقي الرحمن وتخاف منه، فأجابها بأنه رسول من عند الله أرسله إليها، وأراها ما يدل على صدقه فأيقنت أنه مرسل من عند الله.

هذا، وقد كان الله سبحانه وتعالى قادراً على أن يحدث الحمل في بطنها من دون واسطة شيء، ولكن حكمته اقتضت أن يُعْلِمَهَا بذلك قبل وقوعه؛ لتستعد لذلك الحمل؛ لأنها لو تفاجأت بذلك وحصل في بطنها عن غير علم منها لَكَبُرَ ذلك عليها ولعظم في نفسها، فأرسل جبريل أولاً إليها ليطمئنها، ويخبرها أن الله سبحانه وتعالى قد اصطفاها على نساء العالمين، وأنه قد رضي عنها، وأنها ستحمل روح الله الذي سيكون آخر أنبياء بني إسرائيل، وأن الله سبحانه وتعالى قد جعله آية للعالمين[(٢)].

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ[(٣)] يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴿٢٠﴾﴾ تعجبت

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما فائدة مجيئها بالشرط: ﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴿١٨﴾﴾ في استعاذتها؟

الجواب: جاءها جبريل في صورة رجل تقي عليه سيماء الصالحين ونور المتقين فجاءت بالشرط المذكور لتبعث في نفسه مشاعر التقوى وتبعثه على ما تقضي به التقوى من العفة والابتعاد عن طرق الشيطان ومداخله التي يدخل منها.

(٢)- **سؤال:** لماذا لم تَشْكُ لله هنا همّ الناس الذي لخصته بقولها بعد: ﴿يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا...﴾؟

الجواب: لم تشك هنا لأنها قد رضيت بما قضاه الله ووطنت نفسها على تحمله والصبر عليه من أوله إلى آخره، ومن شأن من كان كذلك أن لا يشكو ولا يتوجع مما رضي به ويتحمله، مع أن المقام مقام شكر على ما أولاها الله من الفضل العظيم لا مقام شكوى.

(٣)- **سؤال:** هل الواو في قوله: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ عاطفة أم حالية؟

الجواب: الواو للحال، والجملة في محل نصب حال.

من ذلك كيف يمكن أن يكون في بطنها غلام مع أنه لم يمسسها أي بشر، ومعنى «بغياً»: فاجرة زانية، وهو فعيل بمعنى فاعل، أي: باغية.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾[1] فأجابها جبريل عليه السلام بأن الخبر الذي أخبرها به هو ما أراده الله سبحانه وتعالى، وأمره بتبليغها إياه، وأنه أمرٌ هين وبسيطٌ عليه فهو على كل شيء

---

(١)- **سؤال:** هل في قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ دلالة على أن الله أراد خلق عيسى عليه السلام قبل إيجاده فيكون في ذلك رد على من يقول إن إرادة الله هي مراده؟ فما رأيكم؟

الجواب: في ذلك دليل على ذلك إذا فسرنا: ﴿مَقْضِيًّا﴾ بـ«مراداً» ثم نستدل على أن «قضى» بمعنى أراد، بوقوع أحدهما في مكان الآخر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل]، وفي قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم]. وأيضاً في تعقيب الخبر بحملها له واستخدام الفاء في ذلك «فحملته» دلالة على أن معنى «مقضياً» مراداً وأن إرادة الله متقدمة على إيجاد عيسى، وكذا في قوله: ﴿رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا﴾، وقد قدمنا جواباً في ذلك. **وبعد**، فالخلاف في هذا غير مخل بالإيمان ومعرفة الرحمن، فمن قال: إن إرادة الله هي مراده إنما يقصدون بذلك تنزيه الله تعالى عن الإرادة التي هي عَرَضٌ وصِفَةٌ تحل في الموصوف، والله تعالى منزه عن أن تحله الأعراض؛ إذ لا تحل إلا في الأجسام، والله تعالى ليس بجسم، ثم لما يلزم من تقدم إرادة الله تعالى من خلق جميع المرادات في الأزل.

أما الذين يقولون: إن إرادة الله تعالى متقدمة على خلق المراد فيقولون في تفسير إرادة الله المتقدمة على خلق المراد: إنها علم الله تعالى بما تقضي به الحكمة من خلق عيسى عليه السلام في زمن معلوم محدود وخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم في زمن محدد معلوم وبعثه في تاريخ معلوم وقبض روحه في وقت معلوم، وخلق شجرة في وقت معلوم من أوقات التاريخ وفي مكان معلوم، وإنزال المطر في فترة من التاريخ محددة ومكان معلوم بقدر معلوم، وخلق رجل أو امرأة... إلى آخر ما تقضي بخلقه حكمة العليم الحكيم في كل زمان ومكان، فلا يلزم على هذا إطلاقاً خلق جميع المرادات في الأزل.

قدير ولا يعجزه شيء، وليكون ذلك آيةً دالة على عظيم قدرته لمن نظر وتفكر فيها، وأخبرها بأنه رحمة من الله سبحانه وتعالى لبني إسرائيل، وأن هذا أمر قد قضاه وقدره فلا مخرج لها منه ولا بد أن يقع.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴿٢٢﴾﴾(١) وعندما حملت به انعزلت بحملها هذا عن الناس فراراً منهم لئلا يلحقوها بالكلام الفاحش والبذيء، أو يمسوها بسوء أو مكروه، ومعنى «قصياً» بعيداً.

﴿فَأَجَاءَهَا(٢) الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا﴿٢٣﴾﴾ وعندما حان موعد ولادتها كانت حينها بجانب جذع نخلة تندب حظها، وتفكر كيف ستتخلص من أذية قومها، وبماذا ستجيبهم عند عودتها إليهم وهي تحمل بين يديها طفلاً، وكل ذلك ليس منها أنها قد فقدت ثقتها بالله سبحانه وتعالى فهي لا تزال عظيمة الثقة به، وإيمانها بالله سبحانه وتعالى لا زال قوياً، غير أن ذلك شأن كل من يقبل على أمر ذي شأن عظيم، ولا بأس على المؤمن أن يتمنى الموت ولا ضرر في ذلك.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴿٢٢﴾﴾؟

الجواب: «مكاناً» منصوب على الظرفية المكانية، وصح لإبهامه.

(٢)- **سؤال:** ما معنى: ﴿فَأَجَاءَهَا...﴾؟ وما أصل هذا الفعل؟

الجواب: فأجاءها بمعنى: ألجأها المخاض واضطرها إلى جذع النخلة، وأصل «أجاء» جاء فلما دخلت الهمزة تغير المعنى إلى ما ذكرنا.

سؤال: هل هناك فرق بين ﴿نَسْيًا﴾ بالفتح أو الكسر؟ وما المراد بذلك؟

الجواب: لا فرق بين كسر نون «نسياً» وفتحها، هكذا ذكروا مثل: «وَتر» بفتح الواو وكسرها، والنسي الشيء الحقير الذي يترك لحقارته ولا يتألم لفقده.

أما ما ورد من الأثر: ((لا يتمنى أحدكم الموت لضر نزل به)) أي: لأجل مصيبة أو ضرر[(١)] نزل به؛ فلأنه في هذه الحالة لم يرض بقضاء الله وما قدره عليه.

ومريم تمنت الموت لأجل أن لا تواجه ما سيرميها به قومها من الكلام الفاحش والبذيء، ولئلا تسمع ما سيقولونه فيها.

﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴿٢٤﴾﴾ والذي ناداها هو ابنها، وقد قيل إنه جبريل عليه السلام، والسريّ: هو النهر الصغير[(٢)].

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴿٢٥﴾﴾ وأمرها بأن تأكل من ثمار هذه النخلة، وأن تشرب من هذا النهر الذي يجري عندها، وقد قيل: إن هذه النخلة كانت يابسة لا خضرة فيها، فجعل الله سبحانه وتعالى الثمر فيها كرامة لمريم عليها السلام.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ[(٣)] مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ

---

(١)- **سؤال:** على هذا فمتى يجوز تمني الموت مع أنه لا يتمنى أحد نزوله إلا وقت حلول الضرر ولو من الخلق؟

الجواب: يجوز في الحالة التي حصل مثلها لمريم عليها السلام، فقد كانت بين ظهراني قوم يتظاهرون برميها بالفاحشة ويصرون على اتهامها بالزنا وينسبون ولدها إلى غير رِشْدَةٍ، ولا تجد ناصراً ولا مخرجاً من قومها لضعفها وقلة حيلتها على فراقهم والهجرة من بين ظهرانيهم، ومن طبيعة المؤمن النفور والكراهة للمقام بين ظهراني المقيمين على معاصي الله المجاهرين بها ففي مثل هذه الحالة يجوز تمني الموت.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يحمل السَّرِيّ على الغلام الوجيه أو نحوه مأخوذاً من قولهم في الجمع: السراة؟ أم لا ترونه مناسباً مع قوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾؟

الجواب: الأولى تفسيره بالنهر الصغير لما ذكرتم من المناسبة لقوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾؟ ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾؟

الجواب: «قري» فعل أمر وفاعله، و«عيناً» تمييز نسبة أي: أنه محول عن فاعل. و«إما» إن: شرطية =

لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴿٢٦﴾﴾ يطمئنها بأن تهدأ ولا تلقي لأحد بالاً، وأن تكل أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، ولقنها ما تفعل عندما تواجه قومها؛ فلا تجيبهم بشيء عندما يسألونها، وتخبرهم(١) بأنها قد نذرت للرحمن صوماً وأنها لن تكلم أحداً منهم؛ فقد كان السكوت في شريعتهم عبادة يتعبدون لله تعالى به.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴿٢٧﴾ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴿٢٨﴾﴾ أمرها جبريل عليه السلام بأن تذهب به إلى قومها، ولَمّا رأوها صاحوا في وجهها: ما هذا الذي جئت به؟ فرموها بالفاحشة والزنا، وسألوها كيف تفعل هذا الفعل الذي لم يأت بمثله أحد من أهلها ولم يكن عادة أحد منهم؟ ومعنى «فرياً»: منكراً فظيعاً.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴿٢٩﴾﴾ ولم تجبهم مريم عليها السلام بشيء بل أشارت إلى ولدها ليسألوه؛ فتعجبوا من فعلها هذا، فكيف يكلمون صبياً في مهده؟!!

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا(٢)﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا

و«ما» زائدة أدغمت النون في الميم فصار «إما». «ترين» أصله ترأيينن بهمزة هي عين الفعل والياء الأولى هي لام الفعل والياء الثانية ياء الضمير والنون الأولى نون الرفع والثانية هي نون التوكيد المشددة، فحذفت الهمزة التي هي عين الفعل في المضارع باطراد، والياء الأولى تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ثم حذفت لالتقاء الساكنين ثم حذفت نون الرفع لتوالي ثلاث نونات فصار: ترين.

(١)- **سؤال:** لكن هل إخبارها لهم بالنذر نقض لسكوتها أم له معنى آخر؟

الجواب: لا يكون نقضاً لأن انعقاد النذر كان بقولها هذا ولم تعقده قبل هذا القول بدليل أن الله تعالى لم يأمرها بالنذر ويدلها عليه إلا عند رؤيتها لأي من الناس: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية أنه أوتي الكتاب والنبوة في حال صغره أم كيف؟

=

كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ[١] مَا دُمْتُ حَيًّا۝٣١ وَبَرًّا[٢] بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا۝٣٢ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا۝٣٣﴾ فعندها تكلم ذلك الصبي في مهده فاندهشوا من كلامه ذلك وحُسْن جوابه الذي أجابهم به وفصاحته. وقوله: «جعلني مباركاً»: أي كثير النفع للناس.

﴿ذَلِكَ[٣] عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ۝٣٤﴾[٤] فأخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: بأن ذلك المولود الذي جعله على تلك الصفات، وآتاه

الجواب: قد قال قوم إنه أوتي الكتاب والنبوة في حال صغره مستدلين بهذه الآية، وذهب آخرون إلى أنه لم يؤت ذلك في صغره، وأن المراد الإخبار بما حكم الله له به من النبوة والكتاب والبر بوالديه، وهذا القول أوفى بالصحة ؛ لأن الطفل الرضيع غير عاقل مع ضعف بدنه وضعف مداركه ولا يتأتى منه عمل، وكلام عيسى في المهد قد كان لحكمة ومصلحة عظيمة هي الإرهاص بنبوته والبراءة لأمه مما اتهموها به من الفاحشة والإعلان عن عبوديته وتقريرها في أذهان الناس و...إلخ.

(١)- **سؤال:** هل علمت صفة الصلاة والزكاة التي أوصي بها عيسى عليه السلام والمقدار ونحو ذلك؟

الجواب: الله أعلم بكيفية الصلاة التي أوصي بها عيسى عليه السلام ومقدارها وعددها وأوقاتها.

(٢)- **سؤال:** علام عطف قوله: ﴿وَبَرًّا﴾؟

الجواب: عطف على قوله: ﴿مُبَارَكًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾.

(٣)- **سؤال:** يقال: ما فائدة الإشارة إلى عيسى بالبعيد؟

الجواب: أشير إليه بإشارة البعيد لما سبق من بيان صفاته البشرية التي هي بداية خلقه في بطن أمه و...إلخ فلوضوحها البين الذي كان في وضوحه وقوة بيانه كوضوح المحسوس المدرك بالعين يراه الناس بعيونهم.

(٤)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ۝٣٤﴾؟

الجواب: نصب «قول...» على أنه مفعول مطلق مؤكد لمضمون الكلام السابق في عيسى عليه السلام، وعلى قراءة الرفع يكون خبر مبتدأ محذوف أي: هذا قول الحق.

النبوة والكتاب هو عيسى ابن مريم، وليس كما يقولون فيه بأنه رب، وأن الله سبحانه وتعالى أبوه[1] قد اتحد به وتجسد فيه فصار إياه، يريدون بذلك أن روح الله سبحانه وتعالى قد حلت فيه فتجسد فيه فأصبح عيسى هو الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وأخبره بأنهم قد زادوا فيه وغلوا، وأنه ليس كما يقولون، وأن هذا الذي أوحينا إليك فيه هو القول الحق.

﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٣٥﴾[2] وأنه لا ينبغي لله تعالى أن يكون له ولد؛ لعظمته وجلاله وتقدسه عن اتخاذ الولد، وقد تعالى عن صفات المخلوقين من التوارث والتوالد.

وأخبر أنه ليس غريباً في قدرته أن يخلق ولداً من غير أب فهو على كل شيء قدير، وإذا أراد شيئاً كان.

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٣٦﴾ يخاطب نبي الله عيسى[3] عليه السلام بني إسرائيل ويدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى الذي خلقه وخلقهم، وكذلك يدلهم على الطريق الذي فيه نجاتهم.

---

(١)- **سؤال:** هل مقالتهم بأنه أبوه تناقض تماماً قولهم بأنه ربه فمن أي ناحية؟ أم لا تناقضه؟

الجواب: كأنهم يريدون أن عيسى عليه السلام إنما اتصف بالربوبية لأن الله -تعالى وتقدس عما يقولون- اتحد بعيسى وتجسد فيه فصار إياه.

(٢)- **سؤال:** هل هذه الآية تؤكد ما سبق أن الله أراد إيجاد عيسى قبل إيجاده؟

الجواب: فيها دليل على ذلك، وقد ذكرنا ذلك قبل قليل في التعليق.

(٣)- **سؤال:** يقال: من أين نفهم أن هذا خطاب من عيسى لقومه مع أن السياق في خطاب الله لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر عيسى عليه السلام؟

الجواب: ذكر الرازي في هذا توجيهين: أحدهما ما ذكرناه، وأنه معطوف على: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾، والثاني أن القائل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿٣٧﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن بني إسرائيل اختلفوا فيما بينهم(١) في أمر عيسى، وبدأ اختلافهم هذا وهو لا يزال حياً؛ فقال ناس منهم: إنه ولد زنا، وإنه ساحر وكذاب، وقال ناس منهم: إنه ابن الله، وإنه رب؛ فناس غلوا فيه إلى أن أخرجوه من حدود البشرية إلى مقام الربوبية، وناس حطوه إلى أدنى مراتب البشر وأرذلها، وأخبره أن أهل هذين القولين قد كفروا جميعاً، وأنه سيعذبهم جزاءً على ذلك، ومعنى «من مشهد»: من حضور يوم عظيم، فمشهد مصدر ميمي.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٣٨﴾﴾ وأخبره أنهم يوم القيامة سيكونون من أشد الناس سماعاً للحق وأبصرهم للهدى، ولكن حين لا ينفعهم ذلك، وأما في الدنيا فقد رفضوا الحق والهدى الذي جاءهم مع أنهم قد علموا صدق ذلك، وتيقنوا حقيقته وأنه من عند الله سبحانه وتعالى فكفروا وضلوا.

---

(١)- **سؤال:** لو تفضلتم ببيان الموافقة بين ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ و«فيما بينهم» فهذا الأسلوب لا زال يشكل على كثير من المرشدين؟

الجواب: وقعت «من بينهم» هنا حالاً من الأحزاب أي: حال كون الأحزاب المختلفين من بين النصارى، أي: أنهم بعضهم، و«من» بعضية، فهذا بيان معنى «من بينهم». ومعنى «فيما بينهم»: أنهم اختلفوا في الذي استقر بينهم أي: بين أوساطهم، والذي استقر بين أوساطهم هو أمر عيسى عليه السلام، أي: أنهم اختلفوا في أمر عيسى عليه السلام، فاللفظتان مختلفتان في المعنى، فقوله في الآية: ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ أي: أن المختلفين من بني إسرائيل، وقد ذكرنا ذلك في التفسير، ثم قلنا: فيما بينهم أي: في أمر عيسى، وحينئذ فما ذكرناه في التفسير إنما هو توضيح بما تفيده الآية وليس القصد أن «فيما بينهم» بمعنى «من بينهم».

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٩﴾[1] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن ينذر قريشاً ويحذرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم الندم ذلك اليوم، ولم يبق أمامهم إلا العذاب ينتظرهم فلا مفر لهم منه ولا مهرب.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۝٤٠﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيميت جميع من على وجه الأرض، وأنه سيرثها من بعدهم[2]، وكل من كان في يده شيء في الدنيا فليس إلا عارية عنده، وسيرجع الناس جميعاً إليه للحساب والجزاء.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يتلو في القرآن قصة إبراهيم عليه السلام، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أراد أن يشتهر ذكره، ويذيعَ صيتُهُ بين جميع الأمم إعلاءً لشأنه ورفعاً لذكره، وهذا من ثواب الله سبحانه وتعالى لإبراهيم في الدنيا.

﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۝٤١﴾ كثير التصديق بالله سبحانه وتعالى، قويَّ الإيمان به.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۝٤٢﴾ يعظ إبراهيم عليه السلام أباه لأنه كان من أهل الشرك بالله تعالى وأهل عبادة الأصنام، وقد استنكرَ عليه فعله ذلك فكيف يعبد شيئاً لا يسمع ولا يبصر، ولا

---

(١)- **سؤال:** لو أعربتم هذه الآية كاملة وبينتم ظرف قضاء الأمر وظرف الغفلة وحللتم تركيبها طبق ذلك مشكورين؟

الجواب: «يوم» مفعول به ثان لأنذرهم، و«إذ» بدل منه، و«هم في غفلة» جملة حالية من ضمير المفعول به في «أنذرهم» في محل نصب، و«هم لا يؤمنون» جملة حالية في محل نصب من الضمير المذكور أيضاً، والتقدير: أنذرهم حال كونهم على هاتين الحالتين السيئتين.

(٢)- **سؤال:** ما معنى وراثة الله للأرض من بعد الناس؟

الجواب: المعنى: أن الله تعالى أعطى الناس الأرض لينتفعوا بها، وإذا ماتوا عادت إلى الله.

ينفع أي نفع، أو يفعلُ أيَّ مصلحة، أو يدفعُ أيَّ ضرر.

﴿يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا۝٤٣﴾ ونصح أباه بأن يتبعه ليدله على طريق الهدى والصواب وإلى ما فيه نجاته، بعد أن أخبره أن الله قد اصطفاه وقد اختاره لحمل رسالته وجعله نبياً.

﴿يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا۝٤٤﴾ ثم نصح أباه بترك طاعة الشيطان، وأن لا يستمع لوساوسه؛ لأنه من العاصين والمتمردين على الله تعالى.

﴿يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا۝٤٥﴾(١) وأنك إن بقيت على كفرك وعلى عبادة الأصنام فسيخزيك الله تعالى في الدنيا، وستكون من أنصار الشيطان وأتباعه.

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا۝٤٦﴾ استنكر على إبراهيم نصائحه، ووبخه على تركه لعبادة الأصنام وتنفيره عنها، وهدده أنه إن لم يقلع عن عداوته لها فسيلحق به الأذى والتعذيب، وأمر إبراهيم أن يهجره دهراً طويلاً.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا۝٤٧﴾ فرد عليه إبراهيم بالرد الجميل والقول الحسن، وأمَّنه بالسلامة من ناحيته وطمأنه بأنه لن يلحقه أي أذى من جانبه أو أي سوء أو مكروه، ووعده بأنه سيطلب من الله تعالى أن يغفر له، وأخبره بأنه قد وعده أن يلبي له جميع ما طلب منه ويستجيب ما دعاه به، وكان ذلك شفقة منه على أبيه ورحمة به.

---

(١)- **سؤال:** هل في هذه الآيات دليل على أن المخاطَب أبو إبراهيم حقيقة لا قريبه أم لا فكيف؟

الجواب: فيها دليل على أنه أبوه حقيقة لا عمه، ولا ينبغي العدول عن ظاهر الآية لغير دليل واضح.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴿٤٨﴾﴾ ووعد أباه أيضاً بأنه سيعتزلهم، وسيعتزل أصنامهم، وأخبرهم بأنه سيتوجه إلى الله سبحانه وتعالى وإلى عبادته، والدعاء له راجياً منه القبول والدخول في رحمته ومغفرته فعسى أن لا يرده خائباً.

﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثم ذهب إلى بلاد الشام، وذلك أن الله سبحانه وتعالى بعثه إلى أهل بابل(١) في العراق فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته، وحذرهم وأنذرهم عذابه وسخطه، وعندما لم يستجيبوا له ولم يؤمنوا وهددوه- أمره الله سبحانه وتعالى بالهجرة إلى بلاد الشام.

﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴿٤٩﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه وهب لإبراهيم عليه السلام بعد أن هاجر من أرض العراق إلى الشام إسحاق بن إبراهيم ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وجعلهما نبيين(٢).

﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴿٥٠﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد بارك في ذرية نبيه إبراهيم وجعل فيهم الأنبياء(٣)، وكان كل

---

(١)- **سؤال:** وهل كان أبوه في بابل آنذاك؟

الجواب: كان أبوه وقومه في بابل بأرض العراق.

(٢)- **سؤال:** وهل كان وجود إسماعيل قبلهما فما الدليل؟

الجواب: نعم، كان وجود إسماعيل قبل إسحاق ويعقوب، ودليل ذلك ما ذكره الله تعالى في سورة الصافات من قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ...﴾ إلى آخر قصة الغلام الحليم، ثم قال بعدها: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴿١١٢﴾﴾.

(٣)- **سؤال:** هل تريدون أن المقصود بالرحمة في الآية النبوة فما علة ذلك؟

الجواب: قد سمى الله تعالى النبوة رحمة في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢]، وأعظم هبات الله تعالى لإبراهيم وإسحاق ويعقوب هي النبوة وما يتبعها من العلم والحكمة والملك، فما زالت الأنبياء تتعاقب من ذرية يعقوب بن =

أنبياء بني إسرائيل من ذرية يعقوب ابن إسحاق كسليمان وداود وزكريا ويحيى وموسى وهارون وغيرهم كثير، كذلك قد جعل لهم ذكراً حسناً بين الناس، وصيتاً واسعاً فلا تأتي أمة من الأمم إلا وتأتي على ذكرهم والثناء عليهم.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا(١) وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا۝٥١﴾ ثم انتقل الله تعالى إلى ذكر موسى ومكانته العظيمة عنده، وأن الشيطان لم يكن له فيه أي نصيب، والهوى لم يكن له في قلبه أي مكان، فهو من أهل الإخلاص لله تعالى وليس للدنيا فيه أي نصيب، وكان كذلك قبل أن يختاره الله تعالى للنبوة، وأخبر أنه اصطفاه للنبوة ولحمل الرسالة.

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا۝٥٢﴾(٢) ذكر الله تعالى هنا ما اختص به نبيه موسى عليه السلام من الكرامة العظيمة والشرف الرفيع من بين الأنبياء عليهم السلام، فذكر تعالى أنه ناداه وكلمه تكليماً عند الجانب الأيمن من جبل الطور الواقع بأرض سيناء، وقربه إليه ليسمع كلامه تعالى ومناجاته له. وهذا الشرف العظيم لم يكن إلا لموسى عليه السلام.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا۝٥٣﴾ وأيده الله سبحانه وتعالى وشد من أزره بأخيه هارون، فقد بعثه الله نبياً لأجل أن يعين موسى في تبليغ دعوته إلى

إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وكان آخرهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

(١)- **سؤال:** ما الحكمة في عدم إسناد الإخلاص إلى موسى، بل جعل الإخلاص واقعاً عليه في قوله: ﴿مُخْلَصًا﴾؟

الجواب: جعل الإخلاص واقعاً عليه لأنه حظي بألطاف الله وتوفيقه وتسديده وحسن رعايته منذ ولادته وفي جميع مراحل عمره، وقد قرئ بكسر اللام فيكون هو فاعل الإخلاص بتوفيق الله وتسديده و..إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿نَجِيًّا﴾؟

الجواب: «نجياً» حال من ضمير المفعول في «قربناه».

فرعون وملئه، واستنقاذ بني إسرائيل من بطشه وظلمه وجبروته.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ ثم ذكر الله نبيه إسماعيل عليه السلام ونوه بذكره وبما كان عليه من صفات الكمال البشري فذكر تعالى:

- أنه عليه السلام كان صادق الوعد.
- وأنه كان رسولاً من عند الله تعالى برسالة إلى الناس.
- وأنه كان نبياً يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي من عند الله، وهذا الوحي هو غير(١) الرسالة التي يأتيه بها جبريل عليه السلام ليبلغها للناس.
- وأنه كان يأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وبأداء ما افترضه الله تعالى من الفرائض، وإنما خص الصلاة والزكاة بالذكر لأنهما كالعنوان لما سواهما من الفرائض.
- وأنه عليه السلام كان مرضياً عند الله لما كان عليه من المعرفة بالله والخشية له وامتثال أمره واجتناب نهيه.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

بعث الله تعالى نبيه إدريس(٢) عليه السلام في الوقت الواقع بين آدم ونوح عليهما السلام، وقد ذكره الله تعالى هنا لينوه بذكره وينشر فضله ويرفع منزلته ويعلن بعظيم مكانته، وهذا من

---

(١)- **سؤال:** يا حبذا لو أوضحتم كيف يكون الوحي هذا غير الرسالة إلى الناس؟

الجواب: الوحي هذا يكون وحياً خاصاً للنبي لا يراد منه أن يبلغه إلى الناس.

(٢)- **سؤال:** هل عرف إدريس عليه السلام ابن من هو؟

الجواب: إدريس هو الأب الرابع لنوح عليه السلام فهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ -فأخنوخ هو إدريس عليه السلام، وسمي إدريس لكثرة دراسته- بن مهلائيل بن يزد بن قيشان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام.

ثواب الله في الدنيا وكرامته لأوليائه، وهكذا كل رسل الله وأنبيائه عليهم السلام الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن وأثنى عليهم.

وقد قال بعضهم في معنى قوله: «ورفعناه مكاناً علياً»: إن الله تعالى رفعه إلى السماء، وأظن أن هذه الرواية غير صحيحة، وأن المراد بذلك هو أن الله سبحانه وتعالى رفع ذكره وشأنه، وجعل له مكانة ومنزلة عظيمة عند بقية أنبيائه، وكان ذكره ذائعاً بين أهل جميع الأديان والأمم، وكان كل نبي يذكره في الكتاب الذي أنزل عليه، ويشيد بذكره ورفع منزلته.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ[١] وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ ثم أخبر الله تعالى بأن هؤلاء الذين تقدم ذكرهم هم الذين اختارهم الله لنبوته واصطفاهم لتبليغ رسالاته، وأن بعضهم من ذرية آدم، وبعضهم من ذرية من نجا مع نوح (وهم بعض أولاده)؛ لأنه لم يبق في الأرض إلا نوح ومن آمن به، ولم يؤمن به إلا أولاده، وأن بعضهم من ذرية إبراهيم، وبعضهم من ذرية إسرائيل الذي هو يعقوب، وقد أراد بالذين من ذرية إبراهيم إسماعيل، وأن بعضهم من ذرية من قد هداهم الله سبحانه وتعالى واجتباهم.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾[٢] وكانوا إذا

---

(١)- **سؤال:** بم تعلق الجار والمجرور في قوله: ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾؟

الجواب: «من ذرية آدم» بدل من قوله: ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ بإعادة الجار، وهو في محل نصب، ومن النبيين متعلق بمحذوف حال والعامل في البدل هو العامل في المبدل منه.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾؟ وما أصل هاتين الكلمتين؟

الجواب: «سجداً» حال منصوب من فاعل ﴿خَرُّوا﴾ و«بكياً» معطوف عليه. و«سجداً» جمع تكسير لساجد اسم فاعل سجد، و«بكياً» جمع باك على غير القياس اسم فاعل بكى وكان القياس أن يجمع باك على بكاة كقاض وقضاة.

سمعوا آيات الله سبحانه وتعالىٰ وبيناته وحججه خروا علىٰ وجوههم خوفاً وخشية من الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا[١] الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ ثم حكىٰ الله تعالىٰ أنه قد خرج من ذراري هؤلاء الأنبياء أمم أضاعوا كتاب الله تعالىٰ وكذبوا بأنبيائه ورسله وأطاعوا إبليس واتبعوا شهواتهم ورغباتهم، وأخبر أنهم بسبب عصيانهم لله واتباعهم لشهواتهم وإضاعتهم للصلاة سيلقون جزاء أعمالهم.

والغي هو العذاب، ويقال: «غوي الفصيل» إذا شرب ثم مات من ذلك.

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠﴾ وأن من تاب من هؤلاء ورجع إلىٰ الله تعالىٰ وآمن به وفعل ما أوجب الله عليه فإنه سيتوب عليه ولو كان قد عمل المنكرات وارتكب الفواحش، وأنه ما دام قد رجع إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فسيدخله الجنة ولا ينقص من أجره شيئاً.

يرغب الله تعالىٰ بذلك أهل مكة وغيرهم ممن عمل المعاصي في أن باب التوبة مفتوح لمن أراده.

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ[٢] كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝٦١﴾ وهذه الجنة التي يدخلها التائبون هي جنات إقامة دائمة لا ينقطع نعيمها، وقد وعد بها عباده الذين آمنوا وصدقوا بها حال كونها غائبة عنهم ولم يكونوا رأوها، وذلك

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بإضاعة الصلاة؟

الجواب: إضاعة الصلاة تركها بأن لا تفعل أصلاً.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾؟ وإلامَ يعود الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾؟

الجواب: «جنات عدن» بدل من الجنة منصوب بالتبع وضمير إنه يعود إلىٰ الرحمن، ويجوز أن يكون ضمير الشأن.

لأن الذي لا يؤمن بها إلا عند رؤيتها ومشاهدتها لا تقبل توبتهم؛ لأن التكليف يكون قد ارتفع.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ وأنهم فيها لا يسمعون الكلام الفاحش والباطل، وليس فيها من ذلك اللغو شيء إلا الأمن والأمان والراحة، ولن يرى أحد فيها ما ينكد عليه عيشه أو ينغص معيشته، فهم في جميع أوقاتهم يتقلبون في نعيم الجنة وخيراتها في سلام وسرور وراحة.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ أخبر الله تعالى أن تلك الجنة التي ذكرها سيورثها عباده أهل التقوى والخوف منه والوجل من اقتراف معاصيه دون غيرهم من العصاة والمصرين على الكبائر.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ[1] وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ عاتب النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام في أمر تأخره عن النزول إليه، وطلب منه أن يكثر التردد والنزول عليه، فأجابه جبريل عليه السلام بأنهم لا يتنزلون إلا متى أراد الله تعالى، وأن ذلك ليس تحت أيديهم وإرادتهم، وأخبره أنه ليس لهم أي تصرف في ذلك لأن الله تعالى هو مالك أمرهم وتصرفهم فلا يستطيعون أن يفعلوا شيئا إلا بأمر منه، وأخبره أن تأخر نزوله ليس عن نسيان من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فالله تعالى لا ينسى، وأنه ينزلهم متى دعت إليه الحكمة والمصلحة، فمتى اقتضت حكمته أن ينزلنا فإنه يأمرنا بذلك.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ هذا من كلام جبريل عليه السلام مخاطباً لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا ينزل إلا بأمر من

---

(١)- **سؤال:** ما المقصود بقوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾؟

الجواب: أي: أن الله تعالى هو المالك والمدبر لجميع أمورنا، ماضيها ومستقبلها وما بين ذلك، لا نملك معه شيئاً.

الله تعالى الذي هو[(١)] رب السماوات والأرض وما بينهما، ثم أمره بأن يستقيم على عبادته والدعوة إليه، وأن يستمر على ما مضى فيه من الدعوة والتبليغ، وأن يصبر على ذلك أشد الصبر لأن الله وحده هو أهل للعبادة، وتلك الأصنام التي يعبدونها من دونه ليست إلا زوراً وبهتاناً.

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ[(٢)] أُخْرَجُ حَيًّا۝٦٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال المشركين بأنهم يستنكرون على من يقول بالبعث بعد الموت، وكيف يصح لمن صار تراباً أن يرجع حيواناً كما كان من قبل؟

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا۝٦٧﴾ ألم تعلموا أيها المنكرون للبعث بعد الموت أن الذي خلقكم وسواكم قادر على إعادة خلقكم بعد الموت، ولو رجعتم إلى عقولكم لما أنكرتم ذلك.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا۝٦٨﴾ يخاطب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مقسماً بنفسه بأنه سيحشر أولئك المكذبين مع الشياطين يوم القيامة ثم يحضرهم حول جهنم جاثين على ركبهم فلا يستطيعون القيام من شدة هول ما يرون.

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا۝٦٩﴾[(٣)] ثم إنه سيأخذ

---

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن «رب» خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هو»؟

الجواب: يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون عطف بيان من «ربك» في قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا۝٦٤﴾.

(٢)- **سؤال:** ما فائدة دخول اللام على «سوف» في قوله: ﴿لَسَوْفَ﴾؟

الجواب: دخلت اللام للإشارة إلى أن هناك قسماً محذوفاً.

(٣)- **سؤال:** لو أعربتم: ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا۝٦٩﴾ لكان مناسباً؟

الجواب: أي: اسم موصول بمعنى الذي مبني على الضم في محل نصب مفعول به لننزعن، وأي مضاف وضمير الجماعة مضاف إليه. وأشد: خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: هو أشد، والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

من كل فرقة[١] من فرق المشركين والمكذبين كبيرها وأشدها عداوة لله تعالى ولدينه ليزيد في حسابهم وجزائهم بسبب ضلالهم وإضلالهم غيرهم.

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ وأخبر أنه عالم بالمكذبين الذين يستحقون دخول النار، وأنه لن يستطيع أحد أن يغالطه أو يموه عليه.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۝٧١﴾ أراد بذلك المشركين والمكذبين بالبعث[٢]، وأن دخولهم النار وعد حتم واجب ومقطوع به لا خلف فيه ولا تبديل.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ وأما المتقون فأخبر الله تعالى عنهم بأنهم لن يحضروا حول جهنم ولن يروها أو يشاهدوها، ولن يروا ما يسوؤهم أو يفزعهم من ساعة مماتهم إلى أن يدخلوا الجنة، وذلك بخلاف ما عليه غيرهم من المكذبين والظالمين، و«ثم» هاهنا معناها بعد حال أهل الجنة عن حال أهل النار[٣].

---

(١)- **سؤال:** لو تكرمتم بإيضاح المناسبة بين هذا وبين معنى الشيعة لغة؟

الجواب: قال الرازي: وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة.اهـ وعليه فتكون الشيعة هي الفرقة التي تجتمع على مذهب واحد.

(٢)- **سؤال:** إذاً فلأي شيء غيَّر سبحانه الضمير في قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ إلى الخطاب رغم أنه في الآيات السابقة يخاطبهم بضمير الغيبة «هم» «أيهم» «لنحشرنهم»؟

الجواب: الانتقال من أسلوب الخطاب إلى الغيبة أو العكس أو من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة أو...إلخ أسلوب بديع وباب من أبواب البلاغة وفن من فنونها، والحكمة فيه هي القصد إلى تنشيط ذهن السامع وتطريته، وأيضاً في هذه الآية زيادة هي أن المواجهة بالوعيد التي يفيدها ضمير المخاطب أبلغ وأشد وأوقع من التهديد للغائب.

(٣)- **سؤال:** لكن يقال: فلِمَ عطف عليه قوله: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾ فقد يفهم منه ورود الفريقين على جهنم؟

الجواب: الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ للكافرين والظالمين خاصة دون =

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴿٧٣﴾﴾ كانت قريش إذا تلا عليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ القرآن سألوه: مَن الأفضل نحن أم أنتم يا محمد؟ وأيهما أحسن نادينا أم ناديكم؟ ومن أحسن مقاماً في مكة نحن أم أنتم يا محمد(١)؟

لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين كانوا في مكة في ضعف وفقر وشدة، بخلاف المشركين فكانوا في عزة وكثرة وغنى ووجاهة، ونواديهم كانت مزينة بالثياب الفاخرة والمناظر البهية الجذابة، مما جعلهم يغترون بما هم فيه من النعيم في الدنيا، وجعلهم ذلك يظنون أنهم أحسن من المسلمين وأفضل منهم، وأنهم لو لم يكونوا كذلك لما أعطاهم الله في الدنيا ما أعطاهم من متاع الدنيا.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا﴿٧٤﴾﴾ ثم أجاب الله تعالى عليهم على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن الله قد أهلك قبلكم يا قريش كثيراً من الأمم

المتقين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]، وعطف قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴿٧٢﴾﴾ على قوله: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾، لبيان هوان الظالمين على الله وخزيهم في عذاب جهنم بعد بيان فوز المتقين وكرامتهم على الله وعظيم منزلتهم لديه، وقد يكون العطف لبيان أن الجملة المعطوفة من جملة ثواب المتقين من حيث أنهم يستَرُّون ويتنعمون بسجن أعدائهم في نار جهنم الذين كانوا يعذبونهم في الحياة الدنيا بأنواع العذاب ويتكبرون عليهم ويظلمونهم ويفعلون فيهم الأفاعيل المنكرة.

(١)- **سؤال:** ما الغرض في معارضتهم لتلاوة القرآن بتلك الأسئلة؟

الجواب: أرادوا بالمعارضة رد حجة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآياته بما اعتقدوا أنه حجة لهم وآية بينة على كرامتهم على الله فإنهم لما رأوا نعم الله عليهم كثيرة اعتقدوا أن ذلك لكرامتهم على الله، ورأوا ما عليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون من الضعف والفقر فاعتقدوا أن ذلك لهوانهم على الله.

الذين كانوا أحسن مقاماً وأكثر مالاً وأبهى جمالاً منكم يا قريش، وقد أهلكهم الله تعالى بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم، وسيعذبكم الله تعالى على ذنوبكم كما عذب من كان قبلكم من الأمم، ومعنى «رئياً»: منظراً وهيئة.

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن من كان من أهل الضلال فإن الله سبحانه وتعالى سيزيده في الدنيا وسيمتعه فيها وسينعم عليه، ولكنه لن يزداد بذلك إلا مضاعفة في العذاب بسبب زيادة ما يقترفه من المعاصي والتكذيب والاستهزاء، فإن ذلك مما يجعله يستوجب عذاباً أكثر وأعظم.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾(١) وأنهم لا يزالون في زيادة الذنوب والاستكثار منها حتى ينزل الله تعالى عليهم عذابه أو حتى تقوم الساعة.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۝٧٥﴾ وعند حلول ما يوعدون سيعلمون من هو شرّ مقاماً ومن هو الأضعف جنداً هم أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه؟

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۝٧٦﴾ وأما المؤمنون وإن سلبتهم الدنيا زينتها وجمالها فإن لهم عند الله منازل رفيعة وشرفاً عالياً ويمدهم الله تعالى بأنوار الهدى.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الأعمال الصالحة التي يكتسبها المؤمنون أفضل عنده مما يرون في أيدي الكفار والمشركين من متاع الدنيا وزينتها، وأن عاقبتها في الآخرة أفضل.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾؟

الجواب: يعربان على البدلية من مفعول «يرون».

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾﴾ قيل إن قائل ذلك هو الوليد بن المغيرة، فقد كان له من الأولاد سبعة عشر ولداً، وكان من كبار التجار في قريش، وكان يحلف أن الله تعالى سيزيده من الأموال والأولاد ويقطع بذلك ويحدث به بين الناس، فأوحى الله تعالى إلى نبيه ﷺ ليعجبه من مقالة ذلك الفاجر المعجب بنفسه وبما هو فيه من زينة الحياة الدنيا حتى زينت له نفسه ودعاه غروره إلى اعتقاده عظمة نفسه، واستحقاقه أن يعطيه الله ما يريد من المال والبنين حتى أقسم إنه ليؤتين مالاً وأولاداً فوق ما عنده.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾ فهل اطلع على علم الغيب حتى عرف أن الله تعالى سوف يعطيه ذلك، أم أن الله عهد إليه بكتاب كتبه إليه فيما يدعي ويزعم؟

﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ هذا ردٌّ من الله سبحانه وتعالى لمقالته تلك، وإخبار بأنها مقالة كاذبة، وأنه لن يعطيه ما يدعيه من زيادة الأموال والأولاد، وأخبره الله تعالى بأنه سوف يجازيه على مقالته هذه، وأنه سوف ينال من العذاب زيادة على غيره لخبثه ومكره، وذلك أنه كان يسمى حكيم قريش لما يتمتع به من الذكاء والخبث والدهاء، وكانوا يرجعون إليه في الرأي والتدبير والمشورة ضد النبي ﷺ.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾ وكذلك سنرث ماله وأولاده بعد موته، وسيأتينا يوم القيامة لا يملك شيئاً.

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن قريش بأنهم اتخذوا لهم آلهة يعبدونها من دون الله لتكون لهم عزاً ولينتصروا بها ولتدفع عنهم الشر والمكروه.

﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ[1] عَلَيْهِمْ ضِدًّا۝٨٢﴾ رد الله تعالى عليهم زعمهم ذلك، وأن الأمر ليس كما يزعمون ويظنون فلن تستطيع آلهتهم هذه أن تعزهم أو تدفع عنهم، وأخبرهم أنهم لن ينالوا من عبادتهم لها إلا الذل والخزي والهوان.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عن حال معبوداتهم تلك يوم القيامة وما سيكون منهم لمن يدعي ألوهيتهم، فأخبر أنهم سيكفرون بعبادتهم وسينكرون عليهم عبادتهم لهم، وأنهم لم يأمروهم بذلك وإنما كانوا يتبعون الشياطين وما زينوه لهم.

وذلك لأن الأصنام التي ينحتونها إنما يصورونها على هيئة وصورة من يدعون ربوبيته إما من الملائكة أو من المخلوقين كالمسيح وعزير، فأخبر الله تعالى أنه إذا أتى يوم القيامة فإن الملائكة ستأتي منكرة على أولئك الذين كانوا يعبدونهم، وتشهد عليهم بأنهم كانوا كافرين متبعين لأهوائهم وشهواتهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا۝٨٣﴾ ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه خَلَّى بين الشياطين وأتباعهم في الدنيا؛ ليتم التكليف وليختبر المكلفين أيهم يتبع الشيطان، وأيهم يتبع الرحمن فمن أطاع الرحمن أمده الله تعالى بالألطاف والتنوير وزيادة الهدى والتوفيق، ومن أطاع الشيطان تركه الله من ألطافه ونور هدايته وتوفيقه، وذهبت به الشياطين إلى طرق الغواية وسلكت به سبل الضلال، وتقحمت به في العظائم والجرائم.

ومعنى «تؤزهم»: قال في الكشاف: الأز والهز والاستقرار أخوان، ومعناها: التهييج وشدة الإزعاج.

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تذكير ضمير الآلهة في ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ و﴿يَكُونُونَ﴾؟

الجواب: آلهة: جمع إله، وإله مذكر فعاد الضمير مذكراً؛ لأن المعنى مذكر.

وليس هناك أمر من الله للشياطين بإضلال الكافرين، وإنما المقصود أنهم عندما كفروا بالله سبحانه وتعالىٰ سلبهم ألطافه وحفظه وتركهم عرضة للشياطين تسوقهم وتسيرهم كيفما شاءت وتضلهم عن الطريق وتدخلهم في المهالك.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ[1] لَهُمْ عَدًّا﴿٨٤﴾﴾ فلا تستعجل نزول العذاب بهم يا محمد فإنا سنأخذهم عند حلول وقته، وإن لهم آجالاً لا بد أن يبلغوها، ومتىٰ بلغوها حل بهم وعد الله، وإن لهم ساعات معلومة فمتىٰ استتموا عددها حل بهم العذاب.

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴿٨٥﴾﴾[2] يذكر الله سبحانه وتعالىٰ كيف يحشر عباده المتقين، فأخبر أنه سيجعل لهم المواكب التي ترافقهم يوم الحشر ويحفهم بملائكته المكرمين، ويلبسهم أثواب الكرامة والعظمة.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴿٨٦﴾[3] لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا[4] مَنِ

---

(١)- **سؤال:** ما هو أصل هذا الفعل هل هو من العد أم من الإعداد؟

الجواب: أصله العد، عد يعد عداً.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ﴾؟ وكذا: ﴿وَفْدًا﴾؟

الجواب: «وفداً» مفعول مطلق لفعل محذوف أي: يفدون وفداً وتقدر الجملة حالاً، و«يوم...» مفعول به لاذكر محذوفاً وهو مضاف إلىٰ الجملة التي بعده.

(٣)- **سؤال:** هل يمكن أن يؤخذ من هذه الآية أن المجرمين فقط هم المقصودون بالخطاب في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟

الجواب: نعم الآية تدل علىٰ ما ذكرتم من حيث أن الله تعالىٰ ذكر هنا أن المتقين يحشرون إلىٰ ما أعد الله لهم وهم محاطون بالكرامة والتعظيم والتشريف، فكلمة «وفداً» تبين نوع الحشر الذي هو من نوع حشر الوفد الذي يفد في الدنيا إلىٰ الملوك يعلوهم السرور والبهجة ويحاطون بالكرامة والتشريف، وهذا يدل علىٰ أنهم لا يتعرضون إلىٰ محن وشدائد في حشرهم إلىٰ ثواب الله.

(٤)- **سؤال:** هل الاستثناء منقطع أم متصل؟ وما قرينة ما اخترتموه أيدكم الله؟

الجواب: يصح تخريجها علىٰ كل واحد من الوجهين فيصح أن يكون الاستثناء متصلاً علىٰ أن يكون المستثنىٰ منه «المتقين» و«المجرمين». ويصح أن يكون منقطعاً علىٰ أن يكون عودها إلىٰ

=

اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴿٨٧﴾﴾ وأما المجرمون فسيحشرون إلى الله سبحانه وتعالى وهم في غاية الذلة والمهانة كما تساق الحيوانات إلى وردها ليس لهم من يشفع لهم أو يحاول إنقاذهم عند الله سبحانه وتعالى، ولم يبق لهم إلا جهنم ولا محيص لهم عنها، ثم استثنى الله سبحانه وتعالى أولئك الذين يعملون الأعمال[١] الصالحة بأن شفاعته سوف تكون لهم خاصة.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴿٩٠﴾﴾ كان مشركو قريش يقولون إن الملائكة بنات الله، وكذلك النصارى كانوا يقولون: عيسى ابن الله، واليهود كانوا يقولون: عزير ابن الله، فرد الله سبحانه وتعالى عليهم ادّعاءهم ذلك بأنهم قد افتروا عليه وادعوا عليه منكراً في غاية القبح وأشنعه، حتى أن السماء تكاد أن تتصدع من فحشه وقبحه، وأن الأرض تكاد أن تتشقق وتنهد الجبال من شناعة ما يقولونه ويفترونه على الله سبحانه وتعالى.

﴿أَنْ دَعَوْا[٢] لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴿٩٢﴾﴾ لأجل

«المجرمين» الواقع في الجملة المتصلة بـ«إلا» ولا مانع من توجيه «إلا» على أي وجه من الوجهين كما يظهر.

(١)- **سؤال:** ما الوجه في أن أهل الأعمال الصالحة هم من اتخذ عند الرحمن عهداً؟

الجواب: الوجه ما نطق به القرآن من عدم الشفاعة للظالمين ونفيها عنهم وذلك قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴿١٨﴾﴾ [غافر]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴿٢٧٠﴾﴾ [البقرة]، ثم ما نطق به القرآن من الوعد الكريم للمتقين دون الظالمين والكافرين والفاسقين.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل: ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ الإعرابي؟ وهل «دعوا» بمنزلة «ادعوا»؟ فما السر في استخدام «دعوا»؟

الجواب: محل: «أن دعوا» الجر بلام محذوفة أي: لأن دعوا، أو في محل نصب بنزع الخافض وهو متعلق بـ«يتفطرن»، و«دعوا» بمعنى سَمَّوا أو نسبوا، وليس بمنزلة ادَّعوا.

مقالتهم هذه وادعائهم على الله تعالى التوالد؛ لأنهم بهذا القول حطوه عن منزلة الإلهية إلى منزلة المخلوقين تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وأخبر أنه ليس من شأنه تعالى أن يتخذ الأولاد، وأن يوصف بذلك فليس من جنس ما يتوالد.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾[1] ما دام أن كل من في السماوات والأرض ملكه وعبيده فلا يصح أن يكون له فيهم أولاد للتنافي بين العبودية والبنوة.

﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ[2] وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ أحصاهم في علمه بعددهم وأعمالهم، وسيحشرون إليه يوم القيامة فيحاسب كل امرئ بما عمل ولن يشفع له عند الله تعالى إلا عمله فقط فلا قرابة أو وساطة أو وجاهة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ كانت الأرض قد ضاقت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وذلك أنهم كانوا قلة قليلة وكانوا منبوذين عند جميع الناس قبل الهجرة، فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه الآية يعده بأنه سوف يجعل لهم وداً ومحبة في قلوب الناس بعد مدة من الزمان وما عليهم الآن إلا الصبر؛ يخفف الله سبحانه وتعالى على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين ما هم فيه من الشدة والمحنة، ويحثهم على زيادة الصبر.

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝٩٧﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه أنزل القرآن عليه باللغة العربية، وأنه يسر قراءته

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «إن» في قوله: ﴿إِنْ كُلُّ﴾؟ وما إعراب: ﴿عَبْدًا﴾؟

الجواب: «إن» نافية، و«عبداً» حال من فاعل «آتي».

(٢)- **سؤال:** إلى من يرجع الضمير في قوله: ﴿أَحْصَاهُمْ﴾؟

الجواب: يرجع إلى «من» في قوله: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

له ليبشر به المتقين بالثواب والجزاء، ولينذر به مشركي قريش؛ لأنهم كانوا أشد الناس خصومة ومجادلة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإنكاراً وإصراراً على التمرد وعدم قبول الحق والهدى.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ(١) هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴿٩٨﴾﴾(٢) وأخبره بأنه قد أهلك كثيراً من الأمم قبلهم بسبب تكذيبهم وتمردهم فلم يبق لهم أي أثر أو حس، والركز: هو الصوت الخفي، أو المشي الخفيف الذي لا يسمعه أحد.



---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾؟

الجواب: «كم» هي الخبرية مبني على السكون في محل نصب مفعول به لأهلكنا أي: أهلكنا كثيراً، و«من قرن» تمييز وبيان لـ«كم».

(٢)- **سؤال:** ما هي مناسبة كون هذه الآية خاتمة للسورة؟

الجواب: الآية تشير إلى نهاية السورة وتؤذن بتمامها، وذلك من حيث إنها تحدثت عن إهلاك الله تعالى لقرون كثيرة من المكذبين بآيات الله ورسله واستئصالهم بعذابه، وهلاكهم بعذاب الله تعالى هو نهاية حياتهم وآخرها ونهاية كفرهم وتكذيبهم.

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى۝٢﴾ يحتمل أن يكون اسماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ(١)، ويحتمل أن يكون من الحروف المقطعة التي يبتدأ بها السور كـ(الم ـ والـــر).

أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه لم ينزل عليه القرآن ليتعب نفسه ويجهدها في ملاحقة قريش ليؤمنوا؛ وقد كاد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يهلك نفسه حزناً وحسرة وتعباً في ملاحقة قريش؛ شفقة عليهم أن يلحقهم عذاب الله تعالى وسخطه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يخفف على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعبه ذلك رحمة به وشفقة عليه.

﴿إِلَّا(٢) تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى۝٣﴾(٣) وأخبره أنه لم ينزله عليه إلا ليذكرهم به فقط، فإذا علموه فمن أراد أن يؤمن فقد أنقذ نفسه، ومن أبى فحسابه على الله وقد

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا كان اسماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلماذا لم يُبْنَ على الضم؟

الجواب: المراد أنه يحتمل أن يكون اسماً للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من اسمين من أسماء الحروف الهجائية فيكون مثل «حم» و«الر».

(٢)- **سؤال:** مم هذا الاستثناء؟

الجواب: الاستثناء منقطع بمعنى «لكن».

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنه لا يلزم التذكير إلا لأهل الخشية ومن ظُن فيه التأثير: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ۝٤٥﴾ [ق]، فهل يعمل به أم لا؟ فما هي العلة؟

الجواب: الظاهر غير معمول به بالنسبة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل يلزم التذكير لأهل الخشية ولغيرهم وإنما ذكر أهل الخشية لأنهم المنتفعون بالذكرى، والدليل أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مأمور بتبليغ ما أرسل به من الذكر الحكيم للناس جميعاً أهل الخشية وغيرهم، وكم في القرآن الكريم من أوامر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يقول للمشركين مثل: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ۝١٣﴾ [فصلت].

أدى صلوات الله عليه وعلى آله ما عليه من التبليغ والحجة، وحسابهم على الله سبحانه وتعالى.

﴿تَنْزِيلًا(١) مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا۝ الرَّحْمَنُ(٢) عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى۝﴾ وأن هذا القرآن منزل من عند خالق السماوات والأرض المستولي عليهما وعلى ما فيهما، والمسيطر عليهما بقدرته وسلطانه وتدبيره.

والعرش هو الملك، وإنزال الله تعالى للقرآن هو من جملة تدبيره في مملكته، وقد أنزله إلى أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحمة بهم.

وما يقولونه بأن هناك سريراً، وأن الله تعالى قد استوى فوقه جالساً؛ فالجواب عليه: أن ذلك منافٍ للسياق الذي ورد فيه من التمدح وإظهار العظمة والكبرياء بأن هذا القرآن تنزيل من خالق السماوات والأرض والمدبر لأمرهما ولما فيهما والمستولي على جميع ما فيهما.

ولو كان الأمر كما يقولون بأن هناك سريراً، وأن الله سبحانه وتعالى قد استوى عليه جالساً لكان في إقحامه في هذا السياق غاية القبح وأسمجه، يعرف ذلك من له أدنى مسكة في كلام العرب ومخاطباتهم ومحاوراتهم.

وإنما المراد بذلك أنه خلق السماوات والأرض ثم استولى على ملكهما، وسيطر عليهما بقدرته وإرادته وتصرفه وتدبيره، من الخلق والرزق والموت والحياة، وما

---

(١)- **سؤال:** فضلاً: ما إعراب: ﴿تَذْكِرَةً﴾ و ﴿تَنْزِيلًا﴾؟

الجواب: نصب «تذكرة» على أنه مفعول من أجله، و«تنزيلاً» مفعول مطلق لأنزلنا محذوفاً، ويجوز أن ينتصب على المدح والاختصاص.

(٢)- **سؤال:** ما العلة في عدم جر: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على أن يكون بدلاً من «من» في قوله: ﴿مِمَّنْ خَلَقَ﴾؟

الجواب: لم يجز إعرابه بدلاً لاختلال النظم بانقطاع ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى۝﴾ عما قبله.

أشبه ذلك[١].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى۝﴾ ثم أكد[٢] على ذلك مبيناً لاستوائه على العرش بأنه الذي يملك السماوات والأرض وما فيهما، وأنهما تحت قدرته وقبضته وسيطرته.

---

(١)- **سؤال:** إذا قيل: بأنه ظهر لنا تفسيركم للاستواء والعرش بما فسرتموه هنا، لكن ما المانع من أن يكون معنى العرش بناءً عظيماً فيه حكمة للملائكة خصوصاً في الأحاديث الصحيحة التي رواها الإمام زيد والإمام الهادي وأغلب المحدثين من غيرهم: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله)) وما جاء في الوضوء: ((إلا كتبت في رق تحت العرش حتى تدفع لصاحبها يوم القيامة)) فظاهرها لا يحتمل التأويل؟

الجواب: لا مانع من أن يجعل الله تعالى للملائكة عرشاً في السماء يعتكفون عنده ويتوجهون إليه في صلاتهم ويطوفون به، كما جعل للناس بيتاً في الأرض «الكعبة». والممنوع تفسير الآية هنا بالبناء العظيم أو بالسرير العظيم، وتفسير الاستواء بالجلوس والقعود، فهذا هو الممنوع؛ لأن المعنى يكون: الرحمن جلس على السرير أو الكرسي أو على البيت، وليس في هذا مدح ولا ثناء على الله، مع ما يلزم من التشبيه لله تعالى وتجسيمه.

وبعد، فلم نخرج في تفسيرنا لهذه الآية عن اللغة العربية ولغة القرآن، فقد حملنا: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى۝﴾ على الكناية التي هي أبلغ من الحقيقة، وهكذا نقول فيما ورد: ((تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله)) أي: نحمله على الكناية التي من شأنها إرادة لازم المعنى فلازم «استوى على العرش» استولى على الملك، فمن قعد على سرير الخلافة أو عرش الخلافة كان هو المسيطر على الملك والمستولي على المملكة. ومن وضعه الملك في ظل كرسيه أو تحت ظل عرشه كان في مأمن آمن بعيداً عن المخاوف. وما كتبه الملك وسجله في قرطاس ووضعه عند رأسه أو تحت كرسيه عرفنا أنه شديد العناية به حريص على حفظه، فمن هنا فالمراد بقوله: ((إلا كتبت في رق...)) حفظ العمل وثوابه لصاحبه غاية الحفظ.

(٢)- **سؤال:** من أين نفهم هذا التأكيد؟

الجواب: المراد التوضيح والبيان لا التأكيد الاصطلاحي.

﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى۝٧﴾ ثم خاطب الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه سواء عليك يا محمد أجهرت بكلامك أم أخفيته في نفسك، فهو عالم بما في نفسك ومطلع عليه. والسر: هو ما يكون بين اثنين من الهمس فلا يسمعهما من بجوارهما، والذي هو أخفى منه: هو ما كان في القلب من الكلام، ولم يخرج من اللسان.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى۝٨﴾ فلا إله في السماوات والأرض إلا الله تعالى، وهو وحده الذي يختص بالأسماء الحسنى، ويستحق الصفات العليا من العظمة والكبرياء، وأنه الرب والرحمن والرحيم ومالك الملك، ونحوها من صفات المدح والثناء، وليس للأصنام حظ ولا نصيب في شيء من الأسماء الحسنى.

فما ذكر من قوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾......إلى قوله: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى۝٨﴾، فهو تفسير لقوله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى۝٥﴾.

﴿وَهَلْ[1] أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى۝٩ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى۝١٠﴾ هل علمت يا محمد ما كان من قصة موسى وأمره عندما رأى ناراً وهو في طريق سفره عائداً من عند نبي الله شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع امرأته ليلاً؟

وذلك أنه خلال مسيره كانت الظلمة شديدة، والليلة باردة، فرأى ناراً على مسافة؛ فأمر امرأته بأن تنتظر ليذهب إلى تلك النار فيأتيهم بما يستضيئون به ويستدفئون، أو يجد عندها من يدلهم على الطريق؛ لأنهم كانوا قد ضلوا طريقهم، ومعنى «آنست»: أبصرت إبصاراً بيناً لا شبهة فيه.

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «هل» في هذه الآية؟

الجواب: معناها التقرير أو بمعنى «قد».

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى۝١١ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى۝١٢﴾ فلما وصل عند النار سمع منادياً يناديه باسمه، ويأمره بأن يخلع نعليه لأن المكان الذي يطؤه مقدس، ولا يليق أن يدوسه بنعاله، وكان اسم ذلك المكان «طوى»، والذي ناداه هو الله سبحانه وتعالى.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى۝١٣﴾ وهذا من كلام الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام بأنه قد اختاره لحمل رسالته وتبليغها.

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي۝١٤﴾ وأمره بأن يخصه بعبادته، وأن يستمر على إقامة الصلاة ليبقى[1] على تواصل مع الله سبحانه وتعالى، ويبقى ذكره في قلبه حتى لا ينساه؛ وذلك أن طبيعة الإنسان النسيان والصلاة ستذكره بالله تعالى؛ لأنه إذا أقام صلاة الصبح فإنه سيشتغل بعد ذلك بأمور معيشته وبدنياه، مما يتسبب ذلك في نسيانه لله تعالى، فإذا كان وقت الظهر فإنه سيعود إلى ذكر الله سبحانه وتعالى، وهكذا إلى المغرب؛ فلا ينقطع عن ذكر الله بذلك في جميع أوقاته.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى[2] كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى۝١٥﴾ هذا أيضاً من كلام الله سبحانه وتعالى لنبيه موسى عليه السلام بأن الساعة وموعد القيامة

---

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذا أن اللام هذه للتعليل فهل يصح أن تحمل على التوقيت بمعنى: عند ذكري، خصوصاً أنه قد ورد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها بعد قوله: ((من نام عن صلاته أو سها عنها...)) إلخ؟

الجواب: قد ذكروا من الوجوه أن تكون توقيتية أي: لأوقات ذكري، واستدلوا بالحديث، وأكثر التوجيهات أنها للتعليل.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿لِتُجْزَى﴾ متعلق بقوله: ﴿ءَاتِيَةٌ﴾ أو بقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾؟

الجواب: هو متعلق بآتية لقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ...﴾ [سبأ:٣] إلى قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ [سبأ:٤].

آت لا محالة، وذلك لينال فيها كل امرئ جزاء ما عمل، وأخبره أنه لا يعلم موعدها إلا هو.

وقوله: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أراد بذلك أن الحكمة تقضي بإخفائها فأخفى وقت مجيئها: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، وأظهر عن مجيئها لمصلحة التكليف.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴿١٦﴾﴾ وأمره أن لا يصدق من أخبره بأن لا حقيقة لها، وأنه إن صَدَّق هؤلاء الذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم فسيقع في الخسارة والهلاك.

﴿وَمَا تِلْكَ(١) بِيَمِينِكَ يَامُوسَى﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ(٢) عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴿١٨﴾﴾ ثم سأل الله سبحانه وتعالى نبيه موسى عليه السلام عن العصا التي يحملها في يده ما هي وما أمرها؟ فأجابه بأنها عصاه التي يستعين بها في مسيره، ويضرب بها أغصان الشجر لتأكل غنمه، وأن له فيها مصالح ومنافع أخرى، أراد الله سبحانه وتعالى بسؤال موسى ذلك السؤال التمهيد لإخباره بأنه سيجعل له فيها آية ومعجزة.

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴿٢١﴾﴾ أمره بذلك ليطلعه على الآية التي جعلها له في هذه العصا للدلالة على نبوته، والمراد بسيرتها الأولى: حالتها الأولى التي كانت عليها.

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى﴿٢٢﴾﴾(٣)

---

(١)- **سؤال:** ما السر في استخدام إشارة البعيد هنا؟

الجواب: الإشارة للتحقير والسر في تحقيرها هو ما أراده الله تعالى من ترتيب المعجزة العظيمة على الشيء الحقير.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾؟

الجواب: لا محل لها من الإعراب لأنها مستأنفة في جواب سؤال مقدر.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿ءَايَةً أُخْرَى﴿٢٢﴾﴾؟

الجواب: تعرب حالاً من فاعل «تخرج».

وأمره بأن يدخل يده في جيبه ويضعها تحت عضده الأيسر ليطلعه على آية أخرى ومعجزة تدل على صدق نبوته، وكانت تخرج بيضاء ناصعة البياض من غير برص أو أي سوء، وكان من رآها ينبهر بما يراه، ويعلم أن ذلك شيء من عند الله سبحانه وتعالى.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴿٢٣﴾﴾ وأخبره أن ذلك الذي أعطاه من الآيات والمعجزات الخارقة للعادة التي لا تدخل تحت قدرة البشر.

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴿٢٤﴾﴾ ثم أمره أن يذهب إلى فرعون ليريه هذه الآيات ويخبره أنه مرسل إليه من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه قد تجاوز الحد في الظلم والطغيان، وليأمره بأن يرجع إلى الله تعالى ويترك ما هو فيه.

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴿٢٦﴾﴾ عند ذلك دعا الله سبحانه وتعالى بأن يعينه على هذا التكليف الذي كلفه به؛ وذلك أنه كان يشكو من التسرع في أكثر الأمور ومن عدم التحمل والصبر عليها، يظهر ذلك مما كان منه في الرجل الذي وكزه فقتله عندما رآه يتخاصم مع رجل من قومه، وتسرعه في ذلك وعدم التروي والنظر فيما بينهما، وشرح الصدر بمعنى: توسعته حتى لا تستفزه الحوادث الصغيرة ولا الكبيرة.

وكذلك دعا الله سبحانه وتعالى أن يسهل له هذه الطريق والسبيل التي أمره أن يمضي فيها التي هي تبليغ رسالته.

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي﴿٢٨﴾﴾ وكان يشكوا من انحباس في الكلام؛ لأنه كان إذا تكلم بكلام فإنه يقطع كلامه ذلك لآفة تمنعه عن الاستمرار في مواصلة الكلام، ومعنى «يفقهوا قولي»: يفهموا مخاطبتي ولا يعسر عليهم شيءٌ من كلامي.

﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي[1]﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي

---

(١)- **سؤال:** ما العلة في تأخير التعريف بالأخوة والأجدر بها التقدم هكذا: أخي هارون؟

الجواب: قدم «هارون» ليشير إلى أنه دعا الله أن يجعل هارون وزيراً له لأهليته للوزارة لا لكونه =

أَمْرِى﴿٣٢﴾ ﴾ ودعا الله سبحانه وتعالى أن يجعل له من يعينه في مهمته هذه وتكليفه هذا، وأن يكون هذا المساند أخاه هارون، وأن يجعله نبياً.

﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا(١)﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴿٣٥﴾﴾ فأنت يا رب بصير بنا وعالم بأحوالنا، ولم نعهد منك إلا الخير.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى﴿٣٦﴾﴾ فأخبره الله تعالى بأنه قد سمع نداءه وأنه قد استجاب له مطلوبه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴿٣٧﴾﴾ وأخبره الله سبحانه وتعالى بأنه قد امتن عليه بنعمة أخرى غير نعمة النبوة وهي:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ(٢) الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ(٣) مَحَبَّةً مِنِّي

أخاه، ولو قدم «أخي» على «هارون» لأفاد أنه سأل الوزارة له لكونه أخاه، وهذا مع ما في تقديم «هارون» من رعاية الفاصلة.

(١)- **سؤال:** إذا قيل: بأن التسبيح الكثير والذكر الكثير يحصل من موسى عليه السلام بدون إعانة أخيه هارون فكيف جعلها العلة في طلبه الاستعانة بأخيه؟

الجواب: الذكر الكثير يحصل بدون إعانة أخيه ولكن في وجود أخيه بجانبه يذكر الله ويسبحه زيادة نشاط يكثر معه التسبيح والذكر ويتضاعف.

(٢)- **سؤال:** ما السر في الإخبار بإلقاء البحر لموسى على الساحل بصيغة الأمر: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾؟

الجواب: السر في ذلك أن الله تعالى حكى لموسى الوحي الذي أوحاه إلى أمه: ﴿اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ...﴾ إلخ، وقد كان الوحي بصيغة الأمر ومن الوحي لأم موسى الأمر للبحر بإلقائه بالساحل بأمر الغائب الذي وضع له اللام «لام الأمر» وأوحي إليها الأمر للبحر بإلقائه بالساحل ليطمئن قلبها على ولدها.

(٣)- **سؤال:** هل معنى ﴿عَلَيْكَ﴾ لأجلك؟ أم أنها على أصل استعمالها فكيف؟

الجواب: «على» مستعملة بمعناها الأصلي أي: ألقى الله على موسى أسباب المحبة من جمال الصورة والحركة والصوت والروى، وليس هناك ما يدعو إلى الخروج عن الظاهر.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ يذكره الله تعالى بنعمته عليه بعد ولادته حين أوحى إلى أمه وألهمها بأن تضعه في تابوت وتغلق عليه وتلقيه في البحر، وأوحى إليها بأن هذا التابوت يحمله الماء ثم يدفعه إلى الساحل، وأن فرعون سيأخذه وسيربيه، وأخبره بأن ذلك كان بتدبير منه، وأنه ألقى في قلب فرعون محبته والشفقة عليه، وأنه الذي سخر لتربيته أشد الناس عداوة له، يحوطونه بعنايتهم ورعايتهم، وأنه مع ذلك تحت حراسة الله تعالى وحفظه.

﴿إِذْ(١) تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ(٢) أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا(٣) وَلَا تَحْزَنَ﴾ وكذلك يذكره بنعمته عليه عندما ذهبت أخته

---

(١)- **سؤال:** هل هذا الظرف متعلق بما قبله؟ فكيف يكون تقدير الكلام؟

الجواب: الظرف متعلق بما قبله أي: أنه بدل من الظرف الأول: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا...﴾ وهذا متعلق بـ﴿مَنَنَّا﴾، أي: أن الله تعالى مَنَّ على موسى عليه السلام بما تضمنته هذه الآيات من الحفظ والرعاية، وقد كان قذفه في التابوت ثم في اليم ثم على الساحل وأخذ فرعون له وذهاب أخت موسى لتحسس خبره في وقت واحد متصل بعضه ببعض لذلك صح إبدال الظرف الثاني من الأول، ومن الله تعالى على موسى عليه السلام بمشي أخته ليس لذات المشي، وإنما من أجل ما ترتب عليه من عودة موسى إلى حضن أمه لينعم بحنانها وشفقتها ويرضع من لبنها و...إلخ.

(٢)- **سؤال:** ما السر في استخدام أخته للاستفهام فيما أرادت أن تخبرهم به؟

الجواب: السر في ذلك أن أخت موسى رأتهم يأتون إلى موسى بالمراضع فلا يقبل فيسألون عن المراضع فيقبلون بهن فلا يقبل، وأخت موسى ترى ذلك، فلما رأتهم تحيروا بعد أن أقبل الأدلاء بالمراضع سألتهم: هل أدلكم...؟ وقد كانت رأتهم يسألون الأدلاء عن المراضع حتى تحيروا، ولم يسألوها لخفاء مكانها: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص]، ولكنها لما رأتهم تحيروا أظهرت نفسها وسألتهم: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ...﴾ لظنها أنهم قد وصلوا إلى حاجة ملحة لمرضعة.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ كناية عن الاطمئنان والراحة؟ فما وجه التلازم بينهما؟ أم =

لتسأل وتتحسس من الذي أخذ التابوت، وأنها عرفت أنه في بيت آل فرعون، وكانوا خلال ذلك يبحثون له عن مرضعة ترضعه، فكان كلما وصلت مرضعة رفض أن يرضع منها، حتى وصلت أخته ورأت ما رأت فأخبرتهم بأنها ستدلهم على مرضعة ترضعه.

وأخبره أن كل ذلك بتدبير منه تعالى ليرجع إلى أمه رحمة منه تعالى بها؛ ليخفف عنها ما هي فيه من الحزن والشدة، مع أن آل فرعون لا زالوا حريصين عليه أشد الحرص أن لا يلحقه أي سوء أو مكروه، وكانوا يعطونها مع ذلك أجرة إرضاعه.

﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ ويذكره أيضاً بنعمته عليه عندما وكز ذلك الرجل من آل فرعون فقتله، ثم إنه نجاه وخلصه من آل فرعون لئلا يظفروا به فيقتلوه جزاءً على ما قتل منهم، ونجاه من غم طلبهم له إذ دله على طريق ساقته إلى نبي الله شعيب عليه السلام في بلد لا سلطان لفرعون فيها، فمكث عنده هارباً عشر سنين، وأخبره أنه الذي قد هيأ له ذلك، ودبّره له.

ومعنى ﴿فَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾: أن الله قد رباك تربية حسنة حتى صرت مخلصاً له لا مكان لإبليس ولا للهوى في قلبك، يقال: فُتِنَ الذهبُ إذا أخرج خبثه[1].

من أي أنواع الكلام هو؟

الجواب: الكلام هذا هو من الكناية فقرارة العين وسكونها ملازم للاطمئنان والراحة كما أن حركة العين ودورانها دليل الخوف والقلق بدليل قوله تعالى: ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب:١٩].

(١)- **سؤال:** لا زال معنى الفتن هنا غير ظاهر لنا حتى المثال الذي استشهدتم به يظهر منه الاختبار والتمييز للذهب من الخبث فلو وضحتم أكثر لكان مناسباً؟

الجواب: المعنى: أخلصناك ونقيناك من الشوائب كما يخلص الذهب من الخبث.

﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى[1] قَدَرٍ يَامُوسَى﴿٤٠﴾﴾ وأخبره الله تعالى أنه الذي قدر له كل ذلك وهيأ له أن ساقه إلى جبل الطور في خلال سفره عائداً من عند نبي الله شعيب لملاقاة ربه وتكليمه، وأن ذلك لم يكن مصادفة فهو الذي قد كتب هذا الميعاد وقضاه وقدره.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴿٤١﴾﴾ وأخبره أنه قد شمله بعنايته ورعايته؛ لأجل أن يتخذه رسولاً يبلغ رسالته؛ والله سبحانه وتعالى لا يختص بنبوته ورسالته إلا من كان مخلصاً له جل وعلا لا نصيب فيه للهوى ولا للشيطان.

﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ[2] يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴿٤٤﴾﴾ ثم أمره بأن يأخذ آياته[3] ويذهب بها مع أخيه هارون إلى فرعون فيبلغاه رسالة الله، وأن لا يأخذهما الفتور والتواني، وكان فرعون قد طغى في الأرض وتجبر فيها، ولا بد أن يدعواه إلى ترك ظلمه وجبروته، ويحذراه عذاب الله وبأسه إن لم يستجب لداعي ربه، وأمرهما أن يلينا له في ذلك؛ لأن اللين يكون أدعى إلى القبول.

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴿٤٥﴾﴾[4] خافا على نفسيهما

---

(١)- **سؤال:** ما معنى «على» في قوله: ﴿عَلَى قَدَرٍ﴾؟

الجواب: معناها الاستعلاء أي: محمولاً على قدر أو مستقراً على قدر.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل بأن الترجي والتأميل في قوله: ﴿لَعَلَّهُ﴾ لا يقوله إلا من لا يعلم عاقبة الأمور فكيف يكون من جهة الله تعالى؟

الجواب: الرجاء مصروف إلى موسى وهارون عليهما السلام أي: ليكن دعاؤهما له مثل دعاء من يرجو استجابة المدعو ؛ لأن دعاء من لا يرجو استجابته تكون ناقصة وباردة.

(٣)- **سؤال:** هل المراد بهذه الآيات كتاب معني أم المعجزات ونحوها؟

الجواب: المراد المعجزات.

(٤)- **سؤال:** هل معنى قوله: ﴿أَنْ يَطْغَى﴾ نفس معنى: ﴿أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا﴾؟ أم له معنى آخر فما هو؟

=

من فرعون ومن بطشه وجبروته، وشكوا إلى الله سبحانه وتعالى بأنهما إن بلغاه آياته فسيبادر بقتلهما والفتك بهما، ولن يرده عن ذلك شيء لشدة جبروته وكبره.

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى۝٤٦﴾ فطمأنهما الله سبحانه وتعالى بأنه معهما وأنه سيعصمهما منه.

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ(١) مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ يلقنهما الله سبحانه وتعالى الكلام الذي أرسلهما به إليه، وهو أن يخبراه بأنهما مرسلان من عند ربه وخالقه ليستنقذا بني إسرائيل من قبضته وظلمه وجبروته.

وقوله: «رسولا ربك» لينبهاه على أنه ليس إلا عبداً مربوباً، ومن الجدير بالعبد أن يطيع ربه.

﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى(٢)۝٤٧ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى۝٤٨﴾(٣) وأن يخبراه أن الله سبحانه وتعالى قد

الجواب: «أن يطغى» له معنى آخر، هو: أن يتمادى فرعون في طغيانه وكبره وكفره وظلمه وغشمه في جميع البلاد والعباد، أما «أن يفرط علينا» فمعناه: أن يعجل علينا بالعقوبة قبل أن نستتم الدعوة ونبلغه الرسالة.

(١)- **سؤال:** ما المسوغ لعطف الطلب في قوله: ﴿فَأَرْسِلْ﴾ على الخبر: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾؟

الجواب: لا يشترط في العطف بالفاء أن تكون الجملتان خبريتين أو إنشائيتين كما هو الحال في العطف بالواو، ولا يشترط في عطف الجمل بالفاء إلا كون إحداهما سبباً لحصول الثانية.

(٢)- **سؤال:** هل في هذه الآية دليل على أن السلام على الكفرة والفسقة لا يجوز؟ أم لا فكيف؟

الجواب: السلام في هذه الآية هو السلامة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، والكافر والفاسق ممن حكم الله تعالى عليهما بعذاب الآخرة، ولا يجوز للمؤمن أن يدعو بخلاف ما حكم الله به وأراده، وقد نهى الله تعالى النبي ﷺ والمؤمنين أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم.

(٣)- **سؤال:** ما النكتة في تخصيص الإيحاء بأمر العذاب على المكذبين مع أن التسليم ومجيئهم
=

أيدهما بالآيات الدالة على صدقهما وأن الله سوف يعذبه إن أبى وتمرد وسينتقم منه أشد الانتقام، وإن استجاب وآمن فإن الله تعالى سيسلمه من عذابه وسخطه.

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى﴿٤٩﴾﴾ بعد أن بلغاه رسالة الله إليه سألهما فرعون من ربكما هذا الذي أرسلكما؟!! استخفافاً منه بهما وبمن أرسلهما.

﴿قَالَ(١) رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴿٥٠﴾﴾ فاستغَلّا سؤاله هذا إذ فتح لهما طريقاً إلى أن يصفا له الله تعالى، ويذكرا له الآيات الدالة عليه من الخلق والرزق والتدبير، فقالا له: ربنا هو الذي خلق(٢) الناس وأعطاهم كل متاع الحياة الدنيا ومنافعها وزينتها وهداهم إلى كيفية الانتفاع بما أعطاهم في الأرض من المنافع.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴿٥١﴾﴾ فرد عليهما فرعون وسألهما عن أحوال الأمم السابقة، وهل أرسل الله تعالى إليها الرسل؟ وهل آمنوا أم كذبوا؟

وكان سؤاله هذا لأنه تفاجأ بموسى وتعجب مما جاءه به، وأنه رسول الله إليه ليأمره بالإيمان، وتهديده له بأنه إن لم يؤمن فإن الله سيعذبه مما دفعه ذلك لأن يسأل عن حال الأمم السابقة هل جاءهم ما جاءه، وكذلك ليغالط موسى ويخرجه عن

بالآيات من جملة ما أوحي إليهما؟

الجواب: التخصيص هو لإظهار أهمية الخبر لفرعون ولبيان شدة العناية به.

(١)- **سؤال:** ما السر في إفراد موسى بالقول ونسبته إليه فقط؟

الجواب: السر أنه هو صاحب الرسالة الكبرى، وهارون عليه السلام -وإن كان نبياً- تابع لموسى ووزير له يأتمر بأمره وينتهي عن نهيه.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم أن ﴿خَلْقَهُ﴾ بمعنى مخلوقه، وأنه مفعول أول لأعطى، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مفعول ثانٍ فهل يصح أن يجعل ﴿خَلْقَهُ﴾ مفعولاً ثانياً فيكون معناه وهب لكل مخلوق شكله وصورته اللائقة به ثم دله إلى منافعه؟

الجواب: التفسير هنا مبني على أن خلقه هو المفعول الأول، وذكر في الكشاف الوجهين: أن يكون المفعول الأول، وأن يكون كما ذكرتم المفعول الثاني.

موضوع ما جاء به من الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وإلى الإيمان به، وهروباً من محاججته له أمام الملأ لئلا يفتضح أمره بينهم.

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى۝٥٢﴾ قال موسى عليه السلام: أخبار القرون السالفة عند ربي لا علم لي بها، وستلقى تلك القرون جزاءها يوم القيامة على كل صغير وكبير، قد أحصى الله أعمالها فلا يخفى عليه منها شيء.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ ثم عقب ذلك بوصف ربه بأنه الذي هيأ لكم هذه الأرض ومهدها لتسكنوا وتعيشوا على ظهرها، وشق لكم فيها الطرق التي تتنقلون من خلالها لحاجاتكم ومصالحكم في جميع نواحي الأرض، وليسهل لكم التواصل مع بعضكم البعض.

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا(١) بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى۝٥٣ كُلُوا وَارْعَوْا(٢) أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى۝٥٤﴾ وأخبره بأنه الذي سخر لهم السحاب الذي ينزل منه المطر، فينبت به جميع أصناف النبات الذي يأكلونه ويتنعمون فيه هم ودوابهم وأنعامهم.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما العلة في تحويل الضمير من الغيبة إلى المتكلم في: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ مع أنه سيشكل إذا كان لا يزال من كلام موسى عليه السلام؟

الجواب: حكى الله تعالى كلام نبيه موسى عليه السلام فلما بلغ في الخطابة إلى هذا الموضع أسند الإخراج إلى نفسه، لما في إخراج النبات المختلف من الآيات العظيمة الواضحة المتكررة التي تحدث أمام أعين الناظرين.

(٢)- **سؤال:** يقال: ما العلة في أن الله سبحانه لم يأت بقوله: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا﴾ على جهة الوصف فيقول: «تأكلون منه وترعون أنعامكم» مع أنه الأولى حسب ظاهر الكلام؟

الجواب: في «كلوا» و«ارعوا» التصريح بالإباحة لهم بالأكل والرعي والإذن لهم بذلك، وأنه يريد ذلك لهم، وفي هذا زيادة الامتنان عليهم.

وصف موسى عليه السلام لفرعون ربه بما ظهر من أفعاله وآياته لينبهه هو وملأه على النظر والتفكر؛ لعلهم يستيقظون من غفلتهم، ويفكرون بعقولهم ليتوصلوا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، ومعنى «أولي النهى»: أولي العقول.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ(١) وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى۝٥٥﴾ يُذَكِّرُ موسى عليه السلام فرعون بأصله وأنه بعيد عن مقام الربوبية، إذ هو عبد مملوك ومخلوق من التراب كسائر بني آدم، وأن مرده إليه، وأخبره بأن الله سبحانه وتعالى سيعيد خلقه مع سائر بني آدم مرة أخرى للحساب والجزاء.

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى۝٥٦﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه قد أعلم فرعون آياته الدالة على صحة نبوة موسى وصِدْقِ دعوته وما جاء به، وأنه نبي من عند الله تعالى، ولكنه كذب وامتنع عن الإيمان غاية الامتناع، واستكبر عن قبول الحق والهدى.

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَامُوسَى۝٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ أجاب فرعون على موسى بهذا الجواب، وأنه لم يأت إلا بالسحر لقصد الاحتلال لأرضهم والسيطرة عليها، وتهدده وتوعده بأنه سيأتيه بسحر يغلب سحره هذا.

وهو بكلامه هذا يغالط قومه خوفاً من أن يؤمنوا بموسى فأوهمهم أن الذي جاء به موسى ليس إلا سحراً لئلا يصدقوه ويتبعوه، وأما في الحقيقة فقد عرف صدق موسى(٢) وعرف صحة ما جاء به من الآيات، وأنه نبي من عند الله.

---

(١)-**سؤال:** إلى أين يعود الضمير في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾؟

الجواب: يعود إلى الأرض في قوله تعالى: ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

(٢)-**سؤال:** من أين عرفنا أنه قد عرف صدق موسى..إلخ؟

الجواب: عرفنا ذلك من قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ...﴾ فسمى الله تعالى =

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى[(١)] ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ[(٢)] النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ وطلب من موسى عليه السلام أن يحدد موعداً ليجتمع فيه مع السحرة ليباريهم أمام الملأ، وكان السحر في ذلك الوقت قد راج، وصار في أوج ازدهاره وتطوره، وصاروا يتفننون فيه ويتنافسون في ميدانه، وكانوا قد بلغوا الغاية في علمه.

وقد أجاب موسى عليه السلام بأن موعد ذلك هو يوم عيدهم، وكان قد اقترب موعد ذلك اليوم وكان الناس يجتمعون فيه جميعاً للاحتفال والفرح، فاستغل موسى تلك المناسبة وجعل موعد ذلك ضحى ذلك اليوم.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ[(٣)] ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾﴾ فأمر فرعون بمن ينادي في سحرة أرض مصر ليجتمعوا ويوافوا ذلك اليوم فحضر السحرة واجتمعوا.

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ

صنيع فرعون حين جمع السحرة كيداً ليموه على الناس أن ما جاء به موسى سحر وقد علم أنه ليس سحراً.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾؟ وما معناه؟

الجواب: أقرب ما قيل في إعرابه أن يكون بدلاً من «موعداً» على أن يكون موعداً مصدر ميمي ويقدر مضاف أي: مكان موعد أي وعدٍ، ومعنى «مكاناً سوى» أي مكاناً وسطاً أي: تستوي مسافته إلينا وإليك، وقول موسى عليه السلام: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يدل على مكان مشهور.

(٢)- **سؤال:** كيف ساغ عطف المصدر: ﴿أَنْ يُحْشَرَ﴾ على قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾؟

الجواب: التقدير: وعدكم وعد يوم الزينة، فعطف «وأن يحشر...» على «وعد يوم الزينة» أو يعطف «أن يحشر..» على الزينة أي: يوم الزينة وحشر الناس.

(٣)- **سؤال:** ما المراد بكيده وكيف جعله مُتَعلّقاً للجمع في قوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾؟

الجواب: المراد بكيده هو حيلته التي دبرها ليصد الناس عن التصديق بما جاء به موسى، وجعلت مفعولاً للجمع؛ لأنها لا تتحقق كما يريد فرعون إلا بجمع السحرة.

خَابَ مَنِ افْتَرَى﴿٦١﴾﴾ فعندما اجتمعوا وعظهم موسى وذكرهم بالله سبحانه وتعالى وأن يرجعوا إليه وأن يكونوا صادقين معه، وإلا فإنهم سيعرضون أنفسهم لسخط الله سبحانه وتعالى وعذابه، وأخبرهم أن سحرهم هذا ليس إلا كذباً وافتراءً على الله تعالى، وأنهم بفعلهم هذا يغالبون الله تعالى، ولن يستطيعوا أن يغلبوه، ومعنى «فيسحتكم»: فيستأصلكم بعذابه.

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴿٦٢﴾﴾ ثم إن السحرة عندما سمعوا مقالة موسى اختلفوا فيما بينهم فاجتمعوا وتشاوروا مخفين تشاورهم، فمن قائل يقول: إن مقالة موسى هذه مقالة عجيبة، وإن الكلام الذي قاله ليس كلام ساحر؛ ومن قائل: إنه ساحر قد أبدع في سحره غاية الإبداع.

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴿٦٣﴾﴾ وكان القائلون لهذا القول من جانب الفراعنة ومن حولهم، قالوا إن ما جاء به موسى وهارون ليس إلا سحراً يريدان به أن يحتلا عليكم أرضكم، ويُنْهُوا عليكم دينكم الذي هو أمثل دين وأحسنه، ويبدلوه بدين غير دينكم.

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴿٦٤﴾﴾ يتشاور سحرة مصر فيما بينهم ويشجع بعضهم بعضاً بأن يجتمعوا على كلمة واحدة ثم يقبلوا على موسى بجميعهم صفاً واحداً ليسهل قضاؤهم عليه ليحرزوا الفوز والظفر ورضا فرعون عنهم، ومعنى «أجمعوا كيدكم» أي: سحرتكم.

﴿قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴿٦٥﴾﴾ ثم نادى السحرة على موسى بعد أن اجتمعوا وخططوا طالبين منه أن يختار أن يبدأ هو، أو يبدؤوا هم، وفي سؤالهم له هذا السؤال دلالة على أنهم كانوا واثقين كل الثقة بأنفسهم وظفرهم بموسى عليه السلام سواء كان البادئ أو هم.

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴿٦٦﴾﴾(١) فرد عليهم موسى بأن يبدؤوا، فملأوا الساحة بعصيهم وحبالهم المسحورة كأنها ثعابين تسير وسط الميدان.

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴿٦٨﴾﴾ عندما رأى موسى ذلك خاف في نفسه، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن لا يخاف وطمأنه بأنه سينصره على سحرهم، ومعنى «أوجس في نفسه»: أحس في نفسه.

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴿٦٩﴾﴾ ثم أمره بأن يلقي عصاه لتأكل ما رموا به من الحبال والعصي المسحورة، وأخبره أنه لا حقيقة لما يراه وإنما هو كيد وسحر وأنها لن تستطيع أن تلحق بأحد أي ضرر أو مكروه، فألقى عصاه فإذا هي حية عظيمة فأخذت تلتهم ما ألقوه من الحبال والعصي حتى أتت على كل ذلك.

﴿فَأُلْقِيَ(٢) السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴿٧٠﴾﴾(٣) عندما ألقى موسى عصاه ورأوها تلتهم ما جاءوا به من السحر عرفوا أن ما جاء به ليس من

---

(١)- **سؤال:** هل في الآية هذه مأخذ في أن السحر واقعٌ حتى يظهر لمشاهده الشيء في غير صورته الحقيقية أم أنها دالة على العكس من حيث أثبتت أنه خيال لا واقع إلا أنه قد يقال: وإثباتهم للخيال دليل على تأثير السحر فما رأيكم؟

الجواب: قد قدمنا جواب هذا في سورة البقرة فليرجع إليه.

(٢)- **سؤال:** ما السر في بناء هذا الفعل للمجهول؟

الجواب: السر هو الإشارة إلى سرعة سجودهم إثر الآية العظيمة فكأن شيئاً ألقاهم واضطرهم إلى السجود بغير اختيارهم.

(٣)- **سؤال:** لماذا لم تعطف جملة: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا﴾ على ما قبلها؟

الجواب: لم تعطف لأنه أريد أن تكون جواباً لسؤال مقدر، وتكون «قالوا ...» صفة في المعنى للساجدين في حال سجودهم فلم يكن «قالوا آمنا ..» شيء آخر مغاير.

السحر في شيء، وأن هذه العصا قد انقلبت حية حقيقية، وأنها آية من آيات الله سبحانه وتعالى، فخروا على وجوههم سُجّداً لله تعالى وآمنوا وصدقوا بأن موسى نبي مرسل من عند الله تعالى.

﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ(١) الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ عندما رأى فرعون ذلك منهم غضب عليهم غضباً شديداً واستنكر فعلتهم تلك، وإيمانهم بموسى قبل أن يأذن لهم، وصاح عليهم بأن موسى ليس إلا ساحراً بل إنه كبير السحرة، وأنه الذي علمهم السحر؛ قال ذلك لأنه خاف من أهل مصر أن يؤمنوا بموسى عندما رأوا ذلك المشهد، فغالطهم ولبَّسَ عليهم بإعلانه للتهمة للسحرة بأنهم متآمرون هم وموسى وأنه هو الذي علمهم السحر.

﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴿٧١﴾﴾ «في» هنا بمعنى «على» أي: على جذوع النخل، والمعنى أن فرعون بعد ذلك هددهم وتوعدهم، وأراد بقوله: ﴿مِنْ خِلَافٍ﴾ أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وتوعدهم أيضاً بأن سيصلبهم أحياءً بعد أن يقطع أيديهم وأرجلهم ليكونوا عبرة للمعتبرين، وليرهب الحشد المحتشد في ذلك اليوم ليخافوا من اتّباع موسى وليحذروا الإيمان به.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾(٢) فرد السحرة على فرعون غير خائفين من تهديده ووعيده لهم، وأخبروه بأنهم لن يؤثروا طاعته

---

(١)- **سؤال:** ما السر في فصل جملة: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى...﴾ عن جملة: ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ...﴾؟

الجواب: السر أن الجملة وقعت مستأنفة في جواب سؤال مقدر عن السبب والعلة لإيمانهم به.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن يعطف قوله: ﴿وَالَّذِى فَطَرَنَا﴾ على قوله: ﴿مَا جَاءَنَا﴾ أم أنه قسمٌ متأخر؟

الجواب: يصح الوجهان، والعطف أولى.

على طاعة الله تعالى والإيمان به، وخاصة بعدما رأوا ما رأوا من الآيات البينات الدالة على صدق موسى ونبوته.

﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي[1] هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿٧٢﴾﴾ كان الإيمان قد استحكم في قلوبهم، وأيقنوا أنهم سيلاقون الله تعالى؛ فلم يبالوا بما هددهم وتوعدهم به، وأخبروه بأنه لا يستطيع أن يسيطر عليهم مهما فعل، وأنه إن تمكن منهم في الدنيا فسيردون إلى الله سبحانه وتعالى فيثيبهم وينتصف لهم منه ومن ظلمه لهم.

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴿٧٣﴾﴾ أجابوا فرعون بهذا الجواب على الرغم من معرفتهم أن عاقبة أمرهم القتل[2] والصلب من فرعون، ولكنهم آثروا الله تعالى وطاعته على طاعة فرعون؛ لأنهم قد تيقنوا أن ما عند الله سبحانه وتعالى هو خير لهم وأبقى مما سيعطيهم فرعون من متاع الدنيا الفانية.

---

(١)- **سؤال:** هل القضاء في قوله: ﴿تَقْضِي﴾ مخالف للقضاء في قوله: ﴿فَاقْضِ﴾ بينوا ذلك حفظكم الله؟

الجواب: المعنى واحد في الموضعين أي: فاصنع ما أنت صانع إنما تصنع في الحياة الدنيا.

(٢)- **سؤال:** هل اللازم على من ابتلي بمثل بلواهم أن يعمل كعملهم أم أن له رخصة في ذلك فما هي؟ وما الدليل عليها؟

الجواب: لا يتعين على من ابتلي بمثل بلواهم أن يعمل كعملهم بل له رخصة أن يقول بلسانه ما يرضي المتسلط عليه ليتخلص من ظلمه ولكن دون أن يرضى قلبه بما يقوله بلسانه، ودليل هذه الرخصة ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا...﴾ الآية [النحل:١٠٦]، فكما ترى فقد استثنى الله تعالى المكره من حكم الكفر إذا كفر بلسانه دون قلبه.

والسبب في استحكام الإيمان واليقين في قلوبهم هو ما كان من أمر عصا موسى وانقلابها حية حقيقية التهمت ما جاءوا به من السحر، فعرفوا أنها ليست بسحر وأنها آية عظيمة من آيات الله التي لا تستطيعها السحرة، وما سمعوا من كلام موسى عليه السلام ووعظه لهم.

﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا(١) فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا۝٧٤ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا۝٧٥ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى۝٧٦﴾ يُحتمَلُ أن هذا من كلام السحرة في جوابهم على فرعون، ويحتمل أنه من كلام الله سبحانه وتعالى، وهو أن من لقي الله تعالى مصراً على المعاصي غير تائب منها فإن مصيره إلى جهنم خالداً فيها مخلداً، وأما من لقي الله تعالى وهو مصدق به وبما جاء به، وعمل مع ذلك الأعمال الصالحة فإن جزاءه المنازل الرفيعة والدرجات العليا من الجنة خالداً فيها أبداً، وهذا جزاء من طهر نفسه من الذنوب والآثام والمعاصي والشرك.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى۝٧٧﴾(٢) بعد أن مكث موسى عليه السلام في مصر يدعو آل

---

(١)- **سؤال:** ما هو الإجرام لغة؟ وهل نقل في الشرع إلى معنى آخر فما هو؟ وهل يصلح دليلاً على خلود الفساق في النار؟

الجواب: الجرم هو الذنب، والإجرام فعل الذنب والدخول فيه، وهذا معناه في اللغة، وفي الشرع كما يظهر؛ لذلك فيكون الفاسق داخلاً في هذا الوعيد.

(٢)- **سؤال:** هل قوله: ﴿وَلَا تَخْشَى۝٧٧﴾ تأكيد لقوله: ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾؟ أم لها معنى آخر؟ وما هو الدرك؟ ومن أي أنواع الأسماء هو؟

الجواب: ليس قوله: «ولا تخشى» تأكيداً، وإنما المعنى المقصود: ولا تخشى الغرق، دل على ذلك أول الكلام: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ وكان قوم موسى حين فروا من فرعون وتبعهم فرعون بجنوده قد وصلوا إلى ساحل البحر، وهناك وقعوا بين مخافتين الغرق في البحر =

فرعون وينذرهم نحواً من أربعين سنة أوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن يجمع بني إسرائيل ويخرج بهم ليلاً بعيداً عن أعين فرعون وجواسيسه - وكان فرعون قد استعبد بني إسرائيل، ولا يريد أن يخرجوا من بلاده- ثم يسافر بهم عليه السلام إلى الشام، وكان الله سبحانه وتعالى قد حدد لهم طريقاً يسيرون فيها، فأمرهم أن يسيروا فلا يتوقفوا إلا عند البحر، ثم أمره أن يضرب بعصاه البحر ليشق لهم طريقاً في وسطه يسيرون فيها حتى لا يدركهم فرعون وجنوده.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ[1] فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ۝٧٨ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى۝٧٩﴾[2] وكان فرعون قد علم بأمر هروبهم فجمع جيشه ولحق بهم يريد أن يفتك بهم ويقتلهم، وعندما رآهم يسيرون في البحر لحق بهم فلما خرج موسى ببني إسرائيل من البحر انطبق على فرعون وجنوده فغرقوا عن آخرهم جزاءً على كفرهم بالله تعالى واتباعهم لفرعون وضلاله.

﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى اليهود الذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كبني قريظة والنضير وقينقاع ويهود خيبر، وكل من كان في المدينة من اليهود، ويذكرهم بأنه قد أنعم عليهم إذ نجى آباءهم من فرعون وبطشه وظلمه، وذلك لأن نعمته على آبائهم نعمة عليهم.

أو أن يدركهم فرعون بجنوده فطمأن الله تعالى موسى وقال له: ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى۝٧٧﴾ والدرك اسم للإدراك أي لا تخاف أن يدركك فرعون بجنوده.

(١)- **سؤال:** يقال: لماذا لم يقل: فتبعهم، مع أنه يؤدي نفس المعنى؟

الجواب: قد قيل: إن معنى الفعلين واحد، وهذا القول قريب في هذا الموضع فكثيراً ما يأتي «أفعل» بمعنى أصله «فعل».

(٢)- **سؤال:** هل في قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ...﴾ إشارة إلى الجواب على فرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ۝٢٩﴾ [غافر]؟

الجواب: نعم فيها رد لقوله ذلك ونفي لما ادعاه.

﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ﴾[1] وذكرهم أيضاً بنعمته عليهم إذ اختص آباءهم بأن يسمعوا كلام الله سبحانه وتعالى ويكتبوا التوراة.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى۝٨٠﴾ وكذلك نعمته عليهم عندما كانوا في التيه أربعين سنة فكان ينزل عليهم المن والسلوى من السماء، والمن اسم طير كان الله تعالى ينزله عليهم من السماء مع الشراب الذي هو السلوى وهو يشبه العسل، أو العكس أي: السلوى طير والمن شراب.

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[2] واشكروا نعمة الله سبحانه وتعالى عليكم، ولا تكذبوا نبيه محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكانوا قد قابلوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالتكذيب والاستهزاء، وكانوا يرمونه بالسحر ويحذرون الناس منه بأنه كذاب وليس ذلك النبي الذي وعد الله سبحانه وتعالى به في التوراة.

﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ[3] فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى۝٨١﴾ وحذرهم الله تعالى من الخروج عن حدوده وتعاليمه، وأن تكون النعم

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿الْأَيْمَنَ﴾؟

الجواب: يعرب صفة لجانب.

(٢)- **سؤال:** هل المخاطب في قوله: ﴿كُلُوا﴾ بنو إسرائيل السابقون الذين رزقوا بالمن والسلوى أم المعاصرون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: المراد به السابقون الذين كانوا على عهد موسى عليه السلام إلا أن النعمة على الأولين نعمة على ذراريهم المعاصرين للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشرف الآباء وكرامتهم تنسحب على ذراريهم لذلك خاطبهم الله تعالى كما لو كانوا هم أهل المن والسلوى.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما معنى «في» في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾؟ وإلام يرجع الضمير؟

الجواب: معناها الظرفية أي: لا تطغوا في طيبات ما رزقناكم أي: بأن تكون معاصيكم لله في طيبات ما رزقناكم بأن تجعلوا مثلاً العنب خمراً أو تجعلونه رشوة أو رباً أو تأخذونه من غير حله، أو نحو ذلك.

التي أنعم بها عليهم سبباً في طغيانهم وضلالهم، وأخبرهم أنه سينزل عليهم غضبه وعذابه إن لم يشكروا نعمه عليهم، ومعنى «هوى»: وقع في الهاوية.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴿٨٢﴾﴾(١) يرغب الله تعالى بني إسرائيل في التوبة والرجوع إليه، وأنه سيقبلهم مهما كانت الذنوب التي عملوها، ما داموا قد رجعوا إليه.

والغفار هو كثير الغفران أو هو مبالغة في غفران الذنوب الكثيرة مهما كانت لمن تاب وآمن بالله تعالى وبما جاء به وعمل الأعمال الصالحة وسار في طريق الحق والهدى.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَامُوسَى﴿٨٣﴾﴾(٢) كان موسى عليه السلام قد سبق السبعين

---

(١)- **سؤال:** ما السر في استخدام أداة العطف «ثم» في قوله: ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴿٨٢﴾﴾ وهل هو تكرير لما قبله إذ الاهتداء هو الإيمان والعمل الصالح أم له مقصود آخر فما هو؟

الجواب: استعملت «ثم» هنا لتفيد أن ما بعدها أهم مما قبلها وأعظم وأشق، وأفضل عند الله، وليس ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴿٨٢﴾﴾ تكريراً لما قبله لأن المعنى المقصود بذلك ثم استقاموا على ذلك واهتدوا إلى المضي في طريق الإيمان والهدى والعمل الصالح، و«ثم» هنا مثلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...﴾ [فصلت:٣٠]، كما في الحديث: ((قل آمنت بالله ثم استقم..))، ولا يخفى أن الاستقامة على الهدى والإيمان والعمل الصالح أشد وأشق من الدخول في ذلك.

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو أعربتم: ﴿مَا أَعْجَلَكَ﴾؟ وهل يتعدى «عجل» بـ«على» أو بـ«عن»؟

الجواب: «ما» اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ وجملة أعجلك في محل رفع خبر والمعنى: أي شيء أعجلك؟ وتتعدى «عجل» بـ«إلى» كما هنا، وتتعدى بنفسها كقوله تعالى: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٥٠]، وبـ«في» كقول أمير المؤمنين عليه السلام: (يا عبد الله لا تعجل في عيب أحد بذنبه فلعله مغفور له) وبالياء كقوله عليه السلام في وصيته لابنه: (قبل أن يعجل بي أجلي)، وبـ«عن» كقوله عليه السلام: (وحتى تعجل عن قعدتك).

الذين اختارهم من قومه ليذهبوا معه إلىٰ الطور لكتابة التوراة، وكان قد وصل قبلهم فعاتبه الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ذلك، وأنه كان من المفترض به أن يصلوا جميعاً، فاعتذر موسىٰ عليه السلام إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ وقال: ﴿قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي(١) وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وإن ذلك لم يكن منه إلا أن الشوق دفعه لمناجاة الله تعالىٰ، ولينال رضوانه.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فأخبره الله تعالىٰ بأن قومه الذين تركهم مع هارون قد افتتنوا بالعجل وقد فتنهم السامري إذ صنع لهم عجلاً وأمرهم أن يعبدوه، وقال إنه إلههم الذي ذهب موسىٰ ليبحث عنه.

ومعنىٰ ﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾: اختبرنا(٢) إياهم بالعجل، وكان السامري رجلاً ذا عقل ودهاء وحنكة.

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ وبعد أربعين يوماً من مدة غيابه عن قومه، وبعد أن انتهىٰ من كتابة التوراة عند الطور- رجع إلىٰ قومه وقد امتلأ غضباً وغيضاً وأسفاً عليهم من فعلتهم تلك التي فعلوها، وهي عبادتهم للعجل.

﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ يعاتب قومه علىٰ عبادتهم للعجل وتركهم لعبادة الله سبحانه وتعالىٰ، ويستنكر عليهم لماذا تركوا عبادة الله وقد وعدهم بأنه سيعزهم وسيرفع قدرهم في الدنيا، وأنه سيجعلهم خلفاء الأرض المسيطرين عليها بعد خلاصهم من فرعون وبطشه، وأنه سيوسع

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي﴾؟

الجواب: «هم» مبتدأ، «أولاء» خبر، «علىٰ أثري» جار ومجرور خبر ثان.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل الاختبار بنفس العجل أم بالتخلية للسامري في عمله؟

الجواب: حصلت الفتنة بالعجل والسامري معاً حيث صنع لهم السامري العجل ودعاهم إلىٰ عبادته فاستجابوا لدعوته وعبدوا العجل.

عليهم في الرزق والنعم؟ وسألهم مستنكراً: هل طال عليكم الزمان حتى نسيتم وعد الله لكم؟ أو هل شككتم في الله تعالى أنه سيكذب عليكم؟ فهذه أرجلكم خضراء لم تجفَّ بعد من ماء البحر الذي فلقه الله سبحانه وتعالى لكم وشاهدتم فيه آياته العظيمة.

﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أم أنكم بفعلكم هذا تبحثون عما يغضب ربكم ويوجب عليكم سخطه؟

﴿فَأَخْلَفْتُمْ(١) مَوْعِدِي۝٨٦﴾ وكان قد أخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يطيعوا هارون في مدة غيبته، وأن يقيموا حدود الله سبحانه وتعالى وما أمرهم به.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ۝٨٧﴾ فأجابوا عليه بأن عبادتهم للعجل لم يكن بإرادتهم واختيارهم، وإنما السامري أغواهم وأعمى أبصارهم وأضلهم؛ واعتذروا له بأنه هو السبب في ذلك، وأنهم كانوا قد عادوا من مصر بحلي معهم كانوا يلبسونها فأخذ السامري هذه الحلي وألقاها في النار ليصيغها لنا على شكل عجل. ومعنى «أوزاراً»: أثقالاً.

---

(١)- **سؤال:** هل الفاء عاطفة هنا؟ فعلام عطف قوله: ﴿أَخْلَفْتُمْ﴾؟ وهل قوله: ﴿مَوْعِدِي﴾ مصدر ميمي أم اسم زمان؟

الجواب: الفاء عاطفة وعطف قوله: «أخلفتم» على قوله: ﴿أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ...﴾ فالجملة المعطوفة سبب والجملة المعطوف عليها مسبب، وكان القياس أن يكون إخلاف الموعد سبباً في حلول غضب الله عليهم، إلا أنه ترك هذا وعدل إلى العكس ليفيد أن السامري وعبدة العجل تمردوا على موسى وارتكبوا فعل أكبر الكبائر من أجل أن يتوصلوا به إلى مخالفة موسى، أي: أن الذي دعاهم إلى فعل ذلك الجرم الكبير هو عصيان موسى وإخلاف موعده. و«موعدي» مصدر ميمي أي: وعدي.

وبحسب صنعته جعل لهذا العجل صوتاً وخواراً، وأخبرنا بأن هذا العجل هو إلهنا الذي ذهب موسى ليبحث عنه عند الطور فصدقناه، وهذا هو معنى قوله: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا(١) لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى(٢) فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾(٣) وكذا أخبرنا أنك يا موسى نسيت أن ربك هاهنا حتى ذهبت تبحث عنه في ذلك المكان.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا(٤) وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ استنكر عليهم لماذا لم يفكروا بعقولهم وينظروا في هذا الذي يعبدونه كيف لا يستطيع أن يرد عليهم أو يجيبهم إن تكلموا معه، أو ينفعهم إن طلبوا منه، فهل

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما إعراب ﴿جَسَدًا﴾ وكيف أطلقت الجسدية على المصنوع من الحلي؟

الجواب: «جسداً» بدل من «عجلاً» وقيل للعجل «جسداً» على حسب ما زينه لهم السامري من أنه حي عاقل لا يأكل ولا يشرب كالملائكة.

(٢)- **سؤال:** لماذا نسب القول إليهم في قوله: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ مع أنه من قول السامري في الظاهر؟

الجواب: لما أخرج السامري العجل ودعاهم إلى عبادته قال بنو إسرائيل بعضهم لبعض: هذا إلهكم وإله موسى.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن يعود ضمير ﴿فَنَسِيَ﴾ إلى السامري؟

الجواب: يصح عوده إلى السامري أي: ترك ما كان عليه من الإيمان، والأحسن أن يكون الضمير لموسى.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؟

الجواب: الهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء عاطفة والمعطوف عليه مقدر بعد الهمزة، ويرون: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون، والواو فاعل، و«أن» مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد فعل يقين واليقين يناسبه التوكيد، واسمها ضمير الشأن، والجملة التي بعدها في محل رفع خبرها.

يستحق من كان كذلك أن يكون إلهاً يعبد؟

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَاقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أن هارون كان قد وعظهم قبل أن يرجع موسى، وحذَّرهم من اتباع السامري وأخبرهم أنه إنما يريد أن يضلهم ويغويهم.

﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي۝٩٠﴾ هذا من كلام هارون عليه السلام ووعظه لهم أن الذي أنعم عليهم بالخلق والعقل والرزق هو ربهم الذي يستحق العبادة وليس هذا العجل.

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى۝٩١﴾ولكنهم عصوا هارون وتمردوا عليه، وأخبروه أنهم لن يتركوا عبادة العجل هذا حتى يرجع موسى، ثم يكون لنا معه كلام، وذلك أن موسى كان مهاباً عندهم، وكان صاحب شخصية قوية بين قومه، وكانوا يخافونه.

وفعلا فما إن رجع موسى حتى نسف هذا العجل وأحرقه ولم يستطيعوا أن ينبسوا ببنتِ شفه أو يتكلموا بكلمة أمامه، وانزجروا لزجره وتركوا عبادة العجل خوفاً منه ومن غضبه عليهم، وكم وعظهم هارون وحذرهم ولكن دون جدوى، حتى لقد هددوه بالقتل.

﴿قَالَ يَاهَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ[1] أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي۝٩٣﴾ ثم رجع موسى بالكلام على أخيه هارون معاتباً له لماذا لم يتركهم ويلحق به عندما رأى منهم ما رأى من الكفر[2].

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم ما موضع المصدر في: ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ بالتفصيل؟

الجواب: موضعه الجر بحرف جر مقدر وهو متعلق بـ«منعك»، ويصح أن نقول: إن موضعه النصب بنزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** هل يؤخذ من الآية أن الاستطاعة بالمناصرين شرط في إزالة المنكر؟ وهل دلت على =

﴿قَالَ يَاابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴿٩٤﴾﴾(١) كأن موسى من شدة غضبه كان قد أخذ

أن هناك واجباً آخر غير التغيير؟

الجواب: نعم تدل الآية على أن الاستطاعة شرط في وجوب إزالة المنكر إذ لم يستنكر موسى على هارون عليهما السلام عدم تغييره المنكر وإزالته وإنما استنكر عليه البقاء بين ظهراني العصاة المقيمين على عبادة العجل. ودلت الآية على وجوب الخروج والابتعاد عن أهل المنكر إذا لم يستطع المكلف إزالة المنكر ولا تغييره.

(١)- **سؤال:** هل تدل الآية على جواز التصرف بفعل موسى بأخيه عند النهي عن المنكر؟ وما عذر موسى عليه السلام في فعله مع أنه لم يكن من أخيه شيء؟

الجواب: لا تدل الآية على جواز ما ذكرتم عند النهي عن المنكر، ولكن تدل على جواز تأديب المأمور المخالف لما أمر به أو التارك لفعل ما أمر به لغير عذر، وقد كان موسى عليه السلام تقدم إلى هارون بأوامر وتعليمات فلم يفعلها هارون وتحقق موسى أن هارون لم يفعلها فاستنكر موسى على هارون ذلك: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴿٩٣﴾﴾ لذلك فعل موسى عليه السلام بهارون عليه السلام ما فعل من جره إليه برأسه وأخذه بلحيته، فلما بين هارون عذره لأخيه قال موسى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف]، وموسى عليه السلام معذور فيما فعله فإنه رأى وتحقق في الظاهر من أخيه هارون عليه السلام معصية أمره ولم يتبين له عذر هارون وحجته إلا بعدما أخذ في تأديبه. وغاية ما في فعل موسى عليه السلام هو العجلة، والعجلة وشدة الغضب في ذلك المقام أمر مطلوب لعظم جريمة السامري وعبدة العجل فلولا ما رأوه منه من الشدة وقوة الغضب وفورانه لتمادوا في طغيانهم وأصروا على عبادة العجل ولما استجابوا لموسى كما لم يستجيبوا لهارون عليهما السلام.

سؤال: هل يؤخذ من الآية أن خشية تفرق الجماعة الواحدة عذر في ترك بعض الواجبات؟

الجواب: يؤخذ من الآية أن ترك بعض الواجبات جائز إذا خشي وقوع منكر أو خشي ترك واجب أهم، وقد كان اجتماع بني إسرائيل وعدم تفرقهم أمراً يريده الله، وذلك لما سبقت به حكمة الحكيم العليم من اختيار الله تعالى لهم لحمل الكتاب والحكمة والنبوة والملك، قال تعالى وهو
=

برأس أخيه ولحيته وهو يعنف به، وكان هارون خلال ذلك يتودد إليه ويبرر موقفه بأنه لم يترك اللحاق به إلا خشية أن يتهمه بأن تركه لهم كان السبب في ضلالهم، وأنه لم يبال به ولا بوصيته له من البقاء بينهم وإصلاح أمرهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَاسَامِرِيُّ۝٩٥﴾ ثم تحول بخطابه إلى السامري يسأله عن قصته وخبره وما كان منه حتى فعل فعلته هذه المنكرة.

﴿قَالَ بَصُرْتُ(١) بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ فأجابه بأنه توصل بذكائه وبصيرته إلى صناعة محكمة لم يعلمها بنو إسرائيل فأردت أن أظهرها لهم.

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي۝٩٦﴾ وهي أنه قبض قبضة من تلك الحلي فرمى بها بين النار ليصيغ لهم هذا العجل الذي يصدر خواراً وصوتاً، وأخبر موسى بأن نفسه هي التي زينت له هذا العمل وحسنته له، وأن إبليس أغواه وأضله.

والرواية التي تقول إنه قبض قبضة من أثر حافر جبريل فألقاها في ذلك العجل فبدأ بالخوار فلا صحة لها في ظني، فليس لجبريل عليه السلام فرس، فملائكة الله تطير

يذكر بني إسرائيل يوم كانوا تحت ظلم فرعون: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص].

سؤال: هل يحمل قوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي۝٩٤﴾ على أنه من قول هارون لا من مقول موسى؟

الجواب: نعم هو من قول هارون عليه السلام الذي خشي أن يقوله موسى ويحتج به على هارون.

(١)- **سؤال:** هل تريدون أن اشتقاق الفعل من البصيرة لا من البصر بمعنى النظر؟

الجواب: الفعل هو بمعنى البصر الذي هو رؤية العين وهو كالفعل المذكور في قوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾ [طه:١١]، إلا أن تفسيره هنا بمعنى رؤية العين غير مستقيم فحملناه على رؤية القلب التي هي البصيرة والعلم بكيفية الصناعة لذلك قال: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا...﴾ فشرح علمه بالصناعة الذي بصر به دون بني إسرائيل.

بأجنحة مثنى وثلاث ورباع[(١)].

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ فعندها طرده موسى عليه السلام وأخبره بأن الله سبحانه وتعالى قد عاقبه بأن لا يستطيع أن يجلس مع أحد، أن ينفر من كل من قرب منه، وأنه لا يستطيع أن يمس أحداً من البشر ليكون منبوذاً وبعيداً عن الناس بقية حياته[(٢)].

---

(١)- **سؤال:** ما أروع هذا التعليل الذي عللتم به لكن بقي لنا إشكال في ﴿أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ كيف يكون هو الحلي؟

الجواب: لم يظهر لي الآن المعنى المراد بأثر الرسول، إلا أن الذي نص عليه القرآن من قصة العجل أن السامري أخذ من زينة القوم من حليهم فصاغها لهم عجلاً جسداً له خوار، وصناعة العجل لا تتم إلا بإلقاء الحلي في النار حتى تذوب فإذا ذابت أمكن تشكيلها إلى ما يريد الصائغ من الأشكال. وقد فسر الرازي: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ بأن السامري قبض قبضة من دين موسى وشريعته فلما ذهب موسى إلى ميعاد ربه نبذها أي تركها وطرحها، فلما ذكرنا فسرنا هذه الآية بما ظهر لنا من القصة التي جاءت في القرآن، والله أعلم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾؟ وكيف كانت كناية عن عدم استطاعته لمساس البشر؟

الجواب: «أن تقول» أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم «إن». «لا» نافية للجنس، «مساس» اسمها مبني على الفتح وخبرها محذوف، ومساس مصدر ماسَّ الذي هو للمشاركة، والمعنى لا تمسني ولا أمسك، أو لا يحصل تماس بيني وبينك، ومن شأن هذا القول أن يدل بالالتزام على تأذي قائله من المساس وتضرره ولا سيما إذا كان: ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ عقوبة من الله وعذاباً معجلاً في الدنيا، فيكون كناية عن عدم استطاعته لمماسة الناس. وقلنا عدم استطاعته لمساس البشر لما يلحقه من الألم البليغ كما يقول القائل: لا أستطيع إدخال يدي في النار، أي: لما يلحقها من الحريق.

﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا[١] لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ وأخبره بأن له موعداً مع الله تعالى ليجازيه على عمله هذا.

﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[٢] إلهك هذا الذي أنت عاكف على عبادته سوف نحرقه أمام عينيك، ثم ننسف رماده ونذروه في البحر ليعلم أولئك الذين أضللتهم وغررت عليهم كذبك وافترائك.

وسبب اتباعهم له هو أنه بعمله هذا ذكَّرهم بذلك الإلف المألوف والعهد المعهود الذي كانوا عليه في مصر من عبادة البقر وما أشبهها فحنت قلوبهم إلى ذلك ورجعوا إليه.

﴿إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾[٣] وأخبرهم أنه لا إله لهم إلا الله وحده الذي أحاط علمه بكل شيء.

---

(١)- **سؤال:** هل المراد به المصدر أو اسم الزمان؟

الجواب: لا مانع من تفسير الموعد بالمصدر أو اسم الزمان.

(٢)- **سؤال:** ما هو الحكم الشرعي الذي يستنبط من هذه الآية؟

الجواب: يستنبط منها جواز إتلاف آلات الملاهي ونحوها مما صنع لفعل منكر، وأنه لا يلزم رد الأجزاء المكسرة إلى صاحبها ولو كان لها قيمة بل يجوز إتلافها، وتكون هذه الآية أصلاً في جواز معاقبة الوالي للعصاة المتمردين بإتلاف أموالهم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾؟

الجواب: «وسع» فعل ماض وفاعله مستتر فيه، «كل» مفعول به مضاف، و«شيء» مضاف إليه مجرور بالإضافة، و«علماً» تمييز نسبة أي أنه محول عن فاعل، وكان الأصل: وسع علمه كل شيء.

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا۝٩٩ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا۝١٠٠﴾(١) يخاطب الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم مخبراً له بأن هذه الأنباء التي قصها عليه من أخبار الأمم السابقة وذلك لما فيها من العظة والعبرة وإيقاظ الفكرة، والذكر هو القرآن، وأن من أعرض عنه وجعله وراء ظهره فإنه سيحمل وزره على ظهره يوم القيامة.

﴿خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا۝١٠١﴾ وأنهم سيخلدون في جزاء ذنوبهم وهو النار، مجاز من تسمية السبب باسم المسبب(٢).

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا۝١٠٢﴾(٣) ثم أخبر عن يوم القيامة الذي سينالون فيه جزاء ذنوبهم بأنه يوم ينفخ في الصور فيبعث الله سبحانه وتعالى جميع الناس إليه، وأن المجرمين سيكونون سود الوجوه في ذلك اليوم، وأراد بقوله: «زرقاً» هو السواد المائل إلى الزرقة(٤).

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تنكير ﴿وِزْرًا﴾؟

الجواب: السر هو تعظيم الوزر وتهويله.

(٢)- **سؤال:** هل مرادكم بهذا أن مرجع الضمير في «فيه» إلى الوزر وأن المراد به الإثم الذي هو سبب في النار أم تريدون معنى آخر فما هو؟

الجواب: المراد خالدين في النار التي هي مسببة عن الإثم.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾، وكذا قوله: ﴿زُرْقًا﴾؟

الجواب: يعرب «يوم ينفخ» على أنه بدل من «يوم القيامة»، ولم نقصد في التفسير أنه خبر بالمعنى الاصطلاحي، ويعرب «زرقاً» على أنه حال من المجرمين.

(٤)- **سؤال:** هل لقولكم أيدكم الله: إن ﴿زُرْقًا﴾ هو السواد المائل إلى الزرقة- شاهدٌ أو دليل فتكرموا به؟

الجواب: نعم هناك دليل قرآني هو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [يونس:٢٧]، وقال هنا: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ
=

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا۝١٠٣﴾ وأن المجرمين يتخافتون فيما بينهم في يوم القيامة عن مدة لبثهم في الدنيا وقصرها، وأخبر الله تعالى أن المكثر منهم يقول: إن مدة لبثهم عشرة أيام(١)، ومعنى «يتخافتون»: يكلم بعضهم بعضاً بخفية.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا۝١٠٤﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه وحده العالم بماذا يتخافتون به فيما بينهم، وأن أمثلهم وأحسنهم يقول: لم نلبث على ظهر الدنيا إلا يوماً واحداً، متقاصرين لأعمارهم في الدنيا.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا۝١٠٦ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا۝١٠٧﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن هناك من سيسألك يا محمد عن الجبال، وما سيكون من حالها يوم القيامة، وأخبَرَهُ بأن يجيب عليهم بأن الله سبحانه وتعالى سيفتتها في وقت واحد وسيحولها إلى غبار متطاير، وأن الأرض ستصبح مستوية وسَيُسَوَّى المرتفع منها بالمنخفض فتصير

يَوْمَئِذٍ زُرْقًا۝١٠٢﴾ فلم نجد بداً لهذه الأدلة من أن نفسر «زرقاً» بما ذكرنا، وبعد فإن الزرقة إذا اشتدت مالت إلى السواد كما أن اللون الأخضر إذا اشتدت خضرته مال إلى اللون الأسود. ولم يظهر لنا صحة تفسير «زرقاً» بزرقة العيون إذ لم يأت دليل على تخصيص العيون بالزرقة، وأيضاً فإن من طبيعة جلد الإنسان إذا أصيب بآفة أن يظهر اللون الأزرق بين سواد الجلد، ولعل ذلك لا يخفى على الكثير، وقد رأيت أنا ذلك في كثير من الناس.

(١)- ما وجه قولهم إنهم لم يلبثوا إلا هذه المدة مع أنها خلاف الواقع؟ وكيف أطلق على القائل باليوم أنه أحسنهم طريقة مع مخالفتها للواقع أيضاً؟

الجواب: الوجه هو أنهم استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لهول ما يرون من تحقق وعد الله للمجرمين بالعذاب الخالد والخزي العظيم فلم يروها في تقديرهم يوم القيامة إلا عشرة أيام، أو مقدار يوم واحد في قول أحسنهم طريقة وكان أحسنهم طريقة في تقديره؛ لأن الحقيقة والواقع ما هي عند الله إلا كيوم واحد بالنسبة للحياة الأبدية التي دخلوا فيها.

صعيداً واحداً؛ وذلك لأنهم تعجبوا من حال الجبال كيف ستكون يوم القيامة وهي على هذه الحال من القوة والصلابة والعظم، وكأنهم استبعدوا أن يفنيها الله سبحانه وتعالى.

﴿يَوْمَئِذٍ(١) يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ عندما تصير الأرض قاعاً مستوية وصعيداً واحداً فإن الناس سيبعثون جميعاً مستجيبين لداعي الله سبحانه وتعالى وندائه لهم إلى المحشر والحساب والجزاء، وأخبر سبحانه أنه لن يتخلف أحد منهم، وأن السكون والصمت سيخيم عليهم من شدة ذهولهم ودهشتهم، فلا يُسمَعُ إلا وقعُ أقدامهم نحو النداء الذي يناديهم، وأن المجرمين يومئذ سيعلمون صدق ما كان يخبرهم به أنبياؤهم.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا(٢) مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ ولم يبق لهم إلا ما قد عملوه في الدنيا فلا شفيع ولا صديق يستطيع أن ينفعهم بشيء إلا من أذن الله سبحانه وتعالى بشفاعته كالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولن تكون شفاعته إلا للمؤمنين وأما غيرهم فلا حظ لهم ولا نصيب في شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما سيكون شاهداً

---

(١)- **سؤال:** ما هو العامل في هذا الظرف؟

الجواب: العامل فيه ما بعده: ﴿يَتَّبِعُونَ﴾.

(٢)- **سؤال:** لا زال الاستثناء: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ﴾ مشكلاً علينا فإن ظاهره إخراج من المشفوع لهم لا من الشافعين إلا إذا كان «من» فاعل المصدر «الشفاعة» فيستقيم فما رأيكم؟

الجواب: وجّه الزمخشري الاستثناء بتوجيهين:

١- بتقدير مضاف أي إلا شفاعة من أذن له الرحمن، وعلى هذا الوجه يكون الإخراج من الشافعين.

٢- أن تكون «من» مفعولاً به لـ«تنفع» أي: أن الاستثناء مفرغ فيكون الإخراج من المشفوع لهم. والوجهان مستقيان يصح تفسير الآية على أيهما.

عليهم بتكذيبهم وتمردهم.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ[١] وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا۝١١٠﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه عالم بهم، ومطلع على خفاياهم وأسرارهم، لا يخفى عليه شيء منهم، وسيجازيهم على أعمالهم صغيرها وكبيرها، ولا يحيط العباد بعظمة الله وجلاله وعلمه وقدرته.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ وذلك يوم القيامة[٢]. ستخضع جميع الخلائق لله تعالى الذي هو قائم على حسابهم وجزائهم.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا۝١١١﴾[٣] وقد خسر من لقي الله تعالى وهو محمل بالذنوب والأوزار.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا۝١١٢﴾ وأما الذين يعملون الأعمال الصالحة مع تصديقهم[٤] بالله سبحانه وتعالى وإيمانهم به –

---

(١)- **سؤال:** ما موقع جملة: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾؟

الجواب: الجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مسوقة لتقرير علم الله بأحوال العباد ماضيها ومستقبلها وظاهرها وخفيها وصغيرها وكبيرها.

(٢)- **سؤال:** وهل يصح أن يحمل أيضاً على الدنيا؟

الجواب: المراد في يوم القيامة فالسياق فيه.

(٣)- **سؤال:** هل يصدق هذا على معصية واحدة؟

الجواب: يصدق على معصية واحدة، إلا أنه قد قام الدليل على تقييد المعصية بالكبيرة الموجبة للنار كالكفر بالله وقتل النفس التي حرم الله قتلها وكالزنا والربا ونحو ذلك من الكبائر.

(٤)- **سؤال:** ظاهر كلامكم أن المراد بالإيمان في قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ اللغوي فقط فعلى هذا لا تصلح دليلاً على أن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان صاحبه آتياً بجميع الواجبات مجتنباً لجميع المقبحات؟ أم لكم توجيه آخر فما هو؟ وأين مفعول ﴿يَعْمَلْ﴾؟

الجواب: الإيمان هنا بمعناه اللغوي أي التصديق بالله وبما جاء به رسول الله ﷺ. والذي أراه =

لأن الإيمان والتصديق بلا عمل كلا شيء وكذلك العكس- فسيوفيهم الله تعالى أجورهم ولن يهضمهم أو ينقص من أجورهم شيئاً.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ[1] يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴿١١٣﴾﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ بأنه نزل عليه القرآن بلغة قومه ولسانهم، وأنه قد نوع لهم الآيات وصرفها لهم لعلهم ينتفعون بها فيخافون الله سبحانه وتعالى ويحذرون غضبه وعقابه ويتذكرون لقاءه.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه تعالى عن الشريك والمثيل، فليس له شركاء كما يدعي المشركون بأن آلهتهم التي يعبدونها شركاء لله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ[2] مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

وأعتقده أن التصديق بالله وبما جاء به رسول الله ﷺ يستلزم الإتيان بالواجبات واجتناب المقبحات، وإلا فهو مدخول. وأما مفعول «يعمل» فالظاهر أنه محذوف، و«من الصالحات» متعلق بمحذوف صفة لهذا المفعول، كأنه قال: شيئاً من الصالحات.

(١)- **سؤال:** ما الحكمة في الإتيان بحرف العطف والتخيير «أو» في قوله: ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾؟ وعلام عطف: ﴿يُحْدِثُ﴾؟

الجواب: الحكمة في الإتيان بحرف العطف «أو» هي الإفادة لمعناها الذي هو التخيير، و«أو» هذه كالتي في نحو: «جالس الحسن أو ابن سيرين»، فـ«يحدث» معطوف على «يتقون» أي: لعلهم يتقون المعاصي أو يحدث تذكيراً ينبههم على ما هم فيه من الغفلة ويدعوهم إلى طاعة الله وعبادته.

(٢)- **سؤال:** يقال: هل لقوله: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ...﴾ تعلق بما قبله فما وجهه؟ أم لا فما وجه اقتضابها عما قبلها؟

الجواب: «ولا تعجل بالقرآن» كلام مستأنف وهو متصل في المعنى بالآية التي قبل هذه الآية وهي: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ =

عِلْمًا﴿١١٤﴾﴾ كان جبريل عليه السلام يتلو القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلال ذلك يردد ما تلاه عليه قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته، وليس ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا حرصاً على حفظه، فنهاه الله سبحانه وتعالى عن ذلك وأمره أن يتأنّى وينتظر إلى أن يكمل جبريل قراءته عليه، وأمره بأن يدعو الله تعالى أن يزيده من العلم، فتدل على أن الوحي من العلم الذي سيزيده الله منه.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه عهد إلى آدم وأخذ عليه أن لا يطيع إبليس أو يتبعه، وحذره من ذلك وأنه سيغويه ويدعوه إلى الأكل من تلك الشجرة، ولكنه نسي ما عهده الله إليه(١).

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴿١١٥﴾﴾ لم نجد له عزماً على فعل المعصية وإنما أكل من الشجرة ليتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بذلك بسبب اغتراره بوسوسة الشيطان له ولزوجته التي حكاها الله تعالى بقوله: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف].

ذِكْرًا﴿١١٣﴾﴾ ولكون القرآن بهذه الصفات وبهذه المنزلة أي أن الله العلي العظيم هو الذي أنزله قرآناً عربياً ونوع فيه من الوعيد الذي شرح قبل هذه الآية نوعاً منه وكل ذلك من أجل حكمة بالغة ومصالح عظيمة كان حقيقاً بأن يرشد الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأخذ بالأسباب المؤدية إلى حفظه حق حفظه.

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية الآتية: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ ...﴾ إلخ، أن إبليس قد ذكر لآدم أن الله قد نهاهما فكيف؟ وكيف يتوجه أنه إنما فعل ذلك ليتقرب إلى ربه؟

الجواب: نسي آدم أن الله تعالى قد نهاه عن طاعة الشيطان ونسي تحذير الله تعالى له ولزوجته: ﴿إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴿١١٧﴾﴾. وقد اغتر آدم وحواء بوسوسة الشيطان لهما: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف]، فطمع آدم وحواء في الترقي إلى منازل الملائكة المقربين ومنازل الملائكة أقرب إلى الله من منازل الآدميين وهم أكرم على الله منهم وأعلى درجة.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴿١١٦﴾﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يذكر قصة آدم وأَمْرَ الملائكةِ بالسجود له فامتثلوا طائعين إلا إبليس فإنه أبى واستكبر.

﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى[1]﴿١١٧﴾﴾ يحذر الله سبحانه وتعالى آدم من إبليس وكيده، وأخبره أنه إن أطاعه فإنه سيخرجه من الجنة والنعيم ورغد العيش إلى العناء والتعب والمشقة في تحصيل أمور المعيشة، وكانت جنة[2] آدم هذه في الهند فكان يأكل منها من دون أي تعب أو مشقة.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ[3] فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴿١١٩﴾﴾ وأخبره بأنه في جنته هذه التي خلقه الله تعالى فيها سيجد كل ما يحتاجه من متطلبات الحياة من المأكل والمشرب والملبس، ولن يصيبه حر الشمس أو يؤلمه، وأنه إذا خرج منها فلن يحصل على ذلك إلا بتعب ومشقة.

---

(١)- **سؤال:** ما السر في إفراد الضمير في هذا الفعل وما بعده؟

الجواب: قد يكون السر –والله أعلم– أن الرجل هو المكلف بتوفير المعيشة لزوجته وأطفاله دون المرأة ؛ لذلك فهو الذي يتحمل العناء والتعب والنصب، ووجه آخر هو أن الرجل هو الأصل والمرأة تابعة وهو الراعي وهي الرعية: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾ [النساء:٣٤].

(٢)- **سؤال:** من فضلكم هل يثبت هذا في رواية أو أثر؟

الجواب: ثبت ذلك وأثر عن الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويتأيد ذلك بأن آدم خلق من تراب الأرض وطبع بطبعها فطبيعته أرضية، ولا تستقيم حياته وعيشه إلا عليها وفي هوائها، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

(٣)- **سؤال:** لماذا فصل هذه الجملة عما قبلها؟ وما موقع المصدر المؤول من: ﴿أَلَّا تَجُوعَ﴾؟

الجواب: فصل الجملة لأنها وقعت جواباً لسؤال مقدر عن الحكمة والعلة في تحذيرهما من ورطة الخروج من الجنة بطاعة الشيطان، وموقع المصدر «ألا تجوع» النصب اسم «إن».

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَاآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى۝١٢٠﴾ ثم إن إبليس حسد آدم على ما هو فيه من الكرامة فبدأ يدبر الحيل والمكايد فوسوس إليه بأنه سيدله على الشجرة التي إن أكل منها فإنه لن يموت أبداً، فدخل ذلك في نفسه وفكر في الأكل منها ليستغل بقاءه في طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته والتقرب إليه.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ فما إن أكل منها حتى تذكر ما كان قد أوصاه الله تعالى به، وانتبه من غفلته وظهر له خطؤه، وعرف أن ذلك من كيد إبليس ووساوسه، وبدا له سوء صنيعه، فعرف أن الله سبحانه وتعالى سيخرجه منها، وهذا هو معنى ذلك كما ذهب إليه الإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال: إنه قبيح على الله تعالى أن يكون قد سلبهما ما يستر عورتهما كما يفسره بعضهم.

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى۝١٢١﴾[1] فأخذا يبحثان لهما عما يحميهما[2] من حر الشمس ولهبها؛ لأنه قد عرف أنه قد عصا

---

(١)- **سؤال:** هل في هذا ما ينافي إقدامه على المعصية مع النسيان خصوصاً مع احتياجه إلى التوبة وقبول الله تعالى لها؟

الجواب: نسي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تحذير الله له من الشيطان، ولم ينس النهي عن الأكل من الشجرة، ولم ينس أن الأكل منها معصية لله تعالى، فمعصية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تكن عن نسيان، ولكنه اغتر بوسوسة الشيطان له بأن الأكل من الشجرة سبب لنيل الدرجة الرفيعة عند الله وهي درجة الملائكة المقربين وسبب للحياة الدائمة فأكل من الشجرة للطمع فيما مناه الشيطان من غير أن يكون له نية في معصية الله ومخالفة أمره ولا جرأة على الإقدام على المعصية، بل أقدم عليها وتعمدها لينال درجة الملائكة.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: لكن ظاهر قوله: ﴿يَخْصِفَانِ﴾ أنهما يعملان الخصف ليغطيا عليهما أو على عوراتهما، فكيف الحل؟

الجواب: نعم الظاهر أن الخصف للعلة الأولى هو كذلك فإنهما بعد العصيان خصفا من أوراق =

الله تعالى وأنه سيخرجه من الجنة جزاءً على ذلك.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ١٢٢﴾ ثم إن آدم عليه السلام تاب إلى الله سبحانه وتعالى وندم على معصيته تلك فقبل الله توبته واختاره للنبوة[١].

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ وأمرهم الله سبحانه وتعالى عندها أن يخرجوا من الجنة، وحذرهما وذريتهما من عداوة الشيطان ومكائده.

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ١٢٣﴾ وأخبرهم بأنه إذا أرسل إليهم رسولاً[٢] فمن اتبعه فسينال رضا الله سبحانه وتعالى وثوابه.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ١٢٤﴾ ومن امتنع عن قبول دعوته فإنه سيعيش حياته في الدنيا في نكد وشقاء وقلق واضطراب، ويوم القيامة سيكون أعمى عن[٣] رؤية ثواب الله تعالى ونعيمه.

الشجر لهما ما يظلهما من حر الشمس، هكذا فسره الإمام الهادي عليه السلام. وقد ذكرنا مرجحات هذا التعليل على التعليل الذاتي المذكور في السؤال في سورة الأعراف في الجواب على آية (٢٢).

(١)- **سؤال:** يقال: ظاهر كلامكم أن في الآية تقديماً وتأخيراً وأن الاجتباء بعد التوبة فهل هو المراد أم لا؟

الجواب: الاجتباء لآدم هو بعد توبته وندمه فلما تاب اجتباه الله وتاب عليه أي: قبل توبته وهداه.

(٢)- **سؤال:** يقال: ألم يكن آدم عليه السلام رسولاً في نفسه؟

الجواب: بلى قد كان رسولاً، ولكن كان ذلك الخطاب موجهاً إلى ذراريهما المقدرة من بعد موت آدم عليه السلام.

(٣)- **سؤال:** وهل يصح أن يكون العمى على حقيقته؟

الجواب: يصح على أن يكون العمى في موقف من مواقف يوم القيامة، ويكون بصيراً في موقف آخر للجمع بين أدلة القرآن.

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾﴾ يقول المعرض عن ذكر الله يوم القيامة: لم حشرتني أعمى يا ربي وقد كنت بصيراً في الدنيا؟ فيقول الله تعالى: السبب في حشرك أعمى هو إعراضك عن ذكر الله وتركك لآيات الله، وتكذيبك بها.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾ وأخبر أن هذا هو جزاء جميع المسرفين والمكذبين وهو المعيشة الضنك في الحياة الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة، ومعنى «أسرف»: تجاوز الحق إلى الباطل.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ(١) لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾﴾ ألم يكن لقريش عظة وعبرة بما جرى على الأمم السابقة الذين أهلكهم الله سبحانه وتعالى واستأصلهم بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم؟ فلماذا لم تعتبروا بهم يا قريش وقد عرفتم قصصهم وما هو السبب في هلاكهم ومررتم على ديارهم ومساكنهم وكيفَ أَصْبَحَتْ؟ ومعنى «أفلم يهد»: ألم يتبين.

وأخبرهم أن في قصصهم عبراً وعظات لأهل العقول ليحذروا أن يقعوا فيما وقع فيه أولئك.

---

(١)-**سؤال:** أين فاعل الفعل «يهد»؟

الجواب: قد قيل: إن الفاعل ضمير مستتر تقديره: يهدي الهدى أي: يقدر مصدر الفعل ليكون فاعلاً، وقيل: إن الفاعل هو الجملة: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ فتكون في محل رفع، وهذا القول قوي من حيث المعنى وضعيف من حيث الصناعة ؛ إذ لم يعهد مثل ذلك في كلام العرب أي: أن الفاعل يكون جملة غير مؤولة بمفرد، والقول الأول أحسن وتكون الجملة «كم أهلكنا» كالبيان للهدى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴿١٢٩﴾﴾[1] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه لولا أنه قد حتم وقضى بتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لكان قد أنزل بهم عذابه وقت تكذيبهم، ولكنه سبق في علمه واقتضت حكمته ورحمته أن يؤخر تعذيبهم إلى يوم القيامة.

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ اصبر يا محمد على تكذيبهم إلى أن يحين وقت تعذيبهم.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴿١٣٠﴾﴾[2] وأمره مع الصبر بأن يحافظ على إقامة الصلاة في أوقاتها، فالفجر وقته قبل طلوع الشمس، والظهر والعصر قبل غروبها، والمغرب والعشاء من أوقات الليل، وقوله: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ تكرير لصلاة الفجر والعصر

---

(١)- **سؤال:** من فضلكم كيف إعراب هذه الآية؟ وكيف تحليل نظمها طبق هذا الإعراب؟

الجواب: «لولا» حرف امتناع لوجود، و «كلمة» مبتدأ محذوف الخبر، «سبقت» فعل وفاعل والجملة في محل رفع صفة لكلمة، و «من ربك» جار ومجرور متعلق بسبقت، و «أجل مسمى» معطوف على «كلمة» ومسمى صفة لأجل، «لكان» اللام واقعة في جواب «لولا»، و «كان» فعل ماض ناقص واسمها مستتر أي: لكان الإهلاك، و«لزاماً» خبر كان. ويحلل نظم الآية هكذا: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً، أي: لولا وجود أمرين اثنين الوعد والأجل لكان الهلاك لزاماً أي: لحل بقريش الهلاك ولزمهم.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على حقيقتها يعني الذكر بالتسبيح والحمد؟

الجواب: يصح ذلك لولا وجود القرائن على أن المراد بذلك هو الصلاة، من ذلك:

١- ذكره لأوقات الصلاة.

٢- الاتفاق على أنه لا يجب تسبيح وذكر قبل طلوع الشمس إلا في صلاة الفجر وفي... إلخ.

٣- أن الله تعالى قرن الصبر بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥]، وهنا قال: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ...﴾.

تأكيداً على زيادة فضيلتها، وأخبره أن إقامة الصلاة ستعينه على الصبر وسينشرح بها صدره؛ وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد ضاق من تكذيبهم وتمردهم وأذيتهم له وتمنى على الله تعالى أن يعجل انتقامه منهم، وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا حَزَبَه[(١)] أمرٌ لجأ إلى الصلاة، مما يدل على أنه يحصل بها طمأنينة وانشراح في القلب وجلاء للحزن والضيق، ومعنى: «آناء الليل»: ساعاته، ومعنى «ترضى»: بزوال الضيق والضنك وينشرح صدرك بما تنال من رحمة الله.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٣١﴾[(٢)] نهى اللهُ سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن ينظر إلى ما في أيدي المشركين من متاع الدنيا الفانية والثراء الذي هم فيه والأموال والأولاد والرئاسة والسلطة، وأخبره أنه لم يعطهم ذلك إلا ليفتنهم ويختبرهم، وأنها ليست إلا سبباً في عذابهم؛ لأنهم سيتكبرون بها ويتمادون في معصية الله سبحانه وتعالى وستسوقهم إلى جهنم، وأخبره أن الرزق الذي يعطيه أفضل له مما في أيديهم وأن ثوابه أبقى، ومعنى «أزواجاً»: أصنافاً وجماعات.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(٣)] بعد أن أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة الصلاة والصبر وعدم النظر إلى ما في أيدي المشركين، أمره أيضاً

---

(١)- أي: إذا نزل به مُهِمٌّ أو أصابه غمٌّ. اهـ(نهاية).

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب قوله: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾؟

الجواب: يعرب «زهرة» على أنه المفعول به الثاني لـ«متعنا» على تضمينه معنى أعطينا أو على أنه منصوب على الذم أي: أذم زهرة الحياة الدنيا، وهناك في إعرابها عدة وجوه، وما ذكرناه أحسنها، والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** يقال: هل الأمر بالاصطبار للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصلاة للحث له عليها أم ماذا؟

الجواب: المراد حث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المداومة على الصلاة والصبر على القيام بها والمحافظة عليها.

بأن يأمر أهله بإقامتها والمداومة عليها.

﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴿١٣٢﴾﴾(١) يعني: ولا نريد منك شيئاً من الرزق، نحن سنرزقك يا محمد فاصبر على أذى المشركين وعلى مواصلة الدعوة وعلى الصلاة، فلا تتعب نفسك في طلب الرزق فقد تكفلنا به يا محمد، وأخبره أن العاقبة الحسنة لأهل التقوى، وأنه في آخر الأمر سيؤيدهم وسينصرهم على عدوهم وسيظهر دينهم.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ القائلون هم المشركون يسألون النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم بآية من عند الله تكون شاهدة له ليؤمنوا به ويصدقوه؛ تكذيباً منهم لما جاءهم به من الآيات الدالة على نبوته وصدقه في دعوى الرسالة.

﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴿١٣٣﴾﴾ فأجابهم الله سبحانه وتعالى بأنه قد بلغتهم الحجة في التوراة والإنجيل، وقد أخبرهم علماء اليهود والنصارى بأوصافه وزمانه وأنه هو النبي الموعود به.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴿١٣٤﴾﴾(٢) أخبر الله تعالى أنه لو أهلك

---

(١)-**سؤال:** ما العلاقة بين الاصطبار على الصلاة وعدم سؤال الرزق من المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؟

الجواب: طلب الرزق والسعي في الدنيا له هو شغل أهل الدنيا الشاغل وهو عملهم الأول وهممهم متوجهة إليه، فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصلاة والصبر على إقامتها والمداومة على عملها فإنها أول ما يسأل عنها، أما الرزق فلن يسأله عنه في يوم القيامة: لِمَ لَمْ تَسْعَ في طلبه ولم تجدَّ في تحصيله.

(٢)- **سؤال:** يقال: ظاهر هذه الآية أنه لا تكليف بالعقليات في أوقات الفترة فما رأيكم أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: بل الظاهر أنهم مكلفون بالعقليات وذلك من حيث أنها وأشباهها من الآيات تدل على أنهم قد استحقوا العذاب والإهلاك من قبل أن يرسل إليهم رسولاً، ألا ترى إلى قوله تعالى:

=

المشركين قبل أن يرسل إليهم رسولا لكان ذلك عذراً لهم وحجة يحتجون بها يوم القيامة فيقولون لو أرسلت إلينا رسولاً قبل ذلك لاتبعناه ولآمنا به وصدقناه.

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٥﴾﴾ بعد مدة من دعاء النبي ﷺ للمشركين إلى الإسلام كان المشركون يتهامسون فيما بينهم ويُصَبِّرُ بعضهم بعضاً بأن ينتظروا فلن تطول مدة دعائه لهم، وليست إلا أياماً وسيهلك وتنتهي دعوته ودينه، وأنها ليست إلا رياحاً عابرة وستخمد وتزول، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ أن يخبرهم بأنه منتظر لهلاكهم كما أنهم منتظرون لهلاكه، وأنهم سوف يعلمون عند نزول عذاب الله وسخطه بهم من الذي كان على الهدى ومن الذي كان في الضلال؛ وكانوا يظنون أنهم على الحق والهدى وأن غيرهم في ضلال مبين.

❁❁❁❁❁

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء]، أي: وما كنا معذبين لقوم بعد استحقاقهم للعذاب حتى نبعث رسولاً.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ①﴾ أول حساب الإنسان وبدايته من ساعة موته بل قبل أن تخرج نفسه وهو على فراش الموت إذ تحضر الملائكة إما أن تبشره بثواب الله سبحانه وتعالى، وإما أن تريه مكانه في النار وتبشره بالخزي والذل والعذاب، والأهوال والأفزاع والخلود في النار، وبالنسبة للمؤمن فإن يوم موته أسعد يوم يمر عليه في حياته؛ فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن الإنسان قادم على هذه الأهوال(١) العظيمة التي ينبغي لكل عاقل أن يحذرها ويخافها، وأن يعد لها العدة والزاد، ولكنه على العكس من ذلك فهو في غفلة عظيمة وإعراض مستمر.

وقد استنكر الله سبحانه وتعالى هنا على المشركين عندما كان النبي ﷺ يحذرهم عذاب الله وسخطه والأهوال التي هم قادمون عليها والتي قد اقترب موعدهم لها ولكنهم في غفلة عن ذلك كله بل ومنغمسون في أهوائهم وشهواتهم.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ(٢) إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ②﴾ وأنهم

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: كأنكم تريدون أن الحساب الذي أخبر الله تعالى باقترابه هو أهوال الموت فقط فما هو المرجح لذلك؟ وهل يصح أن يحمل أيضاً على أمور المحاسبة والمناقشة في الآخرة أم لا؟

الجواب: المقصود في الآية اقتراب الساعة وقيام الناس من قبورهم للحساب والمناقشة وإنما ذكرنا بداية هذا الحساب بما ذكرناه.

(٢)- **سؤال:** كيف يستطيع المرشد أن يرد على من قال في تأويل الآية هذه: بأن القرآن محدث التنزيل لا محدث الإيجاد؟

الجواب: على من يدعي أن المراد محدث التنزيل أن يبدي الدليل على ما يقول لأن دعواه هذه =

كل ما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ عليهم آية وقرأها عليهم النبي ﷺ استهزأوا بها، واستخفوا بقارئها.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ فهم في لهو ولعب وغفلة عن تذكير الله تعالىٰ لهم، وعن كل ما يحذرهم به النبي ﷺ.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾(١) وكان كلما أنزل الله سبحانه وتعالىٰ لهم آية قاموا يتغامزون فيما بينهم ويهمس بعضهم لبعض أن محمداً ليس إلا كذاباً أو ساحراً، وليس إلا بشراً مثلكم فكيف يكون نبياً؛ وكانوا يزعمون أنه لا يصح أن يكون نبي من البشر ولا بد أن يكون من غير جنسهم.

﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ(٢) وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ③﴾ ينصح بعضهم بعضا، ويكلم بعضهم الآخر: كيف تصدقونه وتصدقون سحره هذا، وأنتم من أهل البصائر والعقول الراجحة.

خلاف ظاهر الآية ولا يجوز مخالفة الظاهر إلا بدليل ويمكنه أن يستدل علىٰ حدوث القرآن:

- بأن القرآن فعل من أفعال الله، والفاعل متقدم علىٰ فعله.
- وبأن القرآن مركب من كلمات وحروف يتقدم بعضها بعضاً، فكل كلمة يتقدمها غيرها تكون محدثة، ومن هنا اضطر الأشعرية أن يقولوا: إن القرآن المتصف بالقدم هو الكلام النفسي دون الكلام الذي هو حروف وأصوات؛ لأن الحروف والأصوات محدثة بالضرورة.

(١)-**سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ﴾؟

الجواب: «الذين» بدل من ضمير الفاعل في: ﴿وَأَسَرُّوا﴾، و«ظلموا» فعل وفاعل صلة الموصول، و«هل» للاستفهام ومعناها النفي، و«هذا» مبتدأ و«إلا» أداة استثناء، و«بشر» خبر المبتدأ، والاستثناء مفرغ، وجملة ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ مقول لقول محذوف فيكون في محل نصب أي: قائلين هل هذا...

(٢)-**سؤال:** يقال: كيف إتيانهم السحر؟

الجواب: كان كبار قريش يحذرون أتباعهم من استماع ما يتلوه عليهم رسول الله ﷺ، =

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يخبرهم أن الله عالم بما في سرائرهم وبما يتناجون به فيما بينهم من عدم تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورميهم له بالسحر، وصدهم للناس عن النبي وعن الإيمان به، وأخبرهم أنه سيجازيهم على كل ذلك فهو يسمع كل قول ويعلم كل فعل ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾[2] وأخبر أن بعضهم يقول: إن ما يأتينا به محمد ويدعيه علينا من النبوة ليس إلا خليطاً من الأحلام يقصها علينا، وإنّ الحساب والقيامة والجنة والنار ليس إلا أحلاماً يقصها، أما النبوة فهو بعيد عنها كل البعد.

﴿بَلِ[3] افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ وبعضهم

وينفرونهم عن استماعه بوصفهم له بالسحر، وإتيانهم السحر هو إتيانهم لسماع القرآن الذي يتلوه عليهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

(١)- **سؤال:** هل يستنبط من هذه الآية أن معنى «سميع» عالم بالمسموعات؟ وكيف؟

الجواب: نعم تدل هذه الآية على أن معنى «سميع» في حق الله جل وعلا عالم بالمسموعات وذلك من حيث أنه تعالى قال في هذه الآية: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ والقول هو من المسموعات، فإذا وصفنا الله تعالى بأنه سميع فمعناه أنه يعلم القول في السماء والأرض، ويعلم أيضاً سائر الأصوات في السماء والأرض. وهذه الآية دليل واضح على ما يقوله أئمتنا من أن سميعاً بمعنى عالم بالمسموعات.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾؟ وكذا: ﴿كَمَا أُرْسِلَ﴾؟

الجواب: «أضغاث أحلام» خبر لمبتدأ محذوف أي: الذكر الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أضغاث أحلام أو القرآن أضغاث أحلام. «كما أرسل» التقدير: فليأتنا بآية إتياناً كائناً مثل إرسال الأولين، فـ«كما أرسل» جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لمصدر محذوف، و«ما» والفعل في تأويل مصدر مجرور بالكاف.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما فائدة الإضراب هنا؟

الجواب: أجمع المشركون على التكذيب والرد والكفر بالقرآن ثم تنوعوا في وصفهم له فقال بعضهم: سحر، وقال آخرون: بل هو أضغاث أحلام، وقال آخرون: بل هو كلام افتراه محمد

=

يقول: إنما ادعاها وافتراها من تلقاء نفسه؛ فهم يتخذون كل الوسائل في إبطال دعوته والصد عنها، ثم ادعوا عليه أنه إن كان نبياً صادقاً فليأتهم بآية مثل تلك الآيات التي جاء بها الأنبياء السابقون قبله كناقة صالح ونحوها، مع أنه قد جاءهم بالآيات لكنهم كذبوا بها، ولم يَعْتَدُّوا بها تمرداً وعناداً.

﴿مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا[1] أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ۝٦﴾ ثم رد الله سبحانه وتعالى عليهم وأخبر نبيه ﷺ أن جميع المكذبين بأنبيائهم على سنة وطريقة واحدة في التكذيب وعدم الإيمان بأنبيائهم، وأخبره بأن أمته لن تكون بدعاً منهم، فحالها كحالهم سواء فلا يتوقع منهم الإيمان.

وفي ذلك تسلية منه تعالى لنبيه ﷺ ليخفف عنه من حزنه وأسفه على ما لاقاه من قومه من التكذيب والاستهزاء، وليعلم أن حاله كحال من سبقه من الأنبياء؛ لأنه إذا عرف ما قد لاقاه من سبقه هانت عليه مصيبته.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ۝٧﴾ كانت قريش تزعم أنه لا يصح أن يكون نبي من البشر، ولا بد أن يكون ملكاً أو من جنسٍ غيرِ جنسهم[2]، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ

فهو مفترى أي مكذوب على الله فجاء الإضراب تبعاً لما يقال بين أوساط المكذبين وكالحكاية لما يتردد بينهم.

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾؟

الجواب: «قرية» فاعل مرفوع محلاً مجرور لفظاً بـ«من» الزائدة، وجملة «أهلكناها» في محل رفع صفة لقرية.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما الوجه في عدم التعبير في الحصر بـ:«إلا بشراً» بدلاً عن «إلا رجالاً» أم أن فيه فائدة أخرى فما هي؟

الجواب: قال الله تعالى: ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لأنه لم يرسل إلا نوعاً من نوعي البشر وهم الرجال دون النوع الآخر وهو النساء فلو قال: «إلا بشراً» لتوهم أنه يرسل رجالاً ونساءً.

أن يخبرهم بأنه لم يرسل إلى الأمم السابقة إلا رجالاً، وأنهم إن لم يصدقوا ذلك فليذهبوا إلى علماء اليهود والنصارى(١) فيسألونهم عن ذلك وسيخبرونهم بالحقيقة.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا(٢) لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ(٣) وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ۝٨﴾ وأن يخبرهم أنهم من جنس البشر يأكلون مثلهم ويشربون مثلهم ويسيرون ويذهبون وينكحون النساء وينامون وفي نهاية الأمر يموتون.

﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ(٤) الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ۝٩﴾ ثم إن الله سبحانه وتعالى كان يعد أنبياءه بالنصر والظفر وأن العاقبة ستكون لهم؛ فيحقق

---

(١)- **سؤال:** هل يصح أن تعمم الآية ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ فتشمل علماء المسلمين أم لا، ولماذا؟

الجواب: الأمر بالسؤال موجه إلى المشركين الذين استنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولاً وهو من البشر فقال الله لهم: اسألوا اليهود هل كان الله تعالى يرسل إلى الناس رسلاً من البشر أو من غير البشر، فلم يدخل علماء المسلمين في ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ لأن المراد بالإضافة العهد لا العموم، إلا أنه يؤخذ من الآية، أنه يجب على الجاهل أن يسال العلماء عن أمر دينه.

(٢)- **سؤال:** يقال: كيف حمل المفرد «جسداً» على ضمير الجمع؟

الجواب: قد قيل: إن «جسداً» مفرد ومعناه الجمع أو أنه في الأصل مصدر، وقيل: إنه أفرد ونكر ليشير بذلك إلى نوع من الأجساد عظيم أو قوي أي: ذوي جسد قوي أو عظيم.

(٣)- **سؤال:** ما إعراب جملة: ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾؟ وما فائدتها في تقرير المعنى؟

الجواب: تعرب الجملة صفة لجسداً فتكون في محل نصب، وفائدة الصفة التخصيص أي: فلا تستنكروا أيها المشركون على رسول الله ﷺ الأكل والشرب فما جعل الله رسله أجساداً لا تأكل الطعام بل جعلهم أجساداً تأكل الطعام فهم بشر مثلكم منَّ الله تعالى عليهم بالنبوة وأيدهم بالمعجزات البينة.

(٤)- **سؤال:** هل يتعدى الفعل «صدق» إلى مفعولين فكيف مع قوله: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، أم أن له معنى مغايراً في كلٍّ من الموضعين؟

الجواب: لا يتعدى إلى المفعول الثاني بنفسه، والآية هذه كما قال صاحب الكشاف مثل قوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ [الأعراف:١٥٥]، أي: صدقناهم في الوعد، واختار موسى من قومه، ومعنى «صدق» هنا كمعناها في: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

الله وعده لأنبيائه فينجيهم ويهلك أعداءهم، فثق يا محمد بالنصر والظفر على المشركين وأن العاقبة ستكون لك، واصبر إلى أن يأتيك الله سبحانه وتعالى بالنصر، واعلم أن لهم أجلاً قد كتبناه لهم، ولا بد أن يبلغوه.

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ۝١٠﴾ يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين الذين تصدوا لدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وواجهوه بالتكذيب، وأما بقية العرب فقد كانوا ينظرون إلى قريش وما سيكون منهم ليفعلوا مثل فعلهم، فأخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه قد أنزل إليهم القرآن وأن فيه شرفهم وعزهم ورفعتهم في الدنيا إن هم قبلوه وعملوا بما فيه.

وأخبرهم أن من شأن كل عاقل إذا عرض عليه أحد مثل هذا العرض أن يقبله بدون أي تردد، ولكنهم لحمقهم وجهالتهم رفضوا وتمردوا واستكبروا.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ۝١١﴾ وكذلك يحذرهم الله سبحانه وتعالى بأسه ونقمته، وأن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة من عذابه وسخطه، وكثيراً من القرى والأمم أهلكهم بسبب تكذيبهم وتمردهم على أنبيائهم، وأنشأ بعد ذلك قوماً غيرهم يعمرون الأرض ويعيشون عليها.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ۝١٢﴾ وكان أهل القرى عندما يرون نزول العذاب بهم يهربون جَرْياً على أقدامهم ليسلموا من العذاب النازل بهم: ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ[1] وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ۝١٣﴾[2] فامكثوا مكانكم فلن ينفعكم الهرب وسيلحق بكم أينما ذهبتم.

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى ﴿ارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾؟

الجواب: المعنى: ارجعوا إلى جزاء ما أترفتم فيه، أي: ارجعوا إلى العذاب الذي حل بكم.

(٢)- **سؤال:** يقال: من القائل لهم هذا الكلام؟

الجواب: يقال لهم بلسان الحال، وليس ثمّة قائل قال ذلك الكلام.

﴿قَالُوا يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۝١٤ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ۝١٥﴾ وحين أدركهم العذاب نادوا بالويل والثبور وندموا على ما كانوا فيه من الكفر والضلال، ومكثوا كذلك في الولولة والتحسر حتى أبادهم الله بعذابه.

وقد قيل إن هؤلاء القوم الذين ركضوا هرباً من العذاب هم أهل حضور وأهل الحيمة من قبائل اليمن وذلك حين بعث الله سبحانه وتعالى إليهم شعيب بن ذي مهدم نبياً فكذبوا به وتمردوا عليه؛ ومكانهم معروف فلا تزال القرية تسمى باسم نبيهم هذا (بيت مهدم) وقبره في رأس جبل فوق هذه القرية ويسمى جبل النبي شعيب، وهو نبي اسمه شعيب، وليس بالنبي شعيب المذكور في القرآن.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ۝١٦﴾[1] أخبر الله سبحانه وتعالى المشركين أنه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما عبثاً وباطلاً لا لغرض، بل خلقها لغرض وحكمة عظيمة وهي ما يترتب عليها من الدار الآخرة والحساب والجزاء، وإلا لكان عبثاً ولعباً أن يخلق هذا الإنسان ويعمره ستين سنة وهذا يعمره عشر سنوات وهذا عشرين ثم يميتهم وينتهي كل شيء، وأن يجعل هذا قوياً وذاك ضعيفاً ثم يسلط القوي على الضعيف ويخلي بينهما ثم يميتهم جميعاً ولم ينتصف لبعضهم من بعض، وكذلك تسليط الحيوانات بعضهم على بعض وأكل القوي للضعيف، وكذلك ما قد أعطى الله من تمكين بني آدم على بعض الحيوانات بالذبح والركوب والاستنفاع بها، وعدم رؤيتنا في الدنيا للعوض الذي يفترض أن يعطيهم الله تعالى، فلو لم يكن دارٌ غير هذه الدار لكان الله تعالى ظالماً[2] بما مكن ذلك

(١)- **سؤال:** ما المقصود بما بين السماء والأرض؟ وما إعراب ﴿لَاعِبِينَ﴾؟

الجواب: المراد بما بين السماء والأرض: الكواكب والمصابيح المعلقة بين السماء والأرض والسحاب والمطر وعوالم الطيور و...إلخ. «لاعبين» حال من ضمير «خلقنا».

(٢)- **سؤال:** إذا قيل كيف يكون ظالماً وهو لم يمكن المتمكن إلا لمصلحته وليطيع الله سبحانه =

وسلب الآخر التمكين، فعرفنا أنه لا بد من دار ينال فيها كل امرئ جزاء ما عمل.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ۝١٧﴾ كذلك يجيب الله سبحانه وتعالى على المشركين الذين ينسبون الولد إليه بأنه لو كان له ولد(١) لاتخذه من عنده لا من البشر، ولكنَّ ذلك لا يليق بجلاله وعظمته وكبريائه أن يحتاج إلى الولد، ولأنه ليس من شأن ذي الإلهية والجلال التوالد والتناسل.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ وأخبر أنه قد أنزل القرآن وقذف به في دماغ الباطل فقتله وأزاله، وهذا وعد من الله تعالى بأنه سيزيل الباطل والشرك من نسبة الولد إليه وعبادة الأصنام وغيرها، وأن دينه سيظهر على جميع الأديان، وأن العاقبة ستكون للحق وأهله.

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ۝١٨﴾ يهدد الله سبحانه وتعالى المشركين الذين يقولون إن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً، والذين اتخذوا

بذلك التمكن، فكيف يجاب على ذلك؟

الجواب: يقال: يحكم عقلاء الناس على الوالي الذي يعد لحفظ دولته جيشاً ويوفر له أسباب القوة وآلات الحرب ويلبسهم ثياب الهيبة وكل ذلك من أجل حفظ الدولة وأمن الرعية ثم إنهم تسلطوا على الرعية بنهب أموالهم وإهانتهم بالضرب والسجون ونحو ذلك فيرى كل ذلك الوالي ثم لا يمنعهم ولا يغير ولا ينكر بل يتركهم يظلمون الرعية كيفما يشاءون فإن الناس جميعاً يحكمون بظلم هذا الوالي ويذمونه، ولا يتحاشا عاقل عن ذلك؛ لذلك وجب أن ننزه الله تعالى عن مثل ذلك ونجله ونسبحه عن أن يكون كذلك، سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

(١)- **سؤال:** يقال: ما السر في قصر اللهو على الولد؟ وهل يصح أن يحمل على أي لهو أو لعب المشار إليه بالآية التي قبلها: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ...﴾؟

الجواب: يصح أن يحمل على أي لهو ولعب ويدخل في ذلك الولد، وقد يكون تفسيره بذلك هو المقدم، وإنما فسرناه بالولد ذهاباً منا إلى بعض التفاسير المذكورة في تفسير هذه الآية، وهناك من فسر اللهو أيضاً بالمرأة، وكلها صحيحة.

آلهة فعبدوها من دون الله، وأنهم بسبب ذلك سينالهم العذاب الشديد.

﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو وحده مالك من في السماوات والأرض فلا ولد ولا زوجة ولا شريك بل كلهم عبيد له وتحت قبضته وسيطرته. يجيب الله سبحانه وتعالى بذلك على من ادعى عليه اتخاذ الولد والشريك.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ والملائكة عبيده عاكفون على عبادته متواضعون لعظمته.

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١)﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ(٢) اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴿٢٠﴾﴾ لا يكلّون أو يتكاسلون عن عبادته، أو يصيبهم التعب والإرهاق، بل عاكفون على عبادته في كل الأوقات، وهم مع ذلك ينزهونه ويقدسونه عن اتخاذ الولد وعن الشبيه والمثيل ولا يشركون معه أحدا في صفات الربوبية والكمال والعظمة والجلال.

﴿أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴿٢١﴾﴾(٣) يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين عندما صنعوا لهم آلهة من الأحجار وغيرها من الأرض ثم عبدوها من دونه، فهل هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الموتى وتحييها؟ فحتما سيكون جوابهم بالنفي، وليس لهم حجة على ذلك إلا قولهم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ(٤) رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا

---

(١)- **سؤال:** ما أصل هذا الفعل؟ وممَّ أخذ؟

الجواب: أصله: حَسَرَ من باب جلس أي: تعب وأعيا، ويستحسرون مأخوذ منه، وزيادة الألف والسين والتاء في هذا الفعل للمبالغة.

(٢)- **سؤال:** لماذا لم تعطف جملة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ على ما قبلها؟ وما محلها الإعرابي؟

الجواب: لم تعطف لأنها بيان لما قبلها، وليس لها محل من الإعراب لأنها مستأنفة.

(٣)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿هُمْ يُنْشِرُونَ﴿٢١﴾﴾ الإعرابي؟

الجواب: محلها النصب على أنها صفة لآلهة.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ و﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾؟

=

يَصِفُونَ﴿٢٢﴾﴾ وأخبرهم أنه لو كان هناك آلهة غيره لفسد أمر السماوات والأرض ولاختل نظامهما، ولحصل التنازع والاختلاف بين هذه الآلهة، ولكن عندما لم نر شيئا من ذلك، ورأينا النظام والتناسق العجيب الدقيق وتوجههما إلى هدف واحد وصبهما في مصلحة واحدة علمنا أنه لا إله إلا إله واحد وهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما وجعلهما تحت قدرته وقبضته وسيطرته وتدبيره، وقد تعالى وتقدس عن قولهم وافترائهم عليه.

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴿٢٣﴾﴾(١) ولا أحد يستطيع أن يعترض عليه في شيء من أفعاله، أو يُعَقِّبَ عليه فيها لعظمته وجلاله وكبريائه فلن يستطيع أحد أن يناله، وأما هو فله الحق أن يسألهم ويحاسبهم لأنهم عبيدٌ له وفي ملكه يتصرف فيهم كيفما شاء.

الجواب: «إلا الله» إلا ولفظ الجلالة: صفة لآلهة وهي -أي «إلا»- بمعنى غير، إلا أنهم جعلوا الإعراب على ما بعدها أسوة بـ«إلا» الاستثنائية. «فسبحان الله» الفاء سببية عاطفة، وسبحان: مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً أي: أسبح أو نسبح سبحان الله.

(١)-**سؤال:** كيف يجيب العدلي على المجبري إذا استدل عليه بهذه الآية حين يُلزِمُه بالظلم حسب مذهب المجبرة؟

الجواب: يقول له: إن الله تعالى قد نزه نفسه عن الظلم: ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا...﴾ [النساء:٤٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس:٤٤]، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، والآيات في نفي الظلم عن الله تعالى كثيرة، فلزم لذلك أن ننفي الظلم عن الله وأن ننزهه عنه، ولا يحق لنا ولا ينبغي أن نعترض على الله حين نفى الظلم عن نفسه، ولا أن نعترض عليه في غير ذلك من أفعاله وأقواله. **وبعد،** فقد سمى الله تعالى نفسه بالحكيم العليم، والظلم عارٍ عن الحكمة، ومن شأن الحكيم العليم أن لا يفعل ما لا حكمة فيه وإلا فليس بحكيم.

﴿أَمِ[(١)] اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً﴾ بل قد اتخذ المشركون آلهة غيره وعبدوها من دونه.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يطلب منهم الدليل على صحة ادعائهم ربوبيتها، إما حسياً بأن يرونا آثار قدرته وخلقه أو أي صفة من صفات الإلهية، أو نقلياً من كتاب جاءوا به أو نبي أرسلوه، ولكنهم لن يجدوا أي دليل أو برهان على ذلك، ولم يجدوا جواباً إلا قولهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ۝٢٢﴾ [الزخرف]، وأما صفات الإلهية لهم فهم يعترفون أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر ولا تعلم ولا تملك من صفات الإله شيئاً.

﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ۝٢٤﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأن هذا القرآن هو الذكر الذي جاءهم به، وأنه لم يأت بشيء يخالف الكتب[(٢)] التي أتت قبله كالتوراة والإنجيل، فهو مصدق لها، وأن ذلك مما يدل على أنه من عند الله سبحانه

---

(١)- **سؤال:** هل هناك فرق بين «أم» هذه والتي في آية (٢١) المتقدمة؟

الجواب: «أم» في الموضعين هي المنقطعة وهي بمعنى «بل والهمزة»، وهناك فرق في المعنى، فـ«فأم» في الآية الأولى للإنكار وهي في هذه الآية للتقرير.

(٢)- **سؤال:** إذا قيل: فكيف بما قد نسخ من كتب الأنبياء السابقة، فبماذا يكون الجواب؟

يقال في الجواب: هذه السورة مكية والسور المكيات معنية بما جاء به أنبياء الله ورسله جميعاً من توحيد الله وتنزيهه عن الشركاء والولد والصاحبة، وذكر آيات الله وآثار رحمته وتعداد نعمه، ووجوب شكره وحده واختصاصه بالعبادة والطاعة وترك ما سواه، والإيمان بكتبه ورسله وباليوم الآخر، ونحو ذلك وما يلحق بذلك، وكل ذلك جاءت به رسل الله جميعاً، وقد قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥﴾. والصلاة والزكاة والصيام دين الله يدان به في كل شريعة إلا أنها قد تختلف الشرائع في صفاتها وأعدادها وأوقاتها بعض الاختلاف.

وتعالىٰ لو أنهم نظروا وتفكروا فيه لعلموا ذلك، ولكنهم معرضون عن الحق وعن معرفته وقبوله، وإعراضهم ذلك إنما هو لعنادهم وتمردهم لا لخفاء الحق فهو واضح وضوح الشمس.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ(١) أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴿٢٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أنه يرسل رسله، وأنه لا يرسلهم إلا عندما ينطمس الدين والهدىٰ ويتغير ويتبدل ويحل مكانه الشرك وعبادة غير الله تعالىٰ، فعند ذلك يرسل رسله لتنهاهم عن شركهم وضلالهم وتدعوهم إلىٰ عبادة الله الذي لا إله إلا هو، وأن هذا حال كل نبي يرسله.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ وهؤلاء هم المشركون قالوا: إن الملائكة بنات الله، وكذلك اليهود قالوا: عزير ابن الله، والنصارىٰ قالوا: المسيح ابن الله؛ فاستنكر الله سبحانه وتعالىٰ عليهم مقالتهم هذه.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ وأنه قد تقدس وتعالىٰ عن اتخاذ الولد؛ لأن التوالد من شأن المخلوقات، فلو صح له الولد لخرج عن كونه خالقاً ولصار من جنس المخلوقين.

﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴿٢٦﴾﴾ يجيب الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المشركين بأن الملائكة من عباده المنزهين عن معصيته(٢)، وقد أكرمهم وشرَّفهم بعبادته وطاعته في جميع ما أمرهم به، وليسوا بناته كما يقولون.

---

(١)- **سؤال:** فيم كان الحصر في هذه الآية؟ وما محل: ﴿نُوحِي إِلَيْهِ....﴾؟

الجواب: يلحق هذا بقصر الموصوف علىٰ الصفة أي: قصر الله تعالىٰ وحصر الرسل عليهم السلام علىٰ الاتصاف بالوحي إليهم بالتوحيد أي: لا بالوحي إليهم بالشرك أو دين غير دين التوحيد فيكون حصر قلب. ومحل: «نوحي إليه أنه...» النصب صفة لرسول. «أنه لا إله إلا أنا...» في تأويل مصدر مفعول به لنوحي أي: نوحي إليه التوحيد لله ونفي الشركاء معه.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: ولكنه يشكل علينا ما يقال بأنهم مكلفون وأن لهم شهوات فكيف؟

الجواب: لا تنافي بين عصمة الملائكة وبين تكليفهم، فأنبياء الله ورسله منزهون عن معصية الله وهم مكلفون، فملائكة الله تعالىٰ مثلهم، بل هم أدخل في العصمة وأقرب منزلة إلىٰ الله.

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴿٢٧﴾﴾ فلا يخالفونه في شيء مما أمرهم به، وإنما عملهم الطاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى وتنفيذها من دون أي مناقشة أو تعقيب، فقد سخروا أنفسهم وذللوها لطاعة الله تعالى مجردة عن أي شيء غير ذلك، وذلك من شدة تعظيمهم لله سبحانه وتعالى وخضوعهم له غاية الخضوع.

ومن ذلك يؤخذ أنه يجب التأدب غاية الأدب عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكذلك العلماء في كل زمان، والانتظارُ إلى أن يبدأ في الكلام، وأنه ينبغي التعظيم لهم والامتثال لأوامرهم، وعدم إبداء أي رأي أو اقتراح أو فتوى قبل أن يتكلموا، وإذا صدر منهم أمر أو نحوه فينبغي الامتثال من دون أي تعقيب عليهم ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات:١].

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ثم أخبر أنه عالم بما بين أيديهم، وهو: ما يعملونه في الوقت الحاضر، وما خلفهم، وهو: ما سيعملونه في مستقبلهم وما عملوه في ماضيهم.

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾(١) وأخبر أنهم لا يشفعون لأحد إلا لمن أذن الله سبحانه وتعالى لهم بالشفاعة له وهم أهل الرضوان(٢).

﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴿٢٨﴾﴾ فهم خائفون من عظمة الله وجلاله وكبريائه.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي

---

(١)- **سؤال:** كيف يستدل بهذه الآية على أن لا شفاعة للمجرمين؟

الجواب: يستدل بهذه الآية على نفي الشفاعة للمجرمين من حيث حصر الشفاعة وقصرها على من ارتضاه الله دون الفاسقين لأنهم ليسوا من أهل رضوان الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة].

(٢)- **سؤال:** من هم أهل الرضوان؟

الجواب: هم أهل الإيمان والعمل الصالح الذين رضي الله عنهم لإخلاصهم وطاعتهم له واستقامتهم على تقواه.

﴿الظَّالِمِينَ۝٢٩﴾ وهذا على سبيل الفرض والتقدير[١] وإلا فإنه مُسْتَبْعَدٌ منهم ذلك وغير متوقع، وهو أنه لو ادعى أحد منهم الإلهية لعذبه الله سبحانه وتعالى مثل ما يعذب غيره من الظالمين.

يصف الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات ملائكته جواباً على المشركين عندما ادعوا أنهم بنات الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ۝٣٠﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى على المشركين لماذا لا يتفكرون في خلق السماوات والأرض، ويخبرهم أنهم لو تفكروا فيهما وفي خلقهما لعرفوا عظمة الله سبحانه وتعالى وجلاله ووحدانيته ولآمنوا به.

وقد فسرت هذه الآية بتفسيرين: أحدهما: ما ذكره أولئك العلماء السابقون: أن السماء كانت رتقاً لا يأتي منها المطر، ثم إن هذا الرتق انفتق بالمطر، وكذلك الأرض كانت رتقاً وحين نزل المطر عليها تشققت بالنبات وأخرجته.

والثاني: هو ما يذكره علماء العصر الحديث: أنه ثبت عند علماء الكون والفلك صحة النظرية التي تقول: إن السماوات والأرض كانت ملتصقة ببعضها البعض، وكانت كتلة واحدة، ثم إنها تفرقت وانقسمت وتبددت إلى هذه النجوم والكواكب التي نراها أمامنا والأرض من جملتها، وهذا التفسير حسن[٢].

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إن كان لهذا الفرض فائدة فما هي؟

الجواب: الفائدة هي تحذير أهل القرآن من عصيان الله تعالى والتساهل في اقتراف شيء منها والاغترار والأمل في عفو الله عن أهل السوابق الصالحة والطاعات الكثيرة إذا عصوا.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما علاقة قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بالفتق على هذا التفسير؟

الجواب: يضاف التفسير الثاني إلى التفسير الأول وتفسر بهما جميعاً الآية، ويكون التفسير الثاني من عجائب القرآن وأسراره التي لا تزال تتكشف للعلماء إلى يوم القيامة من غير أن نهمل التفسير الأول أو أن نشطب عليه، وعلى هذا فيكون حبل العلاقة بين ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ بالفتق وثيقة متصلة.

وقد حث الله سبحانه وتعالى المشركين أن ينظروا ويتفكروا في هذه الآية فمن الذي أنزل المطر وأخرج به أنواع الشجر والثمر، وأن يتفكروا في الماء الذي هو من أكبر النعم عليهم، والذي به قوام حياتهم كيف لو انقطع عليهم ولو مدة قصيرة كيف سيكون حالهم؟ وكيف سيستطيعون العيش من دونه؟ فمن الذي أوجده لهم وخلقه لأجلهم وللحفاظ على حياتهم، وأنه لولا هو لماتوا وهلكوا.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾(١) وكذلك حثهم أن ينظروا في الجبال التي خلقها الله سبحانه وتعالى لهم لتحفظ للأرض توازنها من الاختلال والتمايل فيستطيعوا أن يعيشوا ويستقروا على ظهرها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴿٣١﴾﴾ والفجاج هي الطرق(٢) التي جعلها الله سبحانه وتعالى بين الجبال ليستطيعوا التنقل من خلالها في أنحاء الأرض، وكذلك جعلها الله سبحانه وتعالى علامات يحددون بها المناطق والجهات التي يريدونها.

فإذا عرفوا أنه سخر لهم الجبال لهذه المنافع التي تصب جميعها في مصلحتهم، فعسى أن يكون ذلك داعياً لهم إلى الرجوع إليه، والإقلاع عما هم فيه من الشرك والضلال، ويكون إتماماً للحجة عليهم فلا يكون لهم يوم القيامة أي عذر يعتذرون به.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾؟ وما محل المصدر الإعرابي؟

الجواب: «أن» مصدرية ناصبة، «تميد» مضارع منصوب بأن، وفاعله ضمير يعود إلى الأرض. «بهم» جار ومجرور متعلق بتميد، ومحل المصدر الجر بالإضافة أي: كراهة أن تميد بهم، أو يكون محله النصب بنزع الخافض.

(٢)- **سؤال:** يقال: إذا كانت الفجاج هي الطرق فما فائدة قوله: ﴿سُبُلًا﴾؟ وما إعرابها؟

الجواب: الفجاج هي الطرق المتسعة بين الجبلين ففي الفجاج معنى الصفة الذي هو الاتساع، وليس ذلك المعنى الوصفي بموجود في «سبلاً» فوصفت السبل بالفجاج لتفيد معنى الاتساع، و«فجاجاً» وصف في الأصل لسبلاً قدم فصار حالاً.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴿٣٢﴾﴾ السماء سقف محفوظ فلا تستطيع الشياطين أن تنفذها لتسترق السمع(١)، وتتجسس على الملائكة، وما يكون عندهم من الأخبار، ولكن المشركين معرضون عن هذه الآيات وعن التفكر والنظر فيها(٢).

﴿وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴿٣٣﴾﴾ وأخبر سبحانه أن كل واحد من الشمس والقمر والأرض له طريق محدودة يسير فيها ومنازل معلومة لا تتغير أو تتبدل على مدى الزمان.

يستنكر الله تعالى على المشركين عندما يذهبون إلى عبادة تلك الأصنام ويتركون الذي خلق كل تلك الأشياء وسخرها لهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴿٣٤﴾﴾ ثم أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيموت مثل ما عليه بقيةُ البشرِ ومثل بقية الأنبياء السابقين، وكذلك المشركون كانوا يقولون بأنهم سينتظرون محمداً إلى أن يموت وسينتهي كل شيء، فأوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليخبرهم بأنهم أيضاً سيموتون فلا يظنوا أنهم سيخلدون بعد موتك.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً(٣) وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴿٣٥﴾﴾

---

(١)-**سؤال:** يقال في العلم الحديث: إن الحفظ في السماء عن اختراق الغازات أو النيازك فما رأيكم؟

الجواب: لو قال: «سقفاً حافظاً» لصح ما يقال عن اختراق الغازات أو النيازك أي: حافظاً لأهل الأرض من النيازك والغازات، قال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴿١٧﴾﴾ [الحجر].

(٢)-**سؤال:** هل يصح أن تعم الآية كل من لم يتفكر في السماء وما فيها ولو كان غير مشرك؟

الجواب: تنطبق الآية على كل من أعرض عن النظر والتفكر فيما جعله الله تعالى من الآيات في السماء، إلا أن المشركين الذين نزل القرآن فيهم دخلوا في عمومها دخولاً أولياً.

(٣)-**سؤال:** ما إعراب: ﴿فِتْنَةً﴾؟

الجواب: تعرب فتنة مفعولاً من أجله أي: نبلوكم بالشر والخير لأجل الاختبار لكم.

فكل ذي نفس منفوسة سيموت، ولن يبقى إلا الله سبحانه وتعالى، ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه في الدنيا يختبر عباده، ويمتحنهم بالشر من الأمراض والكوارث، والجدب والمرض، وبالخير من الرخاء والسعة في الأرزاق والبركة في الثمار والصحة والعافية، وأن ذلك ليتبين الخبيث من الطيب، والمصلح من المفسد، ومن سيصبر ومن سيجزع ومن سيشكر، ومن سيكفر، ثم يجازي كلاً منهم بعد ذلك ففريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن المشركين إذا سمعوه يقرأ عليهم القرآن أو يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده فإنهم لن يقبلوا منه وسيستهزئون به ويسخرون منه.

﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾(١) وأنهم إذا رأوه فإنهم سينظرون إليه نظر استحقار واستهانة واستنقاص، ويستصغرونه إلى أدنى المراتب وأرذلها.

﴿وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ۝٣٦﴾ ومع ذلك فهم يكفرون بالذي أنعم عليهم بجميع النعم الظاهرة والخفية، وينكرون الحقائق الظاهرة والمكشوفة، فكان من المفترض أن يكونوا هم محل السخرية والاستهزاء لكفرهم بمن نعمه ظاهرة ومكشوفة، لا يستطيعون أن ينكروها.

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ۝٣٧﴾(٢) كان

---

(١)- **سؤال:** هل قوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ مقول لقول محذوف؟ وما محل هذا القول من الإعراب؟

الجواب: نعم هو مقول لقول محذوف تقديره: قائلين....، فمحله النصب مفعول لقائلين.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ۝٣٧﴾؟

الجواب: الفاء: سببية عاطفة، و«لا» ناهية، «تستعجلون» فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل، والنون للوقاية، والأصل: فلا تستعجلوني فحذفت الياء التي هي مفعول به للتخفيف.

المشركون يستعجلون من النبي ﷺ أن يدعو الله سبحانه وتعالىٰ ليعجل بنزول عذابه وسخطه الذي يتوعدهم به، فأوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبيه ﷺ أن يخبرهم بأن لا يستعجلوا نزوله بهم، وأنهم لا بد أن يروا نزوله بهم، فلماذا العجلة ما دامت هذه عاقبتهم.

وقوله: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ جعل الإنسان كأنه مخلوق من العجلة مبالغة في استعجاله في أكثر أموره.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٨﴾ يسخرون من النبي ﷺ ويرمونه بالكذب، فكانوا يقولون: إن كنت صادقاً يا محمد فأخبرنا بموعد نزول عذاب الله وسخطه بنا!! فأوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ نبيه ﷺ أن يجيبهم بهذا الجواب: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ۝٣٩﴾ أجابهم بهذا الجواب لأنه لم يكن يريد أن يطلع أحداً من خلقه علىٰ موعد الساعة والقيامة، وليعلموا أن ذلك من الأشياء التي اختص بعلمها وحده.

وأخبرهم بأنهم سيعلمون ذلك عندما يرون حلوله بهم، وأنهم لو كانوا يعلمون ما هو الذي ينتظرهم من الأهوال والشدائد التي لا يستطيع أن يتحملها أو يتصور فضاعتها أحد منهم لما[1] سألوا النبي ذلك السؤال، ولما استعجلوا العذاب ذلك الاستعجال.

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً[2] فَتَبْهَتُهُمْ﴾ ثم أمر نبيه ﷺ أن يخبرهم أنه لا يعلم

(١)- **سؤال:** لعلكم تريدون أن جواب «لو» محذوف تقديره ما ذكرتم، فهل في حذفه سر فما هو؟

الجواب: جواب «لو» محذوف وهو مقدر بما ذكرنا، والسر في حذفه هو التهويل والتعظيم.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿بَغْتَةً﴾؟

الجواب: تعرب «بغتة» مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: تبغتهم بغتة، وأجازوا أن يكون عامله تأتيهم أي تأتيهم إتيان بغتة فيكون لبيان نوع الإتيان.

موعدها ولكنها ستأتيهم بغتة وفجأة على غير انتظار منهم أو استعداد، فيصيبهم الذهول، وتخرس ألسنتهم من هول ما يرون.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ۝٤٠﴾ ولن يكون لهم عند ذلك أي مفر أو مخرج، ولن يقبل منهم بعد ذلك أي عمل أو توبة.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ۝٤١﴾ يخفف الله سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من أثر الصدمات التي واجهه بها المشركون من التكذيب والاستهزاء والاحتقار حتى ضعفت معنوياته وضاقت نفسه وقل نشاطه فأخبره تعالى بما لقي المرسلون من قبله من التكذيب والاستهزاء وعظيم الأذى، وبما حل بالمستهزئين من عذاب الله الذي أحاط بهم واستأصلهم بسبب استهزائهم بأنبيائهم وتكذيبهم لهم، وذلك أنه إذا عرف ما لاقاه من سبقه من الأنبياء من أقوامهم هان عليه ما هو فيه، وأخبره بأن أعمالهم سوف تحيط بهم وسوف يحيق بهم عذابه وسخطه بسبب ذلك فما عليه إلا أن يصبر.

﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ۝٤٢﴾ ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يسأل المشركين: مَنْ الذي يحرسهم ويحميهم من الله تعالى إذا أراد أن يُحِلَّ بهم عذابه وسخطه؟

فلن يجدوا جواباً مقنعاً؛ فإن قالوا: الأصنام، فهم يعلمون أنها لن تستطيع أن تحميهم، أو أن تدفع عنهم شيئاً، وسيسخر منهم كل عاقل إن أجابوا بهذا الجواب.

ثم أخبر عنهم أن ابتعادهم عن الدين الحق ليس إلا لشدة عنادهم وتمردهم وإعراضهم عن الله تعالى وعن نبيه واستكبارهم عليه.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾[1] أم أن تلك الأصنام التي يعبدونها هي

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما الحكمة في قوله: ﴿مِنْ دُونِنَا﴾ ولم يقل: «منا» مع أن المعنى قد يكون عليه؟ أم أنها تحتمل معنى آخر؟

=

التي ستحفظهم وتحميهم من عذاب الله وسخطه حتى تمردوا على الله هذا التمرد.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ ثم أجاب الله عن ذلك: بأن آلهتهم تلك لا تستطيع أن تحمي حتى أنفسها فضلاً عن أن تحرس غيرها.

﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴿٤٣﴾﴾ وليس لهذه الآلهة من عند الله ما يكسبها القوة حتى تستطيع حماية نفسها(١).

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد متع المشركين بالأعمار الطويلة والصحة والعافية في الدنيا، وأسبغ عليهم النعم، وزادهم في القوة والتمكن في الأرض.

﴿حَتَّى(٢) طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ ثم إنهم نسوا الله تعالى ونعمه عليهم بسبب انغماسهم في الشهوات واتباع الأهواء، وما قلَّبهم فيه من النعم التي لا تعد ولا تحصى(٣).

الجواب: «من دوننا» صفة لآلهة مثلها في: ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف:٣٠]، ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة:١١٦]، وأشباهها كثير في القرآن.

(١)- **سؤال:** هل تحتمل الآية أن يكون الجار والمجرور «منا» متعلقاً بـ﴿يُصْحَبُونَ﴿٤٣﴾﴾ بمعنى: لا يجارون أو يدفع عنهم من سخط الله وعذابه، أم لا؟

الجواب: «منا» جار ومجرور متعلقان بيصحبون، أي: يجارون، وكانوا يقولون: أنا لك صاحب من فلان، أي: مجير لك منه. ومعنى الآية كلها: أنهم ليسوا بقادرين على نصر أنفسهم ومنعها ولا هم بمصحوبين من الله بالنصر والتأييد فمن كان كذلك لا ينصر غيره.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب «حتى» في هذه الآية؟

الجواب: «حتى» في هذه الآية للغاية وتسمى ابتدائية أي أنه يبتدأ بعدها الكلام، وليس لها عمل فيما بعدها.

(٣)- **سؤال:** هل تصلح هذه الآية دليلاً على أنه لم يكن من الله إلا التمتيع بالنعم في كل ما يفعله الإنسان من معاصٍ لا غير ذلك كما تزعمه المجبرة؟

الجواب: نعم، فيها دليل على بطلان مذهب الجبر من حيث أن الله تعالى ذكر السبب في ضلال المشركين الذي هو اغترارهم بطول المهلة مع كثرة النعم.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ يستنكر الله سبحانه وتعالى عليهم غفلتهم وشدة إعراضهم عنه مع ما يرونه من توسع رقعة الإسلام وانتشاره في أقطار الأرض وتضاؤل الشرك واضمحلاله؛ أليس في هذا آية لكم أيها المشركون تعتبرون بها؟ وما ترونه من غلبة الإسلام لأكثر البلدان أفتظنون أنكم غالبون وأنه لن يستطيع أحد أن يغلبكم؟ ومن أنتم حتى تظنوا هذا الظن وتغتروا ذلك الغرور[1]؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾[2] ثم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر المشركين بأن الله تعالى قد كلفه أن ينذرهم بالوحي، وأن يبلغهم ما أوحى به إليه، وأن يخبرهم بأن تبليغ رسالة الله تعالى هو مهمته التي كلفه الله بها، فليس عليه أن يدخلهم في الهدى أو يرغمهم عليه، وليس عليه أن يحاسبهم أيضاً، وأخبره أن دخولهم في الهدى وعدم دخولهم ليس من مسؤوليته، وأقنع الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من الطمع في إيمان قومه حتى لا يتعب نفسه في ملاحقتهم.

---

(١)- **سؤال:** لا زال الإشكال عندنا قائماً على هذا المعنى كيف يقول: ﴿مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ والإسلام قد أخذ أوساطها وأم قراها؟

الجواب: نزلت هذه الآية قبل فتح مكة «أم القرى» وقد كان الإسلام قد انتشر في أطراف الأرض ولم يدخل أم القرى «مكة»، وينبغي أن تكون هذه الآية مدنية وإن كانت السورة مكية، فكثير من السور المكية قد خالطها آيات مدنية.

(٢)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾؟ وما المقصود بـ﴿الصُّمُّ﴾ هنا؟

الجواب: «إذا» ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه، و«ما» صلة. «ينذرون» فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعل، والجملة في محل جر بإضافة «إذا» إليها. والمراد بالصم هنا: المشركون الذين أعرضوا عن سماع ما يتلوه عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وكفروا به وكذبوه و...، سماهم الله صماً لمشابهتهم للصم الذين لا يسمعون ما يقال لهم بجامع عدم الانتفاع بما يقال لهم.

﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ۝٤٦﴾ وأخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنهم لن يعترفوا بالحق ويؤمنوا به إلا[١] عند رؤيتهم لعذاب الله وهو نازل بهم فساعتها سيتذكرون وسينادون بالويل والثبور والندم على ما كانوا فيه من الضلال والغفلة، وأما ما داموا لم يروا شيئاً فلن يسمعوا لك يا محمد أو يستجيبوا لدعوتك أبداً، ومعنى «نفحة»: أي: شيء قليل من عذاب الله كالرائحة من الشيء دون جسمه

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ۝٤٧﴾[٢] ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنه سيحاسب الناس حساباً دقيقاً، ولن يظلم أحداً أو ينقص أهل الحسنات من حسناتهم شيئاً، أو يزيد في عقاب أحد فوق ما يستحق، وأنه سيجازيهم حتى على مثقال الذرة من الأعمال[٣].

---

(١)- **سؤال:** من أين استفيد هذا الحصر أم أنه من السياق فقط؟

الجواب: استفيد من السياق فالذي يتلو ما قبل هذه الآية ينقطع طمعه في إيمانهم ولا يرجوه منهم إلا عند حلول عذاب الله بهم.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ۝٤٧﴾؟

الجواب: «كفى» فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، والنون فاعل كفى، وحاسبين: تمييز نسبة محول عن فاعل.

(٣)- **سؤال:** يقال: ظاهر الآية أنها في المقاصصة بين المخلوقين، وأنه لا يظلم الواحد منهم مثقال ذرة، فما المرجح لما قلتموه؟ وهل يصح حملها على ذلك الظاهر؟

الجواب: الآية عامة ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ في كل ما اكتسبه المؤمن من حسنات وفيما اكتسبه المجرم من سيئات، وفيما بين المخلوقين من مظالم فلا ينقص الله تعالى المؤمن مما يستحقه من الثواب وإن كانت الحسنة مثقال حبة من خردل فسيوفيه جزاءها، ولا يزيد في عقاب المجرم على ما يستحقه من جزاء على كل ما عمل وإن قلت السيئة.

والموازين كناية عن عدل الله سبحانه وتعالى ودقة حسابه، وعدم ضياع شيء عنده أو نسيانه لأي شيء من أعمالهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ۝٤٨﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه ﷺ بأنه قد أنزل على موسى وهارون التوراة التي فيها التمييز بين الحق والباطل، وتبصير الناس طريق هداهم، وفيها أيضاً تذكيرهم بآياته وعظاته وما يعتبرون به.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾(١) ولكنه لا يتذكر بها ويتعظ إلا المتقون(٢) الذين يخشون الله سبحانه وتعالى ويخافونه.

﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ۝٤٩﴾ وهم أيضاً خائفون من القيامة؛ لأنهم قد تيقنوا بوقوعها، فهؤلاء هم الذين سينتفعون بما أنزله لهم في التوراة، ثم عقب ذلك بقوله في القرآن:

---

(١)- **سؤال:** ما معنى الباء هنا؟ وبماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟

الجواب: معنى الباء المصاحبة، وتعلق الجار والمجرور بمحذوف فهو في محل نصب على أنه حال أي كائنين بالغيب أو متلبسين بالغيب أو مصاحبين للغيب أي: غائبين، وصاحب الحال هو فاعل يخشون، ويصح أن يكون حالاً من «ربهم» أي حال كونه غائباً.

(٢)- **سؤال:** ما الوجه في أنه لا يتذكر بها إلا هؤلاء؟

الجواب: الوجه أن طاعة الآمر لا تحصل إلا عند حصول أمرين أو واحد منهما:

١- أن تكبر عظمة الآمر ومهابته في نفس المأمور.

٢- أن يعلم المأمور أن الآمر قد أعد عقاباً عظيماً لمن تمرد عن أمره وعن نهيه، فإذا حصل هذان الأمران أو أحدهما في نفس المأمور عظم عنده الداعي الذي يبعثه على الطاعة والامتثال، فإذا لم يحصل ذانك الأمران ولا أحدهما في نفس المأمور ضعف الداعي عنده أو غاب تماماً فلا يحصل منه حينئذ الامتثال والطاعة وكان من المعرضين عن سماع الذكر والانتفاع به والاستضاءة بنوره.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ وهو القرآن الذي فيه المنافع الكثيرة للناس لدينهم ودنياهم، وقد أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ۝٥٠﴾ استنكر الله تعالى على المشركين تكذيبهم بالقرآن وإنكارهم له مع وضوح آياته وظهور صدقه.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ[1] وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ۝٥١﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قد زَكَّى عقلَ إبراهيم وفطرته بحيث علم الحق وعرفه وعلم أن عبادة تلك الأصنام التي يعبدها قومه باطلة؛ لأنه قد علم أنه أهل لأن يزكي عقله وفطرته ويبصره طريق الحق والرشاد.

﴿إِذْ[2] قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ۝٥٢﴾ وهذه هي علامة رشده وزكاء عقله وفطرته، وذلك عندما استنكر على قومه كيف يعبدون تلك التماثيل التي ليست إلا أحجاراً يصنعونها بأيديهم؟! فما هي حتى يعبدونها؟

﴿قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ۝٥٣﴾ ولم يستطيعوا أن يأتوا بجواب مقنع يدل على صحة ربوبيتها، وأنها تستحق العبادة، إلا أنها عادة آباءهم، وأنهم يقتفون آثارهم، ويقتدون بهم.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٥٤﴾ فرد عليهم بهذا الجواب مبكِّتاً لهم ومتحسراً على أعمالهم هذه مع علمهم وتيقنهم أنهم في جهل وضلال واضح[3].

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بقوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل النبوة، أم ماذا؟

الجواب: المراد من قبل الذكر المبارك الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من قبل النبوة.

(٢)- **سؤال:** بم تعلق الظرف «إذ» أم أنه غير ظرف؟

الجواب: تعلق الظرف «إذ» بقوله: ﴿ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾

(٣)- **سؤال:** قد يقال: كيف يتيقنون أنهم في جهل مع قولهم فيما بعد: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ...﴾؟

الجواب: فهم علمهم بضلالهم من قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٥٤﴾ أي: أنهم في ضلال واضح لا =

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ۝٥٥ قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ[(١)] وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ۝٥٦﴾ وأجابهم أنها لا تملك من صفات الإلهية شيئاً، وأنه لا إله لهم إلا إله واحد وهو الذي خلق السماوات والأرض وخلق هذه الأحجار التي تعبدونها، وأنا أشهدكم أني كافر بأصنامكم هذه، وأنه لا رب يستحق العبادة إلا رب السماوات والأرض.

﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ۝٥٧﴾[(٢)] وتهددهم بأنه سيكسر[(٣)] أصنامهم هذه عندما يجد الفرصة المناسبة لذلك.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ۝٥٨﴾ وفعلاً فقد نكس أصنامهم وكسرها كسرة كسرة، ولم يُبْقِ على شيء منها إلا على الصنم الأكبر منها، وقد ألهمه الله سبحانه وتعالى إلى ذلك بتدبيره لحكمة يعلمها في ذلك، وكان إبراهيم عليه السلام قوياً جداً يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ۝٩٣﴾ [الصافات]، أراد بالقوة التي أعطاه الله تعالى.

﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ۝٥٩ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ[(٤)]

لبس فيه ولا خفاء، وساغ لهم –مع ذلك– المضي على الجهل والضلال والتمسك به للإلف به والنشء عليه وتمسك المجتمع والآباء والأمهات به.

(١)- **سؤال:** إلام يرجع ضمير جماعة الإناث في قوله: ﴿فَطَرَهُنَّ﴾؟

الجواب: يعود إلى السموات والأرض.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ۝٥٧﴾؟

الجواب: تولوا: فعل مضارع منصوب بأن المصدرية، والواو فاعل، ومدبرين: حال من الواو.

(٣)- **سؤال:** لماذا عبر بالكيد بدلاً عن الكسر؟

الجواب: عبر بالكيد لأن معناه مطابق لما فعله فالكيد هو إلحاق الضرر بالغير بخفية ومن حيث لا يشعرون، ولو عبر بالكسر لما أفاد هذا المعنى.

(٤)- **سؤال:** ما محل جملة: ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾؟

=

﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ۝٦٠﴾ وعندما عادوا ورأوا أصنامهم على تلك الحال تَمَلَّكَهم الغضب الشديد وأقسموا أنهم سوف يبحثون عن الذي فعل تلك الفعلة حتى يجدوه فيقتلوه، وكان أناس منهم قد سمعوا إبراهيم وهو يتهددهم ويتوعدهم بكسر أصنامهم وتحطيمها فأخبروهم بأنه الفاعل.

﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ۝٦١﴾(١) ثم جمعوا الناس، وأحضروا إبراهيم ليشهدوا على اعترافه عند إدانته، ومعنى «على أعين الناس» أي: بمرأى منهم ومسمع.

﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ۝٦٢﴾ يستنطقونه ليعترف أمام الملأ، ولكنه أجاب بغير ما يتوقعون فقال:

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ۝٦٣﴾ فأجابهم بأن الفاعل هو كبير الأصنام ذلك، وكان قد تركه سالماً ووضع المعول والفأس على جنبه، وكان الله سبحانه وتعالى قد ألهمه لهذه الحيلة حتى يستطيع أن يقنعهم بأن الأصنام لا تستطيع أن تنفع أو تضر أو تفعل أي فعل، وليكون ذلك حجة عليهم.

وما يقال: بأن إبراهيم عليه السلام قد كذب هنا؛ لأنه نسب الفعل إلى غير فاعله، فالجواب عليه: أن هذا ليس من الكذب في شيء لأن الكذب هو الذي يروِّجُ له صاحبه حتى يجعل له سبيلاً إلى القبول، وهنا قد نسب الفعل إلى شيء لن يستطيع أحد أن يصدق فيه ذلك، بل سيعلمون من كلامه هذا أنه إنما يريد أن يلزمهم

الجواب: محلها النصب صفة لـ﴿فَتًى﴾.

سؤال: ما العلة في فصل الجملة هذه عن التي قبلها؟

الجواب: فصلت لأنها صفة ثانية لـ«فتى».

(١)-**سؤال:** ما الوجه في إحضار الناس للشهادة فقد كان يكفي القوم اعترافه؟

الجواب: لم تكن الشهادة قد قامت على اعتراف إبراهيم وإنما بلغهم عنه أنه يذكر الأصنام بمكيدة يكيدها ولم يكن قد اعترف بما فعله بالأصنام.

ويلجئهم إلى معرفة بطلان عبادتهم لها[١].

﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴿٦٤﴾﴾ وفعلاً فقد استيقظوا من غفلتهم، وانتبهوا من رقدتهم، واعترفوا بخطئهم وضلالتهم، وبدأوا يتساءلون في أنفسهم: كيف يعبدون أحجاراً لا تستطيع أن تضر أو تنفع أو حتى تحمي نفسها؟!! وعرفوا أن إبراهيم على حق فيما ينسبه إلى معبوداتهم تلك من بطلان إلهيتها.

﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ[٢] لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴿٦٥﴾﴾[٣] ولكنهم لم يلبثوا أن تراجعوا عن اعترافهم، وما كانوا أقروا به من الضلال، وصاحوا بإبراهيم: كيف نسأل هذه الأصنام، وأنت تعلم أنها لن تستطيع أن تنطق؟

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴿٦٦﴾ أُفٍّ

---

(١)- **سؤال:** إذا قيل بأنه قد صار كذباً على تعريف الجاحظ للكذب، وكذا على قول أهل المذهب فيه، فيلزمكم زيادة نحو هذا القيد في التعريف، فكيف نجيب على هذا؟

الجواب: لا يلزم زيادة القيد فإبراهيم عليه السلام لم يرد الإخبار عمن كسر الأصنام، ولم يفهموا منه ذلك، وإنما أراد أن يخبرهم عن ضلالهم في عبادة الأصنام التي لا قدرة لها إطلاقاً ففهموا هذه الحجة الدالة على بطلان إلهية الأصنام ؛ لذلك قال الله تعالى عنهم بعدما سمعوا ما قاله إبراهيم: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴿٦٤﴾﴾.

(٢)- **سؤال:** ماذا يعني هذا الأسلوب؟ وهل خرج عن حقيقته؟ فصلوا القول فيه.

الجواب: ﴿نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ في النكس على رؤوسهم استعارة للرجوع إلى الباطل بعد الإقرار والمعرفة للحق.

(٣)- **سؤال:** من فضلكم ما محل: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا...﴾ من الإعراب؟ وكذا كيف نعرب: ﴿مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴿٦٥﴾﴾؟

الجواب: «لقد علمت ما...» في محل نصب مقول لقول محذوف. «ما» نافية علقت «علمت» عن العمل. «هؤلاء» مبتدأ وجملة «ينطقون» في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة «ما هؤلاء ينطقون» في محل نصب مفعول به لـ«علمت».

لَكُمْ[١] وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴿٦٧﴾﴾ فاستنكر عليهم إبراهيم وقال لهم: فكيف تعبدون من دون الله ما لا يستطيع أن ينفعكم أو يضركم أو ينفع نفسه أو يدفع عنها ضرراً أو مكروهاً، وتأفف من عملهم واستقذرهم واستخف بهم وبآلهتهم، وكيف تسمح لهم عقولهم أن يعبدوا أحجاراً لا تضرهم ولا تنفعهم.

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٦٨﴾﴾[٢] عندما أسكتهم إبراهيم بحجته، ولم يستطيعوا حجة ولا رداً لم يروا جواباً إلا أن يرموا به في النار استكباراً منهم وتجبراً وعلواً؛ ليكون عبرة لكل من سولت له نفسه أن يمس دينهم بسوء.

﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا[٣] عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴿٦٩﴾﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى قد انتصر لنبيه ولدينه وحفظه من شرهم ومكرهم، وكانوا قد وضعوه في المنجنيق ليلقوا به من بُعْدٍ لكثرة ما كانوا قد أضرموا من النيران حتى أن أحداً لم يستطع القرب منها لعظمها وشدة حرارتها.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴿٧٠﴾﴾ وكان مكر الله فوق مكرهم وكيده فوق كيدهم، وقد خيب آمالهم وهزمهم أمام الناس جميعاً، وقد روي أن جبريل قد نزل على إبراهيم وهو في الهواء عندما قذفوا به فسأله: هل لك من

---

(١)- **سؤال:** فضلاً بماذا تعلق الجار والمجرور هنا؟ وما إعراب ﴿أُفٍّ﴾؟

الجواب: تعلق الجار والمجرور بمحذوف كائن أو مستقر و«أف» اسم فعل بمعنى «أتضجر».

(٢)- **سؤال:** ما فائدة إتيانهم بالشرط: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴿٦٨﴾﴾ مع تمام الكلام بدونه؟

الجواب: جيء به لحثهم على عقوبة إبراهيم وإزعاجهم إلى فعلها وإسراعهم في تنفيذها والله أعلم.

(٣)- **سؤال:** هل للمخالفة بين الصفتين: ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ فائدة فما هي؟

الجواب: «برداً» أي: لا يحس ولا يشعر بحرارتها، و«سلاماً» أي: لا يكون للنار أثر على جسمه، وذلك أنه يحصل من النار للجسم إذا وقع في النار أمران: ألم شديد وفساد الجسم بنضوجه بالنار، فجيء بالوصفين لإفادة هذين المعنيين.

حاجة يا إبراهيم؟ فأجابه: أما إليك فلا؛ وكان أمله في الله سبحانه وتعالىٰ بالرغم من بارقة الأمل التي أعطاه جبريل عليه السلام[(١)]، وهكذا أنبياء الله، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝٧١﴾ بعد أن خرج إبراهيم عليه السلام سالماً من النار، حاول قومه اللحاق به ليقتلوه، ولكن الله تعالىٰ نجاه منهم[(٢)]، ففر من بين أيديهم ومعه لوط عليه السلام إلىٰ أرض الشام، ووصْفُها بهذا الوصفِ يدل علىٰ أنه قد بارك فيها، وجعل فيها منافع الدنيا والآخرة بأن جعلها مهبط الرسالات، ومهد الأنبياء والمرسلين ومستودع الأديان، وأما بركتها في الدنيا فلما تتمتع به من خصوبة أرضها وتنوع ثمارها ووفرة أمطارها وغزارة أنهارها[(٣)].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا[(٤)] جَعَلْنَا صَالِحِينَ ۝٧٢﴾ أخبر الله

---

(١)- **سؤال:** قد يقال: إذا أعانه جبريل بشيء فإنما هو عن الله فما وجه رده عليه؟

الجواب: يمكن أن يوجه الرد بأن إبراهيم عليه السلام، قد استحكم علمه واطمأن قلبه علىٰ أن الله تعالىٰ معه بعلمه وقدرته ونصره لكثرة ما رأىٰ من آيات قدرة الله وآيات نصره وآيات علمه وتوفيقه فتعلق قلبه بالله الذي اطمأن أنه معه وأنه أقرب إليه من جبريل ؛ لذلك كان إبراهيم عليه السلام في حال هويه إلىٰ النار أشد ثقة بنصر الله وحفظه له من ثقته بجبريل ولو كان مرسلاً لحفظه.

(٢)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل التنجية علىٰ تسليمه من النار أم لا؟

الجواب: جعل الله تعالىٰ أرض الشام منجاة لإبراهيم ولوط عليهما السلام فأخرجوهما من بابل العراق إلىٰ بلاد الشام، فالمقصود بالنجاة هنا إخراجهما من العراق إلىٰ الشام.

(٣)- وأين كان وقت حادثة إضرام النار له عليه السلام؟

الجواب: كان في بابل العراق.

(٤)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿كُلًّا﴾ وكذا ﴿نَافِلَةً﴾ وهل في الإخبار بكونه ولد ولده فائدة تليق بقدسية الكلام وبلاغته؟

الجواب: «كلاً» مفعول به أول لجعلنا. «نافلة» حال من يعقوب، وفائدة ذكره لـ«نافلة» أن إبراهيم عليه السلام

=

سبحانه وتعالىٰ أنه أعطىٰ إبراهيم عليه السلام أجره في الدنيا فوهب له إسحاق نبياً وبعده يعقوب نبياً، والنافلة هو ولد الولد؛ وقد جعل الله سبحانه وتعالىٰ النبوة في ذرية يعقوب عليه السلام.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾(١) وجعل الله تعالىٰ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة للناس يهتدون بهديهم، ويقتفون آثارهم، وأعطاهم الكتاب والحكمة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ۝٧٣﴾ أوحىٰ الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليه السلام الأمر بفعل الخيرات(٢)، والمحافظة علىٰ إقامة الصلوات وإيتاء الزكوات، وقد أثنىٰ الله عليهم صلوات الله عليهم بأنهم كانوا عابدين لله وحده ومنقطعين إليه.

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ثم أخبر الله سبحانه وتعالىٰ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه

سأل الله أن يرزقه ولداً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠﴾ [الصافات]، فرزقه الله ولداً «إسحاق» بسؤاله له ثم رزقه الله يعقوب من غير سؤال بل تفضلاً من الله عليه وزيادة زادها له من غير مسألة فهذا هو ما استفيد من «نافلة».

(١)-**سؤال:** ما معنىٰ الباء في قوله: ﴿بِأَمْرِنَا﴾؟

الجواب: الباء للآلة كالتي في: كتبت بالقلم.

(٢)- **سؤال:** يقال: فما إعراب ﴿فِعْلَ﴾؟ وما السر في حذف التاء المربوطة من المصدر ﴿إِقَامَ﴾ في هذا الموضع؟

الجواب: الذي ذكرناه في التفسير قد كان نظراً للمعنىٰ المراد الذي هو الأمر بفعل الخيرات وإقام الصلاة و..إلخ. أما تحليل الكلام من منظور أهل الإعراب فـ«فِعْلَ» مصدر وأصله أن تفعل الخيرات فالخيرات معموله فهو كقوله: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد:٤]، وقد قالوا: إن كل مصدر ذكر له معمول فهو بتأويل أن والفعل وإذا أول به عمل عمله. وحذفت التاء من المصدر: ﴿إِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ لوجود عوضها وهو المضاف إليه ﴿الصَّلَاةِ﴾.

أعطى لوطاً عليه السلام النبوة وجعله من أهل العلم والحكمة.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ[١] فَاسِقِينَ ۝٧٤﴾ وأنه نجاه مع أهله، وذلك عندما أنزل العذاب بقومه فأهلكهم ودمر مساكنهم وقراهم بسبب عمل الخبائث والإقامة على فعل المنكرات وفسوقهم عن أمر الله.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٧٥﴾ نجاه الله سبحانه وتعالى في الدنيا من العذاب وحفظه، وفي الآخرة[٢] سيكون في أعلى عليين في جنات النعيم.

﴿وَنُوحًا[٣] إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ ثم أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم خبر نوح عليه السلام وشأنه، فأخبر أنه أرسله من قبل إبراهيم وإسحاق ولوط، وأنه دعا الله سبحانه وتعالى بأن يستأصل قومه بالهلاك والعذاب.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ نادى اللهَ سبحانه وتعالى ودعاه عندما علم باقتراب موعد نزول عذاب الله بقومه فاستجاب له وأمره بأن يصنع السفينة فنجاه فيها هو وأهله وأغرق قومه بالطوفان وأبادهم واستأصلهم جميعاً، حتى حيوانات الأرض كلها بعد أن حمل فيها من كل زوجين اثنين، وذلك لشؤم شركهم وضلالهم وتكذيبهم بنبيهم فكانوا السبب في هلاك

---

(١)- **سؤال:** ما المراد بالسوء المذكور في الآية؟ وهل بينه وبين «السُّوء» بضم السين فرق؟

الجواب: المراد بالسوء هنا الشر، والسَّوْء بفتح السين مصدر ساءه يسيئه سَوْءاً ومساءة، والسُّوء بضم السين اسم مصدر.

(٢)- **سؤال:** هل تريدون أن الرحمة تشمل منافع الدنيا والآخرة أم ماذا؟

الجواب: المراد بها هنا منافع الدنيا والآخرة.

(٣)- **سؤال:** هل قوله: ﴿نُوحًا﴾ معطوف على ﴿لُوطًا﴾ أم لا؟ فما إعرابه؟

الجواب: «نوحاً» معطوف على «لوطاً» فيكون داخلاً معه في عامله الذي هو «آتينا» أي ونوحاً آتيناه حكماً وعلماً وهكذا داود وسليمان.

كل ما على وجه الأرض، وقد سماه الله سبحانه وتعالى الكرب العظيم لأنه تعالى استأصلهم بعذاب عظيم.

﴿وَنَصَرْنَاهُ(١) مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ وكانت العاقبة الحسنة لنوح عليه السلام هو ومن آمن معه.

يقص الله سبحانه وتعالى قصصه هذه ليعتبر المشركون وغيرهم بما قد حل بأولئك القوم عندما كذبوا بأنبيائهم وتمردوا عليهم، وليتعظوا بهم فلا يفعلوا مثل أفعالهم ويكذبوا بنبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك فيها عبرة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليعرف ما لاقاه الأنبياء السابقون قبله من أقوامهم، وما عانوه من المتاعب في تبليغ رسالاتهم فتهون عليه مصيبته وما يلاقيه من قومه، وليعلم أن العاقبة ستكون له، وأن الله سبحانه وتعالى سوف ينتصر لدينه، ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾ وكذلك يذكِّرُ الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقصة داوود وسليمان وما حكما به في الحرث الذي أفسدته الغنم، وذلك أن غنماً لأناس دخلت إلى زرع فأتلفته فاحتكم أهل الزرع وأهل الغنم إلى نبي الله داوود، فحكم بينهما بحكم، ثم عَقَّبَ(٢) سليمانُ بحكم آخر كان أرفق من حكم أبيه وأصلح للشأن، وكان الله سبحانه وتعالى قد ألهمه إياه لحكمة منه ومصلحة وتمهيداً لشيء يريده من التهيئة للنبوة والملك بعد أبيه داوود عليه السلام، فلا يموت إلا وقد أصبح محط أنظار

---

(١)- **سؤال:** ما السر في تعدية الفعل «نصر» بـ«من» مع أنه لا يتعدى إلا بـ«على»؟

الجواب: السر هو تضمين ﴿نَصَرْنَاهُ﴾ معنى «نجيناه» وكانت «من» هي دليل هذا التضمين.

(٢)- **سؤال:** ألم يكن في تعقيب سليمان على حكم أبيه ما يخل بمقام التأدب والتقدير لوالده؟

الجواب: ما كان لسليمان عليه السلام أن يعقب على حكم أبيه من غير طلب من أبيه أو بغير إذنه، وذلك لما لداود عليه السلام من هيبة الأبوة والملك والنبوة مع ما سليمان عليه من الأدب الرفيع أدب النبوة والملك وبيت العلم والحكمة.

الناس ومحل ثقتهم؛ وكان حكم[(١)] سليمان أن أرباب الزرع يأخذون غنم أولئك القوم فيستنفعون بها وبلبنها ودرها، وأرباب الغنم يستلمون البستان ليصلحوه إلى أن يرجع إلى عادته فيردوه لأهله ويأخذوا غنمهم[(٢)]، ومعنى «نفشت» انتشرت ليلاً في الزرع.

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وهذا يدل على أن داوود لم يكن أخطأ في حكمه، وأنهما قد حكما بالحق[(٣)] جميعاً، غير أن حكم سليمان كان

(١)- **سؤال:** وما هو حكم داود عليه السلام؟

الجواب: حكم داود عليه السلام قد كان الحكم بالغنم لصاحب الزرع.

(٢)- **سؤال:** هل لا زال هذا الحكم في شريعتنا المطهرة أم أنه قد نسخ بحكم آخر؟

الجواب: الحكم في شريعتنا المطهرة أن المثلي يضمن بمثله، والقيمي يضمن بقيمته، فإذا جنت بهيمة الرجل على مزرعة فأكلت زرعها فإن كان الزرع قد أخرج الحب وحل حصاده فيقدر عدلان مقدار الحب بالكيل فيدفع صاحب البهيمة مثل ما قدره العدلان من الحب، ويدفع قيمة العلف «التبن» بتقدير العدلين، وإن لم يكن قد استحصد الزرع فيقومه العدلان بالقيمة فيدفع صاحب البهيمة قيمة ذلك.

(٣)- **سؤال:** من أين نأخذ أن حكم داود كان صحيحاً مع أن الله تعالى لم يذكر إلا أنه آتاه العلم والحكمة؟ وإذا قلنا بتصويبه فيلزم أن كل مجتهد مصيب وقد يؤخذ منه جواز تعدد الحق؟

الجواب: أخذ ذلك مما تقرر أن أنبياء الله تعالى معصومون فيما كان من باب تقرير الشرائع وتعليمها للناس ولم يقل ذلك داود عليه السلام إلا بعلم وحكمة وقد شهد الله تعالى له بذلك ؛ لذلك يكون حكمه صحيحاً، ويمكن توجيه صحته بأن قيمة الغنم تساوي قيمة الزرع التي أفسدته وأتلفته، والله أعلم. حكم داود وسليمان عليهما السلام قد كان من المسائل الاجتهادية «تقويم المتلفات» وقد حكم كل منهما بضمان قيمة الزرع على صاحب الغنم وكل ذلك حق، فحكم داود بالغنم لصاحب الزرع وأوفاه حقه، وحكم سليمان على صاحب الغنم بالقيام على إصلاح ما أفسدته غنمه من الزرع وبتسليم غنمه لصاحب الزرع لينتفع بدرها إلى أن يصلح الزرع ثم يردها لصاحبها، فكلا الحكمين حق ومآلهما واحد وهو الحكم لصاحب الزرع =

أصوب لما ذكرنا من الحكمة التي أرادها الله سبحانه وتعالىٰ.

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ۝٧٩﴾ يبين الله سبحانه وتعالىٰ فضيلة داوود عليه السلام، وأنه اصطفاه وأيده بآيات تنصره فكان إذا سبح الله تعالىٰ وذكره سبحت[١] معه الجبال والطير كرامة منه لنبيه وتأييداً له.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ۝٨٠﴾ وعلمه الله سبحانه وتعالىٰ كيف يصنع الدروع التي يلبسها المحاربون لتحميهم من ضرب السيوف، وأخبرهم[٢] أن هذه نعمة أنعم بها عليهم إذ هيأ لهم ما يحمون به أنفسهم من القتل فالمفترض بهم أن يشكروا الله عليها، ويلتزموا بأوامره.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ[٣] الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا[٤] فِيهَا وَكُنَّا

بعوض ما أفسدته الغنم إلا أن حكم سليمان عليه السلام كان أرفق بصاحب الغنم. ويلوح بذهني أن لو كان لصاحب الغنم حَبّ لحكم عليه داود بتسليم حب بمقدار ما أفسدت غنمه، ولو كان من أهل الذهب والفضة لحكم عليه بذهب أو فضة.

(١)- **سؤال:** هل هذا التسبيح بصوت حقيقي؟

الجواب: الظاهر أن التسبيح كان بصوت حقيقي، وكان ذلك معجزة وكرامة خاصة بداود عليه السلام.

(٢)- **سؤال:** من المخبرون هنا؟

الجواب: المخبرون هنا هم المخاطبون عند نزول القرآن وهم قريش ثم من بلغه القرآن.

(٣)- **سؤال:** علام عطف هذا؟

الجواب: عطف على معمول «سخرنا» على المعنى أي: وسخرنا لسليمان.

(٤)-**سؤال:** يقال: كيف نجمع بين هذا وبين قوله: ﴿رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ۝٣٦﴾ [ص]، وقوله: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ:١٢]؟

الجواب: تحدثت هذه الآية عن ائتمار الريح بأمره عند عودته إلى دار مملكته «أرض الشام» وهاتان الآيتان أن الريح مسخرة لحمله إلى حيث يريد، وأنها تقطع به في غدوها مسافة شهر وفي

=

بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴿٨١﴾﴾ فضل الله تعالى نبيه سليمان عليه السلام بكرامته هذه بأن سخر له الريح تأتمر بأمره وتحمله أينما أراد، وذلك أنه سخر له الجن والشياطين يتولون صناعةَ ما يطيرُ عليه بما مكَّنَهم الله تعالى في ذلك الوقت، كالطائرات في زماننا هذا، وذلك لأن الشياطين أجسام نارية فهي تستطيع أن تأتي بالوقود النفاث الذي يستطيع أن يدفع الهواء بشدة ويولد ريحاً قوية تحرك الأجسام التي يحملها الهواء، وأيضاً فقد صنعوا له الصناعات العجيبة من المباني والمنحوتات والزخارف وغير ذلك.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن ذلك بعلمه وقدرته وتمكينه بما مكنهم في الأرض من القوة والعُدَّة وأسباب الطيران.

﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ[١] لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴿٨٢﴾﴾[٢] وأخبر أيضاً أنه سخر لسليمان الشياطين لخدمته باستخراج اللآلئ وما أشبهها من أعماق البحار مع غير ذلك من أعمال البناء والحفر والصناعات والأعمال الحرفية ونحو ذلك، وكانت الصناعة في عهده قد تطورت وازدهرت بسبب تسخيرهم ذلك، فكان من خرج عليه أو تمرد عن طاعته عذبه الله سبحانه

رواحها مقدار شهر إلى حيث يريد فلا منافاة بين الآيتين وبين آية: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴿٧١﴾﴾.

(١)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿مَنْ يَغُوصُونَ﴾؟

الجواب: قد جوزوا في «من» أن تكون في محل نصب عطفاً على الريح أي: وسخرنا له من الشياطين من يغوصون، وجوزوا أيضاً أن تكون في موضع رفع مبتدأ مؤخر و«من الشياطين» خبر مقدم.

(٢)- **سؤال:** من أي شيء كان الحفظ المذكور؟

الجواب: يمكن أن يكون حفظه لهم هو حفظه لاستمرارهم في خدمته وبقاؤهم فيها حتى لا يهربوا وحفظهم من أن يفسدوا أو يغيروا أو يؤذوا.

وتعالىٰ وأحرقه بالنار حتىٰ صاروا لا يجرؤون علىٰ مخالفة أي أمر من أوامره، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالىٰ عليه فقد أعطاه من الملك ما لم يعطه أحداً من العالمين ولن يعطيه أحداً بعده من العالمين.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ۝٨٣﴾ ثم ذكر بعد ذلك قصة أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وما كان من شأنه، فأخبر أنه من أنبيائه الذين اصطفاهم وفضلهم علىٰ العالمين، فقد ابتلاه بأعظم البلاوي وأشدها حتىٰ صار الناس يعافونه ويستقذرونه، ويهربون منه ومن الجلوس عنده، وصار منبوذاً بينهم وحيداً في مكان منعزل عنهم، وبالرغم من كل ذلك كان صابراً علىٰ بلواه راضياً بما قسمه الله سبحانه وتعالىٰ له، ولم ينقطع عن ذكره وتسبيحه والثناء عليه، وهذا هو السبب في اصطفاء الله سبحانه وتعالىٰ له.

بينما كان سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ النقيض منه تماماً فقد أنعم الله سبحانه وتعالىٰ عليه بأكبر النعم وآتاه الملك والحكمة، فأيوب صبر علىٰ ما ابتلاه الله سبحانه وتعالىٰ به، وسليمان شكر الله تعالىٰ علىٰ ما أنعم به عليه، وكل هذا اختبار منه لهما، فهو تعالىٰ يبتلي عباده بالخير والشر.

وقد قيل: إنه لم يَشْكُ إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ما أصابه من الضر إلا عندما وصلت الآكلة عند لسانه وعرف أن ذلك سيمنعه من مواصلة ذكر الله والثناء عليه فعندها بث شكواه إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، وأما قبل ذلك فكان ساكتاً صابراً راضياً بما قسمه الله تعالىٰ له من البلاء.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ۝٨٤﴾ استجاب الله سبحانه وتعالىٰ دعاءه وعافاه ورفع عنه بلواه، وأنعم عليه بالصحة، ورد إليه أهله الذين كانوا قد نفروا عنه[1]، وزاد له

---

(١)-**سؤال:** يذكر أن زوجته تفانت في خدمته والقيام به فمتىٰ نفرت عنه؟ أم المراد بالأهل غير الزوجة؟

الجواب: المراد بالأهل أخص القرابة كالأولاد والزوجة فمفهوم قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ...﴾

=

مثلهم معهم[١].

وبالنسبة لبلواه ففيها عظة للناس وعبرة للناس عظيمةٌ ومصلحةٌ كبيرة عائدة عليهم، وذلك أن من أصابه مرض أو ابتلي ببلاء إذا تذكر ما صار إليه نبي الله أيوب عليه السلام هان عليه ما هو فيه من الشدة، وكان دافعاً له إلى الصبر على ذلك.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝٨٥﴾ ينوه الله سبحانه وتعالى بذكر أنبيائه في القرآن وذِكْرِ صبرهم على ما ابتلاهم[٢] به وعلى طاعته؛ لأن ذلك من الثواب الذي جعله لهم في الدنيا، وأيُّ تشريف وتعظيم أكبر من هذا عندما يمدحهم الله سبحانه وتعالى ويثني عليهم عند بقية الأمم، فلا تخلو أمة من الأمم إلا وقد مدحهم الله سبحانه وتعالى فيما أنزله عليهم من الكتب.

وقد قيل: إن ذا الكفل هو إلياس، ومعناه: صاحب الحظ العظيم أو نحوه.

أن أهله كانوا قد ابتعدوا عنه وتركوه، ويدل قوله تعالى في سورة «ص»: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص:٤٤]، أنه كان قد أقسم ليضربن بعض أهله عدداً كثيراً من الضرب على جلده وقد يكون الزوجة أو غيرها من أولاده.

(١)- **سؤال:** هل المراد زوجة ثانية أم أولاداً أم حبَّب الناس إليه؟

الجواب: ظاهر قوله تعالى: ﴿أَهْلَهُ﴾ أن الله تعالى رد له زوجته وأولاده الذين ابتعدوا عنه بسبب مرضه أو بسبب آخر يعلمه الله والإضافة في أهله هي للعهد أي: أنه تعالى رد له أهله الذين كانوا أهله قبل الابتلاء، ولفظ الأهل يتناول الزوجة والأولاد، ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ يمكن أن الله تعالى بارك فيهم حتى تضاعف عددهم.

(٢)- **سؤال:** هل حفظت الابتلاءات التي ابتلى الله بها إدريس وذا الكفل؟

الجواب: أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم هم أشد الناس بلاءً ولو لم يكن إلا ابتلاءهم بتبليغ رسالات الله وما يلاقونه في سبيل ذلك من المشقات والأذى والرد والاستهزاء فلا يتم لهم تبليغ رسالات الله إلا بعد مشاق عظيمة لا يتحملها غير رسل الله وأنبيائه أما ما يروى من قصص الأنبياء في التفسير فلا ينبغي الالتفات إليها لما اشتهر من أنها مأخوذة عن أهل الكتاب.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴿٨٦﴾﴾ وأدخلهم الله في رحمته بسبب أعمالهم الصالحة.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى قصة يونس عليه السلام، ومعنى ذي النون: صاحب الحوت، وذلك أنه كان قد أنذر قومه، وبلّغهم حجج الله سبحانه وتعالى وآياته، ودعاهم إلى طاعة الله تعالى- فرفضوا الامتثال والانقياد له واتباعه، فغضب منهم غضباً شديداً، وخرج من بينهم وتركهم قبل أن يأذن الله سبحانه وتعالى له بذلك.

﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ وقد ظن أن الله سبحانه وتعالى لن يؤاخذه(١) على خروجه من بينهم؛ لأنه قد أدى ما عليه من تبليغهم رسالة ربه، ولكنه أخطأ في ظنه ذلك؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يكن قد أذن له فعاقبه تعالى بأن سجنه في بطن الحوت، وذلك أنه ركب في سفينة مع مجموعة وعندما توسطوا البحر كادت السفينة أن تغرق، فاضطروا إلى أن يلقوا مِنْ على ظهرها واحداً منهم ليسلم الباقون، وإلا فإنهم سيغرقون جميعاً، فاقترعوا فيما بينهم فخرج السهم على يونس، وكرروا ذلك مرات عدة، وكان في كل منها يخرج السهم عليه، فعند ذلك رمى بنفسه من ظهرها(٢) وحصل ما حصل.

---

(١)- **سؤال:** يقال: ما العلاقة بين المؤاخذة والاقتدار عليه؟ أو ما أخذ منها؟

الجواب: هذا الفعل أصل برأسه كما يظهر من كلام صاحب الصحاح وكتب المفسرين ﴿نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نضيق عليه، وقالوا: قدر عليه رزقه بمعنى: قتر عليه رزقه أي: ضيق عليه رزقه.

(٢)- **سؤال:** ما المسوغ له في الرمي بنفسه من ظهر السفينة إلى موج البحر، والإلقاء بالنفس إلى التهلكة لا يجوز؟

الجواب: إذا كان في الإلقاء بالنفس إلى التهلكة سلامة جماعة أو من هو كالجماعة فيجوز، والدليل هو ما جاء في هذه الآية عن نبي الله يونس عليه السلام ولم يستنكر الله تعالى عليه ذلك الفعل، فإذا حصل مثل ذلك فيجوز الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، كأن يحاصر الحريق وألسنة اللهب جماعة =

﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ۝٨٧﴾ عرف خطأه وأنه خالف ما أمره الله سبحانه وتعالى به فتاب إليه وندم على ما كان منه، وكان ذلك عند الاقتراع[١] وفي بطن الحوت، وأما معصيته تلك فلم تكن عن عمد منه؛ لأن ذلك لا يكون من الأنبياء والمرسلين، وعقابهم إنما هو لقربهم الشديد من الله سبحانه وتعالى فهو يحب منهم أن لا يصدر منهم أي عصيان ولو عن طريق الخطأ والله أعلم.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ۝٨٨﴾ أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه أنه قد استجاب له، وأخرجه من بطن الحوت، وأخبر أن هذه هي سنته في عباده المؤمنين إذا لجأوا وتضرعوا إليه، يكشف ما أنزله بهم من البلاء والشدة.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ۝٨٩﴾[٢] ثم ذكر

أو أسرة في مكان أيقنوا فيه بالهلاك ولا سبيل إلى السلامة إلا إذا استبسل أحدهم ورمى بنفسه بين ألسنة اللهب ليغلق أنبوب الغاز فيجوز له ذلك وإن أيقن أنه لا يرجع سالماً.

(١)- **سؤال:** من أين نأخذ هذا، وأنه عند الاقتراع؟

الجواب: تنبه عند المساهمة والاقتراع حين أخطأته السلامة فكان حظه الغرق هنالك فعرف أنه أخطأ وعصى وأنه قد وقع في جزاء معصيته.

(٢)- **سؤال:** ما علاقة قوله: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ۝٨٩﴾ بدعائه بالذرية؟

الجواب: دعا زكريا ربه فقال في سورة مريم: **﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا۝٦﴾**، وقال هنا: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا...﴾ فلما سأل زكريا ربه أن يرزقه ولداً يرثه لم ينس أن الله تعالى هو وارثه ووارث الناس جميعاً فحسن أن يثني على الله تعالى بأنه خير الوارثين بعد سؤاله لله تعالى أن يرزقه وارثاً يرثه ويرث من آل يعقوب، وهكذا يحسن بعد طلب الرزق أن يقول: وأنت خير الرازقين، وبعد طلب النصر: وأنت خير الناصرين، و.... إلخ.

نبيه زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ وقصته عندما دعا الله أن يرزقه بالذرية الصالحة على الرغم من كبره هو وزوجته وتجاوزهما حد الإنجاب، وذلك لأنه كان خاف أن يموت فلا يكون هناك من يقوم مقامه في إكمال ومواصلة تبليغ الناس ما تركه آل يعقوب من العلم والحكمة التي كانوا يتوارثونها إلى أن وصلت إليه.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾(١) وقد استجاب الله تعالى دعاءه وتوسله إليه عندما عرف صدق نيته وعزيمته فحملت امرأته -بعد أن كانت قد طعنت في السن وكانت عقيماً- وولدت له يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان نبياً.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾(٢) وأخبر عنهم بأنهم من أهل المسارعة في طاعة الله سبحانه وتعالى، والمبادرة إليها، وإلى ما أوجبه الله سبحانه وتعالى وافترضه عليهم؛ وقوله: ﴿يُسَارِعُونَ﴾ فيه دلالة على مبادرتهم وسبقهم إلى ما أمرهم الله سبحانه وتعالى من دون تردُّدٍ أو توانٍ أو كَسَلٍ.

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾(٣) وأنهم يتضرعون إليه راغبين فيما عنده من

---

(١)- **سؤال:** هل المراد بإصلاح الزوجة جعلها صالحة للحمل أم إصلاحها من أمور لا يرتضيها الله سبحانه؟

الجواب: المراد والله أعلم أن الله تعالى أصلحها للحمل والولادة وتربية ولدها وخدمة زوجها على كبر سنها وضعف بدنها.

(٢)- **سؤال:** ما محل جملة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾؟ هل محلها التعليل أم ماذا؟

الجواب: لا محل للجملة من الإعراب لوقوعها علة لما قبلها.

(٣)- **سؤال:** فضلاً ما إعراب: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾؟

الجواب: في إعراب ذلك ثلاثة أوجه:

١- منصوبات على المصدرية الملاقية للعامل في المعنى دون اللفظ.

٢- منصوبات بفعلين محذوفين في لفظهما ونصب الجملة الأولى حينئذ على الحالية والثانية بالعطف عليها.

٣- منصوبات على أنهما مفعول من أجله.

الثواب، وراهبين وخائفين لعقابه وغضبه، وهذا هو المفروض الذي ينبغي أن يكون عليه كل مؤمن فيكون بين الخوف والرجاء.

فمن المفروض أن يتوجه المؤمن بالعبادة إلى الله؛ لأنه مستحق للعبادة وأهل لأن يعبد ويحمد ويشكر على ما أنعم به عليه من النعم الظاهرة والباطنة من دون نظر إلى جنة أو نار، ألا ترى أن من أحسن إليك في الدنيا وتتابع معروفه عندك كيف تكون المكانة التي سيتركها في قلبك؟ وكيف ستكون ردة فعلك تجاهه؟ وهل ستعصيه أو تفكر في معصيته؟ أم أنك ستحاول إرضاءه بكل ما تستطيع وتملك وتحرص على أن لا يلحقه من قِبَلِك أي سوء أو مكروه؟

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ۝٩٠﴾ وأنهم كانوا متواضعين منقادين لله سبحانه وتعالى ولما أمرهم به، مهما كلفهم ذلك من الخسارة حتى ولو أدى إلى تلف أبدانهم أو ضحوا بأموالهم وأولادهم في سبيل إرضائه فقد باعوا أنفسهم من الله سبحانه وتعالى واستسلموا له غاية الاستسلام، فهذا هو معنى التواضع، بعكس المتكبر فهو الذي لا يمتثل لما أمره الله سبحانه وتعالى به، فهذا هو المتكبر ولو كان يمشي مشي المتواضعين.

هذا، وطاعة أولياء الله من العلماء المبلغين عن الله سبحانه وتعالى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من هذا الباب؛ لأن من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله تعالى؛ لأنهم يمثلون الأنبياء الذين كانوا يبلغون عن الله سبحانه وتعالى، فقد أصبحوا يبلغون عنهم ويحلون مكانهم، وطاعتهم واجبة على كل مكلف، لا يعذر أحد في تركها[1] مهما كانوا وكيفما كانوا ولو كانوا من أوضع

---

(١)- **سؤال:** فضلاً لو أوردتم شيئاً من الأدلة على أنه لا يعذر أحدٌ في تركها؟

الجواب: تجب طاعة العلماء الربانيين الذين حصلت الثقة في علمهم وديانتهم؛ لأنهم إنما يأمرون الناس بما أمر الله به عباده في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، ويدعونهم إلى ما دعاهم الله إليه ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر، وحينئذ فطاعتهم هي طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور:٥٤]، وفي الحديث: ((العلماء ورثة الأنبياء)).

الناس وأدناهم مرتبة مهما كانوا آمرين بتقوى الله وطاعته.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا[١] وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا ءَايَةً لِلْعَالَمِينَ﴿٩١﴾﴾ ذكر الله سبحانه وتعالى قصة مريم، وما كان من شأنها خلال ذكر أنبيائه، وصفّها في مصافهم، تنويهاً بشرفها وعلو منزلتها عند الله سبحانه وتعالى، ولم يصل من النساء هذه المنزلة الرفيعة إلا قلة قليلة منهن[٢]، ومريم واحدة منهن.

فأخبر أنه قد نفخ في بطنها الولد مع إحصانها، وأنها حملت به من غير زوج تنبيهاً على طهارتها وعفتها، وليكون ذلك آية من آياته الجلية المكشوفة الدالة على قدرته

---

(١)- **سؤال:** لا زال قوله: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ مبهماً من ناحية معنى: «روحنا» ومعنى «من» فتفضلوا بالإدلاء بتوضيح ذلك أيدكم الله بتأييده؟

الجواب: الروح هو من أمر الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، فإذا نفخ الله الروح في جسد الإنسان صار حياً، إذا فارق الروح الجسد صار ميتاً، وحينئذ فكل واحد من الناس ينفخ الله فيه روحاً من أمره فعيسى كغيره من الناس نفخ الله فيه من روحه فصار حياً، قال تعالى في آدم: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴿٧٢﴾﴾ [ص]، فالنفخ في مريم هو النفخ في جسد عيسى الذي هو كالجزء منها لحلوله في بطنها، ونفخ الروح في عيسى هو إحياؤه، وهكذا ينفخ الله الروح في جنين كل حبلى إذا أراد، ولا فرق في نفخ الروح بين عيسى وغيره من أحياء بني آدم إلا أن الله تعالى خلق جسد عيسى من غير سبب الاتصال بين المرأة والرجل، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران]، ومعنى «من»: ابتداء الغاية أو التبعيض أي: أن ابتداء النفخ في بطن مريم في جسد عيسى كان من الروح أو أن الله نفخ بعض الروح في جسد عيسى.

(٢)- **سؤال:** من هن هؤلاء العظيمات؟

الجواب: جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كمل من النساء أربع: مريم بنت عمران، وزوجة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد)) صلى الله عليه وآله وسلم.

وعظمته، وكذا ما جعل لعيسى من المعجزات كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً[١] وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ۝٩٢﴾ ثم وجه الله تعالى خطابه إلى أهل الإسلام من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأخبرهم أن الملة واحدة، وأن الدين واحد، وأمرهم أن يدخلوا فيه جميعاً، وأخبرهم أنه لا دين غير هذا الدين الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ ولكنهم بعد ذلك وبعد أن دعاهم الله تعالى إلى اتباع هذا الدين الواحد تفرقوا[٢] واختلفوا إلى مذاهب شتى وفرق مختلفة فمنهم يهود، ومنهم نصارى، ومنهم مشركون، ومنهم من يعبد البقر، ومنهم من يعبد الجن، ومنهم من يعبد البشر.

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ۝٩٣﴾ وكل هؤلاء مرجعهم إلينا يوم القيامة وسوف يحاسب كل من خالف هذا الدين الذي جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم يدخله جهنم، ولن يدخل الجنة إلا من تمسك بالحق واتبع دين الله سبحانه وتعالى الذي جاء به على لسان نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾؟ وكيف أخبر بـ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ مع عدم تمام الفائدة؟

الجواب: «أمة» حال لازمة، و«أمتكم» خبر أي: أن هذه ملتكم ودينكم لا ملة ولا دين لكم سواها، وبذلك تتم الفائدة.

(٢)- **سؤال:** قد يقال: ظاهر هذا أن المتفرقين هم المخاطبون بقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ وهم أهل الإسلام فلم يعهد تفرقهم إلى اليهودية والنصرانية و..إلخ فكيف؟ أم أن المخاطبين جميع المكلفين؟

الجواب: المخاطبون هم أهل الإسلام أولاً وغيرهم أيضاً مخاطبون، أي: لا ملة لكم ولا دين إلا ملة الإسلام ودين الإسلام، وكل ما سواه فباطل فتقطع الناس إلى أديان غير دين الإسلام وتفرقوا عنه.

﴿فَمَنْ(١) يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴿٩٤﴾﴾ وأن من يعملون الأعمال الصالحة مع الإيمان والتصديق بالله تعالى فهؤلاء لن يضيع الله من أعمالهم شيئاً، وسيوفيهم أجورهم وثوابهم دون أن ينقص عليهم شيئاً حتى مثقال الذرة فهو مكتوب عنده وسيرى جزاءها.

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴿٩٥﴾﴾(٢) فلا يعذب أحداً أو ينزل عذابه بأهل قرية أو بلاد إلا بعد أن تبلغهم حججه، وبعد أن يظهر تمردهم والقطع بعدم استجابتهم وإيمانهم(٣).

---

(١)- **سؤال:** فضلاً ما معنى الفاء هنا؟ وما فائدتها؟ وكذا ما معنى «من» في قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾؟

الجواب: الفاء سببية للتفصيل، وفائدتها تفصيل أحكام المتفرقين الذين تفرقوا فرقاً وتقطعوا قطعاً، و«من» للتبعيض.

(٢)- **سؤال:** يا حبذا لو تفضلتم بإعراب هذه الآية كاملة؟

الجواب: أقرب أعاريب هذه الآية هو: «حرام» خبر مقدم، «على قرية» جار ومجرور متعلق بحرام، «أهلكناها» جملة في محل جر صفة لقرية، «أنهم لا يرجعون» أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، ومعنى الآية هو كما ذكرناه في التفسير أي: أن الله تعالى لا يهلك أهل قرية بالعذاب ويستأصلهم بالعقاب إلا بعد أن يبلغوا الغاية في الكفر والتمرد الذي لا يمكن معه أن يرجعوا إلى الحق والهدى.

(٣)- **سؤال:** هل يصح أن تحمل الآية على امتناع عدم الرجوع بالبعث والنشور على أي قرية قد أهلكها الله تعالى بل يرجعون إليه جميعاً موافقة لسياق: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴿٩٣﴾﴾ أم لا؟ فأوضحوا لنا ما رأيتموه؟

الجواب: يصح تفسيرها بذلك لأنه قد يخطر في الذهن أن هلاكها في الدنيا كاف وأنه نهاية حسابها وجزائها فجاءت الآية لنفي ذلك ولبيان أنه لا بد من رجوعها إلى الله يوم القيامة، وقد فسرت الآية بذلك وهو تفسير مطابق للظاهر، والله أعلم.

﴿حَتَّىٰ[١] إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ أخبر الله سبحانه وتعالىٰ هنا عن علامات الساعة، وهي أن سكان الأرض سيختلط بعضهم ببعض ويموج بعضهم في بعض فيقتل بعضهم بعضاً، وسيعم القتل جميع أقطار الأرض وسكانها؛ وقد قيل: إن يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون صحراء سيبيريا والتتر قوم منهم، ومعنىٰ يأجوج ومأجوج خليط من البشر كانوا قطاعاً للطرق قد اجتمعوا في ذلك المكان فسموا بهذا الاسم؛ فإذا كان آخر الزمان فإن الله سبحانه وتعالىٰ سيسلطهم علىٰ بعض الناس، وسيترك بعضهم يقتل بعضاً جزاء علىٰ خروجهم العام عن طاعته، وإجماعهم علىٰ التمرد عليه وتوغلهم في معاصيه، وأخبر أن هذا سوف يكون في آخر الزمان، وأنه من علامات الساعة[٢]. ومعنىٰ «من كل حدب ينسلون» أي: يسرعون.

وأما بالنسبة للمهدي المنتظر فسيبعثه الله تعالىٰ عندما تتهاوىٰ عروش الظالمين، وتتحطم أسلحتهم وحضاراتهم، وعندما يُنْسَفُ كل ما علىٰ وجه الأرض من الحضارات والتطور والتقدم الصناعي، وعندما ينتهي جميع جبابرة الأرض فعند ذلك سيكون للإسلام دولة بقيادة آخر أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولا يخلف ذلك إلا

(١)- **سؤال:** ما معنىٰ «حتىٰ» هنا؟ وهل هي علىٰ قاعدة مطردة في مثل هذا الموضع؟ وأين جواب «إذا» الشرطية؟

الجواب: معنىٰ «حتىٰ» هنا هو الغاية، وهذا المعنىٰ لا يكاد يفارقها سواء كانت جارة أو عاطفة أو ابتدائية، وتسمىٰ «حتىٰ» الواردة في هذا الموضع وما ماثله ابتدائية بمعنىٰ أنه يبتدأ بعدها الكلام أي: أنه لا عمل لها فيما بعدها. ويقال لها -أيضاً- ابتدائية إذا لم تعمل فيما بعدها. وجواب «إذا» قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ...﴾.

(٢)- **سؤال:** ما رأيكم أليس آخر الآية: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ۝٩٦﴾ يقوي هذا القيل الذي ذكرتموه؟

الجواب: نعم ذلك يقوي ويشهد للقول الذي ذكرناه.

حلول الساعة والقيامة والبعث والنشور والحساب والجزاء وهذا معنى ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾.

﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴿٩٧﴾﴾(١) وأن أبصار الذين كفروا عند ذلك ستكون شاخصة إلى السماء من هول ما يرون من العذاب الذي تيقنوا بحلوله عليهم، وسيظهر عليهم الندم الشديد عند ذلك على ما أسلفوا، ويعترفوا بظلمهم وغفلتهم عن هذه المواقف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴿٩٨﴾﴾(٢) يخاطب الله سبحانه وتعالى الكافرين مهدداً لهم بأنه سيدخلهم جهنم مع آلهتهم التي يعبدونها من دونه، ومعنى «حصب جهنم»: وقودها الذي يهيجها.

﴿لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٩٩﴾﴾ وأخبرهم أن هؤلاء الذين يعبدونهم من دونه لو كانوا يستحقون الإلهية والربوبية لما أدخلهم جهنم وعذبهم، وأخبر أيضاً أنه سيخلد العابد والمعبود في نار جهنم.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴿١٠٠﴾﴾ من شدة العذاب يجرون أنفاسهم ويخرجونها حتى يُسْمَع صفيرُها من قوة الجر والإخراج، وكذلك ستنسد آذانهم من شدة الألم حتى لا يستطيعون سماع شيء.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ﴾؟ ومحل جملة: ﴿يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ﴾؟

الجواب: الفاء سببية رابطة و«إذا» هي الفجائية و«هي» مبتدأ، «شاخصة» خبر المبتدأ، «أبصار» فاعل شاخصة، وجملة «يا ويلنا قد كنا...» في محل نصب مقول لقول محذوف.

(٢)- **سؤال:** فضلاً ما محل جملة: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴿٩٨﴾﴾؟

الجواب: قد وجهوا إعرابها بعدة وجوه وأحسن ما قيل: إنها جملة مستأنفة مؤكدة لما قبلها فمعناها ومعنى الجملة التي قبلها واحد؛ لذلك لا محل لها من الإعراب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴿١٠١﴾﴾(١) ثم انتقل إلى ذكر الذين قد سبق لهم من الله الوعد الحسن والعاقبة الحسنة مثل عيسى وعزيراً والملائكة فأخبر أنه قد أخرجهم من بين تلك المعبودات التي سيدخلها النار مع عابديها؛ لأنهم لم يَدَّعوا الإلهية، ولم يَدْعُوا الناس إلى عبادتهم.

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴿١٠٢﴾﴾ لا يدخل الله تعالى عيسى وعزير والملائكة نار جهنم ولا يسمعون أصواتها المخيفة وهم في نعيم الجنة وثوابها خالدون.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴿١٠٣﴾﴾ وكذلك لا تلحقهم أهوال القيامة ومخاوفها، فهم في أمن وأمان من وقت أن يبعثهم الله سبحانه وتعالى، تبشرهم بذلك الملائكة.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا

---

(١)- **سؤال:** يقال: لِمَ لم يأت الله سبحانه وتعالى بصورة الاستثناء في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ...﴾ إلخ؟

الجواب: لم يدخل الذين سبق الوعد لهم من الله بالحسنى في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حتى يلزم استثناؤهم، والخطاب لقريش، وقد كانوا يعبدون الجن والشياطين وإناثاً يدعون أنهم بنات الله: ﴿يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]، ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴿١١٧﴾﴾ [النساء]، لذلك لم تدخل الملائكة ولا عيسى وعزير في معبودات قريش حتى يلزم استثناؤهم، وستتبرأ الملائكة من المشركين يوم القيامة فسألهم الله كما حكى الله ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]، وذكر الله سبحانه وعده للمؤمنين بالحسنى كعادته في ذكر وعده الحسن لهم بعد أن يذكر وعيد المجرمين بالعذاب الشديد، ولم يذكروا هنا للتخصيص والله أعلم.

عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴿١٠٤﴾﴾[١] يخبر الله سبحانه وتعالى عن حال يوم القيامة بأنه سيخرب الكون جميعاً ويهدمه، وأن السماء التي نراها أمامنا سوف يطويها مع كواكبها، ويلفها كما تلف الورقة، حتى لا يبقى منها شيء، ثم بعد ذلك سيعيد خلق البشر وسيبعثهم من جديد، وأخبر أن هذا وعد منه واجب وقوعه لا محالة.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ[٢] أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قد كتب ووعد في الزبور أن الأرض سيسيطر عليها الصالحون من عباده بعد أن يهلك ويدمر المفسدين الذين ملأوها ظلماً وبهتاناً.

﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴿١٠٦﴾﴾ إن في هذا القرآن لكفاية كافية لمعرفة الهدى ودين الحق لقوم عابدين، وإنما خص العابدين لأنهم هم الذين ينتفعون بآيات الذكر الحكيم لخشوعهم وتواضعهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴿١٠٧﴾﴾ أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يرسل محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا ليستنقذ الناس من جهالات الشرك والضلال، ويدخلهم في

---

(١)- **سؤال:** ما العامل في ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾؟ وما إعراب: ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ و﴿كَمَا بَدَأْنَا﴾، وكذا ﴿وَعْدًا﴾؟ وما هو السجل الذي يطوي الكتب؟

الجواب: العامل في «يوم نطوي» فعل مقدر أي: اذكر، ويصح تعليقه بلا يحزنهم أو بالفزع أو بتتلقاهم. «كطي السجل» صفة لمصدر محذوف أي: طياً كطي السجل، أي: مشابهاً لطي السجل. «كما بدأنا» الكاف حرف جر و«ما» مصدرية مسبوكة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالكاف والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف، وناصبه هو الفعل، «نعيده» والتقدير: نعيد أول خلق إعادة مثل بدئنا له. «وعداً» مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾، والسجل هو الرجل.

(٢)- **سؤال:** ما المراد بالذكر هنا؟ وكيف تعقل بعدية الزبور للذكر؟

الجواب: المراد بالذكر اللوح المحفوظ، والزبور الكتب السماوية المزبورة أو زبور داود.

سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا[١] إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾[٢] أمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية نبيه ﷺ أن يخبر المشركين بأنه لا ينزل عليه من الوحي إلا ما يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأن يخبرهم بأن الأصنام التي يعبدونها من دونه زعماً منهم أنها بنات الله لا تملك من صفات الإلهية شيئاً، وأمرهم أن يتركوها ويسلموا وينقادوا إلى هذا الدين.

وكان عند الكعبة من أصنامهم هذه ثلاثمائة وستون صنماً، وكان لكل صنم منها اسمُ يُعرَفُ به.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فإن رفضوا دعوتك يا محمد وأعرضوا عنها ﴿فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ هذا إعلان منه للبراء، كقول القائل في عرفنا[٣]: «الوجه من الوجه أبيض»، فقد أخبرتكم وحذرتكم وتركت لكم حرية الاختيار فاختاروا ما شئتم.

﴿وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ۝١٠٩﴾ ثم أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم بأنه لا يعلم متى سيحل بهم ما وعدهم الله تعالى من عذابه وسخطه إن لم

---

(١)- **سؤال:** كيف جاء الحصر في الوحدانية فيما أوحي إلى النبي ﷺ؟ وقد أوحي إليه جميع أحكام شرائع الإسلام غير التوحيد؟

الجواب: الحصر حصر قلب حيث أن المخاطبين من المشركين يعتقدون أن الشرك دين أوحاه الله على الأنبياء السابقين، فقال النبي ﷺ بأمر الله: إنما أوحي إلى التوحيد لله دون الشرك، فليس القصر حقيقياً وإنما هو إضافي.

(٢)- **سؤال:** ما معنى الاستفهام هنا: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٨﴾؟

الجواب: هل هنا للاستفهام وفيها معنى الطلب للإسلام والتنبيه على قيام الموجب للدخول في الإسلام وأنه لا عذر هناك يعذرهم من الدخول فيه.

(٣)- **سؤال:** فضلاً وما معناه على أصل وضعه؟

الجواب: معناه: أعلمتكم بالتحذير أو نحوه إعلاماً يستوي الجميع في العلم به.

يؤمنوا، وهل قرب وقته أم أنه لا يزال بعيداً، فهو في علم الله وحده.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ فعلم ذلك عند الله وحده فهو العالم بكل شيء، والمطلع على كل شيء حتى ما تضمرونه في صدوركم، ولم تفصح عنه ألسنتكم.

﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ[(١)] لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾﴾ وأن يخبر المشركين أنه لا يدري متى سيكون حلوله بكم، وأن تأخيره[(٢)] قد يكون فتنة واختباراً لكم في الدنيا فيترككم تتمتعون وتأكلون فترة حتى يحين موعد ذلك بكم.

﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ القائل هو النبي ﷺ دعا الله سبحانه وتعالى أن يحكم بينه وبين قومه بأن ينصر المحق على المبطل.

﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾[(٣)] يخاطب بذلك قريشاً بعد أن دعا الله سبحانه وتعالى أن يحكم بينه وبينهم بأنه سيستعين على كفرهم وحربهم له بالرحمن الذي نعمه ورحمته ظاهرة ومكشوفة لجميع خلقه، وأنه هو الذي سيعينه على القضاء على آلهتهم هذه التي يعبدونها من دونه.

---

(١)- **سؤال:** ما إعراب: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ﴾؟

الجواب: «إن» نافية. أدري: فعل مضارع وفاعله مستتر وجوباً. لعله: لعل للترجي والهاء اسمها، و«فتنة» خبرها، والجملة معلقة في محل نصب، ولعلَّ من المعلقات عند الكوفيين.

(٢)- **سؤال:** من أين علم أن المراد بالضمير في لعله التأخير؟

الجواب: الضمير لتأخير ما توعدون وعلم ذلك من السياق، ومن قوله: ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾﴾.

(٣)- **سؤال:** ما معنى «ما» في قوله: ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾؟ وما مناسبة جعل هذه الآية خاتمة في هذه السورة الكريمة؟

الجواب: «ما» اسم موصول أي: الذي تصفونه من الشرك والقول الباطل أو مصدرية أي على وصفهم ودينهم الباطل، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ...﴾ الآية إعلام وإيذان بنهاية السورة وإشارة إلى تمامها وذلك من حيث أن ذهاب الباطل ونهايته يكون بالحكم بالحق فإذا حصل الحكم بالحق انتهى الباطل وزهق.

❁❁❁❁❁

بحمد الله تم

الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله

سورة الحج

الفهرس